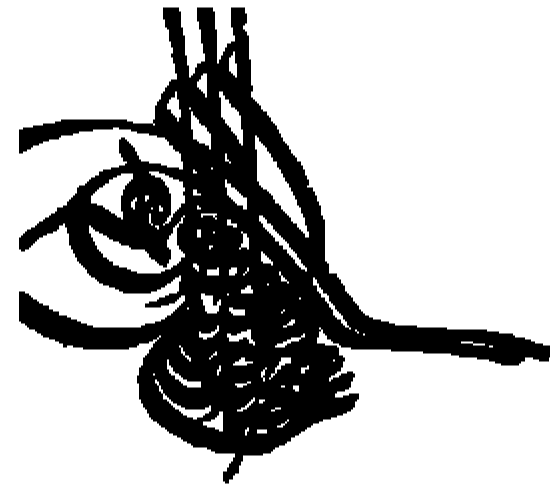


تاريخ الدولة العلية العثمانية

تأليف

﴿محمد فريد بك﴾

وكيل النائب العمومى لدى المحاكم الاهلية
وأحد أعضاء الجمعية الجغرافية الخديوية

الطبعة الاولى

بمطبعة محمد أفندى مصطفى بحوش قدم بمصر المحمية

جمادى الثانية سنة ١٣١١ دسمبر سنة ١٨٩٣

فهرسة تاريخ الدولة العلية العثمانية

صحيفة

صحيفة

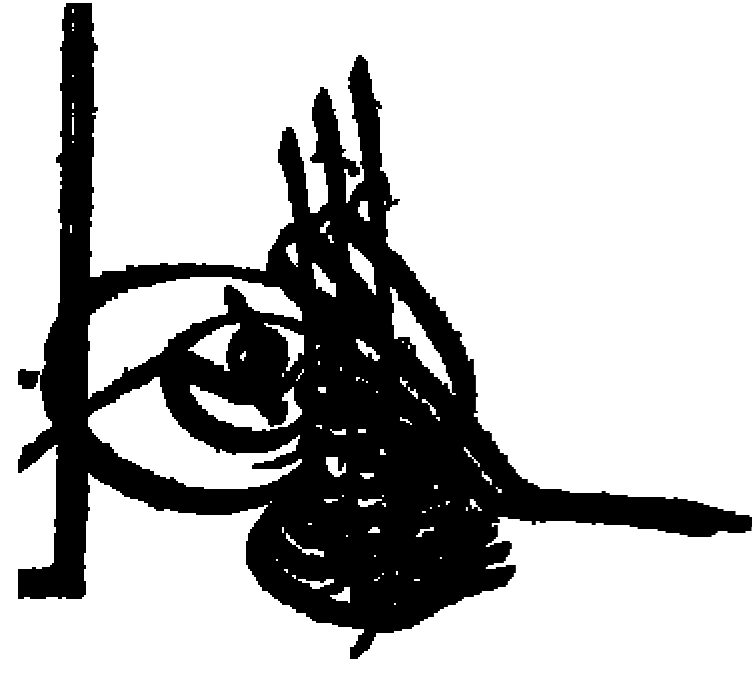
صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

(تمت الفهرست)



تاريخ الدولة العلية العثمانية

تأليف

﴿محمد فريد بك﴾

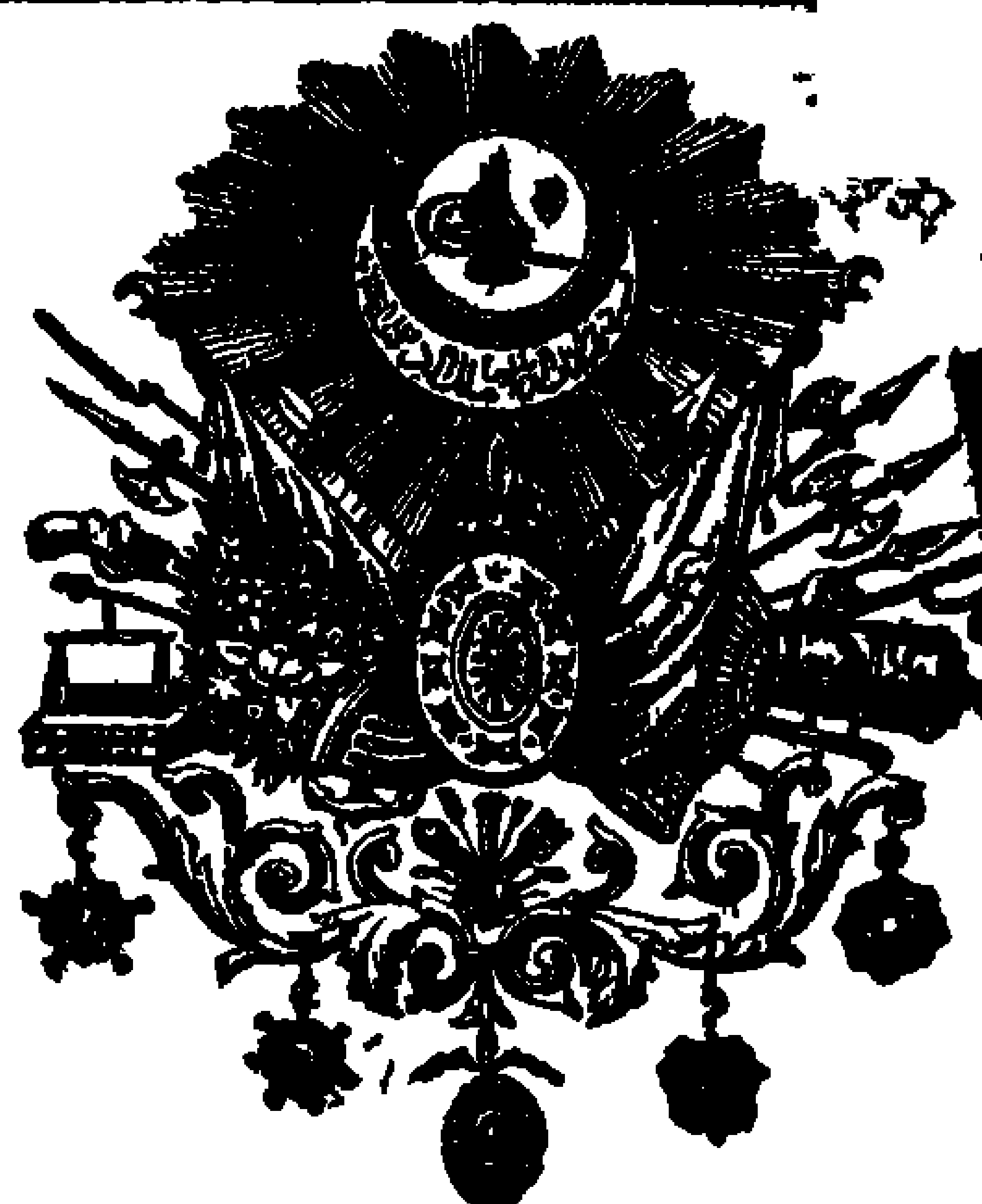
وكيل النائب العمومى لدى المحاكم الاهلية

وأحد أعضاء الجمعية الجغرافية الخديوية

الطبعة الاولى

بمطبعة محمد أفندى مصطفى بحوش قدم بمصر المحمية

جمادى الثانية سنة ١٣١١ دسمبر ١٨٩٣



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي شاد هذا الدين على أساس مكين متين وأقامه بالبرهان القوي المبين وقيض له في كل زمان من الدولة والسلطان ما يحفظ بيضته ويحمي عزته ويؤيد كلمته ثم الصلاة والسلام على خلاصة بني الدنيا امام الانبيا الذي دانت القبائل لطاعته وانضمت أشتات الافراد تحت رايته فوحد بين هاتيك الجموع المتكاثرة وألف بين تلك القلوب المتنافرة فجعل بذلك للاسلام من السطوة والصولة مالم تنله قبله ملة ولا دولة

(وبعد) فقد مضى على الشرق أجيال طوال رأى فيها أهلوه من أهوال الاحوال ما تشيب له الاطفال وتندك من وقعه عزائم الرجال بل شوامخ الجبال وما كان ذلك الا بعد ان انفرط عقد بنيه وتناثر نظام أهليه وتشاغل كل بنفسه عن أخيه وذويه فأغار الدهر بخيله ورجله على الشرق ودوله وقلب لابنائه ظهر المجن وقلبهم بين الاحن والمحن فتناسوا ما كان لهم

من فخامة الاقتدار وجلالة الحضارة وضخامة العمران واصالة الامارة وانغمسوا فى بحار الكسل والخمول ذاهلين واستكانوا الى المذلة والهوان صاغرين حتى باتوا واصبحوا وهم على شفا جرف هار وقد اوشكوا أن يقض عليهم بالدمار والاندثار ويكونوا عبرة لأولى البصائر والابصار

لكن العناية الصمدانية تداركتهم بلم الشعث ورم الرث ورتق الفتق ورقع الخرق فأضاءت الافق الاسلامى بظهور النور العثمانى وأمدته بالنصر اللدنى والعون الربانى فقامت الدولة العلية بحياطة هذا الدين وحماية الشرقيين ودعت الى الخير وأمرت بالمعروف ونهت عن المنكر فكانت من المفلحين ثم وقفت فى طريق أوروبا حاجزا منيعا وسورا حصينا وحالت دون أطماعها وألزمتها بكف غاراتها بأنواعها ثم اهتمت بالاصلاح وسعت فى تأييد النظام فصار بها بين الدول المقام الاول والرأى الراجح والقول النافذ فكانت لا يضاهيها دولة من الدول بما أحرزته من الاملاك الواسعة فى قارات أوروبا وآسيا وافريقية ونالت من العزة والتوفيق ما يجدر بكل شرقى ان يتذكره الآن لتستفزه عوامل الغيرة ودواعى النشاط الى بذل نفسه ونفيسه فى سبيل تقويتها وتعزيز رايتها وتأييد كلمتها لما كان ولا يزال لها من الحسنات الحسان على كافة بنى الانسان من غير نظر الى الاجناس والمذاهب والاديان مما لا يراه الباحث فى أية دولة غيرها قديما أو حديثا بل نرى عكس ذلك ونقيضه فى الدول ذات الدعاوى الطويلة العريضة التى تتقول بانها عماد المدنية والانسانية وهى مع ذلك تصدر أوامرها الرسمية بارتكاب الفظائع والبشائع التى لا يكاد يصدقها السامع مما نغسك اليراع عن تعداده فى هذا المقام لعدم دخوله فى موضوع الكتاب لا سيما وان التلغرافات والجرائد تتوارد علينا فى كل يوم ببيان هذه الانباء الشنيعة وذلك بخلاف الدولة العلية فان جميع الناس تعيش فيها بغاية الحرية والسلام وكل المطرودين من الدول الاوروبية يفدون الى أراضيها فيرتعون فى بحبوحة الراحة والهناء آمنين على أنفسهم وأموالهم وعروضهم وقد أصبحت الآن ملجأ وحيدا للكل من تلفظه دول الاوروبيين أبناء الانسان فماذا يكون حظ هؤلاء المذكورين لذا جارتهم

في هذا المضمار وناظرتهن في هذه الفعال

هذه حسنة من أقل حسناتها يحق للعثماني مهما كان جنسه ودينه ان يفاخر بها ويذكرها في كل فرصة وفي كل حين وفي ذلك أكبر داع وأعظم باعث يدفعه الى الوقوف على تفاصيل تاريخها والنظر بعين الاعتبار الى ماجرى لها وعليها من التقدم والتأخر والارتفاع والانحطاط فان الوقوف على هذه الماجريات مما يهذب النفوس ويقوم الاخلاق ويقوي روابط الوطنية ويعزز الجامعة الملية وبذلك تتماسك أجزاء هذه الدولة الجليلة فيتقوى مجموعها ويتأكد قوام مهابل حياتها وأي شرقي مسلما كان أو غير مسلم لاتهزه النخوة القومية والحمية الملية الى المحافظة على بقائها ساعيا في بقاء نفسه وتأييدها بكل مافي وسعه لتأييد بني جنسه ولذلك دفعتني دواعي الضمير الى العناية بحوادث هذه الدولة والوقوف على أحوالها فلما حطت علما بما يجب على كل شرقي معرفته من تاريخها حدثتني نفسي بوجوب تدوين هذا التاريخ ونشره بين أبناء الوطن ونصراء الملة فشمرت عن ساعد الجد وبذلت غاية الجهد وأوردت في هذا التأليف من مواقف التحقيق ماوصلت اليه الطاقة وضبطت الاعلام بقدر الامكان وشرحت في حواشي الكتاب أسماء الملوك والاعيان وبعض البلدان معتمدا في ذلك كله على الامهات المعتبرة والاصول الموثوق بها وقد أضفت اليه خريطة جغرافية بتخطيط المملكة العثمانية في جميع أدوارها وفي ذلك مالا يخفى من الفوائد الجزيلة والتسهيل في التفهيم لمعرفة المواقع بغاية الايضاح

وقد قصدت بهذه الخدمة ان أقوم بفرض يجب على كل انسان أداؤه لعرش الخلافة العظمى وملجأ الاسلام في هذا الزمان مولانا أمير المؤمنين السلطان الغازي ﴿عبد الحميد خان الثاني﴾ أمد الله في عمره وأيده بنصره

واني أبتهل الى الله القدير بان يؤكد العروة الوثقى بين جلالته وولي أمرنا صاحب الحزم والتدبير مولانا الجليل النبيل صاحب الرأي الاصيل والمجد الاثيل رب الحزم والعزم خديوينا الافخم ﴿عباس باشا حلمي الثاني﴾ حفظه الله وأبقاه اعلاء للوطن وابقاء لجامعة الملة آمين

(السلطان

١ ﴿السلطان الغازى عثمان خان الاول﴾

بعد ان بلغت الدولة العباسية أوج التقدم والتمدن فى خلافة هرون الرشيد وابنه المأمون الذى ترجمت فى أيامه أغلب كتب اليونان وتقدمت العلوم تحت وارف ظلها تقدما لم تبلغه الدول الاسلامية قبل عصره أخذت الدولة فى التقهقر شيأ فشيأ تبعا لناموس الحياة الطبيعية القاضي بالهرم بعد الشبيبة سنة الله فى خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا واستمر الانحلال يخر عظامها حتى انها سقطت بسقوط دار السلام «١» فى قبضة قبائل التتار سنة ٦٥٦ هجرية وقتلهم الخليفة المستعصم بالله آخر العباسيين ببغداد بعد أن لبثت نحو خمسة قرون دعامة التمدن الاسلامى

ومن ثم لم يكن للاسلام بعدها دولة عظيمة تحمى بيضته وتضم أشتاته بل ضاعت وحدته الملكية واستقل كل حاكم بما وكل اليه أمره من العمالات واستمر الحال على هذا المنوال الى ان قيض الله للاسلام تأسيس الدولة العلية العثمانية فجمعت تحت رايتها أغلب البلاد الاسلامية وفتحت كثيرا من الاقاليم التى لم يسبق تحليها بحلية الدين الحنيفى وأعادت للاسلام قوته وأعلت بين الانام كلمته

ومؤسس هذه الدولة هو ﴿ارطغرل﴾ بن سليمان شاه التركمانى قائد احدى قبائل الترك النازحين من سهول آسيا الغربية الى بلاد آسيا الصغرى وذلك انه كان راجعا الى بلاد العجم بعد موت ابنه غرقا عند اجتيازه أحد الانهر اذ شاهد جيشين مشتبكين فوقف على مرتفع من الارض ليمتع نظره بهذا المنظر المألوف لدى الرحل من القبائل الحربية ولما آنس الضعف فى أحد الجيشين وتحقق انكساره وخذلانه ان لم يمد اليه يد المساعدة دبت فيه النخوة الحربية ونزل هو وفرسانه مسرعين لنجدة أضعف الجيشين وهاجم الجيش الثانى بقوة وشجاعة عظيمتين حتى

«١» هى مدينة بغداد ولأول من بناها وجعلها عاصمة الخليفة أبو جعفر المنصور ثانى الخلفاء العباسيين وشرع فى تخطيطها سنة ١٤٥ هجرية وأتم بناءها سنة ١٤٩ هـ وهى قائمة على ضفتى نهر الدجلة تبعد عن مصب نهر شط العرب المتكون من نهرى الدجلة والفرات فى الخليج الفارسى بنحو خمسمائة ميل وقد سمى الجانب الشرقى بالرصافة والغربى بالكرخ ثم نمت وارتقت فى أيام العباسيين خصوصا هرون الرشيد والمأمون اللذين أنشآ فيها مرصدا فلكيا وبلغ عدد سكانها سنة ٢١٦ هـ نحو مليونين من النفوس

وقع الرعب فى قلوب الذين كادوا يفوزون بالنصر لولا هذا المدد الفجائى وأعمل فيهم بالسيف والرمح ضربا ووخذا حتى هزمهم شر هزيمة وكان ذلك فى أواخر القرن السابع للهجرة

وبعد تمام النصر علم ارطغرل بانه قد قيضه الله لنجدة الامير علاء الدين سلطان قونية احدى الامارات السلجوقية التى تأسست عقب انحلال دولة آل سلجوق بموت السلطان (ملكشاه) فى سنة ١٠٩٢ مسيحية فكافأه علاء الدين على مساعدته له باقطاعه عدة أقاليم ومدن وصار لا يعتمد فى حروبه مع مجاوريه الا عليه وعلى رجاله وكان عقب كل انتصار يقطعه أراضى جديدة ويمنحه أموالا جزيلة ثم لقب قبيلته بمقدمة السلطان لوجودها دائما فى مقدمة الجيوش وتمام النصر على يديها وفى غضون ذلك تزوج عثمان أكبر أولاد ارطغرل ببنت رجل صالح كان رآها مصادفة عند والدها وعلق بها لكن أبى والدها أن يزوجها له فحزن عثمان لذلك وأظهر الصبر والجلد ولم يرغب الاقتران بغيرها حتى قبل أبوها بعد أن قص عليه عثمان منامارآه ذات ليلة فى بيت هذا الصالح وهو أنه رأى القمر صعد من صدر هذا الشيخ وبعد ان صار بدرا نزل فى صدره أى فى صدر عثمان ثم خرجت من صلبه شجرة نمت فى الحال حتى غطت الاكوان بظلها وتظرأ كبرالجبال تحتها وخرج النيل والدجلة والفرات والطونة من جذعها ورأى ورق هذه الشجرة كالسيوف يحولها الريح نحو مدينة القسطنطينية

فتفاءل الشيخ من هذا المنام وزوجه ابنته ومع اعتقادنا ان هذا المنام لا بد أن يكون موضوعا كما يضع المؤرخون مثل هذه الاحلام لتعليل ظهور وتقدم كل دولة سواء كان فى ممالك الشرق أو الغرب قد ذكرناه تتميما للفائدة وقبل أن يبنى بها كان طلبها أمير اسكى شهر فرفض والدها طلبه فحنق على عثمان لما تزوجها وأراد أن يفتك به فهاجمه فى قصر أحد مجاوريه وطلب من صاحب القصر أن يسلمه اليه فأبى ثم خرج عليه عثمان ومن معه ورده على عقبه وأسر واحدا ممن كان معه من الامراء واسمه كوسه ميخائيل ولكثرة اعجاب هذا الامير بشجاعة عثمان تعلق به وصار من أخصائه ثم أسلم وبقيت ذريته مشهورة فى تاريخ الدولة باسم عائلة

ميخائيل اوغلى

ولما توفى ارطغرل سنة ٦٨٧ ﻫ الموافقة سنة ١٢٨٨ م عين الملك علاء الدين أكبر أولاده مكانه وهو ﴿عثمان﴾ مؤسس دولتنا العلية العثمانية وفى هذه السنة ولدت زوجته مال خاتون ولدا ذكرا وهو اورخان ولم يلبث عثمان ان تحصل على امتيازات جديدة عقب فتحه قلعة (قره حصار) سنة ٦٨٨ هجرية الموافقة سنة ١٢٨٩ ميلادية فنحه الملك فى السنة المذكورة لقب (بك) وأقطعه كافة الاراضى والقلاع التى فتحها وأجازله ضرب العملة وأن يذكر اسمه فى خطبة الجمعة وبذلك صار عثمان بك ملكا بالفعل لا ينقصه الا اللقب

وفى سنة ١٣٠٠ م تقريبا موافق سنة ٦٩٩ ﻫ أى السنة المتممة للقرن السابع من التاريخ الهجرى ﴿٢﴾ أغارت جموع التتار على بلاد آسيا الصغرى وفيها كانت وفاة علاء الدين آخر السلجوقيين قيل قتله التتر وقيل قتله ولده غياث الدين طمعا فى الملك وبذلك انفتح المجال لعثمان فاستأثر بجميع الاراضى المقطعة له ولقب نفسه (باديشاه آل عثمان) وجعل مقر ملكه مدينة (يكى شهر) وأخذ فى تحصينها وتحسينها ثم أخذ فى توسيع دائرة أملاكه فسار الى مدينة (ازميد) ﴿٣﴾ ثم (ازنيك) ﴿٤﴾ ولما لم يتمكن من فتحهما عاد الى عاصمته واشتغل فى تنظيم البلاد حتى اذا أمن اضطرابها وتجهز للقتال أرسل الى جميع أمراء الروم ببلاد آسيا الصغرى يخيرهم بين ثلاثة أمور الاسلام أو الجزية أو الحرب فأسلم بعضهم وانضم اليه وقبل البعض دفع الخراج واستمان الباقون على السلطان عثمان بالتتر واستدعوهم لنجدتهم

﴿٢﴾ من الغريب ان فى رأس كل قرن من الهجرة ظهر رجل كان له شأن فى التاريخ الاسلامى ففى رأس القرن الاول كان ظهور الاسلام وانتشاره بين كفار العرب وفى سنة ٩٩ ﻫ أى فى رأس القرن الثانى تولى الخلافة عمر بن عبد العزيز الاموى المشهور وفى سنة ١٩٨ بويع بالخلافة للمأمون بن هرون الرشيد وفى أوائل القرن الرابع أسس عبد الله المهدى عائلة الفاطميين فى افريقيا وكانت الاربعون سنة التى مكثها القادر بالله فى الخلافة مشتركة بين القرن الرابع والخامس وفى أوائل القرن السادس ظهر جنكيزخان التترى

﴿٣﴾ هى مدينة قديمة يونانية بآسيا الصغرى أصل اسمها ﴿نيكوميدس﴾ وكانت تخت المملكة ﴿بوثينيا﴾ واقعة على بحر مرمره ويدخل ميناها أكبر السفن وبها مياه معدنية ومعامل الحرير وأنشئت فيها سكة حديد تصل الى بورصة ويبلغ عدد سكانها أربعين ألف نسمة

﴿٤﴾ مدينة يونانية قديمة بآسيا الصغرى أصل اسمها ﴿نيقه﴾ واقعة شرق مدينة بورصة بنحو ٨٠ كيلومتر وهى شهيرة بعمل الخزف والسجاجيد المتقنة

ن لم يعبأ بهم السلطان عثمان بل هيأ لمحاربتهم جيشا جرارا تحت امرة ابنه أورخان فسار اليهم هذا الشبل ومعه عدد ليس بقليل من أمراء الروم ومن ضمنهم كوسه ميخائيل صديق عثمان الذي اختار الاسلام دينا وبه دمحاربة عنيفة شتت شمل التتار وعاد مسرعا لمحاصرة مدينة (بورصة) «٥» فحاصرها سنة ٧١٧ هـ الموافقة سنة ١٣١٧ م وللتمكن من فتحها بسهولة هاجم حصن ارنوس الكائن على قمة جبل اولمب «٦» فدخله عنوة ثم دخل مدينة بورصة بعد ان فتح كافة ما حولها من القلاع والحصون وحاصرها نحو عشر سنوات من غير ما حرب ولا قتال اذ أرسل ملك القسطنطينية أوامره لعامله على هذه المدينة بالانسحاب فأخلاها ودخلها أورخان وعساكره ولم يتعرض لاهلها بسوء مقابل دفع ثلاثين ألفا من عملتهم الذهبية

٢ ﴿السلطان الغازي أورخان الاول﴾

وعقب ذلك بقليل استدعى أورخان الى والده فوجده فى حالة النزع ولم يلبث ان أسلم الروح الى بارئ النسمات ومبدع الكائنات بعد ان أوصى للملك بعده لاورخان ثاني أولاده لاتصافه بعلو الهمة والشجاعة والاقدام ولم يوص بها لبكر أولاده علاء الدين لميله الى الورع والعزلة وتوفى رحمه الله فى ٢١ رمضان سنة ٧٢٧ هجرية عن سبعين سنة قضى معظمها فى تأسيس هذه الدولة الفخيمة الملحوظة بعين العناية الربانية وتوسيع نطاقها ودفن فى مدينة بورصة ومن حسن حظ هذه الدولة ان علاء الدين لم يعارض فى هذه الوصية التي حرمته من ملك عظيم بل قبلها مقدما الصالح العام على الصالح الخاص واكتفى بوزارة المملكة وهى الوظيفة المسماة الآن بالصدارة العظمى التي قلده اياها أخوه اورخان فاختص علاء الدين بتدبير الامور الداخلية وتفرغ أورخان للفتوحات ونشر الراية العثمانية على كل ما وصلت اليه يداه من البلاد المجاورة

«٥» مدينة بآسيا الصغرى شهيرة بجودة هوائها وجمال مناظرها الطبيعية و بها مياه عديدة شافية لكثير من الامراض و يرحل اليها فى زمن الصيف كثير من الاغنياء لترويح النفوس واراحة الابدان

«٦» واسمه بالتركية «انا طولى طاغ» أو «كشيش طاغ» وهى غير جبل اولمبوس الذي كان يعتقد اليونان انه مسكن آلهتهم الكائن بتركية أوروبا على حدود بلاد مقدونية

ومن أهم أعمال علاء الدين ان أمر بضرب العملة من الفضة والذهب ووضع نظاما للجيوش المظفرة وجعلها دائمية اذ كانت قبل ذلك لاتجمع الا وقت الحرب وتصرف بعده ثم خشي من تحزب فريق من الجند الى القبيلة التابع اليها وانفصام عرى الوحدة العثمانية التي كان كل سعيهم في ايجادها فأشار عليه أحد فحول ذلك الوقت واسمه (قره خليل) وهو الذي صار فيما بعد وزيرا أولا باسم خير الدين باشا باخذ الشبان من أسرى الحرب وفصلهم عن كل ما يذكرهم بجنسهم وأصلهم وتربيتهم تربية اسلامية عثمانية بحيث لا يعرفون لهم أبا الا السلطان ولا حرفة الا الجهاد في سبيل الله ولعدم وجود أقارب لهم بين الاهالي لا يخشى من تحزبهم معهم فأعجب السلطان أورخان هذا الرأي وأمر بانفاذه ولما صار عنده منهم عدد ليس بقليل سار بهم الى الحاج بكطاش شيخ طريقة البكطاشية بأماسية ليدعو لهم بخير فدعا لهم هذا الشيخ بالنصر على الاعداء وقال فليكن اسمهم (يني تشاري) ويرسم بالتركية هكذا (يكيچارى) أي الجيش الجديد ثم حرف في العربية فصار انكشاري

ثم ارتقى هذا الجيش في النظام وزاد عدده حتى صار لا يعول الا عليه في الحروب وكان هو من أكبر وأهم عوامل امتداد سلطة الدولة العثمانية كما انهم خرجوا فيما بعد عن حدودهم وتعدوا واستبدوا وبالجملة هم سببا في تأخر الدولة وتقهقرها وكان ضباطهم يلقبون بألقاب غريبة في بابها ولكنها تدل على ان أولئك الجنود كانوا ناشئين من انعامات السلطان وانهم كأولاده فمن ألقابهم شوربجي باشي وعشي باشي وسقا أغاسي واوده باشي الى غير ذلك وهذه الالقاب كانت عندهم بمثابة العنوانات الخاصة بالرتب العسكرية ثم انهم كانوا يعظمون ويجلون القدور التي كانت تقدم اليهم فيها المأكولات فكان الانكشارية لا يفارقون تلك القدور حتى وقت الحرب وكانوا يدافعون عنها دفاع الجنود عن أعلامهم حتى كان يعتبر ضياعها في القتال أكبر اهانة تلحق بأصحابها العار والفضيحة وكانوا اذا أرادوا اظهار عدم الرضا من بعض أوامر رؤسائهم يقلبون القدور أمام منازلهم واستمرت هذه الفئة عونا للدولة على أعدائها حتى تغيرت أحوالها وازداد طغيانها وانقلبت فوائدها مضرات فأبطلها السلطان محمود الثاني بعد ان قتل أغلبهم في يوم ١٦ يونيو سنة ١٨٢٦ الموافق

رمضان سنة ١٢٤١ لمقاومتهم اجراآت السلاطين وعصيانهم عليهم وتعديهم على حقوقهم المقدسة

هذا أما اورخان فأول عمل أجراه هو نقل مقر الحكومة الى مدينة بورصة لحسن موقعها وأرسل قواد جيوشه المظفرة لفتح مابقي من بلاد آسيا الصغرى ففتحوا أهم مدنها وفتح السلطان بنفسه مدينة ازميد ولم يبق من مدن الروم المهمة بآسيا الامدينة (ازنيك) فحاصرها وضيق عليها الحصار حتى دخلها بعد سنتين فسقط بسقوطها نفوذ الروم في بلاد آسيا ومما جذب اليه قلوب الاهالى أن عاملهم باللين والرفق ولم يعارضهم في اقامة شعائر دينهم وأذن ان يريد المهاجرة باخذ كافة منقولاته وبيع عقاراته مع تمام الحرية في اجرآته وأسس بهذه المدينة عدة مدارس وتكايا للفقراء والمعوزين وجعل اكبر أولاده المدعو سليمان باشا حاكما عليه ولم يلبث في هذا المنصب الا قليلا حتى عين صدرا أعظم بعد وفاة عمه علاء الدين واشتهر سليمان باشا بفتح عدة مدن

وفي سنة ٩٣٦ هـ الموافقة سنة ١٣٣٦ ضم السلطان اورخان الى ممالكه امارة قره سى لوقوع الخلف بين ولدى أميرها بعد موته ولولا عدم اتفاق الاخوين لما تمكن اورخان من ضمها الا بعد معاناة الحرب والكفاح وفي ذلك موعظة لمن ألقى السمع وهو شهيد

وبعد ذلك اشتغل السلطان اورخان بترتيب داخليته وسن النظامات اللازمة لاستتباب الامن بالداخل وانتشار العمارية في البلاد وفتح المدارس وبناء الجوامع والتكايا فمن آثاره انه أسس مدرسة عالية في مدينة بورصة وأخرى في مدينة (ازنيك) وأجزل العطايا للشعراء والعلماء فاضاف بذلك خيرات السلم الى فتوحات الحرب

وبينما هو راتع في بحبوبة الامن اذ أرسل اليه ملك الروم بالقسطنطينية (١) واسمه

(١) كانت مدينة رومه وما فتحته من الاقاليم المتسعة مشكلة بهيئة جمهورية من ابتداء وجودها الى سنة ٢٩ قبل المسيح فجعلها القائد الشهير (اكتافيوس) حكومة امبراطورية وأطلق على نفسه لقب (أوغسطس) أي السامي القدر واستمرت هذه المملكة الى سنة ٣٩٥ ميلادية حتى قسمها الامبراطور طيودوس بين ولديه الى مملكة رومانية شرقية وجعل مقرها مدينة بيزانطه التي سميت فيما بعد بالقسطنطينية وأقام عليها ابنه (اركاديوس) ومملكة رومانية غربية جعل عاصمتها مدينة رومه وأقام عليها ابنه الثاني (أونوريوس) ثم انقرضت الدولة الغربية سنة ٤٧٦ ميلادية بسبب اغارة المتبربرين عليها واستمرت الشرقية الى ان فتح العثمانيون مدينة القسطنطينية في سنة ١٤٥٣ ميلادية

(جان باليولوج) فى غضون سنة ١٣٥٥ وفدا يطلب منه أن يمده بالمساعدة لصد اغارات (دوشان) «٨» ملك الصرب الذى بعد ان جمع تحت سلطانه كافة قبائل الصقالبة الغربية وفتح بمساعدتهم بلاد البلغار زحف على مدينة القسطنطينية وعرض ملك الروم على السلطان أورخان ان يزوجه ابنته فى مقابلة هذه المساعدة فاجاب السلطان طلبه وأرسل اليه عددا اعظيما من جنوده لنجدته لكن فاجأ الموت الملك دوشان قبل وصوله بجيوشه الى القسطنطينية وبذلك تخلص الروم من شره وعاد العثمانيون الى بلادهم

ولما نزل العثمانيون بساحل أوروبا تحققوا ضعف مملكة الروم وما آلت اليه من الانحلال فأخذ السلطان أورخان فى تجهيز الكتائب سرا لاجتياز البحر واحتلال بعض نقط على الشاطئ الاوروبى تكون مركز الاعمال العثمانيين فى أوروبا حتى اذا سنحت الفرص وساعدت المقادير حاصروا مدينة القسطنطينية برا وبحرا ودخلوها فاتحين

وفى سنة ١٣٥٧ اجتاز سليمان باشا أكبر أولاد السلطان أورخان وولى عهده وصدر مملكته الاعظم بوغاز الدردنيل ومعه أربعون من أشجع جنوده تحت أستار الظلام حتى اذا وصلوا الى الضفة الاخرى قبضوا على ما كان بها من القوارب وعادوا بها الى الضفة المعسكرة عليها جيوشهم فانتقل الجيش الى ضفة أوروبا وكان عدده ثلاثين ألفا واحتل ميناء (ترنب) وساعدتهم المقادير بسقوط جزء من أسوار (جاليبولى) «٩» عقب زلزال شديد فدخلها العثمانيون بدون كبير عناء واحتلوا عدة مدائن أخرى منها (ابسالا) و (رودستو) وغيرهما

«٨» هو اسطفن دوشان الملقب بالقوى ولد بمدينة اشقودره ببلاد الارنؤد سنة ١٣٠٨ وصار أميرا لبلاد الصرب وملحقاتها سنة ١٣٢٢ وكان بعيد الآمال يطمح بنظره الى تكوين مملكة مؤلفة من جميع الصقالبة لفتح القسطنطينية وبقايا مملكة الروم الشرقية فاتحد مع جمهورية البندقية وباقى الامارات الصغيرة المجاورة له وكاد يتم له المقصود لولا أن فاجأته المنية فى ٢٠ دسمبر سنة ١٣٥٥ فى ابتداء حربه مع الروم فنقلت جثته الى «برزرند» بالقرب من اشقودره حيث دفن فى احدى الكنائس المعتبرة لدى القوم ومن بعده تشتت شمل هذه المملكة شيأ فشيأ وتناوبتها أيدى الفساد حتى أجهز العثمانيون عليها فى واقعة «قوصاوه» سنة ١٣٨٩ كما سيجئ

«٩» مما يكسب هذه المدينة أهمية عظمى وقوعها على ضفة بوغاز الدردنيل الذى هو الممر الوحيد بين بحار أوروبا وبحر مرمرة وهى تبعد عن مدينة ادرنة بمائة وأربعين كيلومتر تقريبا

وفي سنة ١٣٥٩ توفي سليمان باشا ولي عهد الدولة بسبب سقوطه من على ظهر جواده وصارت ولاية العهد بعده الى أخيه مراد وتولى منصب الصدارة بعده الوزير خير الدين باشا الذي سبقت الاشارة اليه

٣ ﴿السلطان مراد الاول وواقعة قوص اوه﴾

وفي سنة ٧٦١ هـ الموافقة سنة ١٣٦٠ م انتقل الى الدار الآخرة السلطان اورخان الغازي بعد ان أيد الدولة بفتوحاته الجديدة وتنظيماته العديدة وترتيباته المفيدة ودفن في مدينة بورصة حيث دفن ملوك آل عثمان الستة الاول

وتولى بعده ابنه ﴿السلطان مراد الاول﴾ المولود سنة ٧٢٦ هـ وكانت فاتحة أعماله احتلال مدينة (انقره) مقر سلطنة القرمان وذلك ان سلطان هذا الاقليم واسمه علاء الدين أراد انتهاز فرصة انتقال الملك من السلطان أورخان الى ابنه السلطان مراد لاثارة حمية الامراء المستقلين وتحريضهم على قتال العثمانيين ليدركوا صروح مجدهم ويقوضوا أركان ملكهم الآخذ في الامتداد يوما فيوما فكانت عاقبة دسائسه ان فقد أهم مدنه وبعد ضياعها أبرم الصلح مع السلطان مراد ليحفظ مابقي له من الاملاك وزوّج ابنته لتمكين عرى الاتحاد بينهما أما في أوروبا ففتح البكلربك (لاله شاهين) مدينة (ادرنه) ﴿١٠﴾ في سنة ١٣٦١ سلمها قائدها الرومي بعد قتال قليل لما داخله من اليأس من استخلاصها ولاهمية موقعها الجغرافي ووجودها على ملتقى ثلاثة أنهر نقل اليها السلطان تخت المملكة العثمانية واستمرت عاصمة لها الى ان فتحت مدينة القسطنطينية سنة ١٤٥٣ وفتح أيضا مدينة (فيليه) ﴿١١﴾ عاصمة الروملي الشرقية وفتح القائد (افرينوس) مدينتي (وردار) و (كلجمينا) باسم سلطان العثمانيين وبذلك صارت مدينة القسطنطينية محاطة من جهة أوروبا بأملاك آل عثمان وفصلت عن باقي الامارات المسيحية الصغيرة التي كانت شبه جزيرة البلقان مجزأة بينها وصارت الدولة العلية متاخمة لامارات

﴿١٠﴾ واسمها بالرومية ﴿ادريا نابوليس﴾ نسبة للامبراطور ادريان الرومي الذي أجرى فيها عدة تحسينات أوجبت اطلاق اسمه عليها وتوفي هذا الامبراطور سنة ١٣٨

﴿١١﴾ اسمها بالرومية فيليبو بوليس أي مدينة فيليب نسبة لمؤسسها فيليب والد الاسكندر الاكبر

الصرب والبلغار والبانيا المستقلة
فاضطرب لذلك الملوك المسيحيون المجاورون للدولة العلية وطلبوا من البابا (اوربانوس) الخامس أن يتوسط لدى ملوك أوروبا الغربيين ليساعدوهم على محاربة المسلمين واخراجهم من أوروبا خوفا من امتداد فتوحاتهم الى ماوراء جبال البلقان اذ لو اجتازوها بدون معارضة ومقاومة فى مضايقها لم يقو أحد بعد ذلك على ايقاف تيار فتوحاتهم ويخشى بعدها على جميع ممالك أوروبا من العثمانيين فلبى البابا استغاثتهم وكتب لجميع الملوك بالتأهب لمحاربة المسلمين وحرضهم على محاربتهم محاربة دينية حفظا للدين المسيحى من الفتوحات الاسلامية
لكن لم ينتظر (اوروك) الخامس الذى عين ملكا على الصرب بعد (دوشان) القوى وصول المدد اليه من أوروبا بل استعان بامراء بوسنه والفلاخ وبعدد عظيم من فرسان المجر وسار بهم لمهاجمة مدينة (ادرنه) عاصمة الممالك العثمانية معللين النفس بالانتصار على العثمانيين ومؤملين النصر عليهم لاشتغال الملك مراد بمحاصرة مدينة (بيجا) بالقرب من بورصة بآسيا الصغرى فلما وصل خبر تقدمهم الى آذان العثمانيين قابلوهم على شاطئ نهر (مازيتزا) وفاجأوهم فى ليلة مظلمة بقوة عظيمة ألقت الرعب فى قلوبهم وأوقعتهم فى حيص بيص ولم يلبثوا الا قليلا حتى ولوا الادبار تاركين الثرى مخضبا بدمائهم وكان ذلك فى سنة ٧٦٦ ﻫ الموافقة سنة ١٣٦٣ م
أما السلطان مراد فكان فى هذا الاثناء مشتغلا بالقتال فى بلاد آسيا الصغرى حيث فتح عدة مدن ثم عاد الى مقر سلطنته لتنظيم مافتحه من الاقاليم والبلدان كما هو شأن الفاتح الحكيم الذى لا يكتفى بفتح البلاد وضرب الذلة والمسكنة على سكانها بل كان ينسج على منوال أبيه وجده أى يستريح بضع سنين من عناء الفتح ليرتب جيوشه ويكمل من نقص منها مستشهدا فى ساحة النصر
وفى سنة ١٣٧٩ اتحد (لازار جربليانوفتش) الذى تربع على تخت مملكة الصرب بعد قتل (اوروك) مع (سيسمان) أمير البلغار على مقاتلة العثمانيين ومحاربتهم لكنهما بعد عدة مناوشات خفيفة لما تحققا فى خلالها عجزهما على مكافحة العساكر الاسلامية أبرما الصلح مع السلطان على أن يتزوج السلطان بنت أمير البلغار

وعلى أن يدفع له الاميران خراجا سنويا معينا
ولما توفى (البكلربك) لاله شاهين عين محله ديمورطاش باشا وينسب الى هذا الوزير تنظيم فرق الخيالة العثمانيين المسماة (سيباه) على نظام جديد واختار أن تكون أعلامهم باللون الاحمر ولا يزال شعار الدولة العثمانية حتى الآن وأقطع كل نفر منهم جزأ من الارض يزرعه أصحابه الاصليون مسيحيين كانوا أو مسلمين في مقابلة دفع جعل معين لصاحب الاقطاع وذلك بشرط أن يسكن الجندى فى أرضه وقت السلم ويستعد للحرب عند الاقتضاء على نفقته وأن يقدم أيضا جنديا آخر معه وكان كل اقطاع لم يتجاوز ايراده السنوى عشرين ألف غرش يسمى تيمارا وما زاد ايراده على ذلك يسمى (زعامت) وكانت هذه الاقطاعات لا يرثها الا الذكور من الاعقاب واذا انقرضت الذرية الذكور ترجع الى الحكومة وهى تقطعها الى جندى آخر بنفس هذه الشروط
ولاجل أن يكون للسلطان مراد حلفاء بين من بقى مستقلا من أمراء آسيا الصغرى زوج ولده (بايزيد) الملقب بيلدرم أى البرق بنت أمير كرميان وهو قدم للسلطان مدينة (كوتاهية) الشهيرة بصفة مهر لابنته كما هى عادة الافرنج الآن وفى ابتداء سنة ١٣٨١ ابتدئت الفتوحات ثانيا وأخذت سيرها الاول فالزم السلطان أمير الاقليم المعروف (بالحميد) بالتنازل له عن بلاده وحارب ديمورطاش باشا الصرب والبلغار لتأخيرهما فى دفع الخراج المتفق عليه وفتح مدائن (موناستر) و (برليه) و (استيب) ووقعت مدينة صوفيا «١٢» فى قبضة العثمانيين بعد محاصرة استمرت ثلاث سنوات من سنة ١٣٨١ الى سنة ١٣٨٣ وعقب ذلك فتح الصدر الاعظم خير الدين باشا مدينة سلانيك الشهيرة «١٣» وفى هذا الاثناء تمرد صاوو جى أحد أولاد السلطان على والده بالاتحاد مع اندرونيكوس ابن امبراطور الروم حنا باليولوج الذى كان والده حرمه من الملك بعده وأوصى به الى ابنه الاصغر مانويل

«١٢» هى عاصمة امارة البلغار الآن و يبلغ عدد سكانها خمسين ألف نسمة
«١٣» مدينة ترومية قديمة جدا واقعة فى جنوب بلاد مقدونية على بحر الارخبيل كان اسمها (ترما) ثم لما تولى (كساندر) المتوفى سنة ٢٩٨ قبل المسيح ملكا على بلاد مقدونية أطلق عليها اسم زوجته أخت اسكندر الكبير المسماة (تسالونيك) وحرف هذا الاسم على ممر الاجيال فصار سالونيك أو سلانيك ويبتدأ منها الآن طريق حديدى يصل الى الصرب ومنها الى جميع أوروبا

وتحزب معه ما بعض من أضلهم الطمع والغرور وغير ناظرين الى ان هذا الشقاق الداخلى لا يكون وراءه الا ضعف الدولة وتمكن أعدائها من الاستظهار عليها لكن لم يدع السلطان الشفقة الوالدية تتغلب عليه بل أرسل لمحاربة ولده المتمرد من قهره هو ومحاز بيه وقتله وجميع من حاربه من أشراف الروم وطلب من ملك الروم قتل ابنه ففقأ عينيه ونفاه حتى مات ﴿١٤﴾

ولما مات القائد خير الدين باشا اشهر قواد الدولة ظن متاخموها انه لم يبق لديها من القواد من يرد كيدهم فى نحرهم فاتحد علاء الدين أمير القرمان الذى سبق ذكره مع بعض الامراء المستقلين واستعدوا للقتال وابتدؤا المناوشات لكن لم يمهلهم السلطان مراد بل أرسل اليهم ديمورطاش باشا لحاربهم وقهرهم فى سهل قونيه وأخذ علاء الدين أسيرا ولولا توسط ابنته التى كان تزوجها السلطان مراد عقب المحاربة الاولى لجرده من أملاكه ولكن مراعاة لزوجته لم يأخذ منه شيأ هذه الدفعة بل أقره فى أملاكه بشرط دفع الجزية وكان ذلك سنة ١٣٨٦ أما فى أوروبا فانتهز الصرب وجود أعظم قواد السلطنة وجيوشها بالاناطول لمحاربة العساكر العثمانيين ففاز الصرب أولا فى سنة ١٣٨٧ وكان (سيسمان) قرال أى أمير البلغار يتأهب للانضمام الى (لازار) ملك الصرب اذ فاجأ الوزير على باشا جيوش البلغار واحتل (ترنوه) و(شوملة) وألجأ سيسمان الى الفرار والاحتماء فى مدينة (نيكوبلى) ﴿١٥﴾ سنة ١٣٨٨ وبعد ان جمع كل ما بقى من جيوشه داخل هذه المدينة أراد محاربة العثمانيين ثانية فخرج من (نيكوبلى) وهاجم الجيوش الاسلامية مهاجمة بائس فانهزم هزيمة لم يقم له بعدها قائمة ووقع أسيرا فضم السلطان مراد نصف بلاده اليه لكنه لم يأمر بقتله بل منحه نعمة الحياة ورتب له ما يقوم بمعاشه

﴿١٤﴾ لا يظن القارئ ان العثمانيين انفردوا بارتكاب هذا الاثم الجسيم فان من يتصفح التاريخ يعلم ان كثيرا من الملوك سملوا أولادهم وقتلوهم لما يثبت عليهم خيانة الامة والدولة فقد سجن بطرس الاكبر الروسى ولى عهده الكسيس ولما تأكد جنايته وعدم استعداده للقيام بأعباء المملكة بعده جمع مجلسا عاليا مركبا من أهم رجال الدولة وحكم عليه هذا المجلس بالاعدام لكن لم ينفذ عليه الحكم جهارا بل وجد ميتا فى سجنه فى صبيحة اليوم المحدد لتنفيذ الحكم عليه ولم تعلم كيفية موته بالضبط لكن من المؤكد ان موته كان بايعاز والده كى لا يشنق أمام الامة

﴿١٥﴾ اسمها الرومية نيكوبوليس ومعناها مدينة النصر أنشأها الامبراطور الرومانى ترايانوس المتوفى سنة ١١٧ بعد المسيح عقب انتصاره على بعض أعدائه

ضراعيا في ذلك مقاصده السابق وعينهما كاشبه مستقل على النصف الباقي سنة ١٣٨٩ ولما عزم لازار ملك الصرب بانخذال رفيقه قرال البلغار مال بجيوشه قليلا جهة الغرب للانضمام الى أمراء ألبانيا (الارنؤد) فلم يمكنه السلطان مراد من ذلك بل جد السير في طلبه حتى لحقه في سهل (قوص اوه) سنة ١٣٨٩ وانتشب القتال بين الجيشين بحالة يشيب من هولها الولدان دافع في خلاله الصربيون دفاع الابطال وبقي الحرب بينهما سجالا مدة من الزمن تناثرت فيها الرؤس وزهقت النفوس وأخيرا فر صهر الملك لازار المدعو (فولك برانكوفتش) ومعه عشرة آلاف فارس والتحق بجيش المسلمين فدارت الدائرة على الصربيين وجرح (لازار) ووقع أسيرا في أيدي العثمانيين فقتلوه وبهذه الواقعة المهمة التي بقي ذكرها شهيرا في أوروبا باسرها زال استقلال الصرب كما فقدت البلغار والرومللي والاناطول استقلالها من قبل وكما ستفقد اليونان وغيرها الاستقلال فيما بعد وبعد تمام النصر والغلبة للعثمانيين كان السلطان مراد يمر بين القتلى اذ قام من بينهم جندي صربي اسمه (ميلوك كوبلوفتش) وطعن السلطان بخنجر طعنة كانت هي القاضية عليه بعد قليل فسقط القاتل قتيلا تحت سيوف الانكشارية ولم يفدهم قتله شيأ اذ اسلم السلطان الروح بعد ذلك بقليل بعد ان ضم كثيرا من البلاد الى ما تركه له والده السلطان اورخان تماما بيانه وكانت وفاته سنة ٧٩١ هـ عن خمس وستين سنة ونقلت جثته الى مدينة بورصة

٤ ﴿السلطان بايزيد الاول الغازي﴾

وتولى بعده السلطان بايزيد خان الاول بكر أولاده وكانت ولادته سنة ٧٦١ هـ الموافقة سنة ١٣٤٧ م اتفق أركان الدولة على توليته وكان له أخ أصغر منه بقليل يدعى يعقوب متصفا بالشجاعة والاقدام وعلو الهمة فخيف على المملكة منه من أن يدعي الملك ويرتكن على ان الملك انتقل الى السلطان اورخان بعد وفاة أبيه السلطان عثمان ولم يتول بعده ابنه البكر علاء الدين ولذلك قتل باتفاق أمراء الدولة وقواد جيوشها

وابتدا

وابتدأ السلطان بايزيد الاول أعماله بان ولى الامير (اسطفن) بن لازار ملك الصرب حاكما عليها وأجازه بان يحكم بلاده على حسب قوانينهم بشرط دفع جزية معينة وتقديم عدد معين من الجنود ينضمون الى الجيوش الشاهانية وقت الحرب وفعل ذلك ولم يضم بلاد الصرب الى أملاكه ويجعلها ولاية كباقى الولايات ليسكن بال الصربيين ولا يكونوا اشغلا شاغلا له نظرا لشهامتهم وحبهم الاستقلال ولما سار الامن فى أوروبا قصد بلاد آسيا وفتح مدينة (ألاشهر) المعروفة عند الافرنج باسم (فيلادلفيا) سنة ١٣٩١ وهى آخر مدينة بقيت للروم فى آسيا وهابه أمير (آيدين) فترك له أملاكه وعاش مطمئن الخاطر فى احدى المدن الخارجة عن النفوذ العثمانى وكذلك ترك أميرا ومنتشا وصاروخان ولايتهما واحتميا عند أمير (قسطمونى)

وتنازل الامير علاء الدين حاكم بلاد القرمان للسلطان عن جزء عظيم من أملاكه ليؤمنه على الباقى

وبعد هذه الفتوحات التى تم أغلبها بدون حرب عاد السلطان الى أوروبا وحارب (امانويل باليولوج) ملك الروم وحاصره فى القسطنطينية وبعد ان ضيق عليها الحصار ترك حولها جيشا جرارا وسافر لغزو بلاد الفلاخ فقهر أميرها المدعو (دولة مانيس) وأكرهه على التوقيع على معاهدة يعترف فيها بسيادة الدولة العلية العثمانية على بلاده ويتعهد لها بدفع جزية سنوية مع بقاء بلاده له يحكمها بمقتضى عوائده وقوانين أهلها وتم ذلك فى سنة ١٣٩٣

وفى أثناء اشتغال السلطان بمحاربة الفلاخ أراد علاء الدين أمير القرمان ان يسترد ما تنازل عنه للدولة العلية فجهز جيشا عظيما واستعان ببعض مجاوريه وسار بخيله ورجله قاصدا مهاجمة مدينة انقره بعد ان فاز على دعور طاش باشا فى احدى الوقائع وأخذه أسيرا فلما بلغ خبره الى مسامع السلطان قام بنفسه الى بلاد الاناطول وجد فى طلب علاء الدين حتى تقابل الجيشان فى موضع يقال له (آق جاى) فهزمه السلطان بايزيد وأسره هو وولده محمد وعلى وضم ما بقى من أملاكه اليه وبذلك انمحت سلطنة القرمان وصارت ولاية عثمانية ثم فتحت امارات سيواس وتوقات

وكان آخر أمرائها يدعى الغازى برهان الدين

وبذا لم يبق من الامارات التى قامت على اطلال دولة آل سلجوق الا امارة قسطموني خارجة عن أملاك الدولة العثمانية وكان أميرها يسمى بايزيد أيضا واحتمى ببلاده كثير من أولاد الامراء الذين فتحت بلادهم فكان ذلك سبب غزو بلاده وذلك ان السلطان أرسل اليه من يطلب منه تسليم أولاد صاحب آيدين وصاروخان فامتنع فسار اليه السلطان بايزيد بنفسه وأغار على بلاده وفتح مدائن سامسون وجانك وعثمانجق وبذلك انقرضت جميع الامارات الصغيرة القائمة ببلاد الاناطول وصار العلم العثمانى يخفق منصورا فوق صروحها أما بايزيد صاحب قسطموني فلجأ الى تيمورلنك سلطان المغول «١٦»

﴿واقعة نيكوبلى﴾

ومع استمرار الحصار حول القسطنطينية ضم السلطان بلاد البلغار الى الاملاك العثمانية فصارت ولاية عثمانية كباقى الولايات بعد ان قتل أميرها (سيسمان) وأسلم ابنه وعين حاكما لسمسون سنة ١٣٩٤

فلما علم (سجسمون) ملك المجر خبر ما حل ببلاد البلغار خشى على مملكته اذ صار متاخما فى عدة نقط للدولة العلية فاستنجد باورو با وساعده البابا وأعلن الحرب الدينية بين أقوام أوروبا الغربية فأجاب الدعوة دوك (بورغونيا) «١٧» وأرسل ابنه الكونت

«١٦» أى تيمور الاعرج ولد سنة ١٣٣٦ ميلاديه تقريبا ببلدة بالقرب من سمرقند ويتصل نسبه بكنجيز خان التترى من جهة النساء وخلف عمه سيف الدين فى امارة كيش سنة ١٣٦٠ وأخذ فى فتح ماحوله من الامارات والقبائل ثم فتح بلاد خوارزم وكشغر وبلاد ايران ومنها سار الى جنوب الروسية وفتح اقليم آزاق ثم قصد بلاد الهند فانتصر على صاحب (دهلى) وفتح معظم الهند الانكليزيه ومنها عاد الى الغرب ففتح بلاد الشام ومدينة بغداد التى خربها عن آخرها وقبل ان ينظم هذه الفتوحات العديدة قصد بلاد الصين فى جيش يجل عن الحصر بعد ان حارب السلطان بايزيد العثمانى وأخذه أسيرا فعاجله المنون قبل ان يصل الصين فى اقليم خوقند سنة ١٤٠٥ ميلاديه وبعد موته تفرقت مملكته بين ولده شاه رخ وأحفاده وأولاد أحفاده

«١٧» كانت ولاية عظيمة فى غرب فرنسا شبه مستقلة لم يكن لملوك فرنسا عليها سوى السيادة وحق طلب الجنود للحرب عند الضرورة وأهم أمرائها شارل الجسور الذى توفى سنة ١٤٧٧ عن غير عقب ذكر وضمت أملاكه الى مملكة فرنسا وصارت كباقى الولايات وفى سنة ١٧٨٩ قسمت الى عدة مديريات بمقتضى الترتيب الذى وضع أثناء الثورة الفرنساويه العظمى ويشتهر هذا الاقليم بالنبيذ الجيد

دي نيفر ومعه ستة آلاف محارب أغلبهم من أشراف فرنسا وفيهم كثير من أقارب ملك فرنسا نفسه وانضم اليه حين مسيره الى بلاد المجر أمراء (باقاريا) «١٨» واستيريا وشواليه القديس حنا الاورشليمي «١٩» وكثير من الالمانيين ثم اجتاز هذا الجيش نهر الدانوب وعسكر حول مدينة نيكوبلي لمحاصرتها فسار اليهم السلطان بايزيد ومعه مائتا ألف مقاتل بهم كثير من أهالي الصرب تحت قيادة أميرهم (اسطفن) بن لازار وغيرهم من الامم المسيحية الخاضعة لسلطان العثمانيين وقاتلهم قتالا عنيفا في يوم ٢٧ سبتمبر سنة ١٣٩٣ م كانت نتيجته انتصار العثمانيين على الجيوش المتألبة عليهم وأسر كثير من أشراف فرنسا منهم الكونت دي نيفر نفسه وقتل أغلبهم وأطلق سراح الباقي والكونت دي نيفر بعد دفع فداء اتفق على مقداره ويقال ان السلطان بايزيد لما أطلق سراح الكونت دي نيفر وكان قد ألزم بالقسم على ان لا يعود لمحاربته قال له انى أجيزك أن لا تحفظ هذا اليمين فانت في حل من الرجوع لمحاربتي اذ لا شئ أحب الى من محاربة جميع مسيحيي أوروبا والانتصار عليهم

هذا وقد شدد الحصار بعد ذلك على مدينة القسطنطينية ولولا اغارة الموغول على بلاد آسيا الصغرى لتمكن من فتحها لكن الامور مرهونة باوقاتها فاكتفى بابرام الصلح مع ملكها هذه المرة بشرط دفع عشرة آلاف ذهب سنويا من عملة وقتها وان يجيز للمسلمين أن يبنوا بها جامعا ومحكمة شرعية لنظر قضايا المسلمين المستوطنين بها

«١٨» مملكة مستقلة بالمانيا يبلغ عدد سكانها خمسة ملايين من النفوس وتختها مدينة مونيخ أو «مونكن» كما يسميها الالمان وهي داخلة الآن ضمن الامبراطورية الالمانية التي تشكلت سنة ١٨٧١ عقب تغلب الروسيا على فرنسا مع بقاء استقلالها وحكومتها وملوكها كما كانت

«١٩» هم طائفة من الرهبان الذين ذهبوا الى بلاد فلسطين في القرن الحادي عشر للمسيح أثناء الحروب الصليبية التي أثارها المسيحيون على المسلمين لامتلاك القدس الشريف لخدمة حجاج النصارى ولما استولى السلطان صلاح الدين الايوبي على مدينة اورشليم سنة ١١٨٩ انتقلت هذه الطائفة الى عكا ثم الى جزيرة رودس واتخذتها مركزا لمحاربة المسلمين وتعطيل تجارتهم ونهب مراكبهم وأسر من بها ولما فتح السلطان سليمان القانوني هذه الجزيرة سنة ١٥٢٢ كما سيجئ رحلت هذه الطغمة الى جزيرة مالطه التي أعطاها لهم الامبراطور شارلكان فاحتلوها الى ان فتحها بونابرت سنة ١٧٩٨ أثناء مجيئه الى مصر فانمحت هذه الطائفة تقريبا ولم يبق الا اسمها

﴿اغارة تيمورلنك على آسيا الصغرى﴾
(وواقعة انقره ووقوع السلطان بايزيد أسيرا فى أيدى تيمور)

وسبب اغارة تيمورلنك التترى المغولى على الدولة العثمانية أن أمير بغداد والعراق المدعو أحمد جلاير التجأ الى السلطان بايزيد حينما هاجمه المغول فى بلاده فارسل تيمورلنك الى السلطان بطلبه فأبى تسليمه اليه فأغار تيمور بجيوشه الجرارة على بلاد آسيا الصغرى وافتتح مدينة سيواس بارمينيا وأخذ ابن السلطان بايزيد المدعو ارطغرل أسيرا وقطع رأسه ولذلك جمع السلطان بايزيد جيوشه وسار لمحاربة تيمور الاعرج فتقابل الجيشان فى سهل انقره واستمر الحرب من قبل شروق الشمس الى بعد غروبها وأظهر السلطان فى خلالها من الشجاعة مابهر العقول وأدهش الاذهان ولكن ضعف جيشه بفرار فرق آيدين ومنتشا وصاروخان وكرميان وانضمامها الى جيوش تيمورلوجود أولاد أمرائهم الاصليين فى معسكر التتار ولم يبق مع السلطان الاعشرة آلاف انكشارى وعساكر الصرب فحارب معهم طول النهار حتى سقط أسيرا فى أيدى المغول هو وابنه موسى وهرب أولاده سليمان ومحمد وعيسى وابنه الخامس مصطفى لم يوقف له على أثر وكان ذلك فى ٢٠ يوليه سنة ١٤٠٢ الموافقة سنة ٨٠٥ هجرية فعامل تيمورلنك أسيره بايزيد بالحسنى وأكرم مثواه لكنه شدد فى المراقبة عليه نوعا بعدما شرع فى الهروب ثلاث مرار وضبط ويقال انه سجنه فى قفص من الحديد حتى مات فى ٩ مارث سنة ١٤٠٣ وهذه رواية نقلها بعض مؤرخى الافرنج بدون ترو وذلك أن بايزيد رغب أن يسير مع جيش تيمورلنك فى تختروان يحمله حصانان ومقفلة شبابيكه بقضبان من حديد ولكون بعض مؤرخى الترك أطلق على التختروان لفظ قفص ظن بعض المترجمين من الافرنج انه وضعه فى قفص كما توضع الوحوش الكاسرة ونقل هذه الرواية على علاتها كثير من المتقدمين لكن لما تقدم علم التاريخ وترجمت التواريخ التركية أصلح متأخرو المؤرخين خطأهم وأجمعوا على أنه لم يضعه فى قفص مطلقا (راجع الجزء الثانى من مؤلف همر المطبوع بباريس سنة ١٨٣٥ صحيفة ٩٦ ومابعدها)

ومما يؤيد حسن معاملة تيمورلنك للسلطان بايزيد نه صرح لابنه موسى بنقل

جثته

جثته بكل احتفال الى مدينة بورصة حيث دفن بجانب السلطان مراد (مع بقاء موسى فى حالة الاسر وفى حراسة أمير كرميان)

﴿الفوضى بعد موت السلطان بايزيد﴾

وبعد موت السلطان بايزيد تجزأت الدولة الى عدة امارات صغيرة كما حصل بعد سقوط دولة آل سلجوق لان تيمورلنك أعاد أملاكهم الى أمراء قسطموني وصاروخان وكرميان وآيدين ومنتشا وقرمان واستقل فى هذه الفترة كل من البلغار والصرب والفلاخ ولم يبق تابعا للراية العثمانية الاقليل من البلدان ومما زاد الخطر على هذه الدولة الاسلامية عدم اتفاق أولاد بايزيد على تنصيب أحدهم بل كان كل منهم يدعى الاحقية لنفسه فأقام سليمان فى مدينة ادرنه حيث ولاه الجنود سلطانا ولاجل ان يستظهر على اخوته عقد محالفة مع ملك الروم (ايمانويل الثانى) وتنازل له عن مدينة سلانيك وسواحل البحر الاسود ليتحده على اخوته الباقين ولزيادة الوثوق منه تزوج احدى قريباته

وكان محمد بن بايزيد يحارب جنود تيمورلنك فى جبال الاناطول واستخلص منهم مدينتى توقات واماسيا أما عيسى فلما بلغه خبر وفاة والده جمع ما كان معه من الجند بمدينة بورصة حيث كان مختفيا وأعلن نفسه خليفة آل عثمان بمساعدة القائد (دعورطاش باشا) ومما اوجب الاسف والحزن ان استنجد كل من هؤلاء الثلاثة بتيمورلنك سبب هذه الفتن والمفاسد وقبل وفودهم بكل ارتياح وشجعهم على المثابرة والثبات فى الحرب يريد بذلك اضعافهم ببعضهم حتى لا تقوم للدولة العلية بعدهم قائمة

فسار محمد لمحاربة أخيه عيسى فهزمه فى عدة مواقع قتل فى الاخيرة منها وصار محمد بعد ذلك بدون منازع من اخوته فى آسيا الصغرى واستخلص أخاه موسى بعد ذلك من أمير كرميان وسلمه قيادة جيش جرار أرسله به الى أوروبا لمحاربة أخيه سليمان فلم يقو عليه بل انهزم أمامه وعاد مقهورا الى آسيا ثم جمع جيشا آخر وعاد به الى أوروبا وحارب أخاه سليمان وقتله خارج أسوار مدينة ادرنه فى سنة ١٤١٠ وبعدها أغار على بلاد الصرب وعاقب أهلها على خروجهم عن الطاعة وقاتل سجسمون ملك

البحر الذى تصدى له لرده عن بلاد الصرب لكن داخل الطمع الامير موسى فعصى أخاه محمدا الذى أمده بالجنود لمحاربة أخيهما سليمان وأراد الاستقلال ببلاد الدولة بأوروبا وحاصر القسطنطينية ليفتحها لنفسه فاستنجد ملكها بالامير محمد فأتى اليه مسرعا لمحاربته وألزمه بعد محاربة شديدة برفع الحصار عنها ثم حالف الامير محمد ملك القسطنطينية وأمير الصرب وبثوا الدسائس فى جيش موسى حتى خانه أغلب قواده ووقع أخيرا بين يدى أخيه محمد فأمر بقتله سنة ٨١٦ هجرية الموافقة سنة ١٤١٣ ميلادية

٥ ﴿انفراد السلطان محمد جلبي الغازى بالملك﴾

وبذلك انفرد محمد بما بقى من بلاد آل عثمان واشتهر فى التاريخ باسم السلطان محمد جلبي الغازى ويعتبر بعض المؤرخين السلطان محمد الاول خامس سلاطين آل عثمان ولم يعتبروا اخوته لكونهم لم يلبثوا فى الملك مدة طويلة وذلك لعدم اختلاط فى تعداد ملوك هذه الدولة ولم يراع البعض الآخر هذا الترتيب بل اعتبرهم ملوكا ولذلك وجد اختلاف بين كتب المؤرخين فى عدد سلاطين الدولة العثمانية لكن المتفق عليه هو عدم اعتبار من نازع السلطان محمد جلبي فى الملك من اخوته وعده هو خامس سلاطين الدولة العلية

هذا وقد كانت مدة حكم السلطان محمد كلها حروبا داخلية لارجاع الامارات التى استقلت فى مدة الفوضى التى أعقبت موت السلطان بايزيد فى الاسر وحافظ على محالفة ملك الروم الذى لولا مساعدته له لخيف على عرى الدولة العلية من الانفصام ورد له البلاد التى فتحها أخوه موسى واستمر على محافظته لعهده الى آخر عمره

ومما يؤثر عن هذا السلطان انه استعمل الحزم مع الحلم فى معاملة من قهرهم عن شق عصا الطاعة للدولة فانه لما قهر أمير بلاد القرمان وكان قد استقل عفا عنه بعد ان أقسم له على القرآن الشريف بان لا يخون الدولة فيما بعد وعفا عنه ثانية بعد ان حنث فى يمينه

وكذلك لما حارب (قره جنيد) الذى كان حاكم ازمير من قبل السلطان بايزيد

وقهره عفا عنه وتناسى كل ماوقع منه وعينه حاكما لمدينة نيكوبلي وظهر في أيام هذا الملك شخص يسمى بدر الدين وهو من العلماء المشهورين في ذلك الوقت وكان معينا بوظيفة قاضي عسكر في جيش موسى أخي السلطان محمد وبعد انهزام موسى كما سبق ذكره ألزم بالاقامة في مدينة (ازنيك) ثم هرب منها وابتدأ في نشر مذهبه المؤسس على المساواة في الاموال والامتعة وهذا المذهب أشبه شيء بآراء بعض مشتركي هذا الوقت فتبعه خلق كثير من المسلمين والمسيحيين وغيرهم لانه كان يعتبر جميع الاديان ولا يفرق بينها بل كان عنده جميع الناس اخوة مهما اختلفت مذاهبهم وأديانهم

واستعان في نشر مذهبه هذا بشخص يدعى (بير قليجه مصطفى) وآخر يقال ان أصله يهودي واسمه (طورلاق كمال) واشتهر أمره بسرعة وكثر عدد تابعيه حتى خيف على المملكة العثمانية من امتداد مذهبه فارسل اليه السلطان محمد القائد سيسمان ابن أمير البلغار الذي دخل في دين الاسلام وعينه حاكما لمدينة صمسون مع جيش جرار لمحاربة أتباع بدر الدين فظهر عليه بير قليجه مصطفى وقتله

ولما علم السلطان بذلك جمع الجيوش وأرسل وزيره الاول المدعو بايزيد باشا لمحاربة هذه الفئة فسار اليها وقابل مصطفى في ضواحي ازمير فحاربه في موقع يقال له (قره بورنو) وقهره وأخذه أسيرا ثم قتله وكثيرا من أتباعه

وفي هذا الاثناء ضبط بدر الدين في بلاد مقدونية بعد مقاومة شديدة وشنق في سنة ١٤١٧ م وبذلك طفئت هذه الفتنة ولم يبق لها بعد ذلك من خبر وكان شنق رئيس هذه الفتنة بناء على فتوى أفتى بها مولانا سعيد أحمد تلامذة التفتازاني وهذا نصها كما جاء في تاريخهم (من أتاكم وأمركم جميعا على رجل يريد ان يشق عصاكم ويفرق جماعتكم فاقتلوه)

ولم يهدأ بال السلطان محمد بعد انتصاره على بدر الدين وأشياعه حتى ظهر أخوه مصطفى الذي لم يوقف له على أثر بعد واقعة انقره التي أسر فيها والدهم السلطان بايزيد الاول وطالبه بالملك وانضم اليه (قره جنيد) الذي سبق ذكر عفو السلطان عنه وأمده بجنود أرسلها اليه أمير الفلاخ سعيا وراء ايجاد الفتن في داخل الممالك

العثمانية فاغار الامير مصطفى على اقليم تساليا بلاد اليونان لكنه لم يقو على مقاومة جنود أخيه السلطان محمد فدخل فى مدينة سلانيك وكانت عادت الى مملكة الروم بعد موت السلطان بايزيد واحتمى عند حاكمها المعين من قبل ملك الروم فطلب السلطان تسليمه فأبى ملك الروم ذلك ووعده أن يحفظه ولا يطلق سراحه مادام السلطان على قيد الحياة فقبل السلطان محمد هذا الاقتراح ورتب لاخيه راتبا سنويا ولقد ذهب بعض المؤرخين الى ان مصطفى هذا لم يكن ابن السلطان بايزيد بل شخص انتحل لنفسه هذه الصفة طمعا فى الملك الا ان المؤرخ العثمانى المدعو نشرى وكثيرا من مؤرخى الروم قالوا بصحة نسبه ومما يؤيد هذا القول تعيين راتب له من قبل السلطان وبلغ من كرم السلطان وحلمه انه عفا عن قره جنيد نفسه وعدة من محازبيه فى سنة ١٤١٩ وكانت هذه الفتنة آخر الحروب الداخلية التى خضبت أراضى الدولة العلية بدماء العثمانيين بسبب اغارة تيمورلنك عليها

وبعد ذلك بذل السلطان محمد چلبى قصارى جهده فى محو آثار هذه الفتن باجرائه الترتيبات الداخلية الضامنة لعدم حدوث شغب فى المستقبل وبينما كان السلطان مشتغلا بهذه المهام السلمية اذ فاجأه الموت فى سنة ٨٢٤ ﻫ الموافقة سنة ١٤١٢ م فى مدينة ادرنه فاسلم الروح بعد ان أوصى بالملك لابنه مراد وكان حينئذ فى اماسيا وخوفا من حصول مالا تحمد عقباه لو علم موت السلطان محمد مع وجود ابنه مراد فى بلاد آسيا اتفق وزيراه ابراهيم وبايزيد على اخفاء موته عن الجند حتى يحضر ابنه فاشاعا ان السلطان مريض وأرسلا لابنه فحضر بعد واحد وأربعين يوما واستلم مقاليد الدولة

واشتهر السلطان محمد بحبه للعلوم والفنون وهو أول ملك عثمانى أرسل الهدية السنوية الى أمير مكة التى يطلق عليها اسم الصرة حتى الآن وهى عبارة عن قدر معين من النقود يرسل الى الاميرلتوزيعه على فقراء مكة والمدينة لكن لم تكن بالقدر الذى بلغته الآن وقد قال بعض المؤرخين ان السلطان سليم الاول هو أول من أرسل الصرة فى سنة ٩٢٣ ﻫ الموافقة سنة ١٥١٧ م بعد فتح مصر ولكن اتفق من يوثق بهم من المؤرخين خصوصا (صولاق زاده) على ان السلطان محمد چلبى هو

اول

أول من أرسلها ودفن في مدينة بورصة

٦ ﴿السلطان مرادخان الثاني الغازي﴾

ولد السلطان مراد الثاني سنة ٨٠٦ هـ الموافقة سنة ١٤٠٣ م وتولى سنة ٨٢٤ هـ الموافقة سنة ١٤٧١ م بعد موت أبيه فكان عمره اذذاك ثماني عشرة سنة وافتتح أعماله بابرام الصلح مع أمير القرمان والاتفاق مع ملك المجر على هدنة خمس سنوات حتى يتفرغ لارجاع ماشق عصا الطاعة من ولايات آسيا لكن حدث ماشغله عن هذا العمل وذلك ان ايمانوئيل طلب منه أن يتعهد له بعدم محاربته مطلقا وأن يسلمه اثنين من اخوته تأمينا على نفاذ هذا التعهد وتهدده باطلاق سراح عمه مصطفى بن بايزيد ولما لم يجبه مراد الثاني لطلبه أخرج مصطفى من منفاه وأعطاه عشرة مراكب حربية تحت امرة (دمتريوس لاسكاريس) فأتى بها وحاصر مدينة جاليبولى فسلمت الا القلعة فتركها مصطفى بعدان أقام حولها من الجند ما يكفي لمنع وصول المدد اليها وسار ببقية جيشه قاصدا أدرنه فخرج الوزير بايزيد باشا لمحاربته فتقدم مصطفى وخطب العساكر باطاعته لانه أحق بالملك من ابن أخيه فأطاعته الجيوش وقتلت بايزيد باشا قائدهم فسار مصطفى بعد ذلك لمقابلة ابن أخيه مراد الثاني الذي كان متحصنا مع من معه من الجنود خلف نهر صغير وهناك خانه بعض قواده وتركه أغلب جنوده حتى التزم الهروب الى مدينة جاليبولى فسلمه بعض أتباعه الى ابن أخيه مراد الثاني فأمر بشنقه

وبعد ذلك أراد السلطان مراد الانتقام من ملك الروم الذي أطلق سراح عمه مصطفى ليشغله عن فتح القسطنطينية فسار اليه بخيله ورجله وحاصر مدينته ثم هاجمها في يوم أربع وعشرين اغسطس سنة ١٤٢٢ وبعد قتال عنيف رجع العثمانيون بدون أن يتمكنوا من فتحها وبعدها رفع عنها الحصار لعصيان أخ له يقال له مصطفى شق عصاه واستعان على أخيه السلطان مراد ببعض أمراء آسيا الصغرى لكن لم تلبث هذه الفتنة ان أخمدت بالقبض على مصطفى وقتله مع كثير من محازبيه مما ألقى الرعب في قلوب من ساعده من الامراء ولذلك تنازل أمير قسطموني عن

نصف أملاكه للسلطان وزوجه ابنته سنة ١٤٢٣ اظهار الاخلاصه وولائه وفى السنة التالية عصى قره جنيد واستولى على امارة آيدين لكن قهره حمزه بك أخو الوزير بايزيد باشا وقبض عليه وأمر بخنقه فتخلصت الدولة بذلك من هذا الخائن الذى خان عهدها أكثر من مرة وكان ذلك فى سنة ١٤٢٤

وأعاد مراد الثانى الى أملاك الدولة العلية ولايات آيدين وصاروخان ومنتشا وغيرها من الامارات التى أعاد تيمورلنك استقلالها اليها وكذلك استرد بلاد القرمان بعد ان قتل أميرها محمد بك وعين ابنه ابراهيم واليا عليها مع بعض امتيازات بشرط ان يتنازل عن اقليم الحميد

وفى سنة ١٤٢٨ توفى أمير كرميان عن غير عقب وأوصى بما كان باقيا له من بلاده الى السلطان مراد وبذلك استرد السلطان مراد الثانى جميع ما فصله تيمورلنك عن الدولة العثمانية من البلاد وصار فى امكانه التفرغ لاعادة فتح ما استقل من البلاد باوروبا بعد موت بايزيد الاول فابتدأ بان ألزم ملك المجر بعد محاربة شديدة كانت نتيجتها افتتاح مدينة (كولمباز) الواقعة على شاطئ نهر الدانوب الايمن بالتوقيع على معاهدة تقضى عليه بالتخلى عما يكون له من البلاد على شاطئ نهر الدانوب الايمن بحيث يكون هذا النهر فاصلا بين أملاك الدولة العلية والمجر

ولما رأى أمير الصرب المدعو (جورج برنكوفيتش) أنه لا يقوى على مقاومة الدولة قبل ان يدفع جزية سنوية قدرها خمسون ألف دوكا ذهبا ويقدم للسلطان فرقة من جنوده للمساعدة وقت الحرب وأن يقطع علاقاته مع ملك المجر وأن يتنازل أيضا للدولة العلية عن بلدة كروشيفاتس «٢٠» الواقعة فى وسط بلاد الصرب لتجعلها حصنا منيعا تأوى اليه جنودها منعا لحصول الفتن ثم أعاد فتح مدينة سلانيك التى كان تنازل عنها ملك الروم الى أهالى البندقية بعد ان حاصرها خمسة عشر يوما سنة ١٤٣٠

وبعد ذلك أراد السلطان مراد أن يفتح ما بقى من بلاد الصرب وبلاد ألبانيا (الارنؤد)

«٢٠» تسمى هذه المدينة فى كتب الترك «الاجه حصار» وتبعد ٥٦ كيلومتر عن مدينة نيش بالقرب من ملتقى نهر «مورادا»

والقلاع

والفلاخ قبل أن يعيد الكرة على القسطنطينية حتى لا يكون لها من هذه الولايات نصير فوجه اهتمامه أولا الى بلاد ألبانيا فأطاعه سكان يانيه وسكان أغلب باقى البلاد بدون كثير عناء مشترطين عدم التعرض لهم فى دينهم ولا عوائدهم وألزم (جان كستريو) أمير الجزء الشمالى من بلاد ألبانيا أن يسلم له أولاده الاربعة رهناء على صدقه وولائه ثم ضم أملاكه اليه بعد وفاته سنة ١٤٣١

وفى سنة ١٤٣٣ اعترف فلاد أمير الفلاخ الملقب (دره قول) أى الشيطان بسيادة الباب العالى عليه تخلصا من الحرب التى كان لا يشك فى وخامة عاقبتها عليه لكن لم يكن هذا الخضوع الا ظاهريا فانه ما لبث ان ثار هو وأمير الصرب بناء على تحريض ملك المجر لهما فحاربهما السلطان وقهرهما ثم سار الى بلاد المجر وخرب كثيرا من بلدانها وعاد منها بسبعين ألف أسير على ما يقال فى سنة ١٤٣٨

وفى السنة التالية عصى جورج برنكوفتش أمير الصرب وكانت عاقبة عصيانه ان فتح السلطان مراد مدينة سمندرية «٢١» بالقرب من مدينة بلغراد «٢٢» عاصمة بلاد الصرب بعد ان حاصرها ثلاثة أشهر وفر برنكوفتش الى بلاد المجر محتميا عند ملكها آلبير الذى خلف سجسمون ثم حاصر السلطان مدينة بلغراد عاصمة الصرب مدة ستة شهور ولم يتمكن من فتحها الشدة دفاع من بها من الجنود فتركها وأغار على بلاد (ترنسافانيا) «٢٣» وحاصر مدينة (هرمانستاد) التابعة الملك المجر وكان حاكم هذا الاقليم هونياد «٢٤» قائد عموم جيوش المجر فأتى هذا

«٢١» ومعناها القديس اندريا مدينة واقعة على نهر الطونة تبعد ٤٥ كيلومتر عن بلغراد عاصمة الصرب ويبلغ عدد سكانها ١٥ ألفا ولها أهمية عظمى حربية

«٢٢» ومعناها المدينة البيضاء مدينة حصينة على نهر الطونة بالقرب من مصب نهر «ساف» وهى عاصمة مملكة الصرب الآن بينها وبين الآستانة طريق حديدى طوله ثمانمائة كيلومتر وأهميتها فى التاريخ العثمانى عظيمة لتنازعها بين العثمانيين والنمساويين وفى سنة ١٧٣٩ أمضيت فيها معاهدة شهيرة كاترى ويبلغ عدد سكانها مائة ألف نسمة

«٢٣» ومعناها البلاد الواقعة فى ماوراء الغابات أطلق عليها أهالى النمسا هذا الاسم لوجود غابات كثيفة تفصلها عنها وهى من أهم أقاليم مملكة النمسا لوفرة المعادن بها عدد سكانها يزيد عن ثلاثة ملايين ولمجاورتها البلاد المجر صارت عرضة لكل من أراد الاغارة على بلاد المجر وتبعت مدة الدولة العثمانية

«٢٤» ولد هذا القائد فى سنة ١٤٠٠ وعينه لادسلاس ملك بولونيا والمجر حاكما على اقليم ترنسلفانيا واشتهر بعاره بالعثمانيين ومات سنة ١٤٥٦ أثر جراح أصابته أثناء دفاعه عن مدينة بلغراد عند محاصرة السلطان محمد الفاتح لها

القائد الشهير على جناح السرعة للدفاع عنها وانتصر على العثمانيين وقتل منهم عشرين ألف نفس وقتل قائدهم وألزم من بقى منهم بالرجوع خلف نهر الدانوب ولما بلغ السلطان خبر انهزام جيوشه أرسل اليهم ثمانين ألف مقاتل تحت قيادة شهاب الدين باشا فهزمه أيضا هونياد المجرى وأخذه أسيرا فى موقعة هائلة بالقرب من بلدة يقال لها (وازاج) سنة ١٤٤٢ وبعد ذلك سار القائد المجرى الى بلاد الصرب وتغلب على السلطان مراد نفسه فى مدينة نيش «٢٥» واقتفى أثره الى ماوراء جبال البلقان سنة ١٤٤٣ وظهر عليه فى ثلاث وقائع أخرى وأخيرا أبرم السلطان مراد معهم الصلح على أن يتنازل عن سيادته على بلاد الفلاخ ويرد الى أمير الصرب مدائن سمندرية والاجه حصار وان يهادن المجر مدة عشر سنوات وأمضيت هذه المعاهدة فى ١٢ يوليو سنة ١٤٤٤

﴿تنازل السلطان عن الملك وعودته اليه﴾

وعقب ذلك توفى أكبر أولاد السلطان واسمه علاء الدين فحزن عليه والده حزنا شديدا وسئم الحياة فتنازل عن الملك لابنه محمد وكان عمره أربع عشرة سنة وسافر هو الى ولاية آيدين للاقامة بعيدا عن هموم الدنيا وغمومها

لكنه لم يمكث فى خلوته بضع أشهر حتى أتاه خبر غدر المجر واغارتهم على بلاد البلغار غير مراعين شروط الهدنة اعتمادا على تغرير الكردينال (سيزاريني) مندوب البابا وتفهيمه الملك المجران عدم رعاية الذمة والعهود مع المسلمين لا تعد حنثا ولا نقضا ولما ورد عليه خبر هذه الخيانة ونكث العهد قام بجيشه لمحاربة المجر فوجدهم محاصرين لمدينة ورنة الواقعة على البحر الاسود وبعد قليل اشتبك القتال بين الجيشين فقتل ملك المجر المدعو (لادسلاس) وتفرق الجند بعد ذلك ولم تفد شجاعة هونياد شيأ وفى اليوم التالى هاجم العثمانيون معسكر المجر واحتلوه بعد قتال شديد قتل فيه الكردينال (سيزاريني) سبب هذه الحرب (نوفمبر سنة ١٤٤٤)

«٢٥» ويقال لها نيسا مدينة فى جنوب الصرب لا يزيد عدد سكانها عن عشرة آلاف نسمة واقعة على الطريق الموصل الى الآستانة وسلانيك حصلت بها عدة وقائع حربية أهمها انتصار الصرب على جيوش الدولة سنة ١٨٧٨ أثناء الحرب الروسية الاخيرة

و بعد تمام النصر واستخلاص مدينة ورنه رجع السلطان الى عزلته لكنه لم يلبث فيها هذه المرة أيضا لان عساكر الانكشارية ازدروا بملكهم الفتى محمد الثانى وعصوه ونهبوا مدينة ادرنه عاصمة الدولة فرجع اليهم السلطان مراد الثانى فى أوائل سنة ١٤٤٥ م وأخمد فتنتهم وخوفا من رجوعهم الى اقلاق راحة الدولة أراد أن يشغلهم بالحرب فاغار على بلاد اليونان وساعده على ذلك تجزىء ايمانويل ملك الروم بلاده بين أولاده بان أعطى مدينة القسطنطينية وضواحيها الى ابنه حنا و بلاد موره وثيبه وجزأ من تساليا الابنه قسطنطين وهو آخر ملوك الروم ولما علم قسطنطين بعزم السلطان مراد على فتح بلاده حصن برزخ كورنته وبنى فيه قلاعا جعلت اجتيازه غير ممكن لكن لم يعق هذا السور المنيع الجيوش العثمانية بل سلط عليه السلطان مدافعه (ذكر المؤرخون أن هذا أول استعمال المدافع فى جيوش الدولة العلية) حتى أحدث فيها ثلما دخلت منه الجيوش الى مدينة كورنته ففتحها ولم يتم فتح بلاد موره لازدياد عصيان اسكندر بك واثارته الفتن فى بلاد ألبانيا واكتفى بضرب الجزية على أهاليها هذه المرة ولما هدأ باله من جهة اسكندر بك عاود الكرة عليها

﴿فتنة اسكندر بك﴾

واسكندر بك هذا هو أحد أولاد جورج كستريو أمير ألبانيا الشمالية الذين سبق فى شأنهم ان السلطان أخذهم رهينة وضم بلاد أبيهم اليه بعد موته وكان قد أسلم أو بالحرى تظاهر بالاسلام لنوال ما يكنه صدره وأظهر الاخلاص للسلطان حتى قرّبه اليه وفى سنة ١٤٤٣ حينما كان السلطان مشتغلا بمحاربة هونياد وملك الصرب ألزم كاتب أول الملك على أن يمضى له أمرا بتوجيه ادارة مدينة (آق حصار) بلاد البانيا اليه وأخذ هذا الامر بعد ان قتل ممضيه خوفا من افشاء سره وسار الى هذا البلد ودخله وفى الحال استدعى اليه رؤساء قبائل الارنؤد وأظهر لهم مشروعه وهو استخلاص البانيا من الاتراك فوافقوه على ماوسوسه لهم وأمدوه بالمال والرجال فسار معهم وطرد العثمانيين من أغلب بلاد أجداده وانتصر على القائد على باشا سنة ١٤٤٣ وساعده على امتداد نفوذه تنازل السلطان مراد واشتغاله

بمحاربة المجر لكن لما تم النصر للسلطان فى واقعة وارنه واستتب الامن فى بلاد اليونان أمكنه جمع جيش جرار لقمع هذا الخائن فقصده بمائة ألف مقاتل واسترد منه مدينتين من أهم مدن البانيا سنة ١٤٤٧ ثم تركه حين بلغه خبر اغارة هونياد المجرى على بلاد الصرب ليعيد لنفسه مافقد من الشرف فى واقعة وارنه وكان معه فى هذه الدفعة أربعة وعشرون ألف رجل منهم عشرة آلاف من الفلاخ فاصطدم الجيش العثمانى بقيادة السلطان نفسه مع جيش هونياد فى وادى (قوص أوه) فانتصر عليه السلطان نصرا مبينا فى ١٧ اكتوبر سنة ١٤٤٧ كما انتصر السلطان مراد الاول على لازار ملك الصرب سنة ١٣٨٩ فى هذا الموقع ثم عاد السلطان مراد الثانى لمحاربة اسكندر بك بالبانيا وحاصر مدينة (آق حصار) مدة ولما لم يجد سبيلا الى فتحها لضعف جيوشه بسبب هذه الحروب المتواصلة أراد أن يتفق مع اسكندر بك على الصلح بان يقلده السلطان امارة بلاد البانيا فى مقابلة جزية سنوية ولما لم يقبل اسكندر بك هذا الاقتراح رفع السلطان الحصار عن المدينة وعاد الى ادرنه عاصمة ممالكه ليجهز جيوشا جديدة كافية لقمع هذا الثائر لكنه توفى فى يوم ٩ فبراير سنة ١٤٥١ الموافقة سنة ٨٥٥ هـ وتولى بعده ابنه السلطان أبو الفتح محمد الثانى ونقلت جثته الى مدينة بورصة

٧ ﴿السلطان الغازى محمد الثانى الفاتح وفتح القسطنطينية﴾

ولد هذا السلطان فى ٢٦ رجب سنة ٨٣١ وهو سابع سلاطين هذه السلالة الملوكية ولما تولى الملك بعد أبيه لم يكن بآسيا الصغرى خارجا عن سلطانه الاجزء من بلاد القرمان ومدينة سينوب ﴿٢٦﴾ ومملكة طرابزون الرومية ﴿٢٧﴾ وصارت

﴿٢٦﴾ مدينة حصينة فى شمال الاناطول على البحر الاسود بها مينا متسعة اتخذتها الدولة العلية ملجأ لسفنها الحربية وشهيرة بما ارتكبته الروسيا فيها من تدمير الدونانمة العثمانية سنة ١٨٥٣ قبل اعلان الحرب المعروفة بحرب القرم

﴿٢٧﴾ مدينة قديمة بآسيا على البحر الاسود تبعد ١٤٠ كيلومترا عن مدينة ارضروم ويظن انها معاصرة لمدينة تروادة الشهيرة واسمها مشتق من لفظة ﴿ترابيزوس﴾ اللاتينية ومعناها الشكل المعين ولما انقسمت المملكة الرومانية الى شرقية وغربية ظلت تابعة للمملكة الشرقية الى سنة ١٢٠٤ م حيث فتحها الافرنج الذين أتوا أثناء حرب الصليب ثم سكنها أحد أعضاء عائلة ﴿الكومنين﴾ وأسست بها مملكة طرابزون التى استمرت مستقلة ولو انها تابعة اسما الى مملكة الروم بالقسطنطينية الى ان فتحها العثمانيون سنة ١٤٦١ وقتلوا آخر ملوكها المدعو ﴿داود﴾ وستة من أولاده وكان له ولد سابع فى اقليم موره ببلاد اليونان ثم هاجر الى جزيرة ﴿كورسيكا﴾ وآخر ذريته هذه العائلة ﴿الدوشيس دى ابرانتيس﴾ التى توفيت سنة ١٨٣٨

مملكة الروم الشرقية قاصرة على مدينة القسطنطينية وضواحيها وكان اقليم (موره) مجزأ بين البنادقة وعدة امارات صغيرة يحكمها بعض أعيان الروم أو الافرنج الذين تخلفوا عن اخوانهم بعد انتهاء الحروب الصليبية وبلاد الارنؤد وابيروس في حمى اسكندربك السالف الذكر وبلاد البشناق (البوسنه) مستقلة والصرب تابعة للدولة العلية تابعية سيادية ومابقي من بجيث جزيرة البلقان داخلا تحت سلطة الدولة العلية

فاول أمر اشتغل به محمد الثاني تتميم فتح مابقي من بلاد البلقان ومدينة القسطنطينية حتى تكون جميع أملاكه متصلة لا يتخللها عدو مهاجم أو صديق منافق لكنه قبل التعرض لفتح القسطنطينية أراد ان يحصن بوغاز البوسفور حتى لا يأتي لها مدد من مملكة طرابزون وذلك بان يقيم قلعة على شاطئ البوغاز من جهة أوروبا تكون مقابلة للحصن الذي أنشأه السلطان بايزيد يلدرم ببر آسيا ولما بلغ ملك الروم هذا الخبر أرسل الى السلطان سفيرا يعرض عليه دفع الجزية التي يقررها فرفض طلبه وسعى في ايجاد سبب لفتح باب الحرب ولم يلبث ان وجد هذا السبب بتعدي الجنود العثمانية على بعض قرى الروم ودفاع هؤلاء عن أنفسهم وقتل البعض من الفريقين

فحاصر السلطان المدينة في أوائل ابريل سنة ١٤٥٣ من جهة البر بجيش يبلغ المائتين وخمسين ألف جندي ومن جهة البحر بعمارة مؤلفة من مائة وثمانين سفينة وأقام حول المدينة أربع عشرة بطارية طوبجية وضع بها مدافع جسيمة صنعها صانع مجري شهير اسمه (اوربان) كانت تقذف كرات من الجرانيت كل واحدة منها اثنا عشر قنطارا الى مسافة ميل وفي أثناء الحصار اكتشف قبر أبي أيوب الانصاري الذي استشهد حين حصار القسطنطينية في سنة ٥٢ هـ في خلافة معاوية الاموي وبعد الفتح بني له مسجد جامع وجرت العادة بعد ذلك ان كل سلطان يتولى يتقلد بسيف عثمان الغازي الاول بهذا المسجد وهذا الاحتفال يعد بمثابة التتويج عند ملوك الافرنج ولم تزل هذه العادة متبعة حتى الآن

ولما شاهد قسطنطين آخر ملوك الروم هذه الاستعدادات استنجد باوروبا فلبى طلبه

أهالي جنوه «٢٨» وأرسلوا له عمارة بحرية تحت امرة جوستنياني فأتى بمراكبه وأراد الدخول الى مينا القسطنطينية فعارضته السفن العثمانية وانتشر بينهما حرب هائلة في يوم ٢١ ابريل سنة ١٤٥٣ انتهت بفوز جوستنياني ودخوله الميناء بعد ان رفع المحصورون السلاسل الحديدية التي وضعت لمنع المراكب العثمانية من الوصول اليها ثم أعيدت بعد مروره كما كانت وبعدها أخذ السلطان يفكر في طريقة لدخول مراكبه الى المينا لاتمام الحصار برا وبحرا فخطر بباله فكر غريب في بابه وهو أن ينقل المراكب على البر ليجتاز وا السلاسل الموضوعة لمنعه وتم هذا الامر المستغرب بان مهد طريقا على البر اختلف في طوله والمرجح انه فرسخان أى ستة أميال ورست فوقه ألواح من الخشب صبت عليها كمية من الزيت والدهن لسهولة تزلق المراكب عليها وبهذه الكيفية أمكن نقل نحو السبعين سفينة في ليلة واحدة حتى اذا أصبح النهار ونظرها المحصورون أيقنوا أن لا مناص من نصر العثمانيين عليهم لكن لم تخمد عزائمهم بل ازدادوا اقداما وصمموا على الدفاع عن أوطانهم حتى الممات وفي يوم ٢٤ مايو أرسل السلطان محمد الى قسطنطين يخبره انه لو سلم البلد اليه طوعا يتعهد له بعدم مس حرية الاهالي أو أملاكهم وأن يعطيه جزيرة موره فلم يقبل قسطنطين ذلك بل آثر الموت على تسليم المدينة فعند ذلك نبه السلطان على جيوشه بالاستعداد للهجوم في يوم ٢٩ مايو ووعد الجيوش بمكافأتهم عند تمام النصر وباقطاعهم أراضي كثيرة وفي الليلة السابقة

«٢٨» جنوة مدينة قديمة جدا يقال انها انشئت سنة ٧٠٧ قبل الميلاد واستولى عليها الرومانيون سنة ٢٢٢ قبل الميلاد وظلت تابعة لهم لحين سقوط الدولة الرومانية ثم تناوبتها أيدي قبائل المتبربرين المختلفة وأخيرا فتحها شارلمان الفرنساوي المتوفى سنة ٨١٤م واستقلت في القرن العاشر واتخذت التجارة مهنة ونافست جمهوريتي بيشه المسماة الآن «بيزا» والبندقية المسماة الآن «فنيسيا» وفي القرن الثالث عشر حاربت بيشه وتغلبت عليها ولاشت تجارتها وأخذت منها جزيرة «كورسيكا» ثم أعطاها ملوك الروم بالاستانة قريتي بيرا وغلطه في ضواحي بيزنطه «القسطنطينية» ومدينة «كافا» ببلاد القرم ومدينة ازمير وغيرها ومن ثم وقعت المنافسة بينها وبين البنادقة بسبب السيادة على البحار وحاربتها وانتصرت عليها مرارا وبقيت سيدة البحار الشرقية الى أواخر القرن الرابع عشر ثم أخذت في التقهقر شيأ فشيأ بسبب عدم انتظام أمورها الداخلية وتفرق كلمة أهلها ففقدت استقلالها وصارت تدخل تارة في حمى اسبانيا وأخرى في حمى فرنسا وطورا ترجع الى استقلالها الى ان احتلها الفرنساويون سنة ١٧٩٦ وشكلوها بهيئة جمهورية في السنة التالية وبعد سقوط امبراطورية نابوليون الاول في سنة ١٨١٥ ضمت الى لومباردية وهي الآن تابعة لمملكة ايطاليا

اليوم

لليوم المحدد أشعلت الجنود العثمانية الانوار أمام خيامها للاحتفال بالنصر المحقق لديهم وظلوا طول ليلهم يهللون ويكبرون حتى اذا لاح الفجر صدرت اليهم الاوامر بالهجوم فهجم مائة وخمسون ألف جندي وتسلقوا الاسوار حتى دخلوا المدينة من كل فج وأعملوا السيف في من عارضهم ودخلوا كنيسة القديسة صوفيا حيث كان يصلي فيها البطريق وحوله عدد عظيم من الاهالي ويعتقد الروم حتى الآن ان حائط الكنيسة انشق ودخل فيه البطرق والصور المقدسة وفي اعتقادهم ان الحائط تنشق ثانية يوم يخرج الاتراك من القسطنطينية ويخرج البطرق منها ويتم صلاته التي قطعها عند دخول العثمانيين عليه عند الفتح وكان فتحها سنة ٨٥٧ هـ وقد أرخه بعضهم (بلدة طيبة)

أما قسطنطين فقاتل حتى مات في الدفاع عن وطنه وبعد فتحها جعلت عاصمة للدولة ولن تزال كذلك ان شاء الله ولنذكر هنا ان المسلمين حاصروا القسطنطينية احدى عشرة مرة قبل هذه المرة الاخيرة منها سبعة في القرنين الاولين للاسلام فحاصرها معاوية في خلافة سيدنا علي سنة ٣٤ هـ (٦٥٤ م) وحاصرها يزيد بن معاوية سنة ٤٧ هـ (٦٦٧ م) في خلافة سيدنا علي أيضا وحاصرها سفيان بن اوس في خلافة معاوية سنة ٥٢ هـ (٦٧٢ م) وفي سنة ٩٧ هـ (٧١٥ م) حاصرها مسلمة في زمن الخليفة عمر بن عبد العزيز الاموي وحوصرت أيضا في خلافة هشام سنة (٧٣٩ م) وفي المرة السابعة حاصرها أحد قواد الخليفة هرون الرشيد سنة ١٨٢ هـ (٧٩٨ م)

هذا ثم دخل السلطان المدينة عند الظهر فوجد الجنود مشتغلة بالسلب والنهب وغيره فاصدر أوامره بمنع كل اعتداء فساد الأمن حالا ثم زار كنيسة أيا صوفيا وأمر بان يؤذن فيها بالصلاة اعلانا بجعلها مسجدا جامعا للمسلمين وبعد تمام الفتح على هذه الصورة أعلن في كافة الجهات بانه لا يعارض في اقامة شعائر ديانة المسيحيين بل انه يضمن لهم حرية دينهم وحفظ أملاكهم فرجع من هاجر من المسيحيين وأعطاهم نصف الكنائس وجعل النصف الآخر جوامع للمسلمين ثم جمع أئمة دينهم لينتخبوا بطريقا لهم فاختاروا جورج سكولاريوس واعتمد السلطان هذا الانتخاب وجعله رئيس الطائفة الاروام وأعطاه حرسا من عساكر الانكشارية ومنحه حق

الحكم في القضايا المدنية والجنائية بكافة أنواعها المختصة بالاروام وعين معه في ذلك مجلسا مشكلا من أكبر موظفي الكنيسة وأعطى هذا الحق في الولايات للمطارنة والقسوس وفي مقابلة هذه المنح فرض عليهم دفع الخراج مستثنيا من ذلك أئمة الدين فقط

وبعد اتمام هذه الترتيبات واعادة ماهدم من أسوار المدينة وتحصينها سافر بجيوشه لفتح بلاد جديدة فقصد بلاد مورة لكن لم ينتظر أميراها وهما دمتريوس وتوماس أخوا قسطنطين قدومه بل أرسلا اليه يخبرانه بقبولهما دفع جزية سنوية قدرها اثنا عشر ألف دوكا فقبل ذلك السلطان وغير وجهته قاصدا بلاد الصرب فأتى هونياد الشجاع المجري وردعهم مقدمة الجيوش العثمانية لكن لم يرغب الصرب في مساعدة المجر لهم لاختلاف مذهبهم حيث كان المجر كاثوليكيين تابعين للبابارومة والصرب ارثودكسيين لا يذعنون لسلطة البابا بل كانوا يفضلون تسلط المسلمين عليهم لما رأوه من عدم تعرضهم للدين مطلقا ولذلك أبرم أمير الصرب الصلح مع السلطان محمد الثاني على ان يدفع له سنويا ثمانين ألف دوكا وذلك في سنة ١٤٥٤ وفي السنة التالية أعاد السلطان عليها الكرة بجيش مؤلف من خمسين ألف مقاتل وثلاثمائة مدفع ومر بجيوشه من جنوب بلاد الصرب الى شمالها بدون أن يلاقي أقل معارضة حتى وصل مدينة بلغراد الواقعة على نهر الدانوب وحاصرها من جهة البر والبحر وكان هونياد المجري دخل المدينة قبل اتمام الحصار عليها ودافع عنها دفاع الابطال حتى يئس السلطان من فتحها ورفع عنها الحصار سنة ١٤٥٥ لكن وان لم يتمكن العثمانيون من فتح عاصمة الصرب الا انهم ربحوا أمرا عظيما وهو اصابة هونياد بجراح بليغة مات بسببها بعد رفع الحصار عن المدينة بنحو عشرين يوما وأراح المسلمين منه ولما علم السلطان بموته أرسل الصدر الاعظم محمود باشا لاتمام فتح بلاد الصرب فأتم فتحها من سنة ١٤٥٨ الى سنة ١٤٦٠ وبذلك فقدت الصرب استقلالها نهائيا بعد ان أعيت الدولة العلية أكثر من مرة

وفي هذا الاثناء تم فتح بلاد موره ففي سنة ١٤٥٨ فتح السلطان مدينة كورنته وما جاورها من بلاد اليونان حتى جرد توماس باليولوج أخا قسطنطين من جميع بلاده

ولم يترك اقليم موره لاخيه دمتريوس الا بشرط دفع الجزية

وبمجرد مارجع السلطان بجيوشه ثار توماس وحارب الاتراك وأخاه معافاستنجد دمتريوس بالسلطان فرجع بجيش عرمرم ولم يرجع حتى تم فتح اقليم موره سنة ١٤٦٠ وهرب توماس الى ايطاليا ونفى دمتريوس فى احدى جزائر الارخبيل

وفى ذلك الوقت فتحت جزائر تاسوس وانبروس وغيرهامن جزائر بحرازوم

وبعد عودة السلطان من بلاد اليونان أبرم صلحا موقتا مع اسكندر بك وترك له اقليمى ألبانيا وابيروس ثم حوّل أنظاره الى آسيا الصغرى ليفتح مابقى منها فسار بجيشه بدون أن يعلم أحد اوجهته فى أوائل سنة ١٤٦١ وهاجم أوّلا مينا أماستريس وكانت مركز تجارة أهالى جينوة النازلين بهذه الاصقاع وا ـكون سكانها تجارا يحافظون على أموالهم ولايهمهم دين أو جنسية متبوعهم مادام غير متعرّض لاموالهم ولاأرواحهم فتحوا أبواب المدينة ودخلها العثمانيون بغير حرب ثم أرسل الى اسفنديار أمير مدينة سينوب يطلب منه تسليم بلاده والخضوع له ولاجل تعزيز هذا الطلب أرسل أحد قوّاده ومعه عدد عظيم من المراكب لحصر المينا فسلمها اليه الامير وأقطعه الملك أراضى واسعة باقليم بيثينيامكافأة له على خضوعه ثم قصد بنفسه مدينة طرابزون ودخلها بدون مقاومة شديدة وقبض على الملك وأولاده وزوجته وأرسلهم الى القسطنطينية

ولما عاد اليها جهز جيشا لمحاربة أمير الفلاخ المدعو فلادديره فول أى الشيطان لمعاقبته على ما ارتكبه من الفظائع مع أهالى بلاده والتعدّى على تجار العثمانيين النازلين بها فلما اقترب منها أرسل اليه هذا الامير وفدا يعرض على السلطان دفع جزية سنوية قدرها عشرة آلاف دوكا بشرط أن يصادق على جميع الشروط الواردة بالمعاهدة التى أبرمت فى سنة ١٣٩٣ بين أمير الفلاخ اذذاك والسلطان بايزيد فقبل السلطان محمد الثانى هذا الاقتراح وعاد بجيوشه ولم يقصد أمير الفلاخ بهذه المعاهدة الا التمكن من الاتحاد مع ملك المجر ومحاربة العثمانيين فلما علم السلطان باتحادهما أرسل اليه مندوبين يسألانه عن الحقيقة فقبض عليهما وقتلهما بوضعهما على عمود محدد من الخشب (خازوق) وأغار بعدها على بلاد بلغاريا التابعة للدولة

العليـة وعثى فيها الفسـاد ورجع بخمس وعشرين ألف أسير فارسل اليه السلطان يدعوه الى الطاعة واخـلاء سبيل الاسرى فلما مثـل الرسـل أمامه أمرهـم برفع عمائمهم لتعظيمه وعند ابائهم طلبه لمخالفته لعوائدهم أمر هذا الظالم بان تسمر عمائمهم على رؤسهم بمسامير من حديد

فلما وصلت هـذه الاخبار الى السلطان محمد استشاط غضبا وسار على الفور بمائة وخمسـين ألف مقاتل لمحاربة هذا الشقي الظلوم فوصل فى أقرب وقت الى مدينـة بخارست «٢٩» عاصمة الامير بعـد ان هزمه وفرّق جيوشـه لكنه لم يتمكن من القبض عليـه لمجازاته على ما اقترفه من المظالم والمآثم لفروبه والتجائه الى ملك المجر فنادى السلطان بعزله ونصب مكانه أخاه راوول لثقتـه به بما انه تربى فى حضانة السلطان منـذ نعومة أظفاره وبذا ضمت بلاد الفلاخ الى الدولة العلية ويقـال ان عنـد وصول السلطان محمد الى ضواحي بخارست وجد حول المدينـة جثث الاسرى الذين أتى بهم أمير الفـلاخ من بلاد بلغاريا وقتلهـم عن آخرهم بما فيهـم الاطفال والنساء وكان عددهم جميعا عشرين ألفا

وفى سـنة ١٤٦٣ حارب السلطان بلاد بوسـنه لامتناع أمـيرها عن دفع الخراج وأسره بعـد محاربة عنيفة هو وولده وأمر بقتلهـما فدانت له جميع بلاد البشـناق (أهالى بوسنه) وفى سـنة ١٤٦٤ أراد متياس كرفن «٣٠» ملك المجر استخلاص بوسنه من العثمـانيين فهزم بعد ان قتل معظم جيشه وكانت عاقبة تداخله ان جعلت بوسنه ولاية كباقى ولايات الدولة وسلبت ما كان منح لها من الامتيـازات ودخل فى جيش الانكشارية ثلاثون ألفا من شبانها وأسلم أغلب أشراف أهاليها

هـذا وكانت ابتدأت حركات العـدوان فى سـنة ١٤٦٣ بين العثمـانيين والبنادقة

«٢٩» وتسمى فى الكتب التركية «بكرش» بلدة جميلة جدا قديمة العهد ولم تشتهر الا بالمعاهدة التى أبرمت فيها بين الدولة العلية والروسية سنة ١٨١٢ وهى الآن عاصمة مملكة رومانيا المكونة من امارتى الافلاق والبغدان

«٣٠» هو ابن هونياد المجرى ولد سـنة ١٤٤٣ وانتخب ملكا على بلاد المجر سنة ١٤٥٨ وسـنه خمس عشرة سنة واشتهر بمحاربة كافة جيرانه دفاعا عن استقلال المجر وأسس مدرسة جامعة بمدينة «بوده» ومكتبة عمومية وبنى بها مرصدا فلكيا وتوفى سنة ١٤٩٠

«٣١» بسبب هروب أحد الرقيق الى كورون التابعة لهم وامتناعهم عن تسليمه بحجة انه اعتنق الدين المسيحى فاتخذ العثمانيون ذلك سبيلا للاستيلاء على مدينة ارجوس وغيرها فاستنجد البنادقة بحكومتهم وهى أرسلت اليهم عمارة بحرية أنزلت ما بها من الجيوش الى بلاد موره فثار سكانها وقاتلوا الجنود العثمانية المحافظة على بلادهم وأقاموا ما كان تهدم من سور برزخ كورنته لمنع وصول المدد من الدولة العلية وحاصروا مدينة كورنته نفسها واستخلصوا مدينة ارجوس من الاتراك لكن لما علموا بقدوم السلطان مع جيش يبلغ عدده ثمانين ألف مقاتل تركوا البرزخ راجعين على أعقابهم فدخل العثمانيون بلاد موره بدون كبير معارضة واسترجعوا كل ما أخذوه وأرجعوا السكينة الى البلاد وفى السنة التالية أعاد البنادقة الكرة على بلاد موره بدون فائدة

وبعد ذلك أخذ البابا بيوس الثانى يسعى فى تحريض الامم المسيحية على محاربة المسلمين حربا دينية لكن عاجله المنون قبل اتمام مشروعه الا ان تحريضاته هاجت اسكندر بك الالبانى لحارب الجنود العثمانية وحصل بينهما عدة وقائع أهرق فيها كثير من الدماء وكانت الحرب فيها سجالا وفى سنة ١٤٦٧ توفى اسكندر بك بعد ان حارب الدولة العلية خمسا وعشرين سنة بدون ان تقوى على قمعه فكان من أشد خصوم الدولة وألد أعدائها

ثم بعد هدنة استمرت سنة واحدة عادت الحروب بين العثمانيين والبنادقة وكانت

«٣١» هم سكان مدينة البندقية الواقعة على البحر الادرياتيكى وهى أهم الثغور التجارية فانها فازت فى مسابقة جمهورية بيشه ولم تقو على مجاراة جينوة الا لما استولى عليها الاختلال وصارت سيدة البحار الى ان اكتشف طريق رأس الرجا الصالح بطرف افريقا الجنوبى الموصل الى الهند واكتشفت قارة أمريكا فتحولت التجارة الى هذا الطريق الجديد وضعفت البندقية واشتهرت هذه الجمهورية بمحاربة العثمانيين الذين جردوها من جميع أملاكها شيأ فشيأ فأخذ منها السلطان محمد الفاتح جزائر اليونان وما كان لها ببلاد مورة وفى سنة ١٥٧١ استولى السلطان سليم الثانى على جزيرة قبرص وفى سنة ١٦٦٩ فتح السلطان محمد الرابع جزيرة كريد وكانتا تابعتين لها وفى سنة ١٧٩٧ احتلها الفرنساويون ثم ضمت الى النمسا وفى سنة ١٨٠٥ ضمت الى ايطاليا وفى سنة ١٨١٥ عادت الى النمسا وفى سنة ١٨٤٨ ثارت عليها وتشكلت بهيئة جمهورية وفى السنة التالية أخضعتها النمسا ثانية لسلطانها وفى سنة ١٨٥٩ تنازلت عنها النمسا الى نابوليون الثالث امبراطور فرنسا وهو تنازل عنها الى فكتور امانويل ملك بيمونتى الذى صار فيما بعد ملك ايطاليا ولم تزل تابعة لايطاليا حتى الآن

نتيجتها ان افتتح العثمانيون جزيرة نجر بونت وتسمى فى كتب الترك اجريبوس مركز مستعمرات البنادقة فى جزائر الروم وتم فتحها فى سنة ١٤٧٠ وبعد ان ساد الامن فى أنحاء أورو با حوّل السلطان أنظاره الى بلاد القرمان بآسيا الصغرى ووجد سبيلا سهلا للتداخل وهو ان أميرها المدعو ابراهيم أوصى بعد موته بالحكم الى أحد أولاده واسمه الامير اسحق ولكونه ابن أم ولد نازعه الحكم اخوته من أبيه الذين من الزوجات الشرعيات فتداخل السلطان محمد الثانى وحارب اسحق وهزمه وولى محله أكبر اخوته وعاد الى أوروبا لمحاربة اسكندر بك كما مر فانتهز الامير اسحق غيابه وعاود الكرة على قونية لاسترداد ما أوصى به اليه أبوه من البلاد فرجع اليه السلطان وقهره وليستريح باله من هذه الجهة أيضا ضم امارة القرمان الى بلاده وغضب على وزيره محمود باشا الذى عارضه فى هذا الامر

وبعد ذلك بقليل زحف (اوزون حسن) أحد خلفاء تيمورلنك وكان سلطانه ممتدا على كافة البلاد والاقاليم الواقعة بين نهرى آمو داريا شرقا والفرات غربا وفتح مدينة توقات عنوة ونهب أهلها فاخذ السلطان فى تجهيز جيش جرار وأرسل لاولاده داود باشا بكاربك الاناطولى ومصطفى باشا حاكم القرمان يأمرهما بالمسير لمحاربة العدو فسارا بجيوشهما اليه وقابلا جيشه على حدود اقليم الحميد وهزماه شر هزيمة (١٤٧[illegible])

وبعدها بقليل سار اليه السلطان بنفسه ومعه مائة ألف جندى واجهز على ما بقى مع اوزون حسن من الجنود بالقرب من مدينة اذربيجان التى لا تبعد كثيرا عن نهر الفرات ولم يعد اوزون حسن لمحاربة الدولة بعد ذلك وفى هذا الاثناء كانت الحرب متقطعة بين العثمانيين والبنادقة الذين استعانوا بالبابا رومية وأمير نابولى «٣٢» ومع كل فكان النصر دائما للعثمانيين ولم يتمكن البنادقة من استرجاع شئ مما أخذ منهم وفى سنة ١٤٧٥ أراد السلطان ان يفتح بلاد البغدان فارسل اليها جيشا بعد ان عرض دفع الجزية على أميرها واسمه اسطفن الرابع ولم يقبل وبعد محاربة عنيفة قتل فيها كثير من الجيشين المتحاربين عادت الجيوش العثمانية بدون فتح شئ

«٣٢» واسمها عند العرب نابلس وهى غير نابلس الكائنة ببلاد الشام

من هـذا الاقليم ولما بلغ خبر هـذا الانهزام آذان السلطان ظن انه يفتح بلاد القرم حتى يستعين بفرسانها المشهورين فى القتال على محاربة البغدان وكان لجهورية جنوا مستعمرة فى بحيث جزيرة القرم فى مدينة كافا فارسل السلطان اليها عمارة بحرية ففتحها بعد حصار ستة أيام وبعدها سقطت جميع الاماكن التابعة لجهورية جنوا وبذلك صارت جميع شواطئ القرم تابعة للدولة العثمانية ولم يقاومها التتار انما نازلون بها ولذلك اكتفى السلطان بضرب الجزية عليها

وبعد ذلك فتحت العمارة العثمانية مينا آق كرمان ومنها اقلعت السفن الحربية الى مصاب نهر الدانوب لاعادة الكرة على بلاد البغدان بينما كان السلطان يجتاز نهر الدانوب من جهة البر بجيش عظيم فتقهقر أمامه جيش البغدان لعدم امكانه المحاربة فى السهول وتبعه الجيش العثمانى حتى اذا أوغل خلفه فى غابة كثيفة يجهل مفاوزها انقض عليه الجيش البغدانى وهزمه (١٤٧٦) وبذلك اشتهر اسطفن الرابع أمير البغدان بمقاومة العثمانيين كما اشتهر هونياد المجرى واسكندربك الالبانى من قبل وسماه البابا شجاع النصرانية وحامى الديانة المسيحية

وفى سنة ١٤٧٧ أغار السلطان على بلاد البنادقة ووصل الى اقليم الفريول بعد ان مر باقليمى كرواسيا ودلماسيا (وهما تابعان الآن لمملكة النمسا والمجر) فخاف البنادقة على مدينتهم الاصلية وأبرموا الصلح معه تاركين له مدينة كرويا التى كانت عاصمة اسكندربك الشهير فاحتلها السلطان ثم طلب منهم مدينة اشقودره (٣٣) ولما رفضوا التنازل عنها اليه حاصرها وأطلق عليها مدافعه ستة أسابيع متوالية بدون ان يضعف قوة سكانها وشجاعتهم فتركها الفرصة أخرى وفتح ما كان حولها للبنادقة من البلاد والقلاع حتى صارت مدينة اشقودره منفصلة بالكلية عن باقى بلاد البنادقة وكان لابد من فتحها بعد قليل لعدم امكان وصول المدد اليها ولذا فضل البنادقة أن يبرموا صلحا جديدا مع السلطان ويتنازلوا عن اشقودره فى مقابلة بعض امتيازات تجارية وتم الصلح بين الفريقين على ذلك وأمضيت بذلك معاهدة بينهما فى يوم ٢٦ يناير

(٣٣) مدينة قديمة يقال ان مؤسسها اسكندر المقدونى تبعت بلاد ألبانيا (الارنؤد) فملكها الصرب ثم استقلت مدة ثم امتلكها البنادقة مدة ثم العثمانيون ولم تزل تابعة لهم حتى الآن ويبلغ عدد سكانها خمسة وعشرين ألفا وهى عاصمة ولاية اشقودره

سنة ١٤٧٩ وكانت هذه أول خطوة خطتها الدولة العلية العثمانية للتداخل فى شؤون أوروبا اذ كانت جمهورية البنادقة حين ذاك أهم دول أوروبا لاسيما فى التجارة البحرية وما كان يعادلها فى ذلك الا جمهورية جنوا

وبعد ان تم الصلح مع البنادقة وجهت الجيوش الى بلاد المجر ففتح اقليم ترنسلفانيا فقهرها كينيس كونت مدينة تمسوار «٣٤» بالقرب من مدينة كرلسبرج فى ١٣ اكتوبر سنة ١٤٧٩ وقتل فى هذه الموقعة كثير من العثمانيين وارتكب المجر فظائع وحشية بعد الانتصار فقتلوا جميع الاسرى ونصبوا موائدهم على جثثهم وفى سنة ١٤٨٠ فتحت جزائر اليونان الواقعة بين بلاد اليونان وايطاليا وبعدها سار القائد البحرى كدك أحمد باشا براكبه لفتح مدينة اوترانت «٣٥» بايطاليا حيث كان عزم الملك أن يفتحها جميعها ويقال انه أقسم بان يربط حصانه فى كنيسة القديس بطرس بمدينة رومه مقر البابا ففتحت مدينة اوترانت عنوة فى يوم ١١ اغسطس سنة ١٤٨٠

﴿حصار جزيرة رودس﴾

وفى هذا الحين كانت أرسلت عمارة بحرية أخرى لفتح جزيرة رودس «٣٦» التى كانت مركز رهبنة القديس حنا الاورشليمى وكان رئيسها اذ ذاك بيير دوبوسون الفرنساوى الاصل وكانت الحرب قائمة بينه وبين سلطان مصر وباى تونس فاجتهد فى ابرام الصلح معهما ليتفرغ لصد هجمات الجيوش العثمانية وكانت هذه الجزيرة محصنة تحصينا منيعا

وابتدأ العثمانيون فى حصارها فى يوم ٢٣ مايو سنة ١٤٨٠ وظلت المدافع تقذف عليها القنابل الحجرية تهدم أسوارها لكن سكانها كانوا يصلحون فى الليل كل ما تخربه

«٣٤» مدينة ببلاد المجر شهيرة بحصانتها وقوتها امتلكها العثمانيون من سنة ١٥٥٢ الى سنة ١٧١٦ وفى سنة ١٦٦٤ أبرمت بها معاهدة بين العثمانيين وامبراطور النمسا وسيأتى ذكرها

«٣٥» مدينة قديمة بجنوب بلاد ايطاليا شهيرة باستخراج زيت الزيتون وسكانها قليلون ودخلتها العرب

«٣٦» جزيرة بالقرب من شاطئ آسيا الصغرى طيبة الهواء حسنة التربة كثيرة الفواكه والازهار يشتق اسمها من لفظة «رودون» اليونانية ومعناها الورد ولحسن مناخها واعتدال طقسها ينتقل اليها كثير من أمراء الآستانة ومصر للتنعم بعتدل هوائها خصوصا فى فصل الصيف فتحها السلطان سليمان الاول الغازى سنة ١٥٢٢ ولم تزل تابعة للدولة العلية وكان بها تمثال عظيم الجثة يقال ان ارتفاعه كان يبلغ ثلاثة وثلاثين مترا هدمته الزلازل فى القرن الثالث قبل المسيح

المدافع بالنهار ولذلك استمر حصارها ثلاثة أشهر طول العثمانيون فى خلالها الاستيلاء على أهم قلاعها واسمها قلعة القديس نيقولا بدون نتيجة وفى يوم ٢٨ يوليو سنة ١٤٨٠ أمر القائد العام بالهجوم على القلعة ودخولها من الفتحة التى فتحتها المدافع فى أسوارها فهجمت عليها الجيوش وقاومها الاعداء بكل بسالة واقدام وبعد أخذ ورد تقهقر العثمانيون بعد ان قتل وجرح منهم كثيرون ورفع الباقون عنها الحصار وفى يوم ٤ ربيع أول سنة ٨٨٦ هـ الموافق ٣ مايو من سنة ١٤٨١ م توفى أبو الفتح السلطان محمد الثانى الغازى عن ثلاث وخمسين سنة تمم فى خلالها مقاصد أجداده ففتح القسطنطينية وزاد عليها فتح مملكة طرابزون الرومية والصرب والبشناق وألبانيا (الارنؤد) وجميع أقاليم آسيا الصغرى ولم يبق فى بلاد البلقان الا مدينة بلغراد التابعة للمجر وبعض جزائر تابعة للبنادقة ودفن فى المدفن المخصوص الذى أنشأه فى احد الجوامع التى أسسها فى الآستانة

﴿ ترتيباته الداخلية ﴾

وكانت مهارة هذا السلطان فى الاعمال المدنية تعادل خبرته فى الاعمال الحربية فاليه ينسب ترتيب الحكومة على نظامات جديدة فسمى نفس الحكومة العثمانية بالباب العالى وجعل لها أربعة أركان وهى الوزير وقاضى عسكر والدفتردار (وتعادل اختصاصاته اختصاصات ناظر المالية الآن) والرابع يسمى نيشانجى (وهو عبارة عن كاتب سر السلطان) ثم بعد امتداد سلطة الدولة العلية فى جهة أوروبا جعل لها قاضى عسكر مخصوصا اسمه قاضى عسكر الروملى وقاضى عسكر آخر للاناطول وكان اختصاصهما التعيين فى وظائف القضاء ماعدا بعض وظائف خصوصية يختص بها الوزير الاكبر ثم رتب وظائف الجند فجعل للانكشارية رئيسا مخصوصا (اغا) وناط به اشغال الضبط والربط بمدينة القسطنطينية ورئيسا آخر للطوبجية وثالثا لما يختص بذخائر ومؤنة الجيوش وكذلك وضع ترتيبا لداخليته الخصوصية وأهم أعماله المدنية ترتيب وظائف القضاء من أكبر وظيفة وهى قضاء الروملى الى أقل وظيفة ووضع أول مبادئ القانون المدنى وقانون العقوبات فابدل العقوبات البدنية أى السن بالسن والعين بالعين وجعل عوضها الغرامات النقدية بكيفية واضحة أعمها

السلطان سليمان القانونى وسيأتى ذكره

ومن مآثره أيضا بناء عدة جوامع فى القسطنطينية وغيرها وله اليد البيضاء فى انشاء كثير من المكاتب الابتدائية والمدارس العالية مما يطول شرحه

٨ ﴿السلطان الغازى بايزيدخان الثانى وأخوه الامير جم﴾

وتوفى السلطان أبو الفتح محمد الثانى عن ولدين أكبرهما بايزيد وكان حاكما بأماسيا وثانيهما جم المشهور فى كتب الافرنج باسم البرنس (زيزيم) وكان حاكما فى القرمان فاخفى الصدر الاعظم قرمانى محمد باشا موت السلطان محمد حتى يأتى بكر أولاده بايزيد ولكنه لشدة ارتباطه ومودته بالاصغر أرسل اليه سرا يخبره بموت أبيه كى يحضر قبل أخيه الاكبر ويستلم مقاليد الدولة ولما أذيع هذا الخبر ثار الانكشارية على هذا الوزير وقتلوه وعثوا فى المدينة سلبا ونهبا وأقاموا ابن السلطان بايزيد واسمه (كركود) قائم مقام عام للدولة لحين حضور أبيه وذلك فى يوم ٥ ربيع أول سنة ٨٨٦ هـ (٤ مايو سنة ١٤٨١) وفى يوم ١٢ ربيع أول وصل الرسول الى بايزيد فسافر فى اليوم التالى بأربعة آلاف فارس ووصل القسطنطينية بعد مسير تسعة أيام مع ان المسافة تبلغ ١٦٠ فرسخا تقطع عادة فى نحو ١٥ يوما فقابله أمراء الدولة وأعيانها عند بوغاز البوسفور وفى أثناء اجتيازه البوغاز أحاط به عدة قوارب ملآى بالانكشارية وطلبوا منه عزل أحد الوزراء المدعو مصطفى باشا وتعيين اسحق باشا ضابط القسطنطينية مكانه فاجاب طلبهم وكذلك عند وصوله الى السراى الملوكية وجدهم مصطفين أمامه طالبين العفو عنهم فيما وقع منهم من قتل الوزير ونهب المدينة وان ينعم عليهم بمبلغ سرور ابتعيينه فاجابهم الى جميع مطالبهم وصارت هذه سنة لكل من تولى بعده الى ان أبطلها السلطان عبد الحميدخان الاول سنة ١٧٧٤ أما الرسول الذى كان أرسله الوزير محمد الى الامير جم فقبض عليه سنان باشا حاكم الاناطول وقتله حتى لا يصل خبر موت السلطان محمد اليه

وكان السلطان بايزيد الثانى ميالا للسلم أكثر منه الى الحرب محبا للعلوم الادبية مشتغلا بها ولذلك سماه بعض مؤرخى الترك بايزيد الصوفى لكن دعته سياسة الدولة

الى

الى ترك أشغاله السلمية المحضة والاشتغال بالحرب وكانت أول حروبه داخلية وذلك ان أخاه جما لما بلغه خبر موت أبيه سار على الفور مع من حاز به ولاذ به قاصدا مدينة بورصة فدخلها عنوة بعد ان هزم ألفي انكشارى لكن لم يلبث ان أتى اليه أخوه السلطان بايزيد وقهره بالقرب من مدينة (يكى شهر) في يوم عشرين يوليو سنة ١٤٨١ وتبعه حتى أوصله الى تخوم البلاد التابعة لمصر وفي عودته الى عاصمته طلب منه الانكشارية أن يبيح لهم نهب مدينة بورصة مجازاة لها على قبولها الامير جما فلم يوافقهم على ذلك وخوفا من حصول شغب منهم دفع الى كل نفر منهم قرشين

وفي السنة الثانية عاد جم من القاهرة الى حلب ومنها راسل قاسم بك آخر ذرية أمراء القرمان ووعده انه لو أنجده وساعده للحصول على ملك آل عثمان يرد له بلاد أجداده فاغتر قاسم بك بهذه الوعود وجمع أحزابه وسار مع الامير جم لمحاصرة مدينة قونية عاصمة بلاد القرمان سابقا فصدهم عنها القائد العثماني كدك أحمد باشا فاتح مدينتي كافا واوترنت وألزم الامير جما بالفرار

ثم حاول هذا الامير الصلح مع أخيه بشرط اقطاعه بعض ولايات ولما رفض السلطان هذا الطلب الذى لا يكون وراءه الا انقسام الدولة أرسل الامير جم رسولا من طرفه الى رئيس رهبنة القديس حنا الاورشليمي برودس يطلب منه مساعدته على أغراضه فقبلوه عندهم بالجزيرة حيث وصل اليها في ٢٣ يوليو سنة ١٤٨٢ وقابله أهلها بكل تجلة واحترام وبعد قليل وصلت الى الجزيرة وفود من السلطان بايزيد لمخابرة رئيس الرهبنة على ابقاء أخيه جم عندهم تحت الحفظ وفي مقابلة ذلك يتعهد لهم السلطان بعدم التعرض لاستقلال الجزيرة مدة حياته وبدفع مبلغا سنويا للرهبنة المذكورة قدره ٤٥ ألف دوكا فقبل رئيسهم ذلك وأوفوا بوعدهم ولم يقبلوا تسليمه الى ملك المجر أو امبراطور ألمانيا اللذين طلبا اطلاق سراحه ليستعملاه آلة في اضعاف الدولة العثمانية بل أرسله رئيس الرهبنة الى فرنسا ووضع تحت الحفظ أولا في مدينة نيس «٣٧» ثم في شمبرى وبقي ينتقل من بلدة

«٣٧» مدينة لطيفة في جنوب فرنسا على البحر الابيض المتوسط معتدلة الهواء يقصدها السياح في زمن الصيف من جميع جهات الدنيا للترويح النفوس والاجسام من عناء الاشغال كانت تابعة لايطاليا ثم فتحها الفرنساويون سنة ١٧٩٢ وفي سنة ١٨١٤ ردت لايطاليا وهي أعطتها لفرنسا ثانية مع مقاطعة السافوا في سنة ١٨٦٠ مكافأة لها على مساعدتها على محاربة النمسا والحصول على الاستقلال وتكوين الوحدة لايطاليا

لاخرى مدة سبع سنوات وفى سنة ١٤٨٩ سلمه رئيس الرهبنة الى البابا انوسان الثامن وهو خابر السلطان بايزيد طالبا ان يحفظه عنده وتدفع اليه الدولة ما كانت تدفعه الى رهبنة رودس فقبلت ثم مات هذا البابا وأخلفه اسكندر بورجا الشهير(٣٨) ويقال ان هذا البابا عرض على السلطان بايزيد انه يخلصه من أخيه وبعبارة أخرى يقتله لو دفع اليه ثلثمائة ألف دوكا

وفى أثناء هذه المخابرات أغار شارل الثامن ملك فرنسا على بلاد ايطاليا لتنفيذ مشروعه الوهمى وهو فتح مدينة القسطنطينية والوصول اليها عن طريق بلاد البنادقة فالبانيا ولذلك كان أرسل رسل الفتنة والفساد الى بلاد مقدونيا واليونان لاثارة الافكار ضد العثمانيين لكن خشى ملك نابولى وجمهورية البنادقة من تعاظم شأن الدولة الفرنساوية فوضعوا العراقيل أمامه وأرسلوا الى السلطان بايزيد يخبرانه بمشروع ملك فرنسا ودسائسه وطلبوا منه انه يرسل جيوشه الى بلاد ايطاليا وان يأخذ حذره فى داخليته

وفى هذا الاثناء حاصر ملك فرنسا مدينة رومه وطلب من البابا أن يسلمه الامير جما العثمانى فسلمه اليه ويقال انه دس له السم قبل تسليمه اليه ومافتئ هذا الامير مصاحبا الجيوش فرنسا حتى توفى يوم ١٤ فبراير سنة ١٤٩٥ الموافق ٢٩ جمادى الآخرة سنة ٩٠٠ فى مدينة نابولى ودفن فى بلدة (جايت) بايطاليا ثم نقلت جثته بعد ذلك بمدة الى البلاد العثمانية ودفن فى مدينة بورصة فى قبور أجداده وتوفى رحمه الله عن ٣٦ سنة قضى منها ١٣ فى هذه الحالة الشبيهة بالاسر خارجا عن بلاده

هذا وانأت على ذكر ما حصل فى مدة سلطنة بايزيد الثانى من الحروب بطريق الايجاز لعدم حصول فتوحات فى أيامه تقريبا فكانت أغلبها على التخوم لصد

---

(٣٨) هو اسكندر السادس ولد سنة ١٤٣١ باسبانيا وانتخب لرياسة المذهب الكاتوليكى سنة ١٤٩١ وخلف عدة أولاد أشهرهم فى التاريخ ابنه سيزار بورجيا وابنته لوكريس التى أنشأ (فكتور هوجو) الشاعر الفرنساوى الذائع الصيت رواية محزنة باسمها شرح فيها ما ارتكبته هى وأبوها من فظائع الامور وينسب لهذا البابا ارتكاب جميع الآثام والمحرمات وتوفى سنة ١٥٠٣ قيل انه سم نفسه غلطا بسم كان جهزه لاعدام أحد أعدائه

هجمات المتاخمين ومجازاتهم على ما يرتكبونه من السلب لكن فى سنة ١٤٨٧ كادت الحروب تنتشب بين العثمانيين وملوك مصر المتاخمة بلادهم عند اطنه وطرسوس فبعد مناوشات خفيفة بين الطرفين على الحدود توسط بينهما باى تونس لعدم حصول الحرب بين أميرين مسلمين فاتفقا على حل مرض للطرفين وساعد على ذلك حب السلطان بايزيد للسلم كما سبق الذكر وكان ذلك فى سنة ١٤٩١ وفى السنين التالية حصلت عدة وقائع ذات شأن لم تحصل منها للدولة نتائج تذكر اذ لم تفتح مدينة بلغراد التى كانت مطمح أنظار الدولة بقاءها كنقطة سوداء على شاطئ نهر الدانوب الايمن الفاصل بين أملاك الدولة والمجر

﴿ابتداء العلاقات مع دول أوروبا﴾

وفى عهد هذا السلطان ابتدأت علاقات الدولة العلية مع مملكة الروس وذلك انه بعد تفرق مملكة الروس الاولى عقب اغارة المغول على بلادهم وتسلطهم عليها مدة استخلصها ايوان الثالث وكان يلقب (دوق موسكو) «٣٩» وأعاد لها بعض مجدها السابق فى سنة ١٤٨١ م وابتدأت العلاقات بينها وبين الدولة فى سنة ١٤٩٢ حيث وصل الى القسطنطينية أول سفير روسى ومعه جملة هدايا للسلطان وبعد ذلك باربع سنوات أتى اليها سفير آخر واستحصل من الدولة على بعض امتيازات لتجار الروس

وكذلك ابتدأت فى عهده المواصلات الحبية مع مملكة (بولونيا) «٤٠» فعقدت

«٣٩» موسكو مدينة عظيمة فى وسط بلاد الروسيا كانت عاصمة لها الى ان نقل بطرس الاكبر تخت الحكومة الى مدينة سان بطرسبورج التى أسسها على خليج فنلاندا الخارج من بحر بلطيق سنة ١٧٠٣ وبقربها انتصر نابوليون الاول امبراطور فرنسا على الروسيا سنة ١٨١٢ فدخلها بعد ان أحرقوها عن آخرها حتى لا يمكن العدو المكث بها ولذلك اضطر نابوليون الى العودة الى بلاده وفى هذا التقهقر هلك أغلب جيشه مما هو مشهور ومسطور

«٤٠» وتسمى فى كتب الترك «لهستان» كانت مملكة قوية يبلغ عدد سكانها خمسة عشر مليونا من النفوس وتختها مدينة وارسوفيا وكانت حكومتها ملوكية مقيدة منتخبة أى ان الملك يعين بالانتخاب ويكون انتخابه من أمراء الاجانب واستمرت محترمة الى سنة ١٧٧٣ حيث اتفقت الروسيا والنمسا والبروسيا على تجزئتها واقتسموا أغلب بلادها غير تاركين الاجزأ قليلا وفى سنة ١٧٩٣ قسم أغلب ما بقى منها بين النمسا والروسيا وفى سنة ١٧٩٥ قسمت ما بقى منها وأعدمت هذه المملكة من الوجود ثم لما قامت دولة نابوليون الاول جمع منها نحو خمسها وسماها غراندوقية وارسوفيا وفى سنة ١٨١٥ جزئت هذه الغراندوقية بين البروسيا والروسيا لكن حفظت الروسيا لما أخذته استقلاله الادارى وفى سنة ١٨٣٠ ثار البولونيون طلبا للاستقلال السياسى فحاربتهم الروسيا مدة عشرة أشهر وانتصرت عليهم وسلبت منهم جميع امتيازاتهم ولم يزالوا حتى الآن يسعون وراء الاستقلال بهمة لا تقعدها الصعوبات ولا تضعفها الاضطهادات

معاهدة بين المملكتين فى سنة ١٤٩٠ وتجددت فى سنة ١٤٩٢ لكن لم يلبث هذا الوفاق ان تكدر صفاؤه بسبب ادعاء كل من الدولتين حق السيادة على بلاد البغدان واغارة ملك بولونيا عليها فالتزم العثمانيون بطرد المجر منها والاغارة على حدود بولونيا بمساعدة أمير بغدان نفسه الذى قبل حماية الباب العالى عليها

وكذلك ابتدئت المخابرات بين الدولة العلية فى ذلك الحين وبين البابا اسكندر السادس (بورجه) وملك نابولى ودوك ميلانو وجمهورية فلورنسا «٤١» فكان كل منهم يجتهد فى محالفة الدولة العلية والاستعانة بجنودها البرية ومراكبها البحرية لمحاربة من عاداه وفى قطع علائق الاتحاد بينها وبين من خالفه وبتلك المساعى تمكن الايطاليون من ايجاد النفرة بين الدولة وبين جمهورية البنادقة حتى تسبب عنها حرب عوان بينهما فارسل السلطان جيوشه من البر والبحر لفتح مدينة ليبنته من بلاد اليونان وكانت تابعة للبنادقة ففتحت بكل سهولة عقب انتصار العمارة العثمانية على مراكب البنادقة التى اعترضتها عند مدخل الخليج المسمى باسم هذه المدينة وفى الوقت نفسه أغاروا بلاد البشناق على اقليم فريول ثم اجتاز نهر ايزونطو ووصلت طلائعه الى أرباض مدينة فينسيا وأوقف القتال بسبب اشتداد البرد وفى السنة التالية احتل العثمانيون ثغور مودون وكورون وناورين «٤٢» من بلاد اليونان وكانت من أملاك البنادقة فى هذه البحار

فخافت جمهورية البندقية من تقدم الاتراك الى مركز حكومتها وضياع استقلالها واستغاثت بممالك أوروبا المسيحية فانجدها البابا وملك فرنسا ببعض مراكب حربية وساعدوها على محاصرة جزيرة ميدللى لاشغال الدولة عن بلادها فلم تنجح بل فتح العثمانيون مدينة (رودتسو) الواقعة على بحر الادرياتيك ولولا عصيان أولاد السلطان عليه ببلاد الاناطول كما سيجئ لفتحت باقى بلاد البنادقة لكن اضطرت

«٤١» مدينة بايطاليا من أجل مدن الدنيا وبها كثير من العمارات الشائقة والتماثيل المفتخرة والتحف والصور الجميلة والمتنزهات العمومية كانت فى القرون الوسطى جمهورية مستقلة ثم امتلكتها عائلة «مديسى» الشهيرة وأخيرا صارت عاصمة لمملكة ايطاليا بعد انتصار الفرنساويين والايطاليين على النمساسنة ١٨٥٩ الى ان انتقلت الحكومة الى مدينة رومه سنة ١٨٧٠ أثناء حرب فرنسا والروسيا

«٤٢» مينا بحرية فى بلاد اليونان شهيرة بتعدى مراكب فرنسا وانكلترا والروسيا معا على الدونانمة التركية والمصرية وحرقها عن آخرها سنة ١٨٢٧ بدون اعلان حرب مساعدة لليونان كما سيجئ

احوال

أمن المملكة الداخليـة السلطان الى ابرام الصلح مع محاربيه باورو باوهـم المجر وبنادقة فتم الصلح بينه وبين الجمهورية سـنة ١٥٠٢ وفى السـنة التالية تم الصلح كذلك مع ملك المجر

﴿عصيان أولاد السلطان عليه وتنازله عن الملك لابنه سليم﴾

ولقد تكدر صفاء حياة الملك فى سنى حكمه الاخيرة بعصيان أولاده عليه واضرامهم نار الحروب الداخليـة التى لولا ماوقع فى قلوب أعـدائها من الرعب لكانت هـذه الحروب العائلية فرصـة عظيمة وذلك ان السلطان بايزيد الثانى كان له ثمـانية أولاد ذكور توفى منهم خمسـة فى صغرهم وبقى ثلاثة وهم كركود وأحمد وسليم وكان أولهم مشتغلا بالعلوم والآداب ومجالسة العلمـاء ولذا كان يمقته الجيش لعدم ميله للحرب والثانى كان محبوبا لدى الاعيان والامراء وعلى باشـا أكبر الوزراء مخاصاله وثالثهـم محبا للحرب ومحبوبا لدى الجند عموما والانكشارية خصوصا

ولاختلافهم فى المشارب والآراء خشى والدهم وقوع الشقاق بينهم ففرق بينهم وعين كركود واليا على احدى الولايات البعيدة وأحمد على اماسـيا وسليما على طرابزون وعين أيضا سليمـان ابن ابنه سليم واليا على كافا من بلاد القرم فلم يرض سليم بهذا التعيين بل ترك مقر وظيفته وسافر الى كافا ومنها أرسل الى أبيه يطلب منه تعيينه فى احدى ولايات أورو با فلم يقبـل السلطان بل أصر على بقائه بطرابزون فعصى سـليم والده جهارا وسار بجيش جمعـه من قبائل التـتر الى بلاد الروملى وأرسـل والده جيشا لارهابه ولمـا وجد من ابنه التصميم على المحاربة قبل تعيينه بأوروبا حقنا للدماء عينه واليا على مدينتى سمندرية وودين ﴿٤٣﴾ سنة ١٥١١

ولمـا وصـل خبر نجاح سليم فى مقاومته انتقل كركود الى ولاية صاروخان واستلم ادارتها بدون أمر أبيه ليكون قريبا من القسطنطينية عند الحاجة

﴿٤٣﴾ مدينـة حصينة ببلاد البلغار على نهر الدانوب على جانب عظيم من الاهمية الحربية تبعد ٢٢٥ كيـلومترعن بلغراد سكانها خمسون ألفا شهيرة بعصـيان ما كمها ﴿بازوان اوغلى﴾ سـنة ١٧٩٨ واستقلاله بها وهى الآن داخلة ضمن حدود مملكة الصرب بمقتضى معاهدة برلين الاخـيرة المبرمة سنة ١٨٧٨

ثم سار سليم الى ادرنه وأعلن انه سلطان عليها فأرسل والده اليه من هزمه وألجأه الى الفرار ببلاد القرم وأرسل جيشا آخر لمحاربة كركود بآسيا فهزمه أيضا لكن التزم السلطان بايزيد بالعفو عن ابنه سليم بناء على الحاح الانكشارية لتعلقهم به واعادته الى ولاية سمندرية وفى أثناء توجه سليم اليها قابله الانكشارية وأتوا به الى القسطنطينية باحتفال زائد وساروا به الى سراى السلطان وطلبوا منه التنازل عن الملك لولده المذكور فقبل وكان ذلك فى يوم ٨ صفر سنة ٩١٨ الموافق ٢٥ ابريل سنة ١٥١٢ وبعد ذلك بعشرين يوما سافر للاقامة ببلدة ديموتيقا فتوفى فى الطريق يوم ١٠ ربيع أول سنة ٩١٨ الموافق ٢٦ مايو سنة ١٥١٢ وكان عمره ٦٧ سنة ويدعى بعض المؤرخين ان ولده دس اليه السم خوفا من رجوعه الى منصة الملك كما فعل السلطان مراد الثانى الذى سبق ذكره

ولم تزد أملاك الدولة العلية فى زمن السلطان بايزيد الثانى الا قليلا لحبه السلم وحقن الدماء فكانت حروبه الخارجية اضطرارية للمدافعة عند الحدود حتى لا يستخف بها أعداؤها وكان سلمى الطباع كارها للقتل وكان أشهر وزرائه داود باشا الذى تولى الوزارة بعد كدك أحمد ومكث بها أربع عشرة سنة واستقال منها باختياره سنة ١٤٩٧ وقضى باقى عمره فى عمل الخيرات والمبرات

٩ ﴿السلطان سليم الاول الغازى الملقب بياوز اى القاطع﴾

لما كان تعيينه بمساعى الانكشارية يقتضى توزيع المكافآت عليهم حسب المعتاد فاعطى لكل نفر منهم خمسين دوكا ثم عين ابنه سليمان حاكما للقسطنطينية وسافر بجيوشه الى بلاد آسيا لمحاربة اخوته وأولاد اخوته حتى يهدأ باله بداخليته ولم يبق له منازع فى الملك فاقتفى أثر أخيه أحمد الى انقره ولم يتمكن من القبض عليه لوجود علاقات بينه وبين الوزير مصطفى باشا الذى كان يخبره بمقاصد السلطان لكن علم السلطان بهذه الخيانة فقتله شر قتلة جزاء له وعبرة لغيره ثم ذهب الى بورصة حيث قبض على خمسة من أولاد اخوته وأمر بقتلهم وبعدها توجه بكل سرعة الى صاروخان مقر أخيه كركود ففر منه الى الجبال وبعد البحث عليه عدة أسابيع

قبض عليه وقتل

أما أحمد فجمع جيشا من محازبيه وقاتل العسكر العثمانية فانهزم وقتل بالقرب من مدينة يكي شهر في يوم ٢٤ ابريل سنة ١٥١٣

ولما اطمأن خاطره من جهة داخليته عاد الى مدينة ادرنه حيث كان بانتظاره سفراء من قبل البندقية والمجر والموسكو وسلطنة مصر فابرم مع جميعهم هدنة لمدة طويلة بما ان مطامعه كانت متجهة الى بلاد الفرس التي كانت أخذت في النمو والارتقاء في عصر ملكها شاه اسمعيل الشيعي «٤٤» فانه فتح ولاية شروان وجعل مركزه في مدينة تبريز سنة ١٥٠١ وبعدها فتح العراق العربي وبلاد خراسان وديار بكر سنة ١٥٠٨ وأرسل أحد قواده فاحتل مدينة بغداد وفي سنة ١٥١٠ ضم الى أملاكه بلاد فارستان واذربيجان وبذلك امتدت ممالكه من الخليج الفارسي الى بحر الخزر ومن منابع الفرات الى ماوراء النهر اموداريا

﴿محاربة العجم ودخول العثمانيين مدينة تبريز﴾

لما عصى السلطان سليم واخوته والدهم السلطان بايزيد الثاني ساعد الشاه اسمعيل الامير أحمد على والده ثم على أخيه من بعده وقبل من فر من أولاده عنده وزيادة على ذلك أرسل وفدا الى سلطان مصر يطلب منه التحالف لايقاف سير الدولة العثمانية مبينا له انه ان لم يتفقا حاربت الدولة كلا منهما على حدته وقهرته وسلبت أملاكه ولايجاد سبب للحرب أمر السلطان سليم بحصر عدد الشيعة المنتشرين في الولايات المتاخمة لبلاد العجم بطريقة سرية ثم أمر بقتلهم جميعا فقتلوا ويقال ان عددهم كان يبلغ نحو الاربعين ألفا وهذه الذبحة كالذبحة التي حصلت بباريس في سبتمبر سنة ١٥٧٢ المشهورة في التواريخ بذبحة

«٤٤» هو اسمعيل ابن الشيخ حيدر وينتهي نسبه الى الشيخ صفي الدين بن جبرائيل العلوي الحسني واسمعيل هذا هو مؤسس الدولة الصفوية الفارسية وكان أبوه حيدر قد حارب صاحب شروان فانهزم وقتل صاحب شروان أولاده الا اسمعيل وأخاه بار علي فاستمر اسمعيل مختفيا عند الامراء المحازبين لابيه حتى اجتمع لنجدته كثير فظهر وحارب صاحب شروان وقتله واستمر في فتوحاته حتى هزمه السلطان ياوز سليم الغازي وتوفي اسمعيل شاه الصفوي سنة ٩٣٠ هجرية عن ٣٨ سنة وأربعة شهور وملك أربعا وعشرين سنة

سان برتلمي «٤٥»

وبعد ذلك أعلن السلطان سليم الشاه اسمعيل بالحرب وسافر بجيوشه من مدينة ادرنه في ٢٢ محرم سنة ٩٣٠ (١٩ مارس سنة ١٥١٤) وفي أثناء مسيره تبادل مع الشاه اسمعيل رسائل مفعمة بالسباب وسار الجيش العثماني تحت قيادة السلطان سليم نفسه كما جرت به العادة قاصدا مدينة تبريز عاصمة العجم وكانت الجيوش الفارسية تتقهقر أمامه خدعة منهم لينهك التعب الجيوش العثمانية فينقضوا عليهم واستمروا في تقهقرهم الى أرباض تبريز فوقع القتال بين الجيشين في وادي جالدران في ٢ رجب سنة ٩٣٠ الموافق ٢٤ اغسطس سنة ١٥١٤ فانتصرت الجيوش العثمانية نصرا مبينا بمساعدة الطوبجية لها وفر الشاه بما بقي من جيوشه ووقع كثير من قواده في الاسر وأسرت أيضا احدى زوجاته ولم يقبل السلطان ان يردها الى زوجها بل زوجها لاحد كاتبي يده انتقاما من الشاه وفتحت المدينة أبوابها ودخلها السلطان منصورا في يوم ١٤ رجب سنة ٩٣٠ الموافق ٤ سبتمبر سنة ١٥١٤ واستولى على خزائن الشاه وأرسلها الى القسطنطينية وكذلك أرسل اليها أربعين شخصا من أمهر صناع هذه المدينة الامر الذي يدل على عدم اغفاله تقدم الصنائع أثناء اشتغاله بالحروب وبعد ان استراح ثمانية أيام قام بجيوشه وأخلى مدينة تبريز لعدم وجود المؤنة الكافية لجيوشه بها مقتفيا أثر الشاه اسمعيل حتى وصل الى شاطئ نهر (الرس) وعندها امتنع الانكشارية عن التقدم لاشتداد البرد وعدم وجود الملابس والمؤنة اللازمة لهم فقفل راجعا الى مدينة اماسيا باسيا الصغرى للاستراحة زمن الشتاء والاستعداد للحرب في أوائل الربيع ومر في عودته من بلاد أرمينيا لكنه لم يفتحها لعدم وجود الوقت الكافي لذلك

وعندما أقبل الربيع بنضارته رجع السلطان الى بلاد العجم ففتح قلعة كوماش

«٤٥» هي مذبحة البروتستانت بجميع أنحاء فرنسا ذبحهم الكاثوليك بامر ملك فرنسا شارل التاسع بناء على ايعاز والدته كاترين دي مديسي في يوم ٢٤ أغسطس سنة ١٥٧٢ واختلف في عدد من قتل في هذا اليوم فأبلغه بعضهم الى ٦٠ ألفا منهم كثير من الاشراف والاميرال كوليني الشهير وغيره ويقال ان بعض الحكام امتنع عن تنفيذ هذا الامر فاستحقوا السخط والعقوبة من الملك وحفظ التاريخ أسماءهم محفوفة بكل تكريم وتبجيل

الشهيرة

الشهيرة وامارة ذي القدر سنة ١٥١٥ ثم رجع الى القسطنطينية تاركا قواده لاتمام فتح الولايات الفارسية الشرقية والموصل اليها أمر بقتل عدد عظيم من ضباط الانكشارية الذين كانوا سبب الامتناع عن التقدم في بلاد فارس كما سبق الذكر خشية من امتداد الفساد وعدم الاطاعة في الجيوش وأمر بقتل قاضي عسكر هذه الفئة واسمه جعفر چلبي لانه كان من أكبر المحركين لهذا الامتناع وخوفا من حصول مثل ذلك في المستقبل جعل لنفسه حق تعيين قائدهم العام ولو لم يكن منهم ليكون له بذلك السيطرة عليهم وكان النظام السابق يقضي بتعيينه من أقدم ضباط الانكشارية

وبعد عودة السلطان الى القسطنطينية فتحت الجيوش العثمانية مدائن مردين واورفه والرقة والموصل وبذا تم فتح اقليم ديار بكر وأطاعت كافة قبائل الكرد بدون كثير عناء بشرط بقائهم تحت حكم رؤساء قبائلهم

﴿فتح مصر ودخولها ضمن الممالك المحروسة﴾

لم ينته السلطان سليم من محاربة الشيعة وفتح بلاد ديار بكر والموصل حتى أخذ في الاستعداد لفتح سلطنة مصر لان سلطانها قانصوه الغوري «٤٦» كان تحالف مع الشاه اسمعيل لمحاربة الدولة العلية ولما علم سلطان مصر بتأهب سلطان آل عثمان لمحاربته أرسل اليه رسولا يعرض عليه أن يتوسط بينه وبين العجم لابرام الصلح فلم يقبل بل طرد السفير بعد ان أهانه وسار بجيشه الى بلاد الشام قاصدا وادي النيل وكان قانصوه الغوري استعد أيضا لمحاربته فتقابل الجيشان بقرب حلب الشهباء في واد يقال له مرج دابق وهزم الغوري بسبب وقوع الخلاف بين فرق جيشه المؤلف من المماليك وساعدت المدافع العثمانيين على النصر وقتل الغوري في أثناء

«٤٦» هو الملك الاشرف أبو النصر سيف الدين قانصوه الغوري الظاهري الاشرفي أصله من مماليك الاشرف الظاهر خشقدم ثم انتقل الى الاشرف قايتباي بويع له بالملك سنة ٩٠٦ هجرية ومن آثاره انه بنى سور مدينة جدة ودائر الحجر الاسود وبعض أروقة المسجد الحرام وباب ابراهيم وعدة مآذن وآبار في طريق الحج المصري ومجرى الماء من مصر العتيقة الى قلعة الجبل وعمر بعض ابراج الاسكندرية

انهزام الجيش ومنه ثمانون سنة وكان ذلك فى يوم ٢٦ رجب سنة ٩٢٢ الموافق ٢٤ اغسطس سنة ١٥١٦

وبعد هذه الموقعة احتل السلطان سليم بكل سهولة مدائن حماه وحمص ودمشق وعين بها ولاة من طرفه وقابل من بها من العلماء فاحسن وفادتهم وفرق الانعامات على المساجد وأمر بترميم الجامع الاموى بدمشق ولما صلى السلطان الجمعة به أضاف الخطيب عند ما دعا له بهذه العبارة (خادم الحرمين الشريفين) وهى مستعملة فى الخطبة الى الآن

هذا ولما وصل خبر موت السلطان الغورى الى مصر انتخب المماليك طومان باى خلفا له وأرسل اليه السلطان سليم يعرض عليه الصلح بشرط اعترافه بسيادة الباب العالى على القطر المصرى فلم يقبل بل استعد لملاقاة الجيوش العثمانية عند الحدود فالتقت مقدمتا الجيشين عند حدود بلاد الشام وهزمت مقدمة المماليك واحتل العثمانيون مدينة غزة على طريق مصر وساروا نحو القاهرة حتى وصلوا بالقرب منها وعسكر السلطان بجيشه فى أواخر ذى الحجة سنة ٩٢٢ بالخانقاه المعروفة بالخانكة وفى ٢٩ ذى الحجة سنة ٩٢٢ الموافق ٢٢ يناير سنة ١٥١٧ انتشب القتال بين الطرفين بجهة العادلى (جهة الوايلى) وفى أثناء القتال قصد طومان باى وبعض الشجعان مركز السلطان سليم وقتلوا من حوله وأسروا وزيره سينان بك وقتله طومان باى بيده ظنا منه انه هو السلطان سليم بنفسه ولم تنفع شجاعتهم شيأ بل تغلب عليهم بمدافعه ومدافعهم التى استولى عليها وقت الحرب

وبعد ذلك بثمانية أيام أى فى يوم ٨ محرم سنة ٩٢٣ دخل العثمانيون مدينة القاهرة رغما عن مقاومة المماليك الذين حاربوهم من شارع لآخر ومن منزل الى آخر حتى قتل منهم ومن أهالى البلد ما يبلغ خمسين ألف نسمة

أما طومان باى فالتجأ ومن بقى معه الى بر الجيزة وصار يناوش العثمانيين ويقتل كل من يأسره منهم لكنه لم يلبث ان وقع فى أيدى العثمانيين بخيانة بعض من معه وشنق بأمر السلطان سليم فى ١٣ ابريل سنة ١٥١٧ الموافق ٢١ ربيع أول سنة ٩٢٣ بباب زويلة ودفن بالقبر الذى كان أعده السلطان الغورى لنفسه

وبعد

وبعد ان مكث السلطان سليم بالقاهرة نحو شهر أقام في منيل الروضة وأخذ في زيارة جوامع المدينة وكل مابها من الآثار ووزع على أعيان المدينة العطايا والخلع السنية وحضر الاحتفال الذى يحصل بمصر سنويا بفتح الخليج الناصرى عند بلوغ النيل الدرجة الكافية لرى الاراضى المصرية ثم حضر احتفال سفر المحمل الشريف وقافلة الحجاج التى ترسل معها الكسوة الشريفة الى الاراضى الحجازية وأرسل الصرة المعتاد ارسالها الى الحرمين الشريفين بقصد توزيعها على الفقراء من عهد السلطان محمد جابى العثمانى وأبلغها الى ثمانية وعشرين ألف دوكا

ومما جعل لفتح وادى النيل أهمية تاريخية عظمى ان آخر ذرية الدولة العباسية الذى حضر أجداده لمصر بعد سقوط مدينة بغداد مقر خلافة بنى العباس فى قبضة هولاكو خان التترى سنة ٦٥٦ ﻫ الموافقة سنة ١٠٩١ م وكانت له الخلافة بمصر اسما تنازل عن حقه فى الخلافة الاسلامية الى السلطان سليم العثمانى وسلمه الآثار النبوية الشريفة وهى البيرق والسيف والبردة وسلمه أيضا مفاتيح الحرمين الشريفين ومن ذلك التاريخ صار كل سلطان عثمانى أمير المؤمنين وخليفة لرسول رب العالمين اسما وفعلا

هذا وقد جاء بالجزء السابع من الخطط الجديدة التوفيقية لصاحب السعادة على باشا مبارك بخصوص ما أجراه السلطان سليم الغازى من الترتيبات بمصر ما يأتى

لما أخذ مصر ورأى غالب حكامها من المماليك الذين ورثوها عن ساداتهم ورأى ان بعد الولاية عن مركز الدولة ربما أوجب خروج حاكمها عن الطاعة وتطلبه الاستقلال جعل حكومة مصر منقسمة الى ثلاثة أقسام وجعل فى كل قسم رئيسا وجعلهم جميعا منقادين لكلمة واحدة هى كلمة وزير الديوان الكبير وجعله مركبا من الباشا الوالى من قبله ومن بيكوات السبع وجاقات وجعل للباشا مزية توصيل أوامر السلطان الى المجلس وحفظ البلاد وتوصيل الخراج الى القسطنطينية ومنع كل من الاعضاء عن العلو على صاحبه وجعل لاعضاء المجلس مزية نقض أوامر الباشا باسباب تبدو لهم وعزله ان رأوا ذلك والتصديق على جميع الاوامر التى تصدر منه فى الامور الداخلية وجعل حكام المديريات الاربع والعشرين من المماليك

وخصوهم بجزية جمع الخراج من البلاد ودفع العربان وصدهم عنها والمحافظة على ماقى داخلها وكل ذلك بأوامر تصدر لهم من المجلس وجردهم عن التصرف من أنفسهم ولقب أحدهم المقيم بالقاهرة بشيخ البلد ثم رتب الخراج وقسمه أقساما ثلاثة وجعل من القسم الاول ماهية عشرين ألف عسكرى بالقطر من المشاة واثنى عشر ألفا من الخيالة والقسم الثانى يرسل الى المدينة المنورة ومكة المشرفة والقسم الثالث يرسل الى خزانة الباب العالى ولم يلتفت الى راحة الاهالى بل تركها عرضة للضاركما كانت ومن هذا الترتيب تمكنت الدولة العلية من ابقاء الديار المصرية تحت تصرفها نحو مائتى سنة ثم أهملت بعد ذلك القوانين التى وضعها السلطان سليم من حين استيلائه عليها وكانت هى الاساس ولم تلتفت الدولة لما كان يحصل من المماليك من الامور المخلة بالنظام فضعفت شوكة الدولة وهيبتها التى كانت لها على مصر وأخذت البيكوات تكثر من المماليك وتتقوى بها حتى فاقت بقوتها الدولة العثمانية فى الديار المصرية فآل الامر والنهى لهم فى الحكومة وصارت حكومة الدولة صورية غير حقيقية وسبب ذلك اكثارهم من شراء المماليك ولو كانت الدولة العلية تنبهت لهذا الامر ومنعت بيع الرقيق لكانت الامور باقية على ماوضعها السلطان سليم ولكن غفلت عن هذا الامر كما غفلت عن أمور كثيرة ومن ذلك لحق الاهالى الذل والاهانة وهاجر كثير منهم الى الديار الشامية والحجازية وغيرهما وخربت البلاد وتعطلت الزراعة من قلة المزارعين وعدم الاعتناء بتطهير الجداول والخلجان الذى عليه مدار الخصب ونتج من ذلك ومن خوف الدولة العلية من تمكن الباشا فى الحكومة أن تغلبت البيكوات وصارت كلمتهم هى النافذة وانفردوا بالتصرف اهـ

وفى ١٧ رجب سنة ٩٢٣ الموافق أوائل شهر سبتمبر سنة ١٥١٧ سافر السلطان سليم من القاهرة عائدا الى القسطنطينية التى صارت من ذلك الوقت مقر الخلافة الاسلامية العظمى وكان سفره عن طريق بلاد الشام مستصحبا معه آخر بنى العباس وعين خيربك واليا على مصر وهو أحد أمراء المماليك الذين خانوا طومان باى وانضموا اليه وترك بالقاهرة حامية كافية لحفظ الأمن تحت قيادة خير الدين أغا الانكشارى وفى أثناء مروره بصحراء العريش التفت لوزيره الاكبر

يونس باشا الذى كان فتح مصر على غير رأيه وقال له ما معناه انه قد أتم فتحها خلافا لرأيه فجاوبه يونس باشا بان فتحها لم يعد عليه بشئ الا قتل نحو نصف الجيش بما انه سلمها لخائن كان غرضه التملك عليها لنفسه فلا يؤمن ولاؤه للدولة فغضب السلطان من هذا الكلام الموجه اليه بصفة لوم وأمر بقتله فى الحال فقتل وكان ذلك فى ٦ رمضان سنة ٩٢٣ وعين مكانه پير محمد باشا الذى كان معينا قائم مقام السلطان فى القسطنطينية أثناء تغيبه فى فتح مصر لثقته به بناء على ما أظهره من اصالة الرأى فى محاربة الشاه اسمعيل

وفى ٣٠ رمضان سنة ٩٢٣ وصل السلطان الى مدينة دمشق ومكث بها الى ٢٢ صفر سنة ٩٢٤ ثم سافر الى مدينة حلب بعد ان حضر الاحتفال باقامة الصلاة أول مرة فى الجامع الذى أقامه بدمشق على قبر محيى الدين بن العربى فى ٢٤ محرم سنة ٩٢٤ وبعد ان أقام بحلب مدة شهرين سافر قاصدا عاصمة ملكه فوصلها فى ١٧ رجب سنة ٩٢٤ الموافق ٢٥ يوليه سنة ١٥١٨ ثم ارتحل عنها الى مدينة ادرنه بعد عشرة أيام قضاها فى الاستراحة من أتعاب السفر وكان ولده سليمان معينا ما كما لها مدة غياب والده وبعد وصول أبيه بتسعة أيام استأذنه الامير سليمان فى السفر الى ولاية صاروخان المعين واليا عليها

وفى أثناء اقامة السلطان بمدينة ادرنه وصل اليه سفير من قبل مملكة اسبانيا يخابره بشأن حرية زيارة المسيحيين للقدس الشريف الذى كان قبلا تابعا للسلطنة مصر وتبعها فى دخولها تحت ظل الدولة العلية فى مقابلة دفع المبلغ الذى كان يدفع سنويا للمماليك فاحسن السلطان مقابلته وصرح بقبوله ذلك اذا أرسل ملكه رسولا آخر مخولا له حق ابرام معاهدة مع الباب العالى وكذلك أتى اليه فيها سفير من قبل جمهورية البندقية ليدفع له خراج سنتين متأخر الخراج المقرر عليها نظير بقائها فى جزيرة قبرص

وكان فى هذه المدة مشتغلا بتجهيز عمارة بحرية لمعاودة الكرة على جزيرة رودس بحرا وكان يستعد أيضا لمحاربة شاه العجم ثانيا فجمع خمسة عشر ألف فارس بمدينة قيصرية وضم اليهم ثلاثين ألف جندى من المشاة تحت قيادة فرحات باشا بيلربك

الاناطول وأرسل اليهم عددا عظيم من المدافع والذخائر لكن لم يمهله المنون ريثما يتم مشروع فتح بجزيرة رودس بل عاجله في رحلته من القسطنطينية الى ادرنه فتوفي يوم ٨ شوال سنة ٩٢٦ الموافق ٢٢ سبتمبر سنة ١٥٢٠ في السنة التاسعة من حكمه والرابعة والخمسين من عمره

وأخفى طبيبه الخصوصي خبر موته عن الحاشية ولم يبلغه الا للوزراء فاجتمع كل من پير محمد باشا وأحمد باشا ومصطفى باشا وقرروا اخفاء هذا الامر حتى يحضر ولده سليمان من اقليم صاروخان خوفا من أن تثور الانكشارية كما هي عادتهم

فكانت مدة حكمه كمدة حكم جده محمد الفاتح أيام فتوحات خارجية وتنظيمات داخلية الا انه كان ميالا لسفك الدماء فقتل سبعة من وزرائه لاسباب واهية وكان كل وزير مهددا بالقتل لاقل هفوة حتى صار يدعى على من يرام موته بان يصبح وزيرا له وبنى كثيرا من الجوامع وحول أجمل كنائس القسطنطينية الى مساجد مع سبق الوعد من السلطان محمد الثاني الفاتح لبطريرق الروم بعدم مس نصف الكنائس الثاني الذي تركه لهم بعد فتح المدينة كما مر

١٠ ﴿السلطان الغازي سليمان الاول القانوني﴾

ولد هذا الملك الذي بلغت الدولة العلية في مدته أعلى درجات الكمال سنة ٩٠٠ هجرية الموافقة ١٤٩٤ م وهو عاشر ملوك آل عثمان ولو عده بعض المؤرخين حادي عشرهم باعتباري سليمان الذي نازع أخاه محمد چلبي الملك سلطانا فذلك خطأ لانه لم يحكم بصفة قانونية ولذلك أجمع المؤرخون على تسمية السلطان سليمان بالاول واعتباره عاشر ملوك هذه الدولة وهو الاصح

وبمجرد وصول خبر موت أبيه اليه قام قاصدا القسطنطينية ودخلها في يوم ١٦ شوال سنة ٩٢٦ الموافق ٣٠ سبتمبر سنة ١٥٢٠ وكان بانتظاره على افريز السراى جنود الانكشارية فقابلوه بالتهليل وطلب الهدايا المعتاد توزيعها عليهم عند تولية كل ملك وبعد ظهر ذلك اليوم حضر پير محمد باشا من ادرنه وأخبر عن وصول جثة المرحوم السلطان سليم في اليوم التالي

وفي

وفي صبيحة ١٧ شوال جرت رسوم المقابلات السلطانية فوفد الامراء والوزراء والاعيان يعزون السلطان بموت والده ويهنؤنه بالخلافة في آن واحد وهو يقابلهم بملابس الحداد وعند الظهر وصل اليه خبر قدوم الجثة فخرج لمقابلة النعش خارج المدينة وسار في الجنازة حتى واروها التراب على أحد مرتفعات المدينة حيث أمر ببناء جامع شاهق وهو جامع سليمية ومدرسة في المحل الذي دفن فيه

وكانت باكورة أعماله بعد توزيع النقود على الانكشارية تعيين مربيه قاسم باشا مستشاراً خاصاً وابلاغ توليته على عرش الخلافة العظمى الى كافة الولاة وأشراف مكة والمدينة بخطابات مفعمة بالنصائح والآيات القرآنية المبينة فضل العدل والقسط في الاحكام ووخامة عاقبة الظلم وكان يستهل خطاباته بالآية الشريفة (انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم)

ولما وصل خبر توليته الى حاكم الشام واسمه الغزالي وهو من أصحاب قانصوه الغوري وخانه في واقعة مرج دابق تمرّد وأشهر العصيان واستولى على قلعة دمشق وأرسل أحد أتباعه لاحتلال مدينة بيروت واجتهد في استمالة خير بك العامل على مصر اليه وأرسل اليه جواباً يحثه فيه على العصيان مبيناً له سهولة النجاح بالنظر الى بعدهم عن مقر الخلافة وحداثة سن السلطان فجاوبه خير بك بانه لا يشترك معه الا اذا استولى على مدينة حلب ولم يكن جوابه هذا الا مداهنة وخداعاً فانه أرسل خطابات الغزالي الى السلطان فعين السلطان فرحات باشا أحد وزرائه لقمع هذا المتمرد ومعه جيش كاف لاخماد هذه الثورة قبل امتدادها

فسار فرحات باشا بكل همة في أواخر ذي الحجة سنة ٩٢٦ (نوفمبر سنة ١٥٢٠) ووصل الى حلب في ٢٢ دسمبر وكان الغزالي اذ ذاك محاصراً لها فارتدّ على عقبيه بدون قتال عائداً الى دمشق وتحصن فيها فاقتفى أثره فرحات باشا بجنوده وحاصره فيها وفي يوم ١٧ صفر سنة ٩٢٧ (١٣ يناير سنة ١٥٢١) خرج الغزالي من المدينة طلباً للقتال فهزم وقتل أغلب من كان معه وفرّ هو متنكراً لكن خانه بعض أتباعه وسلمه الى فرحات باشا فقتله في ٢٧ صفر وأرسل رأسه الى القسطنطينية

﴿فتح مدينة بلغراد﴾

وعند وصول رأسه الى العاصمة ورد خبر قتل السفير الذى أرسله السلطان الى ملك المجر يطلب منه دفع الجزية أو الحرب فاستشاط السلطان غضبا وأمر بتجهيز الجيوش وجمع كل ما يلزمهم من المؤنة والذخائر لمحاربة المجر وسار هو بنفسه فى مقدمة الجيش وأرسل أحد مشاهير قواده واسمه أحمد باشا لمحاصرة مدينة (شابتس) القريبة من بلغراد ففتحها فى ٣ شعبان سنة ٩٢٧ ووصل اليها السلطان فى اليوم التالى ثم سافر بالجيوش التى كانت مشتغلة بحصار هذه المدينة لمساعدة وزيره بيرى باشا على تضييق الحصار على مدينة بلغراد ففتحت بعد دفاع شديد وأخلاها الجنود المجرية قاعتها فى ٢٥ رمضان سنة ٩٢٧ (٢٩ اغسطس سنة ١٥٢١) ودخلها السلطان منصور وصلى الجمعة فى احدى كنائسها التى حولت مسجدا وصارت هذه المدينة التى كانت أمنع حصن للمجريين ضد تقدم الدولة العلية أكبر مساعد لها على فتح ما وراء نهر الدانوب من الاقاليم والبلدان وأعلن السلطان هذا الانتصار الى جميع الولاة وملوك أوروبا ورئيس جمهورية البنادقة ثم عاد الى القسطنطينية مكللا بالنصر والظفر على الاعداء وأرسل اليه قيصر الروس يهنئه بالفوز والظفر وكذلك رؤساء جمهوريتى البندقية وراجوزة ﴿٤٧﴾

وفى أول محرم سنة ٩٢٨ أمضيت بين الدولة العثمانية وجمهورية البنادقة معاهدة تجارية تؤيد المعاهدات السابقة وزيد عليها ان وكيل الجمهورية فى الآستانة (قنصلها) يجب تغييره كل ثلاث سنوات وان قضايا التركات تنظر بطرفه وان يكون له الحق فى ارسال ترجمان لحضور المرافعة فى القضايا التى تقام ضد رعايا حكومته أمام المحاكم العثمانية وأن يكون الخراج الذى يدفع منها الى الدولة نظير احتلالها جزيرتى قبرص وزانطه عشرة آلاف دوكا عن الاولى وخمسمائة عن الثانية ولهذه المعاهدة أهمية عظمى لانها أساس الامتيازات القنصلية ببلاد الدولة العلية

﴿٤٧﴾ مينا تجارى ببلاد دلماسيا على الساحل الشرقى للبحر الادرياتيكى أسست حوالى القرن السابع للمسيح وأقام بها أهلوها حكومة جمهورية مستقلة دفعت الجزية للدولة العثمانية وأبرمت معها عدة معاهدات تجارية مشابهة لما أبرم مع جمهوريتى البندقية وجينوه واستمرت متمتعة بالحرية مستقلة تمام الاستقلال حتى احتلها نابليون الاول سنة ١٨٠٦ وظلت تابعة لفرنسا الى ان سقطت حكومة نابوليون نهائيا سنة ١٨١٥ وأضافها مؤتمر ويانة الذى انعقد بعد سقوطه لتسوية حالة أوروبا الى مملكة النمسا ولم تزل تابعة لها حتى الآن ويبلغ عدد سكانها عشرين ألف نسمة

﴿فتح جزيرة رودس﴾

وبعد ذلك أخذ السلطان فى الاستعداد برا وبحرا لفتح جزيرة رودس التى لم يتمكن السلطان محمد الفاتح من فتحها لتكون حلقة اتصال بين القسطنطينية ومصر من جهة البحر ولكى لا يكون للمسيحيين مركز حصين فى وسط بلاده تلجأ اليه عمارات الدول المعادية للدولة وقت الحرب وأراد الاسراع فى تتميم هذا العمل العظيم الذى عجز أسلافه عنه لوجود ملوك أوروبا مشتغلين فى جهات أخرى لا يمكنهم مساعدة الرهبنة الحتلة لها فكان ملك فرنسا (فرنسوا) ﴿٤٨﴾ الاول وشارل الخامس الشهير بشارلكان ﴿٤٩﴾ ملك اسبانيا وألمانيا معا مشتغلين بمحاربة بعضهما والبابا (لاون) العاشر مشتغلا بمجادلة ومقاومة الراهب الالمانى (لوثر) ﴿٥٠﴾ مؤسس مذهب

﴿٤٨﴾ ولد هذا الملك سنة ١٤٩٤ وتولى الملك سنة ١٥١٥ وكانت كل حروبه بسبب ادعائه ان له حقوقا على ولاية ميلان بايطاليا من جهة جدته فسار عقب توليه الملك الى هذه الجهة لفتحها ففتحها بعد ان انتصر على السويسريين فى واقعة ماريتيان ثم لما انتخب شارلكان ملك اسبانيا امبراطورا لالمانيا وما يتبعها بعد موت مكسمليان جده لابيه فى سنة ١٥٢٠ ابتدأت الحروب بينه وبين فرنسوا ملك فرنسا بسبب ادعاء كل منهما الاحقية فى ولاية ميلان وكانت الدائرة فيها على فرنسا فانتصر عليه شارلكان عدة كرات وأخيرا فى بافيا سنة ١٥٢٥ حيث أخذ فرنسوا أسيرا وسيق الى اسبانيا ولم يفرج عنه الا بعد ان أمضى معاهدة بكل ما طلبه منه شارلكان ولما خرج من السجن لم يعمل بما تعهد به بل رجع الى المحاربة واستمرت الحرب بينهما بدون انقطاع تقريبا الى سنة ١٥٤٤ وفيها تصالحا على أن تكون ولاية ميلان لدوك اورليان ثانى أولاد فرنسوا ملك فرنسا وتوفى بعد ذلك بثلاث سنوات فى سنة ١٨٤٧ واشتهر هذا الملك بالتعصب الدينى واضطهاد البروتستانت

﴿٤٩﴾ ولد هذا الملك الشهير سنة ١٥٠٠ وورث ملك اسبانيا عن والدته جان ابنة فردينان وايزابلا ملوك اسبانيا اللذين أخرج المسلمون فى أيامهم من الاندلس وانتخب أميرا لالمانيا بعد موت جده لابيه الامبراطور مكسمليان وقضى أيامه فى محاربة فرنسوا الآن كما مر فى ترجمة هذا الملك وبعد موت فرنسوا الاول رجع الى محاربة الفرنساويين وحاصر مدينة متس الشهيرة بدون ان يتمكن من فتحها سنة ١٥٥٢ وحارب خير الدين باشا أمير البحر العثمانى الشهير ببارباروس وقصد الاستيلاء على مدينة الجزائر فلم يفلح واضطهد البروتستانت الا انه اضطر اخيرا فى سنة ١٥٤٧ ان يمنحهم الحرية الدينية بعد ان حاربوه وانتصروا عليه وفى سنة ١٥٥٦ سئم الملك فتنازل عن اسبانيا لابنه فيليب الثانى وعن ألمانيا وما يتبعها لاخيه فردينان واعتزل فى أحد الاديرة حتى توفى سنة ١٥٥٨

﴿٥٠﴾ هو راهب كاثوليكى المذهب ألمانى الجنس أراد اصلاح المذهب الكاثوليكى وقال بعدم مشروعية النظام الكنائسى والرهبنة على الاطلاق والاعتراف وتجسد القربان وغير ذلك من الامور التى أقر عليها أئمة المذهب الكاثوليكى منذ أجيال فحرمه البابا وحكم بمروقه عن الدين بعد ان كلفه بالتوبة والرجوع عن طريقته وحرم مطالعة تآليفه ولكن لم يكترث لوثر بهذه الاجراآت بل استمر ينشر مذهبه ويؤيده بالبراهين حتى انتشر فى جميع الاطراف وتبعه كثير من أمراء ألمانيا وتوفى سنة ١٥٤٦ وكانت ولادته سنة ١٤٨٣ بعد ان تزوج راهبة اتبعته وأتت منه بعدة أولاد وهو مؤسس المذهب البروتستانتى المشتق من لفظة بروتستو اى اقامة الحجة وهو المذهب السائد الآن فى شمال ألمانيا والدانيمرك والسويد والفلمنك وانكلترا وأمريكا الشمالية ومنتشر فى غالب الجهات الاخرى

البروتستانت وبلاد المجر مضطربة فى الداخل بسبب عدم اتفاق أمرائها وأعيانها وصغر سن ملكها لويس الثانى كل هذه الاسباب حملت السلطان على انتهاز هذه الفرصة لفتح هذا الحصن المنيع لكن اقتضت شفقته أن يرسل الى رئيس الرهبنة قبل الشروع فى الحرب كتابا يعرض عليه اخلاء الجزيرة والانسحاب منها بكل من معه من المسيحيين الذين يؤثرون المهاجرة على البقاء متعهدا له بعدم التعرض لانفسهم ولاموالهم ولما لم يقبل رئيسهم هذا الاقتراح أمر السلطان العمارة البحرية فاقلعت قاصدة رودس وسافر هو من طريق البر الى خليج (مرمورا) المقابل للجزيرة من جهة آسيا فوصلتها الدونانمة فى ٢٦ يونيه سنة ١٥٢٢ وأرسلت الى البر مدافع الحصار والمؤنة والذخائر ووصل اليها السلطان فى ٢٨ يوليه وبمجرد وصوله ابتدأ الحصار بغاية الشدة ودافع من بها دفاع الابطال خصوصا الرهبان ويقال ان النساء كانت تساعد الرجال فى الدفاع بالقاء الاحجار على المحاصرين وصب الزيوت الحارة على رؤسهم لكن لم يجد كل ذلك شيأ أمام المدافع العثمانية التى توجد بعض قللها الى الآن فى الجزيرة يستغرب رائيها من ضخامتها ولما أعيت الحيل رئيس هذه الرهبنة واسمه (فيلية دى ايل ادام) الفرنساوى الاصل ونفدت مؤنته وذخائره أرسل اثنين من رهبانه الى السلطان فى ٣ صفر سنة ٩٢٩ الموافق ٢١ دسمبر سنة ١٥٢٢ يطلب منه السماح لهم باخلاء الجزيرة فى مسافة اثنى عشر يوما بشرط أن تبتعد الجيوش العثمانية عن المدينة المحصورة مسافة ميل من كل جهاتها حتى لا يحصل للمحصورين ضرر عند خروجهم فقبل السلطان ذلك لكن فى ٢٥ منه دخل المدينة فريق من الانكشارية رغم أوامر السلطان واحتلوا المدينة وارتكبوا كافة أنواع القبائح حسب عادتهم فغضب السلطان وأمر بمراعاة شروط التسليم وعاقب المفسدين فاعيد الأمن وسادت السكينة وفى اليوم التالى قابل السلطان رئيس الرهبنة وأنعم عليه بخلعة سنية وفى يوم ١٣ صفر سنة ٩٢٩ الموافق أول يناير سنة ١٥٢٣ سافرت هذه الفئة المحصنة نفسها للدفاع عن الدين المسيحى

واتبعه بعض أقباط مصر وانتشبت بسببه عدة حروب فى ألمانيا وفرنسا أهمها الحرب المعروفة بحرب الثلاثين سنة التى استمرت من سنة ١٦١٨ الى سنة ١٦٤٨ وانتهت باستحصال البروتستانت على الحرية الدينية

ومحاربة

ومحاربة المسلمين قاصدة جزيرة مالطه «٥١» التى تنازل لها عنها الملك شارلكان واستمرت هذه الرهبنة نازلة بها حتى احتلها بونابرت عند قدومه مصر سنة ١٢١٣ هـ الموافقة سنة ١٧٩٨ م

وبعد ذلك عاد السلطان الى القسطنطينية ووفد اليه سفراء من قبل الروسية والبندقية لتهنئته بالنصر وأرسل اليه أيضا ملك العجم سفيرا لهذا الغرض وأرسل معه خمسمائة فارس ولما وصل الى الآستانة أمر السلطان أن لا يدخلها معه الا عشرون فقط وفى شهر يونيه سنة ١٥٢٣ عزل الوزير الاول أى الصدر الاعظم پير محمد باشا بناء على دسائس الوزير أحمد باشا طمعا فى وظيفته لكن خاب مسعاه فقد عين السلطان مكانه أحد خواصه ابراهيم باشا وعين أحمد باشا واليا على مصر لوفاة خيربك فى الوقت الذى كان فيه السلطان محاصرا لجزيرة رودس ولما وصل أحمد باشا الى القاهرة أخذ فى استمالة من بقى من أمراء المماليك اليه باقطاعهم الاراضى واغضائه عما يرتكبونه من أنواع الآثام والمظالم ولما تحقق من اخلاصهم أعلن العصيان مرة واحدة واستولى على القلعة بعد قتل حاميتها فارسل اليه السلطان أمرا بعزله من ولاية مصر وبالعود الى الاستانة وتسليم الولاية لخلفه (قره موسى) فقتل الرسول وقره موسى الوالى الجديد ثم خانه أحد وزرائه واسمه محمد بك وأراد القبض عليه فهرب واختفى عند عرب البادية فاقتفى أثره حتى ضبطه وقتله وأرسل رأسه الى الآستانة فعين بدله قاسم باشا الوالى الاسبق وكوفئ محمد بك بتقليده وظيفة دفتردار الولاية سنة ١٥٢٤

وفى ٢٤ رجب سنة ٩٣٠ الموافق ٢٨ مايو سنة ١٥٢٤ ولد للسلطان غلام سمى سليما وهو الذى خلفه باسم سليم الثانى وفى ٢ شعبان الموافق ٥ يونيه احتفل بالاستانة بزواج الصدر الاعظم ابراهيم باشا باحدى أخوات السلطان ثم أرسله الى مصر مع عدد عظيم

«٥١» جزيرة صغيرة فى البحر الابيض المتوسط بالقرب من ساحل ايطاليا وافريقا ولاهميتها الحربية العظمى تنازعتها الملوك والامم المختلفة من فينيقيين ورومانيين وغيرهم واحتلها المسلمون عدة من السنين وأخيرا تبعت شارلكان وهو تنازل عنها لرهبنة رودس كما رأيت وظلت فى حوزتهم الى سنة ١٧٩٨ حيث احتلها بونابرت أثناء مجيئه لفتح مصر وفى سنة ١٨٠٠ احتلها الانكليز ليسودوا على البحر الابيض كما احتلوا بوغاز جبل طارق من قبل وفى سنة ١٨١٥ أيد مؤتمر ويانة احتلالهم لها

من الانكشارية والسيباه (السوارى) لارجاع الأمن الى ربوعها وترتيب ماليتها وتنظيم أمورها فسافر ووصل اليها فى ٢٤ مارث سنة ١٥٢٥ وأقام بالقاهرة حتى أتم مأموريته وغادرها فى ٢٢ شعبان سنة ٩٣١ الموافق ١٤ يونيه سنة ١٥٢٥ قاصدا الاستانة عن طريق البر مارا بدمشق وقيصرية ووصل القسطنطينية فى ٧ سبتمبر من السنة نفسها وقوبل بكل اجلال واحترام لعلو منزلته عند السلطان

﴿تداخل الدولة العلية فى بلاد القرم والفلاخ وفتنة الانكشارية﴾

وفى هذا الاثناء حصلت بعض فتن داخلية فى بلاد القرم وذلك ان غازى وبابا ولدى محمد كراى خان القرم ثارا على والدهما وعمهما فقتلاهما سنة ٩٢٩ (سنة ١٥٢٢) وتقلد غازى كراى أكبرهما الامارة وجعل أخاه وزيراله لكن لم يقبل السلطان ذلك بل عين عمهما سعادت كراى خانا بدل أخيه محمد كراى المقتول وأمده بجيش من الانكشارية فقبل غازى تعيين عمه وصار هو وزيراله وبعد ذلك بستة أشهر قتل غازى وأخوه بابا بأمر عمهم سعادت وفى سنة ٩٣٨ (سنة ١٥٣٠) قام أخوهما اسلام كراى واستولى على الامارة وفر سعادت الى القسطنطينية ومكث بها حتى توفى سنة ٩٤٤ (سنة ١٥٣٧) ودفن بجامع أبى أيوب بالاستانة وكانت نتيجة هذه الفتن زيادة تداخل الدولة العلية فى أمور بلاد القرم حتى فى تعيين أمرائها وصارت بذلك ولاية عثمانية تقريبا

وفى سنة ١٥٢٤ أراد السلطان أن يجعل اقليم الفلاخ ولاية عثمانية ولم يكن للدولة عليه اذذاك الا السيادة والجزية فسير اليها جيشا استولى على عاصمتها وعلى أميرها وأرسلوه الى الاستانة فثار الاعيان وعينوا خلفا له وساعدهم فى ذلك أمير اقليم ترنسلفانية المجاور له فقبل السلطان من عينوه فى مقابلة زيادة الجزية عما كانت عليه هذا وفى ٢٥ مارث سنة ١٥٢٥ تذمر الانكشارية بعد عودة السلطان من مدينة أدرنه حيث كان توجه للاقامة به فى فصل الشتاء ونهبوا سراى ابراهيم باشا الصدر الاعظم الذى كان اذذاك بمصر ومحل الجمرك وعدة أماكن أخرى من منازل الاعيان وحارة اليهود ولولا أن تدارك السلطان الخطب بنفسه لامتد العصيان لكنه أسكتهم

عن السلب والنهب بتوزيع ألف دوكا عليهم ثم بعد ذلك عزل بعض رؤسائهم الذين كانوا سبب هذا العصيان وقتل بعضهم

﴿ابتداء المخابرات والمراسلات بين الدولة العلية وملك فرنسا﴾

وفى ذلك العهد ابتدئت المخابرات بين ملك فرنسا والدولة العلية وذلك ان شارلكان ملك النمسا كان فى آن واحد ملكا لاسبانيا والبلاد المنخفضة (هولاندا) وامبراطورا لالمانيا وحاكما لجزء عظيم من ايطاليا الجنوبية وكانت جمهوريتا جنوا وفلورنسا تابعتين اليه وجمهورية البنادقة طوع أمره ومدينة وهران باقليم جزائر الغرب تابعة له وكذلك جزيرة مينورقة وجزيرة صقلية فكانت أملاكه محيطة بمملكة فرنسا من جميع الجهات الا من جهة البحر

ولذلك سعى فرنسيس الاول ملك فرنسا فى التحالف مع دولة آل عثمان والاتحاد معها على محاربة شارلكان لتحاربه الدولة العلية من جهة المجر والنمسا وتشغله عن جيوش فرنسا من جهة الغرب فيتمكن ملك فرنسا بذلك من الاخذ بثار واقعة (بافيا) بايطاليا التى أخذ فيها فرنسيس الاول أسيرا

ويظهر من سعى فرنسا فى استمالة الدولة العلية اليها وبذل الجهد فى محالفتها مع كون فرنسا معتبرة لدى البابا أول الدول الكاثوليكية وأهمها محافظة على عدم تقدم الاسلام باوروبا ان الدولة العثمانية بلغت فى ذلك الوقت شأنا عظيما لم تبلغه من قبل وصار وجودها ضروريا لحفظ التوازن السياسى باوروبا

وأول سفير أرسل من قبل فرنسا الى الباب العالى أرسلته الملكة لويز زوجة فرنسيس الاول حالة وجوده مأسورا فى بلاد اسبانيا لكن لم يصل هذا السفير الى الباب العالى بل قبض عليه حاكم بوسنه أثناء مروره قاصدا القسطنطينية وقتله هو وأتباعه وفى أواخر سنة ١٥٢٥ أرسل سفيرا آخر وهو جان فرنجبانى ووصل القسطنطينية ومعه جواب من ملك فرنسا الى جلالة السلطان الاعظم يطلب منه بكل تواضع أن يهاجم ملك المجر أحد حلفاء شارلكان حتى يمنعه من مساعدته ويمكن فرنسا بذلك أن تنتصر على شارلكان وتسترد ما سلبه منها من الشرف فى واقعة بافيا

وقابل السلطان سليمان السفير الفرنساوى فى ٦ دسمبر سنة ١٥٢٥ باحتفال زائد

وأجزل له العطايا وبعد ان عرض عليه السفير مطالب ملكه وعده السلطان بمحاربة المجر لكن لم تعقد بينهما معاهدة بل اكتفى السلطان بان كتب الى ملك فرنسا بتاريخ أوائل ربيع أول سنة ٩٣٢ الموافق ٢٥ فبراير سنة ١٥٢٦ جوابا يظهر له فيه استعداده لمساعدته وهذه صورته نقلا عن ترجمة الجزء الاول من تاريخ جودت باشا

﴿جواب الخليفة الاعظم﴾

ترجمة صورة المكتوب الهمايوني الذي أرسل من طرف السلطان سليمان الى فرنسيس ملك فرنسا

الله العلي المغني المعطي المعين

بعناية حضرة عزة الله جلت قدرته وعلت كلمته وبمعجزات سيد زمرة الانبياء وقدوة فرقة الاصفياء محمد المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم الكثيرة البركات وبموازرة قدس أرواح حماية الاربعة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضوان الله تعالى عليهم أجمعين وجميع أولياء الله أنا سلطان السلاطين وبرهان الخواقين متوج الملوك ظل الله في الارضين سلطان البحر الابيض والبحر الاسود والاناضول والروملي وقرمان الروم وولاية ذي القدرية وديار بكر وكردستان واذربيجان والعجم والشام وحلب ومصر ومكة والمدينة والقدس وجميع ديار العرب واليمن وممالك كثيرة أيضا التي فتحها آبائي الكرام وأجدادي العظام بقوتهم القاهرة أنار الله براهينهم وبلاد أخرى كثيرة افتتحتها يد جلالتي بسيف الظفر أنا السلطان سليمان خان ابن السلطان سليم خان ابن السلطان بايزيد خان الى فرنسيس ملك ولاية فرانسا وصل الى أعتاب ملجأ السلاطين المكتوب الذي أرسلتموه مع تابعكم فرانقبان النشيط مع بعض الاخبار التي أوصيتموه بها شفاهيا وأعلمنا ان عدوكم استولى على بلادكم وانكم الآن محبوسون وتستدعون من هذا الجانب مدد العناية بخصوص خلاصكم وكل ما قلتموه عرض على أعتاب سرير سدتنا الملوكانية وأحاط به علمي الشريف على وجه التفصيل فصار بتمامه معلوما فلا عجب من حبس الملوك وضيقهم فكن منشرح الصدر ولا تكن مشغول الخاطر فان آبائي الكرام وأجدادي العظام نور الله مراقدهم لم يكونوا خالين من الحرب لاجل فتح البلاد

ورد العدو ونحن أيضا سالكون على طريقتهم وفى كل وقت نفتح البلاد الصعبة والقلاع الحصينة وخيولنا ليلا ونهارا مسروجة وسيوفنا مسلولة فالحق سبحانه وتعالى ييسر الخير بارادته ومشيئته وأما باقى الاحوال والاخبار تفهمونها من تابعكم المذكور فليكن معلومكم هذا تحريرا فى أوائل شهر آخر الربيعين سنة اثنتين وثلاثين وتسعمائة

بمقام دار السلطنة العلية
القسطنطينية المحروسة المحمية

﴿فتح بلاد المجر وعاصمتهم﴾

وفى ٢٥ افريل سنة ١٥٢٦ سافر السلطان سليمان من القسطنطينية لمحاربة المجر الذين كانت الحرب غير منقطعة بينهم وبين العثمانيين على التخوم وكان الجيش العثمانى مؤلفا من نحو مائة ألف جندى و ٣٠٠ مدفع و ٨٠٠ سفينة فى نهر الطونه لنقل الجيوش من بر الى آخر فسار الجيش تحت قيادة السلطان ووزرائه الثلاثة الى بلاد المجر من طريق الصرب مارين بقلعة بلغراد التى جعلت قاعدة لاعمالهم الحربية وبعد ان افتتح الجيش عدة قلاع ذات أهمية حربية على نهر الطونه وصل باجمعه الى وادى موهاكس فى ٢٠ ذى القعدة سنة ٩٣٢ الموافق ٢٨ أغسطس من السنة المذكورة وفى اليوم الثانى اصطفت الجنود العثمانية على ثلاثة صفوف وكان السلطان ومعه كافة المدافع وفرقة الانكشارية فى الصف الثالث فهجم فرسان المجر المشهورون بالبسالة والاقدام تحت قيادة السلطان لويس على صفوف العساكر العثمانية الاول فتقهقر أمامهم العثمانيون خلف المدافع ولما وصلت فرسان المجر بالقرب من المدافع أمر السلطان باطلاقها عليهم فاطلقت تباعا وتوالى اطلاقها بسرعة غريبة أوقعت الرعب فى قلوب المجر فاخذوا فى التقهقر تتبعهم العساكر المظفرة حتى قتل أغلب الفرسان المجرية وقتل ملكهم ولم يعثر على جثته فكانت هذه الواقعة سبب ضياع استقلال بلاد المجر بأسرها لعدم وجود جيش آخر يقاوم العثمانيين فى مسيرهم ولحصول الفوضى فى البلاد بسبب موت سلطانهم ولذلك أرسل أهالى مدينة بود ﴿٥٢﴾ عاصمة المجر مفاتيح المدينة الى السلطان فاستلمها وسار

﴿٥٢﴾ مدينة قديمة على نهر الطونه فى مقابل مدينة بست وتبعد عن مدينة ويانة نحو مائتى كيلومتر وكان بينها وبين بست كوبرى أقيم على عدة مراكب ثم أنشئ مكانه كوبرى حديد على الطراز الجديد وهى فى غاية الرونق والجمال وبها كثير من المدارس وهى معتبرة تخت مملكة المجر مع انضمامها فى العموميات الى امبراطورية النمسا ولذلك يلقب امبراطور النمسا بملك المجر وتسمى بالنمساوية ﴿اوفن﴾ ويبلغ عدد سكانها مائة وخمسين ألف نسمة أو يزيدون

يحف به النصر ويحدوه الجلال حتى وصل الى مدينة بود ودخلها فى ٣ ذى الحجة سنة ٩٣٢ الموافق عشرة سبتمبر سنة ١٥٢٦ مشددا الاوامر على الجنود بعدم التعرض للاهالى والمحافظة على النظام لكن لم تجد تنبيهاته شيأ بل انتشرت الجنود فى جميع أنحاء المدينة بل فى جميع أرجاء بلاد المجر ناهبين قاتلين مرتكبين كل الفظائع التى ترتكبها الجيوش الغير منتظمة عقب الانتصار كما شوهد ذلك فى جميع البلاد حتى فى هذا العصر الموسوم بعصر التمدن

وبعد دخول السلطان الى مدينة بود جمع أعيان القوم وأمراءهم ووعدهم بان يعين جان زابولى أمير ترانسلفانيا ملكا عليهم ثم عاد رحمه الله الى مقر خلافته مستصحبا معه كثيرا من نفائس البلاد وأهمها الكتب التى كانت موجودة فى خزائن متياس كورفن وكذلك فعل نابليون الشهير حينما دخل مصر فى أوائل القرن الثالث عشر من الهجرة فانه أخذ كثيرا من كتب الفقه وأحكام الشريعة الغراء وتلك كانت عادته عند دخوله أى مملكة من ممالك أوروبا فانه كان يحمل الى فرنسا كل ما بها من التحف كالصور والتماثيل والكتب والآثار ولولا هذه العادة لما صارت فرنسا وانكلترا ذواتى تحف مفعمتين بالآثار والنفائس

وفى أثناء عودته أقام أسبوعا فى مدينة أدرنه ووصل الى مدينة القسطنطينية المحمية فى ١٧ صفر سنة ٩٣٣ الموافق ٢٣ نوفمبر سنة ١٥٢٦

﴿ اغارة ملك النمسا على المجر وفتحه مدينة بود وانتصار العثمانيين عليه واسترجاع المجر ﴾

وفى أواخر سنة ١٥٢٧ ادعى فردينان ملك النمسا (وهو أخو شارلكان الشهير) الاحقية فى أن يكون ملكا على بلاد المجر بسبب قرابته مع الملك لويس الذى قتل فى واقعة موهاكس وسار بجنوده لمحاربة جان زابولى أمير ترنسلفانيا الذى عينه السلطان سليمان ملكا على بلاد المجر وهزمه فارسل زابولى الى السلطان سليمان يستنجده على منازعه فى الملك ووصل رسوله الى الباب العالى وقابل السلطان فى ٣ فبراير سنة ١٥٢٨ فوعده السلطان بمساعدته وأمضيت معاهدة بذلك بتاريخ ٢٩ فبراير سنة ١٥٢٨ م وبناء على هذا الاتفاق أصدر السلطان الاوامر الى جميع

الجهات

الجهات بالاستعداد للحرب وجمع الجيوش والذخائر وعين وزيره الاول ابراهيم باشا السابق ذكره سرا اسر عسكر للجيش أى قائدا عاما له مكافأة له على خدماته الجليلة فى مصر حين أرسل اليها لترتيب أحوالها ولما أظهره من المعلومات العسكرية فى واقعة موهاكس الاخيرة وبعد ذلك بسنة تقريبا سافر السلطان سليمان من الاستانة قاصدا محاربة المجر فى ١٠ مايو سنة ١٥٢٩ يقود جيشا مؤلفا من مائتين وخمسين ألف جندى ونحو ثلاثمائة مدفع ووصل الى مدينة فليبه فى ٣ شوال سنة ٩٣٦ الموافق ٩ يونيه سنة ١٥٢٩ ومنها الى مدينة (موهاكس) حيث أتى (زابولى) لمقابلة السلطان فقابله فى ١٤ ذى الحجة (٢٠ يوليه) محاطا بوزرائه الثلاثة ابراهيم باشا واياس باشا وقاسم باشا وبكافة القواد وبعد ان مكث زابولى ملك المجر بحضرته العلية وقتا قليلا أذن له السلطان بالانصراف بعد ان أعطاه ثلاثة من الخيول المطهمة وثلاث خلع سنية

﴿ابتداء الحروب مع النمسا وحصار ويانه عاصمتها أول دفعة﴾

ثم سار الخليفة الاعظم الى مدينة (بود) عاصمة المجر التى كان فرديننان ملك النمسا محتلا لها فوصلها فى ٣ سبتمبر وابتدأ الحصار لكن لم يلبث فرديننان ان فر هاربا من بود قاصدا مدينة (ويانه) عاصمة النمسا «٥٣» وفى ٨ منه طلب قائد الحامية النمساوية بمدينة بود تسليم المدينة وقلاعها اذ وعدهم السلطان بالسماح لهم بالخروج بدون تعرض لحياتهم ولما أجابهم السلطان لذلك أخلوا المدينة وفى حال خروجهم منها انقض عليهم الانكشارية وقتلوا أغلبهم غير طائعين لاوامر رؤسائهم مهددين من رغب فى منعهم من القواد والضباط وبعد ذلك بسبعة أيام أى فى يوم ١٥ منه أرسل السلطان أحد قواد الانكشارية ليرافق (زابولى) الى القصر الملوكى ويقلده

«٥٣» هى عاصمة امبراطورية النمسا ومملكة المجر معا قائمة على نهر الطونة وكانت عاصمة الامبراطورية الالمانية الى ان سقطت سنة ١٨٠٩ وحاصرها العثمانيون مرتين الاولى سنة ١٩٢٩ والثانية فى سنة ١٦٨٣ كما سترى ودخلها نابليون الاول فاتحا مرتين فى سنة ١٨٠٥ وسنة ١٨٠٩ وفى هذه المرة تزوج نابليون بابنة الامبراطور فرنسوا المسماة «مارى لويز» وفى سنة ١٨٤٨ حصلت بها ثورة عظيمة أفضت الى اطلاق المدافع عليها وتدمير جزء عظيم منها ثم أعيد بناؤها أحسن مما كانت وبها كثير من المتنزهات الجميلة ويعدها البعض أجمل مدينة فى العالم بعد باريز الغناء الملقبة بجنة الفردوس الارضية

تاريخ الملوكية
وبعد اعادة زابولى الى عرش ملك بلاد المجر بمساعدة الجيوش العثمانية قام السلطان بجيوشه قاصدا مدينة (ويانه) لغزوها مستصحبا معه الملك زابولى تاركا فى مدينة بود حامية عثمانية تحت قيادة أحد أغاوات (ضباط) الانكشارية لحفظ الأمن بها وتوطيده فى جميع أنحائها الى أن يعود الملك زابولى اليها وفى ٢٧ سبتمبر من السنة المذكورة وصل السلطان سليمان بجيوشه أمام عاصمة بلاد النمسا ووضع الحصار حولها وسلط مدافعه على أسوارها فهدم جزأ منها وفتح بها ثلمأ صار توسيعه بألغام البارود حتى صار يمكن الجيوش الهجوم منه بكل سهولة ثم أمر الجنود بالهجوم فهجمت كالاسود فى أيام ١٠ و١١ و١٢ اكتوبر وأخيرا فى يوم ١٠ صفر سنة ٩٣٧ هـ الموافق ١٤ اكتوبر وبعد ان استمر القتال طول يومه عادت الجنود العثمانية الى معسكرها بدون أن تقوى على الدخول فى المدينة ولما رأى السلطان ان ذخيرة الطوبجية التى عليها المعوّل فى الحصار قد نفدت والشتاء قد أقبل بشدّته وثلوجه المعهودة فى هذه الجهات الشديدة البرودة أصدر أوامره بالرجوع عن ويانه هذه السنة واعداد الجيوش لمعاودة الكرة عليها فى أقرب وقت وكانت هذه هى المرة الاولى التى لم يفز السلطان سليمان بالنصر فيها ومرّ فى عودته على مدينة (بود) عاصمة المجر وبعد ان ودع ملكها زابولى عاد الى القسطنطينية من طريق بلغراد

وفى ربيع سنة ١٥٣١ أرسل ملك النمسا جيشا لمحاصرة مدينة (بود) واستخلاصها من قبضة (زابولى) خليفة العثمانيين وحليفهم فصدّوا عنها بقوة الحامية الاسلامية المعسكرة فيها وفى ١٩ رمضان سنة ٩٣٨ الموافق ٢٥ ابريل سنة ١٥٣٢ سار السلطان سليمان قاصدا مدينة ويانه ثانية لفتحها ومحو ما لحقه من الفشل أمامها فى المرة الاولى بعد ان رفض ما عرضه عليه فردينان ارشيدوق النمسا من الصلح ولما وصل الى مدينة نيش ببلاد الصرب وجد بانتظاره سفراء من قبل ارشيدوق النمسا ووجد بمدينة بلغراد سفيرا جديدا من قبل ملك فرنسا (فرنسوا الاوّل) وهو المسيو (رنسون) فقابله السلطان فى أوّل ذى الحجة سنة ٩٣٨ الموافق ٥ يوليو سنة ١٥٣٢ باحتفال فائق لم يسبق مثله لاى سفير غيره وذلك انه صف

لاستقباله عدد عظيم من الجنود وأطلقت المدافع تحية لقدومه وقابله السلطان مقابلة خصوصية محاطا بوزرائه وقواد جيوشه على ضد ما حصل لمرسلى فرديتان الذين قوبلوا بكل تحقير وامتهان وبعد المقابلة وتبادل عبارات السلام بين السفير الفرنساوى وجلالة الخليفة الاعظم عاد السفير لملكه حاملا خطابا للمرسله يؤكد السلطان فيه على اتحادهما على محاربة شارلكان ووعده بامداده بالعمارة العثمانية اذا مست الحاجة

ثم سار السلطان بجيوشه التى كان يبلغ عددهم مائتى ألف مقاتل وانضم اليهم بعد مزاولتهم مدينة بلغراد خمسة عشر ألف فارس من تتر القرم تحت قيادة صاحب كيراى أخى خان القرم وفى أثناء المسير نحو مدينة ويانة فتح الجيش عدة قلاع وحصون بدون مقاومة تذكر الا أن مدينة (جانز) «٥٤» أبدت من الدفاع أكثر مما كان يتوقع منها القلة حاميتها لكن لم تجد مدافعتها شيأ بل سلم قائدها القلعة فى ٢٦ محرم سنة ٩٣٩ الموافق ٢٩ اغسطس سنة ١٥٣٢ بشرط عدم دخول الجنود العثمانية المدينة فقبل السلطان هذا الشرط مكافأة لاهاليها على ما أبدوه من حب الوطن والشهامة والاقدام فى الدفاع عنه

ثم سار الجيش الهوينا الى عاصمة النمسا ولما اقترب منها مال الى جهة اليسار قاصدا اقليم (استيريا) ومنها عاد الى بلغراد ثانيا بدون أن يحاصر مدينة ويانة لما بلغه من استعداد شارلكان للدفاع عنها وجمع الجيوش فيها من نمساويين وألمان واسبانيول وغيرهم وعدم وجود مدافع حصار معه ولاقتراب فصل الشتاء بزمهريره وجليده اللذين لا يمكن معهما استمرار الحصار بكيفية ضامنة لفتحها وادخالها فى حوزة الاسلام كما فتحت بلاد المجر وعاصمتها من قبلها

ولما وصل السلطان فى ايابه الى مدينة فيلبيه عين (صاحب كراى) التترى خانا البلاد القرم بدل أخيه مكافأة له على خدماته أثناء مرور الجيش باراضى النمسا ورتب لاخيه سعادت كراى معاشا سنويا يليق بمقامه وفى ١٩ ربيع آخر سنة ٩٣٩

«٥٤» قرية ببلاد المجر على نهر بهذا الاسم ويسميها المجريون كزج ولم يزد عدد سكانها على سبعة آلاف نسمة ولولا الشهامة التى أبدتها فى الدفاع عن نفسها عندما حاصرها العثمانيون فى سنة ١٥٣٢ لما ذكر لها اسم فى التاريخ مطلقا

الموافق ١٨ نوفمبر سنة ١٥٣٢ عاد السلطان الى مدينة القسطنطينية وزينت المدينة وضواحيها عدة ليال متواليات احتفالا بعودة جلالته

وفى أثناء انتشاب هذه الحروب من جهة البر أتت تحت امرة الاميرال (اندرى دوريا) «٥٥» عمارة بحرية مؤلفة من سفن شارلكان الحربية ومعها عدة من سفن البابا بقصد محاربة العثمانيين من جهة البحر فاحتل (اندرى دوريا) المذكور مينتى كورون و باتراس ببلاد موره بعد قتل من كان بها من الجنود الانكشارية وتدمير القلعتين اللتين أقامهما السلطان بايزيد الثانى على ضفتى خليج ليبانت ببلاد اليونان وتهديد جزائر الروم الخاضعة لسلطان الدولة العلية

وفى أوائل سنة ١٥٣٣ أرسل فرديننان ارشيدوق النمسا سفيرا من قبله يدعى جيروم ذى زارا الى الآستانة بعرض طلب الصلح على جلالة السلطان فقابل الصدر الاعظم ابراهيم باشا وتباحثا فى شروط الصلح وفى يوم ١٤ يناير سنة ١٥٣٣ قابل السلطان السفير ولم يقبل السلطان الصلح بل قبل المهادنة مؤقتا حتى تسلم اليه مفاتيح مدينة (جران) و بعدها تحول الهدنة الى صلح فارسل السفير ابنه فسبازيان ذى زارا فى أول فبراير الى ويانة يصحبه رسول من قبل السلطان لعرض هذه الشروط على فرديننان فعرضها فرديننان على أكابر الدولة وأعيانها فقبلوها وأرسل الى الاستانة خطابا بذلك على يد الرسول العثمانى فى ٢٩ مايو سنة ١٥٣٣

﴿محاربة العجم ودخول العثمانيين مدينة تبريز ثانى دفعة وفتح مدينة بغداد﴾

هذا وقد حصل فى أثناء اشتغال السلطان بمحاربة النمسا بعض اضطرابات على حدود بلاد العجم وساعد على ذلك خيانة شريف بك خان مدينة بدليس الواقعة على حدود المملكتين وانحيازه الى مملكة العجم ولذلك أرسل السلطان وزيره الاول ابراهيم

«٥٥» هو قائد بحرى شهير من عائلة جنوية الاصل عريقة فى المجد والشرف كان ضد الفرنسا وبين فى حروب ايطاليا التى أثارها شارلكان الثامن وفرنسوا الاول ملك فرنسا ثم انحاز الى فرنسا وحارب سفن شارلكان وانتصر عليها وحصلت بينه وبين مراكب العثمانيين عدة وقائع ثم ترك فرنسا وانحاز الى شارلكان مقابلة ارجاعه مدينة جنوه الى استقلالها الاصلى فى سنة ١٥٢٨ وحارب مراكب فرنسا والدولة العثمانية وأخيرا اشتغل بتنظيم جهورية جنوه حتى استحق أن يلقب بأبى الوطن وأقيم له بها تمثال عظيم كتب عليه «الى أبى الوطن» وكانت ولادته سنة ١٤٦٨ و وفاته سنة ١٥٦٠ بعد ان عمر نحو قرن كامل

باشا

باشا لمحاربة هذا العاصي والسير بعد ذلك الى مدينة تبريز عاصمة العجم لفتحها فسافر ابراهيم باشا وقبل وصوله الى قونية وصل اليه فى ٣ ربيع الآخر سنة ٩٤٠ الموافق ٢١ اكتوبر سنة ١٥٣٣ شمس الدين ابن حاكم اذربيجان الذى كان تابعا لملك العجم وانضم الى السلطنة العثمانية ومعه رأس شريف بك الذى حاربه والده وقتله ولذلك سار ابراهيم باشا الى مدينة حلب لامضاء فصل الشتاء بها وفى أوائل ربيع سنة ١٥٣٤ قام منها بجيوشه قاصدا مدينة تبريز ففتح فى طريقه جميع الحصون والقلاع المجاورة لبحيرة (وان) ووصل بدون كبير معارضة الى تبريز ودخلها بسلام فى أوائل شهر محرم الحرام سنة ٩٤١ هـ الموافق ١٣ يوليو سنة ١٥٣٤ وبنى بها قلعة وجعل فى وسطها حامية عثمانية لمنع السكان عن اتيان كل ما يمكن أن يكدر صفو الراحة العمومية

وفى ٢٧ سبتمبر من السنة المذكورة الموافق ١٦ صفر سنة ٩٤١ وصل السلطان سليمان الغازى الى تبريز فقابله الاهالى بكل تبجيل وتعظيم وبعد ان عين السلطان ابن الامير شروان قائد الحامية مدينة تبريز وقبل خضوع أمير كيلان المدعو ملك مظفر خان وغيره من أمراء الفرس الذين تركوا الواء شاه طهماسب ملك العجم وانحازوا الى ظل الخليفة الاعظم سار السلطان بجيوشه الى مدينة سلطانية التى تقهقر اليها الشاه بجيوشه لكن لصعوبة الطرق واستحالة مرور المدافع الضخمة وعربات النقل بها لكثرة الامطار والاوحال تركها السلطان وقصد مدينة بغداد لفتحها فلما اقترب منها تقدم ابراهيم باشا الصدر الاعظم وسر عسكر الجيوش العثمانية لاحتلالها قبل قدوم السلطان فدخلها فى يوم ٣١ دسمبر سنة ١٥٣٤ الموافق ٢٤ جمادى الآخرة سنة ٩٤١ ووجدها خاوية من الجنود اذ تركها حاكمها بكل جنوده هربا من الوقوع فى قبضة الجنود العثمانية فيذيقونه الحمام وبعد ان أقام السلطان فى مدينة بغداد مدة أربعة أشهر رتب الادارة الداخلية فى خلالها وزار قبور الائمة العظام وقبر الامام على رابع الخلفاء الراشدين كرم الله وجهه فى مدينة نجف وقبر ابنه الحسين فى كربلا وأرسل الخطابات الى البندقية وراجوزة اعلانا بانتصاره على الشاه طهماسب وافتتاحه مدائن تبريز وبغداد

وفى ٢٨ رمضان سنة ٩٤١ الموافق ٣ افريل سنة ١٥٣٥ سافر السلطان بجيوشه عائدا الى مدينة تبريز مارا ببلاد الاكراد واقليم المراغه وولى سليمان باشا أحد قواد جيوشه على مدينة بغداد ومعه ألفا جندى لحمايتها وفى أثناء مسيره وصل الى معسكره سفير فرنساوى اسمه مسيو (لافورى) أرسل لتهنئته على فتوحاته الاخيرة ثم وصل الى مدينة تبريز رابع المحرم سنة ٩٤٢ وأقام بها ١٥ يوما قضاها فى تعيين الولاة على المدائن المفتتحة حديثا وترتيب شؤون الداخلية ثم قفل راجعا الى الآستانة فوصلها فى ١٤ رجب سنة ٩٤٢ الموافق ٨ ينايرسنة ١٥٣٦

﴿الامتيازات القنصلية الممنوحة للفرنساويين﴾

وفى أوائل شهر فبراير سنة ١٥٣٦ تم الاتفاق بين المسيو لافورى سفير فرنسا والباب العالى وصدر به خط شريف بمنح بعض امتيازات لرعايا ملك فرنسا النازلين باراضى الممالك المحروسة وهذا نص هذه المعاهدة مترجما من مجموعة البارون دى تستا الموجودة فى الكتبخانة الخديوية

﴿الامتيازات القنصلية الممنوحة لفرنسا فى عهد السلطان سليمان الاول﴾

ليكن معلوما لدى العموم انه فى شهر ... سنة ٩٤١ من الهجرة المحمدية الموافق شهر فبراير سنة ١٥٣٦ من الميلاد قد اتفق بمدينة الآستانة العلية كل من المسيو جان دى لافورى مستشار وسفير صاحب السعادة الامير فرنسوا المتعمق فى المسيحية ملك فرنسا المعين لدى الملك العظيم ذى القوة والنصر السلطان سليمان خاقان الترك الى آخر ألقابه والامير الجليل ذى البطش الشديد سرعسكر السلطان بعد ان تباحثا فى مضار الحرب وما ينشأ عنه من المصائب وما يترتب على السلم من الراحة والطمأنينة على البنود الآتية

﴿البند الاول﴾ قد تعاهد المتعاقدان بالنيابة عن جلالة الخليفة الاعظم وملك فرنسا على السلم الاكيد والوفاق الصادق مدة حياتهما وفى جميع الممالك والولايات والحصون والمدن والمين والثغور والبحار والجزائر وجميع الاماكن المملوكة لهم الآن أو التى تدخل فى حوزتهم فيما بعد بحيث يجوز لرعاياهما وتابعيهما السفر بحرا بمراكب مسلحة أو غير مسلحة والتجوال فى بلاد الطرف الآخر والمجىء اليها

والاقامة

والاقامة بها أو الرجوع الى الثغور والمدن أو غيرها بقصد الاتجار على حسب رغبتهم بكمال الحرية بدون أن يحصل لهم أدنى تعدٍّ عليهم أو على متاجرهم

﴿البند الثانى﴾ يجوز لرعايا وتابعى الطرفين البيع والشراء والمبادلة فى كافة السلع الغير ممنوع الاتجار فيها ولسيرها ونقلها برا وبحرا من مملكة الى الاخرى مع دفع العوائد والضرائب المعتادة قديما بحيث يدفع الفرنساوى فى البلاد العثمانية ما يدفعه الاتراك و يدفع الاتراك فى البلاد الفرنساوية ما يدفعه الفرنساويون بدون أن يدفع أى الطرفين عوائد أو ضرائب أو مكوسا أخرى

﴿البند الثالث﴾ كلما يعين ملك فرنسا قنصلا فى مدينة القسطنطينية أو فى بيرا أو غيرهما من مدائن المملكة العثمانية كالقنصل المعين الآن بمدينة الاسكندرية يصير قبوله ومعاملته بكيفية لائقة ويكون له أن يسمع ويحكم ويقطع بمقتضى قانونه وذمته فى جميع ما يقع فى دائرته من القضايا المدنية والجنائية بين رعايا ملك فرنسا بدون أن يمنعه من ذلك حاكم أو قاض شرعى أو (صوباشى) أو أى موظف آخر ولكن لو امتنع أحد رعايا الملك عن اطاعة أوامر أو أحكام القنصل فله أن يستعين بموظفى جلالة السلطان على تنفيذها وعليهم مساعدته ومعاونته وعلى أى حال ليس للقاضى الشرعى أو أى موظف آخر أن يحكم فى المنازعات التى تقع بين التجار الفرنساويين وباقى رعايا فرنسا حتى لو طلبوا منه الحكم بينهم وأصدر حكما فى مثل هذه الاحوال يكون حكمه لاغيا لا يعمل به مطلقا

﴿البند الرابع﴾ لا يجوز سماع الدعاوى المدنية التى يقيمها الاتراك أو جباة الخراج أو غيرهم من رعايا جلالة السلطان ضد التجار أو غيرهم من رعايا فرنسا أو الحكم عليهم فيها ما لم يكن مع المدعين سندات بخط المدعى عليهم أو حجة رسمية صادرة من القاضى الشرعى أو القنصل الفرنساوى وفى حالة وجود سندات أو حجج لا تسمع الدعوى أو شهادة مقدمة بها الا بحضور ترجمان القنصل

﴿البند الخامس﴾ ولا يجوز للقضاة الشرعيين أو غيرهم من مأمورى الحكومة العثمانية سماع أى دعوى جنائية أو الحكم ضد تجار ورعايا فرنسا بناء على شكوى الاتراك أو جباة الخراج أو غيرهم من رعايا الدولة العلية بل على القاضى أو المأمور

التى ترفع اليه الشكوى أن يدعو المتهمين للحضور بالباب العالى محل اقامة الصدر الاعظم الرسمى

وفى حالة عدم وجود الباب المشار اليه (أى اذا حصلت الواقعة فى محل غير الاستانة) يدعوهم أمام أكبر مأمورى الحكومة السلطانية وهناك يجوز قبول شهادة جابى الخراج والشخص الفرنساوى ضد بعضهما

﴿البند السادس﴾ لا يجوز محاكمة التجار الفرنساويين ومستخدميهم وخادميهم فيما يختص بالمسائل الدينية أمام القاضى أو السنجق بيك أو الصوباشى أو غيرهم من المأمورين بل تكون محاكمتهم أمام الباب العالى ومن جهة أخرى يكون مصرح لهم باتباع شعائر دينهم ولا يمكن جبرهم على الاسلام أو اعتبارهم مسلمين مالم يقروا بذلك غير مكرهين

﴿البند السابع﴾ لو تعاقد واحد أو أكثر من رعايا فرنسا مع أحد العثمانيين أو اشترى منه بضائع أو استدان منه نقودا ثم خرج من الممالك العثمانية قبل أن يقوم بما تعهد به فلا يسأل القنصل أو أقارب الغائب أو أى شخص فرنساوى آخر عن ذلك مطلقا وكذلك لا يكون ملك فرنسا ملزما بشئ بل عليه أن يوفى طلب المدعى من شخص المدعى عليه أو أملاكه لو وجدت باراضى الدولة الفرنساوية أو كان له أملاك بها

﴿البند الثامن﴾ لا يجوز استخدام التجار الفرنساويين أو مستخدميهم أو خدامهم أو سفنهم أو قواربهم أو ما يوجد بها من اللوازمات أو المدافع والذخائر أو التجارة جبرا عنهم فى خدمة جلالة السلطان الاعظم أو غيره فى البر والبحر مالم يكن ذلك بطوعهم واختيارهم

﴿البند التاسع﴾ يكون لتجار فرنسا ورعاياها الحق فى التصرف فى كافة متعلقاتهم بالوصية بعد موتهم وعند وفاة أحد منهم وفاة طبيعية أو قهرية عن وصية فتوزع أمواله وباقى ممتلكاته على حسب ما جاء بها ولو توفى ولم يوص فتسلم تركته الى وارثه أو الوكيل عنه بمعرفة القنصل لو كان فى محل وفاته قنصل والا فتحفظ التركة بمعرفة قاضى الجهة بعد ان تعمل بها قائمة جرد على يد شهود أما لو كانت الوفاة فى جهة بها قنصل فلا يكون للقاضى أو مأمور بيت المال أو غيرهما حق فى ضبط التركة مطلقا

ولو

ولو سبق ضبطها بمعرفة أحد منهم يصير تسليمها الى القنصل أو من ينوب عنه لو طلبها قبل الوارث أو وكيله وعلى القنصل توصيلها او تسليمها الى صاحب الحق فيها

﴿البند العاشر﴾ بمجرد اعتماد جلالة السلطان وملك فرنسا لهذه المعاهدة لجميع رعاياهما الموجودين عندهما أو عند تابعيهم أو على مراكبهم أو سفنهم أو فى أى محل أو اقليم تابع لسلطتهما فى حالة الرق سواء كان ذلك بشرائهم أو بأسرهم وقت الحرب يصير اخراجهم فورا من حالة الاسترقاق الى بحبوحة الحرية بمجرد طلب وتقرير السفير أو القنصل أو أى شخص آخر معين لهذا الخصوص ولو كان أحدهم قد غير دينه ومعتقده فلا يكون ذلك مانعا الاطلاق سراحه

ومن الآن فصاعدا لا يجوز لجلالة السلطان أو ملك فرنسا ولا لقبودانات البحر ورجال الحرب أو أى شخص آخر تابع لاحدهما أو لمن يستأجرونهم لذلك سواء فى البر والبحر أخذ أو شراء أو بيع أو حجز أسراء الحرب بصفة أرقاء ولو تجاسر فرصان أو غيره من رعايا أى الدولتين المتعاقدتين على أخذ أحد رعايا الطرف الآخر أو اغتصاب أملاكه أو أمواله يصير اخبار حاكم الجهة وعليه ضبط الفاعل ومعاقبته على مخالفته شروط الصلح عبرة لغيره ورد ما وجد عنده من الاشياء المغتصبة الى من أخذت منه واذا لم يضبط الفاعل فيمنع هو وجميع شركائه من الدخول فى البلاد وتضبط ممتلكاته بجانب الحكومة التابع اليها ويصير التعويض على ما حصل له من الضرر بما يصادر من أملاك الجانى وهذا لا يمنع من مجازاته لو صار ضبطه فيما بعد وللمجنى عليه أن يستعين على الحصول على ذلك بضامنى هذا الصلح وهم السر عسكر عن الجناب السلطانى وأكبر القضاة عن ملك فرنسا

﴿البند الحادى عشر﴾ لو تقابلت دوناغات احدى الدولتين المتعاقدتين ببعض مراكب رعايا الدولة الاخرى فعلى هذه المراكب تنزيل قلوعها او رفع أعلام دولتها حتى اذا علمت حقيقتها لا تحجزها أو تضايقها السفن الحربية أو أى تابع آخر للدولة صاحبة الدوناغة واذا حصل ضرر لاحدهما فعلى الملك صاحب الدوناغة تعويض هذا الضرر فورا واذا تقابلت سفن رعايا الدولتين فعليهما رفع العلم وابداء السلام بطلقة مدفع والمجاوبة بالصدق لو سئل ربانها عن الدولة التابع اليها او لما تعلم

حقيقتها لا يجوز لاحداها أن تفتش الاخرى بالقوة أو تسبب لها أى عائق كان

﴿البند الثانى عشر﴾ اذا وصلت احدى المراكب الفرنساوية سواء بطريق الصدفة أو غيرها الى احدى مينا أو شطوط الدولة العلية تعطى ما يلزمها من المأكولات وغيرها من الاشياء مقابلة دفع الثمن المناسب بدون الزامها تفريغ ما بها من البضائع لدفع الاثمان ثم يباح لها الذهاب أينما تريد واذا وصلت الى الآستانة وأرادت السفر منها بعد الاستحصال على جواز الخروج من أمين الجمرك ودفع الرسم اللازم وتفتيشها بمعرفة الامين المشار اليه فلا يجوز ولا يمكن تفتيشها فى أى محل آخر الا عند الحصون المقامة بمدخل بوغاز جاليبولى (الدردنيل) بدون دفع شئ مطلقا الا عند هذا البوغاز ولا فى أى مكان آخر عند خروجها خلاف ما صار دفعه سواء كان الطلب باسم جلالة السلطان أو أحد مأموريه

﴿البند الثالث عشر﴾ لو كسرت أو غرقت مراكب احدى الدولتين بالصدفة أو غيرها عند البلاد التابعة للطرف الآخر فمن ينجو من هذا الخطر يبقى متمتعا بحريته لا مانع فى أخذ ما يكون له من الامتعة وغيرها أما لو غرق جميع من بها فما يمكن تخليصه من البضائع يسلم الى القنصل أو نائبه لتسليمها لاربابها بدون أن يأخذ القبودان باشا أو السنجق بيك أو الصوباشى أو القاضى أو غيرهم من مأمورى الدولة أو رعاياها شيأ منها والا فيعاقب من يرتكب ذلك بأشد العقاب وعلى هؤلاء المأمورين أن يساعدوا من يخصص لاستلام الاشياء المذكورة

﴿البند الرابع عشر﴾ لو هرب أحد الارقاء المملوكين لاحد العثمانيين واحتمى فى بيت أو مركب أحد الفرنساويين فلا يجبر الفرنساوى الا على البحث عنه فى بيته أو مركبه ولو وجد عنده يعاقب الفرنساوى بمعرفة قنصله ويرد الرقيق لسيده واذا لم يوجد الرقيق بداره أو مركب الفرنساوى فلا يسأل عن ذلك مطلقا

﴿البند الخامس عشر﴾ كل تابع لملك فرنسا اذا لم يكن أقام بأراضى الدولة العلية مدة عشر سنوات كاملة بدون انقطاع لا يلزم بدفع الخراج أو أى ضريبة أيا كان اسمها ولا يلزم بحراسة الاراضى المجاورة أو مخازن جلالة السلطان ولا بالشغل فى الترسانة أو أى محل آخر وكذلك تكون معاملة رعايا الدولة فى بلاد فرنسا

وقد اشترط ملك فرنسا أن يكون للبابا وملك انكلترا أخيه وحليفه الابدى وملك ايكوس الحق فى الاشتراك بمنافع هذه المعاهدة لو أرادوا بشرط أنهم يبلغون تصديقهم عليها الى جلالة السلطان و يطلب منه اعتماد ذلك فى ظرف ثمانية شهور تمضى من هذا اليوم

﴿البند السادس عشر﴾ يرسل كل من جلالة السلطان وملك فرنسا تصديقه للآخر على المعاهدة فى ظرف ستة شهور تمضى من تاريخ امضائها مع الوعد من كليهما بالمحافظة عليها والتنبيه على جميع العمال والقضاة والمأمورين وجميع الرعايا بمراعاة كامل نصوصها بكل دقة ولكى لا يدعى أحد الجهل بهذه المعاهدة يصير نشر صورتها فى الآستانة واسكندرية مصر ومرسيليا وناربونة وفى جميع الاماكن الاخرى الشهيرة فى البر والبحر التابعة لكل من الطرفين انتهت المعاهدة وبذلك صارت فرنسا الدولة الاوروباوية الوحيدة الحائزة امتيازات لرعاياها ولكن كان هذا الاتفاق سببا فى تداخل فرنسا وباقى دول أوروبا فى شؤن المملكة الداخلية خصوصا فى هذا القرن الاخير كما سيجئ وكانت هى آخر أعمال الصدر الاعظم ابراهيم باشا فان السلطان توجس منه خيفة لازدياد نفوذه على الجنود والقواد وازداد تحذره منه بعد محاربة العجم الاخيرة التى كان فيها ابراهيم باشا المذكور سرعسكر لجميع الجيوش فانه أمضى بعض الاوامر العسكرية بلقب سر عسكر سلطان وخشى السلطان أن تكون تلك الاعمال مقدمات لاغتصابه الملك لنفسه فأمر بقتله فى ٢٢ رمضان سنة ٩٤٢ الموافق ٥ مارث سنة ١٥٣٦ فقتل وخلفه فى مركز الصدارة اياس باشا

﴿خير الدين باشا البحرى وفتح اقليمى الجزائر وتونس﴾

ولنأت ههنا على ملخص تاريخ خير الدين باشا البحرى الذى اشتهر فى كتب الافرنج باسم (بارب روس) أى ذى اللحية الصهباء وما فتحه من البلاد فى سواحل بلاد الغرب وجنوب ايطاليا وانا لم نذكر حوادثه حسب ترتيبها لعدم الفصل بها بين أعمال السلطان سليمان الحربية فى جهات النمسا غربا و بلاد العجم شرقا خوفا من تشتيت فكر المطالع فنقول ان أصل خير الدين باشا من أروام جزيرة (مدللى) احدى جزائر الروم وكان

هو وأخ له يدعى (اوروج) يشتغلان بحرفة القراصين ببحر الروم ثم أسلما ودخلا في خدمة السلطان محمد الحفصي صاحب تونس واستمرا في حرفتهما وهي أسر مراكب المسيحيين التجارية وأخذ كافة ما بها من البضائع وبيع ركابها وملاحيها بصفة رقيق وفي ذات يوم أرسلا الى السلطان سليم الاول احدى المراكب المأسورة اظهارا لخضوعهم لسلطانه فقبلها منهما وأرسل لهما خلعا سنية وعشر سفن ليستعينوا بها على غزو مراكب الافرنج فقويت شوكتهما واشرأبت أعناقهما لاحتلال بعض سواحل بلاد الغرب باسم سلطان آل عثمان فاستولى خير الدين على ثغر (شرشل) باقليم الجزائر ثم عاد الى تونس ومنها أرسل الى السلطان سليم وقد كان اذ ذاك بمصر رسولا يدعى (كرداوغلى) يؤكد له به اخلاصه وولاءه للسدة السلطانية العثمانية أما أوروج فبعد ان استولى على مدينة الجزائر نفسها وهزم الجيوش الاسبانية التي أرسلها شارلكان لمساعدة الجزائريين على محاربة أوروج فتح أيضا مدينة تلمسان وقتل بعدها بقليل في محاربة الاسبانيين لكن لم يتمكن هؤلاء من استخلاص تلمسان والجزائر بل حفظهما خير الدين وقتل أمير الجزائر وأرسل من قبله أحد أتباعه واسمه الحاج حسين الى السلطان سليم وقد كان أتم فتح مصر ليخبره بفتح مدينة الجزائر باسمه الشريف فقابله السلطان وعين خير الدين باشا بكاربك على اقليم الجزائر وبذا صار هذا الاقليم ولاية عثمانية يدعى فيه في خطبة الجمعة باسم السلطان سليم وتضرب النقود باسمه

وبعد ذلك استمر خير الدين باشا في غزو مراكب الافرنج والنزول على بعض شواطئ ايطاليا وفرنسا واسبانيا وأخذ كل ما تصل اليه يده من أموال وأهالي وفتح الحصن الذي أقامه الاسبانيول في جزيرة صغيرة أمام مدينة الجزائر ثم أرسل اليه السلطان سليمان بعد تحالفه مع فرنسا أن يكف عن مراكب الفرنساويين وشواطئهم فحول كل قواه على شاطئ اسبانيا وانتقم من أهلها على ما ارتكبوه من الفظائع والمنكرات مع المسلمين بعد سقوط غرناطة في أيديهم وساعد كثيرا ممن بقي ببلاد الاندلس من المسلمين على الرجوع الى بلاد الغرب والاستيطان بها فرارا من اضطهاد الاسبانيول واجبارهم لهم على الخروج من دين الاسلام واعتناق الدين المسيحي

مما لا يدخل في موضوع هذا الكتاب

وفي أوائل سنة ١٥٣٣ استدعاه السلطان سليمان الى الاستانة ليتفق معه على ما يلزم اتخاذه من الاحتياطات لصد هجمات الاميرال (اندري دوريا) الجنوي أجير شارلكان فسافر ببعض المراكب ووصل القسطنطينية بعد سفر الصدر الاعظم ابراهيم باشا لمحاربة العجم بقليل فقابله الملك وأحسن وفادته وأمره بالاستعداد وانشاء المراكب الكافية لفتح اقليم تونس فاشتغل خير الدين باشا طول الشتاء بانشاء المراكب

وفي أوائل صيف سنة ١٥٣٤ بعد ما سافر السلطان سليمان قاصداً مدينة تبريز كامر خرج خير الدين بمراكبه من بوغاز الدردنيل غير قاصد تونس مباشرة بل عرج في طريقه على جزيرة مالطه وبعض مواني جنوب ايطاليا للغزو مراكبها وأهلها بدون احتلالها حتى لا يعلم قصده الاصلي وهو فتح تونس ثم قصد مدينة تونس في أوائل سنة ١٥٣٥ وأعلن الاهالي انه آت لعزل السلطان مولاي حسن وكان الاهالي ناقمين عليه لميله لشارلكان وتنصيب أخيه حسن الرشيد مكانه وبذلك احتل مدينة تونس وثغرها المسمى حلق الوادي بدون كثير عناء باسم السلطان سليمان العثماني

ولما وصل الامبراطور شارلكان خبر سقوط تونس اتحد مع رهبنة القديس حنا الاورشليمي التي نزلت بجزيرة مالطه بعد فتح جزيرة رودس على استرجاع تونس واعادة مولاي حسن الى تخت ملكه وجهز عمارة قوية قادها هو بنفسه ونزل مع أشراف اسبانيا من ثغر برشلونه في ٢٩ مايو سنة ١٥٣٥ ووصل الى حلق الوادي في ١٦ يونيه وحاصرها هي ومدينة تونس مدة شهر تقريبا وفتحها في ١٤ يوليو واستولى على ما بقلعتها وثغرها من المدافع والمراكب وفي يوم ٢١ يوليو دخلت جيوش شارلكان المدينة وصرح لهم بنهبها فقتلوا ونهبوا وفسقوا وارتكبوا كل أنواع المحرمات وهدموا المساجد وحرقوا ومزقوا أغلب الكتب النفيسة وفي أول اغسطس دخلها شارلكان ومنع الجيش عن هذه الاعمال فاستتب الأمن وسادت السكينة وفي ثمانية منه أمضيت معاهدة بين شارلكان

ومولاى حسن الذى أعيد الى ملكه تقضى عليه باخلاء سبيل الارقاء المسيحيين والاباحة لجميع المسيحيين بالاستيطان فى اقليم تونس واقامة شعائر دينهم بدون معارضة وأن يتنازل لشارلكان عن مدائن بونه وبنى زرت وحلق الوادى وأن يدفع له مبلغ اثنى عشر ألف دوكا مصاريف الحرب وأن يقدم له سنويا اثنى عشر حصانا وقدرها من المهارة العربية علامة امتنانه بشرط انه لو خالف احدى هذه الشروط يدفع أول مرة خمسين ألف دوكا وفى الثانية مائة ألف وفى الثالثة يسقط حقه فى الملك وفى ١٧ اغسطس سافر الامبراطور شارلكان تاركا فى حلق الوادى ألف جندى اسبانيولى وعشرة مراكب حربية أما خير الدين باشا فانه لما رأى تحزب الاهالى وميلهم لسلطانهم المعزول وعدم وجود الجنود الكافية معه وبعده عن مركز السلطنة لامداده فى الوقت اللازم ارتحل بجنوده على مراكبه

﴿اتحاد فرنسا والدولة العلية على محاربة النمسا وبعض وقائع أخرى﴾

ولنرجع الى ذكر محالفة فرنسا مع الدولة العلية ونتائجها فنقول ان اتفاقهما كان قاضيا بان الدولة العلية تجعل وجهة حربها بلاد نابولى وجزيرة صقلية واسبانيا عوضا عن مهاجمة النمسا التى تحد جميع امارات وممالك ألمانيا المدافعة عنها اذ هى مع استقلالها جزء من التحالف الالمانى وان جيوش فرنسا تدخل بلاد ايطاليا من جهة (اقليم بيمونتى) بشمال ايطاليا حينما تدخلها الجيوش العثمانية من جهة مملكة نابولى

لكن عدم دخول جمهورية البندقية فى هذا التحالف واظهارها العدوان لهم كان سببا فى عدم نجاح كل هذه التدبيرات وساعد على ذلك هياج الرأى العام المسيحى ضد التحالف الفرنساوى العثمانى واحجام فرنسوا الاول أمام النفور العام خشية أن يرمى بالمروق عن دينه المسيحى باتحاده مع دولة اسلامية لمحاربة دولة تدين بدينه فاراد السلطان سليمان الانتقام من جمهورية البنادقة على عدم انحيازها لمحالفته مع انه راعى جوارها ولم يغز بلادها فارسل خير الدين باشا الذى ترقى الى رتبة قبودان باشا بجميع الدونمات العثمانية ومعه نحو ألف سفينة لمحاصرة جزيرة كورفو فحاصرها فى شهر سبتمبر سنة ١٥٣٧ وأتى السلطان بنفسه لمناظرة الحصار لكنه

أمر برفعه عنها الشدة دفاع أهلها وعدم ضياع وقته النفيس حول هذه الجزيرة الصغيرة وعاد هو الى القسطنطينية فوصلها فى أول نوفمبر من السنة المذكورة وأرسل خير الدين باشا لفتح مابقى من جزائر الروم ففتح أغلبها وغزى جزيرة كريد «٥٦» وفى عودته قابل دونغة مؤلفة من مائة وسبعين سفينة تقريبا يقودها اندرى روبا أميرال شارلكان فحاربها وانتصر عليها فى ٢٥ سبتمبر سنة ١٥٣٨

وفى مايو سنة ١٥٣٨ جمع السلطان سليمان ببلاد الارنؤد جيشا عظيما مؤلفا من مائة ألف مقاتل لشن الغارة على بلاد ايطاليا وكان معه ولداه محمد وسليم وسفير فرنسا المسيو (دولافورى) وفى الوقت نفسه نزل خير الدين باشا بعمارته بجنوب ايطاليا استعدادا لمهاجمتها من جهة الجنوب بينما يهاجمها السلطان سليمان من جهة الشرق وملك فرنسا من جهة الغرب لكن احجام ملك فرنسا عن التقدم اطاعة للرأى العام كما ذكرنا كان السبب فى عدم نجاح هذا المشروع الذى لو تم لكانت نتيجته دخول بلاد ايطاليا بأسرها تحت ظل الدولة العلية وانتهى الامر بان تهادن ملك فرنسا مع الامبراطور شارلكان وأمضيا مهادنة نيس سنة ١٥٣٨ أما من جهة البندقية فاستمرت الحرب بينها وبين الدولة العلية سجالا وانتهت بالصلح فى أواخر سنة ١٥٣٨ بتنازل البندقية عن ملفوازى ونابولى دى رومانيا من بلاد موره

هذا أما من جهة بلاد المجر فابتدئت الحروب ثانية سنة ١٥٣٧ وانتهت بانهزام جيش ألمانى مرسل من قبل شارلكان تحت رياسة أشهر قواده فى ٢ دسمبر سنة ١٥٣٧ وفى سنة ١٥٣٨ عصى أمير البغدان بناء على تحريض فردينان ملك النمسا له فقهر وولى مكانه أخوه اسطفن وعززت الحامية العثمانية منعا لحصول مثل ذلك

«٥٦» جزيرة شهيرة بالبحر الابيض المتوسط ذات موقع حربى من الاهمية على جانب عظيم لوجودها عند مدخل ارخبيل اليونان بحيث يكون المحتل لها كالقابض على بوغاز الدردنيل احتلها العرب مدة من الزمان ثم استرجعها الروم سنة ٩٦١ ميلادية وفى سنة ١٢٠٤ أخذها البنادقة لما فتح الصليبيون مدينة الاستانة وفتحها العثمانيون ولم تزل تابعة لهم حتى الآن الا انها لا تخلو دائما من الاضطرابات بسبب الدسائس ولها بعض امتيازات وتبذل مملكة اليونان وسعها لضمها اليها الا ان بعض الدول ذوات الصالح فى البحر المتوسط لا تسمح لها بذلك خوفا من ازدياد نفوذ اليونان فى هذا البحر

﴿موت زابولى ملك المجر وسفر السلطان الى بود لمحاربة النمساويين﴾

وفى هذا الاثناء اتفق فرديننان وزابولى ملك المجر على اقتسام البلاد أولى من تداخل العثمانيين فى شؤنهم كما سبق ووجود المجر تحت حمايتهم الامر المشين لكافة الممالك المسيحية وكانت هذه دسيسة من فرديننان للايقاع بزابولى الذى قبل حماية العثمانيين له مدة من الزمن فارسل صورة هذا الاتفاق الى الباب العالى ليعلمه بعدم ولاء زابولى له

ثم مات زابولى سنة ١٨٤٠ قبل أن تقتص الدولة العلية منه على خيانته تاركا طفلا صغيرا ولد قبل موته بخمسة عشر يوما فأغارت على الفور جيوش النمسا على المجر منتهزين هذه الفرصة لنوال مآربهم أى استخلاص بلاد المجر من حماية وتابعية الدولة العلية وحاصروا أرملة زابولى وابنها فى مدينة بود واحتلوا مدينة بيست ﴿٥٧﴾ المقابلة لها على نهر الطونة وعدة قلاع بالقرب منها وبمجرد وصول هذا الخبر للدولة العلية قام السلطان بنفسه قاصدا بلاد المجر فى شهر يوليو سنة ١٥٤١ ووصل فى ٢٩ أغسطس الى مدينة بود التى رفع النمساويون عنها الحصار بمجرد سماعهم خبر قدوم السلطان وجيوشه واشتد يأس الجنود المجرية المحصورة داخلها خشية من وقوعهم بين نارين وفى اليوم التالى قدم الى السلطان سليمان ولد زابولى وفى أثناء الاحتفال بقدومه احتل الانكشارية المدينة ثم دخلها السلطان باحتفال زائد وجعل بلاد المجر ولاية عثمانية وحول أكبر كنائسها الى مسجد جامع وتعهد جلالة السلطان كتابة الى أرملة زابولى بانه لا يحتل بلاد ولدها الا مدة طفوليته ويعيدها له متى بلغ رشده

وعقب ذلك بقليل وصل الى معسكر السلطان سليمان وفد من قبل ملك النمسا يحمل اليه كثيرا من الهدايا النفيسة منها ساعة تدل على الايام والشهور وسير الكواكب وعرض عليه هذا الوفد دفع مائة ألف فلورين سنويا جزية عن جميع بلاد المجر لو تركها له السلطان أو أربعين ألفا فقط عن الجزء المحتلة له جيوش النمسا فاجابه السلطان أن لا يتخابر معهم بخصوص الصلح الا بعد أن يخلى فرديننان القلاع المجرية

﴿٥٧﴾ مدينة شهيرة ببلاد المجر على نهر الطونة امام مدينة بود كانت بمعزل عنها ثم صارتا مدينة واحدة بعد بناء الكوبرى الموصل بينهما وأطلق عليهما اسم ﴿بودابيست﴾

التي بيده ولذا لم يتم الصلح وبقي العدوان مستمرا وبعد ذلك بأيام قلائل وصل الى السلطان سفير فرنساوي يخبره باستئناف الحروب بين فرنسا وشارلكان وأنه يسعى في تجديد التحالف بين الدولة والباب العالي لمحاربة شارلكان ومما يدل على ضعف سياسة فرنسوا الاول وعدم ثباته انه بعد ان أمضى مع شارلكان هدنة (نيس) ساعده أيضا لدى الدولة العثمانية للحصول على هدنة بينها وبينه وكتب في سنة ١٥٣٩ بذلك خطابا للسلطان سليمان فجاوبه السلطان انه لا يهادنه الا اذا رد له (ملك فرنسا) جميع القلاع والحصون التي فتحها ولما لم يقبل شارلكان ذلك فترت العلاقات بينهما وصارت الحرب قاب قوسين أو أدنى سنة ١٥٤١ وأرسل المسيو (رنسون) الى القسطنطينية ليتفق مع السلطان على الترتيبات الحربية اللازمة

وفي أثناء مسير هذا السفير من اقليم ميلان قتله أحد أعوان حاكم هذا الاقليم التابع لشارلكان وبناء على أوامره طمعا في العثور على أوراق معه للسلطان يوجد بها ما يمس الدين المسيحي فينشرها بين ملوك وأمراء أوروبا ليوغر صدورهم عليه ويتركوه بلا مساعدة فيفوز هو بالغلبة عليه لكن خاب مسعاه حيث لم يجد معه أوراقا من هذا القبيل بل أهرق دم السفير هدرا

﴿سفر الدونانمة العثمانية الى فرنسا وفتح مدينة نيس﴾

ولما بلغ فرنسوا الاول خبر قتل سفيره أرسل بدله أحد ضباطه المسيو بولان الى السلطان سليمان يطلب منه مساعدته على محاربة شارلكان بسفنه وقائدها خير الدين باشا فتردد السلطان أولا لعدم ثبات ملك فرنسا وضعف عزيمته وقبل أخيرا بناء على الحاح السفير وتعضيد خير الدين باشا له لاسيما وقد وصل اليه خبر مهاجمة شارلكان بجيوشه لمدينة الجزائر وارتداده عنها خائبا في ٣١ اكتوبر سنة ١٥٤١ وفي ربيع سنة ١٥٤٣ سافر السلطان بجيوشه الى بلاد المجر لاستئناف المحاربات وفي الوقت نفسه أقلع خير الدين باشا من مياه الآستانة بمراكبه ومعه السفير الفرنساوي بولان قاصدا مرسيليا احدى مواني فرنسا الجنوبية فوصلها بعد ان غزى في طريقه سواحل جزيرة صقلية وقوبل من الفرنساويين بكل تجلة واكبار

وانضمت سفنه الى سفنهم ومنها أقلعوا الى مدينة نيس فحاصروها من جهة البحر وفتحوها عنوة ولو وقوع الشحناء بين العسكرين لم يتم احتلالها

ثم أذن لخير الدين باشا ومراكبه بتمضية فصل الشتاء فى مينا طولون «٥٨» بفرنسا وأعطى له ثمانمائة ألف ريال فرنساوى للصرف على جنوده وفى ربيع السنة التالية سنة ١٥٤٤ رفض فرنسوا الاول مساعدة العمارة العثمانية له لهياج جميع المسيحيين عليه ونسبتهم اياه للمروق عن دينه لاستعانته بالمسلمين وأبرم مع شارلكان فى مارث سنة ١٥٤٤ معاهدة (كرسبى) القاضية بالصلح فعاد خير الدين باشا الى القسطنطينية وتوفى سنة ١٥٤٦ ودفن بجهة بشكطاش على شاطئ البوسفور فى المحل المعد لمرسى الدوناغات العثمانية

﴿ابرام الصلح مع النمسا﴾

أما من جهة النمسا فاستمر القتال بينها وبين العثمانيين مدة من الزمن كان النصر فيها غالبا فى جانب الجنود المظفرة الاسلامية وأخيرا ابتدئ فى المخابرات بين الطرفين للتوصل الى عقد صلح مرضى لكل منهما واستمرت المخابرات جارية الى سنة ١٥٤٧ لعدم اتفاقهما وسعى سفير فرنسا المسيو جبريل دارامون فى عدم الوصول الى الوفاق طمعا منه فى تجديد علائق الالفة بين دولته والدولة العلية لكن وفاة فرانسوا الاول فى شهر مارث سنة ١٥٤٧ ساعدت على اتمام الصلح فتم الامر بينهما فى ١٩ يونيو على هدنة خمس سنوات بشرط أن يدفع فرديناند ملك النمسا جزية سنوية مقدارها ثلاثون ألف دوكا نظير ما بقى تحت يده من بلاد المجر وأن تبقى بلاد المجر تابعة لابن زابولى أميرها الاخير تحت وصاية أمه (ايزابلا) ورعاية الدولة العلية

﴿محاربة العجم ودخول العثمانيين مدينة تبريز ثالث دفعة﴾

هذا ولنذكر ما حصل فى هذه المدة من الحروب فى جهات آسيا فنقول انه حضر الى دار الخلافة العظمى سنة ١٥٣٧ سفير من قبل صاحب دهلى بالهند يستنجده

«٥٨» مدينة شهيرة فى جنوب فرنسا على البحر الابيض المتوسط بها مرسى سفنها الحربية وفى سنة ١٧٩٣ سلمها المحازبون للملوك الى الانكليز ثم استردها الفرنساويون فى دسمبر من السنة المذكورة بهمة واستعداد نابوليون بونابرت التى كانت هذه الموقعة فاتحة أعماله ومقدمة انتصاراته

ضد سلطان المغول وآخر من قبل صاحب الجوزرات بالهند أيضا يطلب منه المساعدة ضد البرتغاليين الذين أغاروا على بلاده واحتلوا أهم ثغورها

فارسل السلطان أوامره الى من يدعى سليمان باشا والى مصر اذ ذاك بتجهيز عمارة بحرية بثغر السويس على البحر الاحمر لمحاربة البرتغاليين وفتح عدن «٥٩» وبلاد اليمن حتى لا تستولى عليها البرتغال أو أى دولة أوروبية أخرى فتصير حجر عثرة فى سبيل تقدم الدولة العلية فى جهات الشرق وقاعدة لاعمال الدولة التى تحتلها ضد مصر فصدع سليمان باشا بامره وشيد عمارة بحرية هائلة مؤلفة من سبعين سفينة فى أقرب وقت وسلحها بالمدافع الضخمة وسار بها فى يونيو سنة ١٥٣٨ ومعه عشرون ألف جندى وفتح مدينة عدن فى طريقه ثم قصد سواحل الجوزرات وفتح أغلب الحصون التى أقامها البرتغاليون هناك لكن أخفق أمام ثغر (ديو) بعد ان حاصره مدة ثم قفل راجعا بالغنائم وفتح فى أيامه باقى اقليم اليمن وجعل ولاية عثمانية

وفى سنة ١٥٤٧ قبل اتمام الصلح مع النمسا أتى الى الباب العالى أخ لشاه العجم يدعى (القاصب مرزا) وطلب من السلطان انجاده ضد أخيه الذى اهتضم له حقوقا فانتهز السلطان هذه الفرصة لتجديد الاغارة على بلاد العجم وانتظر ريثما يتم الصلح باوروبا ويهدأ باله من جهتها وفى أوائل سنة ١٥٤٨ سار بجيوشه قاصدا مدينة تبريز فدخلها ثالث دفعة وفتح فى طريقه الجزء التابع للعجم من بلاد الكرد وقلعة (وان) الشهيرة وعاد يحف به النصر والظفر الى القسطنطينية فى دسمبر سنة ١٥٤٩ أما القاصب مرزا فأخذ أسيرا فى احدى الوقائع الحربية بعد ان سار مع جيش من الاكراد الى قرب مدينة أصفهان

ولم تدم السكينة فى ربوع بلاد المجر والنمسا بدسيسة راهب يدعى مارتنوزى كانت قربته اليها الملكة (ايزابلا) بناء على وصية زوجها لما قبل موته فانه سعى فى التوفيق

«٥٩» بحيث جزيرة بجنوب بلاد اليمن وبها مدينة مهمة بالنسبة لمركزها المتوسط بين مصر والهند ولقربها من بوغاز باب المندب ولذلك تنازعها الفاتحون وأخيرا فتحها العثمانيون كما رأيت ثم خرجت من تحت سلطتهم وتناوبتها أيدى كل من تغلب على اليمن من العرب وغيرهم وفى سنة ١٨٣٩ احتلها الانكليز وأقاموا بها مستودعا للفحم الحجرى وزادت أهميتها بالنسبة لهم بعد فتح بوغاز السويس واتخاذ مراكبهم هذه الطريق لانها أفضل الطرق الى هندهم التى هى لهم بمثابة الروح من الجسد

بين الملكة وفرديناند ملك النمسا حتى انه تحصل بقوة دهائه وسلطته الدينية على ان تنازلت الملكة الى فرديناند عن اقليم ترانسلفانيا ومدينة تمسفار خلافا لشروط الهدنة وسير فرديناند جيشا نمساويا لاحتلالهما وفي أثناء هذه المخابرات كان الراهب يكاتب السلطان سليمان ويظهر له الاخلاص وصدق الولاء لكن لم تخف حقيقة الامر على السلطان بل علم بهذا التنازل المخالف للعهود وأرسل على الفور جيوشه المظفرة للمحافظة على نفاذ شروط الهدنة وارجاع النمساويين الى حدودهم فأرسل جيشا مؤلفا من ثمانين ألف جندي الى بلاد المجر في شهر سبتمبر سنة ١٥٥١ ولم يقابل هذا الجيش في طريقه مقاومة تذكر بل فتح بكل سهولة القلاع والحصون المحتلة لها جيوش النمسا لاخلاء النمساويين لها عند اقتراب الجنود العثمانية اليها ودنوها منها ولما رأى الراهب مارتينوزي أفول نجمه وعدم نجاحه في الحصول على مرغوبه أراد السعي لدى السلطان سليمان باظهار الميل لمساعدته في اخضاع اقليم ترنسلفانيا الذي قاوم الجيوش العثمانية مقاومة شديدة طمعا في أن يعين هو واليا عليها فأحس فرديناند بخيانته ودس عليه من قتله في دسمبر سنة ١٥٥١

وفي سنة ١٥٥٢ انتصر العثمانيون على النمساويين في عدة وقائع وفتح الوزير الثاني أحمد باشا مدينة (تمسفار) وحاصرت الجيوش بعد ذلك مدينة (ارلو) «٦٠» ببلاد النمسا الحصينة مدة من الزمن ثم رفع عنها الحصار لمنعتها وعدم وجود الوقت الكافي لتشديد الحصار عليها واجبارها على التسليم بمنع المؤنة عنها لاقتراب فصل الشتاء وشدته في هذه الاقاليم

وفي أثناء ذلك كان القبودان (طرغول) الذي أخلف القبودان الشهير خير الدين باشا في غزو مراكب الافرنج وشواطئ بلادهم حاز شهرة عظيمة في الحروب البحرية وخافت بأسه جميع دول الافرنج المعادية للدولة العلية وحفظ اسم البحرية العثمانية من السقوط بموت رئيسها بل ومؤسسها الاكبر خير الدين باشا

«٦٠» مدينة صغيرة ببلاد المجر واقعة في الشمال الشرقي لمدينة بود على مسافة مائة كيلومتر وثمانين اشتهرت في التاريخ بصد هجمات العثمانيين والزامهم رفع الحصار عنها في سنة ١٥٥٢ لكن فتحها العثمانيون عنوة سنة ١٥٩٦ وبعد صلح سنة ١٦٠٦ صارت تتبع النمسا تارة وامارة ترنسلفانيا تارة أخرى واسمها بلغة المجر ايجر

معاهدة

﴿معاهدة سنة ١٥٥٣ بين فرنسا والدولة العلية﴾

وبعد موت السلطان فرنسوا الاول ملك فرنسا حذا ولده هنري الثاني حذوه ونسج على منواله في موالاة الدولة العلية والمحافظة على محبتها وتوثيق عرى الالفة والاتحاد معها للاستعانة بعسكريتها عند الحاجة فأبقى المسيو جبريل دارامون سفيراله بدار السعادة وأمره بمرافقة السلطان في حملته الاخيرة على بلاد العجم فرافقه وفي عودته زار بيت المقدس فقابله الرهبان والقسوس بكل احتفال لتأييد المعاهدات السابقة القاضية بجعل جميع الكاثوليك المستوطنين باراضي الدولة العلية تحت حماية فرانسا ثم عاد الى فرانسا فوجد نيران الحرب قد اشتعلت ثانيا بينها وبين النمسا فعاد الى القسطنطينية واتفق مع الباب العالي على ان تتحد الدونانمة التركية مع العمارة الفرنساوية لفتح جزيرة كورسيكا ﴿٦١﴾ مجازاة لاهالي جنوه المحتلين لها على مساعدتهم لشارلكان ولتكون مركزا لاعمال الدونانماتين في غزو سواحل اسبانيا وايتاليا وأبرمت بينهما بذلك معاهدة بتاريخ ١٦ صفر سنة ٩٦٠ الموافق أول فبراير سنة ١٥٥٣ وهذا نصها مترجمة عن مجموعة البارون دي تستا السابق ذكرها

﴿معاهدة تحالف﴾

تحررت بتاريخ ١٦ صفر سنة ٩٦٠ الموافق أول فبراير سنة ١٥٥٣

ان جلالة السلطان سليمان وهنري دي فالوا الثاني ملك الفرانك قد أبرما اتحادا مشتملا على العبارات الآتية بخصوص الحرب البحري (جعله الله حميد العاقبة) الذي سيشرعان فيه ضد الامبراطور شارلكان

﴿البند ١﴾ بما أن جلالة السلطان تعلم ان سلطان الترك بارساله عمارة بحرية في بحر التوسكان ضد الامبراطور شارل الخامس قد أعان بذلك هنري دي فالوا مدة سنتين بناء على طلبه المتكرر في بادئ الامر وبالخصوص بناء على ترجياته البالغة أقصى درجات الحض فقد اتفق بأن الملك هنري يدفع ثلاثمائة ألف قطعة من

﴿٦١﴾ احدى جزائر البحر الابيض الكبيرة وأقربها لفرنسا احتلها المسلمون مدة وصارت أخيرا تابعة لجمهورية جنوة وفي سنة ١٧٦٨ تنازلت عنها هذه الجمهورية للويز الخامس عشر ملك فرنسا وفي سنة ١٧٩٣ احتلها الانجليز ثم استردتها فرنسا سنة ١٧٩٦ ولم تزل تابعة لها حتى الآن وبها ولد نابليون الاول امبراطور فرنسا في سنة ١٧٦٩ أي بعد تنازل جنوه عنها لفرنسا بسنة واحدة

الذهب بصفة متأخر مرتب الدوناغة وذلك حينما تصير الملاحة مأمونة لنقل النقود بالعمارة وأن السفن الحربية التابعة للملك هنرى لا تتباعد عن العمارة المذكورة وتعتبر كأنها مرهونة نظير المبلغ المذكور حتى يدفع لاميرال عمارة السلطان سليمان

﴿البند ٢﴾ متى توفر هذا الشرط بوجه العدالة فان جلالة سلطان الترك سليمان يقوم بتجهيز ستين مركبا حربيا ذات ثلاثة صفوف و ٢٥ قرصانا بحريا ويرسلها للملك هنرى فى مدة أربعة شهور متوالية من ابتداء أول مايو القابل

﴿البند ٣﴾ أما فى حالة ما اذا أراد هنرى دى فالو أن يستعمل العمارة المذكورة فى أثناء هذه المدة للاستعانة بها على الجهات الغربية أى الجهات الواقعة من ابتداء كروتون لغاية (جائت) فانه يقوم بدفع مائة وخمسين ألف قطعة من الذهب الى جلالة سلطان الترك سليمان بغاية من الضبط التى ليست بعدها غاية

﴿البند ٤﴾ كل سفينة تابعة للامبراطور أو للمتحالفين معه سواء كانت معدة للنقل أو كانت من المراكب الخفيفة وسواء كانت سفنا حربية صغيرة أو كبيرة فبمجرد وقوعها أسيرة لدى العمارة العثمانية تصير من تلك اللحظة ملكا للسلطان سليمان ملك الترك

﴿البند ٥﴾ المدن والقصبات والقرى والكفور التى تتغلب عليها هذه العمارة تكون مباحة غنيمة للترك وجميع سكانها راشدين أو قاصرين رجالا كانوا أو نساء ولو أنهم معتنقون الديانة المسيحية ويكونون قد سلموا أنفسهم باختيارهم فانه لا بد من تركهم أسراء وعبيدا للترك بمقتضى واجبات الاتفاق الصريحة بهذا الصدد الذى جرى عليها الامر بين السلطان سليمان و بين فرانسوا أبى هنرى من منذ سبع عشرة سنة الى الان امتلاك هذه المدن والقصبات والقرى والكفور والمؤن والذخائر وكذلك مدافع البرونز صغيرة كانت أو كبيرة مع جميع متعلقاتها من حيوانات وغيرها التى توجد فيها فانها تترك للملك هنرى بموجب هذه المعاهدة

﴿البند ٦﴾ اذا أصدر الملك هنرى أمره الى عمارة جلالة السلطان سليمان بأن تحارب شارل ملك النمسا غير متجهة نحو الغرب بل نحو الشرق والجنوب ويقصد بذلك مسيرها فى الشواطئ من عند مصب نهر ترونتو لغاية كروتون بحيث

ان

ان هــذه العمارة تقوم بأعباء أوامر هــنرى بدون مقابل فقــد اتفق على أن المواد الحربيــة ومؤنات المدن والقصــبات التى تقع تحت يد الترك يتنازل عنها الملك هنرى ولكن المدن والقصــبات والقرى والكفور فانها تترك غنيمــة للترك كما تقرر ذلك بالبند السـابق وأما الوطنيون والمزارعون والقـاطنون البـالغون والقـاصرون الرجال منهم والنساء فانهم يسلمون للأمير بدون معارضــة حتى ولو كانوا ممن يعتنقون الديانة المسيحية بل ولو كانوا ممن أسلم نفسه بمحض ارادته

﴿البنــد ٧﴾ يمكن لأمير العمــارة جلالة الملك سليمان أن يستولى و يأسر باسم مليكه الأفخم كل مكان تقــدم عليه العمارة التركية المظفرة متى رأى ثمــة من فائدة وذلك من ابتــداء حدود نهر ترونتو لغاية أوترانت وكروتون ومن ثم لغاية صقلية ونابولى وعمومًا جميــع الأقاليم المملوكة للامبراطور شارل الخامس ملك النمسا سواء كان ذلك المكان داخــل الأراضى أو سواء كان مدينــة أو قصــبة أو قرية أو كفرا أو مينا أو خليجا وله الحق فى الاستيلاء على أى ســفينة يصادفها وله أن يغزو بل وأن ينهب و يأسر الرجال والنساء البالغــين أو القاصرين حتى أنه يمكنه متى شاء أن يحافظ ويتملك جميــع ما يغتنمــه سواء كان من بنى الانســان أو المــدن أو البيوت الخــاوية وأن يعــدها و يســتعملها لاحتياجاته ولو ضــد رغبة الفرنك و بالرغم عن مضادتهم الشديدة فى ذلك

﴿البنــد ٨﴾ اذا تحصل جلالة السلطان سليمان على تملك احدى الاربعة مدن مع حصنها فى اقليم (اليبوى) بواسطة مساعى فرديناند سنســيفرن برنس دى سالرنيتين بمقتضى تعهد هــذا الأمير فجلالة السلطان سليمــان يعيد الى هنرى مبلغ الثلاثمــائة ألف قطعة من الذهب التى ضمن له كما تقدم دفعها وذلك فى حالة ما اذا كانت دفعت اليه

﴿البند ٩﴾ جلالة السلطان سليمان يســلم عدا عن ذلك الثلاثين سفينة حربية و بحارتها بدون أدنى فدية وكذا المدافع والمؤن وجميــع المواد و يستثنى من ذلك رجال بحريته الخصوصــيون وعســاكره كما وأنه يدفع فى أقرب وقت لبرنس سالرن الذى بذل نفســه وكل ما فى وســعه للحصول عليها وكان نصيبه أن حرم من منصــبه وطرد من وطنــه و بيتــه مبلغ الثــلاثين ألف قطعــة من الذهب التى صرفها بكل

ارتياح وكرم

فهذه البنود بالحالة التي هي مكتوبة بها أعلاه قد وضعت بحسب ما جرت به العادة بكلام مضبوط لا يقبل التأويل بواسطة أرامونت سفير هنري لدى جلالة السلطان سليمان الذي أضاف اليها قسما صريحا بحضور برنس سالرنيتين بصفة كونه نائبا أمينا ومن جهة أخرى فقد تصدق عليها من رستم باشا بموجب السلطة الممنوحة له من لدن جلالة السلطان سليمان

وقد أبرم جميع ذلك واتفق عليه بالقسطنطينية في أول فبراير سنة ١٥٥٣

فسارت مراكب الدولتين وفتحت جزيرة كورسيكا بعد شن الغارة على بلاد كلابريا وجزيرة صقلية «٦٢» من أعمال ايطاليا لكن لوقوع النفرة بين القائدين لم يستمر احتلالها بل افترقت العمارتان ورجع القبودان العثماني الى الاستانة

وكانت هذه آخر دفعة حارب فيها العثمانيون والفرنساويون كتفا لكتف لتغير الظروف والاحوال حتى أتت حرب القرم الاخيرة التي حصلت في أواسط هذا القرن وحاربت فيها فرنسا وانكلترة مع الدولة العلية دولة الروس لا دفاعا عن الدولة العثمانية بل لاضعاف الروسيا حتى لا تتمكن من الاستيلاء على بوغاز البوسفور كما سيأتي مفصلا

«قتل السلطان لولديه مصطفى وبايزيد»

ولنذكر هنا حادثة شنيعة وهي قتل السلطان لولده الاكبر مصطفى بناء على دسيسة احدى زوجاته واسمها روكسلان حتى يتولى بعده ابنها سليم وذلك انها كانت محبوبة لديه وبسعيها تعين رستم باشا صدرا أعظم بعد موت اياس باشا وزوجه السلطان ابنته منها ولما له فيه من الثقة كاشفته برغوبها وهو تمهيد الطريق لتولي ابنها سليم فانتهز هذا الوزير فرصة انتشاب الحرب بين الدولة ومملكة العجم في سنة ١٥٥٣ ووجود مصطفى ضمن قواد الجيش وكتب الى أبيه بان ولده يحرض الانكشارية

«٦٢» هي أكبر جزائر البحر المتوسط وواقعة في طرف مملكة ايطاليا وعاصمتها مدينة بالرمه واحتلها العرب عدة قرون في أيام دولة بني الاغلب والفاطميين بتونس ثم استقلت وهي الآن تابعة لمملكة ايطاليا وبها ولد المؤرخ الشهير د يودور الصقلي وغيره من فحول الرجال

على

على عزله وتنصيبه كما فعل السلطان سليم الاول مع أبيه السلطان بايزيد الثانى فلما وصل هذا الخبر الى السلطان وكانت والدة سليم قد تمكنت من تغيير أفكاره نحوه قام فى الحال قاصدا بلاد العجم متظاهرا بانه يريد أن يتولى قيادة الجيش ولما وصل الى المعسكر استدعى ولده المسكين الى سرادقه فى يوم ١٢ شوال سنة ٩٦٠ هـ الموافق ٢١ سبتمبر سنة ١٥٥٣ وبمجرد وصوله الى الداخل خنقه بعض الحجاب المنوطين بتنفيذ مثل هذه الاوامر فقتل رحمه الله شهيد دسائس زوجة والده وعدم تثبت أبيه مما نسب اليه وكانت هذه الشنعة الشنعاء نقطة سوداء فى تاريخ السلطان سليمان الذى اتسعت دائرة السلطنة فى أيامه ولولا دسيسة هذه المرأة الاجنبية التى ربما كانت موجودة لهذه الغاية لبقى اسمه لا تشوبه شائبة ثم نقلت جثة هذا الشهيد الى مدينة بورصة ودفنت مع جثة أجداده ولم تكتف هذه المرأة البربرية الطباع بقتل مصطفى سلطان بل أرسلت الى مدينة بورصة من قتل ابنه الرضيع وقال فى ذلك بعض الشعراء

يا دهر ويحك ما أبقيت لى جلدا * وأنت والدسوء تأكل الولدا

وكان رحمه الله محبوبا لدى الانكشارية لشجاعته ولدى العلماء والشعراء لاشتغاله بالادب وميله الى الشعر فرثاه كثير من الشعراء بقصائد رنانة ولم يخشوا سطوة أبيه أما الانكشارية فثاروا وطلبوا من السلطان قتل الوزير رستم باشا المدبر لهذه المكيدة حبا فى حفظ منصبه فعزله السلطان تسكينا لخاطرهم وولى مكانه الوزير أحمد باشا لكن لم يهدأ بال زوجة السلطان حتى أغرت زوجها على قتل هذا الوزير وارجاع رستم باشا مكافأة له على تنفيذ مسيء أغراضها

وبعد قتل هذا البرىء توجهت الجيوش الى بلاد العجم ولم يحصل فى هذه المرة وقائع مهمة بل بعد ان غزت الجيوش العثمانية بلاد شروان بدون فائدة تذكر مال الفريقان للصلح فتم بينهما فى ٢٩ مايو سنة ١٥٥٥ على أن يباح للاعاجم الحج الى بيت الله الحرام ويزاولوا مذاهبهم بدون تعرض وكان للسلطان سليمان ابن آخر اسمه (جهانكير) حزن حزنا شديدا على قتل أخيه مصطفى حتى توفى شهيد المحبة الاخوية بعد موت أخيه بقليل واختلف فى موته فقيل انه قتل نفسه أمام والده بعد

أن بكنه على قتل أخيه وقيل غير ذلك
وبعد ذلك بقليل توفيت هذه المرأة التي سوّدت بدسائسها آخر سني حكم السلطان
سليمان الذي اشتهر قبل ذلك بكل الكمالات
ولم تكن هذه الحادثة خاتمة الفظائع بل أعقبها بقتل ابنه الثاني بايزيد وأولاده الخمس
وذلك ان مربي بايزيد المدعو (لاله مصطفى) عين ناظر خاصة سليم سلطان
ولكون هذا كان يخشى مزاحمة أخيه بايزيد له في الملك بعد موت أبيهما كاشف لاله
مصطفى بانه يريد ايغار صدر أبيه على بايزيد فيقتله ويكون هو (سليم) الوارث الوحيد
لملك آل عثمان فاخذ مصطفى يبحث عن الطريقة الموصلة لهذه الغاية المشؤمة
حتى هداه شيطان عقله وابليس سريرته الى أن يكتب لبايزيد يقول له ان سليما
منهمك في الشهوات ولا يليق أن يخلف والده ومع ذلك فوالده مصمم على استخلافه
مع عدم أهليته للملك وعدم استعداده للخلافة فتبادلت بينهما المكاتبات بشأن ذلك
وأخيرا كتب بايزيد الى أخيه سليم خطابا به بعض عبارات تمس كرامة والدهما فارسل
سليم الخطاب لابيه ولما اطلع السلطان سليمان على هذا الخطاب غضب غضبا شديدا
وكتب لبايزيد يوبخه على ما أتاه ويأمره بالانتقال من قوينه التي كان معينا واليا
عليها الى مدينة اماسيه فخشي بايزيد أن يكون قصد أبيه الغدر به وامتنع عن التوجه
الى اماسيه وجمع جيشا يبلغ عدده عشرين ألف نسمة وأظهر التمرد فارسل اليه أبوه
الوزير محمد باشا الملقب بصقللي لمحاربته فتقابل الجيشان بقرب قوينه واستمر القتال
يومي ٣٠ و ٣١ مايو سنة ١٥٦١ وأخيرا هزم بايزيد وتقهقر الى اماسية ومنها الى
بلاد العجم حيث التجأ هو وأولاده الى الشاه طهماسب فقابله وأظهر له الاخلاص
والاستعداد لحمايته لكنه كاتب السلطان سليمان وابنه سليما اسراعا على تسليم بايزيد
وأولاده اليهما مع انهم احتموا بحماه ولم يرع ذمتهم بل خانهم وسلمهم الى رسل السلطان
فقتلوهم جميعا وهم بايزيد وأولاده الاربع اورخان ومحمود وعبد الله وعثمان في مدينة
قزوين ببلاد العجم في ٢٥ سبتمبر سنة ١٥٦١ الموافق سنة ٩٦٠ ونقلت جثثهم الى
مدينة سيواس حيث واروها الثرى وكان لبايزيد ابن صغير في مدينة بورصة فخنق
أيضا ودفن في جانب والده واخوته

﴿ محاصرة جزيرة مالطة وفتح مدينة سكدوار ومورث السلطان الغازي سليمان الاول ﴾

هـــذا أمامن جهة المجر فلم تنقطع الحروب بينها وبين الدولة العلية وكذلك المخابرات كانت غير منقطعة للوصول الى الصلح ولا حاجة لنا في تفصيل الوقائع التي حصلت بين الجيشين لعدم وجود فائدة في ذلك سوى ملال المطالع بل نكتفي بالقول انه في سنة ١٥٥٥ حصلت هدنة بين الطرفين لستة أشهر ومثلها في سـنة ١٥٥٧ وفي شهر يونيه سنة ١٥٦٢ تم الصلح بينهما المدة ثمانية سنوات بشرط استمرار النمسا على دفع الجزية السنوية التي قررتها المعاهدات السابقـة وساعد على ذلك حب سميز على باشا الذي أخلف رستم باشا بعد موته في منصب الصدارة العظمى للسلم وعدم ميله لسفك الدماء .

ومع ذلك فلم تنقطع المناوشات بالمرة على حـدود النمسا والمجر بل اسـتمرت بنوع غـير رسمي وبعـد هذا الصلح الاوهى من بيت العنكبوت لما بين العنصرين المتجاورين من عوامل البغضاء تمكن السلطان من توجيه اهتمـامه الى تعزيز سـفنه الحربية لحماية جزائر الغرب وطرابلس البعيدة عن مقر الخلافة العظـمى والتي لم تأل اسبانيا سـعيا في ارجاعها اذان محتلها يكون دائمـا مهددا لسواحل اسبانيا ونابلي التي كانت تابعة لاسبانيا في هذا الحين

فعززت الدونمات العثمانية وفي أوائل سنة ١٥٦٥ أرسلت عمـارة بحرية مؤلفة من نحو مائتي سـفينة لفتح جزيرة مالطه مقر رهبنة القديس حنا الاورشليمي لاهمية هـذه الجزيرة الواقعـة بين اقليم تونس وجنوب ايطاليا وضرورة احتلالها لكل دولة تريد أن تكون لها اليـد الطولى على البحر الابيض المتوسط فابتدئ حصارها في شهر مايو من السـنة المذكورة واستمر نحو الاربعة شهور بدون أن يكون موت القبودان الشهير طرغول المعروف عند الافرنج باسم دراجوت في أثناء الحصار سببا في عدم استمراره ولما قرب فصل الشتاء الذي تكثر فيه الزوابع البحرية رفع الحصار عنها في ١١ سبتمبر سنة ١٥٦٥ وعادت السفن بجيوشها الى دار السعادة

وفى أثناء ذلك قامت الحرب على قدم ببلاد المجر لان مكسمليان «٦٣» الذى أخلف والده فرديننان ملك النمسا بعد موته سنة ١٥٦٤ احتل مدينة توكاى «٦٤» من أعمال المجر مقابلة احتلال اسطفن زابولى ملك المجر لاحدى مدائنه ولان الصدر الاعظم الطويل محمد باشا الذى تولى منصب الصدارة عقب موت سميز على باشا كان محبا للحرب لانه من صقالبة البشناق الميالين للقتال والجلاد

ومع ان السلطان كان يتألم من مرض النقرس تقلد بنفسه رياسة الجيش فى تاسع شوال سنة ٩٧٣ الموافق سنة ١٥٦٦ م وسار لصد هجمات النمسا عن بلاد المجر التابعة له سيادة وعندما وصل اليها قابله ملكها الشاب اسطفن فأحسن اليه وأكرم مثواه ووعده انه لن يبرح حتى يعيد له ما اغتيل من بلاده ثم قام بصحبته قاصدا قلعة (ارلو) الشهيرة التى عجز عن فتحها قبل ذلك التاريخ بأربع عشرة سنة كما سبق ذكره لكن بلغه فى أثناء الطريق ان أمير سكدوار «٦٥» تغلب على فرقة من جيوشه فأراد أن يغزو بلاده قبل محاصرة قلعة (ارلو) فسار الى مدينة سكدوار وابتدأ فى حصارها وفى أقل من اسبوعين احتل معاقلها الامامية وبعد ذلك أخلى المحصورون المدينة خفية واحتموا بقلعتها مصرين على الدفاع عنها الى آخر رمق

وفى أوائل شهر سبتمبر اشتد مرض السلطان وتوفى فى ٢٠ صفر سنة ٩٧٤ الموافق ٥ سبتمبر سنة ١٥٦٦ عن أربع وسبعين سنة قمرية أى بعد حصار المدينة بنحو خمسة شهور وكانت مدة ملكه ثمانية وأربعين سنة قضاها فى توسيع نطاق الدولة واعلاء شأنها حتى بلغت فى أيامه أعلى درجات الكمال وأخفى الوزير خبر موته خوفا من وقوع الفشل فى العسكر وأرسل لولده سليم بمدينة كوتاهيه يخبره بذلك وطلب منه الحضور على جناح السرعة الى الاستانة منعا للقلاقل وفى يوم ٨ سبتمبر هجم العثمانيون على القلعة واحتلوها عنوة وفى انتهاء القتال حصلت فرقعة عظيمة انفجرت بسببها أرض القلعة وانهدم بناؤها على من بها من طرفى المتحاربين ونوذلك ان المحصورين لما رأوا ان لا مناص

«٦٣» هو مكسمليان الثانى ابن فرديننان الاول ولد سنة ١٥٢٧ وأخلف والده سنة ١٥٦٨ وتوفى سنة ١٥٧٦ ولم يحصل فى أيامه شئ يذكر سوى محاربته مع الدولة العلية المفصلة فى هذا الكتاب

«٦٤» مدينة صغيرة ببلاد المجر شهيرة بما يعصر فيها من النبيذ الذى يصدر منها الى جميع جهات الدنيا

«٦٥» مدينة ببلاد المجر تسمى (زيجت) وذكرت فى تاريخ القرمانى باسم سكدوار

لهم من الانهزام والموت دبروا هذه المكيدة باعمال عدة الغام أشعلوها بعد احتلال العثمانيين اياها حتى يعوتوا ويهلك كافة من دخلها من جنود العثمانيين وأعلن الوزير هذا الانتصار لكافة الجهات باسم الملك حرصا على عدم اذاعة موته الذى لم يذعه الا بعد ان أتت اليه أخبار أكيدة من الاستانة بوصول ولده سليم اليها واستلامه مهام الاعمال بها

واشتهر المرحوم السلطان سليمان بالقانونى لما وضعه من النظامات الداخلية فى كافة فروع الحكومة فادخل بعض تغييرات فى نظام العلماء والمدرسين الذى وضعه السلطان محمد الفاتح وجعل أكبر الوظائف العلمية وظيفة المفتى وقسم جيش الانكشارية الى ثلاث فرق بحسب سنى خدمتهم وجعل مرتب كل نفر من الفرق الاولى من ثلاثة غروش الى سبعة غروش يوميا والثانية من ثمانية غروش الى تسعة غروش يوميا للنفر الواحد وفى الثالثة المؤلفة ممن أصيبوا بعاهات داعية جعل مرتب النفر منهم ثلاثين غرش الى مائة وعشرين غرش شهريا وكان عدد الجيش عند وفاته ثلثمائة ألف منها خمسون ألفا من الجيوش المنتظمة والباقية غير منتظمة وعدد المدافع ثلاثمائة والسفن الحربية ثلثمائة أيضا ولاهمية قانونه أخذنا فى البحث والتنقيب عنه حتى عثرنا عليه بالكتبخانة الخديوية ضمن احدى المجموعات التركية ولولا ضيق نطاق هذا الكتاب لاتينا على ترجمته لكن اكتفينا بذكره ليرجع اليه من أراد

وتقدمت الفتوحات فى أيامه تقدما عظيما لم تصل اليه بعده وبلغت الدولة أوج سعادتها وأخذت بعده فى الوقوف تارة والتقهقر أخرى حتى وصلت الى الحالة التى عليها الآن لجملة أسباب منها زيادة الثروة بسبب الفتوحات العديدة والغنائم الكثيرة ولا يخفى ان الثروة تورث غالبا المفاخرة فى المصرف والتغالى فى الزهو والترف وكل أمة سادت فيها هذه الخصال لابد لها من التأخر ومنها ان الانكشارية كانوا لا يخرجون الى الحرب الا اذا كان السلطان معهم ولذا كانت أهم الحروب والغزوات تحت امرة السلطان وقيادته لانه ان لم يخرج بنفسه لما حاربت الانكشارية التى عليها المدار الاول فى الحروب فغير السلطان سليمان هذه السنة

الحميدة وأجاز للانكشارية القتال تحت امرة قائدهم الاكبر ولو لم يكن السلطان موجودا وكان هذا التغيير سببا فى تقاعس أغلب من خلفه من السلاطين عن الخروج من قصورهم الباذخة وتفضيلهم البقاء بين غلمانهم وجواريهم المختلفات الاجناس على الخروج للقتال وتكبد مشاقه ومنها ان كافة أمور الدولة المهمة كانت تنظر فى ديوان الوزراء تحت رئاسة السلطان فابطل السلطان سليمان هذه العادة وصار الديوان ينعقد تحت رئاسة أكبر الوزراء وهو الصدر الاعظم والسلطان لاه عن ذلك معرض لدسائس الوزراء ومن يستعينون بهم من جواريه وأزواجه وترتب على ذلك ان صارت الامور بيد الوزراء المغايرين للجنس العثمانى أصلا ونسبا اذ ان أغلبهم من مسلمى النصارى أو من غلمان وخدم السلاطين ونتيجة ذلك واضحة كما ظهر للقارئ عند مطالعة أسباب قتل مصطفى ابن السلطان سليمان بناء على دسائس زوجته والوزير رستم باشا ومنها الاباحة للانكشارية بالتزوج والاقامة خارج ثكناتهم مع اعطائهم بعض امتيازات وقبول الاخلاط ضمن زمرتهم مما جعلها من أكبر موجبات تأخر الدولة بعد ان كانت من أعظم عوامل تقدمها الى غير ذلك من الاسباب التى سنوردها تباعا بحسب مقتضيات المقام

١١ ﴿السلطان الغازى سليم خان الثانى﴾

﴿تجديد الامتيازات القنصلية وفتح مدينة صنعاء وجزيرة قبرص﴾

ولد السلطان سليم الثانى فى ٢٤ رجب سنة ٩٣٠ هجرية وتولى الملك بعد موت أبيه ووصل الى القسطنطينية فى ٩ ربيع أول سنة ٩٧٤ الموافق ٢٤ دسمبر سنة ١٥٦٦ م وبعد ان مكث بها يومين سار على عجل الى مدينة سكدوار للاحتفال بارجاع جثة والده المرحوم الى القسطنطينية فقابله خارج المدينة سفراء فرنسا والبندقية ليهنئوه بالملك ولما وصل مدينة صوفيا فى ١٦ اكتوبر أرسل الرسل الى كافة الممالك الخارجية والولايات الداخلية يخبرهم بموت أبيه وتوليته على عرش آل عثمان ومنها قصد مدينة بلغراد ومكث فيها حتى أتى الوزير محمد باشا صقللى بجثة والده المرحوم وذلك ان الوزير محمد باشا لم يعلن بوفاة السلطان سليمان الا فى أثناء

عودته من مدينة سكدوار الى بلغراد بل أوهم الجند ان السلطان مريض ولا يمكن لاحد مقابلته ولما أعلن موته الى الجنود بعد موته بنحو خمسين يوما لبست الجيوش عليه الحداد وساروا الى بلغراد حيث كان سليم الثانى فى انتظارهم فطلبت الجنود منه أن يوزع عليهم العطايا المعتادة فأبى ثم أذعن لطلباتهم لاظهارهم العصيان والتمرد وعدم اطاعتهم أوامر ضباطهم وامتهانهم لهم بحضور السلطان

ولم يكن السلطان متصفا بما يؤهله للقيام بحفظ فتوحات أبيه فضلا عن اضافة شئ اليها ولولا وجود الوزير الطويل محمد باشا صقللى المدرب على الاعمال الحربية والسياسية لحق الدولة الفشل لكن حسن سياسة هذا الوزير وعظم اسم الدولة ومهابتها فى قلوب أعدائها حفظتها من السقوط مرة واحدة فتم الصلح بينها وبين النمسا بمعاهدة تاريخها ١٧ فبراير سنة ١٥٦٨ من شروطها حفظ النمسا أملاكها فى بلاد المجر ودفعها الجزية السنوية المقررة بالعهود السابقة واعترافها بتبعية أمراء ترنسلفانيا والفلاخ والبغدان الى الدولة العلية وتجددت أيضا الهدنة مع ملك بولونيا باعتراف الباب العالى بالتحالف الذى حصل ما بين ملك بولونيا وأمير البغدان وكذلك جددت مع شارل التاسع «٦٦» ملك فرنسا فى سنة ١٥٦٩ الاتفاقيات التى تمت بين الدولتين فى عصر السلطان سليمان وأيد السلطان سليم الامتيازات القنصلية وزاد عليها امتيازات أخرى أهمها معافاة كل فرنساوى من دفع الخراج الشخصى وأن يكون للقناصل الحق فى البحث عمن يكون عند العثمانيين من الفرنساويين فى حالة الرق واطلاق سراحهم والبحث عمن أخذهم وباعهم بصفة رقيق لمجازاته وأن يرد السلطان كافة الاشياء التى تأخذها قرصانات البحر من المراكب الفرنساوية ومعاقبة الآخذ لها وأن تكون المراكب العثمانية ملزمة

«٦٦» هو ثانى أولاد هنرى الثانى وكاترين دى مديسى ولد سنة ١٥٥٠ وتولى سنة ١٥٦٠ بعد موت أخيه فرنسوا الثانى ولعدم بلوغه سن الرشد عينت والدته وصية عليه وفى أيامه استمرت الحروب الداخلية بين الكاثوليك والبروتستانت الى ان تم بينهما الصلح سنة ١٥٧٢ واتفق الفريقان على أن يزوج الملك أخته للملك «نافار» الذى صار فيما بعد ملكا لفرنسا باسم هنرى الرابع أحد زعماء البروتستانت لكن لم ترتح والدته كاترينه لهذا الزواج بل دبرت مذبحة سانبرتلمى وأثرت على فكر ولدها فأمر بقتل جميع البروتستانت فى كافة أنحاء المملكة وفى مدينة باريس أثناء الاحتفال بزواج أخته ونفذ هذا الامر الوخيم فى مساء ٢٤ أغسطس سنة ١٥٧٢ وتوفى هذا الملك بعد ذلك بسنتين أى سنة ١٥٧٤

بمساعدة ما يرتطم من السفن الفرنساوية على شاطئ الدولة و بحفظ ما بها من الرجال والمتاع وأن يكون لفرنسا كل الامتيازات الممنوحة لجمهورية البنادقة

ولزيادة توثيق عرى الاتحاد بين الدولة وفرنسا وزيادة نفوذ اتحادهما اتفقت الدولتان على ترشيح (هنرى دى ڤالوا) أخى ملك فرنسا للعرش بولونيا ليكون لهم ظهيرا ضد النمسا من جهة والروسيا من أخرى وقد تم ذلك فعلا وصارت بولونيا تحت حماية الدولة العلية حماية فعلية وان لم تكن اسمية وبذلك صارت فرنسا مالكة التجارة فى البحر الابيض المتوسط وجميع البلاد التابعة للدولة وأرسلت تحت ظل هذه المعاهدات عدة ارساليات دينية كاثوليكية الى كافة بلاد الدولة الموجود بها مسيحيون خصوصا فى بلاد الشام لتعليم أولادهم وتربيتهم على محبة فرنسا وكانت هذه الامتيازات من الاسباب الموجبة لضعف الدولة بسبب تداخل القناصل فى الاجراآت الداخلية بدعوى رفع المظالم عن المسيحيين واتخاذها سبيلا لامتداد نفوذها بين رعايا الدولة المسيحيين وأهم نتائج هذا التداخل وأضرها مآلا وأوخمه عاقبة استعمال هذه الارساليات الدينية فى حفظ جنسية ولغة كل شعب مسيحى حتى اذا ضعفت الدولة أمكن هذه الشعوب الاستقلال بمساعدة الدول المسيحية أو الانضمام الى احدى هاته الدول كما شوهد ذلك فى هذا القرن الاخير مما سيأتى مفصلا بالشرح الكافى والبيان الوافى

ومن أعمال الوزير محمد باشا صقللى ان أرسل جيشا عظيما الى بلاد اليمن فى سنة ٩٧٦ الموافقة سنة ١٥٦٩ م تحت قيادة عثمان باشا الذى عين عاملا عليها لقمع ثورة أهاليها الذين عصوا الدولة اتباعا لامر سلطانهم الشريف مطهر بن شرف الدين يحيى فانتصر عثمان باشا عليهم بمساعدة سنان باشا والى مصر ودخلت الجيوش المظفرة بمدينة صنعاء بمدان فتحت جميع القلاع

وفى أوائل السنة التالية اعترف الشريف مطهر بسيادة الباب العالى على بلاده

ومن أعماله أيضا فتح جزيرة قبرص «٦٧» التى كانت تابعة للبندقية فأرسلت اليها

«٦٧» قبرص جزيرة صغيرة مهمة بالنسبة لمركزها الجغرافى بالقرب من سواحل الشام ومصر واحتلالها ضرورى لمن يريد بقاء هاتين الولايتين فى حوزته ومع ضرورتها للدولة العلية سلمتها لانكلترة بمقتضى معاهدة بتاريخ ٤ يونيه سنة ١٨٧٨ حينما كان الروس محتلين ضواحى الاستانة وتعهدت بالخروج منها لو خرجت الروسيا من مدائن قارص وباطوم واردهان التى فتحتها أثناء الحرب الروسية التركية الاخيرة وامتلكتها بمقتضى معاهدة برلين

المراكب

المراكب الحربية فى سنة ٩٧٨ الموافقة سنة ١٥٨٠ تحت امرة بيالى باشا تحمل مائة ألف جندى يقودها لالا مصطفى باشا الذى كانت له اليد الطولى فى عصيان وقتل بايزيد أخى السلطان سليم فرست السفن أمام مدينة ليمازون (لمقوسه كذا ذكرها القرمانى) فى أول أغسطس وفتحت فى ٩ سبتمبر الموافق أواسط ربيع الآخر ثم وضع الحصار أمام مدينة فاجوست (ماغوسه كذا ذكرها القرمانى) ولاقتراب فصل الشتاء أمهل فتحها الى أوائل الربيع وابتدئت أعمال الحصار ثانيا فى ابريل سنة ١٥٧١ وفتحت فى ٢ أغسطس من السنة المذكورة وبذلك تم فتح جزيرة قبرص وصارت من ذلك العهد تابعة للدولة العثمانية الى ان احتلها الانكليز بكيفية غريبة سنة ١٨٧٨ كما ترى فى أواخر هذا الكتاب

﴿تألب اسپانيا والبندقية والباپا على الدولة وواقعة ليپانت البحرية﴾
﴿وموت السلطان سليم الثانى﴾

وفى هذا الاثناء غزت المراكب العثمانية جزيرة كريد وظننته «٦٨» وغيرها بدون ان تفتحها واحتلت مدائن داسنيو وانتيبارى «٦٩» على البحر الادرياتيكى فلما رأت البندقية تغلب العثمانيين عليها وفتح كثير من بلادها استعانت باسپانيا والباپا وتم بينهم الاتفاق على محاربة الدولة بحرا خوفا من امتداد سلطتها على بلاد ايطاليا فجمعوا مراكبهم وجعلوا دون جوان «٧٠» ابن شارلكان سفاحا من احدى خليلاته أميرا عليها فسارت سفن المسيحيين الى شواطئ الدولة وكانت تلك الدوننمة المختلطة مؤلفة من ٧٠ سفينة اسپانيولية و١٤٠ من سفن البنادقة و١٢ للباپا و٩ من سفن رهبنة مالطه

وقابلت هذه الدوننمة العمارة العثمانية مؤلفة من ٣٠٠ سفينة فى ٧ اكتوبر سنة ١٥٧١ بالقرب من ليپنته واشتبك بينهم القتال مدة ثلاث ساعات متوالية

«٦٨» احدى جزائر الروم الكائنة غرب اليونان ولا تبعد عن ساحل موره الا بعشرين كيلومترو هى جيدة الهواء تنبح كافة أنواع الفواكه ويصنع بها الزيت والنبيذ ويبلغ عدد سكانها خمسين ألف نسمة وتكثر بها الزلازل الشديدة

«٦٩» هما بلدتان باقليم الجبل الاسود ثانيتهما على البحر الادرياتيكى وأضيفتا الى امارة الجبل بمقتضى معاهدة برلين الرقيمة ١٣ يوليو سنة ١٨٧٨

«٧٠» ولد هذا الامير من سفاح شارلكان بمدينة راتسبون سنة ١٥٤٥ وبعد موت أبيه أراد فليب الثانى ادخاله ضمن احدى الرهبنات ولما لم يقبل عينه قائدا فى جيشه وفى سنة ١٥٧٠ كلفه باذلال من بقى من المسلمين باقليم غرناطة فأذاقهم أنواع الذل والعذاب حتى هاجروا الى افريقيا ولم يبق منهم أحد وفى سنة ١٥٧٦ كلفه بمحاربة أهالى الفلمنك فقهرهم فى سنة ١٥٧٨ وتوفى بعد ذلك ببضع أشهر

انتهى الامر بعدها بانتصار الدوناغة المسيحية فأخذت ١٣٠ سفينة عثمانية وحرقت وأغرقت ٩٤ وغنمت ٣٠٠ مدفعا و٣٠ ألف أسير وهذه أول واقعة حصلت بين الدولة من جهة وأكثر من دولتين مسيحيتين من جهة أخرى واشتراك البابا فيها يدل على ان المحرك لهذه التأليبات ضد الدولة الاسلامية الوحيدة هو الدين كما أيدته الحوادث والحروب فيما بعد لا السياسة كما يدعون

وكان لهذا الفوز رنة فرح فى قلوب المسيحيين أجمع حتى ان البابا خطب فى كنيسة مارى بطرس برومه وشكر دون جوان على انتصاره على السفن الاسلامية وذلك مما لا يجعل عند المطالع أقل ريبة أو شك فى ان المسئلة الشرقية مسئلة دينية لا سياسية كما ادعاه ويدعيه الاوروبيون ويغتر به السذج الغير المطلعين

ولما وصل خبر هذه الحادثة الى الاستانة هاج المسلمون على المسيحيين وهموا بقتل المرسلين الكاثوليك لولا تدارك الوزير محمد باشا صقللى الامر بان حجز هؤلاء المرسلين تحت الحفظ حتى تعود السكينة الى ربوعها وقد أخرجهم بناء على الحاح سفير فرنسا ولم تقعد هذه الحادثة المشؤمة همة هذا الوزير بل انتهز فرصة الشتاء وعدم امكان استمرار الحرب لتشييد دوناغة أخرى وبذل النفس والنفيس فى تجهيزها وتسليحها حتى اذا أقبل صيف سنة ١٥٧٢ كان قد تم استعداد ٢٥٠ سفينة جديدة وفى هذه السنة لم تحصل وقائع بحرية مهمة لوقوع الشقاق بين القبودان البندقى والقبودان الاسبانيولى حتى ان جمهورية البندقية سعت فى التقرب الى الدولة العلية فعرضت عليها الصلح واستمرت بينهم المخابرات مدة وفى ٧ مارث سنة ١٥٧٣ تم الصلح على أن تتنازل البندقية للدولة عن جزيرة قبرص وأن تدفع لها غرامة حربية قدرها ٣٠٠ ألف دوكا

أما من جهة اسبانيا فقد قصد دون جوان مدينة تونس فى أواخر سنة ١٥٧٣ واحتلها بدون مقاومة لارتحال من كان بها من العثمانيين عند قدوم السفن الاسبانيولية وتحققهم من أن الدفاع لا يجدى نفعا لقلة عددهم بالنسبة للاسبانيول فاحتلها دون جوان وأعاد اليها سلطانها مولاى حسن الذى التجأ اليهم عند احتلال العثمانيين لبلاده لكن لم يلبث الا نحو ٨ أشهر لاسترجاعها ثانية الى

أملاك الدولة بمعرفة سنان باشا فى أغسطس سنة ١٥٧٤
وفى جهة بلاد البغدان انتصر العثمانيون بعد موقعة هائلة أهرقت فيها الدماء كالسيول المنهمرة فى ٩ يونيو سنة ١٥٧٤ على الامير (ايوونيا) الذى تمرد على الدولة طلبا للاستقلال وصلب جزاء عصيانه وعبرة لغيره وفى ١٢ دسمبر من السنة المذكورة الموافق ٢٧ رمضان سنة ٩٨٢ ﻫ توفى السلطان سليم الثانى عن ستة أولاد وهم مراد ومحمد وسليمان ومصطفى وجهانكير وعبدالله وثلاث بنات وتولى بعده ابنه مراد

١٢ ﴿السلطان الغازى مراد خان الثالث﴾

ووضع الحماية على بولونيا وفتح بلاد الكرج وماوراءها ودخول العثمانيين مدينة تبريز رابع دفعة

ولد هذا السلطان بالقسطنطينية سنة ٩٥٣ ﻫ وكانت فاتحة أعماله انه أصدر أمرا بعدم شرب الخمر الذى شاع استعماله أيام السلطان السابق وأفرط فيه الجنود خصوصا الانكشارية فثار الانكشارية لذلك واضطروه لاباحته لهم بمقدار لايترتب منه ذهول العقل وتكدير الراحة العمومية وأمر بقتل اخوته وكانوا خمسة ليأمن على الملك من المنازعة اذصار قتل الاخوة عادة تقريبا وفى أوائل سنة ١٥٧٥ ترك (هنرى دى فالوا) ملك بولونيا مقر حكومته عائدا لفرنسا ولما بلغ الباب العالى خبر سفره الى فرنسا أوصى أشراف بولونيا بانتخاب (باتورى) أمير ترنسلفانيا التابع للدولة العلية ملكا عليهم فانتخبوه فى أواخر السنة المذكورة وبذلك صارت بولونيا نفسها تحت حمايتها
هذا وحصلت على حدود النمسا عدة مناوشات سال فيها الدماء بين الطرفين بدون اشهار حرب وفى أواخر سنة ١٥٧٦ أمضيت هدنة سلم بين الباب العالى والامبراطور (رودولف) ﴿٧١﴾ الذى أخلف (مكسمليان الثانى) لمدة ثمانى سنوات

﴿٧١﴾ هو ابن مكسمليان ولد فى مدينة ويانة سنة ١٥٥٢ وتعين ملكا للبلاد المجر سنة ١٥٧٦ ثم ملكا للنمسا ثم انتخب امبراطورا الالمانيا سنة ١٥٧٦ وكان ضعيفا مشتغلا بالكيمياء والفلك فقهره الترك أكثر من مرة وفى سنة ١٦١١ عزله أخوه ماتياس الذى انتخب امبراطورا بعده وتوفى رودولف سنة ١٦١٢

تبتدأ من أول ينايرسنة ١٥٧٧ وعند بيان أملاك الدولة العلية بهذه المعاهدة ذكرت بولونيا ضمن الاقاليم التى لها حق السيادة عليها ومما يؤيد أن مملكة بولونيا كانت تحت حمايتها استنجاد (باتورى) بها ضد اغارات التتار على حدوده الشرقية وتعهد الباب العالى بحمايتها بمعاهدة رسمية تاريخها ٣٠ يوليو سنة ١٥٧٧ وكانت علاقات هذا السلطان مع فرنسا حسنة جدا وكذلك مع جمهورية البندقية فجدد لهما الامتيازات القنصلية والتجارية مع زيادة بعض بنود فى صالحهما أهمها أن يكون سفير فرنسا مقدما على كافة سفراء الدول الاخرى فى المقابلات والاحتفالات الرسمية حيث كثر توارد السفراء على بابه العالى للسعى فى ابرام معاهدات تجارية تكون ذريعة فى المستقبل للتداخل الفعلى وفى أيامه تحصلت ايزابلا ملكة الانكليز على امتياز خصوصى لتجار بلادها وهى ان مراكبها تحمل العلم الانكليزى وكان لا يجوز ذلك لها قبلا بل كانت السفن على اختلاف أجناسها ما عدا سفن البندقية لا تدخل الى مياني الدولة العلية الا تحت ظل العلم الفرنساوى ليس الا كما قضت بذلك العهود التى أبرمت مع السلطان سليمان وابنه السلطان سليم الثانى وتجددت فى أوائل حكم هذا السلطان

وفى سنة ١٥٧٨ حصلت فتنة داخلية فى مملكة مراكش بالمغرب الاقصى ونازع زعيمها السلطان فى الملك وحصلت بينهما عدة وقائع مهمة وأخيرا استنجد سلطانها بالعثمانيين واستعان مدعى الملك بالبرتغاليين فاوعزت الدولة أو بالحرى محمد باشا صقللى لوالى طرابلس بانجاد سلطانها الشرعى فأسرع بمساعدته والتقى الترك والبرتغال بالقرب من محل يقال له القصر الكبير وكان يوما مشهودا ادارت فيه الدائرة على البرتغال وقتل فيه رئيس الثائرين المستنجد بهم وبعد تمام النصر واعادة الامن والسكينة الى ربوع مراكش عادت الجيوش العثمانية حاملة ما أغدق اليها من الهدايا وبذلك دخلت مملكة مراكش ضمن دائرة نفوذ الدولة وصار شمال افريقيا باجمعه تابعا لها تماما أو خاضعا لنفوذها ولم يبق لها فى عصرنا هذا الا ولاية طرابلس والسيادة الاسمية على مصر واستولت فرنسا على تونس والجزائر وصارت مراكش ميدان مسابقة لدسائس الاجانب تسعى كل دولة فى ازدياد نفوذها بها وبعبارة أخرى لابتلاعها

وفي هذه السنة ابتدأت المخابرات بين الدولة واسبانيا للوصول الى الصلح و بعد ان استمرت نحو خمس سنين تم الصلح بينهما لكن لم يمنع ذلك القراصين من الطرفين على نهب السفن التجارية وسبي واسترقاق من بها من النساء والرجال حتى كان يستعد للسفر في البحر الابيض المتوسط كما يستعد لرحلة حربية لعدم وجود الامن وكثرة القراصين بما لم يسبق له مثيل لان كلا من الطرفين كان يعتبر غزو سفن الطرف الآخر من الواجبات الدينية والقربات المشروعة

هذا وأهم ما حصل في أيام السلطان مراد الثالث محاربة بلاد العجم بناء على ايعاز الصدر الاعظم محمد باشا صقللي وانتهاز فرصة الاضطرابات الداخلية بها وذلك انه لما توفي الشاه طهماسب سنة ١٥٧٦ م الموافقة سنة ٩٨٤ ه تولى بعده ابنه حيدر وقتل بعد بضع ساعات قبل دفن أبيه ودفنا معا ثم تولى بعده اسمعيل بن طهماسب وتوفي مسموما سنة ٩٨٥ ه وأخلفه أخوه محمد خدابنده وكانت البلاد منقسمة عليه فارسلت الجيوش السلطانية لمحاربته وفتح ما تيسر من بلاده وجعل لاله مصطفى باشا قائد الفسار بجيوشه قاصدا اقليم الكرج «٧٢» من بلاد الجركس في أواخر سنة ١٥٧٧ م وكانت تابعة الى مملكة العجم وفتحها واحتل مدينة تفليس عاصمة الكرج بعد ان انتصر على جنود الشاه وتغلب على قائدهم المسمى ذلقاق بالقرب من حصن (جلدر) في ٨ اغسطس سنة ١٥٧٨ وعين أمراء الكرج حكاما (سناجق) من قبل الدولة و بعد ان قهر ثانيا جيوش العجم في ٨ سبتمبر من السنة المذكورة عاد مصطفى باشا وجيوشه الى مدينة طرابزون لتمضية فصل الشتاء الذي لا يمكن استمرار القتال في غضونه لشدة البرد وتراكم الثلوج في هذه الاصقاع وقسمت بلاد الكرج الى أربعة أقسام وهي شروان وتفليس وتكون القسمان الباقيان من بلاد الكرج الاصلية وحصنت مدينة قارص بكيفية جعلتها أمنع معاقل الدولة على الحدود ومافتئت كذلك حتى احتلها الروس سنة ١٨٧٧ وعين لكل منها حاكم عام

«٧٢» الكرج أو بلاد كرجستان اقليم واقع في جنوب جبال القوقاز و يحده غربا البحر الاسود وشرقا اقليم داغستان وجنوبا بلاد ارمينيا وتغلبت عليها أيدي جميع الفاتحين لا سيما فتحها العرب في خلافة مروان الثاني ثم قامت بها حكومة مستقلة ثم أغار عليها جنكيزخان وتيمور الاعرج واستولى عليها العثمانيون مدة وأخيرا ألحقت بمملكة الروس ولم تزل تابعة لها حتى الآن

بكلربك وفى أواسط الشتاء أتت أربع جيوش جرارة تحت امرة الامير حمزة ميرزا وهاجمت بلاد شروان من كل فج حتى اضطرها كمها عثمان باشا الى اخلاء مدينة شروان والاحتماء بمدينة (دربند) وكذلك حاصر الاعجام مدينة تفليس نفسها ولم يقووا على استرجاعها للثبات حاميتها العثمانية حتى أتى اليها المدد ورفع عنها الحصار عنوة سنة ١٥٧٩ وفى غضون ذلك قتل الصدر الاعظم محمد باشا اصقللى الذى حافظ على نفوذ الدولة بعد موت السلطان سليمان وتمكن بسياسته ودهائه من ابرام الصلح مع دول أوروبا المعادية له وأنشأ عمارة بحرية بعد واقعة (ليپانته) وفتحت جزيرة قبرص بتعليماته وارشاداته وكوفئ على خدماته الجليلة بالقتل لا لذنب جناه أو جناية ارتكبها بل هى دسائس حاشية السلطان قضت عليه بالموت غدرا تبعا لدسائس الاجانب الذين لا يروق فى أعينهم وجود مثل هذا الوزير يديردولاب الاعمال على محور الاستقامة فدسوا اليه من قتله تخلصا من صادق خدمته للدولة فكان موته ضربة شديدة ومحنة عظيمة لاسيما وقد كثر بعده تنصيب وعزل الصدور فعين أولا من يدعى أحمد باشا ثم عزل فى أغسطس سنة ١٥٨٠ وعين بعده سنان باشا أحد القواد المشهورين وأحد رؤساء الجيش المحارب فى بلاد الكرج وتقلد قيادة هذا الجيش بعد موت قائده العام مصطفى الذى قيل انه انتحر مسموما لعدم حصوله على منصب الصدارة ولكنه عزل من منصبه بعد قليل ونفى الى خارج البلاد وتولى مكانه (سياوس باشا) المجرى الاصل فى الصدارة العظمى وفرهاد (أوفرحات) باشا أحد القواد العظام قائدا عاما للجيش المحارب فى الكرج ولم يأت هذا القائد بأعمال تذكر لعدم انقياد الانكشارية وامتثالهم لاوامر رؤسائهم

أما عثمان باشا حاكم اقليم شروان فسار الى فتح بلاد (طاغستان) «٧٢» على شاطئ بحر الخزر وبعد ان أتم فتحها عقب موقعة عظيمة انتصر فيها على الاعجام نصرا مبينا فى ٩ مايو سنة ١٥٨٣ سار بطريق البر الى بلاد القرم مخترقا جبال (قاف)

«٧٢» طاغستان ومعناها البلاد الجبلية اقليم بآسيا واقع شرقى بلاد كرجستان ومحصور بين بحر الخزر وجبال القوقاز كانت تابعة للعجم ثم تنازلت عنها الحكومة الروسيا سنة ١٨١٦ أهم مدنها مدينة باكو الواقعة على بحر الخزر والشهيرة بمعادن زيت البترول وقد انشأت منها حديثا طريق حديدية تصل الى ثغر باطوم على البحر الاسود مارة على مدينة تفليس لتسهيل نقل البترول وتصديره الى جميع جهات الدنيا

أو القوقاز وسهول روسيا الجنوبية لعزل خانها عقاباله على امتناعه عن ارسال المدد الى الدولة العلية لمحاربة العجم ووصل اليها بعد ان عانى من المشقات أقصاها ومن الصعوبات منتهاها لوعورة الطريق ومناوشة الروس له الى مدينة (كافا) عاصمة الخان محمد كراى فجمع الخان جيشا عظيما من الفرسان القوزاق المشهود لهم بالبسالة والاقدام وحاصر عثمان باشا وجيوشه التى أضناها التعب وأنهكها السير ولولا عصيان أخيه اسلام كراى عليه لوعده بالامارة من قبل الدولة العلية وتفرق جيوشه من حوله وقتله غدرا بدسيسة أخيه لانتصر على العثمانيين لكن خانه أخوه ودس اليه من قتله طمعا فى الامارة (١٥٨٤) وبعد ذلك رجع عثمان باشا الى الاستانة برا وقوبل بكل تكريم واعظام وبعد أيام قلائل عين صدرا أعظم بدل سياوس باشا المجرى وسر عسكر الجيش الكرج وكان تعيينه فى سنة ٩٩٢ هـ فسار فى جيش عرمرم مؤلف من مائة وستين ألف مقاتل قاصدا بلاد اذربيجان فاخترقها بدون كثير مقاومة ثم قصد مدينة تبريز عاصمة العجم فدخلها بعد ان انتصر على حمزة ميرزا وترك فيها حامية قوية وبعد ان استمر الحرب سجالا بين الدولتين نحو ست سنوات توفى فى خلالها الصدر الاعظم عثمان باشا سر عسكر الجيش تم الصلح وأمضى بينهما فى ٢١ مارث سنة ١٥٩٠ على ان تتنازل العجم للدولة العثمانية عن اقليم الكرج وشروان ولورستان وجزء من اذربيجان ومدينة تبريز وتولى بعده خادم مسيح باشا صدرا أعظم سنة ٩٩٣ وفى السنة التالية أعيد سياوس باشا الى هذا المنصب الخطير وبذلك هدأت الاحوال وانقطعت الحروب على سائر حدود المملكة تقريبا

﴿فتن الانكشارية وبعض وقائع أخرى وموت السلطان مراد الثالث﴾

الا ان هذه السكينة لم تكن لترضى الانكشارية الذين كانوا يفضلون استمرار الحروب للنهب والسلب وارتكاب مالا خير فيه فكانت اذا انقطعت الحروب تمردوا وارتكبوا هذه القبائح فى بلاد الدولة المعسكرين بها بل وفى نفس الاستانة فلما بلغهم ان المخابرات سائرة بين الدولة والعجم للوصول الى الصلح ثاروا بالقسطنطينية وطلبوا تسليم الدفتردار (ناظر المالية) ومحمد باشا بكلربك الروملى لقتلهما بدعوى

انهما أرادا أن يصرفا اليهم نقودا ناقصة العيار وحاصروهما في منازلهما وما برحوا أن قتلوهما شر قتلة ولم يقو السلطان على منعهم وتمردوا مرة أخرى سنة ١٥٩٣ في الاستانة وأخرى في مدينة بودو وقتلوا واليها وفي القاهرة وفي تبريز مما يطول شرحه ووصلت بهم القحة الخ ولذلك أشار سنان باشا الذي أعيد الى منصة الوزارة في سنة ٩٩٧ باشغالهم بمحاربة بلاد المجر وأوعز الى حسن باشا والى بلاد البشناق (بوسنه) أن يجتاز حدود المجر اعلانا للحرب لكن هل يرجى نجاح أو فلاح حقيقي من جيوش بلغ عندها عدم النظام الدرجة القصوى حتى استطالت لقتل الولاة وعزل الحكام كلا ولو كان قائدها الاسكندر المقدوني أو ابراهيم باشا المصري أو نابوليون الفرنساوي (ورب معترض يعترض علينا في تسمية ابراهيم باشا بالمصري مع انه لم يولد بها فنجاوبه ان ابراهيم باشا نشر الراية المصرية في بلاد العرب والشام وجنوب الاناطول والسودان وانتصر بالمصريين لا بغيرهم ولم يكن ذلك منه الا اعلاء شأن الوطن المصري واستقلاله في الداخل ونشر نفوذه في الخارج ولذلك حق لنا أن نسميه المصري بل المصري الوحيد بعد والده محمد علي باشا الكبير) ولنرجع الى ذكر حروب الدولة مع المجر فنقول ان الحرب كانت تارة لاحد الفريقين وطورا للآخر فقتل حسن باشا والى الهرسك وانهزم والي (بود) وفتحت جيوش النمسا التي انحازت الى المجر عدة قلاع عثمانية ثم استردها سنان باشا الصدر الاعظم سنة ١٥٩٤ وفي هذا الموقع يجب علينا وعلى كل عثماني التأسف والتحسر على عدم خروج السلطان بنفسه الى الحرب وتحجبه عن أعين جيوشه وعدم قيادتهم بذاته الشريفة الى ساحات النصر فلولا ذلك لكانت الغلبة دائما لهم باذنه تعالى فقد عوّدهم عز وجل النصر على الاعداء في زمن أجداده سليمان وسليم الاول ومن قبلهم لان وجود الخليفة الاعظم في رأس جيوشه يبث فيهم روحا جديدة فيتحدون معه قلبا وقالبا ويسيرون معه الى النصر المبين والفوز العظيم وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ومما زاد أحوال المملكة ارتباكا اشهار الفلاخ والبغدان وترنسلفانيا العصيان بالاتحاد وتحالفهم مع رودولف الثاني ملك النمسا وامبراطور ألمانيا على محاربة الدولة والحصول على الاستقلال فسار اليهم الصدر الاعظم سنان باشا

فى سنة ١٥٩٥ ودخل مدينة بوخارست عاصمة الفلاخ عنوة ثم انتصر عليه (مخائيل) أمير الفلاخ الملقب فى كتب الافرنج بالشجاع ودخل مدينة (ترجوفتس) وقتل حاميتها ورئيسها فاخذ العثمانيون فى الانسحاب والتقهقر خلف نهر الدانوب وتبعهم مخائيل الفلاخى وانتصر عليهم مرة ثانية بالقرب من مدينة (جورجيوا) عند عبورهم النهر وفتح المدينة وعدة مدائن أخرى أهمها مدينة (نيكوبلى) وفى هذا الاثناء ولى فرهاد باشا منصب الصدارة فى سنة ٩٩٩ ثم أعيد سياوس باشا ثالثا اليه سنة ١٠٠٠ ثم أصيب السلطان بداء عياء وتوفى مساء ٦ يناير سنة ١٥٩٦ الموافق تسعة جمادى الاولى سنة ثلاث بعد الالف وله من العمر خمسون سنة وكانت مدة ملكه احدى وعشرين سنة تقريبا وخلفه أكبر أولاده واسمه محمد

١٣ ﴿السلطان الغازى محمد خان الثالث﴾

﴿وفتح حصن ارلو وثورة جنود العلوفه جيه﴾

ولد هذا السلطان فى ٧ ذى القعدة سنة ٩٩٤ م وتولى بعد موت أبيه وكان له تسعة عشر أخا غير الاخوات فأمر بخنقهم قبل دفن أبيه ودفنوا معا تجاه اياصوفيا ومع انه افتتح ملكه بقتل اخوته كما فعل من سبقه خوفا من المنازعة فى الملك الا انه كان أكثر من غيره محافظة على أصول دينه فقد قال القرمانى فى كتابه أخبار الدول وآثار الاول انه وفى ديون والده فوفى ثمن خضراوات مطبخ أبيه ثمانين ألف دينار ذهبا وقس على ذلك ما يناسبه

وفى أوائل حكمه سار على أثر سلفه فى عدم الخروج الى الحرب وترك أمور الداخلية فى أيدى وزرائه الذين منهم سنان باشا وجغالة زاده (هو ابن القائد جيغالة باشا الجنوى الاصل الذى قتل فى محاربة العجم الاخيرة وصحة اسمه سيكالا ثم حرف فصار جغالة) وآخر يدعى حسن باشا فافسدوا فى الارض وباعوا المناصب الملكية والعسكرية وقللوا اعيار العملة حتى على الصحيح من جميع الجهات وتعاقب انهزام الجيوش العثمانية أمام مخائيل الفلاخى فضم لسلطانه بمساعدة الجيوش النمساوية اقليم البغدان وجزء عظيم من ترنسلفانيا لعدم وجود القواد الاكفاء لصدهم

ومما يخلد للسلطان الغازى محمد الثالث الذكر ويجعله رصيفا الاجداد الاوائل انه لما تحقق ان هذا الانحلال ناشئ من تحجبه عن الاعمال وعدم قيا[...] الجيوش بنفسه وتقلد المركز الذى كان تركه مراد الثالث وسليم الثانى له من دواعى تقهقر الدولة أمام أعدائها الا وهو مركز قيادة عموم الجيوش فسار الى بلغراد ومنها الى ميدان الحرب والنزال وبعد قليل دبت فى الجيوش الحمية الدينية والغيرة العسكرية ففتح قلعة (ارلو) الحصينة التى عجز السلطان سليمان عن فتحها فى سنة ١٥٥٦ ودمر جيوش المجر والنمسا ندميرا فى سهل (كرزت) بالقرب من هذه القلعة فى ٢٦ اكتوبر سنة ١٥٩٦ حتى شبهت هذه الموقعة بواقعة (موهاكز) التى انتصر فيها السلطان سليمان سنة ١٥٢٦ وبعد هذه الموقعة استمر الحرب سجالا بدون أن تحصل بين الطرفين وقائع حاسمة

وفى ابتداء القرن السابع عشر للميلاد حصلت فى بلاد الاناطول ثورة داخلية كادت تكون وخيمة العاقبة على الدولة خصوصا ونيران الحروب مستعرلهيبها على حدود المجر والنمسا وذلك ان فرقة من الجيوش المؤجرة (ويسمونها بالتركية علوفه جى) التى هى بالنسبة للانكشارية كنسبة الباشبوزق للجيوش المنتظمة لم تثبت فى واقعة (كرزت) المتقدم ذكرها بل ولت الادبار وركنت الى الفرار فنفيت الى ولايات آسيا وأطلق عليها اسم (فرارى) تحقيرا لهم وعبرة لغيرهم وهنالك ادعى أحد رؤسائهم واسمه (قره يازيجى) ان النبى صلى الله عليه وسلم جاءه مناما ووعده بالنصر على آل عثمان وفتح ولايات آسيا منهم فتبعه كثير من هذه الفئة وشق عصا الطاعة وتغلب على والى القرمان ودخل مدينة (عين تاب) عنوة فأرسلت اليه الجيوش وحاصرته فيها ولما رأى أن لا مناص له من التسليم أو الموت عرض على الوزير المحاصر له الطاعة للسلطان بشرط تعيينه واليا على اماسيا فقبل شرطه ورفع عنه الحصار لكن بمجرد ابتعاد الجيوش عنه رفع راية العصيان ثانيا واتحد مع أخيه المسمى (دلى حسن) والى بغداد فاتبع وسوسة أخيه وكفر بنعمة الدولة وجاهر بعصيانها

فارسل صقللى حسن باشا مع جيش جرار لمحاربتهما وانتصر أولا على قره يازيجى وألجأه الى الاحتماء بجبال جانق على البحر الاسود حيث توفى من الجراح التى

أصابته فى الحرب تاركا أخاه للاخذ بثاره وفعلا فاز الدلى حسن على صقللى حسن باشا وقتله على أسوار مدينة (توقات) ثم هزم ولاة ديار بكر وحلب ودمشق وحاصر مدينة (كوتاهيه) فى سنة ١٦٠١ واستفحل أمره حتى خيفت العاقبة ولما رأت الدولة تجسم هذه النازلة أخذت فى استعمال طرق السلم والتودد فاجزلت اليه العطايا وأغدقت عليه الهبات ثم عرضت عليه ولاية بوسنه فقبل بعد تمهلات كثيرة ووضع السلاح وأعلن باخلاصه للدولة العلية سنة ١٦٠٣ وسافر بجنوده ومن انضم اليها من أخلاط الاكراد وأوباش القرمان واستعمل قوته لمحاربة الافرنج على حدود الدولة من جهة أورو با حتى هلكت جيوشه عن آخرها فى المناوشات المستمرة بينها و بين عساكر المجر والنمسا واستراحت الدولة من شرها

وأعقبت هذه الثورة العظيمة ثورة أخرى فى نفس الاستانة العلية كاد شرها يتعدى الى نفس الخليفة الاعظم وذلك أن جنود السباه أى الخيالة طلبوا من الدولة ان تعوض عليهم مافقدوه من ريع الاقطاعات المعطاة لهم فى بلاد آسيا وكانوا يسمونها (تمارا) بسبب فتنة قره يازيجى ودلى حسن بآسيا الصغرى ولما لم يكن فى وسع الدولة تلبية طلبهم لنقص دخلها هى أيضا بسبب هذه الفتنة تمردوا وثاروا وطلبوا نهب مافى المساجد من التحف الذهبية والفضية فاستعانت الدولة عليهم بجنود الانكشارية وأدخلتهم فى طاعتها بعد سفك الدماء ولو اتحد الانكشارية معهم وساعدوهم على مطالبهم لخيف على حياة الدولة من الداخل والخارج

ومن ذلك يظهر جليا اختلال النظام العسكرى بها وعدم صلاحيته لحفظ اسم الدولة وشرفها بين أعدائها وفى هذه السنة توفى السلطان وكانت وفاته رحمه الله فى ١٢ رجب سنة ١٠١٢

١٤ ﴿السلطان الغازى أحمد خان الاول﴾

﴿وانتصار الشاه عباس﴾

ولد هذا السلطان فى ١٢ جمادى الاولى سنة ٩٩٨ فتولى الملك ولم يتجاوز سنه الرابعة عشر الا بقليل وأركان الدولة غير ثابتة فى كافة بلاد آسيا ونار الحرب مستعرة

على حدود العجم شرقا والنمسا غربا وكانت الحرب مع العجم شديدة الوطأة هذه المرة لتولى الشاه عباس (٧٤) الشهير قيادتها ومما جعل لها أهمية أعظم من كافة الحروب السابقة اضطراب الاحوال فى الولايات الشرقية عموما وسعى كل أمة من الامم المختلفة النازلة بها بالحصول على الاستقلال وكان أهم رؤساء هذه الحركة رجلا كرديا لقب بجان بولاد (ومعناها بالعربية من نفسه كالبولاد) لشدة بأسه وقوة اقدامه والامير فخر الدين الدرزى وغيرهما لكن قيض الله للدولة فى هذه الشدة الوزير مراد باشا الملقب بقويوجى الذى عين صدرا أعظم وكان قد تجاوز الثمانين ليكون عونا وعضدا للسلطان الفتى فتقلد مع كبر سنه وهن قواه قيادة الجيوش وحارب الثائرين بهمة ونشاط زائدين فانتصر على فخر الدين وجان بولاد واقتفى أثرهم حتى اختفيا فى بادية الشام واستمال (قلندر أوغلى) أحد زعماء الثورة فى الاناطول وعينه واليا على انقره وقبض على آخر يدعى أحمد بك وقتله بعد ان فرق جنده بالقرب من قونيه ولما رأى جان بولاد الكردى عدم نجاح الثورة سافر للاستانة وأظهر الطاعة للسلطان فعفا عنه وعينه واليا على تمسوار وفى سنة ١٦٠٨ انتصر على من بقى من العصاة بقرب (وان) وفى السنة التالية قتل آخر زعمائهم المدعو يوسف باشا الذى كان استقل بأقاليم صاروخان ومنتشا وآيدين وبذلك عادت السكينة وساد الامن بهمة هذا الشجاع الذى لقب بسيف الدولة عن استحقاق

هذا وانتهز الشاه عباس هذه الفرصة لاسترجاع بلاد العراق العجمى واحتل مدائن تبريز ووان وغيرها ولمناسبة اضمحلال جيوش الدولة فى هذه الحروب التى استمرت عدة سنوات متوالية وموت أهم قوادها خصوصا الصدر الاعظم قويوجى يوم ٥ أغسطس سنة ١٦١١ تراسلت الدولتان على الصلح وتم الامر بينهما فى سنة

(٧٤) لقب هذا الشاه بالكبير وأخلف محمد ميرزا فى الملك سنة ١٥٨٥ ونودى به ملكا فى خراسان ثم سار الى مدينة مشهد التى كانت قد احتلتها قبائل الازبك فاستخلصها منهم وانتصر عليهم بقرب مدينة هرات سنة ١٥٩٧ ثم حارب الترك واستخلص منها الولايات التى سبق أخذها من مملكة العجم واحتل مدائن بغداد والموصل وديار بكر ثم تحد مع شركة الهند الانكليزية وطرد البرتغاليين من ثغر هرمز وتوفى سنة ١٠٣٧ هـ الموافقة سنة ١٦٢٨ بعد ان حكم البلاد بغاية الحكمة والسداد مدة ثلاث وأربعين سنة

١٦١٢

١٦١٢ بمساعى نصوح باشا الذى تولى منصب الصدارة بعد موت قويوجى مراد باشا على أن تترك الدولة العلية لمملكة العجم جميع الاقاليم والبلدان والقلاع والحصون التى فتحها العثمانيون من عهد السلطان الغازى سليمان الاول القانونى بما فيها مدينة بغداد وهذه أول معاهدة تركت فيها الدولة بعض فتوحاتها ويمكننا القول بكل أسف وحزن انها كانت فاتحة الانحطاط وأول المعاهدات المشؤمة التى ختمت بمعاهدة برلين الشهيرة

أما من جهة المجر والنمسا ففى أثناء اشتغال الدولة بحروبها الداخلية استبدت النمساويون ببلاد المجر وأساؤا معاملة أشرافها نظير اخلاصهم للدولة العلية حتى رفضوا نير النمسا المسيحية وطلبوا من الدولة أن ترمقهم بعين حمايتها وتخلصهم من استرقاق النمسا لهم وانتخبوا الامير (بوسكاى) ملكا عليهم سنة ١٦٠٥ فانشرحت الدولة لهذه النتيجة التى ما كانت تنتظرها من أمة مسيحية لاسيما وهى فى حالة كربة لكثرة الحروب الداخلية وتقهقر جيوشها أمام الشاه عباس فقبلت هذا الاسترحام واعتمدت انتخاب (بوسكاى) وأمدته بجيوشها ففتحت فى زمن يسير حصون (جران) و (ويسجراد) و (سيريم) وغيرها وفى سنة ١٦٠٦ خشيت النمسا من امتداد الفتوحات العثمانية فسعت فى صلح بوسكاى عن الدولة فاعترفت بانتخابه ملكا للمجر وأميرا لاقليم ترنسلفانيا وتنازلت له عن كافة الاقاليم المجرية التى كانت للسلطان (باتورى) بشرط رجوع ما يكون منها لالمانيا وخصوصا اقليم ترنسلفانيا الى امبراطور ألمانيا بعد موت بوسكاى ولزيادة اضطراب أحوال الدولة بآسيا وتعسر استمرار الحرب مع النمسا بدون مساعدة جيوش المجر لها أبرمت الصلح مع امبراطور النمسا فى سنة ١٦٠٦ عينها على أن لا تدفع النمسا الجزية السنوية التى قدرها ثلاثون ألف دوكا فى المستقبل مقابل التعويض عنها للدولة بدفع مبلغ مائتى ألف دوكا وأن تضم الدولة العلية لاملاكها حصون (جران) و (ارلو) و (كانيشا) وفى سنة ١٦٠٨ اجتمع نواب النمسا والمجر فى مدينة برسبورج وصدقوا على هذا الاتفاق وكذلك صدق عليه لمدة عشرين سنة من تاريخ التصديق مندوبو مملكة ألمانيا مجتمعين بهيئة مؤتمر بمدينة (ويانه) سنة ١٦١٥ أما بلاد المجر فبقيت تابعة للدولة

بعضها تبعية فعلية والبعض تبعية حماية وسميت هذه المعاهدة بمعاهدة (ستواتوروك)

وبعد التصديق نهائيا على هذا الاتفاق من جميع أولى الشان توفى (بوسكاى) وامتنع أهالى اقليم ترنسلفانيا عن الدخول ضمن أملاك الامبراطورية مفضلين البقاء تحت حماية الدولة العثمانية الاسلامية التى لم تتعرض لهم لا فى دينهم ولا فى عوائدهم اكتفاء بالجزية السنوية فعينت لهم الدولة (سجسمون راجوتسكى) ثم جبرائيل باتورى ثم (بتلن جابور) وهو من أشد خصماء دولة النمسا وألد أعدائها وتعهد هذا الامير بمنع أمراء الفلاخ والبغدان من اقتناء الاراضى والقصور فى امارته حتى لا يلتجؤا اليها ويتمردوا على الدولة وبتسليمهم لها لو فروا اليها وبذلك صارت ترنسلفانيا حائلا بين الامارتين وبلاد المجر

هذا ولو أن الحروب انقطعت عن كافة حدود الدولة تقريبا الا انه حصلت ما بين سنة ١٦١١ وسنة ١٦١٤ بعض مناوشات بحرية بين مراكب الدولة وسفن رهبان مالطة وملك اسپانيا وولايات ايطاليا كان الفوز فيها غالبا للمراكب الاعداء ولذلك أمر الصدر نصوح باشا بجمع جميع سفن الدولة فى مياه البحر الابيض المتوسط لصد تعديات مراكب الافرنج وحفظ طريق البحر بين الاستانة وولايات الغرب فانتهز بعض أخلاط القوزاق انسحاب السفن الحربية من البحر الاسود وأغاروا على ثغر سينوب ونهبوا امابه ولما علم السلطان بذلك غضب على الصدر الاعظم وسعى به بعض مبغضيه طمعا فى نوال منصبه وما فتئوا يغرون صدر سيده عليه حتى أمر بقتله فى ١٤ اكتوبر سنة ١٦١٤ فخنق فى قصره

هذا وازدادت فى أيام السلطان أحمد الاول العلاقات السياسية مع دول الافرنج فجددت مع فرنسا العقود والعهود القديمة فى سنة ١٦٠٤ مع بعض زيادات طفيفة وفى سنة ١٦٠٩ جددت مع مملكة بولونيا الاتفاقية التى أبرمت معها فى زمن السلطان محمد الثالث وأهم ما بها تعهد بولونيا بمنع قوازق الروسية من الاغارة على اقليم البغدان وتعهد الدولة العلية بمنع تتار القرم من التعدى على حدودها وفى

سنة ١٦١٢ تحصلت ولايات الفلمنك ﴿٧٥﴾ على امتيازات تجارية تضارع ما منحته كل من فرنسا وانكلترا وهم أى الفلمنك الذين ادخلوا فى البلاد الاسلامية استعمال التبغ أى تدخين الدخان فعارض المفتى فى استعماله وأصدر فتوى بمنعه فهاج الجند واشترك معهم بعض مستخدمى السراى السلطانية حتى اضطروه الى اباحته وفى ٢٣ ذى القعدة سنة ١٠٢٦ الموافق ٢٢ نوفمبر سنة ١٦١٧ توفى السلطان أحمد الاول ولصغر سن ولده عثمان الذى كان لم يتجاوز ثلاث عشرة من عمره خالف العادة المتبعة من ابتداء الغازى السلطان عثمان الاول أى تنصيب أكبر الاولاد أو أحدهم مكان والده وأوصى بالملك بعده لاخيه

١٥ ﴿السلطان مصطفى خان الاول﴾

وكان قد قضى طول عمره داخل محلات الحرم ولم يتعاطى أشغالا مطلقا بل ولم يعلم من أمور المملكة شيأ كما كانت عادة بعض ملوك بنى عثمان وهى ان كل سلطان يتولى يأمر بقتل اخوته أو يحجزهم فى السراى كى لا يكون منهم منازع فى الملك وهى عادة مستقبحة جدا لما فيها من قتل أقرب الناس بلا ذنب أو جرم الا ما يخيله لهم الوهم من الخوف على الملك والاستئثار به مع انهم لو استخدموا اخوتهم فى المناصب العالية لا سيما قيادة الجيوش كما يفعل ملوك أوروبا الآن لحفظوا ذمار الدولة وأخلصوا فى خدمتها أكثر من الذوات الذين أغلبهم (كما رأيت وترى فى سياق هذا الكتاب) من غير الجنس التركى بل من المماليك الجركس أو الافرنج الذين ربما اعتنقوا الدين الاسلامى ودخلوا فى خدمة الدولة أعداء فى لباس أصدقاء لتنفيذ أغراض دولهم

﴿٧٥﴾ بلاد الفلمنك أو البلاد الواطئة المشهورة الآن باسم هولانده مكونة من عدة ولايات كانت فى الاصل تابعة لمملكة النمسا ثم استقلت سبعة من الولايات الشمالية فى أواخر القرن السادس عشر وشكلت بهيئة جمهورية سميت بالولايات المتحدة واستمرت الباقية تابعة لملك اسبانيا لانتقالها اليه بالارث وفى سنة ١٧١٤ أعطيت الى النمسا وبقيت فى حيازتها الى سنة ١٧٩٠ تقريبا حيث فتحتها فرنسا وفى سنة ١٨١٤ شكلت جميع البلاد الواطئة بما فيها الولايات التى كانت متحدة والاراضى المكونة لمملكة بلجيكا الآن بهيئة حكومة ملوكية مستقلة وفى سنة ١٨٣٠ انقسمت هذه المملكة الى قسمين سمى الجزء الشمالى منها بمملكة هولاندا والجنوبى باسم مملكة البلجيكا وهى مكونة من الولايات التى كانت تابعة لاسبانيا والنمسا اما هولانده فمكونة من الولايات التى كانت مشكلة بهيئة جمهورية مستقلة

وكادت تقوم الحرب بين الدولة وفرنسا عند تويته وذلك ان كاتم أسرار السفارة الفرنساوية ساعد أحد أشراف بولونيا وكان مسجونا بالاستانة على الهروب منها فسجن كاتم السر والمترجم والسفير

ولم يلبث هذا السلطان على سرير الملك الا ثلاثة أشهر تقريبا ثم عزله أرباب الغايات وفي مقدمتهم المفتي وقيزلر اغاسي أي أغا السراي وساعدهم الانكشارية على ذلك لتوزيع الهبات عليهم عند تولية كل ملك جديد فعزل في أول ربيع أول سنة ١٠٢٧ الموافق ٢٦ فبراير سنة ١٦١٨ وأقاموا مكانه السلطان عثمان الثاني

١٦ ﴿السلطان عثمان خان الثاني وخلعه ثم قتله وارجاع السلطان مصطفى ثم عزله﴾

هو ابن السلطان أحمد الاول وأمر باطلاق قنصل فرنسا وكاتبه ومترجمه وأرسل مندوبا للملك فرنسا لويس الثالث عشر يسمى حسين جاويش بجواب اعتذار عما حصل من الاهانة لسفيره وبذلك انحسمت هذه المشكلة وحدث في هذا الاثناء ان تداخلت بولونيا في شؤون امارة البغدان لمساعدة (جراسياني) الذي عزل بناء على مساعي بتلن جابور أمير ترنسلفانيا وأضيفت امارته الى اسكندر شربان أمير الفلاخ وصارت الامارتان تابعتين له فاتخذ السلطان عثمان هذا التداخل سببا في اشهار الحرب على مملكة بولونيا وتحقيق أمنيته وهي فتح هذه المملكة وجعلها فاصلا بين أملاك الدولة ومملكة الروسيا التي ابتدأت في الظهور وقبل الشروع في الحرب أمر بقتل أخيه محمد تبعا للعادة المشروعة فقتل في ١٢ يناير سنة ١٦٢١ مأسوفا عليه ثم أصدر أمرا بتقليل اختصاصات المفتي ونزع ما كان من السلطة في تعيين وعزل الموظفين وجعل وظيفته قاصرة على الافتاء حتى يأمن شر دسائسه التي ربما تكون سببا في عزله كما كانت سبب عزل سلفه لكن أتى الامر على الضد مما كان يؤمل كما سيجيء وبعد ان أتم هذه التمهيدات الداخلية سير الجيوش والكتائب لمحاربة مملكة بولونيا فالتقت بجيشهم تحت قيادة أمير (ولنا) وكان متحصنا في محل منيع

بالقرب

بالقرب من بلدة يقال لها (شوك زم) فهاجهم العثمانيون فى حصونهم عدة دفعات متوالية بدون أن يزحزحوهم عن معاقلهم فطلبت الانكشارية الكف عن الحرب وطلب البولونيون الصلح لفقد قائدهم وتبادلت بينهما المخابرات وتم الصلح وأمضى من الطرفين فى ٦ اكتوبر سنة ١٦٢٠ وحنق السلطان على الانكشارية من طلبهم الراحة وخلودهم الى الكسل والزامه على الصلح مع بولونيا بدون تتميم قصده أى ضمها الى أملاكه وعزم على ابطالها وافنائها عن آخرها ولاجل التأهب لتنفيذ هذا الامر الخطير أمر بحشد جيوش جديدة فى ولايات آسيا وتنظيمها وتدريبها على القتال حتى اذا كملت عددا وعددا استعان بها على ابادة هذه الفئة الباغية وشرع فعلا فى نفاذ هذا المشروع لكن أحس الانكشارية بذلك فهاجوا وماجوا وتذمروا واتفقوا على عزل السلطان وتم لهم ذلك فى يوم ٩ رجب سنة ١٠٣١ الموافق ٢٠ مايو سنة ١٦٢٢ وأعادوا مكانه السلطان مصطفى الاول ولم يكتفوا بعزله بل هجموا عليه فى سرايه وانتهكوا حرمتها وقبضوا عليه بين جواريه وزوجاته وقادوه قهرا الى تكناتهم موسعيه سبا وشتما واهانة مما لم يسبق له مثيل فى تاريخ دولتنا العلية وزيادة على ذلك أنهم نقلوه من هنالك الى القاعة المعروفة بذات السبع قلل (يدى قله) حيث كان بانتظاره كل ممن يدعى داود باشا وعمر باشا الكيخيا وقلندر اوغلى وغيرهم فاعدموا السلطان عثمان الحياة غير مبالين بهذا الجرم العظيم والاثم الذى ما بعده اثم الا الكفر المبين فانه ان كانت مخالفة أوامر الخليفة الاعظم تعد كفرا بنص الكتاب الشريف فما بالك بقتله وهنا يقف القلم ويكف المداد عن وصف هذه الفعلة الشنعاء والكبيرة الشعواء تاركا وصفها للقارئ اللبيب والمطلع الاديب لعجزى عن هذا المقام العالى وتقصيرى عن هذه المراتب العوالى وقلة بضاعتى وقصور قريحتى مكتفيا بنقل أسماء مرتكبيها الى الخلف لتكون هدف سخطتهم ومرمى سهام فضيحتهم

وبعد ذلك صارت الحكومة العوبة فى أيدى الانكشارية ينصبون الوزراء ويعزلونهم بحسب أهوائهم فعزلوا داود باشا قاتل السلطان بعد بضع أيام وصاروا يعطون المناصب لمن يجزل اليهم العطايا فكانت الوظائف تباع جهارا وارتكبوا

أنواع المظالم في القسطنطينية

ولما بلغ خبر قتل السلطان الى الولاة وانتشرت بينهم أخبار الفوضى السائدة في الاستانة وسوس لهم ابليس الطمع فاطاعوه وسرى في عروقهم شيطان الغواية فاتبعوه فاشهر والى طرابلس الشام استقلاله وطرد الانكشارية من ولايته واقتفى أثره والى ارضروم المدعو أباظا باشا مدعيا انه يريد الانتقام للمرحوم السلطان عثمان شهيد الانكشارية وسار بمن تبعه الى سيواس وانقره فغضهما مصادرا التزامات الانكشارية واقطاعاتهم قاتلا كل من وقع في مخالبه من هذه الفئة التي تلوثت بدم سلالة سلاطينهم وتبعه والى سيواس وسنجق قره شهر ثم سار الى مدينة بورصه فحاصرها ودخلها بعد ثلاثة أشهر الا قلعتها فلم تسلم

واستمرت الاضطرابات الداخلية في نفس كرسي الخلافة العظمى ولا أمن ولا سكينة مدة ثمانية عشر شهرا متوالية حتى اذا شعر العموم بما وراء هذه الفوضى من الدمار والخراب وشبع الانكشارية نهبا وسلبا وقتلا في نفوس الاهالى وأموالهم عينوا من يدعى (كمانكش على باشا) صدرا أعظم لتوسمهم فيه الخبرة والاستعداد فاشار عليهم بعزل السلطان مصطفى ثانيا لضعف عزيمته ووهن قواه العقلية فعزلوه في ١٥ ذي القعدة سنة ١٠٣٢ الموافق أواخر اغسطس سنة ١٦٢٣ وولوا مكانه السلطان مراد الرابع

١٧ ﴿السلطان الغازى مرادخان الرابع﴾

وهو ابن السلطان أحمد الاول ابن السلطان محمد الثالث ولد في ٢٢ جمادى الاولى سنة ١٠١٨ وولاه الانكشارية بعد عزل عمه السلطان مصطفى الاول ابن السلطان محمد الثالث مع حداثة سنه كى لا يكون معارضا لهم في أعمالهم الاستبدادية ولا مضعفا لنفوذهم الذى اكتسبوه بقتل سلطان وعزل غيره واستمروا مدة العشر سنين الاولى من حكمه على غيهم وطغيانهم

﴿محاربة العجم واستيلائهم على بغداد﴾

وانتهز الشاه عباس ملك العجم هذا الاختلال ذريعة لتوسيع أملاكه من جهة

حدود الدولة العلية فكان الامر حينئذ بعكس ما كان عليه أيام المرحوم الغازى السلطان سليمان القانونى وذلك ان رئيس الشرطة فى مدينة بغداد واسمه بكير أغا ثار على الوالى وقتله واستبد فى الاحكام فارسلت له الدولة قائدا يدعى حافظ باشا حاربه وحصره فى دار السلام فسولت لبكير أغا نفسه الخبيثة أن يخون الدولة وراسل الشاه عباسا وعرض عليه تسليم المدينة فسار الشاه بجنوده لاحتلالها وفى الوقت نفسه عرض بكير أغا على القائد العثمانى ان يرد المدينة للعثمانيين لو أقرته الدولة على ولايتها فقبل ذلك واحتلتها الجنود المظفرة قبل وصول شاه العجم وهو لما وصلها حصرها ثلاثة أشهر ثم فتحها بخيانة ابن بكير أغا الذى سلمها اليه بشرط تعيينه حاكما عليها من قبلهم لكن خاب سعيه فقد قتله الشاه جزاء خيانته كما قتل أباه وفى ذلك عبرة لكل جاهل خائن يظن ان الاجنبى يعتقد فيه الاخلاص و يكافئه لو ساعده على ابتلاع وطنه فهل يرجو من باع وطنه العزيز بيع المتاع خيرا من تلك الدولة كلا فانها تستعمله آلة لنوال غرضها ثم تلفظه لفظ النواة فيرجع بعض بنان الندم على ضياع شرفه وتسويد صفحات تاريخه حيث لا ينفع الندم و ينكص على عقبيه مذموما مدحورا وبمناسبة سقوط بغداد فى أيدى العجم وعدم اخباره السلطان بذلك سعى المنافقون بالصدر الاعظم كمانكش على باشا لدى السلطان وأفهموه أنها لم تسقط الا لخيانته فحنق عليه وأمر بقتله وولى مكانه جركس محمد باشا ولم يلبث هذا الاخير ان توفى وعين بعده حافظ أحمد باشا سنة ١٠٣٣ هجرية وهو الذى اشتهر فى مكافحة أباظه باشا والفوز عليه فى واقعة قيصرية ومحاصرته فى ارضروم حتى التزم بالخضوع للدولة واظهار الولاء لها فعفت عنه عفو كريم مقتدر وأقرته فى ولايته سنة ١٦٢٤ فسار حافظ باشا الصدر الجديد الى مدينة بغداد لاستردادها وحاصرها فى أوائل سنة ١٦٢٦ وضيق عليها الحصار ولما استمر الحصار مدة بدون أن تنثنى عزيمة المحصورين تذمر الانكشارية وأظهروا عدم الرغبة فى الحرب بكيفية اضطرته لرفع الحصار عن المدينة والرجوع الى الموصل ومنها الى ديار بكر حيث ثار الجند مرة ثانية فعزل السلطان حافظ باشا سنة ١٠٣٤ هجرية وعين بدله من يدعى خليل باشا الذى سبق تقلده هذا المنصب فى عهد السلاطين أحمد الاول ومصطفى

الاول وعثمان الثانى شهيد الانكشارية وكانت فاتحة أعماله انه استدعى أباظه باشا الى معسكره قطن انه يريد الغدر به فرفع راية العصيان ثانيا وقتل حامية أرضروم من الانكشارية وانتصر على القائد حسين باشا وجيشه فسار اليه الصدر خليل باشا بنفسه وحصره ثم رفع عنه الحصار بعد شهرين (نوفمبر سنة ١٥٢٧) فعزل من الصدارة سنة ١٠٣٥ هجرية وولى مكانه خسرو باشا وهو عاود الكرة على أرضروم وأدخل أباظه باشا فى طاعة الدولة وعينه واليا على البشناق (بوسنه) سنة ١٦٢٨ وفى هذا الاثناء كانت ثورات الجنود متتابعة بالاستانة وفى كل مرة يطلبون قتل من يشاؤن من رؤساء الحكومة المخالفين لهم فى الرأى ولا يرى السلطان مندوحة من اجابة طلباتهم اسكاتا لهم وخوفا من أن يصل اليه أذاهم ثم توفى الشاه عباس وتولى ابنه شاه مرزا وكان حديث السن فدخل العشم فى أفئدة القواد العثمانيين وسار خسرو باشا من حينه الى بلاد العجم رغما عن تذمر جنوده ووصل بعد العناء الشديد الى مدينة همذان فدخلها فجأة فى أواخر شوال سنة ١٠٣٩ الموافق يونيو سنة ١٦٣٠ ثم قصد مدينة بغداد وانتصر أثناء عودته اليها ثلاث دفعات متواليات على جيوش العجم ووصل اليها وابتدأ فى محاصرتها فى شهر سبتمبر من السنة المذكورة فدافع عنها قائد حاميتها دفاعا شديدا وصدّ هجوم العثمانيين عنها فى ١٤ نوفمبر ولهجوم الشتاء رفع خسرو باشا عنها الحصار ورجع الى مدينة الموصل لقضاء فصل الشتاء وفى الربيع التالى أراد معاودة الكرة على مدينة بغداد فلم تمتثل الجنود أوامره ولذلك اضطر الى التقهقر الى مدينة حلب خوفا من وصول العدو اليه بالموصل وهو غير واثق من جنوده

﴿ثورة الانكشارية وقتلهم الصدر الاعظم حافظ باشا وثورة فخر الدين الدرزى﴾

وفى غضون ذلك أصدر السلطان أمره بعزل خسرو باشا واعادة حافظ باشا الى منصب الصدارة فسعى المعزول لدى الجند وأفهمهم انه لم يعزل الا لمساعدته لهم فثاروا وأرسلوا الى الاستانة يطلبون ارجاعه ولما لم يجب السلطان طلبهم ساروا الى القسطنطينية وقاموا بثورة عظيمة خيف منها على حياة الملك فانهم دخلوا السراى

السلطانية فى ١٨ رجب سنة ١٠٤١ الموافق ٩ فبراير سنة ١٦٣٢ وقتلوا حافظ باشا رغماً عن تداخل السلطان ومنعهم عنه فاغتاظ السلطان وأمر بقتل خسرو باشا محرك هذه الفتنة فقتل ولم ينل بغيته من البقاء فى الصدارة وعين من يدعى بيرام محمد باشا صدراً أعظم ومن ذلك الحين أظهر السلطان عزماً شديداً وثباتاً قوياً فى مجازاة رؤس الانكشارية وغيرهم ممن كان يهيج الخواطر ويقلق الراحة العمومية وصار يأمر بقتل كل من ثبت عليه أقل اشتراك فى الحركات الاخيرة وبذلك داخلهم الرعب ووقعت مهابته فى قلوبهم وخشيه الصغير والكبير والامير والصعلوك وسار كل فى طريقه مكباً على عمله بدون أن يأتى ما يكدر صفو كأس الراحة العمومية وأمن الناس على أموالهم وأعراضهم من التعدى وسادت السكينة فى القسطنطينية وضواحيها وجميع أنحاء المملكة وكانت آخر ثورة الانكشارية فى شوال سنة ١٠٤١ الموافق ١٨ مايو سنة ١٦٣٢ حركها من يدعى رجب باشا الغاية فى النفس فأمر السلطان بقتله والقاء جثته من شبابيك السراى حتى يراها المتجمهرون فسكنت الخواطر ولم يحصل ما يبعث بالامن بعد ذلك فى مدته وبعد كسر شوكة الانكشارية أراد السلطان أن يعيد للدولة ما فقدته من النفوذ بسبب اهمال بعض أسلافه وعدم اطاعة الانكشارية وامتناعهم عن الحرب عند الحاجة القصوى فأرسل الى والى دمشق بمحاربة فخر الدين أمير الدروز وادخاله فى طاعة الدولة فقام الوالى بالمأمورية خير قيام وهزم فخر الدين وأسره هو وولديه وأرسلهم الى القسطنطينية حيث عاملهم السلطان بكل احتفاء واكرام ولكن لما بلغ السلطان ان أحد أحفاده ثار ثانيا ونهب بعض مدائن الشام أمر بقتله وولده الاكبر فقتلا فى ابريل سنة ١٦٣٥ فأطاع الدروز وبقيت الامارة فى ذرية فخر الدين المذكور نحو مائة سنة ثم انتقلت الى عائلة شهاب التى منها الامير بشير الشهير فى حروب ابراهيم باشا ابن محمد على باشا والدولة فى النصف الاول من هذا القرن المسيحى

﴿فتح اريوان واسترجاع بغداد﴾

ثم سار السلطان بنفسه الشريفة الى بلاد العجم لاسترجاع فتوحات السلطان الغازى سليمان الاول القانونى ففتح مدينة اريوان فى ٢٥ صفر سنة ١٠٤٥ الموافق ١٠

اغسطس سنة ١٦٣٥ وأرسل السلطان رسولين الى الاستانة لتزيين المدينة مدة سبعة أيام وقتل أخويه بايزيد وسليمان لبلوغه عنهما ما كدر خاطره واتباعا للعادة وبعد ذلك قصد السلطان مدينة تبريز ففتحها عنوة فى ٢٨ ربيع أول سنة ١٠٤٥ الموافق ١٠ شهر سبتمبر سنة ١٦٣٥ المذكورة ثم عاد الى الاستانة للاستراحة من عناء السفر ومشقات الحرب ومما يدل على ان وجود السلطان مع جيوشه له أهمية عظمى ويبعث فيهم روحا جديدة انه بمجرد رجوع السلطان اشتد عزم العجم ووقفوا أمام الجيوش العثمانية بعد ان كانوا يفرون من أمامهم أينما التقوا بهم والسلطان قائدهم ثم تغلبوا عليهم واستردوا مدينة (اريوان) وفازوا بالغلبة فى واقعة منتظمة فى وادى مهربان سنة ١٦٣٦

فلما وصل خبر انتصار العجم على الجنود العثمانية الى مسامع السلطان أراد اذلالهم وكسر شوكتهم فسار بجيش عظيم كامل العدد والعدد الى مدينة دار السلام وابتدأ حصارها بكيفية منتظمة فى ٨ رجب سنة ١٠٤٨ الموافق يوم ١٥ نوفمبر سنة ١٦٣٨ وكان يشتغل بنفسه فى اعمال الحصار الشاقة تنشيطا للجند وسلط على أسوارها المدافع الضخمة التى نقلها اليها ولما فتحت المدافع فيها فتحة كافية للهجوم أصدر السلطان أوامره بذلك فهجمت الجيوش كالليوث الكواسر فى صبيحة ١٨ شعبان سنة ١٠٤٨ الموافق ٢٥ دسمبر سنة ١٦٣٨ ولم ينثنها قتل الصدر الاعظم طيار محمد باشا الذى تولى بعد موت بيرام محمد باشا المتوفى فى ٦ ربيع آخر سنة ١٠٤٨ الموافق ١٧ اغسطس سنة ١٦٣٨ بل استمر الحرب ثمانيا وأربعين ساعة متوالية ختمت بانتصار الجنود العثمانية نصرا مبينا ودخولهم المدينة وارجاعها الى المملكة العثمانية ولم تزل تابعة اليها حتى الآن

وبعد ذلك رغب شاه العجم فى عدم استمرار القتال وعرض الصلح على الدولة العلية بان يترك لها مدينة بغداد بشرط أن تترك هى اليه مدينة (أريوان) ودارت المخابرات بين الدولتين نحو عشرة أشهر كاملة وفى ٢١ جمادى الاولى سنة ١٠٤٩ الموافق ١٩ سبتمبر سنة ١٦٣٩ تم الصلح على ذلك وانقطعت أسباب العدوان من بينهما وكان يؤمل فى السلطان مراد الرابع أن يضارع السلطان الغازى سليمان الاول القانونى

فى

في الفتوحات وبعد الصيت لولا ان قصفت المنون عود حياته الرطيب وهو في مقتبل الشباب فتوفي رحمه الله عن غير عقب في ١٦ شوال سنة ١٠٤٩ هجرية الموافق ٩ فبراير سنة ١٦٤٠ ولم يتجاوز سنه تسعا وعشرين سنة وتولى بعده أخوه ابراهيم

١٨ ﴿السلطان الغازي ابراهيم خان الاول وفتح جزيرة كريد﴾

وهو ابن السلطان أحمد الاول ولد في ١٢ شوال سنة ١٠٣٤ وكان غير ميال لمحاربة النمسا فاطمأن خاطرها وأوعز لاميرترنسلفانيا بكف العدوان عنها لكن كان من جهة أخرى محافظا على كرامة الدولة غير متراخ في معاقبة من يمسها بسوء أو يتعدى حدودها ولذلك افتتح حروبه انذار جمعية بارسال جيش جرار الى بلاد القرم لمحاربة القوزاق الذين احتلوا مدينة ازاق فحاربهم العثمانيون وأبلوا فيهم بلاء حسنا واستردوا المدينة منهم بعد ان أحرقوها وذلك سنة ١٦٤٢ ومن أعماله أيضا فتح جزيرة كريد وكانت تابعة لجمهورية البندقية وحصل فتحها بسبب حكاية غريبة تكاد تقرب من الروايات الموضوعة وذلك ان اغات السراري (قيزلر أغاسي) كان عنده جارية حسناء وضعت حديثا فاعجبت السلطان واختارها لان تكون ظئرا أي مرضعة لابنه الوحيد محمد ولشغف السلطان بالجارية ومحبته لابنها حصلت بعض أمور داخلية مكدرة فاراد اغات السراري ملافاة لهذه الشقاقات العائلية أن يبتعد عن الاستانة بحجة زيارة بيت الله الحرام ويستصحب الجارية وابنها معه ولما أذن له السلطان بذلك سافر وبينما هو في الطريق اذ هاجمته مراكب رهبان مالطه وقتلوه وأخذوا الولد ظنا منهم انه ابن السلطان ولما تحققوا من غلطتهم ربوا الولد على الدين المسيحي وأدخلوه طائفتهم واشتهر عند الافرنج باسم (بدري اوتومانو) أي الاب العثماني وبعد ذلك نزل الرهبان الى جزيرة كريد وأحسن البنادقة وفادتهم فاغتاظ السلطان من ذلك غيظا شديدا وحبس قناصل البندقية وانكلترا وهولاندا ولم يفرج عنهم الا بعد ان أقنعه وزيره الاول بان أغلب هؤلاء الرهبان بل كلهم من الفرنساويين ومع ذلك فانهم غير تابعين للحكومة الفرنساوية ولا لغيرها فهدأ باله لكنه أمر بتجهيز عمارة بحرية قوية لفتح جزيرة كريد لاهمية

موقعها الجغرافي الحربي عند مدخل بحر ارخبيل اليونان وتوسطها في الطريق بين الاستانة وولايات الغرب فجهزت الدونانمة وسارت باحتفال زائد تحت قيادة من يدعي يوسف باشا الى ان ألقت مراسيها أمام مدينة خانيه أهم ثغور الجزيرة في ٢٩ ربيع آخر سنة ١٠٥٥ الموافق ٢٤ يونيه سنة ١٦٤٥ وافتتحها بدون حرب تقريبا لعدم وصول الدونانمة البندقية اليها في الوقت المناسب فانتقم البنادقة بحرق مياني (بتراس) وكورون ومورون من ثغور موره ويقال ان السلطان أراد في مقابلة ذلك قتل المسيحيين أجمع ولولا معارضة المفتي أسعد زاده أبي سعيد افندي لتم هذا الامر وربما كانت هذه دسيسة في كتب الافرنج الا انها تشهد على أي حال بحسن سياسة هذا المفتي لسعيه في منع هذا الامر الذي لو تم كان يلحق بالدولة عار عظيم كما لحق بمسيحي اسبانيا لما ارتكبوه من القتل والفتك بالمسلمين بعد فتح مدينة غرناطة «٧٦» وفي سنة ١٦٤٦ فتح أغلب الجزيرة وفي السنة التالية وضع الحصار أمام مدينة (كنديا) عاصمة الجزيرة لكن حال دون اتمامه وفتح المدينة عصيان الجنود في الاستانة

﴿عزل السلطان وقتله﴾

وتفصيله ان السلطان ابراهيم أراد أن يفتك برؤس الانكشارية في ليلة زفاف احدى بناته على ابن الصدر الاعظم لتذمرهم وانتقادهم على أعماله ورغبتهم في التداخل في شؤون الدولة والخروج عن حدودهم فعلموا بقصد السلطان وتآمروا على عزله واجتمعوا بمسجد يقال له (اورطه جامع) وانضم اليهم بعض العلماء والمفتي عبد الرحيم افندي وأهاجوا عساكر الانكشارية والسباه وقرر الجميع بعزله وتولية ابنه محمد الرابع البالغ من العمر سبع سنوات مكانه وتمت هذه الثورة يوم ١٨ رجب سنة ١٠٥٣ الموافق ٨ اغسطس سنة ١٦٤٧ وبعد ذلك بعشرة أيام

«٧٦» هي مدينة ببلاد الاندلس كانت مقر المملكة بني أمية الغربية ودخلها الافرنج سنة ١٤٩٢ في خلافة أبي عبد الله محمد ومن بقي بها من المسلمين أجبر على الردة أو المهاجرة مع مصادرة أموالهم فهاجر أغلبهم واضطهد من تخلف منهم اضطهادا شديدا لم يسمع مثله في التاريخ حتى لم يبق بها ولا بجميع بلاد الاندلس مسلم واحد وحولت جميع مساجدهم الى كنائس وبددت كتبهم العلمية ويوجد بها كثير من الابنية الغربية محفوظ حتى الآن وخصوصا قصر الحمراء الشهير

اظهر

أظهر السباه عدم ارتياحهم من الملك الغلام وطلبوا اعادة السلطان ابراهيم الى عرش الخلافة فخشي رؤساء العصابة التي عزلته من تقلب السباه وارجاعه رغم أنفهم وصمموا على قتله فسار والى السراى ومعهم الجلاد (قره على) وقتلوه خنقا كما قتلوا السلطان عثمان الثانى من قبله وبذلك ارتاح خاطرهم واطمأن بالهم وانفرد

١٩ ﴿السلطان الغازى محمد خان الرابع﴾

بالاثنى عشر سنه وقعت المملكة في الفوضى وصارت الجنود لا ترحم صغيرا ولا توقر كبيرا وسعوا فى الارض فسادا ورجعت الحالة الى ما وصلت اليه قبل تولى السلطان مراد الرابع بل الى أتعس منها وسرى عدم النظام الى الجنود المحاصرة لمدينة (كنديا) بكيفية اضطرت قائدهم السرعسكر حسين باشا لرفع الحصار عنها وكذلك كان سريان هذا الداء العضال الى الجنود البحرية تسبب انهزام الدونانمة العثمانية أمام دونانمة العدو أمام مدينة فوقيه (٧٧) سنة ١٦٤٩ ثم ثار بآسيا الصغرى فى هذه السنة أيضا رجل يدعى (قاطرجى اوغلى) وانضم اليه آخر يدعى (كورجى بنى) وهزما أحمد باشا والى الاناطول وسارا الى القسطنطينية ولولا وقوع الشقاق بينهما لخيف على العاصمة من وقوعها فى قبضتهما لكن وقع الخلاف بينهما وافترقا فحاربوهما فانهزم الثانى وقتل وأرسل رأسه الى السلطان وتمكن الآخر وهو قاطرجى اوغلى من الحصول على العفو عنه وتعيينه واليا للقرمان وبذلك انتهت هذه الثورة ولولا اشتغال النمسا بالحرب الهائلة الدينية المعروفة بحرب الثلاثين سنة لانتهزت هذه الفرصة وفتحت بلاد المجر بدون مقاومة ومن جهة أخرى لولا ولاء المجر وتفضيلهم الحكومة العثمانية على حكومة النمسا لثاروا وطلبوا الاستقلال وبعد ذلك توالت الثورات تارة من الانكشارية وطورا من السباه وآونة من الاهالى لما يثقل عليهم نير استبداد الجنود وتعاقب عزل وتنصيب الصدور بسرعة غريبة لم تسبق

(٧٧) مدينة يونانية قديمة اسمها (فوسه) على ساحل البحر المتوسط وتبعد عن مدينة ازمير بنحو ٤٢ كيلومترا وكانت فى أيام اليونان القدماء زاهرة متقدمة ويقال ان مؤسسى مدينة مرسيليا بفرنسا من سكانها وهى الآن منحطة وتجارتها لا تذكر بسبب وقوعها بالقرب من ازمير ولا يزيد عدد سكانها عن أربعة آلاف نسمة

فى الدولة ولا فى أيام حكم السلطان سليم تبعاً للأهواء والغايات واختل النظام أو بعبارة صريحة صار عدم النظام نظاماً للدولة وفى هذا الاثناء تغلبت مراكب جمهورية البندقية على عمارة الدولة عند مدخل الدردنيل واحتلت (تنيدوس) وجزيرة لمنوس وغيرهما ومنعت بذلك المراكب الحاملة للقمح وأصناف المأكولات عن الوصول الى القسطنطينية من هذا الطريق حتى غلت جميع الاصناف واستمر الحال على هذا المنوال ولا نظام ولا أمن ولا سكينة وبالاختصار لا حكومة ثابتة الى ان قيض لها المولى سبحانه وتعالى الوزير محمد باشا الشهير بكوبريلى الذى تولى منصب الصدارة سنة ١٠٦٧ الموافقة سنة ١٦٥٦ فعامل الانكشارية معاملة من يريد أن يطاع الطاعة عمياء وقتل منهم خلقاً كثيراً عندما ثاروا كعادتهم لما رأوه رجلا خبيراً بدخائل الامور قادراً على قمعهم والزامهم العود الى السكينة وأمر بعد تعيينه بقليل بشنق بطريرك الاروام لما ثبت له تداخله فى الدسائس والفتن الداخلية

ومما يؤثر عن هذا الوزير الجليل انه استصدر أمراً من السلطان بمنع قتل سلفه وكان قد أمر بقتله وتعيينه والياً على (كانيشه) وفى أواسط يوليه سنة ١٦٥٧ أرسل المراكب لمحاربة سفن البنادقة المحاصرة لمدخل الدردنيل فحاربتها ولم تساعدها الظروف على نوال النصر ثم بعد موت القائد البحرى البندقى الشهير (موشنجو) «٧٨» بنحو ستة أسابيع انتصرت العمارة العثمانية على البنادقة واستردت منهم ما احتلوه من الثغور والجزائر

وفى أثناء ذلك كانت نيران الحروب متأججة بين مملكة بولونيا وشارل جوستاف «٧٩» ملك السويد فارسل هذا سفراء الى الباب العالى يطلبون منه ابرام معاهدة

«٧٨» قائد بحرى من عائلة قديمة جداً بالبندقية نبغ منها عدة رؤساء لهذه الجمهورية
«٧٩» ولد هذا الملك الشهير فى سنة ١٦٢٢ وتولى ملك السويد سنة ١٦٥٤ وكان ميالاً للحرب لتوسيع نطاق مملكته والسيادة على شمال أوروبا فحارب بولونيا سنة ١٦٥٥ وقهر جيوشها فى واقعة وارسوفيا وفتح معظم ولاياتها ثم حارب الدانمرك فى شتاء سنة ١٦٥٧ ولشدة البرد وتجمد مياه البحر بين سواحل السويد ومدينة كوبنهاج عاصمة الدانمرك مر بجيوشه على البحر وهاجم المدينة ودخلها وألزم ملكها أن يتنازل له عن عدة مقاطعات مهمة ثم عاود عليها الكرة وفى أثناء حصارها توفى فى سنة ١٦٦٠ ونجت الدانمرك منه

هجومية ودفاعية لمحاربة بولونيا وتكون هذه المملكة تحت حماية الدولة بالفعل فامتنعت عن قبول هذا الوفاق ولما علمت ان (راكوكسى) أمير ترنسلفانيا اتحد مع السويد على قتال بولونيا باتحاده مع قرال الفلاخ والبغدان أمرت بعزله وعزل قرال الفلاخ المدعو قسطنطين الاول وتعيين (ميهن) الرومى مكانه فقابل راكوكسى الارادة السلطانية بالعصيان وانتصر على العثمانيين بالقرب من (ليبا) سنة ١٦٥٨ لحصول عصيانه فجأة وعدم الاستعداد لصده ثم سار كوبريلى لقمعه وضم الى جنوده جيوش ميهن أمير الفلاخ الجديد الذى كان يريد مساعدة راكوكسى لكنه لم يبدأ من مرافقة كوبريلى خوفا من ظهور خيانته فى وقت غير مناسب وباتحاد الجيشين تمكن كوبريلى من قهر هذا العاصى وطرده من البلاد وتعيين من يدعى (اشاتيوس بركسى) قرالا على ترنسلفانيا بشرط ان يدفع خراجا سنويا قدره أربعون ألف دوكا وبعد استتباب الامن عاد الصدر الى الاستانة وبمجرد عودته أظهر ميهن قرال الفلاخ العصيان واضطهد المسلمين وقتل منهم خلقا كثيرا وصادرهم فى أموالهم وأملاكهم واستدعى راكوكسى المعزول لمساعدته واعدا له بارجاعه الى ولايته بعد النصر على العثمانيين وأرسلوا الى (غيكا) قرال البغدان يوسوسون له بالانضمام اليهما فلم يصغ الى وسوستهم ولذلك ساروا اليه وانتصروا عليه بالقرب من مدينة (يامى) (٨٠) عاصمة امارته ولما وصل خبر تمردهم الى الاستانة رجع كوبريلى على جناح السرعة لمحاربتهما قبل اشتداد الخطب واتساع الخرق على الراقع وانتصر عليهما انتصارا مبينا ثم عزل ميهن جزاء خيانته وعين (غيكا) قرال البغدان قرالا على الفلاخ أيضا سنة ١٦٥٩ وفى السنة التالية احتل والى بودعاصمة المجر مدينة (جروسواردين) التابعة للنمسا بعد مناوشات خفيفة فاعتبرت النمسا ذلك اعلانا للحرب وابتدئت الحركات العدوانية بين الطرفين

هذا وانذكر هنا شيأ من علاقات الدولة مع فرانسا أثناء هذه الاضطرابات الداخلية التى جرت فيها الدماء وقتل فيها ما كان كامر فنقول انه لم يحصل تغيير فى هذه العلاقات الا فى وقت اشتغال فرنسا فى محاربة النمسا أيام وزارة (الكاردينال

(٨٠) تسمى هذه المدينة ياش عند الترك وهى مدينة ر ومانية قديمة وعاصمة ولاية البغدان وأطلق اسمها على معاهدة أمضيت فيها بين الروس والدولة العلية فى ٩ يناير سنة ١٧٩٢

ريشليو) (٨١) الذى كان عاملا على اذلالها اعلاء لشأن فرنسا فأخذ نفوذ فرنسا لدى الباب العالى فى الضعف شيأ فشيأ حتى تقاسمت معها البندقية حق حماية الكنائس المسيحية فى غلطة أيام السلطان مراد الرابع الذى طرد طغمة اليسوعيين من الاستانة سنة ١٦٢٨ بناء على الحاح سفراء انكلترا وهولاندا سعيا وراء اضعاف نفوذ الكاثوليك وتقرير نفوذ البروتستانت بما ان دولتى انكلترا وهولاندا كانتا فى ذلك العصر بروتستانتيتين دون باقى الدول الاوروبية ولعدم مدافعة فرنسا عن امتيازاتها اختص اليونانيون بخدمة بيت المقدس مع ان ذلك كان منوطا بالرهبان الكاثوليك بمقتضى المعاهدات المبرمة مع سليمان الاول وتجددت أيام محمد الثالث وأحمد الاول كامر ومما زاد علاقات الدولتين فتورا وجعل الحق بجانب الدولة العثمانية تداخل فرنسا سرا بمساعدة البنادقة على الدفاع عن جزيرة كريد وامدادها لهم بالسلاح وضبط عدة مراسلات رمزية كانت مرسلة الى المسيو (دى لاهى) مع شخص فرنساوى موظف فى بحرية البندقية وهو سلمها بنفسه الى الوزير (كوپريلى) سنة ١٦٥٩ طمعا فى المال وكان اذ ذاك بمدينة أدرنه ولما لم يمكنه حل رموزها أرسل الى الاستانة يستدعى السفير الفرنساوى ولتمرضه أرسل ولده الى ادرنه مكانه فلما مثل بين يدى الصدر الاعظم وسأله عن معنى هذه الرموز لم يراع فى جوابه آداب المخاطبة فأمر بسجنه فى الحال ولما بلغ خبر سجنه الى والده سافر الى ادرنه خوفا على حياة ولده ولم يمنعه اشتداد مرضه عن السفر وقابل الوزير كوپريلى محمد باشا ولما لم يرشده السفير عن معنى الجوابات المرموزة لم يقبل اخلاء سبيل ابنه بل سافر الى ولاية ترنسلفانيا ولم يطلق سراحه الا بعد عودته فى سنة ١٦٦٠

(٨١) اشتهر هذا الكردينال فى تاريخ العالم الاوروبى بالسياسة والتدبير ويسميه البعض بسمارك زمانه وكانت كل مساعيه موجهة نحو أمرين أولهما اذلال أشراف فرنسا لتقوية سلطة الحكومة وثانيهما اضعاف مملكة النمسا حتى لا يخشى منها على فرنسا فساعد جوستاف ادولف ملك السويد على محاربتها ثم حاربتها فرنسا جهارا وبسبب سياسته هذه أمضيت معاهدة وستفاليا الشهيرة سنة ١٦٤٨ بعد موته بست سنوات واضطهد البروتستانت وفتح مدينة لاروشيل التى احتموا بها سنة ١٦٢٨ وكان محبا للانتقام لا يتأخر أمام أى أمر لانفاذ أغراضه لكنه أفاد فرنسا فى الداخل والخارج ولولاه لسقطت بسبب ضعف ملكها لويز الثالث عشر ووهن عزيمته ولهذا الكردينال الفضل فى تأسيس مجلس العلوم الفرنساوى (اكاديمى) سنة ١٦٣٥ وتأسيس حديقة النباتات وعدة مدارس أخرى وكانت ولادته سنة ١٥٨٥ ووفاته سنة ١٦٤٢

وذاع الكردينال مازرين «٨٢» بحبس ابن السفير أرسل الى الاستانة سفيرا فوق العادة اسمه المسيو دى بلندل ومعه جواب من سلطان فرنسا يطلب فيه الاعتذار عما حصل وعزل الصدر الاعظم لكن لم يسمح لهذا السفير بالوصول الى السلطان بل قابله الصدر الاعظم بكل تعاظم وكبرياء ولذلك ساعدت فرنسا جزيرة كريد جهارا وأرسلت اليها أربعة آلاف جندى وأجازت الى البندقية جمع عساكر متطوعة من فرنسا وأمدت النمسا بالمال طمعا فى اشغال الدولة وانتقاما منها لكن لم تثن هذه الاجراآت عزيمة كوپريلى محمد باشا بل ما لبث يقاوم أعداء الدولة فى الداخل والخارج حتى أعاد لها سالف مجدها وجعلها محترمة فى أعين الدول أجمع بعد ان كادت تؤدى بها الفتن الداخلية الى الدمار ولما أحس باقتراب أجله لاشتداد المرض عليه طلب منه السلطان محمد الرابع ان يدله على من يعينه خلفا له بعد وفاته فأوصاه بتولية ابنه أحمد ثم توفى سنة ١٠٧٢ الموافقة سنة ١٦٦١ وخلفه ابنه كوپريلى زاده أحمد باشا

﴿فتح قلعة نوهزل وواقعة سان جوتار﴾

وكان خير خلف لخير سلف فانه كان متصفا بالشجاعة والاقدام وحسن الرأى واصالة التدبير واستمر على خطة أبيه من عدم التساهل مع الجندية ومجازاة من يقع منه أقل أمر مخل بالنظام بأشد العقاب ومحاربة أعداء الدولة بدون فتور أو ملال حتى يزيل من أذهانهم ما خامرها من تضعضع أحوال الدولة وقرب زوالها ولذلك لم يقبل ما فاتحته به دولة النمسا وجمهورية البندقية من الصلح وقاد الجيوش بنفسه وعبر نهر الطونة لمحاربة النمسا ووضع الحصار أمام قلعة (نوهزل) فى يوم ١٣ محرم سنة ١٠٧٤ الموافق ١٧ أغسطس سنة ١٦٦٣ ومع ان هذه القلعة كانت مشهورة فى جميع أوروبا بالمناعة وعدم امكان أى أحد التغلب عليها وفتحها فقد اضطر كوپريلى أحمد باشا حاميتها الى التسليم بشرط خروج من بها من الجنود

«٨٢» ولد هذا الكردينال باحدى مدن ايطاليا سنة ١٦٠٢ واستخدمه ريشليو الى فرنسا ليرشحه لمنصب الوزارة ولما قرب موته أوصى الملك لويز الثالث عشر بتنصيبه بعده فعينه وزيرا ثم عضوا فى مجلس الوصاية على ولده لويز الرابع عشر بعد وفاته سنة ١٦٤٣ وبحسن سياسته أمضيت معاهدة وستفاليا ومعاهدة البيرينى وتوفى سنة ١٦٦١ بعد ان سهل سبل ارتقاء فرنسا الى أوج عظمتها فى عهد لويز الرابع عشر الملقب بالكبير

بدون أن يمسهم ضرر تاركين مابها من الاسلحة والذخائر وأخلوها فعلا فى ٢٥ صفر سنة ١٠٧٤ الموافق يوم ٢٨ سبتمبر سنة ١٦٦٣ بعد البدء فى حصارها بستة أسابيع ولذلك اضطربت أوروبا بجمعها لهول هذا الخبر الذى دوى فى آذان ملوك أوروبا ووزرائها كالرعد حتى وضعوا أصابعهم فى آذانهم من الصواعق حذر الموت وكان هذا الفتح المبين أشد تأثيرا على ليوبولد «٨٣» امبراطور النمسا أكثر من غيره لدخول الجيوش العثمانية فى بلاده وانتشارها فى اقليمى موراڤيا وسيليزيا فاتحين غازين حتى خيل له ان السلطان سليمان قد بعث من رمسه لفتح ويانه عاصمة دولته ولذلك وسط البابا اسكندر السابع فى طلبه المساعدة له من لويز الرابع عشر «٨٤» ملك فرنسا وكان قد عرض عليه فى ابتداء الحرب امداده باربعين ألفا من الالمانيين المحالفين له فأبى خوفا من اظهار الضعف فسعى البابا جهده لدى ملك فرنسا حتى قبل بارساله ستة آلاف جندى فرنساوى وأربعة وعشرين ألفا من محالفيه الالمانيين تحت قيادة الكونت دى كوليني

وانضم هذا الجيش الى الجيش النمساوى القائد له الكونت دى ستروزى

«٨٣» هو ليوبولد الاول امبراطور ألمانيا ولد سنة ١٦٤٠ وتولى بعد موت أبيه فرديناند الثالث سنة ١٦٥٨ وحارب الترك وقاومهم مقاومة شديدة فى واقعة سان جوتار حيث كانت جيوشه تحت قيادة الجنرال منتكوكللى فى سنة ١٦٦٤ وفى عهده ضمت بلاد الالزاس الى فرنسا وفى سنة ١٦٨٣ قصد العثمانيون مدينة ويانه عاصمة بلاده وحاصروها ولولا الاتحاد مع المجر ولولا مساعدة جميع الممالك المسيحية له تقريبا لسقطت فى قبضتهم وفى سنة ١٦٩٩ أمضى مع الباب العالى معاهدة كارلوفتس الشهيرة التى سيأتى ذكرها فى صلب هذا الكتاب وفى أواخر حكمه ابتدأت بينه وبين فرنسا الحرب بسبب ملك اسبانيا الذى كان يريد لويز الرابع عشر اقامة حفيده فيليب الخامس ملكا عليه وتوفى سنة ١٧٠٥ قبل انتهاء هذه الحروب

«٨٤» ولد هذا الملك العظيم الشان سنة ١٦٣٨ وتولى الملك بعد موت أبيه لويز الثالث عشر وسنه خمس سنوات وكانت أيامه أيام حروب مع اسبانيا والنمسا وغيرهما وتألبت عليها أغلب الدول أكثر من مرة وتاريخه مشحون بالوقائع الشهيرة التى امتاز فيها كثير من القواد البرية والبحرية مما يطول شرحه وفى عصره تقدمت جميع العلوم ونمت التجارة والزراعة لكن تضعضعت الاحوال فى آخر حكمه بسبب استمرار الحروب ومما يجعل فى تاريخه نقطة سوداء اضطهاد البروتستانت والغاؤه ما منحه لهم هنرى الرابع من الحرية الدينية بمقتضى الامر السامى الصادر فى مدينة «نانت» حتى هاجر كثير من الاشراف والمزارعين والصناع الى البلاد الخارجية للتمتع بالحرية الدينية وتوفى فى أول سبتمبر سنة ١٧١٥ عن ٧٧ سنة وكانت مدة حكمه ٧٢ سنة وخلفه فى الملك لويز الخامس عشر ابن أحد أحفاده

وابتدأت المناوشات بين الجيشين المتحاربين فقتل القائد العام النمساوى وخلفه القائد الشهير (مونت كوكوللى) وكان قد انضم الى الجيش الفرنساوى عدد عظيم من شبان الاشراف تحت رئاسة الدوك دى لافوياد وفى الاوائل كان النصر فى جانب العثمانيين فاحتل كوپريلى أحمد باشا مدينة (سرنوار) وعسكر على شاطئ نهر يقال له نهر (راب) والاعداء معسكرون أمامه وبعد ان حاول عبوره وصده الجيش النمساوى الفرنساوى جمع كل قواه فى يوم ٨ محرم سنة ١٠٧٥ الموافق أول أغسطس سنة ١٦٦٤ وعبر النهر عنوة وبعد قليل انتصر على قلب جيش العدو ولولا تداخل الفرنساويين وخصوصا الاشراف منهم لتم للعثمانيين النصر لكن لم يمكن الانكشارية الثبات أمام جنود العدو الاكثر منهم عددا فانهم كلما اقتل منهم صف تقدم الآخر وبذلك انتهى اليوم بدون انتصار تام لاحد الفريقين فان العثمانيين حافظوا على مراكزهم بدون تقدم للأمام وسميت هذه الواقعة بواقعة (سان جوتار) نسبة لكنيسة قديمة حصلت الحرب بالقرب منها وبعد ذلك تبادلت المخابرات توصلا للصلح وبعد عشرة أيام أبرمت بين الطرفين معاهدة أهم مابها اخلاء الجيش لاقليم ترنسلفانيا وتعيين (ابافى) حاكما عليها تحت سيادة الدولة العلية وتقسيم بلاد المجر بين الدولتين بان يكون للنمسا ثلاث ولايات وللباب العالى أربعة مع بقاء حصنى (نوفيجراد) و(نوهزل) تابعين للدولة العلية

هذا ولو ان الحرب انتهت على حدود النمسا الا ان فرنسا مازالت مراكبها تطارد سفن المغرب بحجة انها تغزو سفنها ومازالت هذه حجتهم حتى استولوا على اقليمى الجزائر وتونس فى هذا القرن واستمر هذا الحرب مدة بغير صفة رسمية وفى سنة ١٦٦٦ أرسل الوزير الفرنساوى (كولبر) «٨٥» الذى خلف (مازارين) سفير الدولة

«٨٥» اقتصادى شهير ولد سنة ١٦١٩ فتدرب على الاعمال فى وزارة الكردينال مازرين وفى سنة ١٦٦٢ عين مراقبا عاما للمالية فاجرى بها عدة اصلاحات وسوى كافة ديون الحكومة ونقص الضرائب حتى عمت الرفاهية والثروة واليه يرجع فضل تأسيس المرصد الفلكى وفتح خليج لانج دوك الموصل بين البحر الابيض المتوسط والمحيط الاطلانطيقى لسهولة الملاحة وله عدة مآثر أخرى يضيق المقام عن حصرها وفى سنة ١٦٦٩ أضاف اليه الملك نظارة البحرية فرتبها أحسن ترتيب وأنشأ عدة سفن وتوفى سنة ١٦٨٣ بعد ان خلد اسمه فى تاريخ فرنسا باعماله التى لم يزل كثير منها باقيا الى الآن

لاصلاح ذات بينهما لكن لم يصب فى الانتخاب فانه أرسل ابن المسيو دى لاهى الذى حبسه الوزير كوبريلى أحمد باشا فى ادرنه كما سبق ذكره ولذلك لم تفد مأموريته شيأ بل أبى الصدر تجديد الامتيازات الفرنساوية التجارية وحرمها حق امرار بضائعها من مصر فالسويس الى الهند وزيادة على ذلك منحت الى جمهورية (جنوا) امتيازات خصوصية شبيهة بامتيازات انكلترا ولذلك جاهرت فرنسا بمساعدة مدينة (كانديا) على محاربة العثمانيين فسار الصدر سنة ١٦٦٧ بنفسه لتتميم فتح هذه المدينة الحصينة التى كادت أن تعيى الدولة واستمر الحصار والقتال مدة أكثر من سنتين لامداد فرنسا لها بالمال والرجال والسفن الحربية وأخيرا اضطرت الحامية الى التسليم فسلمها قائدها (مورو زينى) فى ٢٢ صفر سنة ١٠٨٠ الموافق ٢٦ سبتمبر سنة ١٦٦٩ بعد ان أمضى مع الصدر معاهدة بالنيابة عن جمهورية البندقية تقضى بالتنازل للدولة العلية عن جزيرة كريد ماعدا ثلاث قرى وهى (قره بوزا) و(سودا) و(سپينالونجا) وصدقت البندقية عليها فى فبراير سنة ١٦٧٠ وفى هذا الاثناء كان المسيو دى لاهى سفير فرنسا مقيما بالاستانة يسعى جهده فى الحصول على تجديد الامتيازات فلم يفلح

وفى سنة ١٦٧٠ أرسل لويز الرابع عشر سفيرا غيره يدعى المارك دى نوانتل بعمارة بحرية حربية بقصد ارهاب الصدر وتهديده بالحرب اذا لم يذعن لطلبات فرنسا لكن لم ترهبه هذه التظاهرات بل قابل السفير بكل سكون وقال له ان تلك المعاهدات لم تكن الامنحا سلطانية لامعاهدات اضطرارية واجبة التنفيذ وانه ان لم يرتح لهذا الجواب فما عليه الا الرحيل ولما وصل هذا الجواب الى ملك فرنسا أراد اعلان الحرب على الدولة ولولا انتصاح الوزير (كولبر) لركبت فرنسا هذا المركب الخشن وجلبت لنفسها ضررا فادحا بقفل أبواب الشرق أمام مراكبها بل تمكن كولبر بحكمته وسياسته ومعاملة الدولة العلية باللين والخضوع من تجديد المعاهدات القديمة فى سنة ١٦٧٣ وفوض ثانيا الى فرنسا حق حماية بيت المقدس كما كان لها ذلك من أيام السلطان سليمان وبذلك عادت العلاقات الى سابق صفائها بين الدولتين وبما زاد حدود الدولة اتساعا ومنعة من جهة الشمال خضوع جميع القوزاق

الساكنين بالجزء الجنوبي من بلاد الروسيا الى الخليفة الاعظم محمد الرابع بدون حرب بل حبا فى الدخول فى حمى حامى دولة الاسلام ولذلك أغارت پولونيا على ولاية (اوكرين) فاستنجدها كها الا كبر بالعثمانيين فأنجده السلطان وسار بنفسه فى جيش جرار ووصل فى قليل من الزمن الى حصن رامنيك فى ٢٣ ربيع آخر سنة ١٠٨٣ الموافق ١٨ اغسطس سنة ١٦٧٢ واحتل هذا الحصن عنوة بعد محاصرة استمرت عشرة أيام وكذلك احتل مدينة لمبرج الشهيرة فطلب سلطانهم (ميشل) الصلح على ان يترك اقليم اوكرين للقوزاق وولاية (پودوليا) للدولة العلية ويدفع لها جزية سنوية قدرها اثنان وعشرون ألف بندقى ذهبا فقبل السلطان هذه الشروط وأمضيت بينهما فى ٢٥ جمادى الاولى سنة ١٠٨٣ الموافق ١٨ سبتمبر سنة ١٦٧٢ أى بعد اعلان الحرب بشهر واحد وسميت هذه المعاهدة بمعاهدة بوزاكس

لكن لم تقبل الامة البولونية بهذا الوفاق بل أصرت على استمرار القتال وأرسلت قائدهم الشهير سوبيسكى بجيوش جرارة لمحاربة العثمانيين فاسترد مدينة لمبرج واظهار الممنونية الامة انتخبته ملكا عليها بعد موت ميشل سنة ١٦٧٣ واستمرت الحرب بين الدولتين سجالا الى سنة ١٦٧٦ وفيها جدد الملك سوبيسكى الصلح بعد ان فقد معظم جيوشه فى هذه الحروب المستمرة وتنازل للدولة العلية عما كان تنازل لها عنه الملك ميشل الا بعض مدن قليلة الاهمية وكانت هذه المعاهدة خاتمة أعمال كوپريلى أحمد باشا الذى توفى بعد اتمامها بقليل فى سنة ١٠٨٧ الموافق ٣٠ اكتوبر سنة ١٦٧٦ عن واحد وأربعين سنة قضى منها خمسة عشر سنة فى منصب الصدارة العظمى بكل أمانة وصداقة سائرا فى ذلك على خطة والده المرحوم كوپريلى محمد باشا وتقلد منصب الصدارة بعده زوج أخته قره مصطفى ولم يكن كفؤا للسير فى الطريق الذى رسمه كوپريلى الكبير وولده بل اتبع مصلحته الذاتية وباع المناصب العالية والمعاهدات والامتيازات المجحفة بالدولة مالا واستقبالا بدراهم معدودة وبسوء سياسته كدر خواطر القوزاق وأبعدهم عن الدولة حتى ان خان اقليم (اوكرين) عصاها جهارا فى فبراير سنة ١٦٧٧ واستنجد بالروسيا التى كانت آخذة اذ ذاك فى تنظيم داخليتها وتقدم أمتها وكانت تتوق للدخول ضمن المجتمع الاوروبى فامدته

بالرجال وحاربت عساكر الدولة واستمر الحرب بين القوزاق والروس من جهة والعثمانيين من جهة أخرى بين أخذ ورد حتى سنة ١٦٨١ حيث تم الصلح بينهم على بقاء الحالة على ما كانت عليه قبل ابتداء الحرب وسميت هذه المعاهدة بمعاهدة رادزين وفى هذه السنة سار قره مصطفى باشا الى بلاد المجر لمحاربة النمسا بناء على استدعاء (تيليكى) أحد أشراف المجر الذى أثار الايالات المجرية التابعة للنمسا للتخلص من استبدادها الدينى فان الامبراطور ليوبولد لكونه كاثوليكى كان يأمر بقتل كل من يلوح عليه أدنى ميل الى مذهب البروتستانت

﴿حصار مدينة ويانة آخر مرة﴾

وبعد ان انتصر عدة مرات على النمساويين قصد مدينة ويانة عاصمة النمسا فحاصرها سنة ١٦٨٣ مدة شهرين واستولى على كافة قلاعها الامامية وهدم أسوارها بالمدافع وألغام البارود ولم يبق عليه الا المهاجمة الاخيرة المتممة للفتح أتى سوبيسكى ملك بولونيا ومنتخبى (ساكس) و(بافييرا) بجيوشهم بناء على الحاح البابا عليهم واستنهاضه هممهم لمحاربة المسلمين حتى أضرم فى قلوبهم نار التعصب الدينى وفى يوم ٣٠ رمضان سنة ١٠٩٤ الموافق ١٢ سبتمبر سنة ١٦٨٣ هاجم سوبيسكى ومن معه العثمانيين فى المرتفعات المتحصنين بها وبعد ان استمر القتال طول النهار فاز المسيحيون بالنصر وانهزم قره مصطفى باشا وجيوشه أمامهم تاركا كافة المدافع والذخائر والمؤن فكان يوما مشهودا يجعل الولدان شيبا ثم جمع قره مصطفى باشا ما بقى من جنوده ولم شعثهم على نهر (راب) ومن هناك قفل راجعا الى مدينة بود والملك سوبيسكى سائر خلفه يقتل كل من يتخلف فى السير وفتح مدينة جران بكل سهولة ولما وصل خبر هذا الخذلان الذى لم يسبق لجيوش الدولة أمر السلطان محمد الرابع بقتل الصدر قره مصطفى باشا وأرسل أحد رجال حاشيته فقتله وأرسل برأسه الى القسطنطينية وعين مكانه ابراهيم باشا سنة ١٠٩٥

﴿تحالف الدول ضد الدولة العلية واستيلاء النمسا على مدينة بود وواقعة موهاكز﴾

وبعد استخلاص مدينة ويانة تألبت كل من النمسا وبولونيا والبندقية ورهبنة مالطه

والبابا وممالكة الروسيا على محاربة الدولة الاسلامية الوحيدة لمحوها من العالم السياسي ومما يدل على ان هذا التحالف كان دينيا محضا أن سمى التحالف المقدس ومما زاد أحوال هذه الدولة القائمة بمفردها أمام جميع الدول المسيحية ارتباكا قطع العلاقات بينها وبين فرنسا بسبب المناوشات البحرية المستمرة بين مراكبها وقرصانات المغرب فان الاميرال دوكين «٨٦» صحب ثمان مراكب من مينا طرابلس الغرب الى جزيرة ساقز ولما التجأت الى فرضتها وأراد الاميرال الدخول الى المينا خلفها ومنعه حاكم الجزيرة أطلق مدافعه على المدينة بدون اعلان حرب وجاوبته قلاعها ولم يمتنع عن القاء القنابل على بيوت السكان حتى دمر المدينة وفي سنة ١٦٨٤ أطلق دوكين أيضا المدافع على مدينة الجزائر بالغرب مدة ولم يكف عن القاء المقذوفات النارية عليها حتى دفع اليه أهلها مليون ومائتي ألف قرش غرامة حربية وأطلقوا سراح من عندهم من أسرى الفرنساويين وفي السنة التالية فعل هذا الامر الشنيع أيضا في مينا طرابلس الغرب ولاشتغال الدولة بمحاربة التحالف المقدس ضربت كشحا عن هذه التعديات المخالفة لقوانين الحرب ووجهت اهتمامها الى الجيوش المتعددة التي زحفت على بلادها من كل حدب فان جيوش الملك سوبيسكي كانت تهدد بلاد البغدان وسفن البنادقة تهدد سواحل اليونان وبلاد موره ولعدم وجود المراكب الكافية لصد هجمات سفن البنادقة التي كانت تعززها مراكب البابا ورهبنة مالطه احتلت جيوش البنادقة في سنة ١٦٨٦ أغلب مدن اليونان حتى كورانته وآتينه أما النمسا فأغارت جيوشها على بلاد المجر واحتلوا مدينة بست الواقعة أمام مدينة بود وحاصروا هذه المدينة أيضا ولولا مدافعة حاكمها وحاميتها ادفاع الابطال لسقطت في أيديهم وفي سنة ١٦٨٥ احتل النمساويون عدة حصون وقلاع شهيرة أهمها قلعة نوهزل وبسبب هذه

«٨٦» ولد هذا الاميرال بمدينة «دييب» سنة ١٦١٠ من عائلة شريفة واتخذ الملاحة مهنة ونبغ فيها بسرعة غريبة حتى صار ربانا لسفينة وسنه سبعة عشر سنة ولما حصلت الاضطرابات في صغر لويس الرابع عشر هاجر الى بلاد السويد وعين بها «فيس اميرال» وانتصر على دونانمة الدانيمارك وفي سنة ١٦٤٧ رجع الى فرنسا واشتهر في عدة وقائع شهيرة وبسبب اتباعه لمذهب البروتستانت لم يعين أميرالا ولم يمنح ما كان يستحقه من ألقاب الشرف وتوفي سنة ١٦٨٨

الانهزامات المتعاقبة عزل الصدر ابراهيم باشا ونفى فى جزيرة رودس ولم يلبث فى منصب الصدارة الاسنتين وتعين مكانه السرعسكر سليمان باشا وكان مشهورا بحسن التدبير والشجاعة والاقدام لكن كانت الدولة قدوصلت الى درجة من التقهقر أمام هذه القوى المتألبة عليها وصار معها الخلاص صعبا لاسيما وقائد الجيوش النمساوية كان الدوك دى لورين الشهير

وكان أوّل أعمال سليمان باشا الاسراع الى انجاد مدينة بودا التى كان يحاصرها الدوك دى لورين بتسعين ألف جندى لكن لم تجد مساعدته شيأ فان القائد المذكور دخلها عنوة فى يوم ١٤ ذى القعدة سنة ١٠٩٧ الموافق ٣ سبتمبر سنة ١٦٨٦ بعدان قتل حاكمها عبدى باشا وأربعة آلاف من جنوده فى الدفاع عنها ولم تدخل هذه المدينة ثانيا فى حوزة العثمانيين الى الآن

وبعد سقوط هذه المدينة فى قبضة النمساويين ومحالفيهم أراد الصدر سليمان باشا أن يأتى عملا يكفر عنه عند الامة ما أتاه من التهاون فى مساعدة مدينة بودا لكن أتاه الضرر من حيث كان يريد النفع لنفسه فانه جمع من بقايا كتائبه جيشا مؤلفا من ستين ألف مقاتل يعززهم سبعون مدفعا وانتظر انقضاء الشتاء والربيع لشدة بردهما وكثرة ما يسقط فيهما من الثلوج فى هذه الجهات باذلا جهده فى جمع الذخيرة الكافية وفى تدريب جنوده خيفة الفشل والتصاق الهوان باسمه ثم هاجم جيوش التحالف المقدّس فى سهل موهاكز الذى سبق انتصار العثمانيين فيه على المجر نصرا عزيزا قبل هذا التاريخ بمائة وستين سنة فالتحم الجيشان فى ٣ شوّال سنة ١٠٩٨ الموافق ١٢ اغسطس سنة ١٦٩٧ وبعد قتال شديد دارت الدائرة على الجيوش العثمانية فانهزموا عن آخرهم وأخذ العدوّ فى جمع ما معهم من المدافع والسلاح والمؤن والذخائر واحتلت جيوشه اقليم ترنسلفانيا وعدة قلاع من (كرواسيه) ولما ذاع خبر هذا الانكسار بين الجيوش الموجودة بالاستانة هاجوا وماجوا وأرسلوا للجيوش الباقية مع الصدر سليمان باشا فاشهروا عليه العصيان ولولا فراره الى بلغراد لاعدموه الحياة ثم أرسل الانكشارية والسباه وفدا للاستانة يطلب من السلطان الامر بقتل الصدر فلم ير بدا من ذلك وأمر بقتله تسكينا للثورة غضب الجند ولما لم يفد قتله شيأ

ولم تعد السكينة بين الجيوش وخيف على المملكة العثمانية من الداخل فقرر الوزير الثاني (القائمقام) قره مصطفى باتحاده مع العلماء عزل السلطان محمد الرابع فعزلوه وبقى فى العزلة الى أن توفى فى ٨ ربيع الآخر سنة ١١٠٤ الموافق ١٧ دسمبر سنة ١٦٩٢ وولوا بعد عزله أخاه

٢٠ ﴿السلطان الغازى سليمان خان الثانى﴾

فى يوم ٢ محرم سنة ١٠٩٩ الموافق ٨ نوفمبر سنة ١٦٨٧ وهو ابن السلطان ابراهيم الاول ومولود فى ١٥ محرم سنة ١٠٥٢ فاغدق العطايا على الجنود ولم يعاقبهم على عصيانهم الذى كانت نتيجته عزل خلفه ولذلك ما لبثت ان تمردت ثانيا وقتلت قوادها وحاصرت الصدر الجديد سياوس باشا فى سرايه وقتلوه وسبوا أزواجه فكانت الاستانة فوضى وانتهز الاعداء هذه الاختلالات والاضطرابات المستمرة لفتح الحصون العثمانية فاحتل النمساويون قلاع (ارلو) و(ليا) وغيرها واحتل مورزينى البندقى مدينة طيبه من بلاد اليونان وكافة سواحل دلماسيا سنة ١٦٨٧ وفى السنة التالية أى سنة ١٦٨٨ سقطت مدائن سمندرية وقلومباز وبلغراد فى أيدى النمساويين ثم فقدت الدولة العثمانية فى سنة ١٦٨٩ مدائن نيش وودين من بلاد الصرب وذلك لعدم كفاءة الصدر مصطفى باشا الذى أخلف سياوس باشا قتيل الانكشارية ولما رأى السلطان توالى المصائب عزل هذا الصدر وعين مكانه كوبريلى مصطفى باشا ابن كوبريلى محمد باشا الكبير ولم يكن أضعف همة من والده بل كان يشبهه فى علو المكانة ومضاء العزيمة فبذل جهده فى بث روح النظام فى الجنود باللين طورا وبالشدة أخرى ومنعهم عن اغتيال حقوق الاهالى وصرف لهم متأخراتهم من مال الاوقاف حتى لا يكون لهم حجة فى اختلاس شئ من الاهالى فانتظم حال الجيش وصار يمكن التعويل عليه فى الحروب ومن جهة أخرى أباح للمسيحيين بناء ما تهدم من كنائسهم فى الاستانة وعاقب باشد العقاب كل من تعرض لهم فى اقامة شعائر دينهم حتى استمال بجميع مسيحى الدولة وكانت نتيجة معاملته المسيحيين بالقسط أنه ثار أهالى موره الاروام على البنادقة فطردوهم من ديارهم

لتعرضهم لهم فى اقامة شعائر مذهبهم الارثودكسى واجبارهم على اعتناق المذهب الكاثوليكى ودخلوا فى حمى الدولة العلية طائعين مختارين لعدم تعرضها لديانتهم مطلقا

ولما انتظم الجيش وطهر من الادران التى كادت تؤدى به الى الدمار وساد الأمن داخل البلاد سار بنفسه لمحاربة الاعداء فاسترد فى قليل من الزمن مدائن نيش وودين وسمندرية و بلغراد فى سنة ١٦٩٠ بينا كان سليم كراى خان القرم يخضع ثائرى الصرب وتيكلى المجرى يرجع اقليم ترانسلفانيا الى أملاك الدولة وبذلك أعاد كوبريلى مصطفى باشا بعض ما فقدته الدولة من المجد والسودد بسبب ضعف الوزراء وعدم اطاعة الانكشارية وفى ٢٦ رمضان سنة ١١٠٢ الموافق ٢٣ يونيو سنة ١٦٩١ توفى السلطان سليمان الثانى عن غير عقب وتولى بعده أخوه

٢١ ﴿السلطان الغازى أحمد خان الثانى﴾

المولود فى أول محرم سنة ١٠٥٣ فابقى الصدر الاعظم اعتمادا عليه فى الحرب والسلم لكن لم تمهل المنية هذا الوزير الشهير بل قصفت عوده الرطيب وهو فى عنفوان شبابه فتوفى فى ٢٤ ذى القعدة سنة ١١٠٢ الموافق ١٨ أغسطس سنة ١٦٩١ فى ساحة القتال عند مهاجمة الجيوش النمساوية القائدها لويزدى باد

فكان موته ضربة على الدولة لعدم كفاءة عربه جى على باشا الذى أخلفه فى منصب الصدارة ولم تحصل أمور ذات بال فى أيام هذا السلطان بل اقتصرت الحرب على بعض مناوشات ليس لها من الاهمية شأن يذكر غير ان البنادقة احتلت فى سنة ١٦٩٤ جزيرة ساقز ثم انتقل الى رحمة مولاه فى ٢١ القعدة سنة ١١٠٦ الموافق ٦ فبراير سنة ١٦٩٥ وتولى بعده

٢٢ ﴿السلطان الغازى مصطفى خان الثانى﴾

ابن السلطان محمد الرابع المولود فى ٨ ذى القعدة سنة ١٠٧٤ وكان متصفا بالشجاعة وثبات الجأش ولذلك أعلن بعد توليته بثلاثة أيام رغبته فى قيادة الجيوش

بنفسه فسار الى بلاد بولونيا مستعينا بفرسان القوزاق وانتصر على البولونيين عدة مرات ولولا مالاقاه من الدفاع أمام مدينة لمبرج لتقدم كثيرا لكن كان هذا الحصن المنيع من أكبر العوائق لاستمرار فتوحاته ومن جهة أخرى حارب الروس واضطرهم لرفع الحصار عن مدينة ازاق ببلاد القرم التي حاصرها بطرس الاكبر «٨٧» لتكون ثغرا لبلاده على البحر الاسود اذ كانت قبائل القوزاق تحول بين هذا البحر وبين بلاده فرفع الحصار عنها رغم أنفه في اكتوبر سنة ١٦٩٥ معللا نفسه بمعاودة الكرة عليها عند تهيء الاسباب وبعد ذلك أغار السلطان بجيوشه ثانيا على بلاد المجر وفتح حصن (ليبا) عنوة وهزم الجنرال (فترانى) في موقعة لوجوس وقتل من عساكره ستة آلاف جندى وأخذه أسيرا وقتله في ٢ سبتمبر سنة ١٦٩٥

وفى سنة ١٦٩٦ فاز السلطان فوزا مبينا على منتخب (ساكس) في موقعة أولاش وبعد ذلك تقلد البرنس (أوجين دى سافوا) القائد الشهير قيادة الجيش النمساوى فاعمل الفكرة في عدم ملاقاة الجيش العثمانى في الاراضى السهلة بل حاوله مدة بدون ان يمكن السلطان من مهاجمته حتى فاجأه هو أثناء عبور الجنود العثمانية لنهر (تيس) وعدم استعدادها للدفاع بالقرب من قرية صغيرة اسمها زينتا فقتل منهم عددا عظيما من ضمنهم الصدر الاعظم الماس محمد باشا وغرق منهم في النهر أكثر ممن قتل ولولا وجود السلطان على الضفة الاخرى لسقط في أيديهم أسيرا وكان ذلك في ٢٥ صفر سنة ١١٠٩ الموافق ١١ سبتمبر سنة ١٦٩٧ ثم تبعهم البرنس أوجين ودخل بلاد البوسنة فاتحا وعين بعد ذلك عموجه زاده حسين باشا كوپريلى صدرا أعظم

وفى أثناء اشتغال السلطان ببلاد المجر عاد بطرس الاكبر الروسى لفتح مينا ازاق لاهميتها للمملكته فدخلها في خلال سنة ١٦٩٦ ولم تزل تابعة للروسيا حتى الآن

«٨٧» ولد هذا الامبراطور الشهير بمدن الروسيا سنة ١٦٧٢ وتولى الملك سنة ١٦٨٢ فنازعه أخوه الاكبر «ايوان» وأخته صوفيا وفى سنة ١٦٨٩ استقل بالملك بعد استقالة أخيه وحجز أخته في أحد الاديرة ومن ذلك الحين أخذ في اصلاح داخليته ثم سافر الى ممالك أوروبا سنة ١٦٩٧ للنظر في نظاماتها وتقليد ماينطبق منها على عوائد بلاده وعاد الى موسكو بعد سنة وأبطل جيش «الاسترلتز» الذى كان أشبه شئ بعساكر الانكشارية وجماعات المماليك بمصر وأسس مدينة سان بطرسبورج ونقل اليها عاصمة أملاكه وحارب شارل الثانى عشر ملك السويد ومملكة العجم وأخذ منها عدة ولايات مهمة وتوفى في ٨ فبراير سنة ١٧٢٥ وخلفته زوجته كاترينه الاولى

فكانت الدولة فى خطر شديد من جهتى الروسيا والنمسا لكن أوقف الصدر الاعظم كوبريلى حسين باشا البرنس اوجين فى سيره وألزمه التقهقر أمامه حتى أخلى بلاد البوسنة ورجع الى ماوراء نهر (ساف) واسترد الاميرال البحرى العثمانى الملقب (مزومورتو) جزيرة ساقز بعد ان انتصر دفعتين على مراكب البندقية ثم ابتدئت المخابرات للوصول الى الصلح فتداخل ملك فرنسا لويس الرابع عشر وأراد أن يدخل الدولة فى معاهدة (ريسويك) «٨٨» فلم تقبل لعلمها أن جميع الدول يد واحدة عليها ولو أظهرت لها احداها التودد فذلك لم يكن الا غاية كامنة فى النفس والتاريخ الحالى شاهد عدل

وبعد مخابرات طويلة أمضيت بين الدولة العلية والنمسا والروسيا والبندقية وبولونيا معاهدة كارلوفتس فى ٢٦ يناير سنة ١٦٩٩

فتركت الدولة بلاد المجر بأجمعها واقليم ترنسلفانيا للدولة النمسا وتنازلت عن مدينة ازاق وفرضتها للروسيا فصار لها بذلك يد على البحر الاسود وزادت أهمية جوارها للدولة العلية أضعاف ما كانت عليه من قبل وردت لمملكة بولونيا مدينة (كامينك) واقليمى (پودوليا) واوكروين وتنازلت للبندقية عن بحيث جزيرة موره الى نهر (هكساميلون) واقليم دلماسيا على البحر الادرياتيكى بأجمعه تقريبا واتفقت مع النمسا على مهادنة خمس وعشرين سنة وان لا تدفع هى أو غيرها شيأ للدولة العلية على سبيل الجزية أو بمجرد الهدية وبهذه المعاهدة فقدت الدولة جزأ ليس بقليل من أملاكها باوروبا وزادت أطماع الدول فى بلادها كما سيأتى مفصلا ويمكننا القول بان الاتفاق قد تم بين جميع الدول ان لم يكن صراحة فضمنا على الوقوف أمام تقدم الدولة العلية أولا ثم تقسيم بلادها بينهم شيأ فشيأ وهو ما يسمونه فى عرف السياسة بالمسألة الشرقية المبنية على الخوف من انتشار الدين الاسلامى وحلوله محل الدين المسيحى ليس الا أماما يسترون خلفه غاياتهم من الدفاع عن حقوق الامم المسيحية الضعيفة الخاضعة للدولة فمما لم يعد أحد يغتر به

وبعد اتمام هذه المعاهدة التى ربما كانت أوخم عاقبة لولا استظهار كوبريلى حسين باشا على البرنس اوجين قائد الجيوش النمساوية فى بلاد البوسنة وجه هذا

«٨٨» قرية ببلاد هولاندة أمضيت فيها فى ٢٠ سبتمبر سنة ١٦٩٧ معاهدة بين فرنسا من جهة وألمانيا واسبانيا وانكلترا وهولاندة من جهة أخرى وبمقتضاها اعترفت الدول بامتلاك فرنسا لمدينة ستراسبورج وبلاد الالزاس

الوزير اهتمامه الى الامور الداخليـة والشؤون الماليـة والاحوال العسكرية عالا قوام لاى دولة الا بانتظامها وتقويم المعوج منها فاتى لكل منها بالدواء الكافى والعلاج الشافى وترك كثيرا من الاموال المتأخرة على الاهالى لاسيما المسيحيين منهم حتى لايجد منهم المفسدون المضلون نصراء الاجانب وسماسرتهم آذانا صاغيـة لدسائسهم الايهامية ووساوسهم الشيطانية التى يسلمون بها بلادهم للاجانب طمعا فى مال أوجاه لن يكونوا بالغيه ولله فى خلقه آيات ثم استقال هذا الوزير المصلح فى ١٢ ربيع الآخر سنة ١١١٤ الموافق ٥ سبتمبر سنة ١٧٠٢ وعين مكانه فى منصب الصدارة (دال طبان مصطفى باشا) وكان جنديا ميالا للحرب ولذلك لم يسر على خطة سلفه من اصلاح الشؤون الداخلية وتنظيم البلاد وانشاء الطرق العمومية وغيرها من الاعمال والاشغال العمومية وعدم اضاعة النفوس والاموال فى الحروب واضافة البلاد لبعضها بدون اصلاح أو تنظيم اكتفاء بما يؤخذ من الغنائم وقت الحرب بل أراد أن يخرق عهدة كارلوفتس مع حداثتها ويثير الحرب على النمسا ولكون الاهالى والجنود شعروا باضرار هذه السياسة على الدولة لما رأوها من تألب الدول عليها ثانيا وأخذ بعض بلادها تذمروا ضد الوزير واشترك معهم بعض الجنود وطلبوا من السلطان عزله فعزله فى ٦ رمضان سنة ١١١٤ وتعين محله (رامى محمد باشا) فسار على أثر كوپريلى حسين باشا وشرع فى ابطال المفاسد ومعاقبة المرتشين ومنع المظالم فاهاج ضده أرباب الغايات وكثير عدادهم وأثاروا عليه الانكشارية لميلهم بالطبع الى الهياج للسلب والنهب وهتك الاعراض فطلبوا عزله من السلطان فامتنع وأرسل لقمعهم فرقة من الجنود فانضمت الى الثائرين وعزلوا السلطان مصطفى الثانى فى ٩ ربيع الآخر سنة ١١١٥ الموافق ٢٢ خلت من شهر أغسطس سنة ١٧٠٣ وبقى معزولا الى ان توفى فى ٢٢ شعبان من السنة المذكورة الموافق ٣١ دسمبر سنة ١٧٠٣ وأقاموا مكانه بعد عزله أخاه

---

٢٣ ﴿السلطان الغازى أحمد خان الثالث﴾

هو ابن السلطان الغازى محمد الرابع ومولود فى ٣ رمضان سنة ١٠٨٣

الموافق ١٢ دسمبر سنة ١٦٧٣ وعند تعيينه وزع أموالا طائلة على الانكشارية وسلمهم فى قتل المفتى فيض الله أفندى لمقاومته لهم فى أعمالهم ثم لما قرت الاحوال وعادت السكينة اقتص من رؤس الانكشارية فقتل منهم عدد ليس بقليل وعزل الصدر الاعظم نشانجى أحمد باشا فى ٦ رجب سنة ١١١٥ الذى انتخبه الانكشارية وقت ثورتهم وعين فى هذه الوظيفة المهمة زوج أخته داماد حسن باشا لكن لم تحمه مصاهرته للسلطان ولا ما أتاه من الاعمال النافعة كتجديد الترسانة وانشاء كثير من المدارس من أن يكون هدفا لدسائس المفسدين أرباب الغايات الذين لا يروق فى أعينهم وجود أعنة الامور فى قبضة رجل حازم يحول بينهم و بين ما يشتهون فاعملوا فكرهم و بذلوا جهدهم حتى تحصلوا على عزله فى ٢٨ جمادى الاولى سنة ١١١٦ ومن بعده كثر تغيير الصدور تبعا للاهواء وكانت نتيجة ذلك ان الدولة لم تلتفت لاجرا آت بطرس الاكبر ملك الروسيا فى داخلية بلاده ولم تدرك كنه سياسته الخارجية المبنية على اضعاف الاقوياء من مجاوريه أى السويد و بولونيا والدولة العثمانية وانه قد ابتدأ فى تنفيذ مشروعه هذا بان حارب شارل الثانى عشر «٨٩» السويدى وانتصر عليه أخيرا نصرا عظيما فى واقعة (پولتاوا) فى سنة ١٧٠٩ ولو فطنت الدولة و وزراؤها الى ما انطوت عليه هذه السياسة للزمها مساعدة السويد على الروسيا حتى يكونا مع بولونيا حاجزا ضد أطماعها لكنها لم تفقه لهذا السر السياسى فقلبت لشارل الثانى عشر ظهر المجن حتى لما التجأ بعد واقعة بولتاوا الى مدينة (بندر) وأخذ فى استمالة الدولة لمحاربة الروسيا ولكن لم ينجح فى مسعاه لمعارضة الوزير نعمان باشا كوپريلى للحرب

ثم لما عزل هذا الوزير وتولى بعده (بلطه جى محمد باشا) مال لاثارة الحرب على الروسيا

«٨٩» هو ابن شارل الحادى عشر ولد سنة ١٦٨٢ وتولى الملك سنة ١٦٩٧ ولصغر سنه تألب ضده ملك الدانيمرك وملك بولونيا وقيصر الروسيا فحارب الدانيمرك أولا وانتصر عليها ثم حارب الروسيا فقهرها ثم سار الى بلاد بولونيا وانتصر عليها وعزل ملكها وأقام مكانه أحد محالفيه وفى سنة ١٧٠٩ قصد مدينة موسكو فانتصر عليه بطرس الاكبر فى واقعة بولتاوه واحتمى هو بمدينة بندر ببلاد الترك حيث أقام عدة سنين وفى أثناء غيابه عن بلاده عاد ملك بولونيا اليها واستولى الروس على عدة ولايات من أملاكه وأخيرا خرج من بلاد الترك قهرا عنه بعد ان قاوم مقاومة شديدة وقتل سنة ١٧١٨ عند حصاره احدى قلاع بلاد النرويج

فاشهر

فاشهر عليها الحرب وقاد الجيوش بنفسه وبعد مناورات مهمة حصرت الجيوش العثمانية البالغ قدرها مائتى ألف جندى قيصر الروسيا وخليلته كاترينه (٩٠) ولو استمر عليهم الحصار قليلا لاخذ أسيرا هو ومن معه ولمحت الدولة الروسية كلية من العالم السياسى أو بالاقل بقيت فى التوحش والهمجية عدة أجيال لكن استمالت كاترينه بلطه جى محمد باشا اليها وأعطته كافة ما كان معها من الجواهر الكريمة والمصوغات الثمينة فخان الدولة ورفع الحصار عن القيصر وجيشه مكتفيا بامضاء القيصر لمعاهدة (فلكزن) المؤرخة ٩ جمادى الآخرة سنة ١١٢٣ الموافق ٢٢ يوليه سنة ١٧١١ الذى أخلى بمقتضاها مدينة ازاق وتعهد فيها بعدم التداخل فى شؤون القوزاق مطلقا لكن لا يخفى على كل مطلع له ذرة من العقل ان هذه المزية لم تكن شيأ مذكورا فى جانب ما كان يمكن الدولة أن تناله من القيصر لو أهلكت جيشه واستولت عليه أسيرا ولذلك احتدم شارل الثانى عشر السويدى نزيل بندر غيظا وسعى لدى السلطان بمساعدة خان القرم دولت كراى حتى تحصل على عزله وابعاده الى جزيرة لمنوس

وتولى بعده يوسف باشا وكان محبا للسلم فامضى مع الروسيا معاهدة جديدة تقضى بعدم المحاربة بينهما مدة ٢٥ سنة لكن لم تمض على هذه المعاهدة بضعة أشهر حتى قامت الحرب ثانية بين الدولتين بسبب عدم قيام بطرس الاكبر باحد شروط معاهدة فلكزن القاضى بتخريب فرضة تجانرك الواقعة على بحر ازاق فتداخلت انكلترا وهولانده فى منع الحرب لاضراره بتجارتهما وبعد مخابرات طويلة أمضيت بينهما معاهدة جديدة سميت بمعاهدة ادرنه فى ١٨ يوليه سنة ١٧١٣ تنازلت الروسيا بمقتضاها عما لها من الاراضى على البحر الاسود حتى لم يبق لها عليه مينا وفى مقابلة ذلك أبطل ما كانت تدفعه سنويا الى أمراء القرم بصفة جزية كى لا يتعدوا على قوافلها التجارية وعندذلك يئس شارل السويدى من نوال غرضه وهو مساعدة

(٩٠) هى كاترينا الاولى وأصلها من عائلة فقيرة باحدى ولايات ليفونيا تزوجت أولا بعسكرى سويدى ثم أخذت أسيرة سنة ١٧٠٢ عند دخول الروس مدينة مريم بورج ولفرط جمالها اتخذها البرنس منشكوف خليلة له وفى سنة ١٧١١ أعجبت بطرس الاكبر فاتخذها لنفسه ورافقته فى أغلب حروبه وبعد ان أتت منه بعدة أولاد أعلن بتزوجها وتوجها امبراطورة فى سنة ١٧٢٤ ولما توفى فى السنة التالية أخلفته على سرير الامبراطورية واتبعت خطته فى الاصلاحات وتوفيت سنة ١٧٢٧

الدولة العلية على الروسيا فبارح بلاد الدولة فى أول اكتوبر سنة ١٧١٣ بعد ان أقام فيها نحو سنتين

ثم تولى منصب الصدارة على باشا داماد بعد يوسف باشا وكان ميالا للحرب غيورا على صالح الدولة ميالا لاسترجاع ماضاع من أملاكها خصوصا بلاد موره ولذلك أعلن الحرب على جمهورية البندقية وفى قليل من الزمن استرد الجيش جزيرة باجمعها والمدن التى كانت باقية للبنادقة بجزيرة كريد حتى لم يبق لهم ببلاد اليونان الا جزيرة كورفو فاستعانت البندقية بشارل الثالث امبراطور النمسا أحد الماضين على معاهدة كارلوفتس ولكون الحرب كانت قد انقضت ووضعت أوزارها بين النمسا وفرنسا وتم الصلح بينهما بمعاهدتى أوترك ورستاد امرع الامبراطور لمد يد المساعدة الى البنادقة بان أرسل الى السلطان بلاغا يطلب منه فيه ارجاع كل ما أخذه من البنادقة وكان أعطى لهم بمقتضى معاهدة كارلوفتس والا فيكون امتناعه بمثابة اعلان للحرب فلم تقبل الدولة طبعا هذا الطلب وفضلت الحرب التى جرتها اليها فى هذا الوقت الغير مناسب بعدم تبصر وزيرها فانه كان من لواجب عليه عدم عمل مايسبب هذه الحروب مع عدم اشتغال النمسا بمحاربة فرنسا وامكانها توجيه كل قواها وأمهر قوادها الى ساحة القتال خصوصا القائد الذائع الصيت البرنس (أوجين دى سافوا) الذى سبق ذكره أكثر من مرة فكان من المحقق تقريبا فوزه على العثمانيين لتضلعه من فنون الحرب التى لاتقوى عليها شجاعة العثمانيين وما اتصفوا به من الثبات

ومما يؤيد ذلك ان البرنس أوجين انتصر عليهم فى موقعة بتروار دين فى يوم ٥ اغسطس سنة ١٧١٦ وفيها قتل الصدر الاعظم على باشا داماد لاقتحامه مواقع الخطر حتى لا يعيش بعد الانهزام وبعد ذلك فتح النمساويون مدينة (تمسوار) بعد ان حاصروها أربعة وأربعين يوما ووضعوا الحصار أمام مدينة بلغراد ودخلوها فى ١٩ اغسطس سنة ١٧١٧ بعد ان تغلبوا على الصدر الجديد خليل باشا الذى أتى لمساعدة المدينة ثم ابتدئت المخابرات للصلح فتم بينهما فى ٢١ يوليو سنة ١٧١٨ على ان تأخذ النمسا ولاية تمسوار ومدينة بلغراد مع جزء عظيم من بلاد

الصرب وآخر من بلاد الفلاخ وان تبقى جمهورية البندقية محتلة ثغور شاطئ دلماسيا أما بلاد المورة فترجع الى الدولة وسميت هذه المعاهدة معاهدة (بسار وفتس) وعقب ذلك طلبت الروسيا من الدولة تحوير المعاهدة السابقة بكيفية تبيح لتجارها المرور من أراضي الدولة وبيع سلعهم فيها ولحجاجها التوجه لبيت المقدس وغيره من الاماكن والاديرة المقدسة عندهم بدون دفع خراج مدة اقامتهم أو رسوم على جوزات المرور فقبلت الدولة وأضافت الى هذه المعاهدة الجديدة المؤرخة ١٦ نوفمبر سنة ١٧٢٠ شرطا من الاهمية السياسية بمكان عظيم وهو تعهد كل من الروسيا والباب العالى بمنع زيادة نفوذ الملك المنتخب ببولونيا على نفوذ الاشراف وعدم تمكينه من جعل منصبه وراثيا فى عائلته ومنع حصول هذين الامرين بكل الوسائط الممكنة بما فيها الحرب

ولا يخفى أهمية هذا الشرط الاخير الذى لم يقصد به بطرس الاكبر الا ايجاد النفرة بين ملوك بولونيا والدولة انفاذا لما كان ينويه لهما كما سنشرح ذلك فى موضعه فان جل مقاصد هذا القيصر المؤسس الحقيقى للمملكة الروسية وواضع دعائمها التفريق بين مجاوريه الثلاثة (السويد وبولونيا والدولة العثمانية) واضعافهم الواحد بعد الآخر فتزيد قوته بنسبة تأخرهم وتقهقرهم وقد نجح تماما بما يتعلق بالسويد بجهل بعض وزراء الدولة العلية ضروب السياسة وعدم اطلاعهم على دخائل علاقات الدول بعضها ثم شرع فى تنفيذ ما ينويه ضد بولونيا والدولة العلية وكان قد سافر الى باريس سنة ١٧١٧ وقابل ملكها الفتى لويس الخامس عشر «٩١» ووصيه ليستميلهما

«٩١» ولد هذا الملك فى سنة ١٧١٠ وتولى سنة ١٧١٥ بعد موت لويس الرابع عشر جد أبيه ولصغر سنه عين فيليب دوك أورليان وصيا عليه ولما بلغ الرشد فى سنة ١٧٢٣ أبقى وصيه وزيرا له ولما توفى هذا الوزير عين بعده الدوك دى بوربون وفى وزارته تزوج السلطان بابنة ملك بولونيا ثم خلفه فى الوزارة مربى الملك المدعو «فلورى» ولما توفى شارل السادس امبراطور النمسا عن غير وارث ذكر قبضت ابنته «ماريه تريزه» على أعنة الملك فعارض ملك فرنسا وساعد ملك بافير على ان ينتخب امبراطورا وانتخب فعلا فشبت نار الحرب بين فرانسا والامبراطورة شبوبا هائلا انتهى بفوز ماريه تريزه وأمضيت بذلك معاهدة «اكس لاشابيل» سنة ١٧٤٨ وفى سنة ١٧٥٦ ابتدئت الحرب المعروفة بحرب السبع سنين التى أخذت انكلترا فى خلالها اقليم كندا بامريكا وغيرها من المستعمرات الفرنساوية وانتهت بمعاهدة باريس سنة ١٧٦٣ واشتهر هذا الملك بعدم الاهتمام بامور الدولة والاسترسال فى الشهوات واتخاذ الخليلات العديدات حتى أثقل كاهل الحكومة بالديون وأضاع المستعمرات وتوفى سنة ١٧٧٤ وكانت ادارته السيئة من أقوى الاسباب التى أدت الى الثورة الفرنساوية العظمى فى أواخر الجيل الثامن عشر

لسياسته فاخفق مسعاه ولذلك استعان بوزراء الدولة العلية نفسها ووضع أوّل حجر لهذا المشروع باضافة البند المتعلق ببولونيا فى المعاهدة الجديدة

﴿تقسيم مملكة العجم بين العثمانيين والروس وعزل السلطان الغازى أحمد الثالث﴾

هذا ولما تولى من يدعى داماد ابراهيم باشا منصب الصدارة سنة ١١٣٠ ﻫ أراد أن يستعيض عما فقدته الدولة من ولايات أوروبا بفتح بلاد جديدة فى جهة آسيا ولقد أتاح له الحظ حصول انقلابات ببلاد العجم بسبب تنازل الشاه حسين عن الملك جبرا الى مير محمد أمير افغانستان فاسرع الصدر ابراهيم باشا باحتلال ارمينيا وبلاد الكرج لكن كان سبقه بطرس الاكبر واجتاز جبال القوقاز التى كانت تحد بلاده من جهة الجنوب واحتل اقليم طاغستان مع كافة سواحل بحر الخزر الغربية فكادت الحرب تقوم بين الدولة والروس

ولعدم امكان الروس مقاومة الجيوش العثمانية وتحقق بطرس الاكبر من عدم اقتداره على محاربتها طلب من سفير فرنسا بالاستانة المسيو (دوبوا) أن يتوسط بينهما فقبل هذه المأمورية ووفق بين الطرفين بان يمتلك كل منهما ما احتله بين البلاد وقبلت الدولتان وبذلك أمضيتا بهذه الشروط معاهدة بتاريخ ٢ شوّال سنة ١١٣٦ الموافق ٢٤ يونيو سنة ١٧٢٤

أما الفرس فلم يقبلوا هذا التقسيم المزرى بشرفهم والقاضى بضياع جزء ليس بقليل من بلادهم بل قاموا كرجل واحد لمحاربة الاجانب واخراجهم من ديارهم لكن لم تكن شجاعتهم كافية لصد هجمات العثمانيين الذين فتحوا فى سنة ١٧٢٥ عدة مدن وقلاع أهمها مدائن همذان واريوان وتبريز وساعد ذلك تسلطن الفوضى فى داخلية ايران وتنازع كل من الشاه أشرف الذى قتل مير محمد أمير افغانستان والشاه طهماسب ملك ساسان وانتهت هذه الحرب بالصلح مع الشاه أشرف فى ٢٥ صفر سنة ١١٤٠ الموافق ١٣ اكتوبر سنة ١٧٢٧ ثم لما مات الشاه أشرف وانفرد طهماسب بالملك طلب من الدولة العلية أن ترد اليه كل ما أخذته من بلاد أجداده فلم تجبه الدولة ولذا أغار على بلادها ولعدم ميل السلطان الى الحرب ورغبته فى الصلح ثار الانكشارية وأهاجوا الاهالى فأطاعوهم طلبا للسلب والنهب فى ١٥ ربيع أوّل ١١٤٣ الموافق

٢٨ سبتمبر سنة ١٧٣٠ وطلب زعيم هذه الثورة المدعو (بتروناخليل) من السلطان قتل الصدر الاعظم والمفتي وقبودان باشا أى أمير الاساطيل البحرية بحجة انهم مائلون لمسالمة العجم فامتنع السلطان عن اجابة طلبهم ولما رأى منهم التصميم على قتلهم طوعا أو كرها نحوفا من أن يتعدى أذاهم الى شخصه سلم لهم بقتل الوزير والامير الا دون المفتي فقبلوا وألقوا جثثهم الى البحر فى ١٨ ربيع أول سنة ١١٤٣ الموافق أول اكتوبر سنة ١٧٣٠ لكن لم يمنعهم انصياع السلطان لطلباتهم من التطاول اليه بل جرأهم تساهله معهم على العصيان عليه جهارا فأعلنوا باسقاطه فى مساء اليوم المذكور عن منصة الاحكام ونادوا بابن أخيه السلطان محمود الاول خليفة للمسلمين وأمير المؤمنين فأذعن السلطان أحمد الثالث وتنازل عن الملك بدون معارضة ومما يذكر فى التاريخ لهذا الملك ادخال المطبعة فى بلاده وتأسيس دار طباعة فى الاستانة العلية بعد اقرار المفتي واصداره الفتوى بذلك مشترطا عدم طبع القرآن الشريف خوفا من التحريف واسترجاع اقليم موره وقلعة آزاق وفتح عدة ولايات من مملكة العجم وبقي معزولا الى ان توفى فى أول محرم سنة ١١٥٢ ﻫ الموافق ٥ ابريل سنة ١٧٥٨

٢٤ ﴿السلطان الغازى محمود خان الاول وظهور نادرشاه﴾

هو ابن السلطان مصطفى الثانى ولد فى ٣ محرم سنة ١١٠٨ الموافق ٣ أغسطس سنة ١٦٩٦ ولما تولى لم يكن له الا الاسم فقط وكان النفوذ لبطرونا خليل يولى من يشاء ويعزل من يشاء تبعا للاهواء والاغراض حتى عيل صبر السلطان من استبداده وتجمهر حوله رؤساء الانكشارية لتعدى هذا الزعيم على حقوقهم واتفقوا على الغدر به تخلصا من شره حتى قتلوه ولم يقو محازبوه على الاخذ بثاره بل أطفئت نور نهم فى دمائهم وبذلك عادت السكينة للمدينة وأمن الناس على أموالهم وأرواحهم

وبعد استتباب الامن استأنفت الدولة الحرب مع مملكة الفرس وتغلبت الجيوش العثمانية على جنود الشاه طهماسب فى عدة وقائع أهرقت فيها الدماء مدرارا فطلب

الشاه الصلح وتم بين الدولتين الامر فى ١٢ رجب سنة ١١٤٤ الموافق ١٠ يناير سنة ١٧٣٢ على ان تترك مملكة العجم للدولة العلية كل ما فتحته ما عدا مدائن تبريز واردهان وهمذان و باقى اقليم لورستان لكن عارض نادرخان «٩٢» أكبر ولاة الدولة فى هذه المعاهدة وسار بجيوشه الى مدينة أصفهان وعزل الشاه طهماسب وولى مكانه ابنه القاصر عباسا الثالث وأقام نفسه وصيا عليه ثم قصد البلاد العثمانية وبعد ان انتصر على جنود الدولة حصر مدينة بغداد فاسرع الوزير طوبال (أى الاعرج) عثمان باشا الى محاربته وجرت بينهما عدة وقائع قتل فيها عثمان باشا المذكور فطلبت الدولة الصلح وبعد مخابرات طويلة اتفق مندوب الدولة مع نادرخان فى ١٨ جمادى الاولى سنة ١١٤٩ الموافق ٢٤ سبتمبر سنة ١٧٣٦ فى مدينة تفليس حيث نودى بنادرخان ملكا على العجم على ان ترد الدولة الى العجم كل ما أخذته منها وأن تكون حدود الدولتين كما تقرر بمعاهدة سنة ١٦٣٩ المبرمة فى زمن السلطان الغازى مراد الرابع

﴿محاربة النمسا والروسيا ومعاهدة بلغراد﴾

وفى غضون ذلك قامت الحرب بين الدولة والروسيا بسبب مملكة بولونيا وذلك ان كل من الروسيا والنمسا والبروسيا اتفقت فى سنة ١٧٧٣ بمقتضى اتفاق سرى على أن لا يجوز تعيين ملك وطنى على بولونيا خوفا من اتحاده مع الاهالى على الامر الذى يكون من ورائه استقامة أحوال هذه المملكة الداخلية مع ان قصد الروسيا وجود الاضطرابات بها دائما حتى تضعف كلية فتستولى عليها باجمعها أو تقسمها مع مجاوريها اتباعا للسياسة بطرس الاكبر القاضية بالسعى فى تلاشى دولتى السويد وبولونيا فالدولة العلية فلما توفى اوغست الثانى ملك بولونيا انتخب الاهالى فى سنة

«٩٢» لم يكن هذا القائد من احدى العائلات المعلومة بل غاية ما يعلم عنه انه ولد فى بلاد خراسان سنة ١٦٨٨ م تقريبا وبعد ان اشتغل فى مهن كثيرة مختلفة ألف عصابة مسلحة للسلب والنهب واستولى على خراسان واستبد بها أثناء الاضطرابات التى أعقبت موت الشاه حسين فى سنة ١٧٢٢ ثم دخل فى خدمة الشاه طهماسب وحارب معه مغتصبى الملك من الافغان ثم لما قبل الشاه المذكور معاهدة ١٢ رجب سنة ١١٤٤ عزله نادرخان وأقام مكانه ابنه الرضيع عباسا الثالث وبعد أربع سنوات توفى عباس هذا واغتصب نادر الملك وحارب المغول فى الهند وفتح مدينة دهلى وأخيرا قتله قواد جيوشه سنة ١٧٤٧ لظلمه واعتسافه

١٧٣٣ ستانسلاس لكزنيسكي ملكا عليهم بسعى فرنسا التي كان من صالح سياستها بقاء بولونيا في العالم السياسي عزيزة الجانب بحكم ملك من أهلها فاعلنت الروسيا والنمسا الحرب على بولونيا ونادوا باغوست الثالث ابن اغوست الثاني ملكا عليها ولو لم ينتخبه الاهالي ومن جهة أخرى أشهرت فرنسا الحرب على النمسا دفاعا عما للبولونيا من الحق الصريح في انتخاب من تريد وسعت لدى الباب العالي بواسطة المسيو دي بونفال الذي خدم الدولة بعد ان أسلم واشتهر فيها باسم أحمد باشا قائد الطوبجية لاستمالته للدفاع عن استقلال بولونيا الحاجز الحصين بينها وبين الروسيا موضحة لها سياسة هذه الدولة الطامحة أنظارها لامتلاك القسطنطينية كما أوصى لها بذلك بطرس الاكبر فلم يصغ وزراء الدولة لنـدائها لجهل في السياسة أو لاسباب أخرى ولذلك تغلبت الروسيا على ستانسلاس واحتلت جنودها مملكة بولونيا بأسرها ووزراء الدولة لاهون عن نتائج هذه السياسة الوخيمة التي ربما كانت السبب في وصول الدولة الى الدرجة التي هي عليها الآن

ولما أحست النمسا ان فرنسا تسعى وراء التحالف مع الدولة تخشية من حصول هذا الاتفاق الذي يكون نتيجته عدم نجاح مساعاها مع الروسيا في بولونيا أسرعت في ارضاء فرنسا فأبرمت معها معاهدة ويانة في سنة ١٧٣٥ وأخذت في التأهب والاستعداد للاشتراك مع الروسيا في محاربة الدولة وأوعزت الى الروسيا بافتتاح القتال فاتخذت هذه الاخيرة مرور بعض قوزاق القرم من أراضيها في مارث سنة ١٧٣٦ متجهين الى بلاد الكرج لمساعدة الدولة ضد العجم حجة لاعلان الحرب وأغارت بكل قواها على بلاد القرم واحتلت مينا آزاق وغيرها من الثغور البحرية وهو ما حدى بالدولة الى ابرام الصلح مع نادرشاه بالكيفية التي سبق شرحها لتتفرغ لصد هجمات الروس

ولحسن حظ الدولة كان قد تقلد منصب الصدارة رجل محنك اشتهر بحسن السياسة وسمو الادراك وهو الحاج محمد باشا فلم يغفل طرفة عين عن جمع الجيوش وتجهيز المعدات حتى أمكنه في أقرب وقت ايقاف تقدم الروس الذين كانوا قد احتلوا اقليم البغدان ودخلوا مدينة ياسي عاصمة هذا الاقليم ومن جهة أخرى انتصرت الجيوش

العثمانية على جيوش النمسا التى أغارت على بلاد البوسنه والصرب والفلاخ فانتصر المسلمون فى الصرب وألجأوا النمسا ويين على الجلاء عنها تاركين فى كل موضع قدم جثث رجالهم وتقهقروا الى ماوراء نهر الدانوب فى سنة ١٧٣٧ واستمر الحال على هذا المنوال مما تنوسى عهده فى الدولة من النصر والفوز على الاعداء حتى طلبت النمسا الصلح بواسطة المسيو (فلنوف) سفير فرنسا فقبل التوسط بكل ارتياح وسار الى معسكر الصدر الاعظم وعرض عليه الصلح بالنيابة عن النمسا فاشترط شروطا ما كانت النمسا لتقبلها لولا انتصار المسلمين على قائدها الشهير (واليس) فى يوم ٢٣ يوليو سنة ١٧٣٩ فكان هذا الفوز الاخير أكبر مساعد للوصول الى الصلح الذى تم بينهما وبين الروسيا فى ١٤ جمادى الآخرة سنة ١١٥٢ الموافق ١٨ سبتمبر سنة ١٧٣٩ على أن تتنازل النمسا للدولة العلية عن مدينة بلغراد وما أعطى لها من بلاد الصرب والفلاخ بمقتضى معاهدة بسارو فتس أما الروسيا فتعهدت قيصرتها (حنا) «٩٣» بهدم قلاع مينا ازاق وعدم تجديدها فى المستقبل وبعدم انشاء سفن حربية أو تجارية بالبحر الاسود أو ببحر آزاق بل تكون تجارتها على مراكب أجنبية وبان ترد للدولة كل ما فتحته من الاقاليم والبلدان وسميت هذه المعاهدة معاهدة بلغراد وبذلك انتهت هذه الحروب باسترداد جزء عظيم مما فقدته الدولة من ممالكها بمقتضى معاهدة كارلوفتس بضعف وعدم كفاءة أو عدم صداقة واخلاص بعض الوزراء مما جعل الدولة على شفا جرف هار ولو أخلص هؤلاء الوزراء وجعلوا ترقية شأن الدولة نصب أعينهم ونبذوا الغايات الشخصية ظهريا لما فقدت شبرا من أرضها ولكن يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤتى الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا وما يذكر الا أولو الالباب وبعد ذلك بذل المسيو (فلنوف) سفير فرنسا جهده فى اقناع الباب العالى بضرورة الاتحاد مع السويد لمحاربة الروسيا وتعدت على أحدهما خوفا من أن يلحق بهما اتباعا

«٩٣» حنا ايوانوفنا امبراطورة الروسيا هى بنت «ايوان» أخى بطرس الاكبر ولدت سنة ١٦٩٢ وتوفيت سنة ١٧٤٠ تزوجت بدوك كورلانده وتولت ملك الروسيا سنة ١٧٣٠ عقب موت بطرس الثانى واتحدت مع النمسا فى مسألة وراثة عرش بولونيا ونجحت فى انتخاب أوغستا ثالث ملكا لها وحاربت الترك من سنة ١٧٣٥ الى سنة ١٧٣٩ بدون فائدة تذكر وكانت سياسة ألمانيا سائدة فى بلادها بمساعى ودسائس خليلها الالمانى المدعو «جان بيرن»

ما أودى ببولونيا وجعلها خاضعة فعلا لأوامر الروسيا فاقتنعت الدولة وأبرمت مع السويد محالفة هجوم ودفاع ضد الروسيا فى سنة ١٧٤٠ وفى هذه السنة تحصل سفير فرنسا على تجديد الامتيازات القنصلية وكافة المزايا الممنوحة للتجار الفرنساويين وأمضى الطرفان هذه المعاهدة الجديدة فى ١٧ سبتمبر سنة ١٧٤٠ وهى عبارة عن معاهدة سنة ١٦٧٣ مع بعض تسهيلات جديدة لفرنسا وتجارتها وأرسل السلطان سفيرا من طرفه اسمه محمد سعيد ليقدم صورة المعاهدة الى ملك فرنسا لويس الخامس عشر مع كثير من الهدايا الثمينة فقابله الملك بالاحتفاء والاكرام اللائقين بمقام مرسله السامى وعند عودته شيعه بالتبجيل والاجلال وأرسل معه مركبين حربيتين وجملة من المدفعية الفرنساويين هدية منه للخليفة الاعظم ليكونوا معلمين فى الجيوش العثمانية فيمرنوا الجنود المظفرة على النظامات الجديدة التى أدخلها (لوفوا) الشهير فى الجيوش الفرنساوية

وبعد ذلك بقليل توفى شارل السادس امبراطور النمسا فى ٢٠ من شهر اكتوبر سنة ١٧٤٠ وتولت بعده ابنته (ماريه تيريزه) «٩٤» فاتحدت فرنسا مع بعض الدول على محاربة هذه الملكة واقتسام أملاكها لما بين فرنسا والعائلة الحاكمة فى النمسا من الضغائن القديمة وسعى فرنسا دائما فى اذلال النمسا وهدم أركان سلطانها وبسبب موت هذا الملك حصلت الحرب الشهيرة بين فرنسا والنمسا المعروفة فى التاريخ بمحاربة ارث ملك النمسا التى استمرت عدة سنين وانتهت بفوز ماريه تريزه على فرنسا مما لا يدخل فى موضوع هذا الكتاب

ولما ابتدأت هذه الحرب أظهرت فرنسا للدولة العلية بواسطة سفيرها لدى الباب

«٩٤» ولدت فى سنة ١٧١٧ وتزوجت بالدوك دى لورين سنة ١٧٣٦ ولعدم وجود اخوة لها أوصى لها والدها شارل السادس بالملك لكن لما توفى سنة ١٧٤٠ لم يعترف ملكا روسيا وفرنسا بهذه الوصية بل أغار ملك بروسيا على اقليم سليزيا وادعى أمير باواريا الاحقية فى الملك وساعدته فرنسا على ذلك وتوجته امبراطورا باسم شارل السابع ثم تركت بلاد النمسا والتجأت الى بلاد المجر حيث أقسم لها أشرافها بمساعدتها حتى الممات فجمعت الجيوش وبعد ان استمر الحرب خمس سنين توفى شارل السابع منازعها فى الملك وانتخب زوجها امبراطورا باسم فرنسوا الاول وفى سنة ١٧٤٨ فازت بالنصر بمساعدة انكلترا وأمضت معاهدة اكس لاشابيل ثم حاربت البروسيا بمساعدة فرنسا لاسترجاع اقليم سيليزيا وهى الحرب المعروفة بحرب السبع سنين فلم تفلح وفى سنة ١٧٧٢ شاركت الروسيا والبروسيا فى تقسيم بولونيا وتوفيت سنة ١٧٨٠

العالى مايعود عليهما من الفوائد لو اتحدت معها على محاربة النمسا او عرضت عليها احتلال بلاد المجر واسترجاعها الى املاكها بحيث ترجع الدولة الى ما كانت عليه من الاتساع أيام سليمان الاول القانونى ويمكنها بعد ذلك مقاومة الروسيا والوقوف فى طريق تقدمها وأبانت لها أنها ان لم تفعل ذلك تقدمت الروسيا شيأ فشيأ وقويت شوكتها تدريجا حتى يخشى منها على وجود الدولة ولا يخفى انها ملاحظات صادقة ولو أنها صادرة من فرنسا طمعا فى نوال غايتها وهى اذلال النمسا الا أنه كان يجب على رجال الدولة النظر اليها بعين الاعتبار فان هذه فرصة لم تتجدد بعد لكن قضت التقادير الالهية أن لا تصغى الى هذه النصائح حبا فى السلم وعدم اراقة دماء العباد والاشتغال بالاصلاحات الداخلية وكتبت الى الدول ذات الشأن تدعوهم للتصالح وهذه سياسة صادرة عن احساسات شريفة الا انها تعد من الغلطات المهمة التى عادت على الدولة بوخيم العواقب لانها أضاعت فرصة لو انتهزتها لفازت بالقدح المعلى واسترجعت ما فصل عنها من فتوحات بدون كثير عناء وهناك غلطة أخرى ارتكبها رجال الدولة وهى نزع السلطة فى اقليمى الفلاخ والبغدان من أشراف البلاد خوفا من تمردهم وطلبهم الاستقلال وتعيين بعض أغنياء الروم من تجار الاستانة قرالات ممتازين فيهما فى مقابل جعل سنوى يدفع للخزانة السلطانية وكانت تعطى لمن يدفع خراجا أكثر من غيره وظاهر ان من يقدم على التعهد بمثل هذه المبالغ الطائلة عازم ولا شك على الحصول على ما يدفعه أضعافا مضاعفة من دماء الاهالى فاستبد هؤلاء المعينون بالسكان وساموهم الذل والخسف وفتكوا بالاشراف الاصليين وقتلوا كل من خالفهم منهم وباعوا ألقاب الشرف جهارا حتى انقرضت أغلب العائلات الاثيلة فى المجد وحلت محلها عائلات جديدة أغلبها من تجار الاروام الذين اشتروا الالقاب بدراهم معدودة وكانت نتيجة هذه السياسة ان سئم الاهالى هذه السلطة ومالوا بكليتهم الى الروسيا ووجهوا أنظارهم لها معتقدين انها ستكون منقذتهم من هذه المظالم المستمرة ولو أنصفت الدولة لجعلتهما ولايتين بدون امتيازات تتناوبها الولاة فما كانت تطمع الى الاستقلال الادارى فالسياسى

وفى يوم الجمعة ٢٧ صفر سنة ١١٦٨ الموافق ١٣ دسمبر سنة ١٧٥٤ توفى السلطان

محمود

محمود الاول مأسوفا عليه من جميع العثمانيين لاتصافه بالعدل والحلم وميله للمساواة بين جميع رعاياه بدون نظر لفئة دون أخرى

وفى أيامه السعيدة اتسع نطاق الدولة بآسيا وأوروبا ومحت معاهدة بلغراد ما لحق بالدولة من العار بسبب معاهدة كارلوفتس ومن آثاره الحسناء تأسيس أربع كتبخانات ألحقها بجوامع أياصوفيا ومحمد الفاتح والوالدة وغلطه سراى ومن وزرائه الذين تركوا لهم فى التاريخ اسما طوبال عثمان باشا وحكيم زاده على باشا

٢٥ ﴿السلطان الغازى عثمان خان الثالث﴾

ولد هذا السلطان فى سنة ١١١٠ هـ الموافقة سنة ١٦٩٦ م وبعد ان تقلد السيف فى جامع أبى أيوب الانصارى على حسب العادة القديمة وأبقى كبار الموظفين فى وظائفهم عين فى منصب الصدارة العظمى نشانجى على باشا بدل محمد سعيد باشا الذى سبق تعيينه صدرا بعد عودته من مأموريته فى فرنسا فاعتمد على باشا هذا على ميل السلطان اليه وسار فى طريق غير حميد حتى أهاج ضده الاهالى أجمع ولكون السلطان كان من عادته المرور ليلا فى الشوارع والازقة متنكرا لتفقد أحوال الرعية والوقوف على حقيقة أمرهم سمع أثناء تجواله بما يرتكبه وزيره من أنواع المظالم والمغارم وبعد ان تحقق ما نسب اليه بنفسه أمر بقتله جزاء له وبوضع رأسه فى صحن من الفضة على باب السراى عبرة لغيره فقتل فى ١٦ محرم سنة ١١٦٩ الموافق ٢٢ اكتوبر سنة ١٧٥٥ وعين مكانه من يدعى مصطفى باشا ثم عزله فى ٣٠ ربيع أول سنة ١١٧٠ وعين مكانه محمد راغب باشا الشهير ﴿٩٥﴾ وكان من فحول الرجال الذين

﴿٩٥﴾ محمد راغب باشا صاحب السفينة المشهورة هو ابن رجل من كتاب المالية اجتهد فى تحصيل العلوم والمعارف حتى نبغ فيها وعين فى عدة وظائف حسابية وكتابية مهمة فى الجيوش المحاربة فى بلاد العجم ثم عاد الى الاستانة وتوظف مأمور الادارة الخراج ثم بعد ان انتقل الى عدة وظائف أخرى تدل على ثقة الحكومة به واعتمادها على أمانته عين بوظيفة كاتب بدالصدارة العظمى فحضر المخابرات التى دارت مع مندوبى نادرشاه للوصول الى الصلح وكذلك كانت له اليد الطولى فى ابرام معاهدة بلغراد وبعدها عين بوظيفة رئيس أفندى التى تعادل وظيفة ناظر الخارجية الآن ثم عين واليا على مصر فولاية آيدين فحلب وأخيرا عين صدرا أعظم سنة ١١٧٠ واستمر فى الصدارة ست سنوات حتى توفى فى ٢٤ رمضان سنة ١١٧٦ وله عدة تآليف مهمة فى السياسة وديوان مشهور وكان محبا لتقدم العلوم وأسس بالاستانة مدرسة عالية ألحق بها مكتبة جمعت أنفس الكتب وأندر المؤلفات

تقلبوا فى المناصب على اختلافها ومما زاده خبرة فى أمور السياسة الاوروبية واطلاعا على دقائقها مباشرته تحرير معاهدة بلغراد بصفة مكتوبجى واطلاعه على كافة المخابرات التى دارت بين الدولة والدول ذات الشأن للوصول الى ابرامها ثم توفى السلطان عثمان الثالث فى ١٦ صفر سنة ١١٧١ الموافق ٣٠ اكتوبر سنة ١٧٥٧ بدون أن يحصل فى أيام حكمه القلائل ما يستحق الذكر وخلفه

٢٦ ﴿السلطان الغازى مصطفى خان الثالث﴾

ابن السلطان أحمد الثالث وكان ميالا للاصلاح محبا للتقدم بلاده خصوصا وزيره الاول راغب باشا الذى مر ذكره فأخذ هذا الوزير فى اصلاح بعض الشؤون بمساعدة السلطان وتعضيده له فعهد بادارة الاوقاف العمومية الى أحد أغوات السرارى (قيزلر اغاسى) وأسس مستشفيات للحجر على الواردات الخارجية اذا كانت الاوبئة منتشرة فى الخارج لعدم تعديها الى الممالك المحروسة وأنشأ مكتبة عمومية على مصاريفه الخاصة وفكر فى طريقة غريبة لتسهيل المواصلات داخل المملكة منعا لحصول الغلاء والمجاعات فى احدى الولايات وذلك ان يصل بين نهر الدجلة وبوغاز الاستانة بخليج عظيم تستعمل الانهار الطبيعية مجرى له على قدر الامكان فيسهل نقل الغلال من أطراف المملكة الى الاستانة فيمتنع عنها الغلاء كلية وهو مشروع جليل يقدره العارفون حق قدره ولو أمهله المنون لاتمه وسبق المسيو دى لسبس الى ايصال بحر الروم بخليج فارس فالمحيط الهندى لكنه توفى رحمه الله فى ٢٤ رمضان سنة ١١٧٦ الموافق ٨ ابريل سنة ١٧٦٢ ولم يجد مشروعه منفذا حتى الآن

﴿محاربة الروسيا وحرق الدونانمة العثمانية﴾

وبعد موت هذا الوزير الجليل انتشبت الحرب بين الدولة العلية والروسيا وذلك انه لما توفى أوغوست الثالث ملك بولونيا سعت كاترينه الثانية امبراطورة الروسيا(٩٦)

(٩٦) هى بنت البرنس «انهلت زربست» الالمانى ولدت سنة ١٧٢٩ وتزوجت أحد أمراء الالمان الذى عينته الامبراطورة اليزبيت وارثا لها فى الملك ثم لما تولى زوجها الملك باسم بطرس الثالث استمالت كاترينه أهالى الروسيا اليها وعزلته فى سنة ١٧٦٢ وبعد موته توجت هى امبراطورة للروسيا واشتهرت بالسير على خطة بطرس الاكبر فاستولت على بلاد القرم وقلعة آزاق وغيرها واقتسمت مملكة بولونيا مع النمسا والبروسيا وتوفيت سنة ١٧٩٧ وكانت محبة للعلوم مساعدة للعلماء على بث معارفهم فى بلادها لكن دنست اسمها باتخاذها الاخلاء العديدين من رجال حكومتها بل ومن خدمها

التى تولت عقب قتل بطرس الثالث فى تعيين عاشقها ستانسلاس بونياتوسكى ملكا عليها باستعمال نفوذها فى مجلس الامة عند الانتخاب خلافا لما تعهدت به للدولة العلية وماذلك الانفاذا لسياسة بطرس الاكبر القاضية بازالة الحواجز الثلاثة الحائلة بينها وبين أوروبا الغربية وهى السويد و بولونيا والدولة العلية وقد أزيل الحاجز الاول باستيلاء الروسيا على جميع الولايات السويدية الفاصلة بينها وبين ألمانيا بحيث لم يبق للسويد أملاك خارجة عن بلادها الاصلية بمقتضى معاهدة (نيستاد) المبرمة بينهما سنة ١٦٧٢ وأزيل الثانى تقريبا بتعيين أحد أتباع الامبراطورة كاترينه ملكا على بولونيا

ولذلك تنبهت الدولة الى نتيجة هذه السياسة وعلمت انها ان لم تضع حدا لتقدم نفوذ الروسيا فى بولونيا فلا تلبث هذه المملكة أن تمحى من العالم السياسى بانضمامها للروسيا أو بتجزئها بينها و بين مجاوريها لكن كان تنبهها هذا بعد فوات الوقت المناسب فانه كان يجب عليها مساعدة السويد و بذل النفس والنفيس فى حفظ ولاياتها الواقعة على بحر بلطيق من الوقوع فى أيدى الروسية أولى من تركها غنيمة باردة لها مما أطمعها فى الاستمرار فى تنفيذ وصية بطرس الاكبر ويجمل بنا فى هذا الموقع ان نأتى للمطالع بنص الوصية المذكورة وها هى منقولة بحروفها من الجزء الاول من تاريخ جودت باشا

﴿وصية بطرس قيصر الروسيا﴾

﴿البند الاول﴾ من اللازم ان تقاد العساكر دائما الى الحرب و ينبغى للامة الروسية أن تكون متمادية على حالة الكفاح لتكون أليفة الوغاء وترك وقت لراحة العساكر أولاجل اصلاح المالية وتوفيرها وان كان ضروريا يلزم ان يكون تنظيم المعسكرات متهيئا وتكون مراقبة الوقت الموافق للهجوم متصلة آنا بآن وعلى هذه الصورة ينبغى لروسيا أن تتخذ من الصلح والامان وسيلة قوية للحرب وهكذا من الحرب للصلح وذلك لاجل زيادة قوتها وتوسيع منافعها

﴿البند الثانى﴾ فى وقت الحرب ينبغى اتخاذ جميع الوسائل الممكنة لاستجلاب ضباط للجنود من بين الملل والاقوام الذين هم أكثر معلومات فى أوروبا وكذلك

فى زمن الصلح بتعيين استجلاب أرباب العلم والمعارف منهم أيضا ويلزم الاعتناء بما يجعل الامة الروسية تستفيد من منافع سائر الممالك ومحسناتها بحيث انها لا تضيع سعيا أصلا فى تحصيل المحسنات المخصوصة بممالكنا

﴿البند الثالث﴾ عند سنوح الفرصة ينبغى وضع اليد والمداخلة فى جميع الامور والمصالح الجارية فى أوروبا وفى اختلافاتها ومنازعاتها وعلى الخصوص فى وقوعات ممالك ألمانيا الممكن الاستفادة منها بلا واسطة بسبب شدة قربها

﴿البند الرابع﴾ ينبغى استعمال أصول الرشوة لاجل القاء الفساد والبغضاء والحسد دائما فى داخلية ممالك (له) وتفريق كلمتهم واستمالة أعيان الامة ببذل المال واكتساب النفوذ فى مجلس الحكومة حتى نتمكن من المداخلة فى انتخاب الملك وبعد الحصول على انتخاب من هو من حزب روسيا من تلك الامة ينبغى حينئذ دخول عساكر روسيا الى داخل البلاد لاجل حمايتهم والتعصب لهم باقامة العساكر المذكورة مدة مديدة هنالك الى ان تحصل الفرصة لاتخاذ وسيلة تمكننا من الاقامة وعند ما تظهر مخالفة فى ذلك من طرف الدول المجاورة فلاجل اخماد نار الفتنة موقتا ينبغى ان نقاسم المخالفين فى ممالك (له) ثم نترقب الفرص لاسترجاع الحصص التى تكون قد أعطيت لهم

﴿البند الخامس﴾ ينبغى الاستيلاء على بعض الجهات من ممالك اسوج بقدر الامكان ثم نسعى فى اغتنام وسيلة لاستكمال الباقى منها ولا نتوصل الى ذلك الا بوجه تضطر فيه تلك الدولة الى ان تعلن الحرب على دولة الروسيا وتهاجمها والذى يلزم أولا هو ان نصرف المساعى والهمة لالقاء الفساد والنفرة دائما بين اسوج والدانيمركه بحيث ان يكون الاختلاف والمراقبة بينهم دائمين باقيين

﴿البند السادس﴾ يجب على الاسرة الامبراطورية الروسية أن يتزوجوا دائما من بنات العائلة الملوكية الالمانية وذلك لتكثير روابط الزوجية والاتحاد بينهم واشتراكهم فى المنافع انه بهذه الصورة يمكن اجراء نفوذهم فى داخل ألمانيا ويربطون أيضا الممالك المذكورة لجهة منافعنا ومصلحتنا

﴿البند السابع﴾ ان دولة انكلترة هى الدولة الاكثر احتياجا الينا فى أمورها

البحرية

البحرية ولهذه الدولة فائدة عظيمة جدا أيضا فى أمر زيادة قوتنا البحرية فلذلك من الواجب ترجيح الاتفاق معها فى أمر التجارة على سائر الدول وبيع محصولات ممالكنا كالاخشاب وسائر الاشياء الى انكلترة وجلب الذهب من عندهم الى ممالكنا واستكمال أسباب الروابط والمناسبات متمادياً بين تجار وملاحى الطرفين فبتوسع بهذه الوسيلة أمر التجارة وسير السفن فى ممالكنا

﴿البند الثامن﴾ على الروسيين ان ينتشروا يوما فيوما شمالا فى سواحل بحر البلطيق وجنوبا فى سواحل البحر الاسود

﴿البند التاسع﴾ ينبغى التقرب بقدر الامكان من استانبول والهند وحيث انه من القضايا المسلمة ان من يحكم على استانبول يمكنه حقيقة ان يحكم على الدنيا باسرها فلذلك من اللازم احداث المحاربات المتتابعة تارة مع الدولة العثمانية وتارة مع الدولة الايرانية وينبغى ضبط البحر الاسود شيأ فشيأ وذلك لاجل انشاء دار صناعات بحرية فيه والاستيلاء على بحر البلطيق أيضا لانه ألزم موقع لحصول المقصود والتعجيل بضعف بل بزوال دولة ايران لنتمكن من الوصول الى خليج البصرة وربما نتمكن من اعادة تجارة الممالك الشرقية القديمة الى بلاد الشام والوصول منها الى بلاد الهند التى هى بمثابة مخزن الدنيا وبهذه الوسيلة نستغنى عن ذهب انكلترة

﴿البند العاشر﴾ ينبغى الاهتمام بالحصول على الاتفاق والاتحاد مع دولة اوستريا والمحافظة على ذلك ومن اللازم التظاهر بترويج أفكار الدولة المشار اليها من جهة ماتبتغى اجراءه من النفوذ فى المستقبل فى بلاد المانيا وأما باطنا فينبغى لنا ان نسعى فى تحريك عروق حسد وعداوة سائر حكام المانيا لها وتحريك كل منهم لطلب الاستعانة والاستمداد من دولة روسيا ومن اللازم اجراء نوع حماية للدول المذكورة بصورة يتسنى لنا فيها الحكم على تلك الدول فى المستقبل

﴿البند الحادى عشر﴾ ينبغى تحريض العائلة المالكة فى اوستريا على طرد الاتراك وتبعيدهم من قطعة الروملى وحينما نستولى على استانبول علينا ان نسلط دول أوروبا القديمة على دولة اوستريا او نسكن حسدها ومراقبتها اذا اعطائها حصة صغيرة من الاماكن التى نكون قد اخذناها من قبل وبعده نسعى بنزع هذه

الحصة من يدها

﴿البند الثانى عشر﴾ ينبغى أن نستميل لجهتنا جميع المسيحيين الذين هم من مذهب الروم المنكرين رياسة البابا الروحية والمنتشرين فى بلاد المجر والممالك العثمانية وفى جنوبى ممالك (له) ونجعلهم أن يتخذوا دولة روسيا مرجعا ومعينا لهم ومن اللازم قبل كل شئ احداث رياسة مذهبية حتى نتمكن من اجراء نوع نفوذ وحكومة رهبانية عليهم فنسعى بهذه الواسطة لاكتساب أصدقاء كثيرين ذوى غيرة نستعين بهم فى ولاية كل من أعدائنا

﴿البند الثالث عشر﴾ حيثما يصبح الاسوجيون متشتتين والايرانيون مغلوبين واللاهيون محكومين والممالك العثمانية مضبوطة أيضا حينئذ نجمع معسكراتنا فى محل واحد مع المحافظة على البحر الاسود وبحر البالطيق بقوتنا البحرية وعند ذلك نظهر أولا لدولة فرنسا كيفية مقاسمة حكومات الدنيا باسرها بيننا ثم لدولة اوستريا ونعرض ذلك على كل من الدولتين المشار اليهما كل منهما على حدة بصورة خفية جدا لقبول ذلك وحيث انه لابد من ان احداهما تقبل بهذه الصورة فعند ذلك ينبغى مداراة واحترام كل منهما ونجعل من كان منهما قابلا لما عرضناه عليهما واسطة لتنكيل الاخرى واذ تكون دولة روسيا حينئذ قد ضبطت جميع الممالك الشرقية ويكون مثل ذلك أعظم قطع أوروبا حديثة الدخول فى يد تصرفها فعنده يسهل عليها ان تقهر وتنكل فيما بعد أية دولة بقيت فى الميدان من الدولتين المذكورتين

﴿البند الرابع عشر﴾ على فرض المحال ان كلا من الدولتين المشار اليهما لم تقبل بما عرضته عليهما روسيا فينبغى حينئذ لروسيا ان تصرف الافكار لمراقبة ما يحدث من النزاع والخلاف بينهما فاذا وقع ذلك فلابد أن يحصل تعب للطرفين ويشتبك هذا مع الآخر وفى ذلك الوقت يجب على روسيا ان تنتظر الفرصة العظيمة وتسوق حالا معسكراتها المجتمعة أولا بأول على ألمانيا فتهجم على تلك الجهات ثم تخرج قسمين كليين من السفن أحدهما من بحر ازاق المسماة بالعساكر الوافرة المجتمعة من أقوام الاناضول المتنوعة والثانى من ليمان ارخانكل الكائنة فى البحر المتجمد الشمالى فتسير هذه السفن وتمر فى البحر الابيض والبحر المحيط الشمالى مع

الاسطول

الاسطول المرتب فى البحر الاسود وبحر البلطيق وتم هجم كالسيل على سواحل فرنسا وأما ألمانيا فانها تكون اذ ذاك مشغولة بحالها وبما ذكرناه تصبح المملكتان الواسعتان المذكورتان مغلوبتين على هذه الصورة فالقطعة التى تبقى من أوروبا تدخل بالطبع تحت الانقياد بسهولة وبدون محاربة وتصير جميع قطعة أوروبا قابلة للفتح والتسخير اه

ومع كل فأرادت الدولة استدراك مافات وأوعزت الى (كريم كراى) خان القرم ان يفتح باب الحرب فصدع بالامر ولكى يجعل الحق من جهة الدولة احتال على بعض القوزاق التابعين للروسيا حتى أوقعهم فى حبالة نصبها لهم وأدت بهم الى التعدى على حدود الدولة العلية والاغارة على احدى المدن التابعة اليها وقتل بعض سكانها فاشهرت الدولة الحرب على الروسيا وافتتحها كريم كراى بان أغار بخيله ورجله على اقليم سربيا الجديدة الذى عمرته الروسيا مع ان المعاهدات التى بينها وبين الدولة كانت تقضى عليها بتركه صحراء بدون استعمار ليكون فاصلا بين أملاك الدولتين وعمرته الروسيا لمنع وصول المساعدة من خان القرم الى بولونيا عند مسيس الحاجة

وكانت نتيجة اغارة كريم كراى على هذه الولاية خراب كثير من المستعمرات الروسية وعودته بكثير من الاسرى وتوفى قبل أن تنتهى الحرب

ثم سار الوزير نشانجى محمد أمين باشا الذى تولى الصدارة فى جمادى الآخرة سنة ١١٨٢ بجيوشه للدفاع عن مدينة (شوكزيم) التى حاصرها البرنس جاليتسين الروسى فلم ينجح لعدم اتباعه الاوامر العسكرية الواردة اليه من السلطان المهتم بنفسه بامور الحرب ولو لم يقد الجيوش بذاته الشريفة وكان جزاء القائد المذكور ان قتل بأمر السلطان فى ٩ ربيع الآخر سنة ١١٨٣ وأرسل رأسه الى الاستانة عبرة لغيره من القواد وعين مكانه فى الوزارة والسرعسكرية مولدوانى على باشا وكان أشد اهتماما من سلفه بامور الجند وأكثر اطلاعا على ضروب القتال لكن عاكسته الطبيعة وكانت هى السبب فى تقهقره فانه حين كان يعبر مع جيوشه نهر (دينستر) على جسر من المراكب ليهاجم الجيش الروسى المعسكر على الضفة الاخرى زادت مياه

النهر بغتة وفاضت على شواطئه بكيفية مريعة حتى استولى الجزع على العساكر المارين فوقه وهموا بالرجوع الى معسكرهم وتبعهم بعض من كان قد وصل الى الشاطئ الآخر فغرقت المراكب واستشهد نحو ستة آلاف جندى وصار من بقى منهم على الشاطئ الروسى هدفا للمدافعهم وبنادقهم التى صوبت اليهم من كل فج حتى قتلوا عن آخرهم فى ١٧ جمادى الاولى سنة ١١٨٣ الموافق ١٨ سبتمبر سنة ١٧٦٩

وبعد هذا الانهزام الذى لم يكن فيه للروس من فخر التزم مولدوانى على باشا بالتقهقر بعد اخلاء مدينة شوكزيم فدخلها البرنس جاليتزين واحتل على الفور ايالتى الفلاخ والبغدان

وفى هذا الاثناء كانت رسل الروس تعمل على اثارة الخواطر فى بلاد موره حتى اذا استعد الاهالى للثورة خرجت بعض المراكب الروسية من بحر بلطيق قاصدة بلاد اليونان بعد الطواف حول أوروبا الغربية واستولت على مدينة كورون باليونان لتشجيع الاروام على العصيان لكن لم تلبث هذه الفتنة ان أطفئت وخرجت مراكب الروس من مينا كورون قاصدة جزيرة ساقز فالتقت بالمراكب العثمانية فى المضيق المار بين الجزيرة وساحل آسيا وبعد ان استمر القتال عدة ساعات انتصر العثمانيون ورجعوا بعد تمام النصر الى مينا چشمه فتبعهم حراقتان من مراكب الروس ظن العثمانيون انهم فارون من دوناغة العدو وآتون للانضمام اليهم فلم يعارضوهم فى الدخول الى المينا فبمجرد دخولهم ألقوا النيران على المراكب العثمانية فاشتعلت واحترقت عن آخرها باشتعال ما كان بها من البارود فى يوم ١١ ربيع الاول سنة ١١٨٤ الموافق ٦ يوليو سنة ١٧٧٠

وبعد ذلك قصد الاميرال الروسى (الفنستون) الهجوم على مدينة القسطنطينية لعدم وجود ما يمنعه من الاستحكامات من المرور فى بوغاز الدردنيل ولكن لم يوافقه القائد (ارلوف) على ذلك ففضل احتلال جزيرة لمنوس قبل ذلك لتكون قاعدة لاعمالهم الحربية فحاصرها وتمكن فى أثناء ذلك (البارون دى توت) «٩٦» المجرى

«٩٦» ولد بفرنسا سنة ١٧٣٣ وتجنس بالجنسية الفرنساوية واستخدم فى سفارة فرنسا بالاستانة وفى سنة ١٧٦٧ عين قنصلا لهاقى القرم ثم استخدمه السلطان مصطفى الثالث فاخلص فى خدمته وأصلح الطوبجية وحصن الدردنيل حتى صار من أحسن المعاقل البحرية ثم عاد الى فرنسا وعين مفتشا عاما لمراكزها القنصلية بالشرق وبلاد المغرب ولما حصلت الثورة الفرنساوية الشهيرة هاجر سنة ١٧٩٠ وأقام فى بلاد المجر الى ان توفى سنة ١٧٩٣

الذى

الذى دخل فى خدمة الدولة العلية من تحصين مضيق الدردنيل وبناء القلاع فيه على ضفتيه وتسليحها بالمدافع الضخمة حتى صار المرور منه من رابع المستحيلات ثم حوّل عدة مراكب تجارية الى سفن حربية بوضع المدافع فيها وزيادة على ذلك كلفه السلطان مصطفى الثالث بانشاء مسبك لصب المدافع بالاستانة وبترتيب الطوبجية على النظامات الجديدة فقام بالامر خير قيام وأسس مدرسة لتخريج ضباط للطوبجية وأركان حرب متعلمين الفنون العسكرية الحديثة وأخرى لتربية ضباط البحرية كان مركزها بالترسانة يخرج منها فى قليل من الزمن عدة قباطين قادرين على أخذ الارتفاعات ورسم بعض الشواطئ بالطرق الهندسية المضبوطة

وكانت نتيجة هذه الاصلاحات التى تمت بسرعة غريبة ان هاجم القبطان حسن بك مع بعض السفن الحربية سفن الروس المحاصرة لجزيرة لمنوس سنة ١٧٧١ وألزمها رفع الحصار عنها بعد مقاتلة خفيفة وكوفئ حسن بك على هذا الانتصار بتعيينه قبطان باشا الدونانمات العثمانية ورقى الى رتبة باشا ومن جهة أخرى لم يفلح الروس فى طرابزون التى أرادوا الاستيلاء عليها وبالاختصار كان النصر حليف الجنود العثمانية برا وبحرا الا فى بلاد القرم فقد احتلها البرنس (دلجوروكى) الروسى ثم أعلن بانفصالها عن الدولة واستقلالها تحت سيادة وحماية الروسيا وأقام من يدعى جاهين كراى خانا عليها باسم كاترينه الثانية

وفى عشرة يونيو سنة ١٧٧٢ تهادن الفريقان بناء على توسط النمسا والروسيا وأمضيت الهدنة فى مدينة (جورجيو) من مدن البلغار وأرسل كل منهما مندوبيه للمخابرة فى شأن الصلح الى مدينة فوكشان بولاية البغدان فاجتمع المؤتمر أوّل اجتماع فى ٩ جمادى الاولى سنة ١١٨٦ الموافق ١٩ اغسطس سنة ١٧٧٢ وبعد ان اتفق الجميع على امداد أجل المهادنة الى واحد وعشرين سبتمبر سنة ١٧٧٢ طلب مندوبو كاترينه الاعتراف باستقلال تتار القرم وحرية الملاحة لسفن الروسيا التجارية فى البحر الاسود وجميع بحار الدولة العلية ولما لم تقبل الدولة هذه الشروط انفض الجمع على غير جدوى ثم مدت المهادنة سبعة أشهر واجتمع المؤتمر ثانيا فى مدينة بخارست فى ١٣ شعبان سنة ١١٨٦ الموافق ٣ نوفمبر سنة ١٧٧٢.

وفيها طلبت كاترينه بلسان مندوبيها طلبات أكثر اجحافا بحقوق الدولة وأرسلت بلاغاتها ثانيا في ١٥ فبراير سنة ١٧٧٣ وهي

﴿أولا﴾ أن تتنازل الدولة للروسيا عن حصن (كوريش) وبكى قلعه حفظا لاستقلال التتار

﴿ثانيا﴾ ان تمنح المراكب الروسية تجارية كانت أو حربية حرية الملاحة في البحر الاسود وبحر جزائر اليونان

﴿ثالثا﴾ تسليم ما بقي من حصون القرم مع الدولة العلية الى التتار

﴿رابعا﴾ اعطاء جرجوار غيكا والى الفلاخ (وكان أسيرا في الروسيا) هذه الولاية له ولورثته الشرعيين بشرط دفع جزية معينة كل ثلاث سنوات مرة

﴿خامسا﴾ التنازل عن مدينة (قلبورن) للروسيا وهدم حصون مدينة اوكزاكوف (ارزى)

﴿سادسا﴾ أن يعطى لقب باديشاه الى قيصر أو قيصرة الروسيا في المعاهدات والمخاطبات السياسية

﴿سابعا﴾ أن يكون للروسيا حق حماية جميع المسيحيين الارثوذكسيين في بلاد الدولة

فيظهر للمطلع على هذه الشروط ان كاترينه ما كانت تظن قبول الدولة لها بل جعلتها طريقة لاستمرار الحرب ولذلك رفضتها الدولة بكل شمم في ٢٨ ذى الحجة سنة ١١٨٦ الموافق ٢٢ مارث سنة ١٧٧٣ وأصدرت أوامرها للجيوش باستئناف القتال بكل شدة خصوصا في بلاد الطونه فانهزم الروس أمام مدينة روستجوق وكذلك أمام مدينة سلستيريا التي حاولوا الاستيلاء عليها في ٣٠ مايو سنة ١٧٧٣ بعد ان قتل منهم ثمانية آلاف جندى وبمناسبة هذا الانتصار منح السلطان لقب غازى للقائد عثمان باشا الذي حمى المدينة فتقهقر الروس وفي رجوعهم مروا بمدينة بازارجق ولما لم يجدوا بها حامية قتلوا جميع من فيها من شيوخ ونساء وأطفال وبمجرد ما شعروا بقدوم الجنود المظفرة انسحبوا منها بكل سرعة تاركين أمتعتهم حتى قال المؤرخ (همر) ان العثمانيين وجدوا اللحم في القدور على النار وهذا مما يدل على

ماوقع

ما وقع فى قلوب الجنود الروسية من الرعب من الاسود العثمانية التى لولا عدم كفاءة أو قلة صداقة بعض قوادهم لما عادوا القهقرى أو الهزيمة اسما

﴿ عصيان على بيك أحد أمراء المماليك بمصر الملقب بشيخ البلد ﴾

وفى ذلك الوقت كان على بيك الملقب بشيخ البلد الذى استقل تقريبا بشؤن مصر تخابر مع قائد الدوننمة الروسية بالبحر الابيض المتوسط ليمده بالذخائر والاسلحة حتى يتم استقلال مصر فساعده القائد الروسى رغبة فى وجود الحروب الداخلية فى الدولة وبذلك أمكن على بيك فتح مدائن غزة ونابلس واورشليم ويافا ودمشق وكان يستعد للسير الى حدود بلاد الاناطول اذ ثار عليه أحد بيكاوات المماليك وهو محمد بيك الشهير بابى الذهب فعاد على بيك الى مصر لمحاربته فانهزم

وبعد ان تحصن فى القلعة التجأ الى الشيخ طاهر الذى كان عاملا على مدينة عكة من قبل الدولة العلية واستأثر بها واتحد معه على محاربة العثمانيين بالاتحاد مع الروس وتخليص مدينة صيدا التى كانوا يحاصرونها فسارا الى هذه المدينة والتقيا بالعثمانيين خارجها وانتصرا عليهم بمساعدة المراكب الروسية التى كانت ترسل مقذوفاتها على الجيش العثمانى ثم أطلقت السفن الروسية قنابلها على مدينة بيروت فأخربت منها نحو ثلاثمائة بيت وبعد ذلك عاد على بيك الى مصر فى محرم سنة ١١٨٧ الموافق ابريل سنة ١٧٧٣ لمحاربة محمد بيك أبى الذهب وانضم الى جيوشه أربعمائة جندى روسى فقابلهم أبو الذهب عند الصالحية بالشرقية وفاز عليهم بالنصر وأسر على بيك وأربعة من ضباط الروس بعد ان قتل كل من كان معهم ورجع الى مصر حيث توفى على بيك مما أصابه من الجراح فقطع رأسه وسلم مع الاربعة ضباط الروسيين الى الوالى العثمانى خليل باشا وهو أرسلهم الى القسطنطينية

ثم توفى السلطان مصطفى الثالث فى تسعة شوال سنة ١١٨٧ الموافق ٢٤ دسمبر سنة ١٧٧٣ وبلغت مدة حكمه سبع عشرة سنة وكان رحمه الله عادلا محبا للخير وله عدة مآثر خيرية كالمدارس والتكايا

ومن آثاره ان أنشأ فى اسكدار جامعا على قبر والدته ووقف عليه خيرات كثيرة وأصلح جامع السلطان محمد الفاتح التى زلزلت أركانه زلزلة شديدة وتولى بعده أخوه

٢٧ ﴿السلطان الغازى عبد الحميد خان الاول﴾

ابن السلطان أحمد الثالث ولد سنة ١٧٣٧ وقضى مدة حكم أخيه مصطفى الثالث محجوزا فى سرايته كما جرت به العادة وفى اليوم الثالث من توليته توجه فى موكب حافل الى جامع أبى أيوب انتقلد سيف السلطان عثمان مؤسس هذه الدولة ولم يوزع على الجنود الانعامات المعتادة لنضوب خزائن الدولة التى استنزفتها الحرب الاخيره ثم أقر الصدر الاعظم محسن زاده وأغلب كبار الموظفين والقواد البرية والبحرية فى مناصبهم لعدم وقوع الخلل فى الاعمال

أما الروسيا فكانت تستعد استعدادا هائلا لردما فقدته من الاسم والشرف فى أواخر أيام المرحوم مصطفى الثالث ولم يأت شهر يونيو سنة ١٧٧٤ الا وقد زحف الفلدمارشال رومانزوف الروسى بعد ان انضم اليه ماجمع من الجيوش تحت قيادة (سواروف) وكرامنسكى وبعد عدة مناورات ومناوشات اجتاز الفلدمارشال نهر الطونة وسار قاصدا مدينة وارنه فالتقى مع الجيش لذى أرسله الصدر الاعظم من معسكره بمدينة (شوملا) تحت قيادة الرئيس أفندى عبد الرزاق وهزمه بالقرب من مدينة يقال لها (قوزليجق) فى ١٤ يوليو سنة ١٧٧٤ وسار قاصدا معسكر محسن زاده الصدر الاعظم فطلب الصدر من رومانزوف المهادنة وتوقيف القتال وأرسل اليه مندوبين للاتفاق على عقد الصلح وقبول الشروط التى رفضتها الدولة عند اجتماع مؤتمر بوخارست فاجتمع المندوبان العثمانيان مع البرنس وابنين سفير الروسيا فى مدينة قينارجه وبعد مخابرات طويلة وأخذ ورد بين الطرفين قبل الصدر المعاهدة التى تم الاتفاق عليها فى ٢١ يوليو سنة ١٧٧٤ وهى مكونة من ثمانية وعشرين بندا أهمها استقلال تتار القرم وبسارابيا وقوبان مع حفظ سيادة الدولة العلية فيما يتعلق بالامور الدينية وتسليم كافة البلاد والاقاليم التى احتلتها الروسيا الى خان القرم ماعدا قلعتى كريش ويكى قلعه وردما أخذ من أملاك لدولة بالفلاخ والبغدان وبلاد الكرج ومنكريل وجزائر الروم ماعدا قبرطه الصغيرة وقبرطة الكبيرة وآزاق وقلبورن وان يعطى الى امبراطور الروسيا لقب

باديشاه في المعاهدات والمحررات الرسمية وأن يكون للمراكب الروسية حرية الملاحة في البحر الاسود والبحر المتوسط وأن تبنى الروسيا كنيسة بقسم بيرابالاستانة ويكون لها حق حماية جميع المسيحيين التابعين لمذهب الارتودكسي من رعايا الدولة وأن تكون كافة المعاهدات السابقة لاغية وغير ذلك

ومن الغريب انه لم يذكر شئ فيها عن مملكة بولونيا (لهستان) سبب هذه الحرب التي عادت على الدولة باوخم العواقب

وأضيف الى هذه المعاهدة بندان سريان جاء في أحدهما ان الدولة تدفع الى الروسيا مبلغ خمسة عشر ألف كيسة بصفة غرامة حربية على ثلاثة أقساط متساوية في أول ينايرسنة ١٧٧٥ وسنة ١٧٧٦ وسنة ١٧٧٧

وفي الثاني انه اتقدم للروسيا المساعدات المقتضية لاجلاء ما احتلته من جزائر الروم وسحب دونانماتها منها وهذا نص معاهدة قينارجه نقلا عن ترجمة الجزء الاول من تاريخ جودت باشا

﴿عهدة قينارجه﴾

﴿المادة الاولى﴾ كل ما سبق وقوعه بين الدولة العلية ودولة روسيا من عداوة ومخاصمة قد محى وأزيل من الآن الى الابد وكل الاضرار والتعديات التي صار الشروع في استعمالها واجرائها من الطرفين بالآلات الحربية وبغيرها صارت نسيا منسيا الى الابد ولا يجرى بعد الآن ولا في وقت ما انتقام بل صار الصلح برا وبحرا عوضا عن العدوان بوجه لا يعتريه التغير بل يراعى ويصان من طرفي الهمايوني ومن طرف خلفائي الاماجد وكذلك يحفظ ويصان ما جرى تمهيده مع ملكة روسيا المشار اليها وخلفائها من الاتفاق والموالاة الصافية المؤبدة والسالمة من التغيير وتستمر هذه المواد جارية ومعتبرة بكمال الدقة والاهتمام وتكون قضية الموالاة مرعية بهذه الصورة بين الدولتين وفي أملاكهما وبين رعايا الطرفين بحيث لا تقع فيما بعد ضدية بين الفريقين لا سرا ولا جهرا ولا نوع من أفعال البغضاء والاضرار وبحسب الموالاة والمصافاة المتجددتين تكون جرائم جميع الرعايا المتهمين لدى الدولتين وكيفما كانت تهمتهم بلا استثناء نسياه نسيا ويعرض عنها بالكلية من

الجهتين والذين أخذوا منهم ووضعوا فى السجون يطلق سبيلهم وتعطى الرخصة برجوع الاشخاص الذين نفوا الى الجهات وبعد امضاء المصالحة يرد اليهم ما كانوا أحرزوه من الرتب والاموال والذين استحقوا منهم عقابا من أى نوع كان لا يتعرض لهم بسبب ما أصلا أو بوسيلة ما أصلا ولا بضرر وتأديب واذا تصدى أحد لضررهم والتعرض لهم يصير تأديبه وكل من المذكورين يكون تحت حماية ومحافظة القوانين ومن الواجب معاشرتهم بحسب عادات الولايات قياسا على الولايات المتاخمة

﴿المادة الثانية﴾ بعد تنقيح هذه العهدة المباركة ومبادلة صكوك التصديق اذا ظهر من بعض رعايا الدولتين عدم الطاعة أو خيانة أواتهموا بتهمة أخرى ووجدوا فى بلاد احدى الدولتين لقصد الاختفاء أو الالتجاء فهؤلاء ماعدا الذين دخلوا منهم فى الدين الاسلامى فى دولتى العلية والذين تنصروا فى دولة روسيا لا يقبلون أصلا ولا تجرى لهم الحماية بل بالحال يردون الى بلادهم أو يطردون من بلاد الدولة التى التجأوا اليها وذلك حتى لا يحصل بين الدولتين بسبب أشخاص لا نفع فيهم أمر يفضى الى البرودة بين الطرفين أو يكون باعثا لبحث لا طائل تحته كذلك اذا حصل من أحد رعايا الطرفين سواء كان من الاسلام أو من زمرة المسيحيين ذنب أو تقصير وعلى أى ملاحظة كانت التجأ لاحدى الدولتين فانه ينبغى رده عند طلبه بلا تأخير

﴿المادة الثالثة﴾ جميع قبائل القريم وطوائف بوجاق وقوبان وبديسان وجانبويق وبديجكول التاتارية يصير قبولها والاعتراف بحريتها بالاستثناء من طرف الدولتين بشرط ان لا تكون تلك القبائل تابعة لدولة أجنبية بوجه ما والخانات المنتخبون من نسل آل جنكيز المستقلون فى حكوماتهم باتفاق جميع طوائف التاتار يبقون على ما هم عليه يحكمون فى الطوائف المرقومة بحسب قانونهم وعاداتهم القديمة بشرط ان لا يؤدوا ضريبة عن مادة ما لدولة من الدول الاخرى ودولتنا العلية ودولة الروسيا لا يتداخلان فى أمر انتخاب الخانات المومى اليهم ونصبهم ولا فيما يحدث من أمورهم المخصوصة ولا فى أمور حكومتهم بوجه ما بل يكون حكمهم نافذا فى حكومتهم وفى الامور الخارجية كدولة مستقلة مثل

سائر

سائر الدول المستقلة وطائفة التاتار المرقومة تكون مقبولة ومعترفا بكونها غير تابعة
لاحد سوى الحق سبحانه وتعالى وحيث ان الطائفة المذكورة هى من أهل الاسلام
وكون ذاتى السلطانية الموسومة بالعدالة هى امام المسلمين وخليفة الموحدين فانها
توجب على الطائفة المرقومة ان لاتلقى خللا فى الحرية الممنوحة لدولتهم وبلادهم
بل يجب ان تنتظم أمورها المذهبية من طرفى الهمايونى بمقتضى الشريعة الاسلامية
وأراضى كرش وأراضى القلعة المسماة بالقلعة الجديدة التى خصصت لدولة الروسيا
والقصبة الواقعة بجانب قريم وقوبان ماعدا ثغورها والقلاع والاماكن والاراضى
التى وقع الاستيلاء عليها وجميع الاراضى الواقعة بين مياه نهرى برادونسكى
ودى دادزى ومياه نهرى آق صو وطورله حتى حدود مملكة (له) فهذه جميعها ترد
للطوائف المرقومة وقلعة اوزى مع قطعتها القديمة تبقى تحت تصرف دواتى العلية
كالسابق وبعد تكميل عهدة المصالحة تتعهد دولة روسيا باخراج جميع عساكرها
من الممالك التاتارية وتتعهد دواتى العلية أيضا بكف يدها عما هو لها كليا كان
أو جزئيا من جميع أنواع القلاع والقصبات والاماكن وسائر الاشياء الواقعة فى
جزيرة القريم وجزيرة قوبان وطمان وان لاترسل فيما يأتى محافظا عسكريا لمحل
المرقوم أو عساكر بل ترد الممالك المذكورة لطوائف التاتار المرقومة بالوجه المحرر
وكما ان دولة الروسيا جعلت الطوائف المرقومة غير تابعة لاحد ومستقلة حقيقة
فى حكومتها على وجه ان تكون الحرية المطلقة معمولا بها فيها كذلك دواتنا
العلية تتعهد بان لاترسل فيما يأتى للقصبات والقلاع والاراضى والمساكن المذكورة
محافظا عسكريا ولا غيره من زمرة عساكر السكان أو غيرها كيفما كان اسمهم
ونوعهم والحرية الممنوحة للطوائف المرقومة من طرف دولة الروسيا تعطيها لها
أيضا دولتنا العلية مع الاستقلال بحيث لاتكون الطوائف المذكورة تابعة لاحد
﴿المادة الرابعة﴾ لما كان بمقتضى القواعد الاصلية المخصوصة بجميع الدول
يجوز لكل دولة أن تجرى فى ممالكها ماتراه مناسبا من النظام فللدولتين
المتعاقدتين الرخصة الكاملة المطلقة بدون تقييد ان تبنيا ماتستنسبه من القلاع
والمدن والقصبات والابنية وأن يصلح كل منهما ويجدد ما يكون قديما من قلاعهما

وقصباتهما وسائر أملاكهما

﴿المادة الخامسة﴾ وحيث انه قد تيسر تجديد ما للجوار من حقوق الموالاة والمصافاة بانعقاد هذه المصالحة المباركة فلدولة روسيا ان تعين من طرفها فى الاستانة (انو بياتو) يعنى سفيرا متوسطا أو مرخصا من الدرجة الثانية فيقيم دائما لدى دولتنا العلية وعلى الدولة العلية أن تجرى للسفير الموى اليه بالنظر لرتبته مراسم الاعتبار والرعاية الجارية منها لسفراء الدول الاوفر اعتبارا واذا وقع احتفال رسمى عمومى وكان سفير امبراطور الالمان فى رتبة رفيعة أو صغيرة فانه يكون بعد سفير ندرلانك (أى هولاندا أو الفلمنك) الكبير واذا لم يكن لدولة ندرلانك سفير كبير فانه يكون بعد سفير ونديك الكبير (أى البندقية)

﴿المادة السادسة﴾ اذا وقعت سرقة أو تهمة عظيمة أو أمر غير لائق يستوجب التعزير من الذين هم بالفعل فى خدمة سفير دولة روسيا فبعد التقرير يجب استرداد تلك الاشياء المسروقة بالتمام على الوجه الذى يبينه السفير والذين يتصورون قبول الدين المحمدى وهم فى حالة السكر فلا يقبلون فى الدين المحمدى بل بعد زوال السكر ورجوعهم الى حالتهم الاصلية بعود عقولهم لرسومهم يطلب منهم بيان اقرارهم واعترافهم فى مواجهة من يرسله السفير أيضا وأمام بعض المسلمين ممن ليس لهم غرض ثم يصير قبولهم على هذا الوجه

﴿المادة السابعة﴾ تتعهد دولتنا العلية أن تصون حق الديانة المسيحية وكنائس المسيحيين صيانة قوية وتمنح سفراء دولة الروسية الرخصة بابراز التفهيمات المتنوعة عند كل احتياج سواء كان متعلقا فى الكنيسة المذكورة فى المادة الرابعة عشرة الكائنة فى محروسة القسطنطينية أو فى صيانة خادميها واذا اعرض السفير الموى اليه شيأ ما بواسطة معتمد له يتعلق بدولة مصافية ومجاورة لدولتى العلية فتتعهد دولتنا العلية بقبول المعروض والمعتمد

﴿المادة الثامنة﴾ تعطى الرخصة التامة لرهبان دولة الروسيا ولسائر رعاياها بزيارة القدس الشريف وسائر الاماكن التى تستحق الزيارة ولا يتكلف المسافرون ولا السائحون لدفع نوع من أنواع الجزية والخراج والويركو أصلا ولا يطلب ذلك

منهم باثناء الطريق لافى القدس الشريف ولافى سائر الاماكن وتعطى لهم الفرمانات بالوجه اللائق مع أوامر الطريق التى تعطى الى رعايا سائر الدول والذين يقيمون منهم فى أراضى دولتى العلية لايمكن أن يحصل لهم تعرض ومداخلة بوجه من الوجوه بل تصير حمايتهم وصيانتهم تماما بمقتضى قوة أحكام الشريعة

﴿المادة التاسعة﴾ المترجمون الموجودون فى خدمة سفراء روسيا المقيمين فى محروسة القسطنطينية من أى ملة كانوا حيث خدموا أمور الدولة وخدمتهم هذه راجعة للدولتين فانهم يعاملون بكمال المروءة والاعتبار ولاتجوز مؤاخذتهم فى الامور المكلفين بها من طرف من هم بخدمته

﴿المادة العاشرة﴾ لحين امضاء هذه المصالحة المباركة وايصال التنبيهات اللازمة من طرف سرداريه عساكر الطرفين للمحلات المقتضية اذا احدثت خلال ذلك مخاصمة فى أى محل كان لايعد ذلك تعرضا ومايحصل بسبب ذلك من الفتوحات والاستيلاء لايعتبر ويكون كأنه لم يكن ولاأحد من الدولتين يستفيد من مثل هذا شيأ

﴿المادة الحادية عشرة﴾ قد تقرر لاجل منفعة الدولتين سير سفنهما وسفن تجارهما بلامانع فى جميع بحارهما وتعطى الرخصة من جانب دولتى العلية الى سفن روسيا وسفن تجارها بان تتمتع بالتجارة فى كل الاساكل وكل محل بالوجه الذى أجازته دولتى العلية فيها لسائر الدول وأن يمكثوا فى المعابر والثغور المتصلة بالبحار المذكورة وفى عموم المرافى والشطوط الساحلية من البحر الابيض الى البحر الاسود ومن البحر الاسود الى البحر الابيض وكما صار البيان أعلاه بحق هذه المادة قد أعطيت الرخصة من جانب دولتى العلية الى رعايا دولة الروسيا بان يتحدوا برامع أهالى ممالك دولتنا العلية ويكون لهم ماحصلت به المساعدة والمسالمة والمعافيات فى التجارة البحرية الى أحب أصدقائنا فرنسا وانكلترة ويسيرون على هذا المنوال فى نهر الطونة وعند ظهور أى نوع كان من الاحتياج سواء كان فى أمر التجارة أو فيما يتعلق بنفس التجار أو بالجميع تراعى شروط الملتين المذكورتين وتعتبر على الوجه المحرر لفظا بلفظ فى هذه المادة ولتجار الروسية ان ينقلوا ويخرجوا كل نوع من الامتعة بعد ان يؤدوا

الرسومات التي يعطيها اغيرهم من الملل المذكورة ويجوز لهم ان يصلوا الى سواحل ومراسي البحر الاسود وسائر البحار والى محروسة القسطنطينية وقد رخص لرعايا الطرفين بالتجارة وتسيير السفن في عموم مياه المواضع المذكورة بلا استثناء وأعطيت لهم الرخصة من جانب الدولتين بالاقامة في بلادهما المدة اللازمة لادارة مصالحهم وتجاراتهم وحصل التعهد بذلك من الطرفين بهذا الباب بان يكون لتجار روسيا أيضا ما لرعاية سائر الدول المتحابة من الحرية والمسالمة ولكون المحافظة على النظام في كل المواد هي من ألزم الامور أعطيت الرخصة من جانب دولتنا العلية بتعيين قناصل ووكلاء قناصل من طرف دولة روسيا في عموم المواقع التي ترى انها لازمة لذلك ويعتبرون في سائر الامور مثل قناصل سائر الدول المتحابة وقد رخص لهؤلاء القناصل ووكلاء القناصل بان يستخدموا في معيتهم مترجمين من المسلمين الحائزين براآت الشاهانية المعبر عنهم ببرأتلي ويكون لهؤلاء المترجمين ما لامثالهم الموجودين في خدمة انكلتره وفرانسا وسائر الملل من المعافيات وأعطيت الرخصة من جانب دولة الروسيا الى رعايا دولتي العلية بان يتاجروا برا وبحرا في ممالك روسيا ويكون لهم ما لسائر الملل المتحابة مع روسيا من الامتيازات والمعافيات وذلك بعد أداء الرسوم المعتادة وتجرى المساعدة بكل وجه لسفن الدولتين التي تطرأ عليها الطوارئ في أثناء سيرها في البحر يعني عند وقوع حوادث تلزم لها الاعانة بما يلزم لجانب سائر الدول الاوفر صداقة ويؤخذ لهذه السفن ما يلزمها من الاشياء بالاسعار الجارية

﴿المادة الثانية عشرة﴾ اذا رغبت دولة الروسيا أن تعقد معاهدة تجارية مع الافريقيين أي حكومات طرابلس الغرب وتونس والجزائر فدولتنا العلية تتعهد ببذل اعتبارها وجهدها لحصول دولة روسيا على مرغوبها وتتكفل حكومات الايالات المذكورة بانها تحافظ على العهود المرسومة

﴿المادة الثالثة عشرة﴾ يلزم استعمال هذه العبارة في اللسان التركي (تماما روسيه لولرك پادشاهي) يعني (امبراطور جميع بلاد الروسيا) من طرف دولتنا العلية في جميع السندات وعامة المكاتيب وفي كل خصوص اقتضى وضع هذا اللقب

المعتبر

المعتبر أعنى (تماما روسيه لو ارك امبراطور بحه سى)

﴿المادة الرابعة عشرة﴾ يجوز لدولة روسيا أن تبتنى كنيسة على الطريق العام فى محلة بك اوغلى فى جهة غلطه غير الكنيسة المخصوصة قياسا على سائر الدول وهذه الكنيسة هى كنيسة العوام وتسمى باسم كنيسة (دوسوغرنه) وتكون تحت صيانة سفير دولة روسيه الى الابد وتكون أمينة من كل تعرض ومداخلة وتصير حراستها

﴿المادة الخامسة عشرة﴾ انه بمقتضى النظام الذى به تعينت وتحددت حدود الدولتين يبعد عن الملاحظة وجود أمر يستوجب نزاع جسيم يوجب المباحثة لرعايا الطرفين لكن لاجل دفع أسباب المضار والخسائر المحتمل ظهورها من عوارض غير مأمولة قد وقع الاقرار بالاتفاق بين الدولتين انه عند حدوث أمر كهذا يجب على الحاكم الموجود على طرف الحدود أن يفتش على المادة التى حدثت أوانه يجرى فحصها بمعرفة مأمورين يتعينون لذلك وبعد تفتيش المادة كما ينبغى يجرون احقاق الحق لصاحبه بلا تأخير وحصل التعهد الصافى بان مادة حسن النظام والموالاة التى تعهدت حديثا وانعقدت بهذه العهدة المباركة لا تتغير أصلا بحدوث قضايا كهذه

﴿المادة السادسة عشرة﴾ ترد دولة روسيا الدولتى العلية مملكة البوجاق مع قلاع اق كرمان وكلى واسماعيل وسائر القصبات والقرى بما فيهما من جميع الاشياء وترد لدولتى العلية قلعة بندر أيضا وكذلك ترد لدولتى العلية ايالتى الافلاق والبغدان مع كافة قلاعها ومدنها وقصباتها وقراها وما هو داخلها من جميع الاشياء وقد قبلت دولتى العلية الممالك المرقومة على الشروط الآتى بيانها وتعهدت بحفظ الشروط المذكورة تماما ووعدت بذلك وعدا معمولا به ﴿أولا﴾ يجرى العفو عن أهالى هاته الحكومات الجديدة جميعا من أى قسم كانوا من المراتب والكيفيات والحال والاسم والوجاهة بلا استثناء وان تغضى عما ظن فيهم من الاعمال المغايرة وكل تهمة تتعلق بهم من الحركات التى كانت مخالفة لامور دولتى العلية وتكون نسيا منسيا الى الابد وعلى موجب مضمون المادة الاولى يصير اعادتهم الى مناصبهم

ورتبهم وترد أملاكهم السابقة ويعودون الى ما كانوا عليه كونه من الاستقلال قبل الحرب وتجدد أمورهم ﴿ثانيا﴾ الديانة المسيحية تكون من كل الوجوه حرة كالاول ولا يحصل ممانعة لاجرائها قط ولا يمنع احداث كنائس جديدة ولا ترميم الكنائس القديمة ﴿ثالثا﴾ الاراضي والاملاك الموجودة ضمن دائرة ابرائل وخوتين وفي سائر المواضع المأخوذة بغير حق المتعلقة من القديم بالاديرة وبسائر الاشخاص فهذه جميعا ترد للرسوم المعبر عنهم الآن بالرعايا ﴿رابعا﴾ يكون لجماعة الرهبان الاعتبار بما يناسبهم من الامتياز ﴿خامسا﴾ يرخص للاعيان الذين يرغبون التوجه الى محل آخر بترك الوطن ان ينقلوا أشياءهم بالحرية وأن يمهلوا مدة سنة للانتقال من وطنهم وذلك ليكون لهم وقت كاف لتنظيم مصالحهم وتعتبر هذه المهلة من تاريخ التصديق على الصك ﴿سادسا﴾ لا يصير تحصيل شئ لا نقود ولا خلاف ذلك من المحاسبات القديمة مهما كانت ﴿سابعا﴾ لا يصير تكليفهم ولا مطالبتهم بشئ عن مدة الحرب بتمامها بل نظرا لما صادفوه باثناء امتداد الحرب من المضرات والتخريب قد أعطى بعد ذلك للمذكورين أيضا مهلة سنتين تعتبر من تاريخ مبادلة صك التصديق الهمايوني ﴿ثامنا﴾ بعد انقضاء هذه المهلة تتعهد دولتنا العلية بمعاملتهم بالمروءة الكاملة في أمر تعيين الجزية وتحافظ على سخائها الجليل على قدر الامكان ويصير تأدية جزيتهم بواسطة مبعوثيهم مرة في كل سنتين وبعد أداء هذه الجزية بتمامها فلا يتعرض لهم أحد أصلا كائنا من كان من باشا أو حاكم ولا يطالبون بشئ ما من اقتراح الضرائب باي اسم كانت بل يكونون متمتعين بالامتيازات التي تمتعوا بها في الزمن السعيد أيام سلطنة جدي الامجد السلطان محمد خان الرابع ﴿تاسعا﴾ يرخص لامراء هذه الحكومات أن يقيم كل منهم من طرفه وكيلا لدى دولتي العلية باسم مصلحتكدار ويكون هؤلاء الوكلاء نصارى من ملة الروم بدلا عن القبوكتخدايات الذين كانوا يتعاطون رؤية أمور الملك وتجري بحقهم من جانب دولتي العلية المعاملة بكمال المروءة وينالون ما يستحقونه بحسب قواعد الدول أي انهم يكونون معتبرين ومن كل تعرض آمنين ومصانين ﴿عاشرا﴾ تعطى الرخصة وتحصل الموافقة من جانب الدولة العلية الى سفراء امبراطورية الروسية

بان يتذاكروا عند الاقتضاء فيما يتعلق بصيانة ومساعدة الحكومتين المذكورتين وتتعهد الدولة العلية برعاية مايعرضه سفراء الروسية من المواد بحسب اعتبار الصداقة اللائقة بالدولتين

﴿المادة السابعة عشرة﴾ يلزم دولة الروسيا ان ترد الى دولتي العلية جزائر البحر الابيض التي هي الآن تحت حكمها وتتعهد دولتي العلية بان تجري في حق أهل الجزائر المذكورة كمال الرعاية والعدل وتعاملهم بالعفو عن جميع أنواع القباحات المصرح بها في المادة السالفة وعموم الافعال التي جرت بظنة المخالفة لامور دولتي العلية فهذه جميعها تكون نسيا منسيا ومعفوعنها بالكلية ﴿ثانيا﴾ لا يصير أدنى تعرض وتضييق على ديانة المسيحيين ولا يحصل ممانعة بوجه ما في أمر تعمير وتجديد الكنائس ولا يصير التعرض والمداخلة أصلا في حق الاشخاص الذين يخدمون الكنائس المذكورة ﴿ثالثا﴾ بسبب التكديرات والتخريبات التي أورثتها لهم هذه المحاربة من تاريخ وجودهم تحت حكومة دولة الروسية وبعد مرور سنتين من تاريخ استرداد الجزائر المذكورة لدولتي العلية لا يستحصل من أهالي الجزائر المذكورين رسم سنوي من أي نوع كان أصلا ﴿رابعا﴾ الذين يرغبون في ترك الوطن ويريدون التوجه الى بلاد أخرى تعطى لهم الرخصة من جانب دولتي العلية بنقل أموالهم وأشيائهم ولكي يكون لهم وقت كاف لتنظيم مصالحهم يمهلون مدة سنة كاملة اعتبارا من تاريخ مبادلة التصديق على صك المعاهدة ﴿خامسا﴾ يلزم رجوع اسطول روسيا من مياه الدولة العلية في مدة ثلاثة أشهر من بعد مبادلة التصديق على هذا الصك واذا احتاج الاسطول لشيء فعلى دولتي العلية ان تعينه على قدر الامكان

﴿المادة الثامنة عشرة﴾ قلعة قلبرون الواقعة في بوغاز اوزي صوي مع مقدار كاف من الاراضي الكائنة في ساحل الطرف الشمالي من النهر المذكور مع الصحراء الخالية الواقعة بين آق صو واوزي صو تبقى مستقلة على الدوام تحت تصرف روسيا بلا معارضة

﴿المادة التاسعة عشرة﴾ يكي قلعه الواقعة في جزيرة القريم وجميع ماهو موجود

داخل كرش وثغورها مع أراضيها من البحر الاسود حتى حدود كرش القديمة طولا لهذا المحل المسمى بوغارجه وسن بوغارجه على خط مستقيم من الاعلى الى بحر ازاق يبقى تحت تصرف روسيا على الدوام بلا معارضة

﴿المادة العشرون﴾ بحسب مفهوم السندات التى عقدت بين الحاكم تواستوى وبين حسن باشا محافظ آجو بتاريخ ١٧٠٠ ميلادية و ١١٠٠ هجرية خصصت قلعة ازاق بحدودها الاولى الى دولة الروسيا الى الابد

﴿المادة الحادية والعشرون﴾ وحيث ان القبارطيين أى القبارطة الكبيرة والقبارطة الصغيرة لهما تعلق مع خانات القريم بسبب وقوعهما فى جوار طائفة التاتار قد أحيلت مادة تخصيصها الدولة الروسيا الى خانات القريم ومشورتهم والى رأى رؤساء التاتار

﴿المادة الثانية والعشرون﴾ قد تقرر بالاتفاق بين الدولتين محو وازالة جميع الشروط والعهود السابقة والعهدة الواقعة فى قلعة بلغراد المنعقدة بينهما وما حدث بعدها من كافة الشروط محوا أبديا وهو ان كلا من الدولتين المتعاقدتين لا يقوم بداعية ما من حيث العهود المذكورة ويستثنى من تلك الشروط الواقعة فى سنة ١٧٠٠ ميلادية بين الحاكم تواستو وبين حسن باشا محافظ قلعة آجو فيما يتعلق بتعيين وتحديد حدود القلعة المذكورة وحدودقوبان فان الشروط المذكورة تبقى كالاول بلا تغيير

﴿المادة الثالثة والعشرون﴾ ان قلاع بغدادجق وكوتانسى وشهربان الكائنة فى حوالى كورجى ومكريل المستولية عليها عساكر الروسيا تقبلها دولة الروسية على ان تكون هذه القلاع لاصحابها الاصليين وذلك انه بعد التحقيق اذا تبين ان دولتى العلية كانت مالكة لها منذ القديم أو منذ مدة مديدة حينئذ تكون عائدة لدولتى العلية وبعد مبادلة التصديق على هذا الصك المبارك تخلى عساكر الروسيا القلاع المذكورة فى الوقت المعين ودولتى العلية تتعهد أيضا بحسب مضمون المادة السابقة بان تشمل بالعفو جميع الذين صدرت منهم حركات ضد دولتى العلية فى أثناء امتداد المحاربة وان تكف يدها الى الابد عن أخذ الويركو عن الصبيان والبنات

وعن طلب أى نوع كان من الجزية وانه ماعدا الذين لهم تعلق بها من القديم لا تدعى على فرد واحد من الطوائف المذكورة بكونه من رعاياها وانها تترك مرة أخرى جميع الاراضى وسائر الاستحكامات التى ضبطها الكرجيون والمكريون لحكومتهم ولمحافظتهم المطلقة وانها لا تتعرض ولا تجرى تضييقا على أديرة وكنائس الديانة بوجه ما ولا تمنع ترميم القديم ولا بناء الجديد منها وبان تمنع باشا جلدر وجميع رؤساء الجيوش والضباط من التعرض باى داع كان لاموال الاديرة والكنائس المذكورة واضاعتها ولا تتعرض دولة الروسيا للطوائف المذكورة ولا تتداخل فى أمورهم لانهم من رعايا دولتى العلية

﴿المادة الرابعة والعشرون﴾ بعد امضاء المواد والتصديق عليها تتهيأ بالحال جميع عساكر الروسيا الموجودة فى الجهة اليمنى من نهر الطونة للعودة والرجوع بحيث فى ظرف شهر واحد تقطع الضفة اليسرى من نهر الطونة المذكور وبعد مرور العساكر المذكورة تماما الى الضفة اليسرى المرقومة يصير اخلاء قلعة حرسوه وتسلم لعساكر الاسلام وبعده تحصل المبادرة دفعة وفى آن واحد لتخلية مملكتى الافلاق والبوجاق وقد تعين لهذا الاخلاء مهلة شهرين وبعد انسحاب كافة عسكر روسيا من المملكتين المذكورتين تترك عساكر روسيا من الجهة الواحدة قلعة بركوك وبعده قلعة ابرائل ومن الجهة الاخرى قصبة اسمعيل وقلاع كلى واقكرمان وتسير متوجهة لتلتحق بسائر عساكرها تاركة القلاع المذكورة للعساكر الاسلامية وقد خصص لتخلية المملكتين المذكورتين مهلة ثلاثة أشهر وبعد ذلك تترك عساكر روسيا مملكة بغدان وتمر فى الجهة اليسرى من نهر طورله وعلى هذه الصورة تحصل تخلية المواضع والممالك السابق ذكرها يعنى فى مدة خمسة أشهر بعد امضاء المعاهدة والمصالحة المؤبدة بين الدولتين وعند مرور كافة عساكر روسيا للضفة اليسرى من نهر طورله حينئذ يصير تسليم قلاع خوتين وبندر للعساكر الاسلامية وأما الراضى قلبرون التى سبق التصريح عنها وزاوية الصحراء الواقعة بين آق صو واوزى صو يصير تسليمها على الوجه الموضح فى المادة الثامنة عشر بهذه الشروط وفى الوقت المذكور لدولة الروسيا وتكون الى الابد مصونة من التعرض وعلى

عساكر روسيا الموجودة فى جهات جزائر البحر الابيض ان تجرى بالسرعة الممكنة
مايتعلق باسطول الجزائر المذكورة من المصالح والتنظيمات الداخليـة وترد الجزائر
المذكورة كالاول لتضبطها دولتى العلية مصونة من التعرض لانه نظرا لبعد المسافة
لايمكن تعيين وقت لذلك ونظرا الاستعجال عزيمة اسطول روسيا ولكونه ادولة
مصافية فدولتى العلية تتعهد باعانة الاسطول المذكور فى ايفاء لوازمه وباعطائه كل
شئ فى الوسع الامكان ومادامت عساكر روسيا موجودة فى الممالك المستردة
لدولتى العليـة على الصورة المذكورة فحكومتها وما يتعلق بها من النظامات تستمر
جارية فيها كما كانت فى الوقت الذى كانت فيه بيدها والى حين خروج جميع
عساكر روسيا من الممالك المذكورة لاتقع مداخلة من جانب دولتى العليـة فى
أمورها ويبقى العمل فى كيفية تناول مايلزم من المأكولات ومداركة سائر لوازم
عساكر روسيا فى الممالك الموجودة فيها على ماهو الآن الى حين خروجها منها
تماما ولا تضع دولتى العلية قدما فى القلاع المستردة المذكورة مالم يرسل سرعسكر
روسيا الاول الخبر الى مأمورى دولتى العلية الذين عينوا لهذا الامر بتخلية وفراغ
كل محل من الممالك المذكورة وبعدم اجراء حكومتها فيها والذخائر والمهمات التى
لروسيا فى هذه القلاع والقصبات يصير اخراجها من طرف عساكر روسيا بالوجه
الذى تريده وتترك مدافع دولتى العلية التى وجدت فى القلاع المستردة لدولتى العلية
والذين استعملوا فى خدمة دولة روسيا من أهالى الولايات المستردة لدولتى العلية من
أى جنس وفى أى حال وكيفيـة كانوا اذا رغبوا فى الانسحاب والانتقال بأهلهم
وعيالهم وأموالهم مع عساكر روسيا فى المدة السنوية المنعقدة لايمنعون وتتعهد
دولتى العلية بعدم ممانعتهم بأى وجه كان بموجب الشروط المذكورة سواء خرجوا
فى ذلك الزمن أو فى مدة سنة كاملة

﴿المادة الخامسة والعشرون﴾ جميع أسرى الحرب من ذكور واناث من أى
درجة ورتبـة كانوا يسرحون ويردون الى أوطانهم ماعدا المسيحيين الذين دخلوا فى
الدين المحمدى بارادتهم فى دولتى العليـة والمسلمين الذين تنصروا بارادتهم فى أثناء
وجودهم فى أراضى روسيا وهذا كله بعد مبادلة التصديق على صكوك هذه العهدة

المباركة

المباركة حالا بلا عذر أصلا و بلا عوض وبغير فدية وكذلك جميع المسيحيين الذين وقعوا فى الاسترقاق من الجهتين و بغدانيين وافلاقيين ومن أهالى المورة والجزائر والكرجيين كافة بلا استثناء يعتقون بلا ثمن و بغير عوض وكذلك الذين استرقوا من رعايا روسيا و وجدوا فى ممالكى المحروسة يصير تسليمهم وردهم الى مواطنهم وذلك بعد انعقاد هذه المصالحة المباركة وكذلك تجرى هذه الامور أيضا بهذه الصورة عينها فى حق رعايا دولتى العلية

﴿المادة السادسة والعشرون﴾ لاول وصول الخبر عن امضاء هذه المواد الى القرم واوزى يخابر سرعسكر روسيا الموجود فى القرم بالواقع محافظ اوزى وفى مدة شهرين يرسلان مأمورين معتمدين لاجل تسليم وتسلم قلعة قلبرون مع الصحارى المصرحة فى المادة الثامنة عشرة التى مر ذكرها والمعتمدون المذكورون يجرون تمام المادة المذكورة فى مدة شهرين من تاريخ مقابلتهم واجتماعهم يعنى ان المادة المذكورة تجرى بتمامها فى مدة أربعة أشهر من تاريخ يوم امضاء هذه المعاهدة وان أمكن ففى أقل من ذلك بدون تأخير يخبرون الصدر الاعظم والفلدمارشال عن اكمال مأموريتهم

﴿المادة السابعة والعشرون﴾ لاجل زيادة تأكيد وتمهيد وتقوية هذه المصالحة المباركة والموالاة والمصافاة بين الدولتين يصير بعث وتسيير سفيرين كبيرين فوق العادة حاملين صكوك التصديق لهذه المصالحة الخيرية ويكون ذلك فى الوقت الذى يتعين برضاء الطرفين فيتقابل السفيران فى رأس الحدود بمعاملة متماثلة و يراعى بحق السفيرين الموما اليهما الرسم المعتاد المرعى بحق سفراء دول اوروبا الاوفر اعتبارا لدى دولتى العلية وترسل هدايا بواسطة السفيرين الموما اليهما الائقة بشأن دولتيهما ليكون ذلك دليلا على صفاء الجهتين

﴿المادة الثامنة والعشرون﴾ بعد امضاء مواد هذه المصالحة المؤبدة من معتمدى دولتى العلية وهما الموقع الرسمى أحمد ورئيس الكتاب ابراهيم منيب دام مجدهما ومن مرخص دولة الروسيا البرنس رينين جنرال لفونتا ختمت عواقبه بالخير تصدر التنبيهات من جانب الصدر الاعظم والجنرال فلدمارشال الى جميع عساكر الدولتين

الموجودة براو بحرا فى كل جهة لمنع كل نوع من معاملة خصامية بينهم و يرسل أيضا فى الحال من جانب الصدر الاعظم والجنرال فلدمارشال معاونان الى أساطيلهم الموجودة فى البحر الابيض والبحر الاسود وتجاه بلاد القرم والى جميع المواقع الحربية لمنع العدوان وأسباب القتال فى كل محل بعد انعقاد المصالحة والمعينان المرسلان من طرف الصدر الاعظم والجنرال فلدمارشال لا بد أن يكونا بحسب التنبيهات مصونين ومأمونين من كل وجه واذا سبق وصول معاون روسيا الى سرعسكرها فالمومى اليه يبعث الى سرعسكر دولتى العلية أمر الصدر الاعظم الحاوى على التنبيه وان سبق وصول معاون الصدر الاعظم يبعث سرعسكر الدولة العلية الى سرعسكر الروسيا أمر الفلدمارشال الحاوى كذلك على التنبيه وبما ان الصدر الاعظم وفلدمارشال دولة روسيا (بتروقونت رومانجوف) قد فوض اليهما من طرفى الهمايونى ومن طرف امبراطورية روسيا المشار اليها أمر تمهيد عقود وعهود عهدة الصلح المباركة المنعقدة بجميع مواد الصلح المؤبد المسطورة فى العهدة المذكورة يصير امضاؤها من طرف الصدر الاعظم والفلدمارشال وختمها باختامهما التصديق كما لو كانت جرت بحضورهما والمواد المنعقدة التى تمهدت وصار الوعد بها تراعى مراعاة قوية بدون تغيير ولا تبديل وتجرى بالدقة بحسب منطوقها ولا يفعل شئ مخالف لها قطعا ويحرر فى المواد المذكورة التى تقررت وجرى التصديق عليها من طرف الصدر الاعظم والفلدمارشال المومى اليهما سندان ممضيان بامضائهما ومختومان بختميهما أحدهما وهو سند الصدر الاعظم يتحرر بالتركية والايطاليانية وسند الفلدمارشال يكتب بالروسية والايطاليانية أيضا وبمقتضى الرخصة المعطاة الى المرخصين من طرف الدولتين ينبغى ان يرصلوا الى الفلدمارشال السند الواحد باعتبار كونه صادرا من جانب دولتى العلية وبعد امضاء المواد بخمسة أيام وان أمكن فى مدة أقل من ذلك تجرى مبادلة السندات وحالما يسلم المرخصون سندات الصدر الاعظم يأخذون سندات الفلدمارشال القونت رومانجوف .

﴿الخاتمـــــــة﴾

ان ماجرى تجديده وتمهيده بحسب المواد المذكورة من الصلح والصلاح المبطل للحرب والكفاح يكون مقرراو معتبرامن بعد الآن وبحسب ما اعتادت عليه سلطنتى من شيم الصداقة الكريمة ومن الوفاء بالعهود فاننا نجرى العهد والميثاق والتصديق تماما ونراعى حق الرعاية جميع ماوقع من قيود وشروط فى الثمان والعشرين مادة المذكورة ونجرى جميع عهود ومواثيق الصلح والصلاح وكذلك شرط المادتين المحررتين فى نيشانى الهمايونيين اللذين صار اعطاؤهما ويكون ذلك مدة دوام واستمرار المواد التى صار تأبيدها والتصديق عليها من مرخص دولة روسيا ومرخصنا بحيث انه لا يحصل فيها اخلال ولا مخالفة من طرفها ولا من طرفنا السلطانى الهمايونى ولا من طرف اخلافنا ووكلائنا ذوى المقام المتصفين بالانصاف والميرميرانيين أصحاب الاحتشام والامراء ذوى الاحترام وعموم عساكرنا المنصورة وكافة المتشرفين بشرف العبودية من صنوف الخدمة (تمت)

ذكرنا مادتين فى خاتمة العهدة احداهما تضمين المصاريف الحربية وذلك لان الدولة العلية كانت تعهدت بتأدية خمسة عشر ألف كيس للروسيا فى مدة ثلاث سنين يدفع منها فى كل سنة قسط وهو خمسة آلاف كيس والمادة الثانية سرعة تخلية جزائر البحر الابيض تأييدا لما هو مذكور فى المادة السابعة عشرة من العهدة المذكورة وأسطول روسيا الموجود فى البحر الابيض وان كان مشترطا فى المادة المذكورة انه يخرج فى مدة ثلاثة أشهر فدولة روسيا قد تعهدت باخراجه قبل المدة المذكورة اذا أمكن

وبذلك انتهت هذه الحرب ونالت الروسيا أقوى أمانيها بعد اذلال مملكة اسوج ومحوها من العالم السياسى تقريبا بحصرها ضمن حدودها الطبيعية وهى طمس آثار مملكة بولونيا من الوجود كلية تقريبا وتجزئة معظمها بينها وبين النمسا والروسيا بمقتضى معاهدة بين الروسيا والبروسيا فى ١٧ فبراير سنة ١٧٧٢ وقبلتها النمسا

فى ابريل وأعلنت ملك بولونيا فى ١٨ سبتمبر سنة ١٧٧٢ وبذلك سقط الحاجزان الاولان من الحواجز الثلاثة الحائلة بين تقدم الروسيا من جهة اوروپا وأمكنها ان توجه كل قواها لمكافحة الدولة العلية التى عملت بجهل بعض وزرائها ومحاباة البعض الآخر على تقدم الروسيا بدون تبصر فى نتائج هذه السياسة ولو أصغت الى طلبات شارل الثانى عشر السويدى وساعدته على محاربة بطرس الاكبر فى بدء ظهوره ووسعت معه على اطفاء هذه الشرارة التى امتد لهيبها وكادت تلتهبها ولو لم يرفع الوزير بلطه جى محمد باشا الحصار عن بطرس الاكبر لما أحاط به وخليلته وجيوشه احاطة السوار بالمعصم على نهر البروت لما وصلت دولتنا العلية الى ما وصلت اليه بمعاهدة قينارجه التى ما لبثت ان ظهرت نتائجها فى العالم

وبعد ذلك أخذت الدولة فى اصلاح بعض الشؤون الداخلية وبذل القبطان باشا حسن باشا جهده فى انشاء المراكب الحربية بدل ما فقد فى محاربة الروسية الاخيرة ومن جهة أخرى استعانت بمحمد بيك أبى الذهب على طاهر عمر فأتى لمحاصرته بمدينة عكا من جهة البر وحاصرها حسن باشا البحرى من جهة البحر وضايق عليه الحصار حتى فر هاربا من العقاب على عصيانه قاصدا جبال (صفد) فقتل فى أثناء هروبه وتخلصت الدولة من شره وكذلك قتل أبو الذهب أثناء محاصرة عكا ثم سقطت المدينة فى أيدى العثمانيين وانتهت الفتنة بسلام

﴿ استيلاء الروسيا على بلاد القرم وما جاورها ﴾

أما الروسيا فأخذت تبث رجالها فى بلاد القرم لايجاد المشاغب الداخلية بها وبالتالى لابتلاعها وضمها الى أملاكها حيث لم يكن قصدها من استقلالها السياسى وقطع روابط تبعيتها للدولة الا الوصول لهذه الغاية ومازالت مستمرة فى القاء الدسائس ونشر الفتن بين الاهالى حتى عزلوا أميرهم دولت كراى الذى انتخبه الاهالى بمقتضى نصوص معاهدة قينارجه وأقاموا شاهين كراى مكانه فلم يقبل تعيينه فريق عظيم من الاعيان وخيف من وقوع حروب داخلية ولذا أمرت الروسيا الجنرال بوتمكين باحتلالها فدخلها بسبعين ألف جندى كانوا منتظرين على الحدود لهذه الغاية فتم لها قصدها الذى كانت تسعى وراءه من مدة وهو امتلاك كافة

سواحل

سواحل البحر الاسود الشمالية فى غضون سنة ١٧٧٣ فهاجت الدولة وأرادت اشهار الحرب على الروسيا الالزامها باحترام معاهدة قينارجه القاضية باستقلال بلاد القرم استقلالا سياسيا تاما لكن حولت أنظارها ثانيا عن الحرب مساعى فرنسا التى أقنعتها بان هذه الحرب مع استعداد كاترينه وتأهبها لا يكون وراءها الا الخراب والدمار لعلمها ان الروسيا أبرمت مع النمسا وفاقا سريا تم بين كاترينه الثانية والامبراطور يوسف الثانى عند مقابلتهما بمدينة (كرزن) قاضيا بمحاربة الدولة لانشاء حكومة مستقلة تكون حاجزا بينهما وبين الدولة ومكونة من الفلاخ والبغدان واقليم بسارابيا يكون اسمها مملكة (داسى) «٩٧» و يعين لها ملك من المذهب الارثودكسى وبأن تأخذ الروسيا مينا (اوتشاكوف) التى تسمى فى كتب الترك بمدينة اوزى وبعض جزائر الروم وتأخذ النمسا بلاد الصرب و بوسنه وهرسك من أملاك الدولة و بلاد دلماسيا من أملاك البندقية وتعطيها عوضا عن ذلك بلاد موره وجزيرتى كريت وقبرص وان تعطى باقى دول اوروبا أجزاء أخرى يتفق عليها فيما بعد أما ان أتيح لهم النصر ودخلوا مدينة الاستانة فيعيدون مملكة بيزانطه الاهلية كما كانت قبل الفتح العثمانى ويعين الغراندوق الروسى قسطنطين بن بولص ملكا عليها بشرط ان يتنازل عن حقوقه فى ملك الروسيا حتى لا يتفق وجود المملكتين الروسية والبيزانطية (الرومية) فى قبضة ملك واحد

نخوفا من وقوع الحرب بسبب القرم مع عدم استعداد الدولة وقدرتها فى ذلك الوقت على مقاومة الروسيا فضلت قبول مشورة فرنسا والاعتراف بضم القرم للروسيا على ان تتعرض لحرب تكون عاقبتها وخيمة واعترفت بذلك فى سنة ١٧٧٤ لكن لما لم يكن قصد الروسيا ومساعديها الا انتشاب القتال ليحظى كل منهم بامنيته عملوا على اثارة خاطر الدولة وايقاعها فى الحرب فاخذوا فى تحصين مينا (سباستوبول) وأقاموا ترسانة عظيمة فى مينا (كرزن) وأنشأوا عمارة بحرية من الطراز الاول فى البحر الاسود

«٩٧» اسم كان يطلق قديما فى أيام الرومانيين على اقليم متسع واقع على الشاطئ الايسر لنهر الطونه و يشمل البلاد المسماة الآن رومانية وترانسلفانيا والجزء الشرقى من بلاد المجر فتحه الامبراطور الرومانى تراجان حوالى سنة ١٠٠ ميلادية ثم لما تولى الملك الامبراطور اورليان اطلق هذا الاسم على الاقليم المكون الآن للرومللى الشرقية وجزء من بلاد مقدونيه

وأرسلوا جواسيسهم الى بلاد اليونان وولايتي الفلاخ والبغدان لتهييج المسيحيين على الدولة ثم توصلت كاترينه الى ادخال هرقل ملك الكرج تحت حمايتها مقدمة لفتح بلاده نهائيا

وأخيرا في سنة ١٧٨٧ ساحت في البلاد الجنوبية وبلاد القرم بابهة واحتفال زائد حيث أقام لها القائد بوتمكين أقواس نصر كتب عليها (طريق بيزانطه) فعلمت الدولة من كل هذه الاحوال انها تقصد محاربتها ثانيا وتأكد لها هذا العزم لما تقابلت كاترينه في سياحتها هذه مع ملك بولونيا وامبراطور النمسا ولذلك أرادت هي المبادرة باعلان الحرب قبل تمام استعداد أعدائها ولايجاد سبب له ارسلت بلاغا الى سفير الروسيا بالاستانة المسيو (جولغاكوف) في صيف سنة ١٧٨٧ تطلب به منه تسليم (موروكورداتو) حاكم الفلاخ الذي كان عصى الدولة والتجأ الى الروسيا والتنازل عن حماية بلاد الكرج بما انها تحت سيادة الدولة وعزل بعض قناصلها المهيجين للاهالي وقبول قناصل للدولة في مياني البحر الاسود وان يكون لها الحق في تفتيش مراكب الروسيا التجارية التي تمر من بوغاز الاستانة للتحقق من انها لا تحمل سلاحا أو ذخائر حربية

فرفض السفير هذه الطلبات باذن دولته فاعلن الباب العالي الحرب عليها فورا وسجن سفيرها في اغسطس سنة ١٧٨٧

ولما كان الجنرال بوتمكين لم يتم معدات الحرب وقع في حيص بيص وكتب الى كاترينه يخبرها بعدم صلاحية البقاء في القرم ناصحا لها باخلائها في أقرب وقت لاسيما وان ملك السويد (جوستاف الثالث) أراد انتهاز هذه الفرصة لاسترجاع مافقدته دولته من المقاطعات والبلاد التي أخذتها منها الروسيا لكن لم تثني هذه الحوادث همة هذه الامبراطورة التي أعانتها الايام بل كتبت للجنرال بوتمكين بعدم انتظار العثمانيين والسير بكل شجاعة واقدام على مدينتي بندر واوزي فصدع بامرها وسار نحو (اوزي) فحاصرها مدة ثم دخلها عنوة في عشري ربيع الآخر سنة ١٢٠٣ ه وفي هذا الاثناء كانت النمسا أعلنت الحرب على الدولة مساعدة للروسيا وحاول

امبراطور

امبراطورها يوسف الثانى «٩٨» الاستيلاء على مدينة بلغراد فعاد بالخيبة الى مدينة تمسوار حيث اقتفى أثره الجيش العثمانى وانتصر عليه نصرا مبينا ولذلك ترك الامبراطور قيادة جيوشه الى القائد (لودن) ثم بعد ذلك بقليل توفى السلطان عبد الحميد الاول فى ١٢ رجب سنة ١٢٠٣ الموافق ٧ ابريل سنة ١٧٨٩ وخلفه

٢٨ ﴿السلطان الغازى سليم خان الثالث﴾

ابن السلطان مصطفى الثالث المولود سنة ١١٧٥ هـ وجو السياسة مكفهر ورحى الحرب دائرة بلا انقطاع فبذل جهده فى تقوية الجيوش وارسال المؤن والذخائر لكن كان اليأس قد استولى على الجنود وغادر كثير منهم مراكزهم وفى هذه السنة اتحد القائد الروسى مع قائد الجيوش النمساوية فى الاعمال الحربية وضما جيوشهما لبعضهما فاستظهرا على العثمانيين فى ٣١ يوليو وفى ٢٢ سبتمبر سنة ١٧٨٩ وكانت عاقبة ذلك ان استولى الروس على مدينة بندر الحصينة واحتلوا معظم بلاد الفلاخ والبغدان وبسارابيا ودخل النمساويون مدينة بلغراد وفتحوا بلاد الصرب وفى أول دسمبر سنة ١٧٩٠ الموافق ١٦ ربيع آخر سنة ١٢٠٥ استولى القائد سوواروف الروسى على مدينة اسماعيل عنوة وارتكب فيها من الاعمال الوحشية ما تقشعر منه الابدان فقتلوا النساء والاطفال ولما وصل خبر سقوط هذه المدينة هاج الشعب فى الاستانة ضد الغازى حسن باشا البحرى الذى كان مكلفا بحمايتها وطلبوا قتله فأمر السلطان بقتله

﴿معاهدتى زشتوى وياش وبعض اصلاحات داخلية﴾

فكانت الدولة فى خطر عظيم ولو استمر اتحاد النمسا والروسيا لفقدت أغلب أملاكها لكن من حسن حظها توفى الامبراطور يوسف الثانى فى ٢٠ فبراير سنة ١٧٩٠

«٩٨» هو ابن الامبراطورة ماريه تريزه من زوجها الدوك دى لورين الذى تسمى فيما بعد فرنسوا الاول ولد سنة ١٧٤١ وتولى سنة ١٧٦٥ لكن لم يصر ملكا حقيقيا الا بعد موت أبيه سنة ١٧٨٠ ومن ثم أخذ فى تنفيذ أفكاره فالغى استعباد الفلاحين وأبطل التعذيب وأجاز الطلاق والزواج المدنيين ومنح الحرية الدينية لجميع رعاياه رغما عن معارضة الاشراف والقسوس وسفر البابا بيوس السادس الى ويانه للحصول على ابطال التساهل فى أمر الدين وتوفى سنة ١٧٩٠ وهو أخو الملكة مارى انتوانت زوجة لويس السادس عشر ملك فرنسا التى قتلها الفرنساويون فى اكتوبر سنة ١٧٩٣ كما قتلوا زوجها وأخته اليزابيت وغيرهما أثناء الثورة

وخلفه ليو بولد الثانى «٩٩» فشغلته الثورة الفرنساوية التى قامت على الملك لويس السادس عشر «١٠٠» خوفا من امتدادها وسعت فى مصالحة الدولة بتوسط بعض الدول المعادية لفرنسا وأمضى معها فى سبتمبر سنة ١٧٩٠ شروط صلح ابتدائية صارت نهائية بمقتضى معاهدة أبرمت بينهما فى ٢٢ ذى الحجة سنة ١٢٠٥ الموافق ٤ أغسطس سنة ١٧٩١ بمدينة (سستووا) التى تسمى فى كتب الترك (زشتوى) ولم تترك الدولة بمقتضاها الامالا يذكر من بلادها بل ردت اليها النمسا بلاد الصرب ومدينة بلغراد وجميع فتوحاتها تقريبا وهذا نص معاهدة زشتوى مترجمة عن احدى المجموعات السياسية المحفوظة بالكتبخانة الخديوية

﴿معاهدة سستووا - زشتوى﴾

﴿البند الاول﴾ سيكون الصلح من الآن بين الدولة العلية وامبراطورية النمسا صلحا أبديا براو بحرا بينهما وبين متبوعيهما ومن يكون لهما حق السيادة عليهم ويكون الاتحاد بينهما فى غاية الاحكام ويمنع كل من الطرفين حصول التعدى والاهانة على الآخر ويعفو عمن اشترك فى الحرب من رعايا أحد الطرفين ضد الآخر وعلى الاخص جميع صنوف أهالى الجبل الاسود والبوسنة والصرب والافلاق والبغدان بحيث يكون لهم الحق بمقتضى هذا العفو العمومى فى الرجوع الى أوطانهم والتمتع

«٩٩» ولد هذا الامبراطور سنة ١٧٤٧ وكان أمير التسكانا بايطاليا ثم تولى الامبراطورية بعد موت أخيه يوسف الثانى سنة ١٧٩٠ وأهم أعماله اخضاع ولايتى المجر والبلاد الواطئة الى سلطته وكانتا قد أشهرتا العصيان طلبا للاستقلال ثم اتحد مع الروسيا على محاربة فرنسا وتوفى سنة ١٧٩٢ قبل اشهار الحرب وخلفه ابنه فرنسوا الثانى

«١٠٠» هو حفيد لويس الخامس عشر تولى سنة ١٧٧٤ بعد موت جده وكان ميالا للحربية الا أن ضعفه أضر به كثيرا وحارب انكلترا وساعد الامريكانيين على الاستقلال اضعافا لشوكتها ثم ابتدأت الثورة الفرنساوية سنة ١٧٨٩ ولعدم ثباته صار يتبع رأى الاعيان تارة ويميل الى رجال التهدئة تارة أخرى حتى أغضب الجميع بتردده وعدم ثباته وبعد ان اعترف بالقانون الاساسى الذى سنته جمعية النواب المملكة أراد الهروب من فرنسا والالتجاء الى الاجانب فضبط فى مدينة راقين فى ٢٠ يونيو سنة ١٧٩١ ومن ذلك الوقت توالت عليه المصائب وأهين عدة مرات ثم حصلت حادثة عشرة اغسطس سنة ١٧٩٢ التى أفضت الى اسقاط الملوكية ولما اجتمع مجلس الامة المعروف بالكونفانسيون فى ٢١ سبتمبر التالى قرر بابطال الملوكية واقامة الجمهورية ومحاكمة الملك على التجائه الى الاجانب وحبسه مدة المحاكمة هو وزوجته وولده وابنته وأخته وكثير من الاعيان وفى ١٩ يناير سنة ١٧٩٢ حكم عليه مجلس الامة بالاعدام ونفذ هذا الحكم فى ٢١ منه فقتل الملك متأسفا عليه لانه لم يكن جانيا بل أطاع زوجته عن غير ترو

بجميع

بجميع أملاكهم وحقوقهم أيا كانت بدون أن يسألوا أو يحاكموا أو يعاقبوا على عصيانهم ضد مليكهم صاحب السيادة عليهم (الخليفة الاعظم) أو لاظهار ولائهم للحكومة الامبراطورية الملوكية (النمسا)

﴿البند الثانى﴾ يتخذ كل من الطرفين العاليين المتعاقدين ما كانت عليه الحالة العمومية قبل اشهار الحرب فى ٩ فبراير سنة ١٧٨٨ أساسا للمعاهدة الحالية ولذلك فانهما يجددان ويؤيدان بتمامها مع مراعاة معناها ومبناها بغاية الضبط والدقة بدون أدنى تغيير فيها أو عمل واتيان أى أمر مناقض لما جاء بها معاهدة بلغراد الرقيمة ١٨ سبتمبر سنة ١٧٣٩ واتفاق ٥ نوفمبر من السنة المذكورة واتفاق ٢ مارث سنة ١٧٤١ المفسر لمعاهدة بلغراد واتفاق ٢٥ مايو سنة ١٧٤٧ الذى جعل الصلح المبرم فى بلغراد دائم الوجود واتفاق ٧ مايو سنة ١٧٧٥ الخاص بالتنازل عن اقليم (بوكووين) واتفاق ١٢ مايو سنة ١٧٧٦ المبين لحدود هذا الاقليم بحيث ان جميع المعاهدات والاتفاقات السالف بيانها يكون معمولا بها والاجراء على موجبها واجب الى ماشاء الله كما لو كانت مسطرة حرفيا فى هذه المعاهدة

﴿البند الثالث﴾ ان الباب العالى يجدد ويؤيد بالصفة المشروعة أعلاه السند الرقيم ٨ أغسطس سنة ١٧٨٣ التى تعهدت الدولة العلية بمقتضاه بحماية جميع المراكب الالمانية التجارية المختصة باحد ثغور ألمانيا من تعديات قراصين بلاد المغرب وباقى رعايا الدولة وان تعوض على أصحابها كل ما يعود عليهم من الضرر وكذا يجدد السند الرقيم ٢٤ فبراير سنة ١٧٨٤ الخاص بمنح تجار الحكومة الامبراطورية الملوكية حرية التجارة والملاحة فى جميع بلاد الدولة وبحارها وأنهارها وفرمان ٤ دسمبر سنة ١٧٨٨ الخاص بمرور واقامة وعودة الماشية ورعاتها من اقليم ترنسلفانيا الى ولايتى الافلاق والبغدان وجميع الفرمانات والاتفاقيات واللوائح الوزارية التى كانت معتبرة لدى الطرفين ومعمولا بها قبل ٩ فبراير سنة ١٧٨٨ لوجود الراحة واستتباب الامن على الحدود والخاصة بصالح وراحة وفائدة رعايا النمسا وتجارتهم او ملاحتها بحيث ان جميع هذه السندات والفرمانات واللوائح تكون

معمولا بها كالو كانت منسوخة حرفيا فى هذه المعاهدة

﴿البند الرابع﴾ ان الحكومة الامبراطورية الملوكية تتعهد بان ترد الى الباب العالى العثمانى جميع ما احتلته من الاقاليم والاراضى والمدن والقلاع والحصون التى احتلتها جيوش الامبراطور أثناء هذه الحرب بما فيها امارة الافلاق والاجزاء المحتلة من بلاد البغدان حتى تعود الحالة وحدود المملكتين الى ما كانت عليه يوم ٩ فبراير سنة ١٧٨٨ ولمقابلة تساهل الباب العالى واجرا آته المبنية على المحبة والعدالة بمثلها

وتتعهد الحكومة المذكورة برد القلاع والحصون بالحالة التى كانت عليها وقت احتلالها مع المدافع العثمانية التى كانت بها اذ ذاك

﴿البند الخامس﴾ أما قلعة (شوتيم) واقليمها المسمى على لسان العوام باسم (ريا) فيصير اخلاؤها وتسليمها للدولة العثمانية بالشروط السابقة المختصة بباقى القلاع لكن لا يكون تسليمها الا بعد ان يتم الصلح بينها وبين امبراطور جميع الروسية وفى الوقت الذى يعين لاخلاء جنود الروسية لما فتحته فى هذه الحروب والى هذا الوقت تبقى الجيوش الامبراطورية الملوكية محتلة لهذه القلعة واقليمها بصفة وديعة حرة بدون ان تشترك فى الحرب الحاضرة أو تقدم أى مساعدة لحكومة الروسية ضد الباب العالى العثمانى باى كيفية كانت

﴿البند السادس﴾ بعد مبادلة التصديق على هذه المعاهدة يبتدئ الفريقان فى اخلاء وتسليم ما تعاهدا باخلائه وتسليمه الى الفريق الآخر لارجاع الحدود الى ما كانت عليه فى المواعيد المحدودة بعد ثم يعين كل منهما مندوبين كما جاء فى المادة الثالثة عشرة من معاهدة بلغراد يختص بعضهم بما يتعلق بالافلاخ وأقاليم البغدان المحتلة وعليهم نهوها فى ظرف ثلاثين يوما تمضى من تاريخ التوقيع على المعاهدة ويختص الباقون لارجاع حدود البوسنة والصرب وقرية خرصو القديمة وضواحيها الى الحالة التى كانت عليها قبل ٩ فبراير سنة ١٧٨٨ ويعطى للفريق الآخر مدة شهرين من التاريخ السابق ذكره لضرورة هذا الميعاد لتدمير ما أنشئ من الاستحكامات الجديدة فى القلاع المراد ارجاعها وتسليمها فى الحالة التى كانت عليها

وقت

وقت فتحها ولنقل ما بها من المدافع والمؤن والذخائر

﴿البند السابع﴾ حيث ان الحكومة الامبراطورية الملوكية قد أخلت سبيل كل من أسر من رعايا الدولة العلية الملكيين والعسكريين فى الحرب الاخيرة وسلمتهم الى المندوبين العثمانيين فى روسجق وودين وبوسنة ولم تسلمها الحكومة العثمانية فى مقابل ذلك الارعايا الحكومة الامبراطورية وعسا كرها الذين كانوا موجودين فى السجون العمومية أو فى حوزة بعض أمراء البشناق

وحيث انه يوجد منهم عدد عظيم فى حالة الرق بالممالك المحروسة فيتعهد الباب العالى اتباعا لقاعدة ارجاع كل شئ الى ما كان عليه قبل الحرب ولمحو كل ما نشأ عنها من المصائب بان يرد الى الحكومة الامبراطورية الملوكية فى ظرف شهرين من تاريخ التوقيع على المعاهدة كل من يوجد من رعاياها فى حالة الرق أو أخذ أثناء الحرب ذكرا كان أو أنثى أيا كان سنه أو حالته وفى حوزة من كان وفى أى جهة من أملاك الدولة يكون مجانا بدون دفع فدية أو غيرها بحيث لا يوجد من الآن فصاعدا رعايا لاحد الطرفين تحت حكم الآخر الا الذين يدخلون فى الدين الاسلامى من جهة أو فى الدين المسيحى من جهة أخرى باختياره وبعد الاثبات بالطرق المقررة لمثل هذه الحالة

﴿البند الثامن﴾ ومع ذلك فان الرعايا الذين يكونون قد تركوا الدولة التابعين اليها قبل هذه الحرب أو فى أثنائها وأقاموا باراضى الدولة الاخرى ولا يزالون مقيمين بها باختيارهم لا يجوز لحاكمهم الاصلى طلبهم بل يبقون تابعين لحاكم البلاد التى هاجروا اليها ويعاملون كباقى رعاياه ومن جهة أخرى فان من يكون له عقارات فى كل من الدولتين يكون له الخيار فى الاقامة فى ظل الدولة التى يريدها بشرط أن لا يكون لهم الا حاكم واحد ولذا فيجب عليه بيع عقاراته الكائنة فى الدولة التى لا يروم البقاء تحت لوائها

﴿البند التاسع﴾ قد تعاهد الفريقان المتعاقدان رغبة منهما فى احياء التجارة التى هى ثمرة السلم فى أقرب وقت وفى معاملة التجار الذين لا تخفى منفعتهم على العمران بقاعدة ارجاع كل شئ لاصله المقررة فى البندين الثانى والثالث على ان لا يلحق برعاياهما ضرر بسبب هذه الحرب بل يكون لهم الحق فى العودة الى أعمالهم فى

فى النقطة التى كانت عليها وقت اعلان الحرب والتمسك بمالهم من الحقوق والطلبات السابقة للحرب أيا كانت والمحافظة على ديونهم ومطالبة مديونيهم والمطالبة بالتعويضات التى تستحق لهم بسبب عدم دفع بعض ديونهم أو الضرر الذى لحق بهم عند اعلان الحرب خلافا لما جاء بالمادة السابعة عشرة من معاهدة بلغراد والثامنة عشرة من معاهدة بسارونتش التجارية وان يستعينوا فى جميع الاعمال بالمحاكم والحكومات المختصة وعليها ان تنصفهم بالسرعة وبدون محاباة وبدون ان تعتبر مدة الحرب وجها شرعيا لرد طلباتهم

﴿البند العاشر﴾ تعطى الاوامر المشددة الصارمة فى أقرب وقت الى حكام وولاة الدولتين المتعاقدتين العاملين على المقاطعات الواقعة على تخوم الدولتين باعادة السكينة والطمأنينة العمومية ومراعاة حقوق الجوار على جميع الحدود واحترام ماوضعته لجان التحديد من الحدود وعدم تعديها وارتكاب السلب والنهب فيما وراءها والتعويض عما ينشأ عنهامن الضرر ومجازاة المخالفين لذلك والمذنبين بنسبة ذنوبهم وجرائمهم مع مراعاة القواعد والمبادى المقررة لذلك فى المعاهدات والاتفاقات السابقة بين الطرفين المتعاقدين وبالاختصار ترسل اليهم الاوامر بارجاع الحالة الى ما كانت عليه من النظام والهدو قبل الحرب وجعلهم مسؤلين عن جميع ذلك شخصيا

﴿البند الحادى عشر﴾ ويصير التنبيه أيضا على الولاة المذكورين والتأكيد عليهم بحماية رعايا الطرف الآخر الذين تضطرهم تجارتهم أو أشغالهم الى اجتياز الحدود أو السفر فى داخل الولايات وأن يساعدوهم على السفر فى الانهر ذهابا وايابا بكمال الحرية مراعين وملزمين غيرهم بمراعاة واجبات الوفادة والضيافة وجميع بنود ومواد المعاهدات والاتفاقات وغيرها المؤيدة فى البندين الثانى والثالث من هذه المعاهدة بدون ان يطلبوا أو يدعوا لاى أحد ان يطلب منهم أى مكوس أو ضرائب أخرى على أشخاصهم أو بضائعهم غير المحددة فى المعاهدات المذكورة

﴿البند الثانى عشر﴾ اما بخصوص اجراء أصول الدين الكاتوليكى المسيحى فى الدولة العثمانية وحرية قسوسه والمتمسكين به وحفظ واصلاح كنائسه وحرية التعبد

والمتعبدين

والمتعبدين والتردد على الاماكن المقدسة باورشليم وغيرها وحماية هذه الاماكن والمح اليها فان الباب العالى السلطانى يجدد ويؤيد تبعا القاعدة ارجاع كل أمر الى ما كان عليه جميع الامتيازات الممنوحة للدين الكاثوليكى بمقتضى البند التاسع من المعاهدة السابقة وبمقتضى جميع الفرمانات والاوامر الاخرى الصادرة من بادئ أمره

﴿البند الثالث عشر﴾ يرسل كل من الطرفين الى الطرف الآخر سفراء من الدرجة الثالثة لمناسبة هذا الصلح وعند تبليغ تولى جلالة ملوك الدولتين على كرسى أجدادهم ويصير مقابلة هؤلاء السفراء على حسب الرسوم المتبعة وبالابهة والاعتبار والمعاملة التى كانت حاصلة قبل الحرب ويكون لهم حق التمتع بما يخوله لهم قانون الملل وبالامتيازات المرتبطة بوظيفتهم بمقتضى المعاهدات السابقة ويكون الحال كذلك للسفراء المعينين الآن لدى الباب العالى العثمانى ومن يخلفهم مع مراعاة اختلاف درجاتهم ورتبهم وبالنسبة لجميع الموظفين المعينين معهم وتابعيهم وخدامهم ومساكنهم وبما أن كثيرا من السعاة المكلفين بحمل الرسائل والمكاتبات من والى الحكومة الامبراطورية الملوكية صار التعدى عليهم وسلب مامعهم قبل الحرب فالباب العالى العثمانى لا يترك أى طريقة للتعويض عليهم كما انه سيتخذ الاحتياطات القوية الضامنة لذهاب هؤلاء السعاة وايابهم تحت حمايته بكل طمأنينة

﴿البند الرابع عشر﴾ قد صار تحرير نسختين من هذه المعاهدة مطابقتين لبعضهما احداهما باللغة الفرنساوية التى استعملت لسهولة التفاهم ويصير التوقيع عليها من مندوبى ملك النمسا وامبراطور النمسا والثانية باللغة التركية ويصير امضاؤها من مندوبى جلالة السلطان الاعظم ثم يصير مبادلتهما بمعرفة وكلاء الدول المتوسطة وارسالهما الى الطرفين العاليين المتعاقدين وبعد امضائهما بثلاثين يوما أو أقل ان أمكن يصير تبادل براءة اعتمادهما المحلاة بامضاء جلالة الملكين الافخمين بواسطة سفراء الدول المتوسطة وتسليمها الى مندوبى المتعاقدين مرفقة بصور المعاهدات والاتفاقات والاوراق التى تجددت وتأيدت وصارت أبدية الوجود بمقتضى هذه

المعاهدة مصدقا عليها بانها طبق الاصل اهـ

وبعد انتهاء هذه المعاهدة سافر مندوب الدولة الى مدينة ياش ببلاد البغدان للمخابرة مع الروسيا للمصالحة معها أيضا بتوسط انكلترا والبروسيا وهولاندا وبعد مخابرات ومجادلات طويلة تم الصلح بين الطرفين فى ١٥ جمادى الاولى سنة ١٢٠٦ الموافق ٩ يناير سنة ١٧٩٢ على ان تمتلك الروسيا بلاد القرم نهائيا وجزءا من بلاد القوبان وبسارابيا والاقاليم الواقعة بين نهرى بوج ودينستر وصار هذا النهر الاخير فاصلا بين المملكتين وعن مدينة اوزى (اوتشاكوف)

وبعد تمام الصلح مع النمسا والروسيا أخذت الدولة فى اصلاح داخليتها وخصوصا العسكرية والبحرية فعين أحد المتقربين من الذات السلطانية واسمه كوجك حسين باشا قبودانا عاما وكان من الشبان الاذكياء الذين درسوا أحوال أوروبا ووقفوا على دخائل سياستها حتى وثق به السلطان وثوقا تاما وزوجه احدى أخواته فبذل جهده فى مطاردة قراصين البحر لتسهيل سبيل التجارة وشمر عن ساعد الجد فى اصلاح الثغور وبناء القلاع الحصينة لحمايتها ثم أنشأ عدة مراكب حربية على شاكلة أحدث المراكب الفرنساوية والانكليزية واستحضر عددا عظيما من مهرة المهندسين من السويد وفرنسا لصب المدافع فى معامل الطوبخانة العامرة وأصلح مدرسة البحرية ومدرسة الطوبجية التى أسسها البارون دى توت المجرى وترجم لتلامذتها مؤلفات المعلم فوبان الفرنساوى فى فن الاستحكامات وأضاف الى مدرسة الطوبجية مكتبة جمع فيها أهم ما كتب فى الفنون الحربية الحديثة والرياضيات لتكون التلامذة على اطلاع تام فى كل ما يختص بترقية شأن الطوبجية ثم وضع نظاما للجنود المشاة وشرع فى تنسيق فرق جديدة وتدريبها على النظام الاوروبى فانشأ أول فرقة منتظمة فى سنة ١٧٩٦ وجعل عددها ١٦٠٠ جندى تحت قيادة ضابط انكليزى دخل فى الدين الاسلامى وسمى انكليز مصطفى وكان القصد من ترتيب العساكر النظامية الاستغناء بهم عن جنود الانكشارية الذين صاروا عالة على الدولة ومن عوامل تأخرها بعد ان كانوا أهم عوامل تقدمها وقت الفتوحات المستمرة التى كانوا يعودون منها بكثير من الغنائم حتى اعتادوا النهب وصاروا لا لم

يجدوا بلادا مفتتحة حديثا السلب أهاليها يتعدون على أهالى الاستانة والعواصم الاخرى بالسلب والنهب وغير ذلك فضلا عن عصيانهم المرة بعد الاخرى وعزلهم الصدور والوزراء وتعديهم على السلاطين بالعزل أو القتل لما يرون منهم معارضا لفسادهم أو ضعفا على معاقبتهم

هذا وقد كانت الدولة فى أشد الحاجة والافتقار لهذه الاصلاحات الداخلية فان روابط الولاء بين الولاة والعاصمة كانت ضعفت وسعى كل فى الاستقلال أو فى عدم دفع الاموال الاميرية الى الخزينة السلطانية مع نضوبها بسبب الحروب واغتيالها لانفسهم واستبد المماليك بمصر برئاسة الامراء المصرية وأشهرهم مراد بك وابراهيم بك وعثمان بك البرديسى وغيرهم مما هو مذكور تفصيلا فى تاريخ الجبرتى

﴿بازونداوغلى واستيلاء الفرنساويين على مصر﴾

وكذلك ظهرت فى هذه الاثناء فتنة عثمان باشا والى ودين الملقب بازونداوغلى ﴿١٠١﴾ وانضمام كثير من أهالى الصرب اليه واستظهاره على جنود الدولة التى أرسلت لاقماعه وأخيرا سافر اليه كوجك حسين باشا بنفسه وبعد عدة مناوشات كان الحرب فيها سجالا بينهما خشى هذا الوزير من دسائس أرباب الغايات ان تعصى كافة ايالات البلقان فتدارك الامر ومنح بازونداوغلى ولاية ودين طول حياته وبذلك خمدت الفتنة سنة ١٢١٢ الموافقة سنة ١٧٩٦

وفى سنة ١٢١٣ الموافقة سنة ١٧٩٨ أمرت الجمهورية الفرنساوية بونابرت ﴿١٠٢﴾

﴿١٠١﴾ قال جودت باشا فى تاريخه ان هذا الاسم أصله باسبان وحرف فى الاستعمال فصار بازونه

﴿١٠٢﴾ ولد هذا الرجل الشهير فى ١٥ أغسطس سنة ١٧٦٩ بمدينة اجاكسيو بجزيرة كورسيكا ثم دخل المدارس الحربيه وترقى الى وظيفة ملازم ثانى طوبجى سنة ١٧٨٥ واشتهر فى استخلاص مدينة طولون من قبضة الانكليز ثم عين قائدا عاما للجيش المحارب فى ايطاليا سنة ١٧٩٦ وبعد ان قهر الجيوش النمساويه عاد الى باريس حيث كلف بفتح مصر ولما أتم مأموريته عاد الى فرنسا لتتميم نواياه فى أغسطس سنة ١٧٩٩ وتولى بها قيادة جميع الجيوش وعين بعد قليل رئيسا للحكومة قنصل وفى ١٨ مايو سنة ١٨٠٤ نودى به امبراطورا على فرنسا باسم نابليون الاول وفى ٢ دسمبر من السنة المذكورة أتى البابا بيوس السابع الى مدينة باريس وتوجه بيده فى حفلة عموميه وقهر جيوش أوروبا التى تألبت عليه عدة مرات وانهزم أخيرا فى سنة ١٨١٤ واستعفى فى ١١ ابريل وسافر الى جزيرة البه التى عينت منفى له بجوار ايطاليا ولم يلبث ان عاد منها ونزل بخليج جوان بجنوب فرنسا فى أول مارث سنة ١٨١٥ فتألبت عليه الدول أجمع وقهرته فى واقعة وترلو ببلاد البلجيك فى ١٨ يونيو سنه ١٨١٥ وأرسل أسيرا الى جزيرة سانت هيلانه احدى جزائر افريقيا التابعة للانكليز وتوفى بها فى ٥ مايو سنة ١٨٢١ ودفن فيها ثم نقلت جثته الى باريس فى سنة ١٨٤٠ ودفنت بسراى الانفاليد

القائد الشهير بالسير الى مصر لفتحها بغير اعلان حرب على الدولة العلية وأوصته بكتمان هذا الامر حتى لا تعلم به انكلترا فتسعى فى احباطه مع ان القصد منه لم يكن الا منع مرور تجارة الانكليز من مصر الى الهند وبالعكس فجهز فى مدينة طولون جيشا مؤلفا من ٣٦ ألف مقاتل أغلبهم من العساكر المدربين فى الحروب التى جرت بين فرنسا وايطاليا وانتهت بمعاهدة كامبوفورميو وعشرة آلاف بحرى تحملهم دوننامة مركبة من ٣٠ سفينة حربية و٧٢ قراويت و٤٠٠ مركب حمل وأضاف الى جيشه ١٢٢ عالما على اختلاف العلوم والمعارف لدرس القطر المصرى والبحث عما يلزم لاصلاحه واستغلاله

وفى ١٩ مايو سنة ١٧٩٨ رحل بونابرت بهذا الجيش بدون أن يعلم أحدا بوجهته فوصل جزيرة مالطه فى ١٠ يوليو واحتلها بعد ان دافع من فيها من رهبان القديس حنا الاورشليمى وفى ٢ يوليو وصل أمام مدينة الاسكندرية وأنزل عساكره على بعد أربع فراسخ منها وبعد ان دخلها عنوة ترك بها القائد كليبر وسار هو قاصدا مدينة القاهرة عن طريق الصحراء الممتدة غرب فرع رشيد فقابله مراد بيك بشرذمة من المماليك عند مدينة شبراخيت بالبحيرة فى ١٣ منه فهزمه وواصل السير حتى وصل الى مدينة انبابة مقابل القاهرة وحصلت بينه وبين ابراهيم بيك ومراد بيك أمراء المماليك واقعة الاهرام الشهيرة فى ٢١ يوليو التى أظهر فيها المماليك من الشجاعة ما أدهش الفرنساويين وبعد ان بذلوا وسعهم فى الدفاع عن مصر لا أقول بلادهم بل غنيمتهم تقهقروا أمام المدافع الفرنساوية فدخل بونابرت وجيوشه مدينة القاهرة بعد ان أعلن بها انه لم يأت لفتح مصر بل انه حليف الباب العالى أتى لتوطيد سلطته ومحاربة المماليك العاصين أوامره (تأمل)

وأرسل القائد (دسكس) الى الصعيد لاقتفاء أثر مراد بيك وتتبعه حتى وصل جزيرة فيله (قصر أنس الوجود) فى ٣ مارث سنة ١٧٩٩ ووجه فرقة أخرى احتلت مدينة القصير على البحر الاحمر فى ٢٩ مايو من السنة المذكورة وبذلك صار القطر المصرى من البحر الابيض المتوسط الى أقاصى الصعيد فى قبضته فأسس المجلس العلمى للبحث عما يجعل احتلاله بوادى النيل دائما

لكن لم يلبث ان وصله خبر واقعة أبي قير البحرية التي دمر فيها نلسن (١٠٣) أمير البحر الانكليزي الشهير جميع المراكب والسفن الحربية الفرنساوية في أول أغسطس سنة ١٧٩٨ وتسلطن الانكليز على البحر المتوسط وقطع المواصلات بينه وبين فرنسا وذلك ان وقت خروج المراكب الفرنساوية من طولون كان نلسن المذكور يحاصر مدينة قادس باسبانيا فترك الحصار وأخذ يبحث عن الدونانمة الفرنساوية فلم يعثر عليها الا بعد ان احتلت جزيرة مالطه ومدينة الاسكندرية كما سبق ولما علمت الدولة العلية باحتلال الفرنساويين القطر المصري أخذت في الاستعداد لمحاربتهم لاسيما وانها كانت مطمئنة البال هادئة البلبال من جهة النمسا والروسيا اللتين كانتا مشتغلتين بمحاربة الجمهورية الفرنساوية خوفا من امتداد مبادئها الحرة الى بلادهما فتثل عرشهما كما حصل للويس السادس عشر ملك فرنسا ومن جهة أخرى عرضت عليها الدولة الانكليزية مساعدتها على اخراج الفرنساويين من مصر لا رغبة في حفظ أملاك الدولة بل خوفا على طريق الهند من أن تكون في قبضة دولة قوية يمكنها عدا كستها فقبلت الدولة العلية مساعدتها بكل ارتياح وكذلك عرضت عليها الروسيا امدادها بمراكبها الحربية وانضمام دونانمتها الى الدونانمتين العثمانية والانكليزية فقبلت أيضا وأعلنت الحرب رسميا على فرنسا في ٢١ ربيع الاول سنة ١٢١٣ هـ وأخذت في جمع الجيوش بمدينة دمشق وبجزيرة رودس لارسالها لمصر وأتت الدونانمة الروسية من البحر الاسود الى بوغاز الاستانة وخرجت الى البحر الابيض مع الدونانمة العثمانية وذلك بمقتضى معاهدة أبرمت بين هذه الدول الثلاث التي اتفقت لاول مرة على عمل حربي مع ما بين الدولة العلية والروسية من العداوة القديمة المستمرة

ولما شعر بونابرت باجتماع الجيوش لمحاربته تحقق انه ان لم يفاجئ الدولة العلية في

(١٠٣) ولد هذا الاميرال سنة ١٧٥٨ ودخل البحرية وسنه ١٢ سنة وامتاز بين أقرانه وتقدم بسرعة حتى عين وكيل اميرال في سنة ١٧٩٧ وفي سنة ١٧٩٨ حاول الاستيلاء على جزيرة تنريف احدى جزائر كناريا التابعة لاسبانيا فلم ينجح وتبع الدونانمة الفرنساوية حتى أحرقها في أبي قير وفي ٢١ اكتوبر سنة ١٨٠٥ قابل دونانمتي فرنسا واسبانيا بالقرب من رأس الطرف الاغر المشهور بترافلجار فحاربهما وانتصر عليهما وقتل في هذه الواقعة ونقلت جثته الى لوندره ودفنت في كنيسة وستمنستر المعدة لدفن ملوك انكلترا ومشاهير رجالها

فى بلاد الشام قبل ان تتم استعداداتها الحربية تكون عواقب الحرب وخيمة عليه وان من يحتل مصر لا يكون آمنا عليها الا اذا احتل القطر السورى فلهذه الدواعى عزم بونابرت على فتح بلاد الشام فقام من مصر فى ١٠ فبراير سنة ١٧٩٩ ومعه ثلاثة عشر ألف مقاتل قاصدا بلاد الشام من طريق العريش فاحتلها فى أواخر شعبان سنة ١٢١٣ ثم دخل مدينة غزة فى ١٩ رمضان وارتحل عنها فى ٢٣ منه ووصل الرملة فى ٢٥ منه ومنها الى يافة فوصلها فى ستة وعشرين رمضان الموافق ٧ مارث ولما آنس منها المقاومة حاصرها ودخلها عنوة فى يوم أول شوال الموافق ١٢ مارث ثم رحل منها قاصدا مدينة عكا وقبل مزاولته ليافا ارتكب أمرا شنيعا لم يسبق فى التاريخ وهو أمره بقتل جميع الجرحى والمرضى من عساكره حتى لا يعوقوه فى سيره ثم حاصر مدينة عكا من جهة البر وهاجمها مرارا لكن لم يتمكن من فتحها لوصول المدد اليها تباعا من طريق البحر واستيلاء الاميرال الانكليزى (سدنى سميث)(١٠٤) على مدافع الحصار التى أرسلها من مصر لاطلاقها على الاسوار ولتيقظ أحمد باشا الجزار قائد حاميتها بافساد الالغام التى ينشئها الفرنساويون لنسفها وفى أوائل ابريل بلغه تحرك جيش دمشق العثمانى لانجاد مدينة عكا فارسل القائد كليبر مع فرقة من الجيش لمحاربته ومنعه من الوصول اليها فالتقى هذا القائد بالعثمانيين عند جبل طابور وأحاطوا به احاطة السوار بالمعصم وكادوا يفوزون عليه لولا مجىء بونابرت اليه بثلاثة آلاف مقاتل ومهاجمته لهم من الخلف فتفرق الجيش العثمانى فى ١٦ ابريل ثم عاد بونابرت الى عكا فوصله خبر تقدم الجيش المجتمع فى جزيرة رودس فقطع بعدم النجاح وعاد بمن بقى من جيوشه الى القاهرة ودخلها فى ٢١ مايو من السنة المذكورة

وفى يوليو نزل جيش رودس العثمانى بابى قير وتحصن بها وكان يبلغ عدده ١٨ ألف مقاتل فسار بونابرت من القاهرة لمحاربتهم فتغلب عليهم والتجا من لم يقتل منهم

(١٠٤) اميرال انكليزى ولد سنة ١٧٦٤ وتوفى سنة ١٨٤٠ كلفه الاميرال هودجين عندما كان محتلا المدينة طولون بحرق المونانة الفرنساوية فحرقها فى سنة ١٧٩٣ ثم أخذ أسيرا فى فرنسا وبقى بها سنتين مسجونا بسجن التامبل بباريس ثم هرب فساعد على الدفاع عن مدينة عكا وعين أميرالا سنة ١٨٢١ ثم اعتزل الاعمال وقضى باقى عمره فى تأسيس ومساعدة الاعمال الخيرية

الى المراكب فى ٢٤ صفر سنة ١٢١٤ الموافق ٢٥ يوليو وأسر قائدهم الاكبر مصطفى باشا وكثيرا من الجنود .

وفى ٢٢ أغسطس سافر بونابرت من الاسكندرية قاصدا فرنسا خفية مع بعض قواده حتى لا يضبطه الانكليز القاطعون بمراكبهم سبل البحر الابيض على الفرنساويين وذلك ان الاميرال الانكليزى أرسل اليه عدة نسخ من الجرائد الفرنساوية المذكور بها خبر تغلب النمسا وبين على فرنسا ووقوع الفوضى فى داخليتها فأراد بونابرت الرجوع اليها لاستمالة الخواطر اليه وتأليف حزب يعضده فى الوصول الى غرضه وهو ان يعين رئيسا للجمهورية أو أكثر من ذلك خصوصا وقد نال اسما عظيما فى محاربات ايطاليا والنمسا قبل مجيئه لمصر وحاز فخرا أثيلا بسبب فتحه وادى النيل فغادره تاركا القائد (كليبر) وكيلا عنه ويقال انه أذنه باخلاء القطر لو رأى تغلب القوى الخارجية عليه لعدم امكان مساعدته بالمال أو الرجال نظرا لوجود السفن الانكليزية تشق عباب البحر الابيض طولا وعرضا فبقى الجيش الفرنساوى بمصر بدون مراكب تحميه من نزول الانكليز والعثمانيين الى الثغور أو تأتى اليه بالمدد أو بمجرد الاخبار من فرنسا ونقص عدده الى خمسة عشر ألفا بعد من مات ببر الشام بالطاعون والحرب وظاهر ان هذا العدد غير كاف لحماية السواحل وحفظ طريق الصالحية والمحافظة على الأمن فى الداخل ولذلك يئس القائد كليبر من حفظ مصر واتفق مع الباب العالى والاميرال سيدنى سميث فى ٢٤ ينايرسنة ١٨٠٠ على ان تنسحب العساكر الفرنساوية بسلاحها ومدافعها وترجع الى فرنسا على مراكب انكليزية لكن بعد ان ابتدأ الفرنساويون فى اخلاء القلاع أرسل الاميرال كيث الانكليزى الى كليبر يخبره ان الحكومة الانكليزية لم تقبل هذا الاتفاق الا اذا ألقى الفرنساويون سلاحهم بين أيادى الانكليز فاغتاظ القائد الفرنساوى لذلك وسار لمحاربة الجيش التركى الذى أتى الى مصر تحت قيادة الوزير يوسف باشا لاستلامها من الفرنساويين فتقابل الجيشان عند المطرية فى ٢٣ شوال سنة ١٢١٤ الموافق ٢٤ مارث سنة ١٨٠٠ وبعد محاربة عنيفة فاز كليبر بالنصر وعاد الى القاهرة فوجدها فى قبضة ابراهيم بيك أحد الامراء المصرية وكان دخلها حال

اشتغال الفرنساويين بالمحاربة فاطلق القنابل عليها وخرب منها جزءاً عظيما واستمر الحرب فى شوارعها نحو العشرة أيام مما هو مذكور فى تاريخ الجبرتى تفصيلا عند ذكر حوادث الشهر المذكور (راجع جزء ثالث صحيفة ٩٠ ومابعدها)

وبعد ذلك ساد الأمن بالقاهرة وفى ١٤ يوليو سنة ١٨٠٠ الموافق ٢١ محرم سنة ١٢١٥ قتل شخص حلبى اسمه سليمان القائد كليبر فى بستان سراى الالفى بالازبكية وهرب فبحثوا عليه حتى وجدوه مختفيا ببستان مجاور للبستان الذى حصل فيه القتل فضبطوه وبعد تحقيق طويل قتلوه هو ورفاقه ثلاثة اتهموا معه فى القتل

وبعد دفن القائد كليبر عين مكانه الجنرال (منو) وكان قد اعتنق الدين الاسلامى وتسمى عبد الله منو

ولما علم الانكليز والعثمانيون بموت كليبر وخروج بونابرت ومعه أمهر القواد من مصر أيقنوا بالغلبة عليهم وأنزلوا بابى قير ثلاثين ألف مقاتل تحت قيادة الجنرال (ابركرومبى) فى أوائل سنة ١٨٠١ فسار القائد منو لمحاربتهم فانهزم أمامهم فى ٢١ مارث ورجع الى مدينة الاسكندرية ليتحصن بها فقطع الانكليز سد أبى قير المانع لمياه البحر الابيض من الاغارة على أرض مصر حتى يحصر القائد منو وجيوشه فى الاسكندرية غير مبالين بما ينجم عن قطع هذا السد من الخراب والدمار لجزء ليس بقليل من الوجه البحرى

ثم سار الانكليز والاتراك الى القاهرة عن طريق الصالحية وحصروا من بقى بها من الفرنساويين ولتحقق القائد (بليار) ان لامناص له من التسليم خابر القائدين العثمانى والانكليزى وطلب منهما الخلاء وادى النيل بالشروط السابق تدوينها باتفاق العريش فى ٢٤ ينايرسنة ١٨٠٠ فقبلا منه وأمضيا معه اتفاقا بذلك فى ١٦ صفر سنة ١٢١٦ الموافق ٢٧ يونيه سنة ١٨٠١

فأخلى المدينة فى ٢٨ صفر من السنة المذكورة وخرج منها بجميع أسلحته ومدافعه ومهماته

وبعد ان أقام وافى بالجزيرة أربعة أيام سار والى ثغر رشيد تتبعهم فرق من الجنود الاسلامية والانكليزية لمنع تعرض الاهالى لهم وفى أواخر ربيع الاول أبحروا من

رشيد على مراكب انكليزية

أما القائد منو فبقي محصورا في الاسكندرية ولم يقبل التسليم الا في أواخر ربيع الآخر سنة ١٢١٦ الموافق ٢ من شهر سبتمبر سنة ١٨٠١ بعد ان وقعت بينه وبين العثمانيين والانكليز موقعة عظيمة قتل فيها كثير من الطرفين فخرج منها مع من بقي معه وسافر الى بلاده على مراكب الانكليز وبذلك انتهت الحرب ورجعت البلاد الى حاكمها الشرعي ومالكها الاصلي وخليفة رسول رب العالمين بعد ان وطئ هامتها الاجنبي وارتكب فيها من الاعمال ما يضيق نطاق هذا الكتاب عن وصفه نسأله تعالى أن يمن عليها بالتخلص من الاجانب المحتلين لها الآن عسكريا ومدنيا كما حررها من ربقة الفرنساويين (مصر كنانة الله في أرضه من أرادها بسوء أهلكه الله) انه هو السميع المجيب

وبعد ذلك تخابر بونابرت الذي كان تعين رئيسا للجمهورية الفرنساوية بلقب قنصل مع سفير الدولة العلية المدعو أسعد أفندي وأظهر له ضرر اتحاد الدولة مع الروسيا وانكلترا خصوصا وان الروسيا قد احتلت جزائر اليونان الواقعة ما بين جنوب ايطاليا وبحيث جزيرة موره وجنود انكلترا باقية بمصر مماطلة في اخلائها هي وما احتلته من ثغور الشام وأخيرا أقنعه بوجوب تجديد العلاقات الودية مع فرنسا فكاتب السفير العثماني دولته بذلك وبعد الحصول منها على الاذن أمضى مع بونابرت مشروع معاهدة بتاريخ أول جمادى الآخرة سنة ١٢١٦ الموافق ٩ اكتوبر سنة ١٨٠١ و ١٧ فنديميير من العام العاشر للجمهورية الفرنساوية أساسها اخلاء مصر وتأييد امتيازات فرنسا السابقة في الشرق وهذا نصها نقلا عن قاموس فيليب جلاد

﴿البند الاول﴾ ينعقد السلم والولاء فيما بين الجمهورية الفرنساوية والباب العالي فيزول بناء على ذلك ما كان بينهما من العدوان ابتداء من اليوم الذي تبادل فيه التصديقات على هذه البنود الابتدائية وبعد ان تجري مبادلة التصديق تجلى في الحال العساكر الفرنسوية عن مملكة مصر وترد المملكة المذكورة الى الباب العالي

المحفوظة أراضيه وممالكه له بالتمام والكمال كما كانت قبل الحرب الحالية على انه من المقرر ان كل مايسمح به من الامتيازات فى الممالك المصرية لسائر الممالك الاجنبية بعد انجلاء الفرنسويين عنها يكون مسموحا به للفرنسويين أيضا .

﴿البند الثانى﴾ تعترف جمهورية فرنسا بتشكيل جمهورية السبع جزائر و بلاد البندقية السابقة وتكفل استمراره ويقبل الباب العالى كفالة فرنسا وروسيا بذلك

﴿البند الثالث﴾ ستتفق الجمهورية الفرنسوية والباب العالى العثمانى على تعيين طريقة نهائية تختص باموال رعاياهما وأمتعتهما التى حجزت أو أخذت مصادرة أثناء الحرب و يطلق سراح الوكلاء السياسيين والوكلاء التجاريين والاسرى على اختلاف درجاتهم حال حصول التصديق على هذه البنود الابتدائية .

﴿البند الرابع﴾ ان المعاهدات الكائنة فيما بين فرنسا والباب العالى حتى قبل الحرب الحاضرة تجددت بتمامها و بناء على ذلك حق لجمهورية فرنسا ان تتمتع فى كافة انحاء الممالك العثمانية بجميع الحقوق التجارية وحقوق الملاحة التى كانت متمتعة بها قبلا أو سيتمتع بها غيرها من الدول الاكثر تفضيلا فى مستقبل الايام

وتبادل التصديقات على هذه البنود فى ظرف ثمانين يوما وحرر عن باريس فى ١٧ فندميار من العام العاشر لجمهورية فرنسا الموافق يوم غرة جمادى الآخرة سنة ١٢١٦

وعقب ذلك أبرم بونابرت مع عامل الجزائر معاهدة بتاريخ ١٧ دسمبر سنة ١٨٠١ وأخرى مع تونس بتاريخ ٢٣ فبراير سنة ١٨٠٢ قاضيتين باحترام سفن فرنسا التجارية كما كان فى زمن السلطان سليمان القانونى .

ولما دارت المخابرات بين فرنسا وانكلترا للوصول الى مصالحة اميان ﴿١٠٥﴾ أرادت

﴿١٠٥﴾ مدينة شهيرة بشمال فرنسا تبعد عن باريس بمسافة ١٣٢ كيلومترو يبلغ عدد سكانها ثمانين ألفا من النفوس و بها معامل كثيرة لغزل القطن وحياكته وكثير من المدارس الابتدائية والتجهيزية ومدرسة تجهيزية للطب والصيدلية و بها مكتبة عمومية بلغ عدد ما بها من الكتب فى السنة الاخيرة ستين ألف مجلد و بها أيضا محكمة ابتدائية وأخرى استئنافية وفى ٢٥ مارث سنة ١٨٠٢ أمضيت بها معاهدة بين فرنسا وانكلترا وهولاندا واسبانيا ملخصها ان حفظت فرنسا جميع فتوحاتها ماعدا مدينتى رومة ونابولى وجزيرة البه وردت انكلترا ما أخذته من المستعمرات من اسبانيا وهولاندا وفرنسا ماعدا جزيرة سيلان بجنوب الهند وجزيرة ترينيتى بامريكا الوسطى

انكلترا الدخال الباب العالى فيها حتى تثبت اشترا كها وتحالفها معها بصفة دولية فلم تقبل الدولة ولا فرنسا بذلك وأصر بونابرت على الاتفاق مع الدولة رأساوتم الاتفاق بينهما فى ٢٥ يونيه سنة ١٨٠٢ على ان ترجع مصر الى الدولة مع كافة ما كان لها من الحقوق وان يقام فى جزائر اليونان جمهورية مستقلة تحت حماية الباب العالى (وكان ذلك بالاتفاق مع الروسيا) وتعهدت الدولة العلية بردما صودر من أملاك الفرنساويين ببلادها ومنح فرنسا جميع امتيازاتها السابقة المضمونة لها بمعاهدة سنة ١٧٤٠ وان يكون لمراكبها التجارية حق الملاحة فى البحر الاسود اسوة بمراكب الروسيا وبعد ذلك أجلت انكلترا جيوشها عن مصر والاسكندرية فى ذى القعدة سنة ١٢١٧ الموافقة سنة ١٨٠٣

هذا وفى هذا الاثناء حصلت فى داخلية الدولة بعض اضطرابات بسبب شروع السلطان سليم الثالث فى تنظيم الجيوش على النظام الجديد فان الانكشارية لم ينظروا الى هذه الاصلاحات العسكرية بعين الارتياح لخوفهم من ان تكون مقدمة لالغاء وجاقاتهم فلما مات الجنرال دوبايت الفرنساوى الذى كان استحضر لتدريب النظام فى سنة ١٧٩٧ سعى الانكشارية مع بعض العلماء المغايرين لكل أمر مستحدث بدون نظر الى مايجره من النفع لدى جلالة السلطان وتحصلوا على لغو الفرق المنتظمة فاخذ القبودان كوجك حسين باشا نحو ٦٠٠ منهم وشكلهم الى هيئة أورطه منظمة على نفقته الخصوصية وأجزل اليهم الهبات حتى أتى الشبان للانضمام اليها باختيارهم وأخذ الانكشارية يقفون امام سراية وقت تعليم العساكر ويهزؤن بهم تارة ويهددونهم أخرى وحسين باشا لا يعبأ بهم بل جد فى طريقه وسار فى مشروعه ولما سار بونابرت من مصر الى الشام سافر هو الى عكا مع فرقته فكانت العساكر النظامية فى مقدمة المدافعين ومن أشدهم بأساعلى جيوش الفرنساويين ولما عادوا من مدينة عكا تخفق عليهم رايات النصر أمر السلطان ان تكون نفقتهم على الحكومة وان يزاد عددهم لما تحققه جلالته من فائدة النظام فى الجندية بأزاء جيوش أوروبا المنتظمة ثم انتهز فرصة وجود أ كبر قواد الانكشارية بمصر لمحاربة الفرنساويين وأصدر أمرا

ساميا (خط شريف) قاضيا بفصل المدفعية عن الانكشارية وتنظيمها على الطراز الاوروبي وكذلك البحرية وبانشاء اورطتين سواري وآلايين مشاة منتظمين ويكون مقرهم في الاستانة وان يكون لكل منهم موسيقى عسكرية وامام لتعليم الدين واقامة الصلاة وان يبني قشلاقان أحدهما باسكدار والآخر بييوكدره وأن يخصص للصرف عليهم جميع الاقطاعات العسكرية التي تنحل بموت أصحابها وتعود للحكومة ثم أصدر أوامره الى عبد الرحمن باشا والي بلاد القرمان بتأليف عدة آلايات وتدريبها على النظام الجديد فصدع بالامر بكل اهتمام حتى لم تمض ثلاث سنوات الا وقد تم تنظيم ثمانية آلايات كاملة العدد والعدد

﴿الفتن الداخلية وبيان أسبابها مقابلة الانكشارية﴾

﴿للنظام العسكري الجديد﴾

ولنأت هنا على تلخيص ما كان واقعا ببلاد الصرب والارنؤد من الفتن ليكون القارئ مطلعا على حالة الدولة الداخلية وما بها من موجبات التقهقر التي أساسها الاصلي عدم السعي وقت الفتح في محو عصبيات الامم المختلفة بعد الاستيلاء عليها ببذل الجهد في اضعاف ثم تلاشي لغتهم وعوائدهم حتى يصير الكل أمة واحدة عثمانية فنقول لما فتحت بلاد الصرب نهائيا بعد واقعة (قوص اوه) الشهيرة أعطيت كافة أراضيها اقطاعات الى الفرسان العثمانية (سپاه) أي انها تبقى تحت يد ملاكها الاصليين المسيحيين بشرط دفع جعل أو خراج معين لمن أعطيت له وترك لهم حق انتخاب مشايخ بلادهم فاستبد معهم ملتزمو الاقطاعات وعاملوهم معاملة نفرت قلوبهم وأوجدت فيهم محبة الاستقلال فكثر منهم قطاع الطرق

ولما انتشبت الحرب الاخيرة بين الدولة والنمسا والروسيا هاجر كثير منهم الى بلاد المجر وانخرطوا في سلك الجندية النمساوية لمحاربة الدولة ولما وضعت الحرب أوزارها عادوا الى بلادهم بعد ان تمرنوا على فنون الحرب وضروب القتال وأشربوا حب الاستقلال والحرية

وبعد عودتهم اضطهدهم الانكشارية لرفعهم السلاح ضد دولتهم في صفوف أعدائها ولو ان الباب العالي عفا عنهم عفوا عموميا الا ان هذه الفئة المفسدة اتخذت

ذلك سبب النهب قرى الصرب والتعدى عليهم بكافة أنواع الاهانة

ولما اشتكى الاهالى من هذه المظالم أمرت الدولة والى بلغراد بمعاقبة الانكشارية واخراجهم من أراضى الصرب قاطبة فلم يمتثلوا هذه الاوامر ولذا حاربهم الوالى بمساعدة السپاه وتغلب عليهم وأخرجهم من ولاية بلغراد بعد ان قتل رئيسهم دلى أحمد فالتجأوا الى بازوند اوغلى الذى سبق ذكر تمرده واستقلاله تقريبا بولاية (ودين) وهو توسط لهم لدى الباب العالى واستحصل لهم على الاذن بالعودة الى بلغراد بشرط ملازمة الهدو والسكينة لكنهم لم يرجعوا عن غيهم بل بمجرد عودتهم استأنفوا اضطهادهم للصرب ثم تطاولوا الى محاصرة مدينة بلغراد بمساعدة بازوند اوغلى ودخلوها عنوة وقتلوا واليها وانتشروا فى أطراف البلاد يعثون فى الارض فسادا

ولما ضاق الصربيون ذرعا اجتمعوا للدفاع عن أرواحهم وأموالهم وأعراضهم وانتخبوا لهم رئيسا من أهلهم وهو جورج بتروفتش «١٠٦» وطاردوا الانكشارية حتى أبعدوهم عن الاراضى والقرى وصار لا يمكنهم الخروج من المدن لتربص الاهالى لهم

ثم أرسل الباب العالى الى بكير باشا والى بوسنه يأمره بمساعدة الصرب ومحاربة الانكشارية وطردهم ثانية من بلغراد فأتى بجيشه وحاصرها مع بتروفتش حتى دخلاها وأخرجا الانكشارية منها

وبعد ذلك رجع بكير باشا الى ولايته ومن ذلك الحين لم ترجع السكينة الى بلاد الصرب بل تألبوا جماعات تحت رئاسة بتروفتش للدفاع عن أنفسهم ولم يهدأ لهم بال حتى تحصلوا على الاستقلال الادارى ثم السياسى كما سيأتى فى موضعه

«١٠٦» ولد هذا الثائر الصربى بمدينة بلغراد سنة ١٧٧٠ وكان يلقب بقره جورج أى الاسود وهو أول من جمع كلمة الصربيين على مقاومة الدولة العلية وطلب الاستقلال وفى سنة ١٨٠٦ نال بعض امتيازات استرجعتها الدولة فيما بعد وطردته منها سنة ١٨١٣ فهاجر الى الروسيا حيث أكرمته الحكومة وعينته قائدا فى جيوشها وفى سنة ١٨١٧ حاول الرجوع الى الصرب لاثارة الفتن فقبض عليه «ميلوش اورسوفتش» وقتله وأرسل رأسه الى الاستانة علامة على ولائه للدولة وينسب الى جورج المذكور انه قتل أباه وأخاه بمجرد ما آنس منهم الميل الى الدولة العثمانية

وفى هذا الاثناء كانت الاضطرابات سائدة فى بلاد الارنؤد لقيام على باشا والى يانيه على الباب العالى واستئثاره بالسلطة حول ولايته أما على باشا المذكور فهو ابن أحد بيكوات الارواام الذين اعتنقت عائلاتهم الاسلام فى بدء الفتح العثمانى ثم صار رئيسا لاحدى العصابات التى تألفت بايعاز الروسيا ودسائسها لقطع السبل وايقاف حركة التجارة فى جبال اليونان والارنؤد بدعوى الوطنية وماذلك فى الحقيقة الا للسلب والنهب ثم رأى ان موالاة الدولة أنفع لصالحه فعدل عن طريقته الاولى ونبذ وسوسة الاجانب ظهريا وطلب من الباب العالى تعيينه حاكما على الجهة التى ولد بها من بلاد ابيروس العليا باليونان فقبل منه الباب هذا الطلب رغبة منه فى اطفاء الفتن الداخلية وكلفه بمحاربة والى اشقودره ووالى (دلوينو) اللذين عصيا الدولة طمعا فى الاستقلال فحاربهما وتغلب عليهما

ثم بعد محاربة الروسيا عين فى سنة ١٧٨٧ دربندباشى أى محافظا على السبل والطرق من تعدى العصب المتسلحة التى تكثر عادة فى البلاد أثناء الحروب وبعدها وفى سنة ١٧٨٨ عين واليا على يانيه وفى سنة ١٧٩٧ لما استولت فرنسا على كافة السواحل والثغور التابعة لجمهورية البندقية راسلهم على باشا مؤكدا لهم حسن ولائه لبونابرت وحكومته ولم يكن ذلك منه الا لحفظ البلاد العثمانية من تعدى الفرنساويين

ولما أعلنت الدولة الحرب على فرنسا بسبب احتلال مصر احتل صاحب الترجمة ثغر (بوترنتو) وسار لفتح مدينة بروازه فقابله عدد من الفرنساويين فحاربهم وفاز عليهم بالنصر ودخل المدينة عنوة

ثم فى سنة ١٨٠٢ كلفه الباب العالى بمحاربة قبيلة (السوليين) (١٠٧) التى عصت الدولة واعتصمت بالجبال المنيعة فسار اليها بجيشه المؤلف من الارنؤد ومسلمى الارواام الناشئين بين قلل الجبال ووهادها وحاصرهم من كل صوب حتى اذا لم ير بدا من التسليم أو الموت طلبوا الامان فى غضون سنة ١٨٠٣ بشرط ان يؤذن لهم

(١٠٧) هم سكان بلدة صغيرة فى وسط جبال الارنؤد تبعد عن مدينة يانيه بمسافة ٤٥ كيلومترا تدعى سولى اشتهروا بعقاومتهم الدولة العلية وعدم الرضوخ لها واعتصامهم بالجبال فطار صيتهم فى جميع انحاء أوروبا

بالمهاجرة

بالمهاجرة الى جزائر اليونان المستقلة فأذن لهم وفى أثناء انسحابهم انقضت عليهم جيوشه الغير منتظمة وقتلت منهم خلقا كثيرا وبذلك ساد الامن فى كافة بلاد الارنؤد وابيروس وجبالها وضربت السكينة أطنابها فى جميع البلاد ومفاوزها وطرقاتها وكافأه السلطان على ايجاده الامن فى هذه المسالك الوعرة بان قلده رتبة (روملى واليسى) أى والى الروملى وبما ان هذه الرتبة تخول للحائز عليها حق قيادة الجيوش حال اشتغال الصدر الاعظم فى مهام الدولة الاخرى سار على باشا فى ثمانين ألف مقاتل لمحاربة أهالى مقدونيا الذين ثاروا طلبا للاستقلال بناء على ايعاز الروسيا وتغلب عليهم بعد محاربات عنيفة وأدخلهم كرها فى طاعة الدولة وكانت هذه الخدمة الجليلة من موجبات زيادة نفوذه فداخله الغرور وأوجست منه الدولة خيفة لما ظهر لها من ميله الى الاستقلال ولما أحس هو بذلك خشى ان يناله أذى منها فتحصن فى بلاد ابيروس وأخضع لسلطانه من بها من الامراء وصار كحاكم مستقل بها وسنذكر ما حل به من الدمار جزاء نبذه طاعة الدولة فى حينه

ولم تكن بلاد الروملى خالية من الاضطرابات بل وصل اليها شر العصابات المتسلحة وانتشرت فيها أزيد من انتشارها فى باقى ولايات الدولة باوروبا حتى لم يتمكن الانكشارية من كبح جماحهم بل فاز المفسدون عليهم فى عدة وقائع وصارت البلاد فى كرب عظيم وبلاء شديد وهدد هؤلاء الثائرون مدينة أدرنه نفسها مع مناعتها فاراد السلطان تجربة الجيوش المنتظمة فى محاربتهم وأرسل فى سنة ١٨٠٤ ألالايا من الاستانة مع فرقة من المدفعية وأخرى من الخيالة وثلاثة ألايات من التى نظمها والى بلاد القرمان فقامت هذه الجنود بما عهد اليها خير قيام ولم تقو العصب على الوقوف أمامها كما هو محقق ومثبوت من ان العسكرى المنتظم يقاوم عشرة أو أكثر من الغير منتظمين وبعد قليل طهرت بلاد الروملى من أدران الفساد وعادت السكينة الى ربوعها ورجعت الجنود المنتظمة الى الاستانة مكللة بالظفر فانشرح السلطان من نجاح مشروع هذا النظام الجديد وأغدق عليهم العطايا والهبات ثم أصدر فى شهر مارث سنة ١٨٠٥ أمرا ساميا (خط شريف) الى جميع الولاة بتركية أوروبا بجمع جميع الشبان من الانكشارية والاهالى

البالغين من الخمسة والعشرين وادخالهم العسكرية وترتيبهم على النظام الجديد فلم يقبل الانكشارية هذا الامر وأظهروا التمرد ولذا أرسل السلطان الى عبد الرحمن باشا والى بلاد القرمان الذى كان من أكبر المعضدين للاصلاح العسكرى ان يأتى الى الاستانة بجيوشه المنتظمة ليوجهوا الى البلاد التى امتنع بها الانكشارية عن تنفيذ الامر السلطانى فاتى الى القسطنطينية فى أوائل سنة ١٨٠٦ وبعد أن مكث نحو شهر استعرض السلطان فى خلاله الجنود النظامية سافر عبد الرحمن باشا وجنوده قاصدا مدينة أدرنه فى أواسط يوليه من السنة المذكورة ولما وصل اليها وجد الانكشارية ثائرين وأبوابها موصدة أمامه فعاد الى الاستانة بعد حصول عدة وقائع حربية بينه وبين الثائرين ولما رأى السلطان امتداد الثورة واتحاد بعض العلماء والطلبة ضد النظام الجديد أذعن لمطالب الانكشارية وأرجع العساكر النظامية الى ولايات آسيا وعزل الوزراء وعين أغاة الانكشارية صدرا أعظم ومع ذلك فلم تنته هذه المسئلة بسلام بل جرت بعد قليل الى عزل السلطان كما سيجىء

وفى غضون ذلك كانت بلاد الصرب قائمة قاعدة فى طلب الاستقلال وحصلت بين أهلها وبين العساكر الشاهانية عدة محاربات كان النصر فيها تارة لفريق وطورا للفريق الآخر واستمر الحال على هذا المنوال الى أواخر سنة ١٨٠٦ فعرض عليهم والى اشقودره ان الباب العالى يمنحهم ادارة مستقلة لكن بما ان أغلب أراضيهم معطاة للعساكر السباه فيدفع الصربيون تعويضا قدره ستمائة ألف فلورين اتوزع على أصحاب الالتزامات بصفة تعويض على تركهم التزاماتهم للادارة الصربية فقبل زعيمهم جورج بترو فتش بذلك لكن رفض الباب العالى هذا الاقتراح وأبى الا ادخالهم فى طاعته كما كانوا وعند ذلك انتشب الحرب بين الدولة العلية والروسيا التى سيأتى بيان أسبابها

﴿حرب الروسية وانكلترا مع الدولة وشروع الانكليز فى الاستيلاء على مصر﴾

هذا ولنرجع الى ذكر علاقات الباب العالى وفرنسا والروسيا وانكلترا بعد خروج الفرنساويين من مصر فنقول ان بونابرت أرسل الى بلاد الشرق الجنرال سبستيانى

لتجديد ربط الاتحاد والوداد مع الدولة العلية فسافر الى الاستانة حاملا خطابا من بونابرت الى السدة السلطانية وفى أثناء اقامته بالاستانة تمكن بمساعيه من عزل أميرى الافلاق والبغدان الحازبين للروسيا فعزلا فى ٣٠ اغسطس سنة ١٨٠٦ وعين بدلهما من المخاصين للدولة العلية فساء ذلك الروسيا وخشيت من امتداد نفوذ فرنسا فى الشرق فارسلت جيوشها لاحتلال هاتين الولايتين بدون اعلان حرب بدعوى ان تغيير أميريها مضر بحقوق جوارها فانتشبت نيران القتال بينها و بين الدولة واتحدت انكلترا مع الروسيا فى هذه الحرب لتأييد طلباتها فارسلت احدى دونماتها تحت قيادة اللورد (دولك و ورث) أمام الدردنيل وأرسل سفيرها السير (اربوتنوت) بلاغا الى الباب العالى يطلب منه تحالف الدولة العلية وانكلترا وتسليم الاساطيل العثمانية وقلاع الدردنيل الى انكلترا والتنازل عن ولايتى الافلاق والبغدان الى الروسيا وطرد الجنرال (سبستيانى) من الاستانة واعلان الحرب الى فرنسا والا تكن انكلترا مضطرة لاجتياز بوغاز الدردنيل واطلاق مدافعها على الاستانة نفسها فلم تقبل الدولة هذه المطالب بل أخذت فى تحصين البوغاز واقامة القلاع على ضفتيه لكن لم يكن الوقت كافيا لتحصينه بكيفية تجعل المرور منه غير ممكن وفى ٢٠ فبراير سنة ١٨٠٧ قرن الانكليز القول بالفعل واجتاز الاميرال اللورد (دولك و ورث) بوغاز الدردنيل بدون ان يحصل لمراكبه ضرر يذكر من مقذوفات القلاع ووصل الى فرضة (جاليبولى) ودمر كافة السفن الحربية العثمانية الراسية بها ومكث خارج البوسفور ينتظر تنفيذ لائحته التى سبق ذكرها

و بورود الخبر الى الدولة بذلك وقع الرعب فى قلوب سكان الاستانة خشية من وصول السفن الانكليزية الى البسفور وهناك تكون الطامة الكبرى لوجود أغلب السرايات الملوكية ودواوين الحكومة على ضفتيه ووقع الوزراء فى حيص بيص فأقروا بعد مداولات طويلة ان يذعنوا لطلب انكلترا وأرسلوا الى الجنرال سبستيانى يدعونه للخروج من الاستانة خوفا من تفاقم الخطب فقابل الجنرال الفرنساوى الرسول العثمانى محاطا بجميع مستخدمى السفارة والضباط الفرنساويين المستخدمين بجيوش الدولة و بحريتها وأجابه قائلا انى لا أخرج من الاستانة الا مكرها ثم طلب

أن يقابل السلطان مقابلة خصوصية فأجيب طلبه ولما قابله أظهر له استعداد فرنسا لمساعدة الدولة وان الامبراطور نابليون قد أصدر أوامره الى جيوشه المعسكرة بسواحل الادرياتيك للسفر الى الاستانة لمساعدة الدولة على مقاومة انكلترا ورفض طلباتها فاقتنع جلالته بعدم جواز الانصياع لطلبات الانكليز وانها لو رأت من الدولة العلية مقاومة أذعنت هي لسحب مطالبها خوفا على تجارتها من البوار لو صدرت الاوامر بعدم قبولها فى الممالك المحروسة

فأخذ فى تحصين العاصمة وبناء القلاع حولها وتسليحها بالمدافع الضخمة وشكل الفرنساويون النازلون بالاستانة فرقة من مائتى مقاتل أغلبهم من المدفعية وكذلك الاسبانيون لمضادة سفيرهم الماركيز دالمنيير السياسة انكلترا فى الشرق واهتم كل من فى الاستانة فى هذا العمل الوطنى حتى الشيوخ والاطفال والنساء وبذل الانكشارية من الاهتمام أكثر مما كان يؤمل منهم وكان السلطان بنفسه يناظر الاشغال ويحث المشتغلين بها على مواصلة الليل بالنهار لاتمام القلاع لصد هجمات الاعداء فلم يمض بضعة أيام حتى صارت المدينة فى مأمن من كل طارئ ووقفت عدة سفن فى مدخل البسفور لمنع كل مهاجم هذا مع استمرار الاشغال فى بوغاز الدردنيل فلما رأى الاميرال الانكليزى استحالة دخوله البسفور وقرب انتهاء تحصينات الدردنيل خشى من حصر مراكبه بين البوغازين وقفل راجعا الى البحر الابيض فى أول مارث سنة ١٨٠٧ فنجا منه بمراكبه بعد ان قتل من رجاله ستمائة وغرق من سفنه اثنتان من مقذوفات قلاع الدردنيل واجتمع بمراكب الروسيا عند مدخل البوغاز

ثم أراد الاميرال الانكليزى ان يأتى عملا يمحو ما لحقه من العار بسبب فشله فى هذه المأمورية وقصد ثغر الاسكندرية ومعه خمسة آلاف جندى برى تحت قيادة الجنرال فريزر فاحتلها فى ٢٠ مايو سنة ١٨٠٧ الموافق ١٠ محرم سنة ١٢٢٢ ثم سير فرقة الى ثغر رشيد لاحتلاله فانهزمت وعادت بخفى حنين ثم أعاد الكرة عليها فى شهر ابريل وحاصر المدينة فى ١٨ ابريل لكن لم يقو على فتحها لارسال محمد على باشا المدد اليها وأخيرا رحلوا عن الديار المصرية ونزلوا الى مراكبهم

فى ١٠ رجب سنة ١٢٢٢ الموافق ٤ سبتمبر سنة ١٨٠٧ لعدم امكانهم التفرغ لفضها مع اشتغالهم بالحروب فى أوروبا ولوجود الحكومة المصرية فى قبضة مجدد مصر وباعث من رمسها ومعيد مجدها من له عليها الايادى البيضاء طول الدهر الامير الجليل المرحوم (محمد على باشا) مؤسس العائلة الكريمة الخديوية وثالث جد لخديوينا الحالى افندينا عباس باشا حلمى الثانى

وانأت هنا على كيفية حصول محمد على باشا على ولاية مصر بعبارة وجيزة وعلى من يريد معرفة تاريخه بالتطويل ان يرجع لمؤلفنا كتاب البهجة التوفيقية فى تاريخ مؤسس العائلة الخديوية المطبوع سنة ١٣٠٨ هـ

ولد هذا الرجل العظيم الشأن فى مدينة قوله (١٠٨) سنة ١١٨٢ هـ الموافقة سنة ١٧٦٩ وتوفى والده وهو صغير فرباه عم له حتى بلغ أشده فزوجه ابنته ثم اشتغل بتجارة الدخان وربح منها كثيرا

ولما دخل الفرنساويون مصر كما سبق شرحه أتى محمد على مع من أرسل من الجنود لمحاربتهم وشهد واقعة أبى قير وعينه خسرو باشا الذى عين واليا لمصر بعد خروج الفرنساويين برتبة (سرجشمه) أى قائد فرقة تبلغ أربعة آلاف مقاتل ومن ثم أخذ فى استمالة قلوب الجند اليه للاستعانة بهم عند سنوح الفرصة ثم وقع النفور بينه وبين الوالى لنسبة خسرو باشا اليه الاتحاد مع المماليك فسعى الوالى بالايقاع به لكن لم يتمكن من التنفيذ لقيام جنود الارنؤد دعايه (وربما كان ذلك بايعاز من محمد على) وطردهم اياه من القاهرة لعدم دفعه مرتباتهم واختار الاهالى بعده طاهر باشا واليا مؤقتا حتى يعين الباب العالى بدلا لخسرو باشا لكن لم يلبث ان أقام الانكشارية عليه وقتلوه لدفعه مرتبات الارنؤد دونهم وأراد الانكشارية تنصيب أحد الذوات العثمانيين واسمه أحمد باشا وكان آتيا لمصر قاصدا التوجه الى الاقطار الحجازية فلم يقبل محمد على بذلك وأراد انتهاز هذه الفرصة للحصول الى ما كان يكنه صدره

(١٠٨) بلدة قديمة من بلاد مقدونيه وطن اسكندر الاكبر واسمها عند اليونان نيابوليس أى البلد الجديدة واقعة على بحر جزائر الروم بها مينا متسعة وتجارتها ليست بقليلة ويبلغ سكانها ثمانية آلاف نسمة جلهم من المسلمين وتبعد مقدار ١٢٨ كيلومتر عن مدينة سلانيك وهى وطن المرحوم الحاج محمد على باشا مؤسس العائلة الخديوية ولد بها سنة ١٧٦٩ وتوفى بالقاهرة فى ١٣ رمضان سنة ١٢٦٥ الموافق ٢ أغسطس سنة ١٨٤٩ ودفن فى الجامع الذى بناه بالقلعة

وهو الاستئثار بوادي النيل وكاتب أمراء المماليك فأتى عثمان بيك البرديسي وغيره القاهرة

ولما وجد محمد على ان عددا من أتى منهم كاف لمحاربة الانكشارية حاصر أحمد باشا في منزله وألزمه الخروج من مصر ثم سلط الارنؤد على الانكشارية فحاربوهم في مصر القديمة وقتلوا أغلبهم وفر الباقون وبذلك لم يبق بمصر منازع لمحمد على ثم سار هو والبرديسي الى دمياط لمحاربة خسرو باشا الذى كان متحصنا بها فحارباه وأسراه في ١٤ ربيع الاول سنة ١٢١٨ وعادا به الى القاهرة حيث سجناه بالقلعة

وبعد ذلك بقليل عاد من انكلترا محمد بيك الالفى أحد زعماء المماليك وكان ذهب اليها ليطلب منها مساعدته على الاستقلال بمصر ويقال انه وعدها بتسليم بعض الثغور لو حصل على مرغوبه فخشى محمد على باشا من اتحاده مع البرديسي وعمد الى ايجاد النفرة بينهما

ولما أحس الالفى بما يدبره له سافر الى الصعيد ثم أهاج محمد على الاهالى بمصر على البرديسي فحاصروه في منزله وأطلق محمد على المدافع عليه حتى أخرجه من مصر هو وكافة المماليك ثم أخرج خسرو باشا من سجنه وأرسله الى رشيد ومنها الى اسلامبول بناء على طلب الاعيان وأقام الجند مكانه من يدعى خورشد باشا ومحمد على وكيلا له لكن لم يلبث ان انتخب الاهالى محمد على واليا وكتبوا بذلك الى الباب العالى فأصدر فرمانا بذلك وصل مصر في مايو سنة ١٨٠٥

ثم سعى الانكليز بلدى الباب العالى وطلبوا منه عزله أو نقله الى ولاية أخرى لتوسمهم فيه المعارضة لمشروعاتهم المجحفة باستقلال مصر فمال الباب الى وساوسهم وأمر بنقله الى ولاية سلانيك فلم يقبل علماء مصر ولا قواد الجيوش بذلك وكتبوا الى الدولة يلتمسون منها ابقاءه في ولاية مصر فقبل السلطان ذلك وأرسل اليه فرمانا بتثبيته وصل اليه في أواخر شعبان سنة ١٢٢١ الموافق ٧ نوفمبر سنة ١٧٠٦ وعقب ذلك توفي محمد بيك الالفى في دسمبر من السنة المذكورة وعثمان بيك البرديسي في يناير من السنة التالية وبذلك صفا الجو لمحمد على باشا ولم يبق له منازع من الامراء المماليك الا انه كان مضطر المراعاة من بقى منهم ومن

جنودهم

جنودهم المنتشرين فى أغلب جهات القطر للافساد لا لحفظ الامن الى ان أجهز عليهم فى واقعة القلعة الشهيرة التى حصلت فى يوم الجمعة ٥ صفر سنة ١٢٢٦ الموافق أول مارث سنة ١٨١١ ولنرجع لذكر ما حصل بالآستانة من الحوادث بعد خروج المراكب الانكليزية من الدردنيل فنقول

(عزل السلطان)

انه فى هذا الاثناء كانت رحى الحرب دائرة بين العثمانيين والروس فدخل والى بوسنه بجيوشه الى بلاد الصرب لمنع السائرين من اللحاق بالجيش الروسى وسار الصدر الاعظم وفرقتان من الانكشارية وجيوش آسيا المنتظمة الى مدينة (شوملة) وكان مصطفى باشا البيرقدار حاكم مدينة (روسجوق) يستعد للاغارة على بلاد الافلاق بخمسة عشر ألف جندى قام هو بتنظيمهم وتدريبهم وخصص نفرا غير قليل من النظام الجديد للبقاء فى قلاع الدردنيل والبسفور لدفع الطوارئ البحرية وفى غضون ذلك توفى المفتى الذى كان معضد السلطان على ادخال الاصلاحات العسكرية وتولى مكانه قاضى عسكر الروملى وكان على الضد من سلفه فاتحد مع مصطفى باشا قائم مقام الصدر الاعظم المتغيب فى محاربة الروس ولفيف من العلماء على السعى فى ابطال النظام العسكرى الجديد قائلين انه بدعة مخالفة للشرع وللوصول الى غايتهم هذه أخذوا يغرون العساكر الغير منتظمة التى كانت أضيفت الى الفرق المنتظمة حتى اذا ألفوا النظام أدرجوا ضمن العساكر النظامية وأدخلوا فى آذانهم انهم لم يأتوا بهم من بلادهم الا لاجبارهم على الانخراط فى سلك النظام واكراههم على لبس الملابس الافرنكية والتزيى بزى النصارى مع ما فى ذلك من مخالفة القرآن الشريف والشرع المنيف على زعمهم

ولما ملأت هذه الاوهام عقول هؤلاء السذج واشربت قلوبهم هذه الاضاليل أرسل مصطفى باشا القائمقام الى احدى القلاع الموجود بها جنود منتظمة وغير منتظمة رسولا أظهر انه آت لالباس الغير منتظمين الملابس النظامية فهاجوا وماجوا وقصدوا قتل الرسول فمنعهم المنتظمون وحصلت بينهم معركة سال فيها الدماء ثم انتشرت هذه الفتنة وامتد لهيبها الى جميع القلاع وحصلت عدة معارك

بين الفريقين كانت نتيجتها قتل رسول السوفو والتجأ الجنود النظامية الى ثكناتهم ولما بلغ السلطان خبر هذه الحادثة أبهم عليه مصطفى باشا القائم مقام الامر وأفهمه أنها حادثة غير مهمة

وبعد هذا النجاح أخذت الجنود الغير منتظمة تستعد بايعاز مهيجيها الامر آخرذى بال واجتمعوا فى الجهة المعروفة بيوكدره وانتخبوا لهم رئيسا منهم اسمه قباقجى اوغلى وهو أخذ فى الاستعداد للدخول الى الاستانة وفى صبيحة يوم ٢٧ مايو سنة ١٨٠٧ دخل هو ومن معه من الجنود الغير منتظمة وانضم اليهم نحو مائتين من البحرية وغاغة من الانكشارية حتى اذا وصل هذا الجمع الى المحل المعروف باسم (آت ميدان) أتوا بقدور الانكشارية ووضعوها علامة على العصيان وقرئ عليهم أسماء جميع المعضدين لمشروع النظام العسكرى من الوزراء والذوات والاعيان فانتشر الثائرون الى منازلهم وقتلوهم وأتوا برؤسهم ووضعوها أمام القدور ولما بلغ السلطان خبر هذه الثورة أصدر على الفور أمرا بالغاء النظام الجديد وصرف العساكر النظامية لكن لم يكتف الثائرون بذلك بل قرروا بعزل السلطان خوفا من ان يعود لتنفيذ مشروعه وساعدهم على ذلك المفتى الذى هو فى الحقيقة المحرك لهذه الثورة فافتى بأن كل سلطان يدخل نظامات الافرنج وعوائدهم ويجبر الرعية على اتباعها لا يكون صالحا للملك واستمرت هذه الثورة يومين ثم نودى فى ٢١ ربيع الاول سنة ١٢٢٢ الموافق ٢٩ مايو سنة ١٨٠٧ بفصل السلطان سليم الثالث وتنصيب

---

٢٩ ﴿السلطان الغازى مصطفى خان الرابع﴾

ابن السلطان عبد الحميد الاول المولود سنة ١١٩٣ هـ وكلف المفتى بتبليغ السلطان سليم خبر عزله فذهب اليه وبلغه بذلك مظهرا أسفه من هذه الحادثة الجبرية فقبل السلطان وذهب الى سرايه الخصوصية وتفرق الجنود النظامية شذر مذر وأهمل هذا المشروع الجليل لعدم موافقته لاغراض الانكشارية ومن حازبهم

ولم يكن السلطان مصطفى الا آلة يديرها مبغضو النظام الجديد كيف شاؤا اتبعا

لاهوائهم

لاهوائهم فثبت الوزراء الذين لم يقتلوا فى الثورة فى وظائفهم واعتمد تعيين قبا قجى اوغلى حاكما لجميع قلاع البسفور وأعاد الانكشارية قدورهم الى ثكناتهم دلالة على ارتياحهم مما حصل وخلودهم الى الراحة والسكينة

ولما وصلت أنباء هذه الثورة الى الجيوش العثمانية المشتغلة بمحاربة الروس عند نهر الطونة شمل الانكشارية السرور لابطال النظام الجديد ولما رأوا من قائدهم العام وهو الصدر الاعظم حلمى ابراهيم باشا عدم الاستحسان لما حصل قتلوه وأقاموا مكانه چلبى مصطفى باشا فوقع الفشل فى الجيوش ولولا وجود أغلب جيوش الروسيا فى ألمانيا لمحاربة الامبراطور نابوليون الذى كانت تخر عروش الملوك أمامه سجدا لكانت نتائج هذه الحروب أوخم مما سبقها ومن حسن الحظ أيضا أن وصل فى أثناء ذلك خبر انتصار نابليون على الروس ومحالفيهم فى واقعة (فريدلاند) (١٠٩) فى ١٤ يونيه سنة ١٨٠٧ فتقهقرت الجنود الروسية المحتلة لولاية البغدان من غير ما حرب ولا قتال

وعقب ذلك حصل الصلح بين فرنسا والروسيا بمقتضى معاهدة (تلسيت) (١١٠) فى ٧ يوليو سنة ١٨٠٧ التى جاء بها بالبند الثانى والعشرين وما بعده ان الروسيا تكف عن محاربة الدولة حتى يتوسط نابليون بين الطرفين وبمجرد ما أمضيت المدنة الابتدائية تخلى جيوش الروسيا ولايتى الافلاق والبغدان بدون ان تدخلها الجيوش العثمانية حتى يتم الصلح نهائيا وجاء فى المعاهدة السرية التى اتفق عليها نابليون واسكندر الاول قيصر الروسيا أنه ان لم يقبل الباب العالى توسط فرنسا بسبب الحوادث الاخيرة التى حدثت بالاستانة أو ان لم يتم المقصود بكيفية مرضية بعد قبول هذا التوسط بخمسة وثلاثين يوما فتتحد فرنسا مع الروسيا على سلخ جميع الولايات

(١٠٩) مدينة صغيرة ببلاد بروسية الشرقية لا يتجاوز عدد سكانها أربعة آلاف نسمة واشتهرت بانتصار نابوليون الاول بها على جيوش الروس

(١١٠) قرية بشرق بروسيا على نهر (نيمن) الفاصل بين الروسيا والبروسيا وبها اجتمع نابوليون الاول بامبراطور الروسيا اسكندر الاول واتفقا على تقسيم اوروبا بينهما ثم حال دون اتمام مشروعهما عدم الاتفاق على الاستانة اذ كل منهما كان يود جعلها من نصيبه وينسب لنابوليون انه قال ان الاستانة مفتاح العالم من استولى عليها أمكنه ان يسود على العالم بأسره

العثمانية باوروبا ماعدا الاستانة وماحولها تقتسمها فيما بينهما مع ارضاء النمسا بجزء يسير وكيفية ذلك التقسيم أن يكون لفرنسا بلاد بوسنه والبانيا (الارنؤد) وابيروس وبلاد اليونان ومقدونيا وللنمسا بلاد الصرب وللروسيا الافلاق والبغدان والبلغار واقليم تراس لغاية نهر ماريتسا (راجع مؤلف المسيو لافاليه على تاريخ الدولة العلية)

ولا يخفى مافي هذه المعاهدة من الاضرار بحقوق الدولة العلية والتخلي عنها وتركها بمفردها أمام الروسيا رغما عن وعود فرنسا السابقة التي كانت سببا في اثارة هذه الحرب، وناهيك ماجاء في المعاهدة السرية من تقسيم الاملاك المحروسة فيظهر للطالع ان كل وعود الاجانب للشرقيين وعود عرقوبية وسراب كاذب يحسبه الظمآن ماء وان اظهارهم لنا الولاء والصداقة لم يكن الا لنوال أمانيهم والفوز بغاياتهم فالعاقل من لم يتمسك بذيل وعودهم ولا يخالج فكره ان دولة أوروبية تود خيرا أو تبغي صلاح الدولة أو أمة شرقية مطلقا والحوادث التاريخية التي ذكرت وستذكر في هذا الكتاب أكبر شاهد فلعلها تكون عبرة لمن تذكر

هذا ثم أرسل نابليون في ٩ يوليو الجنرال (جاليمنو) أحد أركان حربه الى الجيوش العثمانية والروسية المتحاربة لتبليغهم المعاهدة المذكورة وعرض توسط الدولة الفرنساوية عليهم فقبل الفريقان بذلك وفي ٢٤ أغسطس أمضيت بينهما بحضور المندوب الفرنساوي هدنة ابتدائية ومع ذلك فلم تخل الروسيا ولايتي الافلاق والبغدان وهو أول اخلال بشروط معاهدة تلسيت ولذا لم يمكن الفريقان أن يتفقا على شروط الصلح النهائي لكن لم يستأنف القتال الا بعد سنتين لاشتغال كل فريق منهما بما هو أهم من ذلك

ولنرجع الى ذكر ماحصل في الاستانة بعد نجاح ثورة قباقجي اوغلي فنقول انه لم يمض قليل حتى وقع الخلاف بين رؤساء الثورة فاتحد أولا قباقجي اوغلي مع المفتي على عزل القائمقام مصطفى باشا فعزل وأبعد الى خارج البلاد وأقيم مكانه من يدعى طاهر باشا ثم عزل لرغبته المحافظة على حقوق وظيفته وسافر الى روسجق والتجأ الى حاكمها مصطفى باشا البيرقدار وكان هذا الاخير من محازبي السلطان سليم ويود ارجاعه

المنصة الاحكام فكاشف بذلك چلبي مصطفى باشا الصدر الاعظم و باقي الوزراء وأقنعهم بوجوب مجازاة المفتي وقباقجي مصطفى على تهييج الجنود الغير منتظمة وعزل السلطان والاستشار بالسلطة فوافقه على ذلك كل من كاشفهم بذلك واصدر الصدر حكما على قباقجي مصطفى قاضيا باعدامه ووكل على تنفيذه أحد رجال هذه المؤامرة واسمه حاجي علي وهو تعهد بالقبض عليه عنوة وسار الى الاستانة في مائة فارس بينما كان البيرقدار قاصدها في ستة عشر ألف جندي عن طريق ادرنه

ولما وصل حاجي علي الى ضواحي الاستانة علم ان قباقجي مصطفى مقيم في قصر له خارج المدينة فهاجمه فيه وقتله ثم أبرز لجنوده حكم الصدر الاعظم وأخبرهم انه عين قائدا لهم فلم يقبلوا بذلك بل أحاطوا به وبمن معه من الفرسان وكادوا يأسرونه لولا ما أظهره من الشجاعة التي تمكن بها من التخلص واللحاق بالبيرقدار وكان قد وصل هو والصدر الاعظم الى الاستانة وعسكر خارجها

ولما علم السلطان بهذه الوقائع خشي من تعدي الثورة عليه ووصول ضررها اليه أمر بعزل المفتي وصرف جنود قباقجي مصطفى الغير منتظمة التي عضدته على عزل السلطان سليم فاظهر البيرقدار الاكتفاء بما حصل ولم يكاشف أحدا بعزمه على اعادة السلطان سليم الى عرش الخلافة العظمى وأشاع انه عازم على العودة الى روسجق لكن في صبيحة ٤ جمادى الاولى سنة ١٢٢٣ الموافق ٢٨ يوليو سنة ١٨٠٨ ألقى القبض على چلبي مصطفى باشا الصدر الاعظم وسار بجيوشه الى السراي السلطانية وطلب ارجاع السلطان سليم الثالث الى الملك فأمر السلطان مصطفى بقتله والقاء جثته الى الثائرين كي يكفوا عن الثورة لما يعلمون ان الذي يريدون ارجاعه قد دخل في خبر كان لكن أتى الامر على عكس ما كان يؤمل فقد زاد الثائرون هياجا ونادوا على الفور بعزل السلطان مصطفى الرابع وحجزه في نفس السراي التي كان محجوزا بها السلطان سليم وتنصيب

٣٠ ﴿السلطان الغازي محمود خان الثاني﴾

فافتتح أعماله بأن قلد مصطفى باشا البيرقدار منصب الصدارة العظمى ووكل اليه

أمر تنظيم الانكشارية واجبارهم على اتباع نظاماتهم القديمة المسنونة من عهد السلطان سليمان القانونى واهملت شيأ فشيأ فبعد ان انتقم البيرقدار من قاوموه عند ارجاع السلطان سليم وكانوا سببا فى قتله استدعى جميع ذوات الدولة ووزرائها السابقين وأعيانها الجلس حافل ولما البوا دعوته قام فيهم خطيبا وأظهر لهم ما كانت عليه حالة الانكشارية وماوصلت اليه وما يجب ان تكون عليه من النظام وضرورة تقليدهم الاسلحة النارية المخترعة حديثا والتى كان استعمالها فى جيوش الروسيا سبب انتصاراتهم الاخيرة على جيوش الدولة ثم ختم كلامه بان عرض عليهم عدة اقتراحات مهمة منها الزامهم بملازمة ثكناتهم العسكرية خصوصا غير المتزوجين منهم وقطع علائف ومرتبات الساكنين خارجها او جعل تمرينهم على التعليمات العسكرية المسنونة فى قانون السلطان سليمان الزاميا وتسليحهم بالاسلحة الجديدة النارية وتمرينهم على الاصول العسكرية الجديدة المستعملة فى جيوش اوروبا والتى اكسبتهم قوة عظيمة وغير ذلك من الاصلاحات والترتيبات التى لو اتبعت لاصبح جيش الانكشارية أقوى جيوش العالم كما كان فى بادئ الامر قبل تسلطن الخلل عليه وتداخله فى الامور الداخلية والخارجية ونصب الوزراء والملوك وعزلهم بلا حق مطلقا فأقر الجميع على كل ماجاء فى مشروع البيرقدار وحرروا محضرا بذلك ثم لم يكتف هو بذلك بل استحصل على فتوى بضرورة تنفيذ نظامات الانكشارية بكل صرامة فاصدر أوامره بذلك وأدخل أغلب ضباط الجيوش المنتظمة التى أمر بابطالها فى جيش الانكشارية بالوظائف العالية فاخذوا فى تنفيذ رغائبه بكل اعتناء وشدة فاغتاظ الانكشارية لذلك واتحدوا على مقاومته وتضافروا على الايقاع به ولم يكن للبيرقدار معين فى تنفيذ قرارات الجمعية الا ستة عشر ألف مقاتل أتت معه من روسجق وثلاثة آلاف جندى تحت قيادة عبد الرحمن باشا رئيس الجنود المنتظمة سابقا وبعض سفن حربية تحت امرة أمير البحر رامز باشا

﴿فتنة الانكشارية وموت بيرقدار مصطفى باشا﴾

ثم لم يمض قليل حتى ساروا الى فيليبه وأظهروا التمرد والعصيان فارسل البيرقدار اثنى

عشر ألف مقاتل من جيوشه لمحاربته ولم يبق الا أربعة آلاف والثلاثة الآلاف القائد لها عبد الرحمن باشا ولذلك انتهز الانكشارية هذه الفرصة وقاموا كرجل واحد فى ٢٧ رمضان سنة ١٢٢٣ الموافق ١٤ نوفمبر سنة ١٨٠٨ وساروا الى سراى السلطان مصطفى بقصد ارجاعه الى عرش الحكومة فاعترضهم البيرقدار وقاومهم مقاومة عنيفة ولما أحس بان الضعف قد داخل جيوشه وخشى من فوز الثائرين وعزل السلطان محمود أمر بقتل مصطفى الرابع والقاء جثته للثائرين كما فعل مصطفى الرابع مع السلطان سليم الثالث فلما رأى الانكشارية جثة السلطان مصطفى زادوا هياجا وأضرموا النار فى السراى الملوكية لكى يلجؤا البيرقدار على الفرار منها لكن فضل الصدر الاعظم الموت على التسليم لهذه الفئة الباغية والانصياع لطلباتها وبقى يدافع هو ومن معه حتى مات حرقا ويقال انه تحصن فى احد الابراج ثم أشعل ما كان به من البارود ومات هو ومن معه تحت انقاضه ولو صحت هذه الرواية أو تلك فكلتاهما تشهدان على ما كان متصفا به من الشهامة والشجاعة وانه يخدم مبدأ لا شخصا وهذا المبدأ هو اصلاح الجندية وتدريبها على النظامات المستحدثة لتحققه ان الانكشارية مهما كانت قوتهم ومنعتهم لا يقووا على الوقوف أمام الجيوش المنتظمة المتقلدة أجود الاسلحة وأتقنها

هذا وفى أثناء دفاع البيرقدار كان أمير البحر رامز باشا قد أحضر ثلاث سفن حربية وأوقفها بمر البسفور وسلط مدافعها على ثكنات الانكشارية ثم نزل الى البر مع فريق من البحارة والمدفعية وسار بهم لمساعدة البيرقدار بينما كان عبد الرحمن باشا آتيا مع فرقته المؤلفة من ثلاثة آلاف جندى لموازرة الوزير لكن كان قد سبق السيف العذل وقتل مصطفى باشا البيرقدار الا ان رامز باشا وعبد الرحمن باشا ومن معهما فتئوا يقاتلون الانكشارية حتى انهزموا أمامهم فى جميع الجهات بعد ان استمر اطلاق البنادق والمدافع فى الاستانة طول اليوم وفى آخر النهار ارتأى رامز باشا البحرى العفو عن الثائرين جميعا والقوا سلاحهم وسلموا أنفسهم لرحمة السلطان فلم يوافقه عبد الرحمن باشا بل أراد اتخاذ هذه الثورة وسيلة لاعدام

الانكشارية وابطال طائفتهم كلية ووافقه السلطان محمود على ذلك

وبناء على هذا القرار سارت جيوش السلطان فى صبيحة اليوم التالى تتقدمها المدافع تقذف الصواعق على الانكشارية من كل صوب وحدب ولما رأى الثائرون ان لامناص لهم من الهلاك أضرموا النار فى جميع جوانب المدينة ولما كانت أغلب أماكنها من الخشب علا لهيب النيران وكاد الحريق يلتهمها بأجمعها فاضطر السلطان للاذعان لطلبات الانكشارية حتى يمكنه انقاذ المدينة من الدمار العاجل مؤجلا ابطال هذه الفئة المفسدة الى فرصة أخرى وبذل جهده فى اخماد النيران التى كادت تلتهم المدينة بأسرها ولم يتداركها السلطان محمود بحكمته واستمر الانكشارية فى ثورتهم وهيجانهم

﴿استمرار الحرب مع الروسيا ومعاهدة بخارست﴾

وبعد انتهاء هذه الفتنة وجه السلطان اهتمامه لاصلاح الشؤون الداخلية والاستعداد لاهلاك طائفة الانكشارية وللتفرغ لذلك عقد الصلح مع دولة الانكليز فى ٦ يناير سنة ١٨٠٩ وافتتح المخابرات مع الروسيا بدون أن يتوصل الى اتفاق مرض للطرفين فاستؤنفت الحركات العدوانية ودارت رحى الحرب بين الجيشين وكانت نتيجتها ان انهزم الصدر الاعظم ضيا يوسف باشا الذى عين فى هذا المنصب الرفيع بعد موت مصطفى باشا البيرقدار مع انه هو الذى انتصر الفرنساويون عليه بمصر بالقرب من المطرية سنة ١٧٩٩ وهذا مما يدل على عدم المامه بفنون الحرب واستولى الروس على مدائن اسمعيل وسلستريه وروستجق ونيكوبلى وبازارجق فى سنتى ١٨٠٩ وسنة ١٨١٠

ثم عزل وتولى مكانه من يدعى أحمد باشا وهو سار الى الروس فى ستين ألف مقاتل فى سنة ١٨١١ وانتصر عليهم واضطرهم لاخلاء مدينة روستجق فاخلوها فى ٥ يوليه من السنة المذكورة مكرهين بعد ان هدموا قلاعها وأسوارها بالالغام وأضرموا النار فى منازلها وعبروا نهر الطونة راجعين الى شاطئه الايسر فتبعهم أحمد باشا بجيوشه وبعد عدة وقائع لا حاجة لذكرها تفصيلا عاد الروس فاحتلوا روستجق ثانية

وفى هـذا الاثناء فترت العلاقات بين الروسيا ونابوليون لعـدم تنفيذ بعض شروط معاهدة تلسيت وكانت الحرب بينهما قاب قوسين أو أدنى فسعت الروسيا فى مصالحة الدولة واعدم وقوف وزراء الدولة على ماجريات الامور السياسية باوروپا قبلوا افتتاح المخابرات وعينت الدولة منـدوبين من قبلها اجتمعوا مع مندوبى الروسـيا فى مدينة بخارست وبعد مداولات طويلة توصـل الفريقان الى امضاء معاهدة عرفت فى التاريخ باسم معاهـدة بخارست أمضيت فى ٢٨ مايو سـنة ١٨١٢ أهم شروطها بقاء ولايتى الافلاق والبغدان تابعتـين للدولة ورجوع الصرب الى حوزتها مع بعض امتيازات قليلة الاهمية عديمة الجدوى وحفظت الروسـيا لنفسها اقليم بسارابيا وأحد مصبات الدانوب

ولقـد اعتبرت فرنسا هذه المعاهدة خيانة من الدولة للروابط القـديمة الموجودة بين الدولتين اذ بابرامها تمكنت الروسيا من استعمال الجيوش التى كانت مشتغلة بمحاربة العثمانيين فى صد اغارات فرنسا عن بلادها والزام نابوليون القهقرى بعد حرق مدينة موسكو واهلاك أغلب جيوشه عند عبورهم نهر (بيريزينا) عائدين الى بلادهـم مكسورين مدحورين ونسى نابوليون ان الدولة لم تأت أمرا جديدا بل اقتدت بأفعاله هو فى تلسيت من التخـلى عنها والزامها على ايقاف الحرب فضـلا عما جاء بمعاهـدة تلسيت من الشروط السرية القاضـية بتجزئة الدولة العليـة الامر الذى كاد يخرج من حيز الفكر الى حـيز الوجود لولا طلب القيصر اسكندر الاول ضم مدينـة القسطنطينية اليه ليكون له بغازا البسفور والدردنيل وبالتالى مفاتيح أوروپا بل مفاتيح العـالم باسره وعدم قبول نابوليون بذلك خوفا على مملكته الشاسعة من تعدى الروس

ومن الغريب ان جميع دول أوروپا لا تأنف من استعمال أنواع الغش والخديعة فى سـياستهم حتى صارت لفظة سـياسة عندهم مرادفة للكذب والمين والتظاهر بغير الحقائق ولو عاملتهم احـدى الدول الشرقيـة لا بمثل هذه السـياسة التى يتبرأ منها الشرقيون بل بالصداقة مع المحافظة على الحقوق لما دام حقنا منافيا كما هو الغـالب لمطامعهم فى بلادنا رمونا بما اتصفوا به ونحن برآء منه

هـــذا ولما بلغ رؤساء ثورة الصرب خبر معاهدة بخارست القاضية بارجاع بلادهم الى سلطة الدولة العليــة المطلقة بعــد ما بذلوه من الاموال والارواح فى اعطائهـم نوعا من الاستقلال الادارى ووعد قيصر الروسيا بمساعدتهم احتدموا غيظا ولم يقبلوا الرجوع الى حالتهم الاصلية وآثروا الفناء فى الدفاع عن اســتقلالهم فسيرت الدولة اليهـم الجيوش فاخضعتهـم الى سـلطانها قهرا وعاد الموظفون العثمـانيون الى مراكزهم كما كانوا قبل الثورة واسترجع جنود السـپاه اقطاعاتهـم الاصلية فهاجر زعمـاء الثورة الى النمسا والمجر منتظرين أوّل فرصــة لاهاجــة الامة ثانيــة طلبا للاستقلال الا أحدهم المدعو (ميلوش او برينوفتش) «١١٢» فانه بقى فى بلاده وأظهر الولاء للـدولة حتى عينتــه بوظيفة شيخ بلد لاحــدى القرى وظل يهيج أفكار الاهالى على الثورة ويبث فيهـم روح الحرية حتى اذا أنس منهم الاسـتعداد للقيام كرجل واحد انتهز فرصة عيد الزحف فى سنة ١٨١٥ الذى يحتفل به المسيحيون فى يوم الاحد السابق لعيد الفصح حيث كان جميع أهالى قريته والقرى المجاورة مجتمعين ونشر بينهم لواء العصيان ودعاهـم الى الثورة فلبوه مسرعين وانضم اليهـم جميع الاهالى وعاد المهاجرون الى أوطانهم وامتد العصيان فى جميع انحاء بلاد الصرب وبعد ان استمر القتال سجالا بينهم وبين الجيوش العثمـانية نحو السنتين قبل ميلوش او برينوفتش بالنيـابة عن الامــة الصربية الرجوع الى سـلطان الدولة بشرط أن لا تتداخل فى شؤونهم الداخليــة ولا فى تحصيل الضرائب بل يعين لادارة البــلاد وتوزيع الضرائب وتحصيلها مجلس مؤلف من اثنى عشر عضوا ينتخبهـم الاهالى من أعيان الامة وهم ينتخبون رئيسا لهم من بينهم يكون كحاكم عمومى وتكتفى الدولة بالمراقبة واحتلال الحصون والقــلاع فقبل الباب العالى هذه الشروط وعــين من يدعى مرعشلى باشا واليا للصرب وأعطيت اليه تعليمـات شديدة تقضى عليه بمعاملة الصربيين بالرفق واللين كى يحافظوا على ولاء الدولة ولا يسـعوا فى فصم ما بقى بينهـما

«١١٢» أحد زعماء الثورة الصربية ولقبه الحقيقى تيودورونتش وسمى اوبر تيوفتش نسبة لابن زوج والدته وكان أبوه من رعاة الخنازير أما هو فثار أولا باتفاق قره جورج الذى سبق ذكره ثم لما هاجر جورج الى الروسيا صار هو رئيسا للحركة الثورية وقتل قره جورج ليتخلص من منافسته وباقى تاريخه يعلم من سياق هذا الكتاب

من

من عرى التابعية سنة ١٨١٧ ثم عين ميلوش أوبرينوفتش رئيسا لمجلس الصرب الذى يمكننا ان نسميه من الآن مجلس نوابهم وأطلقوا عليه اسم (سوبرانيا) وصارت الصرب مستقلة تقريبا واستبد ميلوش كمالك مطلق التصرف لا سلطة للوالى العثمانى عليه مطلقا اكتفاء باحتلال الحصون والقلاع ولم يكن له منافس فى السلطة الاقره جورج أكبر زعماء الثورة الذى هاجر الى بلاد الروسية فأكرم القيصر مثواه ومنحه رتبة جنرال عسكرى ونشان (سانت آن) ولذلك خشى ميلوش من نفوذه ومساعدة الروسية له فأصر على قتله وتربص له حتى اذا حضر مختفيا الى بلاد الصرب قاصدا بلاد اليونان بناء على طلب زعمائها أرسل اليه ميلوش من قتله ثم أرسل رأسه الى الاستانة علامة على حسن ولائه واخلاصه للدولة العلية صاحبة السيادة الاسمية على بلاده

﴿فتنة الوهابيين واخمادها بمعرفة محمد على باشا وولديه وجنوده المصرية﴾

الوهابيون قوم من العرب اتبعوا طريقة عبد الوهاب وهو رجل ولد بالدرعية بارض العرب من بلاد الحجاز كان من وقت صغره تظهر عليه النجابة وعلو الهمة والكرم وشب على ذلك واشتهر بالمكارم عند كل من يلوذ به

وبعد ان درس مذهب أبى حنيفة فى بلاده سافر الى أصفهان ولاذ بعلمائها وأخذ عنهم حتى اتسعت معلوماته فى فروع الشريعة وخصوصا فى تفسير القرآن ثم عاد الى بلاده فى سنة ١١٧١ هجرية فأخذ يقرر مذهب أبى حنيفة مدة ثم أدته ألمعيته الى الاجتهاد والاستقلال فانشأ مذهبا مستقلا وقرره لتلامذته فاتبعوه وأكبوا عليه ودخل الناس فيه بكثرة وشاع أمره فى نجد والاحساء والقطيف وكثير من بلاد العرب مثل عمان وبنى عتبة من أرض اليمن ولم يزل أمرهم شائعا ومذهبهم متزايدا الى أن قيض الله لهم عزيز مصر محمد على باشا فاطفأ سراجهم فى سنة ١٢٣٢ وكسر شوكتهم وأخفى ذكرهم وهاك رسالة من كلامهم تدل على بعض مذهبهم ومعتقداتهم وهى منقولة حرفيا من الجزء الثانى عشر صحيفة ٨٣ من كتاب الخطط الجديدة التوفيقية

اعلموا رحمكم الله ان الحنيفية ملة ابراهيم ان تعبد الله مخلصا له الدين وبذلك أمر الله

جميع الناس وخلقهم له كما قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فاذا عرفت ان الله خلق العباد للعبادة فاعلم ان العبادة لا تسمى عبادة الا مع التوحيد كما ان الصلاة لا تسمى صلاة الا مع الطهارة فاذا دخل الشرك فى العبادة فسدت كالحدث اذا دخل فى الطهارة كما قال الله تعالى ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفى النار هم خالدون فمن دعا غير الله طالبا منه ما لا يقدر عليه الا الله من جلب خير أو دفع ضر فقد أشرك فى العبادة كما قال تعالى ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين وقال تعالى والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير فأخبر تبارك وتعالى ان دعاء غير الله شرك فمن قال يارسول الله أو يا ابن عباس أو يا عبد القادر زاعما انه باب حاجته الى الله وشفيعه عنده ووسيلته اليه فهو المشرك الذى يهدر دمه وماله الا أن يتوب من ذلك وكذلك الذين يحلفون بغير الله أو الذى يتوكل على غير الله أو يرجو غير الله أو يخاف وقوع الشر من غير الله أو يلتجئ الى غير الله أو يستعين بغير الله فيما لا يقدر عليه الا الله فهو أيضا مشرك وما ذكرنا من أنواع الشرك هو الذى قال الله فيه ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وهو الذى قاتل رسول الله المشركين عليه وأمرهم باخلاص العبادة كلها لله تعالى ويصح ذلك أى التشنيع عليهم بمعرفة أربع قواعد ذكرها الله تعالى فى كتابه أولها أن تعلم ان الكفار الذين قاتلهم رسول الله يقرون ان الله هو الخالق الرزاق المحيي المميت المدبر لجميع الامور والدليل على ذلك قوله تعالى قل من يرزقكم من السماء والارض أمن يملك السمع والابصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يدبر الامر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون وقوله تعالى قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل أفلا تذكرون قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل أفلا تتقون قل من بيده ملكوت كل شئ وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل فانى تسحرون اذا عرفت هذه القاعدة وأشكل عليك

الامر

الامر فاعلم انهم بهذا أقروا ثم توجهوا الى غير الله يدعونه من دون الله فأشركوا
القاعدة الثانية انهم يقولون ما نرجوهم الا لطلب الشفاعة عند الله نريد من الله
لا منهم ولكن بشفاعتهم وهو شرك والدليل على ذلك قول الله تعالى ويعبدون
من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله اتنبؤن الله
بما لا يعلم فى السموات ولا فى الارض سبحانه وتعالى عما يشركون وقال الله تعالى والذين
اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه
يختلفون ان الله لا يهدى من هو كاذب كفار واذا عرفت هذه القاعدة فاعرف
القاعدة الثالثة وهى ان منهم من طلب الشفاعة من الاصنام ومنهم من تبرأ من
الاصنام وتعلق بالصالحين مثل عيسى وأمه والملائكة والدليل على ذلك قوله تعالى
أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون
عذابه ان عذاب ربك كان محذورا ورسول الله لم يفرق بين من عبد الاصنام ومن عبد
الصالحين بل كفر الكل وقاتلهم حتى يكون الدين كله لله واذا عرفت هذه القاعدة
فاعرف القاعدة الرابعة وهى انهم يخلصون لله فى الشدائد وينسون ما يشركون
والدليل على ذلك قوله تعالى فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم
الى البر اذا هم يشركون وأهل زماننا يخلصون الدعاء فى الشدائد لغير الله فاذا عرفت
هذا فاعرف القاعدة الخامسة وهى ان المشركين فى زمان النبى أخف شركا من عقلاء
مشركى زماننا لان أولئك يخلصون لله فى الشدائد وهؤلاء يدعون مشايخهم فى
الشدائد والرخاء والله أعلم بالصواب (انتهى)

ولما رأى السلطان محمود انه من الضرورى قمع هذه الفئة التى يخشى من امتدادها
على تفريق كلمة الاسلام الامر الذى جعله الاوروبيون مطمح أنظارهم للتمكن
من فصم عرى اتحادهم وامتلاك بلادهم ولبعد ولايات الشام وبغداد عن مركز
الفتنة كلف محمد على باشا والى مصر ومؤسس عائلتها الخديوية بمحاربتها واسترجاع
مكة المشرفة والمدينة المنورة من أيدى زعمائها وأرسل اليه فرمانا بذلك فى أواخر
دسمبر سنة ١٨٠٧ ولما كان ارسال الجيوش الى بلاد العرب عن طريق البر أمرا
متعسرا ان لم يكن مستحيلا لانتشار الوهابيين فى جميع الطرق وقطعهم المواصلات

عزم محمد على باشا على ارسالهم بطريق البحر الاحمر فأمر بانشاء السفن فى السويس لنقل الجنود الى فرضة ينبع فكانت الاخشاب الصالحة لعمل المراكب تقطع فى جميع جهات القطر و يؤتى بها الى الورش التى أقيمت فى بولاق فتجهز فيها ثم تنقل على ظهور الجمال الى السويس فتركب بكل سهولة

ولما استعدت المراكب وجمعت الجيوش والكتائب أضمر هذا الشهم على ابادة طائفة المماليك ليخلص البلاد من شرهم ويمكنه التفرغ لاصلاحها واخراج مشروعاته المفيدة من حيز الفكر الى حيز العمل

ولتتميم هذا المشروع أعد حفلة فى القلعة فى يوم الجمعة ٥ صفر سنة ١٢٢٦ الموافق أول مارث سنة ١٨١١ لتسليم ولده طوسن باشا الفرمان المؤذن بتقليده قيادة الجيش المزمع ارساله الى بلاد العرب لمحاربة الوهابيين والسيف المهدى اليه من قبل الحضرة السلطانية

وفى اليوم المعهود طلع جميع رؤساء المماليك الى القلعة فى موكب منتظم ولما دخل الجميع من باب العزب وانحصروا فى المضيق الموصل منه الى الباب الاوسط أغلقت الابواب وأطلقت عليهم البنادق من خلف الاسوار ومن أعلاها حتى قتلوا عن آخرهم وفى الوقت نفسه نهبت جنود محمد على باشا منازلهم بالمدينة وقتلت من تخلف منهم عن الحضور ثم أرسل الى عماله فى الاقاليم بقتل جميع المماليك القاطنين خارج العاصمة فقتلوهم وصاروا يتنافسون فى ارسال رؤسهم اليه وبذلك طهرت مصر من أدران هذه الفئة ولو لم يكن لمحمد على باشا من الايادى البيضاء على مصر سوى تخليصها من شر المماليك لكفى لتخليد ذكره وتمجيد اسمه

وبعد ذلك سافر طوسن باشا بجيوشه الى بلاد العرب وحارب الوهابيين واستخلص المدينة المنورة بعد ان نسف أسوارها بالالغام ودخلها عنوة وكتب لوالده بذلك ثم حصره الوهابيون فى مدينة الطائف فسافر محمد على باشا الى مدينة مكة فى أغسطس سنة ١٨١٢ وقبض على الشريف غالب شريف مكة المكرمة وأرسله الى مصر وأقام مكانه الشريف يحيى بن سرور واحتل عدة مراكز مهمة من مراكز الوهابيين فتضعضع حالهم خصوصا وقد توفى زعيمهم سعود فى ١٩ ربيع الآخر سنة ١٢٢٩

الموافق ١٧ ابريل سنة ١٨١٤ فساد الامن فى طريق الحج وأتى الناس أفواجا لتأدية فريضة الحج فى الحجة سنة ١٢٢٩ وحج محمد على باشا وجميع من معه ثم عاد الى مصر فوصلها فى ١٥ رجب سنة ١٢٤٠

وقبل عودته كان قد سار طوسن باشا الى بلاد نجد لمهاجمة الوهابيين فى مدينة (الدرعية) عاصمة زعيمهم فاحتل مدينة الرس الواقعة على مقربة من الدرعية ثم راسله عبد الله بن سعود الذى تولى زعامة الوهابيين بعد موت أبيه وأرسل اليه رسولا يدعى الشيخ أحمد الحنبلى يطالبه بالكف عن القتال والخضوع لامير المؤمنين وترك ضلالاتهم فاجابه طوسن باشا بانه لا يمكنه اجابة ملتمسه الا بعد أخذ رأى والده واتفقا على مهادنة عشرين يوما ريثما يخابر طوسن باشا والده وعند ذلك أتى اليه خبر عودة والده الى مصر فأخذ على نفسه اتمام الصلح واخبار والده بعد اتمامه فاتفق مع عبد الله بن سعود الوهابى على ان يحتل طوسن باشا بجيوشه مدينة الدرعية ويرد الوهابيون ما أخذوه من الجوهرات والنفائس من الحجرة الشريفة النبوية خصوصا الكوكب الدرى الذى زنته مائة وثلاثة وأربعون قيراطا من الالماس وكتب لوالده بذلك فأتى اليه الرد بتكليف عبد الله بن سعود بالتوجه الى الاستانة وان لم يقبل يرسل اليه جيشا جديدا لمحاربته

وفى هذا الاثناء بلغ طوسن باشا خبر تمرد الجنود على والده بالعاصمة ونهبهم المدينة فرجع هو أيضا الى العاصمة منيطا قيادة جيوشه لاحد من كان معه من القواد ووصل هو الى القاهرة فى غاية ذى القعدة سنة ١٢٣٠ الموافق ٧ نوفمبر سنة ١٨١٥

وبعد استتباب الامن فى العاصمة أخذ محمد على باشا فى تجهيز حملة جديدة لمحاربة الوهابيين فجهزها وجعل قائدها بكر أولاده ابراهيم باشا فسار هذا الشبل الى بلاد العرب من طريق قنا فالقصير فجدة وأبحر من فرضة بولاق فى ١٢ شوال سنة ١٢٣١ الموافق ٣ سبتمبر سنة ١٨١٦ فوصل ينبع فى ٩ ذى القعدة من السنة المذكورة الموافق ٢٩ سبتمبر سنة ١٨١٦ ومنها قصد المدينة المنورة لزيارة قبر خاتم المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ثم سار بجيوشه الى بلاد

نجد بعد ان رتب النقط فى خط رجعته الى فرضتى ينبع وجدة لعدم انقطاع وصول المدد اليه فاحتل الرس ومدينة عنيزة وغيرها وفى ٢٩ جمادى الاولى سنة ١٢٣٣ الموافق ٦ ابريل سنة ١٨١٨ وصل أمام مدينة الدرعية وكان بها عبد الله بن سعود ومعظم جنوده

ولما كانت هذه المدينة متسعة الارجاء ولا يمكن لابراهيم باشا محاصرتها بكيفية تضطرها الى التسليم أشار عليه أحد أركان حربه من الفرنساويين المدعو المسيو (قسيير) بحصار القرى الاربع المحيطة بالمدينة الواحدة بعد الاخرى حتى اذا احتلها أمكنه محاصرة المدينة الاصلية بكل سهولة فاتبع ابراهيم باشا هذا الرأى لما فيه من المطابقة على أصول الحرب ومع ذلك فاستمر الحصار عدة أشهر لكن لما رأى عبد الله بن سعود ان المصريين قد احتلوا ثلاث قرى من ضواحى المدينة مال الى التسليم وطلب من ابراهيم باشا فى ٩ سبتمبر سنة ١٨١٨ ايقاف القتال للمفاوضة فى الصلح فأوقفه وأتى عبد الله بن سعود الى ابراهيم باشا فى معسكره فأكرمه وأحسن وفادته وبعد محادثة طويلة قبل الوهابى تسليم مدينة الدرعية اليه بشرط عدم تعرضه للاهالى بسوء وبالسفر الى الاستانة كرغبة الحضرة السلطانية وبرد الكوكب الدرى وما بقى من الجوهرات والتحف التى أخذها الوهابيون حين استيلائهم على المدينة سنة ١٢٢٠ ه

ثم سافر عبد الله بن سعود الى الاستانة من طريق مصر فوصل القاهرة فى يوم الاثنين ١٧ محرم سنة ١٢٣٣

وبعد أن قابل محمد على باشا بسراى شبرا سافر قاصدا الاستانة فى ١٩ من الشهر المذكور الموافق نوفمبر سنة ١٨١٨ وقتل بالقسطنطينية بمجرد وصوله

ولما هدأت الحال فى بلاد الحجاز ونجد وضرب الامن أطنابه بها واستوصلت شأفة الوهابيين منها عاد ابراهيم باشا الى مصر فوصل القاهرة فى يوم الخميس ٢١ صفر سنة ١٢٣٥

وفى يوم الخميس دخلها بموكب حافل مارا من باب النصر الى القلعة وزينت المدينة

سبعة أيام متوالية

وبعد ذلك أمكن عزيز مصر التفرغ لاصلاح البلاد فنظم الجندية على النظامات الاوروبية وعاونه على ذلك الكلونيل سيف الفرنساوى الذى تسمى فيما بعد باسم سليمان باشا ثم شرع فى فتح بلاد السودان ففتحها ولده اسمعيل باشا ومات بها حرقا وبطل الحجاز ابراهيم باشا من سنة ١٨٢٠ الى سنة ١٨٢٣

﴿عصيان على باشا والى يانيا﴾

سبق لنا ذكر تحصن على باشا فى اقليم ابيروس وما جاورها واستخفافه بالدولة وأوامرها ونقول ان الدولة لم ترد المسارعة فى مجازاته لاشتغالها بما هو أهم منه من الشؤون الداخلية والخارجية فحمل هذا التغاضى على الخوف وزاد فى عدم احترام الاوامر التى ترد اليه من الاستانة حتى وصلت به الحالة الى الامتناع عن دفع الخراج وعدم ارسال من يطلب منه من الشبان للعسكرية وأخيرا أرسل أحد أتباعه الى الاستانة لقتل بعض خواص السلطان لعدم مساعدته له فى الديوان السلطانى فقتله رسول السوء فى احدى شوارع الاستانة العلية والمظهر ان ذلك بايعاز على باشا أمر السلطان بمحاكمته وكتب بطلبه الى القسطنطينية لمعاقبته أو تبرئته حسب ما يظهره التحقيق فامتنع عن الحضور وجاهر بالعصيان غير مبال ببطش الدولة وراسل زعماء اليونان الذين كانوا ابتدأوا فى الهياج والاضطراب طلبا للحرية لكن تداركت الدولة الامر قبل تفاقم الخطب وأرسلت اليه جيوشا كافية لقمعه تحت قيادة من يدعى خورشيد باشا فحاربه هذا القائد وحصره فى يانيا مدة وضايق عليه الحصار حتى يئس من وصول المدد اليه من زعماء اليونان

ولما رأى ان لا مناص له من التسليم فاتح خورشيد باشا فى ذلك فى يناير سنة ١٨٢٢ ثم اجتمع به فى ٥ فبراير التالى للاتفاق على شروط التسليم فأبرز له خورشيد باشا الفرمان السلطانى القاضى بقتله جزاء تمرده وعصيانه على الدولة التى والت عليه نعماءها ورفعته الى أعلى الدرجات وفى الحال أحاط به الجند وقبضوا عليه وأوردوه الحمام ثم جزوا رأسه وأرسلوها الى الاستانة وبذلك انتهت فتنته وعادت السكينة الى

ربوع بلاد الارنؤد

﴿ثورة اليونان وطلبها الاستقلال﴾

قدعلم المطالع من سياق هذا الكتاب ان الدولة العلية كانت كلما فتحت اقليما اكتفت من أهله بالخراج غير متعرضة لهم فى دينهم أو لغتهم أو عوائدهم وأظهرنا مضار هذه الطريقة التى تحفظ بها كل أمة لغتها ورابطتها وعصبتها حتى اذا ساعدتها الظروف نشطت من عقالها وقامت من رقدتها طالبة نصيبها من شمس الاستقلال المنعشة فلما قامت الثورة الفرنساوية على دعائم الحرية والمساواة والاخاء وانتشرت مباديها فى جميع انحاء أوروبا التى وطئها نابوليون بجيوشه تعدت منها الى غيرها ووصلت قصائلها الى بلاد اليونان فوجدت من افكار ألباب سكانها مغرسا طيبا فنمت وأينعت وامتدت فروعها الى سهلها وجبلها واجتمع تحت ظلها الوارف زعماء الامة اليونانية لكنهم أيقنوا انهم لا يقوون على طلب الاستقلال الا اذا كان من أبنائهم شبان متعلمون يبثون المبادى الجديدة بين جميع طبقات الامة فيعلمون ان لهم حقوقا يطالبون بها وواجبات يطالبهم الغير بها ولذلك عمد أغنياؤهم الى ارسال أولادهم الى مدارس الممالك الاوروبية ليتحلوا بالعلوم والمعارف وليكونوا رؤساء الامة ودعاة حريتها فى المستقبل ثم ألفوا عدة جمعيات لنشر العلم بها بين أفراد الامة وبث روح الوطنية بينهم وشكلوا جمعيات أخرى سياسية محضة وجعلوا مراكزها فى الروسيا والنمسا وأهم هذه الجمعيات الجمعية السرية المسماة (هيتيرى) ﴿١١٣﴾ وقيل ان تشكيلها كان بتحريض من اسكندر الاول ﴿١١٤﴾ قيصر الروسيا لايجاد المشاكل

﴿١١٣﴾ كلمة يونانية معناها جمعية اخوية أطلقت على جمعيتين أسست احداهما فى مدينة ويانة عاصمة النمسا بدعوى تأسيس المدارس ونشر العلوم بين اليونان والثانية لقصد سياسى محض وهو السعى فى استخلاص بلاد اليونان من الحكومة العثمانية وبقيت سرية الى سنة ١٨٢١ حيث ابتدأت الثورة جهارا وكان مركزها أولا بمدينة أودسا ثم انتقلت الى مدينة كيف وكلتاهما ببلاد الروسيا الامر الذى يدل على ان للروسيا ضلعا مهما فى تأسيسها والصرف عليها

﴿١١٤﴾ هو ابن الامبراطور بولص الاول ولد سنة ١٧٦٧ وتولى بعد قتل أبيه فى ٢٣ مارث سنة ١٨٠١ وأدخل فى بلاده عدة اصلاحات داخلية منها ابطال المصادرة والتعذيب وحط الضرائب وأسس عدة مدارس جامعة ولطف قانون العقوبات وحارب نابوليون الاول باتحاده مع جميع أوروبا

الداخلية

الداخلية فى الدولة كى يتسنى له تنفيذ وصية بطرس الاكبر القاضية بجعل مدينة القسطنطينية مفتاح الممالك الروسية

وكانت هذه الجمعية أشبه شئ بجمعيات الكاربونارى «١١٥» التى انتشرت أثناء ذلك فى الممالك اللاتينية أى فرنسا والبرتغال واسبانيا وايطاليا لتحرير هذه الامم بمبادى الثورة الفرنساوية وانتشرت جمعية الهتيرى بين جميع اليونان المجتمعين فى اقليم مورا والمتفرقين فى باقى أملاك الدولة حتى بلغ عدد أعضائها فى أوائل سنة ١٨٢١ نيفا وعشرين ألفا وجميعهم من الشبان الاقوياء القادرين على حمل السلاح كاملى العدد متأهبين للثورة عند أول اشارة تبدو لهم من رؤسائهم ومما ساعد على امتداد جذورها وفروعها بهذه الكيفية الغريبة اشتغال الدولة بمحاربة على باشا والى يانيا الذى سبق ذكره

وانتهزوا فرصة تفرغها القمعه لنشر لواء العصيان ومقاتلة الجنود العثمانية المحتلة لحصونهم وقلاعهم وبمجرد انتهاء فتنة والى يانيا بقتله فى ٥ فبراير سنة ١٨٢٢ وجهت الدولة خورشيد باشا الى بلاد اليونان لاخضاعها فتغلبوا عليه فى واقعة الترموبيل «١١٦» وفرقوا شمل جنوده فى أغسطس سنة ١٨٢٢

أما هو ففاثر الموت على تحمل عار هذه الموقعة بعد ما ناله من الفخر فى قهر والى يانيا

عدة مرات وانهزم أمام فرنسا فى وقائع متعددة وأخير الما قصد نابوليون بلاده وتقهقر أمام مدينة موسكو التى أحرقها الروس اتحدت أوروبا ضده بناء على ايعاز المترجم واستظهروا على فرنسا ودخل اسكندر الاول مدينة باريس فى ٣١ مارث سنة ١٨١٤ ثم لما عاد نابوليون من منفاه الاول حاربه اسكندر الاكبر مع جميع أوروبا وانتصروا عليه فى ١٨ يونيه سنة ١٨١٥ فى واقعة وترلو واشتهر الامبراطور المذكور بمضادته لاستقلال الامم ولذلك ألف مع البروسيا والنمسا الاتحاد المقدس لمعارضة كل أمة تود الاستقلال وتوفى عن غير عقب من المذكور فى دسمبر سنة ١٨٢٥

«١١٥» جمعية سرية نشأت بايطاليا فى أوائل هذا القرن لطرد الاجانب منها وتوحيدها ثم انتقلت الى فرنسا سنة ١٨١٨ على ما يظهر وانتشرت فيها بكيفية غريبة وكانت من أكبر أسباب سقوط حكومة شارل العاشر الذى أراد ارجاع بعض النظامات القديمة المخالفة لروح الحرية ويقال ان لفييت الشهير كان من أكبر زعمائها

«١١٦» مضيق شهير ببلاد اليونان دافع فيه ليونيداس ملك اسبارطه دفاع الابطال عن وطنه لما هاجمهم اكزرخس ملك العجم وجموعه سنة ٤٨٠ قبل المسيح وفى هذه الواقعة ثبت ليونيداس ومن معه حتى قتلوا عن آخرهم ثم نقلت عظامه الى مدينة اسبارطه حيث أقيم له أثر عظيم تخليدا لذكره وتمجيدا لاسمه

فانصرومات مسموما

وممازاد فى أهمية انهزام خورشيد باشا ان البحارة اليونانيين تمكنوا فى يوم ١٨ يونيو سنة ١٨٢٢ من حرق الدونانمة التركية فى مينا جزيرة ساقز واستشهاد ثلاثة آلاف بحرى بسببها بعد ان استخلصت جزائر ساموس وساقز وغيرهما من أيدى ثائرى اليونان ومجازاة سكانها ومساعديهم بقتل الرجال وسبى النساء وارتكاب أنواع السلب والنهب مما كان له دوى فى أوروبا واستمال الرأى العام بها لمساعدة اليونان وبقى الحرب بعد ذلك سجالا الى سنة ١٨٢٤

ولما رأى السلطان محمود ما ألم بجيوشه فى هذه الحروب المستمرة والمناوشات الغير منقطعة وثبات اليونانيين أمام الجيوش العثمانية واعتصامهم بالجبال وعدم قدرة الجنود على اللحاق بهم فى جبالهم الوعرة أراد أن يحيل مأمورية محاربتهم على محمد على باشا والى مصر نظرا لما أبداه هو وولده الشهم الهمام ابراهيم باشا فى محاربة الوهابيين من جهة وليشغله عما كان يظن انه ينويه من طلب الاستقلال من جهة أخرى اذ توهم الباب العالى انه لولم تكن هذه وجهته الحقيقية لما بذل وسعه فى تنظيم جيش جديد مؤلف من الشبان المصريين الذين جعل اعتماده عليهم بدل اخلاط الترك وتدريبهم على النظام الاوروبى بمساعدة ضباط من الفرنساويين فلهذه المناسبات أصدر السلطان فرمانا بتاريخ ٦ مارث سنة ١٨٢٤ بتعيين محمد على باشا واليا على جزيرة كريد واقليم موره وما بورتا هذه الثورة

﴿سفر ابراهيم باشا والجيوش المصرية الى بلاد اليونان﴾

فلم يسع محمد على باشا الا الاذعان لاوامر متبوعه الاعلى خوفا من حمل امتناعه على العصيان والاستقلال الامر الذى ما كانت قواه الحربية تساعده على اقتحامه وفى الحال أصدر أوامره باستعداد سبعة عشر ألف جندى كلهم مصريون من المشاة للسفر وعدد من الفرسان والمدفعيه وعين بكر أولاده مخضع الوهابيين وفاتح السودان قائدا عاما لهذه الحملة ورافقه بسليمان بيك (هو الكولونيل سيف الذى سبق ذكره) الفرنساوى منظم هذه الجيوش ليساعده بمعلوماته العسكرية التى

تحصل عليها أثناء وجوده ضمن جيوش نابوليون الشهيرة بحسن الترتيب وكمال النظام

فاستعدت هذه الارسالية للسفر من ثغر الاسكندرية وأبحرت منه تحت قيادة بطل مصر ابراهيم باشا فى ١٠ يوليو سنة ١٨٢٤ على سفن مصرية تكتنفها سفن حربية مصرية أيضا من سفن الدونانمة التى أنشأها محمد على باشا فى البحر الابيض لحماية ثغور مصر من هجمات الاعادى كما حصل من الانكليز سنة ١٨٠٧ فسارت السفن بسم الله مجريها الى جزيرة رودس للاجتماع بالدونانمة العثمانية ثم ترك ابراهيم باشا فيها سليمان بيك الفرنساوى مع حامية كافية لحفظها من تعدى الثائرين عليها وقصد هو جزيرة كريد فاحتلها ومنها قام الى سواحل بلاد موره يحاول انزال جنوده فيها وبعد العناء الشديد تمكن من انزالهم فى ميناء مودون ولم يكن باقيا فى أيدى العثمانيين اذ ذاك من جميع سواحل اليونان الا هذه المدينة ومدينة كورون ولولم تكن مساعدة أوروبا لليونانيين بالمال والرجال لما أمكنهم مقاومة الجنود العثمانية فانه لما شرعت اليونان فى طلب الاستقلال تشكلت فى أوروبا عدة جمعيات دعيت بجمعيات محبى اليونان وجمعت كثيرا من المال ارسلت به الى الثائرين كميات وافرة من الاسلحة والذخائر وتطوع كثير من أعضائها فى عداد المحاربين ومن ضمنهم كثير من مشاهير أوروبا وامريكا مثل وشنطون ابن محرر امريكا الشهير واللورد بيرون الشاعر الانكليزى وغيرهما من فحول الرجال الذين وقفوا حياتهم للدفاع عن الحرية فى أى زمان ومكان انتصارا لمبادئهم لا لامة معلومة أو رجل معلوم ومما ساعد على دخول بعض الشبان المشهورين فى جيوش اليونان القصائد الحماسية التى نشرها فيما بينهم (فيكتور هوجو) الشاعر المفلق الفرنساوى و (كازيمير دلافين) الناظم الشهير

ولم يلبث ابراهيم باشا ان أمد مدينة (كورون) التى كان يحصرها اليونانيون بالرجال والذخائر فى ٢٣ مارث سنة ١٨٢٥ ثم فتح مدينة (ناورين) «١١٧» الشهيرة

«١١٧» مدينة ببلاد اليونان على بحر ارخبيل قليلة السكان اشتهرت فى التاريخ بتدمير مراكب انكلترا وفرنسا والروسيا الدونانمة المصرية العثمانية فى ٢٠ اكتوبر سنة ١٨٢٧ مساعدة لليونان للحصول على استقلالها السياسى بدون اعلان حرب كما هى عادة الامم المتمدنة

بعد حصار شديد ودخلها منصورا فى ١٦ مايو من السنة المذكورة وبعد قليل فتح مدينة (كالاماتا) وفى ٢٣ احتل مدينة (تريبولتسا) ثم استدعاه رشيد باشا الذى كان محاصرا مدينة (ميسولونجى) لمساعدته على فتحها وكانت قد أعيته فى ذلك الحيل لوقوعها على البحر ووصول المدد اليها تباعا من جهة البر فقام ابراهيم باشا بجيوشه ملبيا دعوته واتبع فى فتحها الطريق التى أرشده سليمان بيك الفرنساوى اليها فى محاصرة (ناورين) ففتحت المدينة بعد عناء شديد وحصار جهيد ودخلها العثمانيون والمصريون فى أواخر ابريل سنة ١٨٢٦ وفى يونيو من السنة التالية فتح العثمانيون مدينة آتينا وقلعتها الشهيرة (اكروبول) رغما عن دفاع اللورد كوشران القائد البحرى الانكليزى الذى عين من قبل اليونانيين قائدا عاما لجيوشهم البرية والبحرية لعدم اتفاقهم على تعيين أحدهم

﴿تداخل الدول واتفاق آق كرمان﴾

وبينما يستعد ابراهيم باشا لفتح ما بقى من بلاد اليونان فى أيدى الثائرين اذ تداخلت الدول بين الباب العالى ومتبوعيه بحجة حماية اليونانيين فى الظاهر ولفتح المسئلة الشرقية وتقسيم بلاد الدولة بينهم فى الباطن وبيان هذا التداخل ان الدولة لامت الروسيا أكثر من مرة على مساعدتها الثائرين وحماية من يلتجئ منهم الى بلادها وهى لا تصغى لهذا اللوم ولا تنصت للحق بل استمرت على مساعدتهم طمعا فى نوال بغيتها الاصلية وهى احتلال الاستانة وجعلها مركزا للديانة الارثودكسية كما ان مدينة رومة مركز للديانة الكاثوليكية ثم استمرت المخابرات بين الدولتين مدة بدون فائدة لرغبة الروسيا التداخل بين التابع والمتبوع وعدم قبول الباب العالى أى تداخل أجنبى فى شؤونه الداخلية بين رعاياه ولما توفى القيصر اسكندر الاول فى أول دسمبر سنة ١٨٢٥ وتولى بعده نقولا الاول (١١٨) اهتم بمسئلة اليونان

---

(١١٨) هو ثالث أولاد بولص الاول وتولى بعد موت أخيه اسكندر الاول فى سنة ١٨٢٥ بسبب تنازل أخيه الاكبر قسطنطين عن حقه فى الملك وكان أشد ملوك الروسيا عداوة للدولة العلية حاربها وأمضى معها وفاق (آق كرمان) ثم معاهدة أدرنه فى ١٤ سبتمبر سنة ١٨٢٩ وحارب العجم وأخذ منها عدة ولايات ثم لما حصلت حرب الشام بين مصر والدولة العلية أبرم مع الدولة معاهدة خونكار

متبعا

متبعا خطة سلفه السياسية وباتحاده مع انكلترا التى كان قصدها منع الحرب بين الدولتين اضطر الباب العالى الى التصديق على معاهدة (آق كرمان) فى ٢٥ سبتمبر سنة ١٨٢٦ وملخصها أن يكون للروسيا حق الملاحة فى البحر الاسود والمرور من البوغازين بدون ان يكون للدولة وجه فى تفتيش سفنها وان تنتخب حكام ولايتى الافلاق والبغدان بمعرفة الاعيان لمدة سبع سنوات مع عدم جواز عزلهما أو أحدهما الا باقرار الروسيا وان تكون ولاية الصرب مستقلة تقريبا وأن لا تحتل العساكر التركية الا قلعة بلغراد وثلاث قلع أخرى ولم يذكر بهذه المعاهدة شئ عن اليونان لايجاد سبب للاشكال فى المستقبل بل اتفقت الروسيا وانكلترا على استعمال كل نفوذها لوضع حد للحروب المستمرة بها ولو كره الباب العالى ووافقتهما دول النمسا والبروسيا وفرنسا وهذا نص اتفاق آق كرمان

﴿ اتفاق آق كرمان الرقيم ٢٥ سبتمبر سنة ١٨٢٦ ﴾

﴿البند الاول﴾ جميع قيود واشتراطات معاهدة الصلح المبرمة فى بخارست بتاريخ ١٦ مايو سنة ١٨١٢ الموافق ١٧ جمادى الاولى سنة ١٢٢٧ هـ قد تقررت بهذا الاتفاق الحالى من حيث قوتها الجوهرية ومبناها كما لو كانت معاهدة بخارست هذه ذكرت فيه كلمة فكلمة اذ ان الغرض من الايضاحات التى هى موضوع هذا الاتفاق الحالى ليس الا تحديد معنى بنود المعاهدة المذكورة بالضبط وتقوية دعائمها

﴿البند الثانى﴾ حيث أن ما جاء فى البند الرابع من معاهدة بخارست بخصوص تحديد تخوم الدولتين فى الجزيرتين العظيمتين الموجودتين بالدانوب أمام مدينتى اسمعيل وكلى اللتين مع استمرارهما ملكا للباب العالى كان تقرر بقاء جزء منها قاحل

اسكله سى سنة ١٨٣٣ القاضية بمساعدته للدولة وكان من أكبر مساعدى اليونان على الاستقلال كانه محى ما كان باقيا لبولونيا من الاستقلال الادارى وساعد النمسا على قهر بلاد المجر وألزمها البقاء تحت سلطة النمسا فى سنة ١٨٤٩ وأخيرا تسبب بزيادة عدم احترامه لحقوق الدولة العلية فى حرب القرم التى اتحدت فيها فرنسا وانكلترا مع الدولة ضده وانتهت بسقوط قلعة سبستابول فى أيدى المتحالفين وامضاء معاهدة باريس فى ٣٠ مارث سنة ١٨٥٦ المدرجة فى هذا الكتاب وتوفى هو أثناء الحرب فى ٢ مارث سنة ١٨٥٥

غير آهل بالسكان على فيما بعد عدم امكان تنفيذه نظرا للموانع الناشئة عن فيضان النهر حيث ثبت بالتجربة ضرورة اقامة حد فاصل ثابت ذى امتداد كاف بين سكان الشواطئ المملوكة للطرفين لمنع حصول أى اختلاط بينهم فتنقطع بهذه الواسطة كافة المنازعات والارتباكات المستمرة التى تنتج عنها فتعهد الباب العالى العثمانى مجاملة لحكومة الروسيا الملوكية رغبة فى اظهار صريح رغبته الخاصة فى توثيق عرى الصلات الحبية بين الدولتين ومراعاة لحسن الجوار بأن يجرى و يحافظ على النظام الذى اتفق عليه بهذا الصدد فى القسطنطينية بين مبعوث الروسيا و وزراء الباب العالى فى المؤتمر المنعقد بتاريخ ٣١ اغسطس سنة ١٨١٧ وفقا للنصوص المدونة بمحضر ذلك المؤتمر وعلى ذلك فالنصوص المذكورة فى هذا المحضر بالنسبة لموضوع بحثنا تعتبر كأنها جزء متمم للاتفاق الحالى

﴿البند الثالث﴾ بما أن التعهدات والعقود المختصة بالامتيازات التى تتمتع بها البغدان والافلاق قد تقررت بقيد خصوصى فى البند الخامس من معاهدة بخارست فالباب العالى يتعهد تعهدا صريحا بأن يراعى تلك الامتيازات والتعهدات والعقود فى كل حين بالصداقة التامة و يعد بأن يجدد الخطوط الشريفة المحررة فى سنة ١٨٠٢ التى خصصت وضمنت الامتيازات المذكورة وذلك فى مسافة ستة شهور تمضى من تاريخ التصديق على الاتفاق الحالى و زيادة على ذلك فانه بالنظر الى المصائب التى تحملتها هاتان الولايتان بسبب الحوادث الاخيرة و بالنظر الى اختيار بعض أشراف البغدانيين والافلاقيين لاجل أن يكونوا ولاة لهاتين الامارتين ونظرا لان حكومة الروسيا الملوكية قد قبلت هذا الانتخاب فقد حصل الاعتراف من الباب العالى والروسيا بأن الخطوط الشريفة المذكورة سابقا الصادرة فى سنة ١٨٠٢ يجب من كل بد تكملتها بواسطة القيود المدونة بالعقد المنفصل المرفق بهذا الذى اتفق عليه بين مندوبى الطرفين السياسيين والذى يعتبر جزأ متمما للاتفاق الحالى

﴿البند الرابع﴾ اشترط فى البند السادس من معاهدة بخارست ان تحدد التخوم بين الدولتين المتعاقدتين من جهة آسيا بالكيفية التى كانت عليها سابقا قبل الحرب

وأن تعيد حكومة الروسيا الامبراطورية الى الباب العالى الحصون والقلاع الكائنة ضمن هذه التخوم والتى فتحتها جنود الروسيا أثناء الحرب فبناء على هذا الشرط ونظرا لكون حكومة الروسيا الامبراطورية قد أخلت وأعادت بعد الصلح مباشرة الحصون المشار اليها التى كانت أخذت فى أثناء الحرب من جنود الباب العالى فقد اتفق الطرفان بأنه من الآن فصاعدا تبقى التخوم الاسيوية بين المملكتين كما هى عليه الآن وأنه قد تحدد ميعاد سنتين لاتخاذ الوسائل الناجعة من الطرفين فى المحافظة على سكينة وأمن الرعايا التابعة لكل منهما

﴿البند الخامس﴾ بما أن الباب العالى العثمانى يرغب فى أن يبرهن للحكومة الروسيا الامبراطورية على ميله الودى وتيقظه التام لاتمام كافة شروط معاهدة بخارست فسيشرع فى اجراء جميع قيود البند الثامن من المعاهدة المذكورة المختصة بالامة الصربية التى لكونها من قديم الزمان تابعة للباب العالى وتدفع له الخراج تستحق أن تنال فى كل حين بواعث رحمته واكرامه فعلى هذا ينظم الباب العالى مع مندوبى الامة الصربية الطرق التى يحكم بانها أكثر موافقة لتأمين تلك الامة على الامتيازات التى اشترطت لصالحها فان التمتع بهذه الامتيازات يكون فى آن واحد مكافأة عادلة وأعظم باعث لصداقتها التى برهنت عليها هذه الامة نحو المملكة العثمانية وحيث روى أن ميعاد ثمانية عشر شهرا ضرورى للشروع فى التحقيقات التى يقتضيها هذا الموضوع بناء على العقد المنفصل المرفق مع هذا المتفق عليه بين مندوبى الطرفين السياسيين فتقرر الطرق السالف ذكرها بالاتفاق مع الوفد الصربى المنتدب الى القسطنطينية ويصدر بها فرمان عالى محلى بالخط الشريف الهمايونى ويجرى مقتضاه بالدقة فى أقصر مدة ممكنة وغايتها مدة الثمانية عشر شهرا السالف ذكرها وهذا الفرمان يرسل لحكومة الروسيا الامبراطورية وحينئذ يعتبر كجزء متمم للاتفاق الحالى

﴿البند السادس﴾ حيث أنه بمقتضى الاشتراطات الخصوصية المذكورة فى البند العاشر من معاهدة بخارست جميع قضايا وتطلبات رعايا أحد الطرفين التى كانت أخرت بسبب حصول الحرب يجب الشروع فيها وانهاؤها أيضا وحيث أن

الديون التى يمكن أن تكون لرعايا كل طرف على الطرف الآخر وكذا المسائل المختصة بالخراج يجب فصلها والفصل فيها بالمطابقة للعدالة من كل الوجوه وتصفيتها تماما بالسرعة فقد اتفق على أن جميع قضايا وتطلبات الرعايا الروسيين بسبب الخسائر التى تكبدوها بأسباب غزو قرصانات المغاربة والمصادرات التى حصلت فى وقت انقطاع العلاقات بين الدولتين فى سنة ١٨٠٦ والاجراآت الاخرى التى من هذا القبيل بما فيها ما وقع منذ سنة ١٨٢١ يعمل عنها تصفية ويعطى عنها التعويضات العادلة وللوصول لهذا الغرض ينتدب الطرفان بدون امهال مأمورين يحققون الخسائر ويعينون مقدار التعويض اللازم عنها ولما تنتهى أعمال هؤلاء المأمورين يرسل المجموع الذى يتكون من التعويضات السابق ذكرها اجمالا الى السفارة الروسيا بالقسطنطينية فى ميعاد ثمانية عشر شهرا من ابتداء تاريخ التصديق على الاتفاق الحالى ويعمل ذلك يكون الحال بالنظر لرعايا الباب العالى

﴿البند السابع﴾ حيث أن القيام بتعويض الخسائر التى حصلت لرعايا وتجار دولة الروسيا الامبراطورية بسبب قرصانات ايالات الجزائر وتونس وطرابلس والعمل بشرط المعاهدة التجارية بكل دقة وصحة وبالبند السابع من معاهدة ياش من أهم واجبات الباب العالى بمقتضى العبارات الصريحة المذكورة فى البند الثانى عشر من معاهدة بخارست الذى بانضمامه الى البند الثالث يقوى ويؤكد جميع الاتفاقات السابقة فالباب العالى يكرر بكل صراحة وعده باتمام جميع تعهداته من الآن فصاعدا بالصداقة التامة للغاية وينبنى على ذلك ما يأتى

﴿أولا﴾ يعتنى الباب العالى اعتناء تاما بمنع قرصانات المغرب من تعطيل التجارة والملاحة الروسية بأى جهة كانت فاذا حصل منهم شئ فبمجرد علم الباب العالى بحدوثه يتعهد من الآن بأن يقوم باعادة جميع المأخوذات التى استولى عليها أولئك اللصوص بدون أدنى تأخير وأن يعوض على الرعايا الروسيين ما لحقهم من الخسائر وأن يحرر بهذا الصدد فرمانا صارما الى بلاد المغاربة بحيث لا تدعو الضرورة الى تكراره مرة ثانية وفى حالة ما اذا لم ينفذ مفعول هذا الفرمان فيدفع مقدار التعويض من الخزينة المؤكية فى مسافة الشهرين المنصوص عنهما فى

البند السابع من معاهدة ياش ابتداء من تاريخ يوم الطلب الذي يقدم بهذا الشأن من وزير الروسيا بناء على التحقيق الذي يكون قد أجراه

﴿ثانيا﴾ يعد الباب العالى بأن يلاحظ بغاية الدقة جميع شروط المعاهدة التجارية السابق ذكرها وأن يمحى جميع الموانع المضادة للمبنى الصريح لهذه الاشتراطات وأن لا يتسبب فى احداث العراقيل فى طريق ملاحة السفن التجارية الحاملة للعلم الروسى فى جميع بحار ومياه المملكة العثمانية بدون استثناء مطلقا وبالاختصار أن يسعى فى تمتع تجار الروسيا وقباطين مراكبها وجميع رعاياها عموما بالامتيازات والخصوصيات وكذلك بالحرية التامة فى التجارة بما أن هذه الامور نص عنها نصا صريحا فى المعاهدات الموجودة بين الطرفين

﴿ثالثا﴾ حيث أنه بمقتضى البند الاول من المعاهدة التجارية الذى ليضمن لجميع الرعايا الروسيين عموما حرية الملاحة والتجارة فى جميع ممالك الباب العالى سواء كان برا أو بحرا وفى كل مكان يريدون الملاحة والتجارة فيه وحيث انه بالنظر للقيود المذكورة فى بندى (٣١ و٣٥) من المعاهدة المشار اليها التى تضمن حرية المرور من قنال القسطنطينية للسفن التجارية المشحونة بالمؤنات أو ببضائع أخرى أو بمحصولات الروسيا أو بمحصولات الممالك الاخرى الغير تابعة للدولة العثمانية وكذلك حرية التصرف فى هذه المؤنات والبضائع والمحصولات فالباب العالى يتعهد بأن لا يقيم عقبات ولا موانع فى أن المراكب الروسية المشحونة بالغلال أو بمؤنات أخرى عند وصولها فى قنال القسطنطينية وفى وقت الاقتضاء تتمكن من نقل ما بها الى مراكب أخرى سواء كانت روسية أو تابعة لامم أخرى أجنبية لكى تنقل خارجا عن ممالك الباب العالى

﴿رابعا﴾ يجيز الباب العالى بناء على توسط حكومة الروسيا الامبراطورية قياسا على ما سبق دخول البحر الاسود لمراكب الحكومات المتحابة مع الدولة العثمانية التى لم تتحصل لغاية الآن على هذا الامتياز بحيث أن توريد التجارة الى الروسيا بواسطة هذه السفن وتصدير المحصولات الروسية عليها لا يمكن أن يحصل له أدنى تعطيل

﴿البند الثامن﴾ بما أن الغرض من الاتفاق الحالى هو ايضاح وتكملة معاهدة

بتحارست فيصدق عليه من جلالة امبراطور وباشاء جميع الروسيا ومن جلالة ملك وبادشاه العثمانيين بواسطة اعتمادات صريحة موشاة على حسب العادة بعلامتهما الخصوصية ثم يصير تبادل التصديق بين مندوبي الطرفين السياسيين في ميعاد أربعة أسابيع أو أقل ان أمكن ابتداء من اليوم الذي يتم فيه هذا الاتفاق

تحريرا باق كرمان في ٢٥ سبتمبر سنة ١٨٢٦

﴿العقد المنفصل الخاص بالبغدان والافلاق﴾

بما أن ولاة البغدان والافلاق يختارون من بين أشراف الوطنيين فانتخابهم يكون في كل من هاتين الولايتين من الآن فصاعدا بتصديق وارادة الباب العالي بواسطة جمعية الديوان العمومية بحسب عادة البلاد القديمة وديوان كل ولاية بصفة أنهم نائبون عن الامة وباتحادهم مع عموم الساطات ينتخبون لوظيفة والي أحد الاشراف العريقين في الاقدمية والذين يكونون أكثر كفاءة للقيام جيدا باعباء ولايتهم ثم انهم يقدمون الى الباب العالي محضرا بمن وقع عليه الانتخاب فاذا قبل الباب العالي تعيينه فيعين واليا ويستلم براءة تثبيته واذا اتفق أنه لاسباب قوية وجد المنتخب غير موافق لرغبة الباب العالي ففي هذه الحالة بعد تحقيق هذه الاسباب بمعرفة الدولة العلية والروسيا يسمح للاشراف المذكورين بأن يشرعوا في انتخاب شخص آخر موافق

ومدة تولية الوالي تحدد دائما كما في الماضي بسبع سنوات كاملة من تاريخ يوم التعيين ولا يمكن رفعهم قبل هذا الميعاد واذا ارتكبوا في مدة حكمهم بعض جنايات فالباب العالي يخبر عنها وزير الروسيا وبعد اجراء التحقيق بواسطة الطرفين وظهور ادانة الوالي يسمح برفعه في هذه الحالة فقط

الولاة الذين يتمون مدة تعيينهم التي هي سبع سنوات بدون أن يبدو منهم أعمال توجب شكوى مهمة وحقيقية سواء كان بالنسبة للدولتين أو بالنسبة لولايتهم يعينون من جديد لسبع سنوات أخرى اذا طلبت دواوين الولاية تعيينهم من الباب العالي واذا اتضح رضاء عموم الاهالي عنهم

اذا اتفق أن أحد الولاة استعفى قبل انتهاء ميعاد السبع سنوات بسبب الهرم

أو المرض أو لأى سبب آخر فالباب العالى يخبر بذلك حكومة الروسيا ويحصل الاستعفا بموجب اتفاق الدولتين عليه من قبل

عزل أى وال بعد انتهاء مدته أو تنازله يستوجب سقوط عنوانه ويمكنه أن يعود ثانيا الى طبقة الاشراف بشرط أن يبقى ساكنا ومطمئنا ولكن لا يجوز له أن يصير عضوا فى الديوان ولا أن يؤدى أى وظيفة عمومية ولا أن ينتخب واليا ثانية

أولاد الولاة المعزولين أو المستعفين يحفظون صفة الاشراف ويمكنهم أن يشتغلوا بمصالح البلاد وأن ينتخبوا ولاة فى حالة عزل أو استعفاء أو موت أحد الولاة والى غاية تعيين خلف له يعين ديوان تلك الولاية قائم مقام يكلف بادارة تلك الولاية

من حيث ان الخط الشريف المحرر فى سنة ١٨٠٤ ألغى الاموال الاميرية والتعيينات السنوية والمطالب الرسمية التى أدخلت منذ سنة ١٧٨٣ فالولاة بالاشتراك مع أشراف دواوينهم يعينون ويحددون الاموال الاميرية والضرائب السنوية فى ولايتى البغدان والافلاق مع اعتبار الضرورات التى تدونت بموجب الخط الشريف المحرر فى سنة ١٨٠٢ أساسا لذلك ولا يجوز للولاة فى أى حالة كانت أن يقصروا فى الاجراء بغاية الدقة بمقتضى هذا النظام وعليهم أن يصغوا لملحوظات وزير جلالة السلطان وقناصل الروسيا على أوامرهم سواء كان فى هذا الموضوع أو فى المحافظة على امتيازات البلاد وخصوصا فى ملاحظة القيود والبنود المدخلة فى العقد الحالى

يعين الولاة بالاتحاد مع دواوينهم عدد العساكر فى كل ولاية بمقدار ما كان يوجد منهم قبل حوادث سنة ١٨٢١ ومتى تعين هذا العدد فلا يمكن أن يزاد فيه بوجه ما مالم يعترف الطرفان بأهمية الضرورة الملجئة الى ذلك ومن الواضح أن تكوين العساكر وتشكيلهم يستمر بالكيفية التى كانوا عليها قبل تلك الحوادث وان يستمر انتخاب الاغوات (الضباط) وتعيينهم على حسب الطريقة المتبعة قبل الوقت المذكور وأخيرا فان العساكر وأغواتهم لا يقومون مطلقا الا بالوظائف التى تحددت لهم فى حال الاصل ولا يجوز لهم التداخل فى أمور البلاد ولا فى أى أعمال أخرى

الاغتصابات التى وقعت فى أراضى الافلاق من جهة ابرايل وجيرجيوا وفيما يعد

نهر الاولتايصير اعادتهم المالكيها ويحدد ميعاد هذه الاعادة فى الفرمانات المختصة بها التى تصدر لاصحاب الشأن

الاشراف الذين رأوا أنفسهم مجبورين على ترك وطنهم بسبب الفتن الاخيرة يمكنهم أن يعودوا اليها باختيارهم بدون أن يحصل لهم أدنى تشويش من أى شخص ويشرعون فى التمتع الكامل المطلق بحقوقهم واختصاصاتهم وأموالهم وأملاكهم كما فى الماضى

ويمنح الباب العالى لولايتى البغدان والافلاق مدة سنتين يقضيهما فى أثنائهما من الاموال الاميرية والتعيينات السنوية الملزمتين بدفعها اليه وذلك بالنظر الى المصائب التى أثقلت كاهلهما بسبب القلاقل الاخيرة ومتى انتهت مدة الاعفاء السالف ذكرها فالجزية والتعيينات المذكورة يصير تحديدها بحسب المعدل المعين بالخط الشريف المحرر فى سنة ١٨٠٢ ولا يمكن زيادتها فى حال من الاحوال

ويمنح الباب العالى أيضا لسكان الولايتين حرية الاتجار بجميع محصولات أراضيهم وصناعتهم فيتصرفون فى ذلك كيف يشاؤن ماعدا القيود المختصة من جهة بالتعيينات الواجبة سنويا للباب العالى الذى يعتبر هاتين الولايتين كخازن له ومن جهة أخرى بمؤنة القطر نفسه أما جميع تعليمات الخط الشريف المحرر فى سنة ١٨٠٢ المختصة بهذه التعيينات وبتحديدها بالانتظام وبالاثمان الجارية التى تخصم لهم على حسبها والتى تحديدها فى حالة التنازع يختص بدواوين كل ولاية فيجرى مقتضاها بكل دقة وتعتبر فى المستقبل بضبط تام

وينبه على الاشراف أن ينفذوا أوامر الولاة وأن ينقادوا لهم تمام الانقياد وأما من جهة الولاة فانهم لا يمكنون أن يعاملوا الاشراف بعنف وبالميل مع أهوائهم وأن لا يعاقبوهم بدون وجه حق وبدون أن يكونوا ارتكبوا جرائم مثبوتة ولا يترتب عليهم عقاب الا بعد أن يحاكموا بحسب قوانين وعوائد البلاد

بما أن الانقلابات التى وقعت فى السنين الاخيرة بولايتى البغدان والافلاق كان لها تأثير سيئ جدا بالنظام فى فروع الادارة المختلفة الداخلية فعلى الولاة أن يشتغلوا بدون أدنى اهمال مع دواوينهم فى اتخاذ التدابير اللازمة لتحسين حالة الولايتين

المعهود بادارة شؤنهما الى مهارتهم وهذه التدابير يعمل عنها انتظام عمومى لكل ولاية يجرى مقتضاه بدون تأخير

أما الحقوق والامتيازات الاخرى لولايتى البغدان والافلاق وجميع الخطوط الشريفة التى تختص بهما فانه يستمر مراعاتها مادام الاتفاق الحالى لا يغير منها شيأ فلهذا نحن الموقعين على هذا المفوضين السياسيين عن جلالة امبراطور و پادشاه جميع الروسيا المؤيدين بالاوامر الجليلة الملوكية بالاتحاد مع المفوضين السياسيين عن الباب العالى العثمانى قد قررنا ونظمنا الاصول المذكورة أعلاه بخصوص البغدان والافلاق وتلك الاصول هى نتيجة البند الثالث من الاتفاق المقرر لمعاهدة بخارست الذى أبرم مشتملا على ثمانية بنود فى المؤتمرات المنعقدة بآق كرمان بيننا وبين المفوضين السياسيين العثمانيين فبناء على ذلك الخ

﴿العقد المنفصل المختص بالصرب﴾

بما أن قصد الباب العالى الوحيد هو أن يجرى مفعول الاشتراطات المذكورة فى البند (٨) من معاهدة بخارست بكل صداقة فقد سمح للمندوبين الصربيين فى القسطنطينية بأن يقدموا له طلبات أمتهم بخصوص المواضيع الاكثر موافقة لتشييد دعائم الاطمئنان ورفاهية البلاد فكان هؤلاء المندوبون عرضوا فى بادئ الامر فى عريضتهم ما تتمناه الامة بالنسبة لبعض هذه المواضيع مثل حرية الاديان وانتخاب رؤسائها واستقلال ادارتها الداخلية وانضمام الاقسام المنفصلة عنها وتوحيد الاموال الاميرية المتنوعة الى نوع واحد وتسليم ادارة واستغلال العقارات المملوكة لبعض المسلمين الى الصربيين بشرط أن يدفعوا عنها جملة مضمن الخراج وحرية التجارة والتصريح للتجار الصربيين بالسفر فى الممالك العثمانية ببطاقات الجوازات المخصوصة بهم وتشييد الاسبتاليات والمدارس والمطابع وأخيرا منع المسلمين الغير داخلين فى زمرة العسكرية من التوطن بالصرب لكن عند فحص الطلبات المبينة سابقا وتنظيمها قد حصلت موانع أوجبت تأجيلها وبما أن الباب العالى لا يزال ثابتا الآن بعزم راسخ فى أن يمنح الامة الصربية الفوائد المشترطة فى

البنـد (٨) من معاهدة بخارست فسيقرر بالاتحاد مع المندوبين الصربيين بالقسطنطينية الطلبات المذكورة أعلاه الصادرة عن أمة صادقة ومنقادة له وكذا جميع الطلبات الاخرى التي ترفع اليه بواسطة الوفد الصربي ما دامت لا تناقض في شيء لصفة التابعية للدولة العثمانية

على الباب العالي أن يخبر الدولة الروسية الامبراطورية عن طريقة الاجراء التي يقتضيها البند (٨) من معاهدة بخارست وأن يرسل لها الفرمان المحلى بالخط الشريف الذي به تمنح الفوائد السابق الكلام عليها

فلهذا نحن الموقعين على هذا المفوضين السياسيين عن جلالة امبراطور و پادشاه جميع الروسيا مؤيدين بالاوامر الجليلة الملوكية باتحادنا مع المفوضين السياسيين عن الباب العالي العثماني قد قررنا وتظمنا الاصول المذكورة أعلاه التي هي نتيجة البنـد (٥) من الاتفاق التفسيري والمقرر لمعاهدة بخارست المبرمة بيننا وبين المفوضين السياسيين العثمانيين في المؤتمرات المنعقدة بآق كرمان والمشتمل على ثمانية بنود فبناء على ذلك الخ

وفي ٥ فبراير سنة ١٨٢٧ عرضت انكلترا رسميا على الدولة العلية توسط جميع الدول بينها وبين متبوعيها فلم تقبل ذلك بل أجابت سفير الانكليز بتاريخ ١٠ يونيو سنة ١٨٢٧ بعد التروي والتأمل في عاقبة هذا التداخل انها لم تسمع ولن تسمع به مطلقا فاغتاظت الدول من هذا الجواب الحق واتفقت كل من فرنسا وانكلترا والروسيا بمقتضى وفاق تاريخه ٦ يوليو سنة ١٨٢٧ على الزام الباب العالي بالقوة بمنح بلاد اليونان استقلالها الاداري بشرط أن يدفع اليونانيون جزية معينة يتفق على مقدارها فيما بعد كما يتفق على حدود الفريقين وأمهل الباب العالي شهر الايقاف الحركات العدوانية ضد اليونان والا اضطر الدول لاتخاذ طرق أخرى لنفاذ مرغوبها

ولما بلغت صورة هذه المعاهدة الى الباب العالي لم يحفل بها وبعد انقضاء الشهر أصدرت الدول الثلاث أوامرها الى قواد أساطيلها بالتوجه لسواحل اليونان وطلبت بعد ذلك من ابراهيم باشا الكف فورا عن القتال فاجابهم انه لا يتلقى أوامر

الامن

الامن سلطانه أو أبيه ومع ذلك فانه قبل ايقاف الحرب مدة عشرين يوما ريثما تأتيه تعليمات جديدة وتربص هو وجنوده على أهبة القتال واجتمعت سفن الثلاث دول المتحالفة فى ميناناورين لمنع الدوناغتين التركية والمصرية من الخروج منها

﴿واقعة ناورين وخروج المصريين من موره ونزول الفرنساويين فيها﴾

وفى ٢٠ اكتوبر سنة ١٨٢٧ تكامل اجتماع سفن الدول المتحدة وكانت الدوناغة الفرنساوية تحت قيادة الاميرال (رينى) والروسية تحت امرة الاميرال (هيدن) وكان اللورد كودرنجتون أمير الاساطيل الانكليزية وقائدا عاما المراكب الدول بالنسبة لاقدميته فى الوظيفة عن زميليه الفرنساوى والروسى

ولم تلبث السفن مقابلة لبعضها حتى انتشبت نيران الحرب بين الفريقين اسباب واوسلطت جميع السفن الاوروبية مدافعها على المراكب التركية والمصرية فدمرتها بعد ان استمر القتال عدة ساعات والسبب فى حدوث هذه الموقعة على ماجاء به المؤرخون ان احدى الحراقات التركية اقتربت فى أثناء المناورات الابتدائية من احدى البوارج الانكليزية فارسل قبطانها ضابطا فى زورق ليستعلم عن سبب اقترابها فاطلق عليه أحد الجنود التركية رصاصة قتلته وعند ذلك اقتتلت السفينتان وامتد لهيب الحرب الى باقى السفن حتى انتهت بانتصار الدول المتحدة ولما كانت تقصد فرنسا بتظاهرها هذا الا اكتساب الاسم والفخر بعد ما ألم بها عقب حروب نابوليون وارجاعها الى حدودها الاصلية سنة ١٨١٥ وتداخلت انكلترا خوفا من استئثار فرنسا بالنفوذ فى الشرق ولذا فلم تعد فوائد هذه الواقعة الا على الروسيا فقط

ولما وصل خبر هذه الحادثة التى حصلت بدون اعلان حرب كما هى العادة بين الدول المتمدنة الى الباب العالى ارسل بلاغا الى سفراء هذه الدول الثلاثة يقيم فيه الحجة ضد هذا العمل المخالف للقوانين الدولية ويطلب به ان الدولة تمتنع كلية عن التداخل فى شؤون الممالك المحروسة وأن تدفع له تعويضا عن الخسائر التى نجمت من تدمير المراكب العثمانية فلم يجاوب السفراء على هذا البلاغ بل قطعوا العلائق مع الباب

العالى ونزلوا الى مراكبهم مسرعين فى ٨ دسمبر سنة ١٨٢٧ وفى ١٨ منه نشر السلطان فى جميع الولايات منشورا عاما (خط شريف) يبين فيه سوء مقاصد الدول عموما والروسيا خصوصا نحو الدولة العلية أى الدولة الاسلامية الوحيدة منبها للاهالى على ان الباعث على هذا العدوان الدين لا السياسة وختمه بحض المسلمين على القتال دفاعا عن الدين والملة والوطن فاغتاظت الروسيا لذلك وأعلنت الحرب على الدولة فى ٢٦ ابريل سنة ١٨٢٨

هذا ولما رأى ابراهيم باشا تألب الدول على الدولة العلية وان فرنسا أمرت بارسال جيش عظيم لمحاربته وتتميم استقلال اليونان اتفق فى ٣ أغسطس سنة ١٨٢٨ بناء على أوامر والده مع الدول المتحدة على اخلاء مورة والرجوع الى مصر على ما بقى من السفن المصرية غير تارك فيها سوى ألف ومائتى جندى للمحافظة على مودون وكورون وناورين ريثما تستلمها العساكر العثمانية وفى ٧ سبتمبر التالى ابتدأ انسحاب الجنود المصرية وكانت كلما أخلت محلا دخله الفرنساويون الذين نزلوا ببلاد اليونان فى ٢٩ أغسطس تحت قيادة الجنرال (ميزون) وبذلك انتهت مأمورية ابراهيم باشا التى كادت تتم على يديه ومن معه من الجنود المصرية لولا اتفاق الدول على سلخ هذه الولاية المهمة من أملاك الدولة سعيا وراء اضعافها حتى يتمكنوا من تنفيذ مآربهم وفى ١٦ نوفمبر سنة ١٨٢٨ عقدت الدول الثلاث مؤتمرا فى مدينة لندن لتقرير أحوال اليونان ودعت اليه الدولة فأبت عن ارسال مندوب من طرفها حتى لا يعد ذلك اقرارا منها على ما يتفق عليه وما فعلوه من مساعدة اليونان على الاستقلال

فلم تعبأ الدول بهذا الاباء بل اجتمع مندوبوها فى اليوم المعين واتفقوا على استقلال مورة وجزائر سكلاده واجتماعها على هيئة حكومة مستقلة يحكمها أمير مسيحى تنتخبه الدول ويكون تحت حمايتها وعلى ان تدفع الحكومة اليونانية للباب العالى جزية سنوية قدرها خمسمائة ألف قرش فلم يقبل الباب العالى هذا القرار الصادر من دول غير مختصة فيما يقع بينه وبين متبوعيه واشتغل بمحاربة الروسيا التى أعلنت الحرب عليه بعد ان دمرت دونانمته وقبل ان يتم استعداد الجيش النظامى

الجديد

الجديد الذى أخذ فى انشائه وتدريبه بعد الغاء طائفة الانكشارية كلية وانقف هنا هنيهة نأتى فيها بذكر ما حصل عند الغائها من الحروب الداخلية وكيفية الوصول الى هذه الغاية الحميدة

﴿الغاء طائفة الانكشارية﴾

لما تحقق السلطان محمود من أفضلية النظامات العسكرية المستعملة فى جيوش أوروبا وسمع بما أتته الجنود المصرية المنتظمة من الاعمال الباهرة فى محاربة موره وعلم ان انتصارات ابراهيم باشا على اليونانيين لم تكن الا نتيجة النظام العسكرى زاد تعلقه باصلاح العسكرية وأراد اتمام المشروع الذى لم يمكن السلطان سليم الثالث اتمامه فجمع جميع ذوات وأعيان المملكة وكبار ضباط الانكشارية فى بيت المفتى فى أوائل سنة ١٨٢٦ مسيحية الموافقة سنة ١٢٤١ ﻫ

ولما تكامل الحضور خطب فيهم الصدر الاعظم سليم محمد باشا مظهرا ما وصلت اليه حالة الانكشارية من الضعة والانحطاط وعدم الانقياد لرؤسائها حتى صارت من أكبر دواعى تأخر الدولة العلية بازاء تقدم الدول الاوروبية المستمر بعد ان كانت هذه الفئة من أكبر عوامل تقدم الدولة وامتداد فتوحاتها ثم أبان لهم ضرورة ادخال النظام العسكرى فى أورط الانكشارية اذ لا يمكنها بحالتها الحالية الوقوف أمام الجيوش الاوروبية المنتظمة

فلما اقتنع الحاضرون باصابة فكره وضرورة اصلاح الجندية وأقروا على هذا المبدا الحسن قام كاتب سر (مكتوبجى) الصدر الاعظم وتلا عليهم مشروعا محتويا على ستة وأربعين بندا ذكر بها بكل ايضاح كيفية التنظيمات المراد ادخالها وبعد اقرار الجمعية عليه حرر بذلك محضرا ختمه جميع الحاضرين حتى ضباط الانكشارية وأفتى المفتى بجواز العمل بها شرعا ومعاقبة من يعارض فى انفاذها ثم تلا المشروع على جميع ضباط الانكشارية فأقروا عليه لكن لم تكن موافقتهم الا ظاهرية فقط فانه لما ابتدئ فى تعليم الضباط بمعرفة من تعين من ضباط الافرنج بصفة معلمين تنبه الانكشارية الى عواقب الامر وعلموا انه لو تم هذا النظام كان

سببا فى ضياع كافة امتيازاتهم من جهة وألزموا براعاته مع مافيه من سلب حريتهم من جهة أخرى أخذوا يستعدون للثورة والعصيان ليوقفوا تنفيذه كافعلوا قبلا واستمالوا بعض الرعاع الذين اتبعوهم طمعا فى السلب والنهب

ولما كان يوم ١٥ يونيوسنة ١٨٢٦ الموافق رمضان سنة ١٢٤٠ تعرض بعضهم للجنود وقت التمرين فأصدر السلطان أمره بمعاقبة كل متعرض لهم بالقتل ولذا تجمع المتعصبون فى مساء ذلك اليوم وتآمروا على العصيان

وكان السلطان فى سراى بشكطاش فحضر على الفور الى سرايته وجمع العلماء وأخبرهم بما ينويه الانكشارية فاستقبحوا عملهم وشجعوه على المقاومة فاستدعى الآلايات الطوبجية التى نظمها نوعا عقب توليته واستعد لقتال الثائرين وعزم على عدم التساهل معهم خوفا من تفاقم شرورهم واسترسالهم فى التمرد والطغيان

وفى الصباح أخرج السلطان العلم النبوى الشريف وسار بجنود الطوبجية يتقدمه العلم الى ساحة (ات ميدانى) حيث كان الثائرون مجتمعين فى هرج ومرج لامزيد عليهما فتبعه كثير من العلماء والطلبة ولم يمض قليل حتى أحاطت الطوبجية بالميدان واحتلت جميع المرتفعات المشرفة عليه وسلطت مدافعها على الانكشارية من كل صوب فخرج جميع الانكشارية وتجمهروا قاصدين الهجوم على المدافع للاستيلاء عليها فقذفت عليهم من صيب قللها ما أوقعهم فى الفشل وأيقنوا معه أن لا طاقة لهم على مقاومتها فكفوا الى ثكناتهم طالبين النجاة لكن أنى لهم ذلك وقد سلطت أفواه المدافع عليها فهدمتها وأشعلت فيها النيران حتى دمرتها على من التجأ اليها وبذلك انتهت هذه الفتنة المريعة

وفى اليوم التالى صدر فرمان سلطانى بابطال فئتهم كلية وملابسها واصطلاحاتها واسمها من جميع الممالك المحروسة ونودى بذلك فى الشوارع وصدرت الاوامر الى جميع الولايات بالتفتيش على كل من بقى منهم واعدامه أو نفيه الى أطراف البلاد حتى لا تبقى منها باقية ومن ثم أخذ السلطان فى ترتيب وتنظيم الجيوش بهمة لم يمسسها ملال وعين لادخال هذه التنظيمات لجنة من أكابر الوزراء وقلد الوزير حسين باشا الذى كانت له اليد الطولى فى ابادة الانكشارية قائدا عاما لهم (سرعسكر) وبذل

السلطان

السلطان ومشيروه اهتمامهم حتى لم تمض السنة الاولى وقد تم تنظيم عشرين ألفا وتمت المعدات لابلاغهم فى ختام السنة التالية مائة وعشرين ألفا

هذا ولنرجع الى ذكر الدولة الروسية وبيان ما تم بالنسبة لليونان واستقلالها فنقول

﴿حرب الدولة العلية والروسيا معاهدة ادرنه﴾

بمجرد ما أعلنت الروسيا الحرب سارت جيوشها التى كانت منتظرة ومتأهبة على الحدود واجتازت نهر (بروث) الفاصل بين أملاك الدولتين واحتلت مدينة (ياش) عاصمة البغدان

وفى ١٣ مايو سنة ١٨٢٨ دخلت (بوخارست) عاصمة الافلاق وقبضت على حاكمى الولايتين وصارت ادارتهما فى أيدى مندوبين من طرفهما وبعد ذلك احتلت الجيوش الروسية البلاد العثمانية الى نهر الطونه وعدة مدن واقعة على ضفتيه واجتازته بدون كثير ممانعة ثم حاصرت مدينة (وارنه) برا وبحر العدم وجود مراكب عثمانية تحميها من جهة البحر بعد واقعة ناورين وأتى القيصر نقولا بذاته لمراقبة الحصار وبعد قليل سار فى جيش عظيم لمحاصرة السرعسكر حسين باشا فى مدينة (شوملة) واحتل مدينة (اسكى استانبول) للتمكن من كمال محاصرتها لكن لم يلبث ان رفع عنها الحصار لما شاهده من انتظام الجيوش الجديدة وجمع كل قواه حول مدينة وارنه وقد أمكن القبودان باشا عزت محمد من ادخال المدد اليها بحرا رغما عن مراقبة السفن الروسية ودخل هو أيضا اليها وتولى الدفاع عنها وأتى من جهة البر السرعسكر حسين باشا لاشغال المحاصرين لها ولذلك كاد القيصر ييأس من دخولها لولا خيانة أحد القواد المدعو يوسف باشا فانه سلمها الى الروس فى ١٠ اكتوبر سنة ١٧٢٨ والتجأ الى بلادهم فرارا من العقاب وليتمتع بثمرة خيانته ومن جهة آسيا احتل الروس عدة قلاع وحصون أهمها قلعة قارص الشهيرة ثم توقف القتال بسبب اشتداد البرد وتراكم الثلوج وبالاختصار فقد شهد الروس أنفسهم ان نتائج الحرب كانت أقل مما كانوا ينتظرون وما ذلك الا لالغاء طائفة الانكشارية وترتيب الجيوش الجديدة واطاعتها الاوامر رؤسائها الطاعة عمياء

ومما يؤيد ذلك ما كتبه المسيو (بوتزودي بورجو) «١١٨» سفير الحكومة الروسية بباريس فى رسالة مؤرخة فى نوفمبر سنة ١٨٢٨ وملخصها ان الجنود الروسية لاقت من الجيوش العثمانية الجديدة مالم تعانه قبلا من الانكشارية ولو تأخرت الروسيا فى اشهار الحرب على الباب العالى سنة واحدة لما أمكنها ان تتحصل على النتائج التى تحصلت عليها فى هذه السنة اهـ

وفى ذلك برهان كاف على اصابة رأى السلطان محمود الغازى واصالة فكره فى الغاء طائفة الانكشارية لكن لم تكن الجيوش المنتظمة كافية لاستمرار القتال لقلة عددها بالنسبة لجيوش الروسية الكثيرة العدد ولذلك لما استؤنف القتال فى ربيع سنة ١٨٢٩ كان الفوز غالبا للجيوش الروسية رغما عما بذله القواد العثمانيون من المهارة فى ضروب القتال وما أظهرته الجنود المنتظمة من الثبات والانتظام ولنقل باختصار بدون تفصيل جميع الوقائع التى حصلت بين الجيشين فى فصلى الربيع والصيف ان الجيوش الروسية اجتازت نهر الطونة ثم اخترقت جبال البلقان بعد ان تغلبت على من عارضها من الجيوش العثمانية وأخيرا وصلت الى مدينة ادرنه واحتلتها عنوة وعند ذلك لم يبق أمامها عائق يوقفها عن التقدم الى مدينة الاستانة المحمية الا عدم رغبة الدول فى سقوطها فى أيدى الروسيا واتفاقها ضمنا على اضعاف الدولة العلية الى حد لم يمكنها معه التقدم والارتقاء مع بقائها عقبة فى سبيل الروسيا وما جاورها وبين البحر الابيض المتوسط ولذلك لما رأت ان الروس قد اقتربوا منها وصاروا على طريقها وسيصلون اليها لا محالة لو لم يتداخلوا بشدة تخابرت مع الدولتين المتحاربتين فاوقفت الروسيا جيوشها ودارت المخابرات بينهما بتوسط مملكة بروسيا حتى تم الصلح وأمضيت به معاهدة بمدينة ادرنه فى ١٤ سبتمبر سنة ١٧٢٩ هذا نصها

«١١٨» ولد هذا السفير فى جزيرة كورسيكا سنة ١٧٦٣ قبل ضمها لفرنسا وكان معاديا للحكومة الفرنساوية فاتحد مع من يدعى «باوولى» على تسليمها للانكليز فى سنة ١٧٩٣ ورحل الى انكلترا بعد استرجاعها ثم دخل فى خدمة الروسيا فى سنة ١٨٠٥ وفى سنة ١٨٠٣ طرده القيصر بناء على طلب نابوليون الاول وأعاده فى سنة ١٨١٣ وبعد سقوط نابوليون عين سفير الروسيا بباريس من سنة ١٨١٤ الى سنة ١٨٣٠ ثم فى لوندره وأخيرا اعتزل الاعمال واستوطن فى باريس حيث توفى فى سنة ١٨٤٢

الباب

﴿الباب العالى والروسيا﴾

﴿معاهدة صلح بين الباب العالى العثمانى والروسيا تحررت بأدرنه فى ١٤ سبتمبر سنة ١٨٢٩ متبوعة بمعاهدة مختصة بامارتى البغدان والافلاق تحررت فى نفس اليوم المذكور﴾

﴿البند ١﴾ كل عداوة ومجافاة بقيت لغاية الآن بين الدولتين تنقطع من تاريخ هذا اليوم سواء كانت برّية أو بحرية و يخلفها الصلح الأبدى والمحبة وحسن الموافقة بين جلالة امبراطور و پادشاه جميع الروسيا وبين عظمة امبراطور و پادشاه العثمانيين وكذا بين الوارثين والمتعاقبين على عرش المملكتين ويبذل الطرفان الساميان المتعاقدان مافى وسعهما من الانتباه الزائد لمنع جميع مامن شأنه توليد الشقاق بين رعاياهما و يقومان بتنفيذ جميع شروط معاهدة الصلح الحالية بغاية العناية و يعتنيان أيضا بانها لا تنكث بأى كيفية سواء كانت مباشرة أو غير مباشرة

﴿البند ٢﴾ حيث ان جلالة امبراطور و پادشاه جميع الروسيا يريد أن يبرهن لعظمة امبراطور و پادشاه العثمانيين على اخلاص أمياله الودية فيعيد الى الباب العالى امارة البغدان بحدودها التى كانت عليها قبل ابتداء الحرب التى انتهت بالمعاهدة الحالية وامارة الافلاق ومقاطعة قره جه ادوه بدون أى استثناء والبلغار واقليم دوبروجه من الدانوب لغاية البحر مع مدائن سيلستريه وحرصو وماچين وايزا كنجه وتولتشا و باباطاغ و بازارجق ووارنه و براقودى وجميع المدن والضياع والقرى التابعة لها وجميع بلاد البلقان من أمينه بورنو لغاية قزار والاقليم الممتد من بلاد البلقان الى البحر الاسود مع مدائن سليمنا وتشامبولى وايدا وكرنيات وميسمبريا واوكهيولى و بورجاس وسيزيبولى وقرق قلدس وادرنه ولوله بورجاس وأخيرا جميع البلاد والضياع والقرى وعموما جميع الامكنة التى احتلتها جنود الروسيا من بلاد الروملى

﴿البند ٣﴾ يستمر نهر بروث لان يكون الحد الفاصل بين الدولتين من النقطة التى يمس فيها تخوم البغدان لغاية التقائه مع الدانوب ومن هذا المكان

تتبع التخوم بمحاذاة مجرى الدانوب لغاية مصب مارى جرجس بحيث ان جميع الجزائر المتكونة بفروع هذا النهر المختلفة تكون ملكا للروسيا وأما الشاطئ الايمن منه فيبقى تابعا للباب العثمانى كالسابق ومع ذلك فقد اتفق على أن الشاطئ الايمن المذكور من المكان الذى فيه ينفصل فرع مارى جرجس عن فرع سولينيه يبقى غير مسكون على بعد ساعتين من هذا النهر وان لا يشيد به مبان من أى نوع كان وكذلك فى الجزائر التى تبقى فى ملك دولة الروسيا ويستثنى من ذلك الكورنتينات التى تعمل فيها ولا يسمح مطلقا بأن يشيد فيها أى بناء آخر ولا استحكامات ومراكب الدولتين التجارية يكون لها الحق فى الملاحة بالدانوب فى جميع طوله والمراكب الحاملة للعلم العثمانى يمكنها أن تدخل بدون ممانعة فى مصبى قيلى وسولينه أما مصب مارى جرجس فتمر فيه مراكب الدولتين الحربية والتجارية ولكن المراكب الحربية الروسية لا يمكنها عند صعودها فى الدانوب أن تتجاوز محل التقائه مع البروث

﴿البند ٤﴾ وبما أن مقاطعات الكرج والاميريتيا ومنكريل وجوريل وغيرها من مقاطعات القوزاق منضمة من سنين عديدة وعلى الدوام الى المملكة الروسية وبما أن هذه الدولة قد اكتسبت بالمعاهدة المبرمة مع دولة العجم ببلدة توراماى جاى فى ١٠ فبراير سنة ١٨٢٨ خلاف ذلك خانات اريفان وناخيتشيفان فالدولتان العليتان المتعاقدتان قد علمتا ضرورة تحديد ممالكهما فى هذه الجهة بحيث ان هذا التحديد يكون معينا تعيينا تاما ضامنا الاجتناب كل اختلاف أو نزاع فى المستقبل وقد شرعتا من جهة أخرى فى اتخاذ الطرق الفعالة لرد هجمات وصد اغارات الامم المجاورة التى كانت تجريها لغاية الوقت الحاضر والتى كانت غالبا السبب الوحيد فى نقض الصلات الودية وحسن المجاورة بين الدولتين وبناء على ذلك فقد اتفق بين حكومتى الدولة الامبراطورية الروسية وبين الباب العالى العثمانى بأن تكون حدود ولايات المملكتين بآسيا من الآن فصاعدا خطا يتبع الحدود الحالية لاقليم جوريل من ابتداء البحر الاسود ثم يصعد لغاية حدود مقاطعة اميريتيا ومن هنالك يعرج نحو الاتجاه الاكثر استقامة لغاية مكان التقاء حدود ولايات اخلتزيك وقارص مع

ولايات

ولايات الكرج بحيث تكون مدينة اخلتريك وقلعتها فى شمال هذا الخط على مسافة ليست بأقل من ساعتين أما جميع البلدان الكائنة فى الجنوب والغرب من خط التحديد المذكور القريبة من ولايتى قارص وطرابزون بما فيها الجزء الاعظم من ولاية اخلتريك فانها تبقى على الدوام تحت حكم الباب العالى وأما البلاد الكائنة فى الشمال والشرق من الخط المذكور القريبة من الكرج وأميريتيا وجوريل وكذلك جميع شواطئ البحر الاسود من مصب نهر قوبان لغاية مينا مارى نقولا بما فيها هذه الميناء فانها تبقى الى الابد تحت حكم المملكة الروسية فبناء على ذلك ترد حكومة الروسيا الامبراطورية الى الباب العالى باقى ولاية اخلتريك وكذا مدينة وولاية قارص وأيضا مدينة وولاية بايزيد ومدينة وولاية أرضروم وجميع الاماكن المحتلة لها جيوش الروسيا والتى توجد خارجا عن الخط المذكور أعلاه

﴿البند ٥﴾ حيث ان أمارتى البغدان والافلاق قد قبلتا أن تكونا تحت سيادة الباب العالى بمقتضى القوانين الاساسية للامارتين وبما أن دولة الروسيا قد ضمنت نجاحهما فقد صار الاتفاق على أنهما تحفظان جميع الامتيازات والاختصاصات التى ضمنت لهما سواء كانت بمقتضى القوانين الاساسية للبلاد أو بحسب نص المعاهدات المبرمة بين الدولتين أو المؤيدة بالخطوط الشريفة الصادرة فى أزمنة مختلفة وبناء على ذلك تتمتع هاتان الدولتان بالحرية الدينية وبالامن العمومى ويكون لهما ادارة أهلية مستقلة بحرية التجارة وأما القيود اللازم اضافتها الى الاشتراطات المتقدمة لضمان تمتع هذين الاقليمين بحقوقهما فقد اتفق عليها فى العقد المنفصل المرفق بهذا المعتبر جزءا من المعاهدة الحالية

﴿البند ٦﴾ بما أن الظروف التى حصلت من ابتداء عقد اتفاق آق كرمان لم تسمح للباب العالى بالاهتمام فى تنفيذ ما جاء بالعقد المنفصل المختص بالصرب الملحق بالبند (٥) من الاتفاق المذكور فهو يتعهد بكيفية جلية بأن يقوم بتتميمها بدون أدنى اهمال وبالضبط الاتم وخصوصا فى أن يعيد الستة أقسام المنفصلة عن الصرب اليها حتى تتمتع هذه الامة الصادقة الطائعة بالراحة والرفاهية أما الفرمان الموشى بالخط الشريف الذى يصدر بتنفيذ القيود المذكورة فيرسل الى دولة الروسيا

الامبراطورية وتعلن به رسميا فى ميعاد شهر من تاريخ التصديق على هذه المعاهدة

﴿البند ٧﴾ يتمتع رعايا الروسيا فى سائر انحاء المملكة العثمانية برا أو بحرا بحرية التجارة التامة التى تكفلها لهم المعاهدات المبرمة سابقا بين الدولتين العظيمتين المتعاقدتين ولا يصح مس حرية التجارة بأى وجه كان ولا يمكن أن تعطل فى أى حال من الاحوال ولا بأى جهة كانت ولا يضيق نطاقها مطلقا ولا بسبب أى قرار أو تعديل سواء كان من جهة الادارة أو من جهة القضاء فى داخلية البلاد والرعايا والسفن والتجار الروسيون يكونون فى حمى من كل شدة فى المعاملة ويبقى الرعايا الروسيون تحت السلطة القضائية والبوليس الخاصين بوزير وقناصل الروسيا وأما المراكب الروسية فلا يحصل بها مطلقا أى تفتيش كان من جهة الحكومة العثمانية لا فى شاسع البحار ولا فى داخل أى مينا أو موردة مما يدخل تحت حكم الباب العالى وكل أنواع المتجر أو الغلال المملوكة لاحد رعايا الروسيا يمكن بيعها بكل حرية بعد تسديد عوائد الجارك عنها بمقتضى التعريفات أو ان تنزل الى البر فى مخازن صاحبها أو عميله بل ويصح نقلها على سفن أخرى أيا كانت جنسيتها بدون أن يحتاج التابع الروسى فى هذه الحالة لان يشعر الحكومة المحلية ولا ان يطلب اذنا بذلك مطلقا وقد اتفق اتفاقا صريحا على أن أنواع القمح الآتية من الروسيا تتمتع بنفس هذه الامتيازات وأن نقلها من أراضى الدولة لاى جهة لا يحصل فيه أقل صعوبة أو ممانعة مطلقا ولا بأى حجة وما عدا ذلك فيتعهد الباب العالى بأن يتيقظ بكل اعتناء الى عدم حصول أى تعطيل مهما كانت طبيعته للتجارة والملاحة فى البحر الاسود على الخصوص وللوصول الى هذا الغرض يعترف ويعلن بان المرور فى قنال القسطنطينية وبوغاز الدردنيل يكون بحرية تامة وانهما مفتوحان للسفن الروسية الحاملة للعلم التجارى سواء كانت مشحونة أو مصبرة وسواء كانت آتية من البحر الاسود بقصد الدخول فى البحر الابيض المتوسط أو عابرة من البحر الابيض المتوسط تريد الدخول فى البحر الاسود ومادامت هذه السفن تجارية فمهما كانت كبيرة ومهما كان قدرها لا تكون معرضة لادنى مانع أو لاى تعد كما تقرر ذلك أعلاه وتتفق الدولتان على اتخاذ أنجع الطرق للتوقى من أى تأخير فى تخليص المراسلات الضرورية

فبناء على نفس هذه القاعدة يعلن بان المرور من قنال القسطنطينية وبوغاز الدردنيل يكون حرا ومفتوحا لجميع المراكب التجارية التابعة للممالك الموجودة فى حالة الصلح مع الباب العالى سواء كانت متوجهة نحو الماين الروسية التى على البحر الاسود أو آتية منه مشحونة أو مصبرة وذلك بمقتضى الشروط عينها التى اشترطت بخصوص السفن الحاملة للعلم الروسى

وأخيرا بما أن الباب العالى يعترف بما لحكومة الروسيا الامبراطورية من الحق فى ان تتأكد من الضمانة التامة لهذه الحرية التجارية ومن الملاحة فى البحر الاسود بتلك الكيفية فهو يعلن على رؤس الاشهاد بانه لا يحصل فى ذلك مطلقا من جهته أدنى عائق مهما كان ولا باى حجة كانت ويتعهد خصوصا بانه لا يستبيح لذاته من الآن فصاعدا ايقاف أو القاء القبض على السفن المشحونة أو المصبرة سواء كانت روسية أو تابعة للممالك التى لا تكون الدولة العثمانية معها فى حالة حرب معلن حينما تكون مارة بقنال القسطنطينية وبوغاز الدردنيل لاجل أن تتوجه من البحر الاسود الى البحر الابيض المتوسط أو بالعكس

واذا حصل لا سمح الله مخالفة لبعض الاشتراطات التى اشتمل عليها البند الحالى بدون أن تنال طلبات وزير الروسيا بهذا الشأن الترضية التامة فى أسرع وقت فالباب العالى يعترف مقدما لحكومة الروسيا الامبراطورية بان لها الحق فى أن تعتبر هذا الخلف كعمل عدائى وان لها الحق فى أن تقابل الدولة العثمانية بمثله

﴿البند ٨﴾ بما أن الوفاقات التى اشترطت سابقا فى البند السادس من اتفاق آق كرمان التى موضوعها تنظيم وتصفية طلبات الرعايا والتجار التابعين للطرفين بخصوص تعويضات الخسائر التى نشأت فى أزمنة مختلفة من حرب سنة ١٨٠٦ لم تنفذ وبما ان التجارة الروسية من منذ عقد اتفاق آق كرمان المتقدم ذكره قد حصل لها خسائر جسيمة أخرى بسبب الترتيبات التى صدرت بخصوص الملاحة فى البوسفور فقد اتفق وتقرر بان الباب العالى العثمانى يدفع لحكومة الروسيا الامبراطورية تعويض هذه الاضرار والخسائر فى مدة ثمانية عشر شهرا وفى مواعيد تعين فيما بعد مبلغ مليون وخمسمائة ألف دوقه هولاندية بحيث ان تسديد هذا المبلغ

يمنع كل طلب أو ادعاء صادر من احدى الدولتين المتعاقدتين بخصوص الظروف المذكورة أعلاه ضد الاخرى

﴿البند ٩﴾ بما أن طول مدة الحرب التى انتهت بخير بعقد هذه المعاهدة قد تسبب عنه لحكومة الروسيا الامبراطورية مصاريف جسيمة فالباب العالى يعترف بضرورة تقديم تعويض موافق لتلك الحكومة ولهذا فانه عدا عن تنازله عن قطعة صغيرة من الاراضى فى آسيا المذكورة فى البند (٤) والتى قبلت حكومة الروسيا باستلامها من أصل التعويض المذكور فان الباب العالى يتعهد بان يدفع لها مبلغا من النقود يقدر فيما بعد باتحاد الطرفين

﴿البند ١٠﴾ بما أن الباب العالى قد أعلن تمسكه التام باشتراطات المعاهدة المبرمة فى لوندره بتاريخ ٦ يوليه سنة ١٨٢٧ بين الروسيا و بريطانيه العظمى وفرنسا فهو يقبل أيضا بالعقد الذى تقرر فى ٢٢ مارث سنة ١٨٢٩ باتحاد جميع هذه الممالك فيما يتعلق بخصوص أساس المعاهدة المذكورة وهذا العقد يشتمل على التنظيمات القنصلية المختصة بتنفيذها نهائيا فى حال تبادل التصديق على معاهدة الصلح الحالية و بعد استلام كل طرف نسخته يعين الباب العالى مفوضين سياسيين لكى يتفقوا مع مفوضى حكومة الروسيا الامبراطورية وحكومتى انكلتره وفرنسا بقصد اجراء تنفيذ الاشتراطات والتنظيمات التى سبق الكلام عليها

﴿البند ١١﴾ بعد التوقيع على معاهدة الصلح الحالية بين الدولتين مباشرة وتبادل تصديق الملكين عليها يشرع الباب العالى فى أخذ الاحتياطات الضرورية لتنفيذ الاشتراطات التى تحتوى عليها بالسرعة و بوجه الدقة وخصوصا بندى (٣ و ٤) الخاصين بالحدود المعينة لفصل المملكتين عن بعضهما سواء كان فى أوروبا أو فى آسيا وكذا بندى (٥ و ٦) المختصين بامارات البغدان والافلاق والصرب ومتى جاء الوقت الذى فيه يمكن اعتبار هذه البنود المختلفة كأنها تنفذت فحكومة الدولة الروسية الامبراطورية تشرع فى الجلاء عن أراضى الدولة العثمانية بناء على القواعد المقررة بعقد منفصل يكون جزأ متمما من معاهدة الصلح الحالية أما ادارة ونظام الامور التى تكون قد تقررت فى هذه الامارات فى الحال تحت رعاية الدولة

الروسية الامبراطورية فانها تبقى ثابتة لغاية انجلائها انجلاء تاما من الاقاليم المحتلة والباب العالى العثمانى لا يمكنه أن يتداخل فيها بأى كيفية كانت

﴿البند ١٢﴾ بعد التوقيع على معاهدة الصلح الحالية تعطى الاوامر فى الحال الى قواد جيوش الطرفين البرية والبحرية بمنع الحرب أما الوقائع التى تحصل بعد التوقيع على المعاهدة الحالية فتعتبر كأنها لم تحصل ولا تستدعى أدنى تغيير فى الشروط التى تشتمل عليها وبمثل ذلك جميع الاماكن التى تأخذها جيوش احدى الدولتين العظيمتين المتعاقدتين فى هذه المدة فانها تعاد بدون أدنى امهال

﴿البند ١٣﴾ بما أن الطرفين الفخيمين المتعاقدين قد أعادا فيما بينهما روابط المودة الخالصة فانهما يمنحان عفوا عموميا لجميع رعاياهما مهما كانت ظروف أحوالهم وجنسيتهم وكانوا قد اشتركوا فى أثناء الحرب التى انتهت بحمد الله فى هذه الايام فى الاعمال العسكرية أو تظاهروا سواء بسلوكهم أو بآرائهم بالميل نحو أحد الطرفين المتعاقدين

وبناء على هذا فأى شخص من أولئك لا يحصل له تكدير ولا يحاكم لا بالنسبة لشخصه ولا فى أمواله بسبب سلوكه السالف ولكل منهم أن يسترد الاملاك التى كان يملكها سابقا وان يتمتع بها مطمئنا تحت حماية القوانين والا فله الخيار بان يتخلص منها فى مدة ثمانية عشر شهرا لكى ينتقل بعائلته وأمواله المنقولة الى أى قطر شاء بدون أن يقاسى ظلما أو موانع بأى وجه كان

وما عدا ذلك فانه يمنح لرعايا الطرفين القاطنين فى البلاد المعادة الى الباب العالى أو المتنازل عنها للدولة الروسيا الملوكية مدة ثمانية عشر شهرا أيضا ابتداؤها من تاريخ تبادل التصديق على معاهدة الصلح هذه لكى يتصرفوا فى املاكهم المكتسبة سواء كان قبل الحرب أو فى مدة وقوعه متى رأوا أن ذلك موافق لهم وليخرجوا بنقودهم ومنقولاتهم من ممالك احدى الدولتين المتعاقدتين الى ممالك الاخرى وبالعكس

﴿البند ١٤﴾ جميع أسرى الحرب مهما كانت جنسيتهم وظروف أحوالهم رجالا كانوا أو نساء الذين يوجدون عند الدولتين يجب اخلاء سبيلهم بدون أقل فدية أو دفع شئ عنهم وذلك بعد تبادل التصديق على معاهدة الصلح الحالية مباشرة

ويستثنى من ذلك النصارى الذين يعتنقون الديانة المحمدية برضائهم واختيارهم في ممالك الباب العالى وكذلك المسلمون الذين يعتنقون برضائهم واختيارهم الديانة النصرانية في ممالك الدولة الروسية

وهكذا يكون الاجراء أيضا في شأن الرعايا الروسيين الذين يقعون بأى كيفية كانت في الاسر بعد التوقيع على هذه المعاهدة ويوجدون في ممالك الباب العالى وكذا دولة الروسيا الامبراطورية تتعهد من جهتها أيضا بأن تعمل بموجب الطريقة عينها بالنظر لرعايا الباب العالى

ولا يقتضى مطلقا دفع المبالغ التى تكون أنفقتها احدى الدولتين العظيمتين المتعاقدتين على الاسارى بل كل منهما يزودهم بجميع ما يكون ضروريا لهم لسفرهم لغاية الحدود وهناك يحصل التبادل فيهم بواسطة مأمورين معينين من كلا الطرفين

﴿البند ١٥﴾ جميع المعاهدات والاتفاقات والاشتراطات المقررة التى أبرمت في أعصار مختلفة بين حكومة الروسيا الامبراطورية والباب العالى العثمانى ماعدا البنود التى تخالف المعاهدة الصلحية الحالية فانها تبقى معمولا بها بكل قوة معانيها ومبانيها ويتعهد الطرفان الفخيمان المتعاقدان بأن يعتنيا بملاحظتها الملاحظة التامة وعدم مخالفتها مطلقا

﴿البند ١٦﴾ المعاهدة الحالية هذه يصدق عليها الخ

﴿المعاهدة المنفصلة المختصة بامارتى البغدان﴾
﴿والافلاق المحررة في أدرنه بتاريخ ١٤ سبتمبر سنة ١٨٢٩﴾

زيادة على اتفاق الحكومتين العظيمتين المتعاقدتين على جميع ما اشترط بالعقد المنفصل عن الاتفاق المبرم في آق كرمان المختص بكيفية انتخاب ولاة البغدان والافلاق قد اعتبرتا بضرورة اعطاء ادارة هاتين الامارتين أساسا أعظم ثباتا وأكثر موافقة للصالح الحقيقى في هاتين الولايتين وللوصول لهذا الغرض قد اتفق وتقرر نهائيا بأن مدة حكم الولاة لا تكون أبدا مقصورة على سبع سنوات كما كان

حاصلا فى الماضى بل انهم يتقلدون من الآن فصاعدا هذا المنصب مدة حياتهم ماعدا أحوال الاستعفاء أو العزل بسبب الارتكابات المنصوص عنها فى العقد المنفصل المذكور

ينظم الولاة الاحوال الداخلية بولاياتهم بكمال الحرية بالاستشارة مع دواوينهم بدون أن يتمكنوا من مس الحقوق المضمونة للقطرين بالخطوط الشريفة بأدنى شئ وبدون أن يكونوا مشوشين فى ادارتهم الداخلية بأى أمر مخالف لهذه الحقوق ثم ان الباب العالى يعد ويتعهد بأنه يتيقظ تيقظا تاما الى عدم مس الامتيازات الممنوحة الى البغدان والافلاق بأى كيفية كانت بواسطة قواده المجاورين لحدودهما وأن لا يتحمل أى تداخل منهم فى أحوال الامارتين وأن يمنع كل توغل من سكان الشاطئ الايمن من نهر الطونة فى التخوم البغدانية أو الافلاقية ويعتبر كجزء مكمل لهذه التخوم جميع الجزائر المجاورة للشاطئ الايسر من الدانوب ومجرى هذا النهر يعتبر حدا للامارتين من ابتداء مدخله فى الممالك العثمانية لغاية التقائه مع نهر البروث

ولاجل التثبت جيدا من عدم استباحة تخوم البغدان والافلاق فان الباب العالى يتعهد بأن لا يبقى بها أى مكان محصن وأن لا يسمح بتشييد أى بناء لرعاياه المسلمين على الشاطئ الايسر للدانوب وبناء على ذلك فقد تقرر وتقرر الاتفاق معه بأنه فى امتداد جميع هذا الشاطئ وفى الافلاق الكبيرة أو الصغيرة وكذا فى البغدان لا يمكن لاى مسلم أن يتخذ مسكنا ثابتا فى بقعة منها وانما يقبل فيها التجار الحاملون لفرمانات فقط ليشتروا على حسابهم الخاص من تينك الولايتين المحصولات الضرورية لقطوعية القسطنطينية أو أشياء أخرى

أما البلاد التركية الواقعة على الشاطئ الايسر للدانوب فانها تسلم الى الافلاق لتنضم من الآن فصاعدا الى هذه الولاية وكذا الحصون الموجودة من سابق على هذا الشاطئ لا يمكن اعادتها ثانيا ويجبر الذين يمتلكون عقارات غير مغتصبة من الغير سواء كانت فى هذه المدن أو فى أى نقطة غيرها على الشاطئ الايسر المذكور على بيعها للوطنيين فى مدة ثمانية عشر شهرا وحيث ان حكومة

الامارتين متمتعة بجميع امتيازات الادارة الداخلية المستقلة فيمكنها بكل حرية أن تقيم كردونات صحية وقورنتينات بمجازاة طول الدانوب وفي أمكنة أخرى على حسب البلاد التي تحتاج لذلك بدون أن يتمكن أحد من الاجانب الآتين اليها سواء كان مسلما أو نصرانيا من أن يتخلى عن ملاحظة القواعد الصحية بكل دقة أما من جهة مصلحة القورنتينات وكذا من جهة التيقظ اللازم بالحدود واستتباب النظام في المدن والارياف وتنفيذ القوانين والقرارات فانه يمكن لحكومة كل ولاية أن تستخدم عددا من الحرس المسلمين الذين تدعو اليهم الضرورة ليقوموا باعباء هذه الوظائف وعدد هؤلاء الحراس والاعتناء بشأنهم يقرر بمعرفة الولاة بالاتفاق مع دواوينهم بمقتضى القواعد القديمة

حيث ان الباب العالي مشغوف برغبته الخالصة بأن يدخل في الامارتين جميع أنواع الراحة الممكنة لهما ولوقوفه على أنواع الظلم والتعديات التي تحصل فيهما بسبب المؤن المطلوبة للقسطنطينية وللقلاع القائمة على ضفاف الدانوب واحتياجات الترسخانة فهو قد تنازل بالكلية عن حقه في هذا الخصوص وبناء عليه فالافلاق والبغدان قد عوفيتا أبديا من تقديم الحبوب والمحصولات الاخرى والاغنام وأخشاب البناء التي كانتا ملزمتين بتوريدها سابقا وبهذه المثابة لايطالب سكان هاتين الولايتين في أي حال من الاحوال بعمال للاشتغال بتشييد الحصون ولا لاي سخرة مهما كان نوعها ولكن لكي تعوض الخزينة الملوكية عن الخسائر التي يمكن أن تتكبدها من ترك كل حقوقها المذكورة فقد تقرر أن يدفع كل من البغدان والافلاق سنويا للباب العالي نظير ذلك مبلغا من النقود يتعين مقداره فيما بعد باتفاق الطرفين هذا بخلاف الجزية السنوية التي يجب على الامارتين دفعها الى الباب العالي باسم خراج وغيره بمقتضى عبارة الخطوط الشريفة المحررة في سنة ١٨٠٢ وكذلك فانه عند تجديد الولاة بسبب الموت أو الاستعفاء أو العزل القانوني للقلد فالولاية التي يحصل فيها من ذلك تجبر بان تدفع للباب العالي مبلغا مكافئا للخراج السنوي للولاية المقرر بالخطوط الشريفة وماعدا هذه المبالغ فلا يطلب من البلاد ولا من الولاة أي خراج آخر ولا تعيين ولا هدية بوجه من الوجوه

بما أن التوريدات المنوه عنها أعلاه قد ألغيت فسكان الامارتين يتمتعون بحرية التجارة تمتعا تاما بمحصولات أرضهم وبصناعتهم (المشترط ذلك بالعقد المنفصل من اتفاق آق كرمان) بدون أدنى تضييق ماخلا التحوطات التى تتخذها الولاة بالاتحاد مع دولوينهم ويرون أنه من الضرورى تقريرها لعدم وقوع القحط فى البلاد ويمكنهم أن يسافروا بحرية على الدانوب بمراكبهم الخصوصية مصحوبين ببطاقة الجواز المحررة من حكومتهم ويتوجهوا للاتجار فى المدن والمين الاخرى التابعة للباب العالى بدون أن يحصل لهم تعب أونصب من جباة الخراج ولا أن يكونوا معرضين لاى أمر آخر ظلمى

وزيادة على ذلك فان الباب العالى عندما تأمل جميع المصائب التى تحملتها البغدان والافلاق وتحركت فيه عواطف الانسانية بكيفية خصوصية قد قبل باعفاء سكان هاتين الامارتين من دفع الخراج السنوى وتوريده للخزينة مدة سنتين ابتداء من اليوم الذى تنجلى فيه الجيوش الروسية تماما عن الامارتين

وأخيرا فان الباب العالى لماله من الرغبة فى تمكين الرفاهية فى المستقبل بالامارتين بجميع الكيفيات فهو يتعهد تعهدا صريحا بأن يوافق على اللوائح الادارية التى تقررت بناء على رغبات مجالس أعيان السكان وذلك فى مدة احتلال جيوش الدولة الامبراطورية للامارتين وبأنه يعتبر اتخاذ تلك القرارات فى المستقبل أساسا لسن الاحكام الداخلية فى الولايتين مادامت هذه القرارات لا تشتمل على أدنى مخالفة لحقوق سيادة الباب العالى كما هو مفهوم

فلهذا نحن الموقعين على هذا المفوضين السياسيين عن جلالة امبراطور وبادشاه جميع الروسيا بالاتفاق مع المفوضين السياسيين عن الباب العالى العثمانى قد قررنا بخصوص البغدان والافلاق الشروط المذكورة أعلاه التى هى نتيجة (البند ٥) من معاهدة الصلح المبرمة فى ادرنه بيننا وبين المفوضين السياسيين العثمانيين وبناء على هذا فالعقد الحالى المنفصل قد تحرر الخ

فيظهر للمطالع ان أهم ماجاء بهذه المعاهدة ان نهر البروث يبقى حدا بين المملكتين كما كان قبلا ولن تتنازل الدولة العلية للروسيا عن مصبات نهر الطونة وماحولها من الاراضى

وعن وادي الخور والقلعة التي به في حدود الاناطول لتكون مانعا للتواصل بين بلاد
الدولة وقبائل الجركس المستقلة لتتمكن الروسيا من الاستيلاء على بلادهم في
المستقبل وأن يكون للروسيا حق الملاحة من البحر الاسود الى البحر الابيض أى حق
المرور من بوغازى البوسفور والدردنيل بدون أن يفتش عمال الدولة مراكبهم وان
تعطى الدولة الى تجار الروس الذين أصابهم ضرر بسبب الحروب تعويضا ماليا قدره
ستة عشر مليونا فرنكا تقريبا وأن يكون تعيين أمراء ولايتى الافلاق والبغدان لمدة
حياتهم وعدم عزلهم الا لاسباب قوية وباتحاد الروسية والدولة مع حفظ جميع الحقوق
والامتيازات لهاتين الولايتين بمقتضى العهود السابقة وان تمنح ولاية الصرب
الامتيازات المبينة فى معاهدة (آق كرمان) اما بخصوص اليونان فقبل السلطان
التصديق على كل ماجاء فى الاتفاق الذى أمضى بين الدول فى لوندره سنة ١٧٢٧ وان
يعين بعد اتمام الصلح مندوبا من خصامن طرفه للاتفاق مع مندوبى فرنسا والروسيا
وانكلترا على حدود هذه المملكة اليونانية الجديدة التى أوجدتها رغبة الدول فى
اضعاف الدولة الاسلامية الوحيدة وتخليص جميع المسيحيين الموجودين ببلادها
من سلطتها وتحريضهم على طلب الاستقلال مكافأة لها على عدم تعرضها لدينهم
وعوائدهم ومجازاة لها على هذه الغلطة السياسية ولا أقول غير ذلك لان عملها هذا
منطبق كل الانطباق على قواعد العدل وأصول الانسانية الا ان السياسة فى عرف
الدول الاوروبية لا تعترف بهذه المبادى الجليلة بل تنظر الى الغاية المقصودة بقطع
النظر عن طرق الوصول اليها وقد قالوا فى أمثالهم الجارية حتى على ألسنة الاطفال
ان الغاية تبرر الواسطة أيا كانت هذه الواسطة ولو ألحقت الخراب والدمار لا ببعض
الافراد بل بأمة بأجمعها أو بأكثر من أمة واحدة

هــــذا ثم أضيف الى هذه المعاهدة ذيل ذكر فيه ان مبلغ التعويض الذى اتفق
على دفعه للتجار الروسيين يدفع على أربع سنوات وان تدفع الدولة مبلغ خمس مليون
جنيه انكليزى تعويضا حربيا للروسيا على عشرة أقساط سنوية متساوية وان تبقى
الجيوش الروسية فى الممالك العثمانية ثم تنسحب منها تدريجيا فتخلى عن مدينة
أدرنه بعد دفع القسط الاول وترجع الى ماوراء جبال البلقان بعد دفع الثانى والى

ماوراء نهر الطونه بعد دفع الثالث وتخلى امارة البلغار ولا تنجلى تماما عن ولايتى الافلاق والبغدان الابعد دفع آخر قسط أى بعد عشر سنوات وان يرحل جميع السكان المسلمين القاطنين بهاتين الولايتين و يبيعوا املاكهم بها من العقار والمنقول فى مسافة ثمانية عشر شهرا

وأخيرا فى ٣٠ مايو سنة ١٨٣٠ أعلن الباب العالى بتصديقه على الشروط المدونة فى الاتفاق الذى أمضى بين الدول فى لوندره فى نوفبر سنة ١٨٢٨

يتضح للطالع من ذلك ان الروسيا وان لم تأخذ شيأ يذكر من أملاك الدولة بمقتضى هذه المعاهدة الاان ماوضعته فيها من الشروط كانت تقصد بها اضعاف الدولة بكيفية لا يمكنها معها اتمام النظامات العسكرية ولا تجديد عمارتها البحرية التى دمرت فى واقعة ناورين كما سبق وأنى لها ذلك وهى ملتزمة بدفع هذه الغرامة الحربية الفادحة بالنسبة لماليتها والجيوش الاجنبية محتلة جزأ عظيما من بلادها وفصلت عنها اليونان تماما والافلاق والبغدان والصرب تقريبا ومابقى لها أثقلت كاهله الضرائب اللازمة للحرب الداخلية والخارجية

ثم سار السلطان فى خطة الاصلاحات الداخلية بهمة لا يعتريها ملال وعزيمة لا يقعدها كلال فابطل طوائف السلاحدارية والعلوفه جية وباقى الطوائف الغير منتظمة وصار الجيش كله مؤلفا من جنود منتظمة مسلحة باتقن الاسلحة وألغيت جميع الامتيازات السابقة ولم تؤثر على السلطان أى معارضة بل كان يجازى كل من آنس منه أقل انتقاد على الاصطلاحات الجديدة باشد العقاب وصارم العذاب حتى انه لما رأى ان جماعة البكطاشية محازبة للانكشارية واستعملت نفوذها فى تهييج الاهالى أمر بالغائها وابطال جميع تكاياها فالغيت وشتت أعضاءها فى أطارف الدولة حتى لا يخشى من تجمعهم بالاستانة وقتل ثلاثة من رؤسائها النافذى الكلمة بناء على فتوى شرعية ومن جهة أخرى أخذ فى تغيير العوائد القديمة واتباع المستحسن من عوائد أوروبا فاستبدل العمامة بالطربوش الرومى وتزيا بالزى الاوروبى وأمر بأن يكون هو الزى الرسمى فى العسكرية والملكية وأسس وساما دعاه وسام الافتخار وأخيرا تجول بذاته فى ممالكه باوروبا ليستطلع أحوالها

ويقف على حقائق الامور وشكاوى الاهالى وبالاختصار فانه سار سير من يريد مجاراة أوروبا فى نظاماتها وعدم الوقوف حال تقدم الدول الاخرى بسرعة لعلمه ان الوقوف فى مثل هذه الظروف هو عين التأخر ولو لم يكن له من الايادى البيضاء على الممالك المحروسة الا الغاء طائفة الانكشارية لكفى ذلك لتخليد اسمه فى بطون التاريخ مشكورا ممدوحا الى أبد الآبدين وزيادة على ذلك احياما أقامه السلطان مصطفى الثالث من مدارس الطوبجية بعد ان صارت دوارس وانشاء مدرسة حربية لتخريج الضباط على مثال مدرسة سانسير الفرنساوية «١١٩» التى أسسها نابوليون الاول بفرنسا لتربية أولاد الضباط والاشراف على النظامات العسكرية الحديثة

﴿احتلال فرنسا للجزائر﴾

وفى أواسط سنة ١٨٣٠ نفذت فرنسا ما كانت تنويه من مدة ضد ولاية الجزائر بدعوى منع تعدى قرصانات البحر المسلمين على مراكبها التجارية والحقيقة ليكون لها مركز حربى بشمال افريقيا حتى لا تكون انكلترا صاحبة السيادة بمفردها على البحر الابيض المتوسط باحتلالها مالطة وتخذت لذلك سبيلا وقوع الخلاف بينها وبين عامل الدولة العلية عليها المدعو حسين باى بسبب بعض ديون كانت مطلوبة لبعض تجار الجزائريين على الحكومة الفرنساوية وحجزها جزأ منها بدعوى ان هؤلاء التجار مديونون لتجار فرنساويين وخروج المسيو دوفال قنصل فرنسا عن حد الادب مع الامير حسين باى فى حفلة عمومية بحضرة جمهور من الامراء والوزراء حتى اضطر حسين باى حفظ الناموسه وكرامته بين قومه ان يضرب القنصل بعنشة كانت بيده فبمجرد ما وصل خبر هذه المسئلة الى آذان ولاة الامور بباريس عدّوها اهانة لشرفهم وأرادوا اتخاذها وسيلة لتنفيذ ما كانوا مضمرين عليه من مدة وقرروا فى مجلس الوزراء المنعقد تحت رئاسة الملك

«١١٩» هى قرية صغيرة بالقرب من قصر فرساى بضواحى باريس أسس بها لويز الرابع عشر فى سنة ١٦٨٠ مدرسة مجانية لتربية ٢٥٠ بنتا من بنات الاشراف الفقراء ولما حصلت الثورة الفرنساوية أبطلت هذه المدرسة وفى سنة ١٨٠٨ أنشأ بها نابوليون الاول المدرسة الحربية الشهيرة التى لم تزل قائمة حتى الآن

نفسه فى ٧ فبراير سنة ١٨٣٠ وجوب الاستيلاء على هذا الاقليم ثم أرسل اليها جيشا مؤلفا من نحو ثمانية وعشرين ألف مقاتل وعمارة بحرية مؤلفة من مائة سفينة وثلاثة سفن تحمل سبعة وعشرين ألف جندى بحرى ولما علمت انكلترا بذلك خشيت على نفوذها من مشاركة فرنسا واحتجت ضد هذا المشروع ولما لم يفد احتجاجها شيأ أوعزت الى الباب العالى أن يأمر عامله على الجزائر بالتساهل مع فرنسا وتقديم ماتطلبه من الترضية والتعويضات فارسل الباب العالى مندوبا من طرفه لتبليغ هذه التعليمات الى عامل الجزائر لكن لم يصل هذا المندوب الى محل مأموريته بل قبضت السفن الفرنساوية على المركب الحاملة له وأوصلتها الى ميناطولون تحت الحفظ ولم تسمح لها بالخروج الا بعد اتمام مقصدهم وفى ١٣ يونيو سنة ١٨٣٠ نزلت عساكر فرنسا بالقرب من مدينة الجزائر وانتشب القتال بين الفريقين فى ١٩ منه وبعد محاربة شديدة فاز الفرنساويون بالغلبة وفى ٤ يوليو احتلوا القلعة المسماة (سلطانيه قلعه سى) الواقعة أمام مدينة الجزائر وفى تلوه دخلت الجيوش مدينة الجزائر نفسها بعد خروج حسين باى منها وأعلنت فرنسا امتلاكها لها وبعد ذلك أخذت ترسل الجيوش تباعا الى الجزائر لفتحها ومازال الاهالى يقاومونها تحت امرة الوطنى الشهير السيد عبد القادر الجزائرى الذى دافع عن بلاده مدة سبع عشرة سنة وسلم نفسه سنة ١٨٤٧ ألف وثمانمائة وسبعة وأربعين ولم تزل الاهالى غير راضية عن الاحتلال الفرنساوى حتى الآن ولم تدع فرصة للتخلص منه الا اتخذتها لكن لم تقو حتى اليوم على التخلص من ربقة الاجنبى

﴿محمد على باشا والى مصر والدولة العلية وحرب الشام الاولى ومعاهدتى كوتاهيه وخونكار اسكله سى﴾

لم يكن اهتمام والى مصر ومؤسس العائلة الكريمة الخديوية بشؤون بلاده وادخال النظامات الجديدة فيها باقل من اهتمام السلطان محمود فى اصلاح داخلية مملكته التى مصر لاتزال وان تزال ان شاء الله جزأ منها فانشأ عدة ترع عظيمة لاصلاح

الرى أمهاترعة المحمودية الخارجة من النيل وواصلة الى اسكندرية لتسهيل الملاحة وشرب أهل الثغر وأقام جسورا على النيل لحفظ البلاد من الغرق ونظم وأقام المدارس والورش الصناعية حتى صار لا يأتى بلوازم جيوشه من الخارج بل يصنع جميعه بالورش المصرية من المركوب والطربوش الى البندقية والمدفع وأنشأ عدة سفن حربية بدل التى دمرها التمدن الاوروبى فى ناورين لكن لم تكن ماليته تكفى لمصاريف هذه الاعمال فاستعان على اتمامها بالضرائب الفادحة واستعمال الانفار تسخيرا بلاعوض (العونة) وبجهل الاهالى بأن فوائد أتعابهم ستعود عليهم آجلا باضعاف أضعاف ما يدفعونه عاجلا تمكن بعض أرباب الغايات من استمالتهم للمهاجرة الى بلاد الشام فهاجر منهم خلق كثير والتجأوا الى عبد الله باشا والى عكا المشهور بالجزار

ولما طلب منه محمد على باشا ارجاعهم خوفا من كثرة عدد من يتبعهم الى الشام امتنع من ذلك بدعوى ان الاقليمين تابعان لسلطان واحد وسواء أقام بعض سكان أحدهما فى الآخر أو بالعكس مادام أحد الاقليمين لم يكن حائزا على امتيازات مخصوصة كحالة مصر الآن

ولذلك أمر محمد على باشا فى سنة ١٨٣١ باعداد الجيوش والتأهب للسفر الى بلاد الشام عن طريق العريش وعن طريق البحر فى آن واحد لمحاصرة عكا من الجهتين قبل ان يأتيها المدد وعين ولده ابراهيم باشا قائدا عاما للجيوش المزمع سفرها وسليمان بيك الفرنساوى قائمقام له فسار هذا الشبل بحرا الى مدينة حيفا تحف به الدونانمة المصرية فى أكمل نظام وأتم هندام وكانت الجيوش البرية قد سبقته من طريق العريش وفتحت فى مسيرها مدائن غزه ويافا وبيت المقدس ونابلس وجعل ابراهيم باشا مدينة حيفا مقرا للاعمال ومركزا لاركان حربه ومستودعا للمؤن والذخائر ثم ارتحل عنها لمحاصرة مدينة عكا فحاصرها برا وبحرا فى أواخر نوفمبر سنة ١٨٣١ حتى لا يأتيها المدد بحرا فلا يقوى على فتحها كما حصل لبونابرت من قبل حين حاصرها سنة ١٧٩٩

فلما علم الباب العالى بدخول الجيوش المصرية الى بلاد الشام وحصارها مدينة عكا

اعتبر ذلك عصيانا من محمد على باشا وأوعز الى والى حلب المدعو عثمان باشا بالسير لمحاربة المصريين وبالحرى ابراهيم باشا ورده الى حدود مصر فجمع هذا الوالى نحو عشرين ألف جندى وقصد مدينة عكا لكن لم يمهله ابراهيم باشا ريثما يأتى اليها بل ترك حول عكاء عددا قليلا من الجنود لاستمرار الحصار وسار هو بمعظم الجيش لملاقاة الجيش العثمانى فالتقى الجمعان بالقرب من مدينة حمص وانتصر المصريون على العثمانيين بسبب استعدادهم وكمال نظامهم

ثم عاد ابراهيم باشا الى مدينة عكا وشدد عليها الحصار ودخلها عنوة فى ٢٧ مايو سنة ١٨٣٢

وبمجرد وصول خبر سقوط مدينة عكا فى أيدى المصريين أمر السلطان محمود بجمع كل ما يمكن جمعه من الجيوش المنتظمة فجمع فى أقرب وقت نحو ستين ألف مقاتل وعين حسين باشا الذى امتاز فى مكافحة الانكشارية قائدا لها فسار الى بلاد الشام بكل تأن وبطء حتى أمكن ابراهيم باشا الاستعداد لملاقاته فتغلب أولا على مقدمته وانتصر عليها فى ٩ يوليو سنة ١٨٣٢ واقتفى أثرها حتى دخل مدينة حلب الشهباء فى ١٧ منه

ولما علم حسين باشا بانهزام المقدمة تقهقر بمن معه من الجيوش وتحصن فى أهم مضايق جبال طوروس الفاصلة بين الشام والاناطول ويسمى هذا المضيق بمضيق بيلان وهو مشهور فى التاريخ لمرور الاسكندر المقدونى منه حين أتى لفتح بلاد الشام ومصر ومرور الافرنج حين أتوا من طريق القسطنطينية لفتح بيت المقدس واستخلاصه من أيدى المسلمين أثناء الحروب الصليبية فلحقه ابراهيم باشا وفاز عليه فوزا عظيما وفرق شمل جيوشه فى ٢٩ يوليه من السنة المذكورة وتبع من بقى منهم الى ان نزلوا بمراكبهم فى مينا اسكندرونه فجمع السلطان جيشا آخر وقلد رئاسته الى رشيد باشا الذى امتاز مع ابراهيم باشا فى حرب مورة خصوصا فى محاصرة وفتح مدينة (ميسولونجى) وأرسله الى بلاد الاناطول لصد هجمات ابراهيم باشا عن القسطنطينية نفسها اذ كان ابراهيم باشا قد اجتاز جبال طوروس واحتل اقليم (اطنه) وما وراءه الى مدينة قونيه فى وسط الاناطول والتقى بالقرب من هذه المدينة

برشيد باشا وجيشه فانتصر عليه وأخذه أسيرا فى ٢١ دسمبر سنة ١٨٣٢ وعند ذلك ساد القلق فى الاستانة وخيف تقدم ابراهيم باشا بجيوشه المصرية اليها أماهو فسار حتى وصل الى ضواحى مدينة بورصة

ولما تواترت أخبار انتصار المصريين على العثمانيين خشيت الدول أن يكون قصد محمد على باشا احتلال الاستانة واسقاط عائلة بنى عثمان والاستئثار بالخلافة الاسلامية فيحصل اضطراب عمومى فى التوازن الاوروبى وكانت الروسية أشد قلقا من غيرها لخوفها من سقوط الاستانة فى قبضة من يمكنه الذب عنها أكثر من الملوك العثمانيين فلا يمكنها تنفيذ وصية بطرس الاكبر ولذلك عرضت على الدولة العلية مساعدتها بالرجال وأنزلت فعلا على شواطئ الاناطول خمسة عشر ألف جندى لحماية الاستانة فاضطربت فرنسا وانكلترا وخشيت سوء عاقبة تداخل الروسيا بصفة عسكرية وألحت على الباب العالى بسرعة الاتفاق مع محمد على باشا قبل تفاقم الخطب واتساع الخرق على الراقع وتوسطت بينهما فقبل الباب الهمايونى بهذا التوسط

وبعد مخابرات ومداولات لا حاجة لتفصيلها اتفق الطرفان على أن يخلى المصريون اقليم الاناطول وترجع جيوشهم الى ماوراء جبال طوروس وتعطى لمحمد على باشا ولاية مصر مدة حياته ويعين هو واليا على ولايات الشام الاربع (عكا وطرابلس وحلب ودمشق) وعلى جزيرة كريد وان يعين ابنه ابراهيم باشا واليا على اقليم أطنه وصدرت بذلك ارادة سنية فى ٥ مايو سنة ١٨٣٣ ودعيت هذه المعاهدة بمعاهدة كوتاهيه نسبة الى المدينة التى كان بها ابراهيم باشا عند اتمامها وبذلك انتهت هذه المسئلة موقتا اذ لم يقبل السلطان بهذه التسوية الا ليتمكن من الاستعداد للحرب وارجاع ما أخذ منه قهرا

ولقد تمكنت الروسيا أثناء وجود عساكرها بأرض الدولة من ابرام معاهدة هجومية ودفاعية مع الباب العالى فى ٨ يونيه سنة ١٨٣٣ دعيت بمعاهدة (خونكار اسكله سى) تعهدت بها الروسيا بالدفاع عن الدولة لو هاجمها المصريون أو غيرهم ليكون لها بذلك سبيل فى شؤون الدولة الداخلية

﴿حرب الشام الثانية وواقعة نصيبين﴾

لم تكن هذه التسوية الاوقتية فان محمدعلى باشالم يقبل بها الاخوفا من اجبار الدولة له على ترك فتوحاته مع كونه عازما على تتميم مشروعه وهو الاستقلال التام عندسنوح الفرصة وكذلك لم يقبل السلطان محمود بها الالتفريق جيوشه وعدم امكانه صد هجمات ابراهيم باشاعن الاستانة الابمساعدة الروسيا الامر الذى سعى فى تلافيه بابرام هذه المعاهدة حتى اذا استعد لاسترداد مافقدكرها أغار على بلاد الشام وجعل مصر ولاية عثمانية بدون أقل امتياز

ولما كانت هذه أفكار كل فريق منهما كان لابد من اشتعال نار الحرب بينهما ثانية عاجلا أو آجلا ولقد كان من أهم دواعى استئناف هذه الحروب عصيان أهل الشام على محمدعلى باشاومعاملته اياهم بكل صرامة لاخضاعهم لسلطانه ثم عصيان الدروز وامدادهم بالمال والسلاح من الخارج سرا لاضعاف شوكته وفى أثناء ذلك فاتح محمدعلى باشا بعض وكلاء الدول بمصر بانه يرغب أن تكون مصر والشام وبلاد العرب له ولاولاده من بعده فأبلغ الوكلاء ذلك لدولهم وهى خابرت الدولة العلية بذلك بكيفيات مختلفة فعضدت فرنسا مطالبه وحسنت له الدول الاخرى محاربته بكل شدة واخضاعه خوفا من تطلعه الى غير مافى يده من الاقاليم ولتغلب نفوذ سفير فرنسا قبل الباب العالى ارسال مندوبا من طرفه الى محمدعلى باشا للاتفاق على حل مرض للطرفين وأرسل الى مصر من يدعى سارين أفندى أحمد موظفى الخارجية فأتى هذا المندوب الى مصر فى غضون سنة ١٨٣٧ وقابله واليها بكل تجلة واكرام

وبعد مداولات طويلة اتفقا على ان تعطى له ولايتى مصر والعرب ارثا لاولاده وبلاد الشام الى جبال طوروس مدة حياته وعاد سارين أفندى الى الاستانة بهذا الوفاق فلم يقبله الباب العالى بل أصر على أن تكون جبال طوروس ومفاوزها فى أيدى العثمانيين لا المصريين وصمم محمدعلى باشا على عكس ذلك عما ان هذه المفاوز بمثابة أبواب لبلاد الشام باجمعها فلو احتلتها الدولة العلية أمكنها الاغارة على بر الشام فى أى وقت أرادت

وبذلك عاد الخلف الى ما كان عليه وصارت الحرب قاب قوسين أو أدنى وأوعز الباب العالى الى حافظ باشا الذى عين سرعسكر الجيوش المجتمعة فى سيواس بارمينية بعد موت رشيد باشا أسير قونيه الذى مات قبل أن يأخذ بثار هذه الواقعة ويمحو ما لحقه فيها من الفشل الى ان يتقدم الى ولايات الشام بكل سرعة فتقدم اليها فى أوائل سنة ١٨٣٩ وعبر نهر الفرات عند مدينة (بلاجيق) فى ابريل من السنة المذكورة ثم التقى الجيشان بعد عدة مناورات بالقرب من بلدة تدعى نصيبين وهى المشهورة فى جميع كتب الافرنج باسم (نزيب) فى ٢٤ يونيو سنة ١٨٣٩ الموافق ١٣ ربيع الاول سنة ١٢٥٥ وفاز المصريون بالنصر وتقهقر الجيش العثمانى تاركا فى أيدى المصريين ١٦٦ مدفعا وعشرين ألف بندقية وغيرهما من الذخائر والمؤن وكان هذا اليوم مشهودا يجعل الولدان شيبا

ومن غريب المصادفة ان المسيو (دى مولتك) «١٢٠» القائد البروسيانى الذى طار صيته فى الآفاق وملأ ذكره الاوراق فى الحرب التى حصلت بين فرنسا والبروسيا فى سنة ١٨٧٠ كان من ضمن أركان حرب الجيش العثمانى وولى الادبار مع باقى الضباط بدون أن يتمكن من أخذ ملابسه وأوراقه الخصوصية ولم يصل خبر هذه الحادثة الى آذان السلطان محمود الثانى فانه توفى الى رحمة الله وانتقل من دار الشقاء الى دار الهناء بعدها بستة أيام أى فى يوم ١٩ ربيع الاول سنة ١٢٥٥ الموافق أول يوليو سنة ١٨٣٩ فجأة بدون ان يعلم بهذا العدم وجود الاسلاك البرقية فى هذا العهد وتولى بعده ولده

٣١ ﴿السلطان الغازى عبد المجيد خان﴾

وكانت مدة خلافة السلطان محمود احدى وثلاثين سنة ومات عن أربع وخمسين سنة

«١٢٠» هو القائد الالمانى الشهير ولد سنة ١٨٠٠ وتربى فى احدى المدارس «بكومنهاج» عاصمة الدانمرك ثم التحق بجيش البروسيا وحضر فى احدى مدارسها الحربية ولامتيازه فى الهندسة وما يلحقها عين فى أركان حرب البروسيا ثم ساح فى الشرق وتوظف بالجيش العثمانى وبعد ان حضر واقعة نصيبين عاد الى بلاده وترقى تدريجيا حتى وصل الى وظيفة رئيس أركان حرب البروسيا ومن ثم أخذ فى تنظيم الجيش حتى صار أول جيش فى أوروبا فكانت له اليد الطولى فى الانتصار على الدانمرك سنة ١٨٦٤ وعلى النمسا سنة ١٨٦٦ وعلى فرنسا سنة ١٨٧٠ حتى استحق محبة الاهالى له وأقيم له تمثال ان فى حياته وفى سنة ١٨٨٨ اعتزل الاعمال لهرمه وتوفى سنه ١٨٩١

ولم

ولم كان عمر والده السلطان عبد المجيد اذ ذاك ١٧ سنة وتولى الخلافة وهى فى غاية الاضطراب بسبب انتصار جيوش محمد على باشا بنصيبين كامر واحتلال جيوشه لمدائن عين تاب وقيصرية وملطية

ومما زاد أحوال الدولة ارتباكا وشغل الخواطر باوروبا ان أحمد باشا القبودان العام للدوناغة التركية خرج بجميع مراكبه الحربية وأتى بها الى ثغر الاسكندرية وسلمها الى محمد على باشا وكان فعل أحمد باشا القبودان مسببا عن توجيه منصب الصدارة العظمى الى خسرو باشا الذى كان قد سبق تعيينه واليا على مصر وخرج منها بناء على رغبة الاهالى فى تعيين محمد على باشا واليا عليها وخوفه من الايقاع به بسبب ما كان بينه وبين محمد على باشا من علائق الارتباط والمحبة

﴿تداخل الدول﴾

لما علم قناصل الدول بالاستانة بتسليم الدوناغة التركية الى محمد على باشا خشوا زحف ابراهيم باشا على القسطنطينية فترسل الروسيا جيوشها الحاربته بناء على معاهدة (خونكار اسكله سى) لاسيما وقد فقدت الدولة جميع جيوشها البرية وسفنها الحربية فأرسلوا الى الباب العالى لائحة اشتراكية بتاريخ ٢٨ يوليه سنة ١٨٣٩ ممضاة من سفراء فرنسا وانكلترا والروسيا والنمسا والبروسيا يطلبون منه أن لا يقرر شيأ فى أمر المسئلة المصرية الا باطلاعهم واتحادهم وانهم مستعدون للتوسط بينه وبين محمد على باشا لحل هذه المسئلة المهمة فقبل الباب العالى هذه اللائحة واجتمع السفراء عند الصدر الاعظم فى ٣٠ من الشهر المذكور وتداولوا فيما يجب اعطاؤه لمحمد على باشا فابدى سفيرا انكلترا والنمسا ضرورة ارجاع الشام للدولة العلية وعارضهم فى هذا الرأى سفيرا فرنسا والروسيا وطلبا ان يمنح محمد على باشا ملك مصر وولايات الشام الاربع لكن انحاز سفير البروسيا الى الرأى الاول فتقرر بالاغلبية

ثم طلب المسيو (دى مترنيخ) «١٢١» أكبر وزراء النمسا ان يعقد مؤتمر دولى فى مدينة

«١٢١» سياسى نمساوى شهير ولد سنة ١٧٧٣ تقدم سريعا وعين سفير النمسا فى باريس سنة ١٨٠٦ وانتخب رئيسا للمؤتمر وبانه فى سنة ١٨١٤ وسنة ١٨١٥ الذى عقد لتسوية حالة أوروبا بعد سقوط نابوليون واشتهر هذا الوزير بمعارضة انتشار الحرية فى أوروبا ولذلك اعتزل الاعمال بعد حركة سنة ١٨٤٨ العمومية وبقى فى العزلة الى ان توفى سنة ١٨٥٩

(فيينا) أو (لوندره) لاتمام المداولات بشأن المسئلة المصرية فلم يقبل منه ذلك عند الكل سيما فرنسا وانكلترا فلم يقبلا ذلك ولم يميلا لهذا الطلب لعدم ثقتهم بالمسيو (دى مترنيخ) وكذلك الروسيا لم تقبل تحويل مؤتمر دولى حق تجديد علاقاتها مع الباب العالى بل أعلنت أنها مصرة على التمسك بنصوص معاهدة (خونكار اسكله سى) وهى حماية الدولة بعساكرها ومراكبها وبالتالى احتلال معظم أملاكها بدون حرب لو تعدى ابراهيم باشا حدود الشام فمنذ ذلك طلبت كل من فرنسا وانكلترا من الباب العالى التصريح لمراكبها بالمرور من بوغاز الدردنيل لحمايته عند الضرورة من الروسيا ومن العساكر المصرية وجاء الاميرال (ستوبفورد) بنفسه الى القسطنطينية للحصول على هذا التصريح ولما علم باقى السفراء بهذا الطلب اضطربوا وخشوا حصول شقاق بين الدول المتوسطة وأعلن سفير الروسيا بانه اذا دخلت المراكب الفرنساوية والانكليزية البوغاز يقطع علاقاته السياسية مع الباب العالى ويسافر فى الحال وكانت حكومته أرسلت له مركبا حربيا ليسافر عليها اذا اقتضى الحال ذلك وكتبت النمسا الى وزارتى لوندره وباريس بان طلبهما هذا مخل بسلم أوروبا وانهما لو أصرا عليه تخرج من التحالف وتحفظ لنفسها حرية العمل فلما علم الباب العالى بذلك خاف من تفاقم الخطب ورفض طلب حكومتى فرنسا وانكلترا وطلب منهما ابعاد مراكبهما عن مدخل البوغاز فلهذه الاسباب وعدم الاتفاق بين وزراء الدول توقفت المخابرات الى أوائل شهر سبتمبر سنة ١٨٣٩ حتى عرض اللورد (بونسونبى) سفير انكلترا على الباب العالى ان دولته مستعدة لاكراه محمد على باشا على رد الدونانمة التركية بشرط ان يكون لها حق ادخال مراكبها فى خليج اسلامبول لصد الروسيا عند الضرورة فلما علمت بذلك حكومة فرنسا أرسلت الى الاميرال (لالاند) قائد اسطولها فى مياه تركيا أمرا بتاريخ ١٨ دسمبر سنة ١٨٣٩ انه لا يشترك مع مراكب انكلترا فى أى حركة عدوانية ضد حكومة محمد على باشا فعلم الكل انه لا بد من حصول خلاف بين فرنسا وانكلترا بخصوص المسئلة المصرية وأخذت الدول حذرها مما عساه يحصل من الامور التى تنشأ بسبب هذا الخلاف فاعلنت النمسا بانها لا ترغب

التداخل لعدم نجاح طلبها المختص بانعقاد مؤتمر دولى فى فينا أو برلين وأعلنت بروسيا والروسيا بأنهما يقبلان كل ما تقرره الدول فى هذا الشأن بشرط ان يكون موافقا لرغبة الباب العالى وان يكون قبوله لهذا القرار صادرا عن كمال الحرية فكان الدول قبلت ما اتفق عليه فرنسا وانكلترا بالاتحاد مع الباب العالى ولكن لم يتم الاتفاق بين هاتين الدولتين لسعى انكلترا فى ارجاع المصريين الى حدودهم الاصلية وعدم قبول فرنسا ذلك ورغبتها فى مساعدة محمد على باشا

وذلك ان فرنسا كانت تود ان تكون ولاية مصر والشام له ولذريته واقليم اطنه وطرسوس له مدة حياته وأما انكلترا فكانت لا تريد أن يعطى الا ولاية مصر لكن رغبة فى ارضاء فرنسا قبلت ان يعطى مدة حياته نصف بلاد الشام الجنوبى بشرط ان لا تكون مدينة عكا من هذا النصف فرفضت فرنسا هذا الاقتراح وقالت كيف نحرمه من كل فتوحاته خصوصا بعد ان قهر الجيوش العثمانية فى واقعة نصيبين واننا لو جردناه منها التركناله بابا الحرب مرة أخرى وهو أمر لا تكون عاقبته حسنة لانه يوجب تداخل حكومة الروسيا فى أمر الدولة العلية بمقتضى العهود ولا تكون نتيجة ذلك الا حربا عامة فالاولى منعا لسفك دماء العباد أن تعطى لمحمد على باشا البلاد التى فتحها لانه أقوم بادارتها وأحق بها لما تكبده فى فتحها من المشاق الصعبة والمصاريف الزائدة وبذل الارواح ولما علمت الدول بوقوع الخلاف بين فرنسا وانكلترا أعلنت النمسا وبروسيا رسميا انهما ينحازان الى احدى الدولتين التى لا تحرم الدولة من أملاكها وبعبارة أخرى الى انكلترا

وأما الروسيا فارادت ان تنتهز فرصة عدم اتحاد الدولتين لتقرير نفوذها فى الشرق وحق حمايتها على الدولة العلية دون غيرها وأرسلت الى لوندره البارون (دى برونو) بصفة سفير فوق العادة فوصلها فى أواخر سبتمبر سنة ١٨٣٩ وعرض على حكومتها بالنيابة عن قيصره ان الروسيا مستعدة لان تترك لانكلترا حرية العمل فى مصر وتساعدها على اذلال محمد على باشا بشرط ان تسمح لها بانزال جيش بالقرب من اسلامبول فى مدينة (سينوب) الواقعة على شاطئ البحر الاسود ببر الاناطول لكى يتيسر لها اسعاف الباب العالى لو أراد ابراهيم باشا الزحف على القسطنطينية فصغى

اللورد بالمرستولون «١٢٢» الى كلام سفير الروسيا ومال الى هذا الرأى ميلا شديدا ولولا استقباح الرأى العام له لقبله كل القبول وسلم به كل التسليم لكنه لما رأى عدم موافقة الرأى العام لهذا المشروع اقترح على الروسيا أن تعلن أولا بتنازلها عما تخوله لها معاهدة (خونكار اسكله سى) من حق حماية الدولة العلية فرفضت الروسيا ذلك وأجلت المخابرات بشأن تسوية المسئلة المصرية الى شهر يوليو سنة ١٨٤٠ لعدم اتفاق الدول على حالة مرضية للكل وافية بغرض الجميع لتباينهم فى الغايات والمقاصد

وفى خلال هذه المدة أرسلت الروسيا المسيو (برونو) ثانية الى لونده ليطلب تعديل المشروع الاول بان يخول لكل من انكلترا وفرنسا الحق فى ارسال ثلاث سفن حربية فى بحر (مرمره) للاشتراك مع الجيش الروسى فى حماية اسلامبول لو هاجمها ابراهيم باشا فلم تفز الروسيا بمرامها فى هذه المرة أيضا

هذا ولما علم محمد على باشا بهذه المخابرات وتحقق ان الدول الاوروباوية عموما وانكلترا خصوصا ساعية فى ارجاع جيوشه الى مصر وجبره على رد كل ما فتحه من البلاد وان فرنسا لا يمكنها مساعدته فضلا عن تعصب باقى أوروبا ومضادتها بأجمعها له أخذ فى الاستعداد لصد القوة بالقوة بحيث لا يسلم شبرا من الارض التى صرف ماله ورجاله فى فتحها الا مضطرا وكلف سليمان باشا بتفقد سواحل الشام وتحصينها بقدر الامكان سيما مدينتى عكا وبيروت وأمر بتعليم كافة الاهالى جميع الحركات العسكرية وحمل السلاح لكى يسهل له حفظ الامن الداخلى بواسطتهم وصد المهاجمين بواسطة الجيش المتدرب على الحرب ولزيادة جيشه استدعى من الاقطار الحجازية والنجدية الجيوش المصرية المحتلة لها وأخذ أيضا فى توفير الاموال من بعض وجوه مصاريفها

«١٢٢» سياسى انكليزى شهير ولد سنة ١٧٨٤ وبعد ان أتم دراسته فى مدرسة كمبردج العليا انتخب فى مجلس العموم سنة ١٨٠٦ وانضم الى حزب المحافظين وفى سنة ١٨٣٧ تحول عنهم وانخرط فى سلك الاحرار وصار وزير الخارجية من سنة ١٨٣٠ الى سنة ١٨٤١ ومن سنة ١٨٤٦ الى سنة ١٨٥١ ومن ١٨٥٥ الى ١٨٥٨ وأخيرا من سنة ١٨٥٩ الى تاريخ وفاته الواقع فى سنة ١٨٦٣ واشتهر بمقاومة محمد على باشا الكبير من يمكن القول انه مساعيه كانت السبب الوحيد فى اخفاق مشروع هذا الرجل العظيم وعدم نجاح مقصوده

وأطلق سراح محمد بن عون شريف مكة الذى كان قد ألزمه الاقامة بمصر من مدة وبالجملة تخلى عن بلاد العرب وتركها لا كما كانت لاحتياجه الى المال والرجال لانها كانت تكلفه سنويا مبلغا قدره سبعمائة ألف جنيه مصرى تقريبا بلا فائدة ثم أرسل الى ولده ابراهيم باشا الاوامر المشددة بان يجتهد فى اطفاء كل ثورة جزئية يبديها سكان الجبل من أى طائفة خوفا من اشتداد الخطب فى الداخل حين الاحتياج للانتباه لما يأتى من الخارج

ثم فى أوائل سنة ١٨٤٠ عاودت النمسا الكرة وطلبت من الدول اجتماع مؤتمر فى مدينة فيينا التسوية هذه المسئلة التى أقلقت بال الجميع فقبلت الدول عقده فى مدينة لوندره لا فيينا وطلبت فرنسا ان يكون للباب العالى مندوب خصوصى فى هذا المؤتمر مراعاة له لما له من السيادة العظمى على البلاد المتنازع بخصوصها

فلما اجتمع هذا المؤتمر طلبت فرنسا ابقاء الشام كله تحت يد محمد على باشا فعارضتها الحكومة الانكليزية فى ذلك وأصرت على ماطلبته أولا وهو انه لا يعطى له الا النصف الجنوبى منها لكنها قبلت أخيرا بناء على الحاح فرنسا ادخال عكا ضمن هذا القسم بشرط ان يكون له مدة حياته فقط ولا ينتقل الى ورثته بل يعود الى الدولة العلية وقبلت الروسيا والنمسا والبروسيا ذلك لكن لم تقبله فرنسا بحجة ان حرمان ورثة محمد على باشا من بلاد صرف السنين الطوال فى فتحها ليتركها لهم بعد موته مما يزيد فى حنقه على دول أوروبا وربما لم يقبل هذا القرار المجحف فتلزم الدول باكراهه وسفك دماء العباد ظلما الامر الذى لم تجر هذه المخابرات الا لمنعه فشددت انكلترا وخصوصا اللورد بالمرستون وزيرها الاول وأبت الا رجوع مايعطى لمحمد على باشا من البلاد الشامية الى الدولة العلية بعد موته فمن عدم الاتفاق وتشتت الآراء وبعد الوفاق لم ينجح هذا المؤتمر وبقيت الحالة على ماهى عليه ثم لما تولى المسيو (تيرس) (١٢٣) رئاسة الوزارة الفرنساوية فى أول مارث سنة ١٨٤٠

---

(١٢٣) هو سياسى شهير ولد فى مرسيليا فى ١٦ ابريل سنة ١٧٩٧ وتعلم الشريعة فى مدارس مرسيليا واكس واشتغل بالمحاكم الى سنة ١٨٦١ ثم سافر الى باريس واشتغل بالتحرير فى الجرائد وكتب تاريخ الثورة الفرنساوية فى ١٠ مجلدات طبعت من سنة ١٨٢٣ الى سنة ١٨٣١ وكان من أكبر الساعين فى قلب حكومة لويس العاشر فى شهر يوليو سنة ١٨٣٠ ولما تولى لويس فيليب

لم يتبع خطة أسلافه فى انهاء المسئلة المصرية بالاتحاد مع انكلترا بل أراد أن يضع لها حدا باتفاقه وأسامع الباب العالى ومحمد على باشا بان يلزم الباب العالى ان يترك لمحمد على باشا ولايات مصر والشام له ولذريته ويهدده بمساعدة فرنسا لوالى مصر ان لم يذعن الباب العالى لهذه المطالب

فارسل لمحمد على باشا يخبره بان لا يقبل مطالب انكلترا بل يقوى مركزه فى الشام ويتأهب للكفاح وان فرنسا مستعدة لنجدته لو عارضته انكلترا

﴿معاهدة ١٥ يوليو سنة ١٨٤٠﴾

فلما علم اللورد بالمرستون بهذه المخابرات حنق على الحكومة الفرنساوية وبذل جهده فى الاتفاق مع الروسيا وبروسيا والنمسا لارجاع محمد على باشا الى حدود مصر والزامه بالقوة ان لم يطع ولقد نجح بالمرستون فى مسعاه وأمضى بتاريخ ١٥ يوليو سنة ١٨٤٠ مع من ذكر من الدول معاهدة صدق عليها مندوب الدولة العلية مقتضاها

اريكة الملك بعد هذه الثورة عينه مأمورا فى الخزينة ثم ولاه وزارة المالية ثم نظارة الداخلية فى وزارة المارشال سولت الاولى فى ١١ اكتوبر سنة ١٨٣٤ ثم صار رئيسا لمجلس النظار أول مرة فى ٢٢ فبراير سنة ١٨٣٦ وعهدت اليه أيضا نظارة الخارجية واستمرت وزارته الى ٦ سبتمبر سنة ١٨٣٦ ثم عاد الى منصة الاحكام فى أول مارث سنة ١٨٤٠ فطلب تحصين مدينة باريس والقيام بتجهيزات عسكرية مهمة خوفا من الارتباكات الناشئة من تداخل الدول بين محمد على باشا والسلطان ثم استقال لاختلافه فى الرأى مع ملكه بخصوص المسئلة المصرية وحينئذ ابتدأ فى تاريخه عن القنصلية والامبراطورية ثم فى سنة ١٨٤٨ طعن فى سياسة لويس فيليب الخارجية وساعد على عزله وانتخب عضوا فى الحكومة المؤقتة وفى سنة ١٨٥١ عارض لويس نابليون فى تأسيس امبراطورية ثانية فسجنه لما أعاد الامبراطورية من ٩ دسمبر سنة ١٨٥١ الى ٧ يوليو سنة ١٨٥٢ ثم فى سنتى ٦٥ و٦٦ أخذ ينتقد على سياسة الامبراطور وصرفه النفقات الباهظة فى حرب ايطاليا وحملة المكسيك وفى سنة ١٨٧٠ كان ضد الحرب لتحققه من عدم استعداد حكومة فرنسا ولما حصل ما أنبأ به من تغلب البروسيا أخ بالمدافعة عن باريس وسعى لدى الدول للمساعدة فى اقامة هدنة فلما لم يفلح عاد الى فرنسا وانتخب فى مجلس نوابها ثم فى ١٧ مارث سنة ١٨٧١ تعين رئيسا للسلطة الاجرائية فتمكن من دفع الغرامة الحربية قبل ميعادها وخلص بذلك وطنه من احتلال الاجنبى وفى ١٦ أغسطس أطال مجلس النواب مدته ثلاث سنين ولقبه بلقب رئيس الجمهورية ثم استقال فى ٢٤ مايو سنة ١٨٧٣ لمعاكسة الاحزاب له وخلفه المارشال ماكماهون وله تآليف سياسية شهيرة واشتهر أيضا فى الخطابة وتوفى فى سنة ١٨٧٩ واحتفلت الامة الفرنساوية بجنازته احتفالا عظيما

﴿أولا﴾ ان يلزم محمد على باشا بارجاع مافتحه للدولة العلية ويحفظ لنفسه الجزء الجنوبى من الشام مع عدم دخول مدينة عكا فى هذا القسم

﴿ثانيا﴾ ان يكون لانكلترا الحق بالاتفاق مع النمسا فى محاصرة فرض الشام ومساعدة كل من أراد من سكان بلاد الشام خلع طاعة المصريين والرجوع الى الدولة العلية وبعبارة أخرى تحريضهم على العصيان لاشغال الجيوش المصرية فى الداخل كى لا تقوى على مقاومة المراكب النمساوية والانكليزية

﴿ثالثا﴾ ان يكون لمراكب الروسيا والنمسا وانكلترا معا حق الدخول فى البوسفور لوقاية القسطنطينية لو تقدمت الجيوش المصرية نحوها

﴿رابعا﴾ ان لا يكون لاحد الحق فى الدخول فى مياه البوسفور مادامت القسطنطينية غير مهددة

﴿خامسا﴾ يجب على الدول الموقع مندوبوهم على هذا الاتفاق ان تصدق عليه فى مدة لا تزيد عن شهرين بحيث يكون التصديق فى مدينة لوندره

وشفعت هذه المعاهدة بملحق مصدق عليه من مندوب الدولة العلية مبين فيه الحقوق والامتيازات التى يمكن منحها لمحمد على باشا وقبل امضاء هذه المعاهدة ابتدأت انكلترا فى تحريض سكان لبنان من دروز وموارنة ونصيرية على شق عصا الطاعة وأرسل اللورد پونسونبى سفيرها لدى الباب العالى ترجمانه المستر وود الى الشام لهذه الغاية وأعلم بذلك اللورد بالمرستون برسالة تاريخها ٢٩ يونيو سنة ١٨٤٠ محفوظة فى سجلات المملكة وبمجرد وصول المستر وود الى محل مأموريته أخذ فى نشر ذلك بين الاهالى ولقد نجح فى مأموريته وأشهر الجبليون العصيان وتجمعوا متسلحين وامتنعوا عن تأدية الخراج والمؤن العسكرية لكن لم تتسع هذه الثورة الابتدائية لتداركها فى أولها فارسل المدد من مصر واهتم كل من ابراهيم باشا وسليمان باشا وعباس باشا الاول ﴿١٢٤﴾ فى اخمادها فاطفئت قبل ان يتعاظم

﴿١٢٤﴾ هو عباس باشا الاول ابن طوسن باشا ابن محمد على باشا الكبير ولد فى جدة سنة ١٨١٦ حين كان والده ببلاد العرب لمقاتلة الوهابيين وتولى على الاريكة المصرية سنة ١٨٤٨ بعد موت عمه ابراهيم باشا وقتل فى ١٤ يوليو سنة ١٨٥٤

أمرها وعادت السكينة فى كافة الانحاء

ومن ثم أخذ سليمان باشا الفرنساوى فى تحصين مدينة بيروت لعلمه انها أول مينا معرضة لمراكب الانكليز وكذلك بنى القلاع لحماية كل الثغور ووضع بها المدافع الضخمة ولكن لسوء الحظ لم تجد هذه الاستحكامات نفعا أمام مراكب الانكليز والنمسا كما سيجىء ولما علمت الحكومة الانكليزية ان المرحوم محمد على باشا مهتم فى ارسال العساكر والذخائر من طريق البحر الى الشام أرادت ان تعارضه وتعاكسه اما بأخذ دوناغته أو تشتيتها وتفريقها ليتعذر ارسال المدد الوجود الصحراء الرملية الفاصلة بين مصر والشام من طريق العريش فارسلت أوامرها فى أوائل شهر يوليو سنة ١٨٤٠ الى الكومودور نابير بان يتوجه بمراكبه الى مياه الشام ومصر لاستخلاص الدوناغة التركية لو خرجت من مينا الاسكندرية وأسر أو احراق الدوناغة المصرية لو قابلها فلما علمت فرنسا بهذا الخبر أرسلت احدى بوارجها البخارية الى بيروت لتبليغ قائد الجيوش المصرية هذا الخبر المشؤم فرجعت فى الحال المراكب المصرية الى الاسكندرية حتى اذا وصل الكومودور نابير لم يجدها فاغتاظ لذلك ويقال انه قبل ان يبارح مياه بيروت أرسل الى سليمان باشا كتابا بتاريخ ١٤ يوليو يظهر له فيه تكدره من اجرآت القواد المصريين فى الشام ومعاملتهم الثائرين بالقسوة وانهم ان لم يكفوا عن أعمالهم البربرية اضطر للتداخل وانزال عساكره الى بيروت فاجابه سليمان باشا بانه لا يقبل ملحوظاته ويعلمه بانه لا يخاطبه من الآن فصاعدا واذا كان عنده ملحوظات مثل هذه فليبدها لمحمد على باشا .

ولم يبتدئ شهر أغسطس سنة ١٨٤٠ الا وقد ورد خبر معاهدة ١٥ يوليو الى مصر والشام ووردت الاوامر الى الدوناغة الانكليزية بمحاصرة سواحل الشام وأسر المراكب المصرية حربية كانت أو تجارية فعاد نابير الى بيروت بعد ان أخذ فى طريقه كل ما قابله من المراكب فوصلها فى ١٤ اغسطس وأعلن العساكر المصرية باخلاء بيروت وعكا فى أقرب وقت ونشر فى انحاء الشام منشورات لاعلام الاهالى بما قررته الدول من بقاء الشام لمصر ما عدا عكا وتحرضهم على العصيان على الحكومة المصرية واظهار ولائهم للدولة العلية العثمانية

وفى

وفى يوم ١٤ اغسطس بلغت هذه المعاهدة رسميا الى محمد على باشا وأتت اليه بعد ذلك قناصل الدول الاربع المتحدة وعرضوا عليه باسم دولهم ان تكون ولاية مصر له ولو رثته وولاية عكا له مدة حياته وأمهلوه عشرة أيام لاعطاء جوابه فطلب منهم كتابة بذلك فلبوا طلبه ثم فى اليوم التالى أفهموه ان فرنسا لا يمكنها مساعدته قط وان الدول مصممة على تنفيذ ما اتفقت عليه ولو أدى ذلك الى حرب أوروبية لكنه أصر على عدم القبول والدفاع عن حقه الى آخر رمق من حياته وفى يوم ٢٤ أغسطس الذى هو غاية الميعاد المعطى له حضر اليه القناصل ومعهم مندوب الدولة وأخبروه بانه لا حق له الآن فى ولاية عكا وان الدول لا تسمح له الا بولاية مصر فقط له ولذريته فاحتدم عليهم غضبا وطردهم من عنده قائلا لهم كيف يجوز أن أسمح لكم بالمقام فى بلادى وأنتم وكلاء أعدائى فى هذه الديار فانصرفوا وأعطوه عشرة أيام اخر لابداء جوابه بحيث ان لم يجاوب تكون الدول غير مسؤلة عما يحصل له من الضرر وبعد انقضاء هذه المدة بدون ان يبدى لهم جوابه كتب القناصل بذلك الى سفراء الدول باستانبول فاجتمعوا مع الصدر الاعظم وقرروا باتحادهم أخذ مصر والشام من محمد على باشا

وفى أثناء هذه المدة كانت فرنسا اتباعا لرأى المسيو تيرس تستعد للقتال مساعدة لمحمد على باشا ولكن لسوء حظ الامة المصرية كانت هذه الاستعدادات غير كافية ولا تتم الا بعد ستة أشهر لعدم وجود السلاح والذخائر الكافية للحرب لاسيما وان فرنسا تكون فى هذه الحالة مقاومة لاكبر دول أوروبا

ولما تحقق أهالى فرنسا ان حكومتهم لا تقوى على مساعدة محمد على باشا فعلا بعد ان جرأته على المقاومة ووعدته بالمساعدة هاج الرأى العام على المسيو تيرس المعضد لهذه السياسة التى عادت على مصر بالضرر العظيم حتى التزم للاستعفاء فى يوم ٢٩ اكتوبر سنة ١٨٤٠ لكن لم يجد استعفاؤه لمصر نفعا لوقوفها بمفردها أمام أربع دول من أعظم الدول شأنا وأعلاها مكانة وأكثرها قوة اذ أرسلت فرنسا أوامرها لدونانمتها أولا بالانسحاب الى مياه اليونان ثم بالعودة الى فرنسا وترك مصر والشام لمراكب انكلترا تحرق مينها بمقذوفاتها الجهنمية

وكان رجوع الدوننانمة الفرنساوية فى ٩ اكتوبر سنة ١٨٤٠ أى قبل استعفاء المسيو تيرس بعشرين يوما

﴿اطلاق المدافع على ثغور الشام﴾

هـذا ولم تشترك الدول الاربع فى محاربة محمد على باشا بل قامت انكلترا وحدها بهذا العمل وساعدتها النمسا والدولة ببعض مراكبها وعساكرها البرية للنزول الى البر اذا اقتضى الحال ذلك

وأما دولة البروسيا فلم يكن لها مراكب اذ ذاك والروسيا لم ترد الابتعاد عن القسطنطينية

ولما وصل الى سليمان باشا بلاغ الكومودور نابير وعلم بمنشوراته للاهالى أعلن فى الحال بجعل البلاد تحت الاحكام العسكرية وذلك خوفا من قيام الجبليين اتباعا للانكليز وأدخل فى مدينة بيروت العدد الكافى من الجند وأرسل لابراهيم باشا ان يحضر اليه بجيشه الذى كان معسكرا بقرب مدينة (بعلبك) ليشترك فى المدافعة عن مين الشام فوصل ابراهيم باشا الى بيروت وعسكر فى ضواحيها وفى أوائل شهر سبتمبر سنة ١٨٤٠ وصل الاميرال (ستوبفورد) الذى كان يجول بمراكبه أمام الاسكندرية الى مياه بيروت ليشترك مع الكومودور نابير فى اطلاق المدافع على مين الشام وفى ١٠ منه وصلها العساكر البرية وكانت مؤلفة من ألف وخمسمائة من البيادة الانكليزية وثمانية آلاف بين أتراك وأرنؤد

وفى يوم ١١ منه أنزلت هذه العساكر الى البر فى نقطة تبعد نحو ستة أميال فى شمال بيروت ولم يتمكن ابراهيم باشا من منعهم لوجود هذه النقطة تحت حماية المدافع الانكليزية

وفى ظهر ذلك اليوم بعد نزول هذه العساكر الى البر أرسل الى سليمان باشا بلاغ من الاميرالين الانكليزى والنمساوى بان يخلى مدينة بيروت حالا فطلب منهم مسافة أربع وعشرين ساعة كى يتداول مع ابراهيم باشا فى هذا الامر الجلل فلم يقبل طلبه وابتدأ فى اطلاق المدافع على المدينة واستمر اطلاقها حتى المساء وابتدئ أيضا فى اليوم

التالى قبل الفجر ولم ينقطع الا بعد هدم وحرق أغلب المدينة وأحرقت كذلك كل الثغور الشامية قصد استخلاصها من محمد على باشا وارجاعها الى الدولة العلية كما كانت مع ان محمد على باشا لم يأت بأمر يدل على رغبته فى الخروج من تحت ظل الراية العثمانية بل لم يزل مؤكدا اخلاصه وولاءه للدولة ولم يطلب الا بقاء هذه الولايات له ولذريته مع تبعيتهم للباب العالى ودفعهم الخراج له اعترافا ببقاء تلك التبعية ولولا تقلب الاحوال بينه وبين السلطان لتم بينهما الاتفاق على أحسن وفاق وحقنت دماء العباد ويدل على رغبة الطرفين فى ذلك ارسال الباب العالى سارم بيك أولا وعاكف أفندى ثانيا الى محمد على باشا لحل هذه المسئلة

ولا يخفى ان محمد على باشا هو الذى خلص مصر من فئة المماليك الباغية ونشر بجميع جوانبها لواء الامن وتسبب فى ازدياد الزراعة ونمو التجارة حتى توفرت لمصر أسباب التمدن وتيسر بهذه الكيفية لقوافل التجارة الاورو باوية المرور بين الاسكندرية والسويس بدون خوف من تعدى أحد عليها وله الفضل أيضا فى استئصال شأفة الوهابيين من بلاد العرب واعادة الامن الى طريق الحجاج واستخلص منهم مدينتى مكة والمدينة بعد ان استحال اذلالهم على أيدى العساكر الشاهانية فضلا عن انه هو الذى فتح بلاد الروم ولولا ما حصل لاعادها الى الدولة العلية بعد ما يئست من رجوعها اليها وهو الذى أعاد الامن الى ربوع الشام بعد احتلاله لها ومنع تعدى البدو على الحضر كما انه أبطل القتال المستمر الذى كان لا ينقطع دائما بين الدروز والمارونية الامر الذى لم يحصل مثله قبل احتلاله ولا بعده «١٢٥» وقد انحرف الامير الكبير بشير عن موافقة ابراهيم باشا بعد ان حافظ على ولائه مدة رغبة فى ان يعطى له من لدن الباب العالى اسم أمير الجبل وينادى له بذلك على رؤس الاشهاد فانعكس عليه أمره وعاد عليه شؤم خيانته فعزل عن امارة الجبل وألزم بمفارقة الشام فانتبه من غفلته وندم

«١٢٥» أريد بذلك ما حصل فى بلاد الشام من تعدى الدروز على المارونية بل وعلى كافة المسيحيين من الطوائف الاخر سنة ١٨٦٠ وقتلهم اياهم واحراقهم بيوتهم وانتهاكهم حرمة كنائسهم وعرض نسائهم ولولا حماية عبد القادر الجزائرى لنصارى دمشق لقتلوا عن آخرهم الامر الذى أوجب تداخل فرنسا واحتلال عساكرها البلاد الشامية مدة سنتين تقريبا ولولا نزاهة نابليون الثالث لصار هذا الاحتلال أبديا

على ما كان منه حيث لا ينفعه الندم ثم أوصلته احدى السفن الانكليزية الى بيروت فقابله هناك الاميرال ستوبفورد وبعدان عنفه على تذبذبه الذى حصل منه ونفاقه الذى أداه الى ان يتبع الاقوى شوكة وعدم حفظه للعهود أمر بارساله وتابعيه مع قليل من عائلته الى جزيرة مالطة ولم يجبه الى ماطلبه من ارساله الى ايطاليا أو فرنسا فوصل هذه الجزيرة فى أول نوفمبر سنة ١٨٤٠ وكان عمره اذذاك خمسا وثمانين سنة وأمضى مابقى من عمره مفكرا فى أسباب زوال النعمة وسوء عاقبة التذبذب وان الاحوط للانسان والاجدر به ان يحافظ على عهوده لانه لومات مع المحافظة عليها لمات بالشرف والمجد ولوعاش مع الخيانة والتلون لعاش مع الفضيحة والعار وتوفى فى سنة ١٨٥٠ فى القسطنطينية

﴿اخلاء المصريين لبلاد الشام﴾

هذا ولنقل بالاختصار ان المراكب الانكليزية والعساكر المختلطة التى أنزلت الى البر فى عدة مواضع تمكنت من أخذ جميع المدن الواقعة على البحر واخراج المصريين منها حتى لم ير محمد على باشا بدًا من الاذعان الى مطالب أوروبا وانه من العبث المحض مقاومة الدول المتحدة فأصدر أوامره الى ولده ابراهيم باشا بعدم تعريض عساكره للقتال والموت بلا فائدة وباستدعاء الجنود المعسكرة فى حدود الشام والانجلاء عنها مع اتخاذ أنواع الاحتراس الكلى من العرب وسكان الجبل فبلغ ابراهيم باشا هذه الاوامر الى القواد جميعهم وأخذ الجنود فى الرجوع من كل فج وصاروا يتجمعون حول قائدهم الاعظم الذى قادهم غير مرة الى النصر والظفر وبعد ذلك قسم الجيش عدة فرق كل منها تحت امرة أحد من اشتهر من القواد بالبسالة والتبصر فى عواقب الامور وسار الكل راجعين الى مصر تاركين البلاد التى سفكوا فيها دماءهم وتركوا فيها قبور اخوانهم

وكان ابتداء الجيش فى الرجوع الى مصر فى أواسط شهر دسمبر سنة ١٨٤٠ ووصل الكل الى القاهرة بعد ان ذاقوا مرارة النصب وتحملوا أنواع الذل والتعب وقاسوا شديد الوصب مما تكل عن وصفه الاقلام ولا تحيط بنعته الاوهام ويكثر الاذهان

فضلا عن موت كثير منهم فى الطريق بسبب مناوشات العرب الذين زادت قحتهم وجراءتهم لما تحققوا عدم تمكن المصريين من العودة وراءهم واقتفاء آثارهم ومع ذلك فقد تمكن سليمان باشا من ارجاع مائة وخمسين مدفعا بخيولها الى مصر وكثير من خيول السوارى التى هلك قسم عظيم منها بسبب العطش وشدة التعب

وأما ابراهيم باشا وفرقته فلم يمكنهم العودة الى القاهرة من طريق صحراء العريش لشدة ما لاقوه أثناء مرورهم فى فلسطين من معارضة العرب لهم وسدهم الطريق عليهم واحتلالهم جميع القناطر المبنية على الانهر حتى اضطر لمحاربتهم فى كل يوم بل وفى كل ساعة

وأخيرا وصل مدينة غزة بعد ان استشهد فى الطريق ثلاثة أرباع من معه وكثير من المستخدمين الملكيين الذين أرادوا الرجوع الى وطنهم مع عائلاتهم فلما وصل غزة كتب لوالده اشعارا بقدومه وطلب منه ارسال ما يلزم له من المراكب لنقل فرقته الى الاسكندرية وما يلزم لمؤنتهم وملبسهم

وفى أثناء هذه المدة عرض الكومودور نابير على محمد على باشا ان الحكومة الانكليزية تسعى لدى الباب العالى فى اعطاء مصر له ولورثته لو تنازل عن الشام ورد الدوننمة التركية الى الدولة العلية فامتثل لهذا الامر وقبل هذه الشروط لحفظ مصر لذريته وتم بينهما الاتفاق فى ٢٧ نوفمبر سنة ١٨٤٠

ولم يقبل الباب العالى هذا الاتفاق الا بعد تردد واحجام وتداول عدة مخاطبات بينه وبين وكلاء الدول الاربع المتحدة المجتمعين بمدينة لوندرة بصفة مؤتمر وصدر بذلك فرمان همايونى فى تاريخ ٢١ ذى القعدة سنة ١٢٥٦ الموافق ١٣ فبراير سنة ١٨٤١ هذا نصه نقلا عن قاموس جلاد

رأينا بسرور وما أعرضتموه من البراهين على خضوعكم وتأكيدات أمانتكم وصدق عبوديتكم لذاتنا الشاهانية ولمصلحة بابنا العالى فطول اختباركم وما لكم من الدراية باحوال البلاد المسلمة ادارتها الكم من مدة مديدة لا يتركان لنا ريبا بانكم قادرون بما تبدونه من الغيرة والحكمة فى ادارة شؤون ولايتكم على الحصول من لدنا

الشاهانى على حقوق جديدة فى تعطفاتنا الملوكية وثقتنا بكم فتقدرون فى الوقت نفسه احساناتنا اليكم قدرها وتجتهدون ببث هذه المزايا التى امتزتم بها فى أولادكم وبمناسبة ذلك صممنا على تثبيتكم فى الحكومة المصرية المبينة حدودها فى الخريطة المرسومة لكم من لدن صدرنا الاعظم ومنحنا كم فضلا على ذلك ولاية مصر بطريق التوارث بالشروط الآتى بيانها

متى خلا منصب الولاية المصرية تعهد الولاية الى من تنتخبه سدتنا الملوكية من أولادكم الذكور وتجرى هذه الطريقة نفسها بحق أولاده وهلم جرا واذا انقرضت ذريتكم الذكور لا يكون لاولاد نساء عائلتكم الذكور حق أيا كان فى الولاية وارثها ومن وقع عليه من أولادكم الانتخاب لولاية مصر بالارث بعدكم يجب عليه الحضور الى الاستانة لتقليده الولاية المذكورة على ان حق التوارث الممنوح لوالى مصر لا يمنحه رتبة ولا لقبا أعلى من رتبة سائر الوزراء ولقبهم ولا حقا فى التقدم عليهم بل يعامل بذات معاملة زملائه وجميع أحكام خطنا الشريف الهمايونى الصادر عن كلخانة وكافة القوانين الادارية الجارى العمل بها أو تلك التى سيجرى العمل بموجبها فى ممالكنا العثمانية وجميع العهود المعقودة أو التى ستعقد فى مستقبل الايام بين بابنا العالى والدول المتحابة يتبع الاجراء على مقتضاها جميعها فى ولاية مصر أيضا وكلما هو مفروض على المصريين من الاموال والضرائب يجرى تحصيله باسمنا الملوكى ولكى لا يكون أهالى مصر وهم من بعض رعايا بابنا العالى معرضين للمضار والاموال والضرائب غير القانونية يجب ان تنتظم تلك الاموال والضرائب المذكورة بما يوافق حالة ترتيبها فى سائر الممالك العثمانية وربع الايرادات الناتجة من الرسوم الجاركية ومن باقى الضرائب التى تحصل فى الديار المصرية يحصل بتمامه ولا يخصم منه شئ ويؤدى الى خزينة بابنا العالى العامرة والثلاث ارباع الباقية تبقى لولايتكم لتقوم بمصاريف التحصيل والادارة المدنية والجهادية وبنفقات الوالى وبأثمان الغلال الملزومة مصر بتقديمها سنويا الى البلاد المقدسة (مكة والمدينة) ويبقى هذا الخراج مستمرا دفعه من الحكومة المصرية بطريقة تأديته المشروحة مدة خمس سنوات تبتدئ من عام ١٢٥٧ أى من يوم ١٢ فبراير سنة ١٨٤١ ومن الممكن

ترتيب

ترتيب حالة أخرى بشأنهم فى مستقبل الايام تكون أكثر موافقة لحالة مصر المستقبلة ونوع الظروف التى ربما تجد عليها

ولما كان من واجبات بابنا العالى الوقوف على مقدار الايرادات السنوية والطرق المستعملة فى تحصيل العشور وباقى الضرائب وكان الوقوف على هذه الاحوال يستلزم تعيين لجنة مراقبة وملاحظة فى تلك الولاية فينظر فى ذلك فيما بعد ويجرى ما يوافق ارادتنا السلطانية

ولما كان من اللزوم ان يعين بابنا العالى ترتيب السك النقود لما فى ذلك من الاهمية بحيث لا يعود يحدث فيها خلاف لا من جهة العيار ولا من جهة القيمة اقتضت ارادتى السنية ان تكون النقود الذهبية والفضية الجائز لحكومة مصر ضربها باسمنا الشاهانى معادلة للنقود المضروبة فى ضربخانتنا العامرة بالاستانة سواء كان من قبيل عيارها أو من قبيل هيئتها وطرزها

ويكفى ان يكون لمصر فى أوقات السلم ثمانية عشر ألف نفر من الجند للمحافظة فى داخلية مصر ولا يجوز ان تتعدى ولا يتكم هذا العدد ولكن حيث ان قوات مصر العسكرية معدة لخدمة الباب العالى كاسوة قوات الممالكة العثمانية الباقية فيسوغ ان يزاد هذا العدد فى زمن الحرب بما يرى موافقا فى ذلك الحين على انه بحسب القاعدة الجديدة المتبعة فى كافة ممالك بشأن الخدمة العسكرية بعد ان تخدم الجند مدة خمس سنوات يستبدلون بسواهم من العساكر الجديدة فهذه القاعدة يجب اتباعها أيضا فى مصر بحيث ينتخب من العساكر الجديدة الموجودة فى الخدمة حالا عشرون ألف رجل ليبدؤا الخدمة فيحفظ منها ثمانية عشر ألف رجل فى مصر وترسل الالفان لهنا لاداء مدة خدمتهم وحيث ان خمس العشرين ألف رجل واجب استبدالهم سنويا فيؤخذ سنويا من مصر أربعة آلاف رجل حسب القاعدة المقررة من نظام العسكرية حين سحب القرعة بشرط ان تستعمل فى ذلك مواجب الانسانية والنزاهة والسرعة اللازمة فيبقى فى مصر ثلاثة آلاف وستمائة جندى من الجنود الجديدة والاربعمائة يرسلون

الى هنا ومن أتم مدة خدمته من الجنود المرسلة الى هذا الطرف ومن الجنود الباقية فى مصر يرجعون الى مساكنهم ولا يسوغ طلبهم للخدمة مرة ثانية ومع كون مناخ مصر ربما يستلزم أقمشة خلاف الاقمشة المستعملة للملبوسات العساكر فلا بأس من ذلك فقط يجب ان لا تختلف هيئة الملابس والعلائم التميزية ورايات الجنود المصرية عن مثلها من ملابس ورايات باقى الجنود العثمانية وكذا ملابس الضابطان وعلائم امتيازهم وملابس الملاحين وعساكر البحرية المصرية ورايات سفنها يجب أن تكون مماثلة لملابس ورايات وعلائم رجالنا وسفننا

وللحكومة المصرية ان تعين ضابطان برية وبحرية حتى رتبة الملازم اما ما كان أعلى من هذه الرتبة فالتعيين اليها راجع لارادتنا الشاهانية

ولا يسوغ لوالى مصر أن ينشئ من الآن فصاعدا سفنا حربية الا باذننا الخصوصى

وحيث ان الامتياز المعطى بوراثة ولاية مصر خاضع للشروط الموضحة أعلاه فعدم تنفيذ أحد هذه الشروط موجب لابطال هذا الامتياز والغائه للحال وبناء على ذلك قد أصدرنا خطنا هذا الشريف الملوكى كى تقدروا أنتم وأولادكم قدر احساننا الشاهانى فتعتنوا كل الاعتناء باتمام الشروط المقررة فيه وتحموا أهالى مصر من كل فعل اكراهى وتكفلوا أمنيتهم وسعادتهم مع التحذر من مخالفة أوامرنا الملوكية واخبار بابنا العالى عن كل المسائل المهمة المتعلقة بالبلاد المعهودة ولايتها لكم اهـ

ولقد منحه الباب العالى أيضا ولايات النوبة ودارفور وكردفان وسنار مدة حياته بدون أن تنتقل الى ورثته كمصر بمقتضى فرمان شاهانى أصدر فى اليوم الذى أصدر فيه الفرمان الاول أعنى فى ١٣ فبراير سنة ١٨٤١ هذا نصه

ان سدتنا الملوكية كما توضح فى فرماننا السلطانى السابق قد ثبتتكم على ولاية مصر بطريق التوارث بشروط معلومة وحدود معينة وقد قلدتكم فضلا على ولاية مصر ولاية مقاطعات النوبة ودارفور وكردوفان وسنار وجميع توابعها وملحقاتها الخارجة عن حدود مصر ولكن بغير حق التوارث فبقوة الاختبار والحكمة

التى

التي امرتم بهما تقومون بادارة هاته المقاطعات وترتيب شؤونها بما يوافق عدالتنا وتوفير الاسباب الآيلة لسعادة الاهلين وترسلون في كل سنة قائمة الى بابنا العالي حاوية بيان الايرادات السنوية جميعها

وحيث انه يحدث من وقت لآخر ان تهجم الجنود على قرى المقاطعات المذكورة فيأسرون الفتيان من ذكور واناث ويبقونهم في قبضة يدهم لقاء رواتبهم وحيث ان هذه الامور مما تقتضي معها الحال ليس فقط لانقراض أهالي تلك البلاد وخرابها بل انها أمور مخالفة للشريعة الحقة المقدسة وكلا هاتين الحالتين ليست أقل فظاعة من أمر آخر كثير الوقوع وهو تشويه الرجال ليقوموا بخفر الحريم ذلك مما لا ينطبق على ارادتنا السنية مع مناقضته كل المناقضة لمبادئ العدل والانسانية المنتشرة من يوم جلوسنا المأنوس على عرش السلطنة العلية فعليكم مداركة هذه الامور بما ينبغي من الاعتناء لمنع حدوثها في المستقبل ولا يبرح عن بالكم ان فيما عدا بعض أشخاص توجهوا الى مصر على أسطولنا الملوكي قد عفوت عن جميع الضابطان والعساكر وباقي المأمورين الموجودين في مصر نعم ان بموجب فرماننا السلطاني السابق تسمية الضابطان المصرية لما فوق رتبة المعاون يستلزم العرض عنها لاعتابنا الملوكية الا انه لا بأس من ارسال بيان باسم من رقيتم من ضباط جنودكم الى بابنا العالي كي ترسل لهم الفرمانات المؤذنة بتثبيتهم في رتبهم هذا ما نطقت به ارادتنا السامية فعليكم الاسراع في الاجراء على مقتضاها اه

فقبل محمد على باشا كل هذه الشروط ولو عن غير رضاء ثم طلب من الدول ان تساعده في تخفيف بعضها وتغيير البعض الآخر فقبلت ذلك وأرسلت الى الباب العالي لائحة بتاريخ ١٣ مارث سنة ١٨٤١ طلبت منه بها أن يعامله على حسب ما هو مدون بملحق معاهدة ١٥ يوليو سنة ١٨٤٠ وبلائحة ٣٠ ينايرسنة ١٨٤١ فتنازلت الحضرة السلطانية بمقتضى لائحة أرسلت للدول بتاريخ ١٩ ابريل سنة ١٨٤١ بتحوير فرمانها الصادر في ١٣ فبراير سنة ١٨٤١ هذه صورتها

ان الحضرة السلطانية الفخيمة تلقت ما تعطفت عليها به الدول المتحالفة من النصائح

هذه الدفعة أيضا وبمناسبتها قد منحت محمد على باشا احسانا جديدا هو التكرم منها باعطائه الامتيازات الآتية ولكنها قد اشترطت عليه الانقياد التام الى جميع الوثائق والمعاهدات المبرمة حالا والتى ستبرم استقبالا فيما بين الباب العالى والدول المتحالفة وعلى ذلك فأصبحت ولاية مصر تنتقل بالارث لمحمد على باشا وأولاد أولاده الذكور بصورة ان يتولى الاكبر فالاكبر فيقلده الباب العالى منصب الولاية كل ماخلا هذا المنصب من وال وقد تنازل الباب العالى عن استيلائه على ربع ايرادات مصر وسيعين فيما بعد قيمة الخراج الواجب على ولاية مصر دفعه وترتب مقداره وطريقة تحصيله بما يناسب حالة ايرادات الولاية اما عما يخص التسميات فى الرتب المختلفة فى العسكرية المصرية فرخص لمحمد على باشا ان يمنحها من نفسه حتى رتبة الامير الاى فقط أما التسمية لما فاق على هذه الرتبة فيجب عليه ان يعرض بشأنه الى الباب العالى

أما ما كان متعلقا بالادارة الداخلية وكان اتباعه واجبا فى مصر كاتباعه فى سائر الممالك العثمانية فيظهر ان محمد على باشا لا يريد التكلم بشأنه بما ينبغى من الصراحة مع كونه قد سبق تقرير ذلك فى العقد المفرد التابع لمعاهدة المحالفة ولكن كى لا يدع الباب العالى سبيلا للدول المتحالفة بالتضرر منه بامر من الامور كالو حدث ان ارتكب محمد على فى المستقبل أعمالا مخالفة لنقطة مهمة مستندة على المعاهدة المحكى عنها فقد قرر وزراء الباب العالى والحالة على ما ذكر أمرا شديد الاهمية هو ان تطلب بادئ بدء الايضاحات والتقريرات الصريحة بهذا الصدد ولذلك تحرر هذا السعادتكم ارجاء اعطاء الايضاحات والتقريرات المذكورة من قبلكم خطا اهـ

ولما أقرت الدول على هذا التحرير بمقتضى لائحة تاريخها ١٠ مايو سنة ١٨٤١ أصدرت الحضرة الشاهانية فرمانا آخر فى ١١ ربيع آخر سنة ١٢٥٧ الموافق أول يونيو سنة ١٨٤١ مؤيدا لما فى الفرمان السابق وفى غرة جمادى الاولى سنة ١٢٥٧ الموافق ٢٠ يوليو سنة ١٨٤١ صدر فرمان آخر بجعل مقدار ماتدفعه الحكومة المصرية الى الدولة العلية سنويا ثمانية آلاف كيسة «١٢٦»

«١٢٦» واستمر دفع الخراج بهذه الكيفية لغاية سنة ١٢٨٢ هـ ثم زيد مقداره الى مائة وخمسين ألف

ثم أخذت فرنسا وانكلترا تسعيان فى ابطال شروط معاهدة (خونكار اسكله سى) القاضية بان يكون لمراكب الروسية حق المرور من بوغازى البوسفور والدردنيل فى أى وقت شاءت

وبعد مخابرات طويلة اتفقت الدول أجمع بما فيها الروسية على ان لا يكون لاحدا هن هذا الحق مطلقا بل تبقى بوغازات الاستانة مقفلة أمام جميع الدول وأمضيت بذلك معاهدة بتاريخ ٢٣ جمادى الاولى سنة ١٢٥٧ الموافق ١٣ يوليو سنة ١٨٤١ بين الباب العالى والنمسا وفرنسا وبريطانيا العظمى والروسيا والبروسيا دعيت بمعاهدة البوغازات وبذلك تساوت الروسيا بباقى الدول وفقدت كل ما اكتسبته بمساعيها السابقة وهاك صورة هذه المعاهدة

﴿البند الاوّل﴾ ان جلالة السلطان يعلن عزمه وتصميمه على حفظ واتباع القاعدة القديمة فى المستقبل التى بموجبها منعت جميع مراكب الدول الاجنبية الحربية من المرور من بوغازى البوسفور والدردنيل وانه مادام فى حالة السلم لا يسمح لاى مركب حربية أجنبية بالمرور من هذين البوغازين

ويعلن كل من جلالة امبراطور النمسا وملك المجر وبوهيميا وملك الفرنساويين وملكة بريطانيا العظمى وارلانده المتحدة وملك البروسيا وامبراطور جميع الروسيا باحترام هذا العزم الصادر من جلالة السلطان واتباع القاعدة المقررة سابقا

﴿البند الثانى﴾ وقد تقرر انه مع الاقرار بعدم جواز مس هذه القاعدة المقررة قديما فان السلطان يحفظ لنفسه الحق كما كان له ذلك فى السابق فى اصدار فرمانات بجواز مرور بعض السفن الحربية الخفيفة لتكون فى خدمة سفارات الدول المتحابة

﴿البند الثالث﴾ وكذلك يحفظ جلالة السلطان لذاته الشريفة الحق فى تبليغ

كيسة أعنى ٧٥٠٠٠ جنيه عثمانى بمقتضى فرمان صادر بتاريخ ١٢ محرم سنة ١٢٨٣ الموافق ٢٧ مايو سنة ١٨٦٦ عقب تنازل الدولة العلية لمصر عن مدينتى سواكن ومصوع ومديرية التاكه وتغيير ترتيب الوراثة فى خديوية مصر فى عهد الخديوى السابق اسمعيل باشا بان حصرت الوراثة فى الاكبر من أولاده ثم أولاد الاكبر ثم فى اخوته عند عدم وجود ولد له ثم أولاد الاخوة على هذا الترتيب

صورة هذا الاتفاق لجميع الدول التي بينها و بين الباب العالى العثمانى صلة مودة ودعوتهم الى القبول باحكامه

﴿البند الرابع﴾ يصير التصديق على هذا الاتفاق فى مدينة لوندره وتتبادل التصديقات عليه بعد شهرين أو قبل ذلك ان أمكن

وبمقتضى ذلك قد أمضاه مندوبو الدول المذكورة وبصموا عليه أختامهم

تحريرا فى مدينة لوندره فى ١٣ يوليوسنة ١٨٤١ ميلاديه الامضاآت

﴿مسئلة لبنان ومقتلة المارونية﴾

بمجرد اخلاء الجيوش المصرية لبلاد الشام وجبال لبنان وعدم شعور سكانها بسطوة ابراهيم باشا وبطشه تحركت فيهم العداوة الدينية القديمة الكامنة فى نفوسهم خوفا من شدة بأس ابراهيم باشا وعدم رأفته فى معاقبتهم وزادت الدسائس الاجنبية لاضرام نار الشقاق وبذر الفتن الداخلية توصلا لغاياتهم الشخصية فكانت فرنسا مساعدة للمارونية الكاتوليك وانكلترا معضدة للدروز ضدهم لتلجئهم على ترك المذهب الكاتوليكى واعتناق المذهب البروتستانتى فيدخلوا بذلك تحت حمايتها الفعلية ولم يعد لفرنسا حجة لحمايتهم لسبب مذهبى وظن كل فريق من هؤلاء التعساء ان الدولة التى تغرره تود صلاح حاله وترقيه فى المدينة ولم تفقه لدخائل هذه السياسة الخبيثة التى لا يتأخر أصحابها أمام اهراق دماء الابرياء توصلا للمآربهم وبهذه الدسائس ساد الهياج فى جميع انحاء لبنان وظهر ما تكنه صدور سكانه من الاحقاد الجنسية والدينية حتى تعدى الدروز على المارونية فى سنة ١٨٤١ ودخلوا دير القمر وارتكبوا فيه ما تقشعر منه الابدان من النهب والسلب وقتل النساء والولدان وسبى الحرائر ولولا تداخل الجيوش بشدة لامتدت الثورة لكن لم يرق ذلك فى أعين أرباب الغايات بل ما انفكوا يوالون دسائسهم ويلقون بذور الفساد ويتعهدونها بالمداومة والمثابرة حتى قام الدروز ثانية فى سنة ١٨٤٥ وقتلوا المسيحيين وتعدوا على قسس الكاتوليك الفرنساويين وقتلوا رئيس أحد الاديرة واسمه (شارل دى لوريت) واثنين من رهبان الدير وحرقوا جثثهم ثم

اضرموا

أضرموا النار فى الدير حتى صار قاعاً صفصفاً بعد ان نهبوا كل ما به من المنقولات والامتعة بدون ان يحصل أقل أذى للمرسلين البروتستانت الامريكانيين والانكليز الامر الذى يدل دلالة واضحة على ان هذه المذابح لا تخلو من تأثيرهم حتى يثبتوا للمارونية الكاثوليك انهم لو اعتنقوا المذهب البروتستانتى لا يلحقهم ضرر ويصيرون فى مأمن من تعدى الدروز فيستميلونهم للتمذهب بمذهبهم ولا يبقى لفرنسا وجه لحمايتهم وبسبب هذه الاضطرابات المتعاقبة لم ير الباب العالى بداً من التداخل فى ادارة الجبل لمنع هذه الفتن فعزل الامير بشير الشهابى بعد خروج العساكر المصرية من الشام كما مر وعين مكانه والياً عثمانيا وأبطل بذلك جميع امتيازات سكان الجبل الممنوحة لهم بمقتضى عدة معاهدات سابقة وأخيراً باتفاق الدول عقب جلاء العساكر المصرية عنه لتحققه ان وجود الشعوب المختلفة القاطنة به تحت حكم وال واحد أقطع للمفاسد وأمنع لظهور الضغائن الدينية بين الموارنة والدروز فلم تقبل الدول ذلك بل اضطر الباب العالى بناء على مساعيها ان يعيد للجبل بعض امتيازاته واتفق مع سفراء الدول على أن يكون للوالى العثمانى قائمقام أحدهما مارونى والآخر درزى يتولى كل منهما النظر فى شؤون أبناء جنسه وذلك فى سنة ١٨٤٢

لكن لم تنجح هذه الطريقة أيضاً لاختلاط سكان بعض القرى من موارنة ودروز ثم سلخ الباب العالى اقليم الجبائل الآهل بالموارنة من حكومة الجبل وضمه الى ولاية طرابلس بلا امتيازات كباقى أقاليم الجبل فعارض بطرق الموارنة فى ذلك وأرسل الى جميع القناصل يحتج ضد هذا العمل المنافى للاتفاق الاخير مدعياً أن الدولة لم ترد بذلك الا اضعاف العنصر المارونى وتقوية العنصر الدرزى فبناء على هذه الشكوى أرسل الباب العالى بصفة وال على الشام رجلا اتصف بالاستقامة واصالة الرأى يدعى أسعد باشا للنظر فى تسوية هذه المسئلة فارتأى ضرورة اعادة الامير بشير الشهابى الى امارة الجبل كما كان فلم يقبل الباب العالى هذا الحل وانتدب آخر يدعى خليل باشا لتحقيق تشكيات الطرفين وتقديم تقريره عما يراه حاسماً للنزاع فاختلف مع أسعد باشا فى الرأى وقال بافضلية اعتبار جبل لبنان كباقى الولايات العثمانية بدون أدنى امتياز

ولعدم قبول القناصل بهذا الرأى اتفقوا أخيرا فى غضون سنة ١٨٤٣ على ان يعين فى القرى المختلطة وكيلان أحدهما درزى والآخر مارونى ويكون كل منهما تابعا للقائمقام الذى على مذهبه فلم يقبل الدروز الآن يكون لهم السيادة على المارونية فى الجهات المختلطة فهؤلاء آثروا التبع لاحدى الولايات العثمانية المحضة على أن يكونوا تحت سيادة الدروز

واستحسن الباب العالى هذا الرأى الاخير لكن لم يرق ذلك فى أعين الدروز ولا أعين المغرين لهم فهاجوا ثانيا وقاموا على المارونية وحصلت مذبحة مايو سنة ١٨٤٥ السابق ذكرها فأرسلت الدولة جيوشها واحتلت البلاد سهلا وجبلا بصفة عسكرية وأجرت فيها الاحكام العرفية ثم دارت المخابرات بين الدول العظمى والباب العالى لتقرير ما يضمن السلام فى الحال والاستقبال فاجتمعت آراؤهم أخيرا بعد مداولات طويلة وأخذ ورد على ان يبقى فى القرى المختلطة وكيلان درزى ومارونى ويعين لكل من القائمقام مجلس يشاركه فى الادارة مع بقائه تحت رئاسته ويشكل كل من هذين المجلسين من عشرة أعضاء خمسة قضاة وخمسة مستشارين اثنان منهما من الدروز واثنان من المارونية واثنان من المسلمين واثنان من الملكيين واثنان من المتمذهبين بمذهب الاروام الارثودكس ويكون من اختصاصها توزيع الضرائب بالسواء بدون نظر الى اختلاف دين أو مذهب أما تحصيلها فيكون بمعرفة القائمقام ووكلائهما فى القرى والضياع

ومن اختصاصهما أيضا النظر فى القضايا الحقوقية والجنائية وان امتنع مندوب أى طائفة عن الاقرار على قائمة توزيع الضرائب بدعوى انها مجحفة بحقوق أبناء طائفته يرفع الامر للوالى العثمانى فيحكم فيها نهائيا وقبل تنفيذ أحكامها يمضى عليها القائمقام المختص وجعل راتب كل عضو من أعضاء المجلسين ألف وخمسمائة فرنك فى السنة وراتب القائمقام ٤٨ ألف فرنك سنويا وكل من وكلائه ألف وثمانمائة فرنك

وبذا انتهت مسئلة لبنان موقتا لان الدروز لم يقبلوا هذه التسوية الامؤملين نوال زيادة عما فيها طبقا لوساوس مندوبى انكلترا لهم بأنها ستمنحهم مع الوقت

السيادة على جميع الشعوب الساكنة بلبنان واستمرت الفتن جارية بمجراها حتى حصلت مذبحة سنة ١٨٦٠ وتداخلت فرنساء عسكريا لحماية المارونية وانصبت ثانيا بعد توطيد الامن وحفظ حقوق الموارنة كما سيجيء

﴿الاصلاحات الداخلية وخط شريف الكلخانة والتنظيمات الخيرية﴾

هذا وسار السلطان عبد المجيد خان على خطة والده المرحوم السلطان الغازى محمود خان فى الاصلاحات الداخلية حتى تجارى الدولة العثمانية باقى الدول فى التمدن والعمران فأصدر عقب توليته منصب الخلافة العظمى بقليل أمرا ساميا قرئ علنا فى جمهور من الوزراء والاعيان فى يوم ٣ نوفمبر سنة ١٨٣٩ الموافق ٢٦ شعبان سنة ١٢٥٥ ﻫ وهذا نصه مترجما من كتاب أحمد مدحت المسمى (أس انقلاب)

﴿ترجمة فرمان السلطان عبد المجيد خان الذى تلى فى الكلخانة﴾

لايخفى على عموم الناس ان دولتنا العلية من مبدأ ظهورها وهى جارية رعاية الاحكام القرآنية الجليلة والقوانين الشرعية المنيفة بتمامها ولذا كانت قوة ومكانة سلطنتنا السنية ورفاهية وعمارية أهاليها وصلت حد الغاية وقد انعكس الامر منذ مائة وخمسين سنة بسبب عدم الانقياد والامتثال للشرع الشريف ولا للقوانين المنيفة بناء على طروء الكوارث المتعاقبة والاسباب المتنوعة فتبدلت قوتها بالضعف وثروتها بالفقر وبما ان الممالك التى لاتكون ادارتها بحسب القوانين الشرعية لايمكن أن تكون ثابتة كانت أفكارنا الخيرية الملوكية منحصرة فى اعمار الممالك واتحاد ورفاهية الاهالى والفقراء من يوم جلوسنا السعيد وصار التشبث فى الاسباب اللازمة بالنظر الى مواقع ممالك دولتنا العلية الجغرافية ولاراضيها المثبتة ولاستعداد وقابلية أهاليها التحصل بمشيئة الله تعالى الفائدة المقصودة فى ظرف خمس أو عشر سنين واعتمادا على المعونة الالهية واستنادا على الامدادات الروحانية النبوية قد روى من الآن فصاعدا أهمية لزوم وضع وتأسيس قوانين جديدة تتحسن بها ادارة ممالك دولتنا العلية المحروسة والمواد الاساسية لهذه القوانين هى عبارة عن

الامن على الارواح وحفظ العرض والناموس والمال وتعيين الخراج وهيئة طلب العساكر للخدمة ومدة استخدامهم لانه لا يوجد فى الدنيا أعز من الروح والعرض والناموس والمال فلو رأى انسان ان هؤلاء مهددون وكانت خلقته الذاتية وفطرته الاصلية لا تميل الى ارتكاب الخيانة فوقاية لحفظ روحه وناموسه لابد أن يتشبث فى بعض اجرا آت منها وهذا الامر لا يخفى انه مضر بالدولة والملة كما انه اذا كان أمينا على ماله وناموسه لا يحيد عن طريق الاستقامة وتنحصر أفكاره وأشغاله فى القيام بواجب الخدمة لدولته وملته وكما انه فى حال افتقاد الامن على المال لا يميل الشخص الى دولته وملته ولا ينظر للانتفاع باملاكه بل كما انه لا يخلو دائما من الفكر والاضطراب فلو قدر العكس أعنى لو كان الانسان آمنا على ماله وأملاكه فلا شك أنه يشتغل بأموره وتوسيع دائرة تعيشه وتتولد يوما فيوما عنده الغيرة على الدولة والمملكة وتزداد محبته للوطن وبهذا يجتهد فى تحسين حاله

وأما مادة تعيين الخراج فكل دولة لابد أن تكون محتاجة الى العساكر وسائر المصاريف المقتضية للمحافظة على ممالكها وهذا لا تتيسر ادارته الا بالنقود والنقود لا تحصل الا من الخراج فلا غرو ان النظر الى تحسين هذه المادة من أهم الامور

هذا ولو أن أهالى ممالكنا المحروسة تخلصوا لله الحمد قبل الآن من بلوى اليد الواحدة التى كانت متسلطة على الايرادات الوهمية لكن أصول الالتزامات المضرة المعتبرة من ضمن أسباب الخراب التى لم يظهر منها ثمرة نافعة فى أى حال لم تزل جارية للآن وهذا يعد كتسليم مصالح المملكة السياسية وادارتها المالية ليد رجل وبالاحرى ان نقول بوضعها تحت قهره وجبره فانه ان لم يكن رجلا أمينا لا شك انه ينظر الى فائدته الشخصية وتكون كل حركاته وسكناته عبارة عن غدر وظلم فيلزم بعد الآن تعيين خراج مناسب على قدر اقتدار واملاك كل فرد من أفراد أهالى المملكة ولا يؤخذ شئ زيادة عن المقرر من أحد ما وتحديد وبيان سائر مصرف عساكر دولتنا العلية البرية والبحرية وكل لوازماتهم بموجب قوانين ايجابية والاجراء بمقتضاها وأما مسألة الجندية فلكونها من المواد المهمة حسب ما ذكر ومع كونه مفروضا

على

على ذمة الاهالى تقديم العساكر اللازمة للمحافظة على الوطن لكن الجارى للآن
هو عدم النظر والالتفات الى عدد النفوس الموجودة بالبلدة بل يطلب من بعض
البلدان زيادة عن تحملها ومن البعض الآخر أنقص مما تتحمل وهذا افضل مما فيه
من عدم النظام فانه موجب لاختلال موارد منافع الزراعة والتجارة واستخدام
العساكر الى نهاية العمر أمر مستلزم لقطع التناسل فعلى تقدير طلب أنفار عسكرية
من كل بلد يلزم وضع وتأسيس أصول مستحسنة لاستخدام العساكر أربع أو خمس
سنوات بطريق المناوبة والحاصل انه بدون تدوين هذه القوانين النظامية لا يمكن
حصول القوة والعمار والراحة فان أساس جميع ذلك هو عبارة عن المواد المشروحة
ولا يجوز بعد الآن اعدام وتسميم أرباب الجنح جهارا أو خفية بدون أن تنظر دعاويهم
علنا بكل دقة بمقتضى القوانين الشرعية ولا يجوز مطلقا تسلط أحد على عرض
وناموس آخر وكل انسان يكون مالكا لماله وملكه ومتصرفا فيهما بكمال الحرية
ولا يمكن أن يتداخل فى أموره شخص آخر واذا فرض ورفعت تهمة على أحد وكانت
ورثته بريئى الساحة منها فبعد مصادرة أمواله لا تحرم ورثته من ميراثهم الشرعى
وتمتاز سائر تبعية دولتنا العلية من المسلمين وسائر الملل الاخرى بمساعدتنا هذه
الملوكية بدون استثناء وقد أعطيت من طرفنا الملوكى الامنية التامة فى الروح
والعرض والناموس والمال بمقتضى الحكم الشرعى لكل أهالى ممالكنا المحروسة
وسيعطى القرار اللازم باتفاق الآراء عن المواضيع الاخرى أيضا وستزاد أعضاء
مجلس الاحكام العدلية على قدر اللزوم وتجتمع هناك وكلاء ورجال دولتنا العلية فى
بعض الايام التى ستعين وجميعهم يبدون أفكارهم وآراءهم بالحرية التامة بدون
تحاش وتتقرر القوانين المقتضية المختصة بالامن على الروح والمال وتعيين الخراج
وستجرى المكالمة اللازمة عنها بدار شورى باب السرعسكرية وكلما يتقرر قانون يعرض
لطرفنا الملوكى لتتويجه عاليه بخطنا الملوكى حتى يكون دستورا للعمل الى ماشاء الله
وبما ان هذه القوانين الشرعية ستوضع لاحياء الدين والدولة والملك والملة فسيؤخذ
العهد والميثاق اللازم من قبلنا الملوكى بعدم وقوع أى حركة مخالفة لها وسنحلف
قسما بالله العظيم فى اودة الخرقة الشريفة بحضور جميع العلماء والوكلاء وسيصير

تحليفهم أيضا وعلى هذا فكل من خالف هذه القوانين الشرعية من الوكلاء والعلماء أو أى انسان كان مهما كانت صفته سيجرى توقيع الجزاآت اللازمة عليهم بدون رعاية رتبة ولا خاطر وسيصير تدوين قانون جزاء مختص بذلك ولكون كافة المأمورين لهم راتب واف الآن فان وجد منهم من يكون راتبه قليلا سيصير ترقية حاله هذا ولينظر فى مادة الرشوة الكريهة بتدوين قانون شديد لذلك لانها أعظم سبب لخراب الملك ومقتة شرعا ولكون الاصلاحات المشروحة آنفا سبب تزيل طوارئ الفقر والفاقة كلية فكأنه سيصير اعلان ارادتنا الملوكية هذه للاستانة ولكافة أهالى ممالكنا المحروسة يلزم أن تبلغ أيضا السفراء الدول المتحابة الموجودين بالاستانة ليكونوا شهودا على دوام هذه الاصلاحات الى الابد ان شاء الله تعالى ونسأل مالك الممالك أن يلهمنا التوفيق جميعا وأن يصب على كل من خالف هذه القوانين المؤسسة سوط عذاب النقمة وأن لا ينجح له أعمالا مدى الدهر آمين

حرر فى يوم الاحد ٢٦ شعبان سنة ١٢٥٥

لكن أشغلته حرب الروسية التى قامت بسبب اختلاف فرنسا والروسية على حماية الاماكن المقدسة باورشليم ودعيت بحرب القرم عن اتمامها

ولما انتهت هذه الحرب أصدر السلطان فرمانا جديدا ببيان الاصلاحات المقتضى ادخالها فى الممالك المحروسة فى أوائل جمادى الآخرة سنة ١٢٧٢ ﻫ الموافق ١٨ فبراير سنة ١٨٥٦ وهذا نصه مترجما من كتاب (أس انقلاب)

﴿ترجمة صورة فرمان السلطان عبد المجيد خان العلى الشان﴾
﴿المختص بالاصلاحات الخيرية﴾

من أهم أفكارنا السامية سعادة أحوال كافة صنوف التبعة التى أودعها الله فى يدنا الملوكية المؤيدة ولما بذلناه من همنا الملوكية فى هذا الشأن من يوم جلوسنا المقرون باليمن قد تزايد عمار وثروة مملكتنا العلية يوما فيوما وشوهدت جملة فوائد نافعة ولكون تأييد وتوسيع نطاق النظامات الجديدة التى توفقنا الى الآن لوضعها وتدوينها بالموافقة للموقع العالى الحائزة له دولتنا العلية بين الدول المتمدنة مطلوبنا

ايصالها

ايصالها الى درجة الكمال وقد تأيدت بعناية الله تعالى و بمساعى عموم تبعتنا الملوكية الجميلة وبهمة ومعاونة الدول المتحابة حقوق دولتنا العلية الخارجية ولذا فهذا العصر يعد بالنسبة لدولتنا العلية مبدأ زمن الخير وبما ان من أهم رغائبنا المجبولة على الشفقة تقدم الاسباب والوسائل الداخلية المستلزمة تزايد قوة سلطنتنا العلية وعمار ممالكنا السنية وحصول تمام سعادة أحوال كافة صنوف تبعة دولتنا العلية الملوكية المرتبطة بعضها ببعض بروابط الوطنية القلبية والمتساوية الماهية في نظر شفقتنا الملوكية من كل الوجوه قد أصدرنا ارادتنا الملوكية هذه باجراء الامور الآتية الذكر

وهى اتخاذ التدابير المؤثرة نحو تأمين كافة التبعة الملوكية من أى دين ومذهب كانوا بدون استثناء على الروح والمال وحفظ الناموس واجراء جميع التأمينات التى وعدنا بها بمقتضى الترتيبات الخيرية وخطنا الملوكى السابق تلاوته فى الكلخانة من حيز القوة الى حيز الفعل وتقرير وابقاء كافة الامتيازات والمعافيات الروحانية التى منحت وأحسن بها فى السنين الاخيرة والتى منحت من قبل أجدادنا العظام للطوائف المسيحية وكافة الملل الغير مسلمة الموجودين تحت ظل جناح عاطفتنا السامى بممالكنا المحروسة الملوكية وقد صار الشروع فى رؤيته وتسوية الامتيازات والمعافيات الحالية لعيسويين وسائر التبعة الغير مسلمة فى مهلة معينة بحيث يقومون بعرضها الى جانب بابنا العالى بعد المذاكرة بمعرفة المجالس التى تشكل بالبطريكخانات تحت ملاحظة بابنا العالى بحسب الاصلاحات التى يستدعيها الوقت وآثار المدنية المكتسبة وموافقة ارادتنا الملوكية و يصير توثيق الرخصة التى أعطيت الاساقفة الطائفة المسيحية من قبل ساكن الجنان السلطان أبى الفتح محمد خان الثانى وخلفائه العظام وما صار تأمينهم عليه من قبلنا بحسب الاحوال والظروف الجديدة وبعد اصلاح أصول الانتخابات الجارية الآن للبطاركة يصير اجراء كافة الاصول اللازمة فى نصبهم وتعيينهم بالتطبيق لاحكام براءة البطريكية العالى مدى الحياة و يصير استيفاء أصول تحليف البطاركة والمطارنة والاساقفة والخاخامات بالتطبيق للصورة التى تتقرر بين بابنا العالى وجماعة الرؤساء الروحانية المختلفة و يصير منع كافة

الجوائز والعوائد الجارى اعطاؤها للرهبان مهما كانت صورتها وتخصص ارادات معينة بدلها للبطاركة ورؤساء الطوائف ويصير تعيين معاشات بوجه العدالة بموجب ماينقرر وبحسب أهمية رتب ومناصب سائر الرهبان ولا يحصل السكوت على أموال الرهبان المسيحيين المنقولة والغير منقولة بل يصير احالة حسن المحافظة عليها على مجلس مركب من أعضاء تنتخبهم رهبان وعوام كل طائفة لادارة مصالح طوائف المسيحيين والتبعة الغير مسلمة والبلاد والقرى والمدن التى تكون جميع أهاليها من مذهب واحد لا يحصل احداث موانع فى بناء سائر المحلات التى تكون مثل مكاتب واسبتاليات ومدافن مختصة باجراء عاداتهم حسب هيأتها الاصلية وعند لزوم انشاء هذه المحلات مجددا بحسب استصواب البطاركة ورؤساء الملة يلزم رسمها وبيان صفة انشائها وتقديم ذلك الى بابنا العالى واما أن يجرى المقتضى فيها بموجب ارادتنا السنية الملوكية المتعلقة بقبول الصور السابق عرضها واما أن يصير بيان المعارضات المختصة بذلك فى ظرف مدة معينة واذا وجدت طائفة من مذهب منفردة بمحل وليست مختلطة مع مذاهب أخرى فلا تصادف صعوبات فى اجراء الخصائص المتعلقة بنفاذ عوائدها فى هذا المحل علنا واذا كانت قرية أو بلدة أو مدينة مركبة أهاليها من أديان مختلفة يمكن كل طائفة منهم ترميم وتعمير كنائسها واسبتالياتها ومقابرها بحسب الاصول الموضحة بالمحلات المخصصة لهم الموجودة بمحلات سكنهم بها وأما الابنية المقتضى انشاؤها مجددا يلزم ان تعرض البطاركة والمطارنة لبابنا العالى باسترحام الرخصة اللازمة عنها فان لم يوجد لدى دولتنا العلية موانع فى الامتلاك تصدر بها رخصتنا السنية وكافة المعاملات التى تحصل فيما يماثل كل هذه الاشغال تكون مجانا من قبل دولتنا العلية فى التأمين على اجراء عوائد كل مذهب بكمال الحرية مهما كان مقدار العدد التابع لهذا المذهب وتمحى وتزال الى الابد من المحررات الرسمية الديوانية كافة التعبيرات والالفاظ المتضمنة تحقير جنس لجنس آخر فى اللسان أو الجنسية أو المذهب من أفراد تبعة سلطتنا السنية ويمنع قانونا استعمال كل وصف وتعريف يمس الشرف أو يستوجب العار بين افراد الناس ورجال الحكومة وعمال عوائد كل دين ومذهب موجود

عمالكنا

بممالكنا المحروسة جارية بالحرية فلا يمنع أى شخص من تبعتنا الملوكية من اجراء
رسوم الدين المتمسك به ولا يؤذى بالنسبة لتمسكه به ولا يجبر على تبديل دينه ومذهبه
ولكون انتخاب وتعيين خدمة ومأمورى سلطنتنا السنية منوطا باستنساب ارادتنا
الملوكية فيصير قبول تبعة دولتنا العلية من أى ملة كانت فى خداماتم اومأمورياتها
بحيث يكون استخدامهم فى المأموريات بالتطبيق للنظامات المرعية الاجراء فى حق
العموم بحسب استعدادهم وأهليتهم واذا قاموا بايفاء الشروط المقررة بالنظامات
الملوكية المختصة بالمكاتب التابعة لسلطنتنا السنية بالنسبة للسن والامتحانات يصير
قبولهم فى مدارسنا الملكية والعسكرية بلا فرق ولا تمييز بينهم وبين المسلمين وعدا
ذلك فان كل طائفة مأذونة باعداد مكاتب أهلية للمعارف والحرف والصنائع
انما طرق التدريس وانتخاب المعلمين يكون تحت ملاحظة مجلس المعارف المختلط
المعينة اعضاؤه من طرفنا الملوكى وتحال كافة الدعاوى التجارية أو الجنائية التى تقع
بين المسلمين والمسيحيين وسائر الملل الغير مسلمة أو بين التبعة المسيحية وسائر التبعة
الغير مسلمة مع بعضهم على الدواوين المختلطة والمجالس التى تعقد من قبل هؤلاء
الدواوين واستماع الدعاوى يكون علناء واجهة المدعى والمدعى عليه وتصدق شهادة
الشهود الذين يقدمانهم بمجرد تحليفهم اليمين حسب قواعدهم ومذاهبهم والدعاوى
المختصة بالحقوق العادية يصير رؤيتها بالمجالس المختلطة بالولايات والمديريات بحضور
كل من القاضى والوالى ويكون اجراء هذه المحاكمات بهذه المحاكم والمجالس علنا واذا
وجدت دعاوى مثل حقوق الميراث التى تقع بين اثنين من المسيحيين أو سائر التبعة
الغير مسلمة ورغب أصحاب الدعاوى رؤيتها بمعرفة المجالس أو بطرف البطريك أو
الرؤساء الروحانيين يصير احالتها على الجهة التى يرغبونها او المرافعات التى يصير اجراؤها
بحسب قانون التجارة والجنايات يصير نهوها بكل سرعة بعد ضبطها وتنقيحها
وترجمتها للالسن المختلفة المتداولة فى ممالكنا المحروسة الملوكية ونشرها أولا فأولا
ومباشرة اصلاح كافة السجون المخصوصة لحبس مستحقى التأديبات الجزائية
ومن تنحصر فيهم الشبهة فى مدة قليلة حسب ماتقتضيه الانسانية والعدالة وتلغى
كافة المعاملات المشابهة للايذاء والجزاآت البدنية ومن يكون مسجونا لا يعامل

بغير المعاملات الموافقة لنظامات الضبط المدونة من قبل سلطنتنا السنية وفضلا
عن منع الحركات التي ستقع مخالفة لها بالكلية فانه سيصير تأديب من يأمر باجراء
ما يخالف ذلك من المأمورين ومن يجريه من الخدماء بمقتضى الجزاآت وستنظم
الضبطيات بصورة تستدعي الامنية الحقيقية والمحافظة على أموال وأرواح كافة
التبعة الملوكية سواء كانوا بدار السلطنة السنية أو بالولايات والمدن والقرى وكما أن
مساواة الخراج تستوجب مساواة سائر التكاليف والمساواة في الحقوق تستدعي
المساواة في الوظائف فالمسيحيون وسائر التبعة الغير مسلمة يصحبون غرة قرعة مثل
المسلمين ويجبرون على الانقياد للقرار الصادر أخيرا وتجرى عليهم أحكام المعافاة
من الخدمة العسكرية بتقديم البدل الشخصي أو النقدي ويصير تدوين القوانين
اللازمة لاستخدام التبعة الغير مسلمة في أقرب وقت من الزمن ونشرها واعلانها
وتنتخب أعضاء المجالس الموجودة بالولايات والمديريات من التبعة المسلمة والمسيحية
وغيرهما بصورة صحيحة ولاجل التأمين على ظهور الآراء الحقيقية سيصير التشبث
في اصلاح الترتيبات التي تجرى في حق تشكيل هذه المجالس لاستحصال دولتنا
العلية على الاسباب والوسائل المؤثرة للوقوف على الحقيقة وملاحظة صحة نتيجة
الآراء والقرارات التي تعطى عن ذلك وبما ان مواد القوانين المدونة في حق بيع
وتصريف العقارات والاملاك هي متساوية في حق كافة تبعتنا الملوكية فيلزم
الامتثال لقوانين دولتنا العلية وترتيبات الدائرة البلدية ولاجل ان تغنم الاجانب
الفوائد الجاري منحها للاهالى سيصرح لهم بالتصرف بالاملاك بعد الاتفاق
الذي سيبرم بين دولتنا العلية والدول الاجنبية ولكون التكاليف والخراج الموزع
على كافة تبعة سلطنتنا السنية لا ينظر فيه الى أجناسهم ومذاهبهم بل جارى تحصيله
بصفة واحدة فيلزم المذاكرة في التدابير السريعة لاصلاح سوء الاستعمال الواقع
في أخذ واستيفاء هذه التكاليف وبالاخص العشور ومادام ان أصول أخذ العشور
جارية على التوالى بدون واسطة فبدلا عن الزام دولتنا العلية بالايرادات يصير
اتخاذ هذه الصورة بدلا عنها ومادامت الاصول الحالية جارية فمن يتعرض
من مأمورى دولتنا العلية أو من أعضاء مجالسها للدخول في الالتزامات الجارى

اعلان مزادها علنا أو أخذ حصة منها يمنع و يترتب عليه الجزاء الشديد وتتعين التكاليف المحلية بصفة لا تضر بالمحصولات ولا بالتجارة الداخلية على حسب الامكان وللحصول على المبالغ المناسبة التى تتخصص لاجل الاشغال العمومية يصير علاوة عوائد مخصوصة على الولايات والمديريات التى تنتفع من الطرق والمسالك المنشأة بها براو بحرا بقدرها وبما انه وضع أخيرا ترتيب خصوصى فى حق تنظيم وتقديم دفاتر ايرادات ومصروفات سلطنتنا السنية فى كل سنة فيصير الاعتناء باجراء كامل أحكام ذلك الترتيب ومباشرة حسن تسوية المعاشات التى يصير تخصيصها الكل من المأمورين وبمعرفة مقام الصدارة الجليل يصير جلب مأمورين من المأمورين الذين سيعينون من طرفنا الملوكى مع رؤساء كل طائفة لاجل ان يتواجدوا بالمجلس الاعلى للمذاكرة فى المواد المختصة بعموم تبعة سلطنتنا السنية وهؤلاء المأمورين يعينون لمدة سنة وعندما يباشرون مأموريتهم يصير تحليفهم اليمين ولهم أن يبدوا آراءهم وملحوظاتهم بكل حرية فى اجتماعات مجلسنا الاعلى العادية والتى تكون فوق العادة بدون ان يحصل لهم أدنى ضرر وتجرى أحكام القوانين المختصة بالافساد والارتكاب والظلم فى حق كافة تبعة سلطنتنا العلية مهما كانت جنسيتهم ومأمورياتهم وذلك بالتطبيق للاصول المشروعة ويصير تصحيح أصول العملة وتعمل الطرق المؤدية لاعتبار مالية الدولة مثل فتح البنوك وتعيين الاسباب التى تكون منبعا لثروة ممالكنا المحروسة المادية وتخصيص رأس المال المقتضى وفتح الجداول والطرق اللازمة لتسهيل نقل محصولات ممالكنا ومنع الاسباب الحائلة دون توسيع نطاق التجارة والزراعة واجراء التسهيلات الحقيقية لذلك ويلزم النظر فى الاسباب المؤدية لاستفادة العلوم والمعارف الاجنبية ووضعها على التعاقب فى موقع الاجراء فيا أيها الصدر الاعظم الممدوح الشيم يلزمكم اعلان هذا الفرمان الجليل العنوان الملوكى حسب أصوله بدار السعادة ولكل طرف من ممالكنا المحروسة واجراء مقتضيات الخصائص المشروحة حسب ما توضح آنفا وبذل جل الهمة فى استحصال واستكمال الاسباب اللازمة والوسائل القوية للدوام والاستمرار على رعاية أحكامها الجليلة من الآن فصاعدا ويلزمكم معرفة ذلك واعتماد علامتنا الشريفة حرر فى أوائل شهر

﴿حركة سنة ١٨٤٨ بجميع أوروبا اتفاق بلطه ليمان﴾

فى سنة ١٨٤٨ حدث باوروبا حركة أفكار عمومية للحصول على نظامات دستورية ووضع حد لاستبداد الملوك فابتدأت بباريس فى شهر فبراير من السنة المذكورة وكانت نتيجتها اسقاط حكومة لويس فيليب «١٢٧» الملوكية والمناداة بالجمهورية الثانية ثم سرت منها الى جميع الامم والشعوب فقام الاهالى فى برلين وفيينا وبراغ «١٢٨» وغيرها من العواصم طلبا للحرية حتى أوجب الحال استعمال الجنود ضد الاهالى واطلاق المدافع عليهم فى هذه العواصم وامتدت أيضا الى بلاد بولونيا التى سبق تقسيمها بين الروسيا والنمسا والبروسيا والى بلاد المجر التى صارت تابعة لمملكة النمسا بعد انسلاخها عن الدولة العثمانية كما مر فى موضعه

لكن لما كانت الروسيا لا تود رجوع مملكة بولونيا الى سابق وحدتها وكذلك لا ترغب انفصال المجر عن النمسا وتشكلها بهيئة حكومة مستقلة خوفا من ان تكون حجر عثرة فى طريق تقدمها نحو الاستانة أرسلت جيوشها الى بولونيا لاطفاء شرر الثورة قبل امتدادها وساعدت النمسا على محاربة المجر لادخالها فى طاعتها كما كانت وطلبت من الدولة العلية بالحاح كاد يفضى الى القتال تسليم من التجأ الى بلادها من زعماء المجر فامتنعت الدولة عن تسليمهم طبقا للقانون الدولى القاضى بعدم تسليم المجرمين السياسيين

وكان من نتائج حركة سنة ١٨٤٨ العمومية ان طمحت أنظار أهالى الافلاق والبغدان للاستقلال والانضمام الى سكان ترنسلفانيا وبكوفين لتكوين مملكة

«١٢٧» ولد سنة ١٧٧٣ ولما قامت الثورة مال اليها طمعا فى الحصول على الملك ثم هاجر حينما ألغيت الملوكية كلية وبقى خارجا عن بلاده الى سنة ١٨١٤ فعاد مع لويز الثامن عشر وفى ٣١ يوليو سنة ١٨٣٠ انتخب ملكا على فرنسا بعد عزل شارل العاشر الذى اخلف أخاه لويز الثامن عشر بعد موته فى سنة ١٨٢٤ وبقى ملكا حتى ألجأه الثور وبون الى الاستعفاء فى ٢٣ فبراير سنة ١٨٤٨ وهاجر الى انكلترا حتى توفى سنة ١٨٥٠

«١٢٨» مدينة عظيمة باوروبا الوسطى يبلغ عدد سكانها ٢٥٠٠٠٠ نسمة وهى عاصمة بلاد بوهيميا الداخلة من ضمن مملكة النمسا والجزء مع بعض امتيازات وفى سنة ١٨٦٦ أمضى فيها بين النمسا وألمانيا الصلح الذى أخرج النمسا عن الاتحاد الالمانى وجعل للروسيا السيطرة على كل ألمانيا

رومانية جديدة فثارتا على أميريهما واضطرتاهما الى الفرار وأقامتا مكانه حكومة مؤقتة فارسلت الدولة العلية جيوشها تحت قيادة عمر باشا أحد قوادها المشهورين لاعادة الاحوال الى ما كانت عليه فارسلت الروسيا عساكرها الى بلاد البغدان في ٣٠ يونيو سنة ١٨٤٨ وطردت الحكومة المؤقتة واحتلت امارة الافلاق فعارضت الدولة واحتجت ضد هذا الاحتلال وصارت الحرب بينهما أقرب من حبل الوريد ثم دارت بينهما المخابرات للوصول الى ما يمنع الحرب واتفقا أخيرا في أول مايو من السنة المذكورة على ان يبقى حق تعيين الامراء بهاتين الولايتين للدولة العلية كما كان وان يحتل البلاد جيش مؤلف من جنود تركية وروسية مدة سبع سنوات حتى يستتب الامن وسمى هذا الاتفاق باتفاق (بلطه ليمان) «١٢٩» نسبة الى المحل الذي أمضي فيه

﴿أسباب حرب القرم وحماية الاماكن المقدسة﴾

قد علم مما سبق ان المنافسات كانت دائمة بين قسوس الارثودكس والكاثوليك بشأن التملك أو بالحرى اقامة شعائر دينهم في الكنائس المعتبرة عندهم في مدينة أورشليم مهد الديانة المسيحية كما انها منشأ الديانة الموسوية وبسعي فرنسا الحائزة بمقتضى عدة معاهدات قديمة وخصوصا بمقتضى الامتيازات الممنوحة لها في سنة ١٧٤٠ لحماية جميع قسوس الكاثوليك بالممالك المحروسة تحصل هؤلاء القسوس على امتياز امتلاك هذه الكنائس وكانت الروسيا تسعى من جهة أخرى لتجريد الكاثوليك من هذا الامتياز واعطائه للارثودكس لما بينها وبينهم من الوحدة المذهبية لتتمكن بواسطتهم من بث سياستها ونشر نفوذها بين رعايا الدولة المتمسكين بهذا المذهب البالغ عددهم زيادة عن عشرة ملايين من النفوس وبالتالي يكونون لها بمثابة آلة صماء تحركها كيف تشاء لترويج مقاصدها ولاشتغال فرنسا بحروب الثورة ثم الحروب النابوليونية مدة ٢٢ سنة تقريبا من سنة ١٧٩٣

«١٢٩» قرية صغيرة على بوغاز البوسفور من تركية أوروبا بالقرب من الاستانة واشتهرت بامضاء هذه المعاهدة بها

الى سنة ١٨١٥ . وضعف الحكومات الملوكية بعد ذلك وحصول ثورة سنة ١٨٤٨ . لم يمكنها التمسك بحقوقها هنالك فتعدى على امتيازات قسوسها كهنة الارتودكس ثم لما عين نابوليون الثالث «١٣٠» رئيسا للجمهورية الفرنساوية الثانية باسم البرنس لويز نابوليون فاتح الدولة العلية فى هذه المسئلة لارضاء الرأى العام فى فرنسا واستمالته اليه فعين الباب العالى لجنة مشكلة من عدة أعضاء مختلفى المذهب لفصلها بمقتضى المعاهدات القديمة وهذه اللجنة قررت بعد عدة اجتماعات متوالية باولوية الكاثوليك فى امتلاك عدة كنائس وأديرة فعارضت الروسيا فى نفاذ هذه الاتفاقية المؤرخة ٦ فبراير سنة ١٨٥٢ وهددت الباب العالى بالحرب لو أمر بنفاذها فترددت الدولة فى انفاذها لكن من جهة أخرى شددت فرنسا فى التمسك بحقوقها التى قررتها اللجنة الاخيرة وحيث ان الدولة اعتمدت هذا القرار فلابد من تنفيذ ما اعترفت بصحته ولذلك اضطرت الدولة العثمانية لتنفيذ مضمون قرار اللجنة الاخيرة

فاتخذت الروسيا هذا الخلاف ذريعة لتنفيذ وصية بطرس الاكبر وأرسلت البرنس (منشيكوف) من سان بترسبورج الى الاستانة بصفة سفير غير اعتيادى للمخابرة

«١٣٠» هو ابن لويس بونابرت أخى نابوليون الاول الذى كان عينه أخوه ملكا للهولاندا ولد فى مدينة باريس فى ٢٠ ابريل سنة ١٨٠٨ وهاجر مع والديه بعد سقوط الامبراطورية الاولى وأقام فى بلاد سويسرة ودخل فى جيشها بوظيفة ضابط واشترك فى ثورات ايطاليا وفى سنة ١٨٣٦ حضر الى مدينة ستراسبورج وأراد احداث ثورة لقلع لويس فيليب وتعيينه مكانه فلم يفلح وقبض عليه و بعد ان سجن مدة أبعد خارج فرنسا وأنزل بالولايات المتحدة وفى سنة ١٨٤٠ أتى الى فرنسا ثانيا ونزل بثغر بولونيا فضبط وحكم عليه مجلس السناتو بالسجن المؤبد وسجن فى قلعة هام الى سنة ١٨٤٦ فهرب والتجأ الى بلاد البلجيك ولما حصلت ثورة فبراير سنة ١٨٤٨ أتى مسرعا الى فرنسا وبذل جهده حتى عين رئيسا للجمهورية وفى ٢ دسمبر سنة ١٨٥١ منع مجلس النواب من الاجتماع وسجن أعضائه وعمل كل الوسائط حتى عين رئيسا للجمهورية لمدة عشر سنين وزيدت اختصاصاته وفى ٧ نوفمبر سنة ١٨٥١ أبطلت الجمهورية وصار هو امبراطورا باسم نابوليون الثالث وفى مدته حصلت عدة حروب لم تعد على فرنسا باقل فائدة سوى قتل عساكرها المدربة وانتقال كاهلها بالديون فحارب المكسيك بأمريكا وأراد جعلها امبراطورية وتعيين البرنس مكسمليان أخى امبراطور النمسا امبراطورا عليها فلم يفلح وقتل أهالى المكسيك الامبراطور مكسمليان وانسحبت العساكر الفرنساوية وحارب الروسيا فى القرم وحارب الصين وفتح مابقى من بلاد الجزائر وأخيرا حارب الروسيا وانهزم فى واقعة سيدان فى ٢ سبتمبر سنة ١٨٧٠ وأخذ أسيرا الى ألمانيا فنادت فرنسا بالجمهورية الثالثة فى أربعة منه وهى الجمهورية الباقية للآن وتوفى فى ٩ يناير سنة ١٨٧٢ وانتهت الحرب بانهزام فرنسا وسلخ ولايتين من بلادها وضمها الى ألمانيا

في مسئلة الاماكن المقدسة ظاهرا وفي الحقيقة لم يكن القصد من ارساله الا ايجاد أسباب الشقاق للتوصل الى اعلان الحرب بحجة مقبولة لدى الدول كما سيظهر ذلك فيما بعد فسافر هذا السفير من عاصمة الروسيا في ١٠ فبراير سنة ١٨٥٣ مارا باقاليم الروسيا الجنوبية قاصدا دار الخلافة العظمى وأخذ يراقب تجمع الجيوش بقرب التخوم العثمانية ويستعرضها باحتفال زائد لزيادة الايهام والتأثير على افكار رجال الدولة وعظمائها

وفي أثناء ذلك عمل القيصر نيقولا على سبر أفكار (السير هاملتن سيمور) سفير انكلترا الذي حكومته مظهرا له ضرورة اتحاد دولتي الروسيا وانكلترا معا على اضعاف نفوذ فرنسا في الشرق وأخذ الاحتياطات لتجزئة بلاد الدولة العلية حيث صار من المستحيل على زعمهم شفاء هذا المريض (يعني بذلك دولتنا العثمانية المحفوظة) وخوفا من تشتت تركته بعد وفاته عرض عليه انه يتساهل مع انكلترا لو ساعدته على نفاذ مشروعه في اعطائها القطر المصري وجزيرة كريد فلم يجبه السفير الانكليزي جوابا شافيا بل بالعكس أجاب القيصر ان الاولى معالجة هذا المريض وتعهده بالعناية حتى ينقه من مرضه ويعود لسابق قوته لانه لو مات حصلت حروب تهدر فيها الدماء أنهارا عند تقسيم تركته ولم يكن ذلك من الدولة الانكليزية حبا بتقوية الدولة العلية أو شغفا ببقائها بل خوفا من امتداد الروسيا في الشرق واحتلالها الاستانة فتشارك انكلترا في ملك البحار الذي انفردت هي به

ومن جهة أخرى خابر نابوليون الثالث حكومة الملكة فكتوريا (١٣١) بشأن الاتحاد مع الباب العالي لتنفيذ العهود السابقة المختصة بالاماكن المقدسة حتى لا ينتشر نفوذ الروسية بين رعايا الدولة العلية الارتودكس الذين ربما بلغ عددهم احد عشر مليونا من النفوس لا سيما وان حماية الروسيا على أورشليم وما جاورها مما يجعل انكلترا في وجل على أقرب طرقها المستعمراتها الهندية وهي طريق مصر فاقتنعت انكلترا بضرورة مقاومة نفوذ الروسية في هذه الاصقاع خصوصا وقد اطلعت على مقاصد القيصر التي كاشف بها السير هاملتن سيمور سفيرها لديه

(١٣١) ولدت هذه الملكة سنة ١٨١٩ وتولت سنة ١٨٣٧ وتزوجت في سنة ١٨٤٠ بالبرنس البرت أحد أمراء ألمانيا ورزقت منه بثمانية أولاد وتوفي زوجها سنة ١٨٦١ ولم تزل مالكة الى يومنا هذا

ولما رأت الروسية عدم اصغاء انكلترا لطلباته فاتح سفير فرنسا المسيو (كستلباجاك) فى أمر التساهل معها على تقرير الامور فى بلاد فلسطين طبق مرادها وعرض عليه أن تتساهل الروسيا هى أيضا مع فرنسا فى مقابلة ذلك بل وتساعدها على امتلاك القطر التونسى لتقوية نفوذها فى بلاد الغرب ومراقبة اجراآت انكلترا فى جزيرة مالطة لكنه لم يجد من السفير الفرنساوى آذنا صاغية كما كان يؤمل لان مساعى نابوليون الثالث كانت موجهة لارجاع مجد فرنسا السابق اليها وجعلها صاحبة الكلمة فى جميع أحوال أوروبا كما كانت فى عهد عمه نابوليون الاول

هـــذا ولما وصل البرنس (منشيكوف) الى الاستانة بعد ان أجرى على الحدود عدة تظاهرات حربية كان معه عدة ضباط عظام برية وبحرية صاروا يرافقونه أثناء زياراته الرسمية للوزراء لزيادة التأثير على عقولهم وتظاهر بعدم مراعاة الاصول والعوائد المتبعة فى مقابلة جلالة السلطان ولولا توسط سفيرى فرنسا وانكلترا لانتشبت الحرب بسبب هذه الاجراآت المغايرة لآداب السياسة لكنه تحقق للعموم من ذلك ان قصد الروسيا الوحيد هو اعلان الحرب على الدولة العلية وتقسيم ممالكها المحروسة ولذلك أرسلت فرنسا دوناغاتها البحرية الى مياه اليونان فألقت مراسيها فى فرضة (سلامين)«١٣٢» فى ٤ ابريل سنة ١٨٥٣ استعدادا للحوادث التى لم تكن فى الحسبان أما انكلترا فأذنت لمراكبها بالتربص فى مالطة لحين صدور أوامر جديدة لها

وفى أثناء ذلك كان البرنس منشيكوف يبذل جهده لدى الباب العالى للحصول على تجديد شروط معاهدة (خونكار اسكله سى) القاضية بان يكون للروسيا حماية جميع المسيحيين الموجودين ببلاد الدولة وكان الباب العالى عاطلا فى الاجابة وأخيرا أعاد السلطان رشيد باشا الى منصب الصدارة الذى سبق عزله منه ارضاء للروسيا ومنعا لاسباب الشقاق فظهر من ذلك ان السلطان قد عدل عن سياسة المسالمة وعزم على رفض طلبات الروسيا وأيد ذلك رشيد باشا فانه رفض طلبات البرنس منشيكوف قطعيا

«١٣٢» جزيرة صغيرة ببلاد اليونان تبعد عن الساحل بنحو أربعة كيلومترات وشهيرة بانتصار (تيستوكل) اليونانى على مراكب الفرس بالقرب منها فى سنة ٤٨٠ قبل المسيح

ولما

ولما رأى البرنس منشيكوف هذا العدول أرسل للباب العالى بلاغا نهائيا بتاريخ ٥ مايو سنة ١٨٥٣ بطلبات دولته وطلب الاجابة عنها فى مدة خمسة أيام ولما انقضت بدون ان يجاب طلبه أطالها ثمانية أيام أخرى ولما انقضت هذه المدة أيضا بدون ان يحصل على مرغوبه الذى رفضه جلالة السلطان مع الاعلان باحترام حقوق الكنيسة الارثوذكسية قطع السفير الروسى العلاقات مع الباب العالى وبارح الاستانة على احدى مراكب الروسيا فى ١٨ مايو المذكور مهددا الدولة باحتلال الجنود الروسية لامارتى الافلاق والبغدان اذا صممت على التوقف

ولما أبلغت الدولة صورة هذا البلاغ الاخير الى اللورد (استراتفورد) سفير انكلترا وهو أبلغها الى حكومته تغيرت أفكار انكلترا من جهة الروسيا وتحققت سوء نيتها نحو الدولة العلية فانضمت الى فرنسا وأرسلت الى دوناغاتها اعمالطة ان تنضم الى الدوناغة الفرنساوية وتتحد معها فى كافة أعمالها ومن ثم ظهر لجميع أوروبا ان فرنسا وانكلترا متحدتان على حماية الممالك العثمانية المحروسة ضد اطماع الروسيا ثم أصدرت هاتان الدولتان أوامرهما الى مراكبهما بالاقتراب من بوغاز الدردنيل لمد يد المساعدة للدولة العلية اذا اقتضى الحال فقامت المراكب ورست فى فرضه (بزيكا) «١٣٣» فى ١٥ يونيه سنة ١٨٥٣

وبعد انسحاب البرنس منشيكوف من الاستانة أرسل المسيو (دى نسلرود) «١٣٤» وزير خارجية الروسيا بلاغا آخر الى الباب العالى وأبلغ صورته الى جميع الوزارات يقول فيه انه ان لم تقبل الدولة العلية اقتراحاته الاخيرة تحتل الجيوش الروسية ولايتى الافلاق والبغدان حتى تعود الدولة عن اصرارها وترضخ لطلبات دولته ولما أجيب بالرفض فى هذه المرة أيضا اجتازت عساكر الروسيا نهر البروث الفاصل بين أملاك الدولتين فى أوائل يوليو سنة ١٨٥٣ واحتلت الولايتين فعلا اذ لم يخطر

«١٣٣» فرضة متسعة عند مدخل بوغاز الدردنيل على شاطئ آسيا وتبعد بنحو ٢٧٥ كيلومتر عن مدينة الاستانة وهى ذات أهمية حربية عظمى

«١٣٤» سياسى روسى شهير كان يثق به الامبراطور اسكندر الاول لانه كان مساعده على سياسة الاتحاد المقدس المبنى على اكراه الامم الساعية فى الاستقلال على البقاء تحت الحكومات الملوكية واشترك فى كافة المعاهدات المهمة مثل معاهدتى ادرنه وخونكار اسكله سى وتوفى سنة ١٨٦٢

بال الروسيا ان الدول الغربية تتألب مع الدولة العلية على محاربتها لحماية الدولة ومن جهة أخرى كان يظن ان فرنسوا جوزيف (١٣٥) امبراطور النمسا والمجر يعضده على الدولة العلية لما له عليه من الايادى البيضاء فى اخماد الثورة المجرية سنة ١٨٤٨

وحقيقة كان مركز فرنسوا جوزيف حرجا لانه كان لا يدرى أى الطريقين يسلك أيتحد مع الروسيا على الدولة العلية لمجرد مقابلة الجميل بمثله مع مخالفة هذا التحالف لمصالح بلاده أم يراعى المصلحة السياسية فقط التى لا تلائمها الاحساسات القلبية فى الغالب وأثناء تردده هذا بذل جهده فى التوفيق بين الروسيا وجارتها منعا للحرب فيتخلص هو من هذه المسئلة بدون ان يرمى بكفران الجميل وأوعز الى الدول بجمع مؤتمر ينعقد بمدينة ويانة تحت رئاسة ناظر خارجيته لاصلاح ذات البين بين الدولتين المتعاديتين وان يطلب منهما عدم اعلان الحرب حتى تتم مأمورية هذا المؤتمر بل تتربص جيوشهما على ضفتى نهر الطونة فقبلت الدول ذلك وانعقد المؤتمر فى غضون شهر اغسطس سنة ١٨٥٣ بويانة واهتم مندوبو البروسيا والنمسا بالاتحاد مع مندوبى فرنسا وانكلترا فى التوفيق بين الخصمين واصلاح ذات بينهما منعا لسفك الدماء واشتعال نيران الحرب التى ربما عمت أوروبا باسرها وعظم خطبها وتحركت بسبب اشتغال الدول بهذه الحروب الافكار الثورية التى هاجت فى سنة ١٨٤٨ وكادت تقلب جميع الحكومات الملوكية وبعد عدة جلسات أقر المؤتمر على صورة وفاق قبلته الروسيا لعدم ظهور عبارته وغموض انشائه لتؤوله فيما بعد على ما ينطبق على غاياتها ويوافق أغراضها ورفضها الباب العالى لهذا السبب بعينه ولرغبته فى عدم وجود عراقيل فى المستقبل بسبب تأويل عباراته وبذلك انفض المؤتمر بدون جدوى وتحقق الجميع سوء مقاصد الروسيا وحثت فرنسا وانكلترا الباب العالى على عدم التسليم بطلبات الروسيا والثبات فى الدفاع

(١٣٥) ولد هذا الامبراطور فى ١٨ اغسطس سنة ١٨٣٠ وتولى الملك فى ٢ دسمبر سنة ١٨٤٨ عقب استقالة عمه الامبراطور فردينان الاول وتنازل والده عن حقه فى الملك وتزوج ببنت دوك بافيير فى ٢٤ ابريل سنة ١٨٦٤ ولم يزل مالكا حتى الآن

عن

عن حقوقه واعدة اياه بالمساعدة المادية على الروسيا فارسل الباب العالى الى البرنس جورتشاكوف «١٣٦» قائد الجيوش الروسية المحتلة لولايتى الافلاق والبغدان بلاغا تاريخه ٤ اكتوبر سنة ١٨٥٣ باخلاء هاتين الولايتين فى ظرف خمسة عشر يوما والا فتعتبر بقاء الجيوش فيها اعلانا للحرب وأمرت عمر باشا سر عسكر الجيوش العثمانية «١٣٧» بعبور نهر الطونة وابتداء الحرب بعد هذا الاجل ان لم تكن الجيوش الروسية قد اخلتها تماما

ولما لم تعر الروسيا هذا البلاغ أذنا صاغية اجتاز عمر باشا النهر فى ٢ نوفمبر سنة ١٨٥٣ وبعد موقعة عظيمة هائلة انتصرت الجيوش العثمانية على الجيوش الروسية وأخرجتها من معاقلها الكائنة على ضفة النهر اليسرى قهرا وفاز عمر باشا وجيوشه فوزا مبينا أدهش جميع العالم لعدم توقع انهزام الروسيا لكن بسبب الشتاء الشديد والبرد الكثير الثلج فى هذه البلاد عاد عمر باشا الى الحصون بدون ان يقتفى أثر الجنود الروسية المنهزمة لعدم امكان ذلك ماديا وكذلك على حدود الروسيا من جهة بلاد قافقاس بآسيا اجتاز العثمانيون التخوم تحت قيادة عبده باشا واحتلت قلعة سان نقولا عقب انتصارها على الروس ثم وقف الحرب بسبب الشتاء بعد انتصار الروس فى واقعة أخرى بدون ان يتمكنوا من استرجاع هذه القلعة وعندما شاهد الامبراطور نقولا هذا الحال الذى ما كان ليخطر له على بال اجتمع مع فرنسوا جوزيف امبراطور النمسا وفاوضه فى خوفه من نجدة الدول الغربية (فرنسا وانكلترا) للدولة العلية وسأله المساعدة والتحالف عليها معتمدا فى ذلك على مساعدته له سنة ١٨٤٨ ضد ثائرى المجر فلم يقبل الامبراطور ذلك وأظهر له شديد أسفه من عدم اجابة طلبه لعدم ملاءمته لمصالح البلاد التى ألقيت مقاليدها اليه

«١٣٦» قائد روسى ولد سنة ١٧٩٥ وتوفى سنة ١٨٦١ وامتاز فى حرب القرم وهو ابن عم البرنس جورتشاكوف السياسى المعروف

«١٣٧» قائد عثمانى شهير نمساوى الاصل ولد ببلاد كرواسيا سنة ١٨٠٦ وخدم مدة فى الجيش النمساوى ثم هاجر الى البوسنه ودخل فى دين الاسلام واستخدم فى الجيش الشاهانى وترقى تدريجيا حتى وصل الى أعلى الرتب العسكرية وخدم الدولة العلية بكل صداقة واخلاص وانتصر على الروس فى واقعة اوباتريا فى حرب القرم وتوفى سنة ١٨٧١

﴿واقعة سينوب البحرية﴾

وفى هذا الاثناء تقدمت السفن الفرنساوية والانكليزية من فرضة بزيكا الى بوغاز البوسفور برضا الباب العالى لتكون أقرب الى البحر الاسود والى حماية الاستانة لوحاول الروس الهجوم عليها بحرا وأرسلت فرنسا الى دار السعادة سفيرا حربيا فوق العادة وهو القائد (باراجى ديليه) للسعى فى الصلح وفى الحقيقة لدرس أحوال الدولة العسكرية استعدادا للقتال التى كانت تستعد له فرنسا ضد الروسيا وقابله جلالة السلطان المعظم باحتفال زائد فى ١٩ سبتمبر سنة ١٨٥٣ هو وجميع أركان حربه

وفى ٣٠ نوفمبر من السنة المذكورة فاجأت الدونانمة الروسية تحت امرة الاميرال ناشيموف الدونانمة التركية الموجودة فى مينا سينوب على البحر الاسود ودمرتها عن آخرها تقريبا مع أنها كانت تعهدت لدولتى فرنسا وانكلترا بعدم اتيان أى أمر عدوانى فى البحر الاسود اذا تربصت دونانماتهما فى البوسفور ولم تدخل هذا البحر ولما حصلت هذه الواقعة على حين غفلة أمرت فرنسا وانكلترا مراكبهما بالدخول فى البحر الاسود وأعلنت الروسيا رسميا انه لو تعدت احدى المراكب الروسية على مين الدولة أو على احدى مراكبها تكون مراكب الدولتين مضطرة لمنعها بالقوة ودخلت سفنها الحربية فى البحر المذكور فى ٤ يناير سنة ١٨٥٤ ومن ذلك الحين صار لابد من الحرب قريبا بين هذه الدول والروسيا لحماية الدولة العلية العثمانية من عدوان الروسيا وأطماعها الاحبافى الدولة بل خوفا من امتداد نفوذ الروسيا وبسط يدها على الاستانة

وبعد ذلك أرسل نابوليون الثالث جوابا بتاريخ ٢٩ يناير سنة ١٨٥٤ لجلالة الامبراطور نقولا بخط يده يشرح له فيه ماهية المسئلة من أصلها وما أتته الروسيا من المماطلة والتلاعب فيها وما اقترفته من الغدر والخيانة ويعرض عليه عقد مؤتمر للنظر فى الصلح بشرط خروج العساكر الروسية من ولايتى الافلاق والبغدان وتعهد له بسحب مراكبه ومراكب انكلترا من البحر الاسود لو أخلت هى هاتين

الولايتين

الولايتين كل ذلك بعبارة مقبولة يظهر من خلالها ميل فرنسا الى الصلح مع الاستعداد للحرب فأجابه القيصر بما يشف عن عدم امكانه الرجوع عن خطته اذ اخلاء عساكره للولايتين يعد اجحافا أمام عساكر الدولة وهذا أمر لا يقبله هو قط مادام عنده جندي واحد وختم خطابه بعبارة مؤداها انه لم يأت فى ذلك أمرا مستغربا فانه لا يظن ان نابوليون الثالث كان يفعل غير ذلك لو كان فى هذا المركز الحرج

وبهذا صار لا بد من الحرب وترك سفراء الروسيا لدى فرنسا وانكلترا مقر وظائفهما بناء على أمر سيدهما

وخوفا من اتحاد النمسا والبروسيا مع فرنسا وانكلترا عليه أرسل الامبراطور نقولا المسيو اورلوف بمأمورية خصوصية الى ويانه و برلين ليطلب من امبراطور النمسا وملك البروسيا أن يكونا على الحيادة ان لم يرغبا فى مساعدته فلاقى ارلوف فى ويانه ما لم يجعل لدى القيصر شك فى اتحاد النمسا مع أعدائه وفى برلين ما حمله على الفكر بأن فريدريك غيليوم ملك البروسيا «١٣٨» يكون له أكثر مما يكون عليه ثم فى ١٢ مارث سنة ١٨٥٤ أمضى بين فرنسا وانكلترا والدولة العلية فى مدينة الاستانة اتفاق على محاربة الروسيا وحماية الدولة العلية

ومما جاء به ان ترسل فرنسا خمسين ألف جندى وانكلترا خمسة وعشرين ألفا بشرط أن تنجلي جميعها عن بلاد الدولة بعد خمسة أسابيع تمضى من يوم عقد الصلح مع الروسيا

﴿اعلان الحرب من فرنسا وانكلترا على الروسيا﴾

وفى ٢٧ مارث سنة ١٨٥٤ أرسل نابوليون الثالث رسالة الى مجلس النواب يخبره باعلان الحرب على الروسيا بالاتحاد مع انكلترا

وفى ١٠ ابريل من السنة المذكورة اتفقت فرنسا وانكلترا بمقتضى معاهدة

«١٣٨» ولد سنة ١٧٩٥ وتولى الملك سنة ١٨٤٠ بعد أخيه فريدريك غيليوم الثالث ولم يأت فى التاريخ أمرا يذكر وفى سنة ١٨٦٠ ضعفت قواه العقلية فعين غيليوم الاول الشهير قيما عليه حتى توفى فى السنة التالية فخلفه الى ان توفى هو أيضا سنة ١٨٨٨ بعد ان لم شتات ألمانيا وأسس الامبراطورية الالمانية عقب انتصاره على فرنسا فى سنتى ١٨٧٠ و ١٨٧١

مخصوصة أمضيت فى مدينة لوندره على انهما يحفظان أملاك الدولة العلية وعثمان ضم أى جزء منها الى بلاد الروسية وأن يقدما مايلزم لذلك من المال والرجال لودعى الحال لارسال جيوش أكثر من المقرر فى معاهدة الاستانة وأن لاتخابر احداهما مع الروسية بشأن الصلح أو توقيف القتال الا بالاتفاق مع حليفها

وبعد ذلك أخذت الدولتان المتحالفتان فى جمع الجيوش ومايلزم لها من المؤن والذخائر والسفن اللازمة لنقلها وجعلت الجيوش الفرنساوية تحت قيادة المارشال دى سانت ارنو «١٣٩» والانكليزية تحت امرة اللورد رجلان «١٤٠» ونزلت الجيوش المتحدة فى غضون ابريل ومايو سنة ١٨٥٤ فى فرضة جاليبولى والاستانة

وقبل وصول الجيوش البرية كان القتال قد ابتدئ فعلا فى البحر الاسود وذلك ان الاميرال الانكليزى دنداس أرسل احدى مراكبه المسماة فوريوس الى مينا اودسا «١٤١» لحمل القنصل والرعايا الانكليزية فى ٦ ابريل فأطلقت القلاع قنابلها عليها مع انها كانت حاملة العلم الابيض علامة على انها قاصدة مخابرة سلمية خلافا لاصول الحرب الدولية فاتفق الاميرال الانكليزى مع زميله الفرنساوى الاميرال هاملين على اطلاق مدافعهما على المدينة ان لم يقدم لهما حاكمها اعتذارا كافيا على هذا العمل العدائى فقصدا الميناء فى ٢٠ منه وأبلغا طلبهما الى الحاكم وأمهلاه ٢٤ ساعة

«١٣٩» قائد فرنساوى ولد سنة ١٧٩٨ واشتهر فى محاربة العرب فى بلاد الجزائر التى اكتسب فيها رتبة تدريجا الى ان وصل الى رتبة فريق ثم رقاه نابوليون الثالث الى رتبة مارشال التى تعادل رتبة المشيرية الرفيعة عند نا المساعدته له على قلب الحكومة الجمهورية فى دسمبر سنة ١٨٥٢ وتوفى سنة ١٨٥٤ فى حرب القرم بسبب مرض عادى

«١٤٠» قائد انكليزى شهير ولد سنة ١٧٧٨ وكان من أركان حرب الدوك دى ولنجتون الذى انتصر على نابوليون الاول فى وترلو وحضر هذه الموقعة الشهيرة معه وقطع بها أحد ذراعيه وتوفى فى القرم سنة ١٨٥٥ بالكوليرا

«١٤١» مدينة بجنوب الروسيا على البحر الاسود يبلغ عدد سكانها ٢٥٠ ألف نسمة وحركتها التجارية عظيمة جدا وبها كثير من المدارس العالية والجمعيات العلمية وكان اسمها حاجى بيك ولما فتحت كاترينه الثانية الى أهميتها أمرت سنة ١٧٩٥ بتوسيعها وتسميتها أودسه تذكار المستعمرة يونانية قديمة كانت بالقرب منها تدعى اودسوس وينسب فضل تحسينها وجعلها بهذه الحالة الى الدوك دى ريشليو الفرنساوى الذى عين ما كالها فى سنتى ١٨٠٣ و ١٨٠٤

ولما

ولما انقضى يوم واحد وعشرين بدون ان يأتيهما جواب ابتدأ قذف القنابل على المدينة فى صبيحة ٢٢ منه واستمر اطلاقها حتى دمرت قلاع المدينة والتهبت النيران جزأ منها ثم انصبت الأساطيل من أمامها واصطفت أمام مينا سباستوبول ودعت الدوناغة الروسية للقتال ولما لم تخرج للمحاربة كلف الاميرالان الاميرال ليونس بضرب الثغور الروسية الواقعة على البحر الاسود فقام بهذه المأمورية وفى أثناء ذلك أعلن الامبراطور نقولا الحرب على الدول المعادية له فى ١١ ابريل سنة ١٨٥٤

وأصدر أوامره الى المارشال برنس (بسكيفتش) قائد الجيوش المعسكرة على ضفة نهر الطونة الايسر بعبور النهر ومحاصرة مدينة (سلستريا) فصدع المارشال بالامر وحاصر المدينة مدة خمسة وثلاثين يوما من ١٥ مايو الى ٣٠ يونيو سنة ١٨٥٤ بدون ان يقوى على اذلالها مع ان الجيش المحاصر كان مكونا من ستين ألف مقاتل ولم يكن بداخلها من الجنود العثمانية الا خمسة عشر ألفا تحت قيادة موسى باشا من مشاهير قواد الدولة الذى استشهد فى الدفاع عنها

ولما علم محالفو الدولة بتلك المقاومة التى أوقعت فى قلوبهم اعتبار الجنود المظفرة وألزمتهم الاعتراف بشجاعتهم وقوة بأسهم زحفوا بجيوشهم الى مدينة ورنه بقصد مد يد المساعدة الى المدينة المحصورة لكن لم ينتظرهم المارشال الروسى بل رفع الحصار عن المدينة وعاد بخفى حنين فاقتفى عمر باشا أثره وعبر نهر الطونة خلفه بعد ان هزم مؤخر جيشه عند مدينة (جورجيوا) وكان فى عزمه احتلال ولايتى الافلاق والبغدان عقب جيوش الروسية التى كانت ابتدأت فى اخلائها لكن كانت الجيوش النمساوية قد احتلتها ومنعت عمر باشا من اتباع عساكر الروسيا حتى اجتازت نهر البروث الفاصل بين الولايتين وأملاك الروسيا بسلام

ولنذكر هنا بطريق الايجاز المخابرات السياسية التى أدت الى احتلال النمسا للولايتين

﴿النمسا وحرب القرم﴾

سبق شرحنا علاقات النمسا والروسيا ومقابلة الامبراطورين فى مدينة

(أولمتس) «١٤٢» وابنا ان النمسا كانت لا تود مساعدة الروسيا كما صرح بذلك امبراطورها ولكنها من جهة أخرى لا ترغب مساعدة الدول الغربية بل غاية أمانيها أن تكون حكاينهم وتبذل قصارى جهدها فى عدم امتداد أملاك الروسيا من جهة الطونة وان تجعل لنفسها نوع سيادة على جميع البلاد الواقعة على ضفافه ولذلك بمجرد ما علمت باتفاق الاستانة ولوندرة أبرمت مع البروسية اتفاقا بتاريخ ٢٠ ابريل سنة ١٨٥٤ بان تسيرا باتفاق فى المسئلة الشرقية وبلغت صورته للدول

وفى ١٤ يونيه من السنة المذكورة اتفقت فرنسا وانكلترا والدولة العلية مع النمسا على ان تحتل الجيوش النمساوية ولايتى الافلاق والبغدان اذا أخلتها الروسية وان تتحد معهما فى محاربة الروسيا لو اجتازت جيوشها جبال البلقان

وبمقتضى هذه الاتفاقات دخلت جيوش النمسا فى هاتين الولايتين بمجرد انسحاب جيوش الروسيا منها أولا باول ولم تعترض الروسيا ضد هذا الاحتلال خوفا من اغضاب النمسا ودخولها فى التحالف المنعقد ضدها تفضيلها وجود جيوش النمسا فيهما على وجود الاتراك أو الفرنساويين لعدم ميل النمسا للحرب وبرجوع جيوش الروسيا خلف نهر البروث وحيلولة جيوش النمسا بينها وبين نهر الطونه زال الخوف من هذه الجهة ثم اجتمع قواد الجيوش المتحالفة فى مدينة ورنه فى ٢١ يوليو سنة ١٨٥٤ بصفة مجلس حربى وقرروا ضرورة نقل ميدان القتال فى أراضى الروسيا لاسيما وقد تفشت الكوليرا بين عساكرهم وأجمعوا على ارسال العساكر الى بلاد القرم ومحاصرة ثغر سباستوبول الشهير بمناعة حصونه وقلاعه فارسلت الى جزيرة القرم ستين ألف جندى من الفرنساويين والاتراك والانكليز والمصريين أنزلوا فى فرضة (ايباتوريا) فى ١٣ سبتمبر سنة ١٨٥٤

وفى ٢٠ منه حصلت أول موقعة بينهم وبين جيوش الروسيا كانت الدائرة فيها على الروسيا واحتل الفرنساويون عقبها المرتفعات المشرفة على نهر (الما) ويقال ان المارشال دى سانت ارنو ضرب خيمته فى نفس المحل الذى كانت فيه خيمة القائد الروسى

«١٤٢» مدينة ببلاد النمسا يبلغ عدد سكانها عشرين ألفا وبها مدرسة جامعة قديمة العهد جدا أسست سنة ١٢٥٧ ثم نقلت الى مدينة برون سنة ١٧٧٨ وأعيدت الى أولمتس ثانية سنة ١٨٢٧ ولم تزل بها حتى الآن

البرنس منشيكوف

ولم تتبع الجيوش المتحالفة عساكر الروسيا في انكسارها وتقهقرها نحو مدينة سباستوبول بل تربصت في مكانها ويقول العارفون انها لو اقتفت أثرها لدخلت المدينة بدون كثير عناء لعدم تكامل استحكاماتها لكن منع المتحالفين عن ذلك اعتقادهم في قوة الروسيا ومناعة المكان

وفي ٢٦ منه هاجم المتحالفون فرضة (بالكلاوا) ودخلوها عنوة في يوم ٢٨ منه لاحتياجهم اليها كميناً أميناً لنزول الجنود والمؤن والذخائر الآتية لهم من أوروبا وفي أثناء ذلك أمكن الروس اتمام تحصين مدينة سباستوبول براً وبحراً بكيفية جعلت الاستيلاء عليها من المستحيلات بهمة القائد الشهير (تودلبن) «١٤٣»

وفي ٢٩ سبتمبر سنة ١٨٥٤ توفي المارشال دي سانت ارنو قائد عموم الجيوش الفرنساوية وأخلفه الجنرال (كانروبر) «١٤٤» وكان موته بسبب الحميات التي تفشت في الجيوش ونقلت جثته على السفينة الحربية التي أقلته عند مجيئه من فرنسا الى الاستانة حيث كانت امرأته بانتظاره فاجريت له التعظيمات العسكرية اللائقة برتبته ومنها الى مرسيليا فباريس ودفن في سراي (الانفاليد) «١٤٥»

وفي يوم ١٦ اكتوبر من السنة المذكورة قررت الحكومة الفرنساوية اعطاء امرأته بصفة استثنائية مبلغ ٣٠ ألف فرنك سنوياً معاشاً لها

وفي ١٠ اكتوبر ابتدئ اطلاق النار على سباستوبول

«١٤٣» قائد روسي ولد سنة ١٨١٨ وتعلم الفنون الحربية في مدرسة أركان حرب وابتدأت شهرته في بلاد القافقاس سنة ١٨٤٨ وازدادت في اقامة الحصون والاستحكامات حول سباستوبول تحت نيران الاعداء وفي سنة ١٨٧٧ ولي ادارة حصار بلفنه ففتحها كاستري وتوفي سنة ١٨٨٤

«١٤٤» ولد هذا القائد الشهير في سنة ١٨٠٩ ودرس الفنون الحربية في مدرسة سان سير وترقى منها الى رتبة ملازم ثاني وفي يناير سنة ١٨٥٠ ترقى الى رتبة لواء وفي سنة ١٨٥٣ أعطيت اليه رتبة فريق وفي ١٨ مارث سنة ١٨٥٦ ترقى الى رتبة مشير «مارشال» واشترك في حرب ايطاليا سنة ١٨٥٩ وأخذ أسيراً في ألمانيا مع المارشال بازين وبعد انتهاء الحرب اشتغل بالسياسة تو فاءً مع حزب البونابرتيين ولم يزل عائشاً الى الآن

«١٤٥» تأسست هذه السراي سنة ١٦٧٠ في عهد الملك لويز الرابع عشر لتكون ملجأ لمن يصاب بعاهات دائمية من الجند أثناء الحرب تمنعه من القيام بالخدمة وكان تأسيسها عن طلب الوزير لوقوا ودفنت بها جثة نابوليون الاول حينما نقلت في سنة ١٨٤٠ من جزيرة سانت هيلانه التي توفي بها

وفى ١٧ منه هوجمت بكل شـدة بدون جدوى اذ تقهقرت الجيوش المتحالفة أمام العـدو وخرج خلفهم الجنرال (لبراندى) قاصدا مدينة بكلاوا وارتد على أعقابه بعـد موقعة هائلة حصلت فى ٢٥ منه

وفى ٥ نوفمبر خرج الروس من قلاعهم وهاجموا الجيش الانكليزى على مرتفـعات (انكرمان) وكان الانكليز لا يتجاوز عددهم عشر الروس لكنهم ثبتوا حتى أسعفهم الفرنساويون والعثمانيون بالنجدة فعاد الروس بخفى حنين وهذه الموقعة شهيرة فى التاريخ الحربى لما أتاه خيالة الانكليز ومشاتهم من الثبات وقوة الجأش

وبعد ذلك أوقف القتال بسبب دخول البرد وانتشار الامراض فى الجيوش المحاصرة واستمرت أعمال الحصار والدفاع حول مدينة سباستوبول وداخلها

وفى هـذه السـنة أرسلت فرنسا وانكلترا دوناغاتها الى بحر بلطيق والبحر الابيض الشمـالى والاقيانوس والباسـيفيكى لضرب الثغور الروسـية لكن لم تعـد هذه الارساليات البحـرية بفوائد تعادل مصاريفها فقط اسـتولى الامـيرال (نابير) الانكليزى على جزيرة (رومرسند) فى بحر بلطيق بمساعدة القائد الفرنساوى براجى دبليه وأسر حاميتها

وفى أواخر هذه السنة دارت المخابرات ثانية فى مدينة ويانة للوصول الى الصلح وايقاف اضرار الحرب قبل اشـتدادها وذلك ان فرنسا وانكلترا عرضـتا على النمسا ان تتحد معهـما ضد الروسيا بمعنى انها تتعهد بحماية ولايتى الافلاق والبغدان ضد الروسـيا وانه لا يجوز لاحدى الدول الثلاث المخابرة مع الروسيا الا باطلاع حليفتيها الاخيرتين وان فرنسا وانكلترا يساعـدان النمسا بالقوة لو أعلنت الحرب بينها وبين الروسـيا بسبب هذه المعاهدة

فقبلت النمسا هذه الاقتراحات مبدأ وعرضتها على ملك بروسيا اتباعا الشروط الوفاق الذى عقـد بينهـما فى برلين وسـبق ذكره فى موضـعه فلم يقبلها فريدريك غيليوم بل ألح على فرنسا وجوزيف برفضها لكن لم يصغ هـذا الاخير لالحاحه بل صـدق عليها نهائيا فى ٢ دسمبر سـنة ١٨٥٤ وأعلن البرنس (غورتشاكوف) الذى خلف المسيو (مياندورف) فى سفارة الروسـيا بمدينة ويانة انه ان لم تقبل الروسـيا

الصلح

الصلح قبل ختام السنة وتتعهد الدول الاربع بطلباتها وهى

﴿أولا﴾ عدم استئثار الروسيا بحماية مسيحى الدولة العلية وحماية ولايتى الافلاق والبغدان

﴿ثانيا﴾ حرية الملاحة لجميع الدول فى نهر الطونة

﴿ثالثا﴾ تعديل المعاهدات المختصة بالمرور فى بوغازات الاستانة وخصوصا معاهدة سنة ١٨٤١

﴿رابعا﴾ وضع قاعدة جديدة لتوازن القوى فى البحر الاسود فتكون هذه المعاهدة الثلاثية الجديدة نافذة المفعول فاظهر البرنس غورتشاكوف ارتياحه لاجابة هذه الطلبات غير انه اعتذر بعدم وجود تعليمات لديه تبيح له التصديق عليها وطلب مهلة قليلة لتبليغ صورة هذه الطلبات لدولته وطلب تعليمات جديدة منها ثم فى ٢٨ دسمبر اجتمع سفراء انكلترا وفرنسا والروسيا والنمسا عند دوزير خارجية ويانه وقرروا اعطاءه المهلة المطلوبة وبذلك انتهت هذه السنة والآمال متجهة نحو الوصول الى صلح عمومى يكون وراءه حقن دماء العباد واستمرت الاستعدادات حول سباستوبول وداخلها مدة الشتاء وفى ١٧ فبراير سنة ١٨٥٥ هاجم الروس العثمانيين ومن كان معهم من الجنود المصرية التى ارسلت من مصر للمساعدة وقت الحرب طبقا للفرمانات فى مدينة اوپاتوريا فردهم عمر باشا القائد العثمانى على أعقابهم بعد ان قتل منهم عددا عظيما وقتل فى هذا اليوم سليمان باشا قائد الفرقة المصرية وعما جعل لهذه الواقعة تأثيرا شديدا على الامبراطور نقولا ان الجيوش الاوروبية لم تساعد العثمانيين فيها بل كان النصر بمجرد فضل الجيوش الاسلامية التى كثيرا ما فازت على الروس وغيرهم بالغلبة ويقال ان ما أصاب الامبراطور الروسى من الكدر عقب هذه الكسرة كان من أكبر دواعى المرض الذى أصابه فى ٢٨ فبراير من السنة المذكورة فلم يمهله الا ثلاث ليال وألحقه برمسه فى صبيحة ٢ مارث عن تسع وخمسين سنة بعد ان حكم الروسيا وملحقاتها ثلاثين سنة وخلفه على سرير الملك ابنه اسكندر الثانى ﴿١٤٦﴾

﴿١٤٦﴾ ولد هذا الامبراطور سنة ١٨١٨ وتولى الملك فى ٢ مارث سنة ١٨٥٥ بعد موت أبيه

هـذا وفى ٢٦ ينايرسنة ١٨٥٥ امضى فكتورامانويل «١٤٧» ملك البيمونتى بايطاليا بمساعى وزيره الشهير المسيو دى كافور «١٤٨» معاهدة هجومية ودفاعية ضد الروسية وأرسلت الى بلاد القرم جيشا مؤلفا من ثمانية عشر ألف مقاتل تحت امرة الجنرال (لامارمورا) للاشتراك فى فتح قلعة سباستوبول واذلال الروسية واستمرت المناوشات بدون كثير فائدة لاحد الطرفين ثم حصل خلاف بين اللورد (رجلان) القائد العام الانكليزى والجنرال (كانروبر) القائد العام الفرنساوى أفضت الى تنازل القائد الفرنساوى فى ١٠ مايوسنة ١٨٥٥ عن القيادة العامة واكتفائه بقيادة فرقة ونيطت قيادة الجيش الفرنساوى الى الجنرال بليسيه الذى اشتهر فى الجزائر بمعاملة المسلمين بكل شدة وتوحش وهو بعد قليل اتفق مع اللورد رجلان واحتلوا مدينة (كريش) وبوغاز يريكوب وبحر آزاق ليمنعوا وصول المدد

الامبراطور نقولا فتمم حرب القرم وأمضى معاهدة باريس فى ٣٠ مارث سنة ١٨٥٦ ثم أخذ فى اصلاح الشؤون الداخلية والاستعداد للاخذ بالثار فجعل التعليم والخدمة العسكرية اجبارية وفى سنة ١٨٦١ أصدر أمرا بعدم استرقاق المزارعين وتمليكهم منفعة الاراضى التى يزرعونها مقابل دفع جعل معين لملاكها الاصليين وأجاز لهم شراء العين وباع اقليم الاسكا بامريكا الى حكومة الولايات المتحدة بخمسة وثلاثين مليون فرنك ليتفرغ لبلاده وفتح مدينة سمرقند واخضع امارات خيوه وبخارة وخوقند وغيرها من بلاد آسيا وفى سنة ١٨٦٣ سلب امتيازات بولونيا وفى سنة ١٨٧٦ ساعد الصرب على محاربة الدولة العلية ثم أعلن الحرب عليها وبعد عدة انتصارات أمضى معها معاهدة برلين فى ١٣ يوليه سنة ١٨٧٨ لكن رغما عن اصلاحاته العديدة امتدت فروع حزب النهلست فى أيامه وسعوا فى قتله مرارا وقتلوه أخيرا فى ١٣ مارث سنة ١٨٨١ وخلفه ابنه اسكندر الثالث الموجود الآن

«١٤٧» هو محرر ايطاليا من ربقة الاجانب وموجد وحدتها ولد سنة ١٨٢٠ وعين ملكا بعد استقالة والده شارل البرت عقب انهزامه أمام جيوش النمسا فى ٢٣ مارث سنة ١٨٤٩ ومن ثم اتحد مع وزيره الاول المسيو دى كافور لضم شتات ايطاليا فاتحد مع نابوليون الثالث وحارب النمسا وأخذ منها اقليم لومبارديا ثم انضم اليها أغلب ولايات ايطاليا الوسطى ولم تأت سنة ١٨٦٦ الا وانضمت جميع أجزاء ايطاليا ماعدا مدينة رومه وفى سبتمبر سنة ١٨٧٠ دخلها الايطاليون وبذلك تمت وحدتها وصارت رومه عاصمة لها وتنازل لفرنسا عن مدينة نيس وولاية سافوا نظير مساعدتها له وتوفى سنة ١٨٧٨

«١٤٨» هو السياسى الشهير الذى له اليد الطولى فى توحيد ايطاليا واليه يرجع معظم الفخر فى جمع شتاتها ولد سنة ١٨١٠ بمدينة تورينو بايطاليا وخدم أولا فى العسكرية ثم تركها واشتغل بالعلوم السياسية والاقتصادية حتى عين وزيرا للتجارة سنة ١٨٤٩ وأضيفت الى عهدته وزارة المالية أيضا فى سنة ١٨٥١ وفى السنة التالية صار رئيسا لمجلس الوزراء وتوفى فى ٦ يونيو سنة ١٨٦١ قبل ان يرى نتيجة أعماله وقبل وفاته زاره الملك فكتورامانويل فاوصاه باحتلال رومه مع عدم مس استقلال البابا فيما يختص بالامور الدينية

الى سباستو بول ومن ذلك الحين أيقن الجميع بقرب سقوط سباستو بول ففى ٧ يونيو سقطت القلعة المعروفة بالقمة الخضراء (ماملون فير) وفى ١٨ منه هاجم الفرنساويون حصن (ملاكوف) وعادوا بدون ان يتمكنوا من الاستيلاء عليه بعد ان توفى كثير منهم وكذلك لم يفلح الانكليز فى هجومهم فى اليوم المذكور على قلعة (جران ريدان) وبعد هذه الخيبة بعشرة أيام توفى اللورد رجلان بالكوليرا وشيعت جنازته باحتفال زائد وأرسلت جثته لتدفن ببلاده بما يليق لها من التجلية والاكرام وخلفه فى القيادة العامة على الجيوش الانكليزية الجنرال جمس سمبسون وفى ١٦ اغسطس انتصر المتحدون فى واقعة (تراكيتو) وفى يوم ١٧ منه ابتدأ الطلاق المدافع على حصن ملاكوف بدون انقطاع تقريبا الى ظهر ٨ سبتمبر وفى اليوم المذكور احتل الجنرال (مالث ماهون) «١٤٩» الفرنساوى القلعة المذكورة بعد ان دافع عنها الروس دفاع الابطال واحتل الانكليز قلعة جران ريدان ثم التزموا باخلائها بعد نسفها بالبارود لعدم امكانهم البقاء فيها لانهيال المقذوفات الروسية عليهم انهيال الامطار وفى مساء هذا اليوم المشهود أخلى الروس مدينة سباستو بول بعد ان أحرقوها عن آخرها وفى يوم ٩ منه احتلتها الجيوش المتحدة أوشارفوا أن يحتلوا اطلالها

وبعد ذلك سارت الجيوش المتحدة نحو مدينة (قلبرون) فاحتلتها فى ١٤ اكتوبر وفى اليوم التالى هدم الروس قلاع مدينة أوتشاكوف وأدخلوها قاصدين داخلية البلاد ولولا ابتداء فصل الشتاء الذى يأتى مبكرا بهذه البلاد لما وجدت الروسيا من الجيوش ما يكفى لايقاف أعدائها عن مدينة (كيف) المقدسة لديهم

هذا وفى أثناء سنة ١٨٥٥ أطلقت دوناغات فرنسا وانكلترا قنابلها على

«١٤٩» ولد هذا القائد الشهير سنه ١٨٠٨ وتخرج فى مدرسة سان سير الحربية وترقى الى رتبة ملازم ثانى سنة ١٨٢٧ ثم ترقى تدريجيا الى ان وصل الى رتبة فريق سنة ١٨٥٢ وفى سنة ١٨٥٩ أنعم عليه برتبة مارشال «مشير» واليه يرجع معظم الفخر الذى حازته فرنسا فى موقعة «ماجنتا» بايطاليا فى ٤ يونيو سنة ١٨٥٩ ولذلك منحه نابوليون الثالث لقب «دولدى ماجنتا» وفى ٢٤ مايو سنة ١٨٧٣ انتخب رئيسا للجمهورية الفرنساوية عقب استقالة المسيو «تيرس» وفى ٣٠ يناير سنة ١٨٧٩ قدم استعفاءه الى مجلس النواب لظروف ومناسبات سياسية وبقى معتزلا الاعمال الى ان توفى فى ١٧ اكتوبر سنة ١٨٩٣

عدة ثغور فى بحر بالطيق وعطلت التجارة الروسية بالمرة وكذلك حاصرت مدخل البحر الابيض الشمالى ومنعت المراكب التجارية من الدخول فيه بالكلية وفى المحيط الباسفيكى احتلت الجيوش المتحدة مينا (بتروباولوسك) الشهيرة التى ستكون فى المستقبل من أهم ثغور العالم بعد امتداد الخط الحديدى المشروع فى مده فى أراضى سيبريا لتوصيلها باوروبا ولم يكن للروسيا اوان عن جميع هذه المصائب المتوالية الا استيلاؤها على قلعة قارص المقاومة الواقعة على حدود آسيا الصغرى فى ٢٨ نوفمبر سنة ١٨٥٥

وبعد ذلك لم تحصل وقائع حربية مهمة بل دخلت المسئلة فى دور سياسى لتحقق اسكندر الثانى عدم الفوز خصوصا وان النمسا قد أظهرت له العداوة جهارا بعد سقوط سباستوبول وانضمت مملكة السويد الى التحالف الاوروبى ضدها

وبيان ذلك ان البرنس غورتشاكوف السفير الروسى بويانه أتته تعليمات فى أواخر سنة ١٨٥٤ تجيز له المخابرة وجعل أساسها الطلبات الدولية الاربع التى سبق ذكرها فقبلت الدول مع حفظ الحرية لها فى الاعمال الحربية وانعقد مؤتمر جديد فى ويانه فى شهر فبراير سنة ١٨٥٥ حضره اللورد (رسل) من قبل انكلترا والمسيو دروان دى لويس «١٤٩» من قبل فرنسا والبرنس غورتشاكوف عن الروسيا والكونت (دى بول) عن النمسا والوزير عالى باشا عن الدولة العثمانية وبعد عدة اجتماعات متوالية انفض المؤتمر على ان لا شئ لان المندوبين الفرنساوى والانكليزى طلبا زيادة على الطلبات الاربعة الاصلية ان يكون البحر الاسود حرا لجميع الدول وأن لا يكون للروسيا فيه سوى ثمان مراكب حربية فقط فلم يمكن البرنس غورتشاكوف التصديق على ذلك تمسكا بالاوامر المرسلة اليه ولمناسبة اشتغال الروسيا بمحاصرة

«١٥٠» سياسى فرنساوى ولد بباريس سنة ١٨٠٥ وتربى بمدرسة لويز الكبير ولما أتم دروسه بها دخل فى الوظائف السياسية وفى سنة ١٨٤٩ عين سفيرا بلوندره وفى أثناء حكومة نابوليون الثالث عين ناظرا للخارجية مرتين الاولى من سنة ١٨٥٢ الى سنة ١٨٥٥ واستعفى لعدم موافقته على حرب القرم لتحققه انها فى صالح الانكليز ولم يعد منها على فرنسا أقل فائدة والثانية من سنة ١٨٦٢ الى سنة ١٨٦٦ واستقال أيضا لرغبته تداخل فرنسا عسكريا بين النمسا والبروسيا حتى لا تفوز البروسيا بالسيادة على جميع امارات المانيا واخراج النمسا من التحالف الالمانى وعدم موافقة الامبراطور له وتوفى سنة ١٨٨٠

سباستو بول واشتداد الحروب حولها من جهة وحصولها على بعض انتصارات جزئية على أعدائها أبطأت فى ارسال التعليمات الجديدة اليه طمعا فى تغير الاحوال وتحسنها افترفض طلبات الدول بقلب قوى لكن خاب ظنها فسقطت سباستو بول فى ٩ سبتمبر سنة ١٨٥٥ وبذا تظاهرت باقى الدول ضدها خصوصا مملكة السويد التى كانت تستعمل معها الروسيا طرق التهديد والوعيد للحصول على بعض امتيازات تختص بالصيد على شواطئ النرويج فأبرمت مع فرنسا وانكلترا معاهدة هجومية ودفاعية ضد الروسيا فى ٣٠ نوفمبر سنة ١٨٥٥ وأعلنتها رسميا لجميع الدول وبذلك تحققت الروسيا انه صار من المستحيل عليها الانتصار على جميع هذه القوى المتألبة ضدها ومالت الى السلم قلبا وقالبا منتظرة أقل مفاتحة من الدول الغربية فتلبيها بالقبول

﴿معاهدة باريس﴾

وفى أواخر سنة ١٨٥٥ عرضت النمسا على جميع الدول المتحدة بلسان أكبر وزرائها الكونت دى بوول ان يرسل الى الروسيا بلاغ نهائيا بطلبات الدول الاصلية مع ماسبق عرضه من الاقتراحات أثناء المؤتمر الذى انعقد أخيرا بمدينة ويانة فى مارث وابريل سنة ١٨٥٥ وان لم تجب الروسيا جميع هذه الاقتراحات يستأنف القتال فى ربيع سنة ١٨٥٦ بكل شدة وصرامة وتنضم الى الجيوش المحاربة جيوش النمسا ومملكة السويد والنرويج

فأقرت الدول على ذلك وقبلت الروسيا هذه الاقتراحات الاكثر تأثيرا على نفوذها مما رفضته فى السابق وبعد مخابرات طويلة تم الاتفاق على ان ينعقد مؤتمر سلم جديد فى مدينة باريس لتقرير السلم نهائيا وأمضى بذلك اتفاق فى مدينة ويانة بتاريخ أول فبراير سنة ١٨٥٦ وانعقد هذا المؤتمر فعلا فى باريس فى يوم ٢٥ فبراير المذكور والايام التالية واختار لرياسته الكونت (ولوسكى) ﴿١٥٠﴾ وزير خارجية فرنسا وتوالت اجتماعات هذا المؤتمر الى ٣٠ مارث سنة ١٨٥٦ وفيه أمضيت جميع بنود

﴿١٥١﴾ سياسى فرنساوى ولد سنة ١٨١٠ ودخل الجيش الفرنساوى بعد سنة ١٨٣٠ ثم اشتغل بالسياسة سنة ١٨٤٠ وعين سفيرا بلوندره سنة ١٨٥٤ ثم وزيرا للخارجية فى السنة التالية واستمر بها خمس سنين وفى سنة ١٨٦٠ عين وزيرا للمدافعة عن مشروعات الحكومة أمام المجالس النيابية وفى سنة ١٨٦٥ عين رئيسا لمجلس شورى القوانين وتوفى سنة ١٨٦٨

معاهدة باريس الشهيرة التى أوصلت نابوليون الثالث الى أوج فخاره وأعادت لفرنسا سابق مجدها اذ أنهم لم تشترك فى مثل هذه الحرب من عهد نابوليون الاول وحفظت للدولة العلية أملاكها من غوائل الروسيا

واليك نص المعاهدة حرفيا نقلا عن الجزء الخامس من كنز الرغائب فى منتخبات الجوائب

﴿معاهدة ٣٠ مارث سنة ١٨٥٦ وهى التى انعقدت فى باريس بعد حرب القريم﴾

﴿بسم الله القادر على كل شئ﴾

ان امبراطور الفرنسيس وملكة المملكة المتحدة من بريتانيا العظمى وارلاندا وامبراطور جميع الروسيا وملك سردينية وسلطان البلاد العثمانية لرغبتهم فى انهاء غوائل الحرب وتلافى ما نشأ عنها من الصروف والمكاره قرر رأيهم على ان يتفقوا مع امبراطور اوستريا بمقتضى قواعد مقررة على استتباب الصلح وتوطيده وتعهدوا جميعا باستقلال السلطنة العثمانية وابقائها تامة ولهذا القصد نصب المشار اليهم نوابا عنهم مطلق التصرف فكان من طرف امبراطور الفرنسيس موسيو الكسندر كونت كولونا ولوسكى وموسيو فرنسوى اودلف بارون دبورغينى ومن طرف امبراطور اوستريا موسيو شارلس فرديناند كونت دبواشونستان وموسيو يوسف الكسندر بارون دهبنر ومن طرف ملكة المملكة المتحدة من بريتانيا الكبرى وارلاندا الاكرم جورج وليام فسريد ريك كونت كلارندون وبارون هيدد هندون والاكرم هنرى رشارد شارلس بارون كولى ومن طرف امبراطور جميع الروسيا موسيو الكسيس كونت ارلف وموسيو فليب بارون برونو ومن طرف ملك سردينية موسيو كاملى بنسو ركونت كافور وموسيو صلفاطور مركيز فيلا مارينا ومن طرف سلطان الدولة العثمانية محمد أمين عالى باشا الصدر الاعظم فى السلطنة العثمانية ومحمد جميل بك متسما بالنيشان المجيدى السلطانى من ثانى طبقة فاجتمع هؤلاء النواب المفوض اليهم ابرام الصلح تفويضا تاما فى مجلس باريس وبعد ان وقع الاتفاق

منهم على هذا المقصد الجيد أى امبراطور الفرنسيس وامبراطور اوستريا وملكة المملكة المتحدة من بريتانيا الكبرى وارلاندا وامبراطور جميع الروسيا وملك سردينية وسلطان الدولة العثمانية ان فى المصلحة التى يؤول نفعها الى أوروپا ينبغى أن يدعى ملك بروسيا الذى وقع على معاهدة سنة ١٨٤١ الى الاشتراك معهم فى هذا التنظيم الجديد ولعلمهم بما يحصل من ذلك من زيادة الفائدة لتقوية هذا السعى الخيرى طلبوا منه أن يرسل من قبله نوابا يفوض اليهم مطلق التصرف فى المجلس المذكور فمن ثم ورد من طرفه موسيو اوتون تيودور بارون مانتفيل وموسيو مكسميليان فريدريك شارلس فرنسوى كونت هترفلدت ولدنبرغ شونستان ثم بعد ان أبرزوا ما بأيديهم من المحررات المؤذنة بتفويضهم ووجدت صحيحة اتفقوا على هذه المواد الآتية

﴿المادة ١﴾ من يوم تاريخ الامضاء بقبول هذه المعاهدة الحاضرة يكون صلح ومودة بين كل من امبراطور الفرنسيس وملكة المملكة المتحدة من بريتانيا الكبرى وارلاندا وملك سردينية وسلطان الدولة العثمانية من جهة ومن امبراطور جميع الروسيا من جهة أخرى وكذا بين ورثتهم وخلفائهم ودولهم ورعاياهم على الدوام

﴿المادة ٢﴾ حيث قد حصل الفوز والمرام باستتباب الصلح بين المشار اليهم ينبغى أن تخلى البلاد التى فتحت فى مدة الحرب أو التى تبوأ عساكرهم وذلك من كلا الطرفين ويجرى له ترتيب مخصوص فى أسرع وقت

﴿المادة ٣﴾ قد تعهد امبراطور جميع الروسيا بان يرد لسلطان الدولة العثمانية مدينة قارص وقلعتها وكذا سائر المواضع التى استولت عليها عساكر الروسيا وهى من ملحقات بلاد الدولة العثمانية

﴿المادة ٤﴾ قد تعهد امبراطور الفرنسيس وملكة بريتانيا العظمى وارلاندا وملك سردينية وسلطان الدولة العثمانية بان يردوا الى امبراطور جميع الروسيا مدائن سيفاستبول وبالقلافة وقاميش وبوبانورية وقرطش ويكى قلعه وكنبرون مع مراسيها وكذا سائر المواضع التى تبوأتها عساكر الدول المتفقة

﴿المادة ٥﴾ يصدر عفو تام واف من طرف امبراطور الفرنسيس وملكة بريتانيا العظمى وارلاندا ومن امبراطور جميع الروسيا وسلطان الدولة العثمانية لجميع الذين تصدوا من رعاياهم للاشتراك فى وقائع الحرب والتحزب مع العدو ومفهوم ذلك يشمل بالنص الصريح أى حزب كان من رعاياهم ممن حارب واستمر مدة الحرب فى خدمة المحارب

﴿المادة ٦﴾ يرد من أخذ أسيرا فى الحرب من كلا الطرفين على الفور

﴿المادة ٧﴾ قد صدر اعلان وتصريح من لدن امبراطور الفرنسيس وامبراطور اوستريا وملكة بريتانيا العظمى وارلاندا وملك بروسيا وامبراطور جميع الروسيا وملك سردينية بان للباب العالى اشتراكا فى فوائد الحقوق الاوروباوية العامة وفى منافع اتفاق أوروبا وقد تعهدوا بان يحترموا استقلال السلطنة التركية وابقاها تامة وتكفلوا جميعا بالمحافظة على هذا التعهد وكل أمر يفضى الى الاخلال بذلك يعتبرونه من المسائل التى ينبنى عليها مصلحة عامة

﴿المادة ٨﴾ اذا حدث بين الباب العالى واحدى الدول المتعاهدة خلاف خيف منه على اختلال الفتهم وقطع صلتهم فمن قبل ان يعمد الباب العالى وتلك الدولة المنازعة له الى اعمال القوة والجبر يقيمان الدول الاخرى الداخلة فى المعاهدة وسطاء بينهما منعا لما يتأتى عن ذلك الخلاف من الضرر

﴿المادة ٩﴾ سلطان الدولة العثمانية لعنايته بخير رعاياه جميعا قد تفضل باصدار منشور غايته اصلاح ذات بينهم وتحسين أحوالهم بقطع النظر عن اختلافهم فى الاديان والجنس وأخذ فى ذمته مقصده الخيرى نحو النصارى القاطنين فى بلاده وحيث كان من رغبته ان يبدى الان شهادة جديدة على نيته فى ذلك عزم على ان يطالع الدول المتعاهدة بذلك المنشور الصادر عن طيب نفس منه فتتلقى الدول المشار اليها هذه المطالعة بتأكيد ما لها من النفع والفائدة ولكن المفهوم منها صريحا انها لا توجب حقا لهذه الدول فى أى حال كان على ان تتعرض كلا أو بعضا لما يتعلق بالسلطان ورعاياه أو بادارة سلطنته الداخلية

﴿المادة ١٠﴾ الاتفاق الذى جرى فى الثالث عشر من جولاى (تموز) سنة ١٨٤١

وهو الذي تقرر فيه ما للسلطنة العثمانية من الترتيب القديم بخصوص سد البوغاز ومضيق جناق قلعه قد أعيد الآن النظر فيه بمواطاة الجميع وماجرى من الحكم به لهذه الغاية على مقتضى الاصول مابين أهل المعاهدة يلحق الآن بهذه المعاهدة الحاضرة ويبقى معمولا به كأنه من متمماتها

﴿المادة ١١﴾ البحر الاسود يكون على الحيادة (وفى الاصل نوتر) ومباحا للتجارة جميع الامم ويمنع ماؤه ومراسيه منعا دائما عن السفن الحربية سواء كانت للدول التى لها تملك فى شاطئ النهر أو لغيرها ماعدا ما استثنى ذكره فى المادتين الرابعة عشرة والتاسعة عشرة من هذه المعاهدة

﴿المادة ١٢﴾ التجارة فى مراسى البحر الاسود ومياهه مطلقة عن كل مانع فلا تكون عرضة لشئ سوى للتنظيمات المختصة بالصحة ورسوم الكمارك والشرطة أعنى الضبطية ويكون اجراؤه على وجه يفيد التجارة تسهيلا واتساعا ومن أجل تأمين المصالح المتجرية والبحرية التى يديرها جميع الناس ترخص الروسية والباب العالى فى نصب قناصل فى مراسيهم الكائنة على سواحل البحر المذكور على ماتقتضيه الحقوق المتداولة بين الامم

﴿المادة ١٣﴾ حيث قد تقرر فى المادة الحادية عشرة ان البحر الاسود يكون على الحيادة لم يبق لزوم ولا غرض لانشاء مسافن (أى ترسانات) بحرية حربية ولا لابقائها فمن ثم تعهد امبراطور جميع الروسيا وسلطان الدولة العثمانية بأن لا ينشئا ولا يبقيا شيأ من هذه المسافن فى ذلك الساحل

﴿المادة ١٤﴾ قد اتفق امبراطور جميع الروسيا وسلطان الدولة العثمانية على تعيين عدد السفائن الخفيفة اللازم ابقاؤها فى البحر الاسود لمصالح تلك السواحل فمن ثم ينبغى ان يكون هذا الاتفاق ملحقا بهذه المعاهدة الحاضرة ويكون معمولا بصحته كأنه من مكملاتها فلا يلغى ولا يغير مالم يقع عليه رضا الدول الموقعة على هذه المعاهدة

﴿المادة ١٥﴾ من حيث قد تقرر فى الشروط التى جرت فى مجلس ويانه أصول وقواعد تختص بالسفر فى الانهار الفاصلة بين عدة ممالك أو المارة فيها اتفقت الآن

الدول المتعاهدة على ان تكون هذه الاصول جارية أيضا في المستقبل على نهر الدانوب (الطونه) وفوهاته من دون فرق ورسمت بان هذا الشرط يعد من الآن فصاعدا من الحقوق العمومية لاهل أوروپا واتخذته تحت كفالتها ولا ينبغي أن يكون السفر في النهر المذكور عرضة لمانع ما ولا لتأدية ضريبة غير مقررة في الشروط المقيدة في المواد الآتية فمن ثم لا يوجب جعل على مجرد السفر في النهر ولا ضريبة على الامتعة التجارية التي تكون في السفن أما ترتيب الشرطة والكورنتينة الذي يراد انشاؤه لاجل تأمين البلاد التي يفصلها هذا النهر أو يخترقها فيكون اجراؤه على وجه يفيد المراكب سهولة في السفر على قدر الامكان وما عدا هذا الترتيب فلا يحدث شيء من الموانع للسفر مطلقا أيا كان

﴿المادة ١٦﴾ من أجل تحقيق الشروط المذكورة في المادة المتقدمة تعقد مأمورية نواب من طرف فرنسا واوستريا وبريتانيا العظمى وبروسيا والروسيا وسردينيا والبلاد العثمانية من كل واحد ويحال على عهدتهم أن يرسموا ويجروا الاعمال اللازمة لازالة الموانع والعوائق من فوهات الطونه ابتداء من استشا وكذا من أماكن البحر المجاورة التي فيها الرمل وغيره والمقصود بذلك جعل هذه المواضع في كل من النهر والبحر صالحة للسفر وخالية عن كل ما يعوقه على قدر الطاقة والامكان ومن أجل استيفاء المصاريف التي تقتضيها هذه الاعمال وانشاء ما يلزم انشاؤه لتيسير السفر وتأمينه عند فوهات الطونه يرسم أهل المأمورية بحسب أكثرية أصواتهم بنحو ضريبة معلومة وجعل موافق وذلك بشرط ان تعامل جميع مراكب الاجيال بالتسوية وهذا الاصل يجري في هذا المقصد كما في غيره

﴿المادة ١٧﴾ تعقد مأمورية من نواب اوستريا وبافاريا والباب العالي وورتمبرغ من كل واحد وينضم اليها أهل مأمورية أقاليم الطونه الثلاثة التي يكون نصبها باستصواب الباب العالي وهذه المأمورية تكون راهنة دائمة ويختص بها (أولا) أن تجري التنظيم اللازم لسفر النهر وللشرطة (ثانيا) أن تزيل الدواعي المانعة من اجراء الشروط التي تقررت في معاهدة ويانه على الطونه (ثالثا) أن ترسم وتجري الاعمال اللازمة في جميع مجاري النهر (رابعا) أن تحافظ بعد انقضاء مدة المأمورية

الاوروباوية

الاوروپاويةعلى وقاية المراكب وتيسير سفرها فى فوهات الطونه وفى غير ذلك من الاماكن المجاورة له من البحر

﴿المادة ١٨﴾ قد صار من المعلوم ان المأمورية الاوروپاوية توفى عملها وان المأمورية الساحلية تتم الاعمال المقررة فى المادة المتقدمة فى القسمين الاول والثانى فى مدة عامين وبعد اطلاع الدول المتعاهدة على ذلك تجرى فيه مذاكرتهم جميعا حتى اذا دونت لديها ما جرى تحكم بالغاء المأمورية الاولى ومن ذلك الوقت فما بعده يكون للمأمورية الساحلية الراهنة ما كان للمأمورية الاوروپاوية من القدرة والتفويض

﴿المادة ١٩﴾ من أجل توكيد اجراء التنظيمات التى يرسم بها باتفاق واحد على موجب الاصول المشروحة آنفا يكون لكل من الدول المتعاهدة حق فى أن ترسى دائما فى فوهات الطونه سفينتين خفيفتين

﴿المادة ٢٠﴾ فى مقايضة المدن والمراسى والاراضى على ما ذكر فى المادة الرابعة من هذه المعاهدة الحاضرة رضى امبراطور جميع الروسيا لاجل زيادة التأمين على الحرية فى سفر الطونه بتعديل تخم بلاده فى بسارابيه فيكون هذا التخم الجديد من البحر الاسود على كيلومتر واحد من شرقى بحيرة برناسولا ويتصل بطريق اكرمان الى وادى طراجان ويجاوز جنوب بلغراد ويستمر فى طول مسافة نهر الفلبوق الى علو سارتسيكا ويتصل بكاتاموري على بروت وعند الوصول الى هذا الحد لا يحدث تغيير على التخم القديم بين السلطنتين وتعيين رسم هذا التخم الجديد يكون بمعرفة نواب من طرف الدول المتعاهدة

﴿المادة ٢١﴾ الارض التى تخلت عنها الروسية تكون ملحقة بولاية ملدافيا (الافلاق) تحت سيادة الباب العالى ولسكان تلك الارض ان يتمتعوا بالحقوق والخصائص الممنوحة للولايات ويرخص لهم فى مدة ثلاث سنين فى نقل مواطنهم والتصرف فى أملاكهم بلا مانع

﴿المادة ٢٢﴾ ولايتا والاخيا وملدافيا أى الافلاق والبغدان تبقيان متمتعتين تحت رئاسة الباب العالى وكفالة الدول المتعاهدة بالامتيازات والاعفاآت الحاصلة

لهم الآن فلا مقتضى لان تحميهم الدول المكافلة بحماية مخصوصة ولا يكون حق مخصوص للتعرض فى أمورهم الداخلية

﴿المادة ٢٣﴾ الباب العالى متعهد بان يحفظ لهاتين الولايتين ادارة أهلية مستقلة ويبقى لهم الحرية فى التدين والاحكام الشرعية والمتجر وسفر البحر والانهار وماعندهم الآن من القوانين والاحكام معمولا به ينظر فيه ولهذه الغاية تجرد مأمورية مخصوصة يكون تألفها باطلاع الدول المتعاهدة واتفاقهم وتجتمع من غير ابطاء فى بخارست (بكرش) مع مأمورية الباب العالى ويكون من هم هذه المأمورية البحث عن أحوال الولايتين وعرض القواعد اللازمة للتنظيم فى المستقبل

﴿المادة ٢٤﴾ سلطان الدولة العثمانية وعد بان يعقد فى الحال فى كل من الولايتين المذكورتين ديوانا مخصوصا ويكون تأليفه مبنيا على توكيد مافيه ايصال النفع والخير لجميع الناس على اختلاف درجاتهم ويطلب من كل من هذين الديوانين ان يبين مقاصد الاهلين واستدعاهم فى شأن ترتيب الولايتين ونسبة تلك المأمورية الى هذين الديوانين تقرر فى مجلس باريس

﴿المادة ٢٥﴾ بعد ان تعتبر الآراء التى يبديها الديوانان تنهى المأمورية الى مجلس المذاكرة ماباشرته هى من العمل وذلك من دون امهال ولا اهمال ويقرر المقصد الاخير مع الدولة السائدة ويحصل الاتفاق عليه فى باريس بين الدول المتعاهدة وبموجب خط شريف مطابق لشروط هذه المعاهدة يجرى تنظيم أحوال هاتين الولايتين فتجعل من الآن فصاعدا تحت كفالة جميع الدول الموقعة على هذه الشروط

﴿المادة ٢٦﴾ قد قر الرأى على ان يكون فى الولايتين المذكورتين عسكر أهلى يرتب لاجل تأمين داخل البلاد وحفظ تخومها فلا يورد مانع مالترتيب غير اعتيادى لاجل الذب عن الوطن الا ما يدعى اليه الاهاون بالاتفاق مع الباب العالى دفعا لعدوان من يتطاول عليهم من الاجانب

﴿المادة ٢٧﴾ اذا وقع مايوجب الخوف على سلب الراحة والطمأنينة داخل

الولايتين

الولايتين يتفق الباب العالى مع الدول المتعاهدة على اتخاذ وسائل لدفع ذلك الخلل واقرار الطمأنينة ولا يكون مسوغ لمداخلة عسكرية من غير ان يقع عليه رضا الدول أولا

﴿المادة ٣٨﴾ اقليم الصرب يبقى متعلقا بالباب العالى على وفق مضمون الخط الهمايونى الذى نص على حقوقه واعفاآته ويكون من الآن فصاعدا تحت مجموع كفالة الدول المتعاهدة فمن ثم يحق للاقليم المذكور ان يحافظ على استقلاله بحكومة أهلية وبالحرية فى التدين والاحكام والمتجر والابحار (سفر البحر)

﴿المادة ٣٩﴾ حق الباب العالى فى اقامة الخفراء المحافظين كما تم الشرط عليه الآن فى التنظيمات الداخلية هو مصون ثابت فلا يكون مسوغ لمداخلة عسكرية فى بلاد الصرب من دون ان يقع عليه رضا الدول المتعاهدة أولا

﴿المادة ٣٠﴾ امبراطور جميع الروسية وسلطان الدولة العثمانية يبقيان ضابطين لما هو فى ملكهما فى آسيا كما كان من قبل الحرب ومن أجل تدارك ماعسى أن يقع من القال والقيل فى ذلك يحقق رسم التخوم ويعدل من دون ايجاب ضرر على أحد الفريقين ولهذه الغاية ترتب جماعة مؤلفة من مأمورين من طرف الروسية وآخرين من طرف الدولة العثمانية ومأمور فرنساوى وآخر انكليزى ويكون ارسالهم عقب استرداد السفارة بين ديوان الروسية والباب العالى ويجب انهاء اشغالهم فى مدة ثمانية أشهر من ابتداء اثبات هذه المعاهدة الحاضرة

﴿المادة ٣١﴾ البلاد التى تبوأتها فى مدة الحرب جيوش امبراطور الفرنسيس وامبراطور أوستريا وملكة مملكة بريتانيا العظمى وارلاندا وملك سردينية الى مدة المعاهدة التى ختمت فى اسلامبول فى ١٢ مارس سنة ١٨٥٤ بين فرنسا وبريتانيا العظمى والباب العالى

وفى ١٤ جون من السنة المذكورة بين أوستريا والباب العالى

وفى ١٥ مارس سنة ١٨٥٥ بين سردينية والباب العالى تخلى بعد مبادلة اثبات هذه المعاهدة الحاضرة فى أسرع وقت فأما تعيين المدة واتخاذ الوسائل لاجراء ذلك فيترتب باتفاق بين الباب العالى وبين الدول التى تبوأت عساكرها تلك الارضين

﴿المادة ٣٢﴾ المتجر فى جلب البضائع وارسالها الى الخارج يبقى ما بين الدول

كما كان من قبل الحرب الى ان تجدد المعاهدة التى كانت بين الدولة المتحاربة من قبل الحرب أو تبدل بشروط أخرى وتكون رعاياهم معاملة فى سائر الامور الاخرى أحسن المعاملة

﴿المادة ٣٣﴾ المعاهدة التى تمت هذا اليوم بين امبراطور الفرنسيس وملكة مملكة بريتانيا العظمى وارلاندا وامبراطور جميع الروسيا من جهة جزائر الالاند تكون ملحقة بالمعاهدة الحاضرة وتبقى كذلك معمولا بصحتها كانما هى جزء متمم لها

﴿المادة ٣٤﴾ قد قرالرأى على اثبات هذه المعاهدة وتجرى مبادلته فى باريس فى مدة أربعة أسابيع أو قبل ذلك اذا أمكن وبناء على ذلك علم عليها النواب المرخص لهم ووضعوا عليها ختوم دولهم حرر فى باريس فى ٣٠ شهر مارس سنة ١٨٥٦ (أسماء الذين وقعوا على ماذكر) .

ولوسكى بورغيني بول شونستان هبنر كلارندون

كولى منتوفل هترفلدت اورلوف برلو كافور

وفيل لامارينا عالى محمد جميل

﴿مادة ملحقة بما تقدم﴾ شروط المعاهدة المتعلقة بالبواغيز مما وقع عليه اليوم لا تكون جارية على سفائن الحرب التى فى خدمة الدول المتحاربة الا خلا الارض التى تبوأتها العساكر وانما تكون معمولا بها عقب الاخلاء حرر فى باريس فى ٣٠ شهر مارس سنة ١٨٥٦ أسماء الموقعين كما ذكر آنفا

وبعد امضاء هذه المعاهدة اجتمع المؤتمر فى الخمسة أيام الاولى من شهر ابريل وقرر رفع الحصار البحرى عن موانى الروسيا وان تسحب فرنسا وانكلترا و(بيمونتى) (سردينية) عساكرها من بلاد القرم فى مسافة ستة أشهر وان يعطى للنمسا قدر هذه المدة لاخلاء ولايتى الافلاق والبغدان وثلاثة أشهر لتسليم مدينة قارص وقلعتها الى الدولة العلية وان اللجنة التى تعين لفصل الحدود بين الدولة والروسيا فى جهات بسارابيا تجتمع فى ٦ مايو سنة ١٨٥٦ فى مدينة غلاتس للبدء فى عملها ولما انتهت أعمال المؤتمر الذى اجتمع لاجلها اقترح عليه المسيو ولوسكى النظر فى بعض الشؤون الاوروبية التى يخشى منها على السلم فقرر عدة أمور لا تدخل فى

موضوعنا فاضربنا عنها صفحا لعدم الاطالة

ولا يخطر ببال أحد من حضرات القراء الافاضل أن هذه الحرب حصلت لمحض صالح الدولة العلية بل لم يكن القصد منها سوى اضعاف الروسيا وعدم توغلها فى أراضى الدولة العثمانية

ولما انتهت الحروب على حسب رغائب الدول أخذوا فى ايجاد الاسباب الموجبة ضعف الدولة نفسها حتى لا تقوى على معارضتهم وتبقى كحاجز بين الروسيا والبحر الابيض المتوسط ليس الا ولذلك ساعدت الدول ولايتى الافلاق والبغدان على انضمام كل للاخرى وتكوين حكومة شبه مستقلة تسمى حكومة الامارات المتحدة يكون لها أمير واحد ومجلس نواب تحت حماية جميع الدول وتأيد ذلك بوفاق أمضى فى باريس فى ١٩ أغسطس سنة ١٨٥٨ وانتخبت الولايات البرنس كوزا (١٥٢) أميرا لهما واعترف الباب العالى بهذا الانتخاب حسما للنزاع ثم أوجدوا مشاكل كثيرة فى بلاد الصرب والجبل الاسود سعيا وراء منحهما الاستقلال تماما وفصلهما كلية عن الدولة ولتكون هذه الولايات بمثابة موانع فى طريق الدولة وعقبات بينها وبين ممالك أوروبا وبثوا بذور الفساد فى بلاد البوسنة والهرسك فاضطربت وقامت مطالبة بامتيازات كبلاد الصرب والجبل الاسود

ومما زاد فى أحوال الدولة ارتباكا تداخل الدول فى الشؤون الداخلية ومنعها الدولة العثمانية من محاربة الثائرين بتهديدها بقطع العلائق السياسية ونزول سفرائهم الى مراكبهم بل وارسال بعض السفن الحربية لتقرير مطالب الثائرين كما أرسلت فرنسا والروسيا مراكبها فى سنة ١٨٥٨ الى سواحل الجبل الاسود لمنع الجيوش العثمانية من الدخول بهذا القطر ومعاقبة أميره على مساعدة ثائرى البوسنة والهرسك ومن ذا كله وما سنذكره يتضح جليا ان الدولة كانت فى أحرج المراكز لعدم وجود مخلص لها أو صديق بين جميع الدول المسيحية المتألبة عليها سياسيا لاضعافها وعرقلة جميع مساعيها الاصلاحية فى داخلية بلادها

(١٥٢) هو سياسى رومانى ولد سنة ١٨٢٠ وترقى فى جيش البغدان الى رتبة ميرالاى كولونيل ثم انتخب أميرا على ولايتى الافلاق والبغدان وأكره على الاستعفاء سنة ١٨٦٦ وانتخب مكانه البرنس شارل الموجود للآن

وتداخلها فى أمورها الداخلية المحضة حتى خيل للمتأمل ان سفراء الدول بالاستانة صاروا شركاء لوزراء الدولة فى جميع الاعمال

﴿بعض اضطرابات داخلية واطلاق الانكليز المدافع على مدينة جدة﴾

وفى أوائل سنة ١٨٥٨ توفى الصدر الاعظم رشيد باشا وخلفه فى هذا المنصب الخطير خصوصا فى هذه الظروف السياسى الشهير عالى باشا وولى فؤاد باشا وزير الاشغال الخارجية وكان كل منهما على جانب عظيم من الحذق فى الاعمال السياسية ومتحققا من مقاصد أوروبا السيئة نحو الدولة الاسلامية الوحيدة فعملا على تسوية جميع المسائل الداخلية بحكمة وسداد رأى حتى لم يدع السفراء الدول حقا فى التداخل فلم يمض طويل زمن حتى عادت السكينة الى بلاد بوسنة وهرسك لوعد أهاليها باصلاح أحوالهم واستبدال العساكر الغير منتظمة الموجودة بها بجيوش منتظمة وكذلك أنهيا بحكمتهما مسئلة الجبل الاسود بتحديد التخوم بمعرفة لجنة مشكلة من أربعة أعضاء فرنساوى وروسى وعثمانى وجبلى وقبلا قرار هذه اللجنة مع اجحافه بحقوق السلطنة لكن لما كان السكون وانتظام الاحوال لم يروقا أصلا فى أعين أعداء الدولة والدين ألقوا شبالك مفاسدهم فى جزيرة كريد فاصطادوا بها ضعاف العقول من اليونان بطمع الاستقلال والانضمام الى مملكة اليونان المستقلة فحصلت عدة وقائع سالت فيها الدماء بين المسلمين والمسيحيين وكادت الثورة تمتد بها ولا فضل تساهل وزراء الدولة بعزل واليها وتعيين من يدعى سامى باشا مكانه لتقرير الامن وارضاء المسيحيين من سكان الجزيرة فرجعت السكينة الى ربوعها وامكن فؤاد باشا ان يجاوب سفراء الدول على ملاحظاتهم بخصوص هذه المسئلة ان لا حق لهم بالتداخل حيث لا اضطرابات أو قلاقل توجب هذا التداخل الغير شرعى وبمجرد ما انتهت مسئلة كريد موقتا كما هى عادة المسائل التى توجدها الدول بدسائسها فى شرقنا حدثت فى مدينة جدة نازلة أكثر أهمية من تلك وهى قيام المسلمين بها على المسيحيين فى يوليو من السنة المذكورة (١٨٥٨) وقتلهم بعضهم واصابة قنصل فرنسا وكاتبه اصابة شديدة وقتل زوجته مما جعل باب الاوروبين

ارمينا بالتعصب الديني فلما علم فؤاد باشا بهذه الحادثة لم يشـعها بل أرسـل من يدعى اسمعيل باشا ببعض الجند لتحقيقها ومجازاة القاتلين بالاعدام بدون طلب تصريح من الاستانة كما جرت به العادة لكن قبـل وصول هذا المندوب علمت الدول بهذه المذبحة وأرسلت فرنسا وانكلترا لائحة للباب العالى بالاشـتراك يخبرانه بها أنهـما أرسلتا مراكبهما اليها بتعليمـات شديدة فاجابهـم فؤاد باشا بان الدولة لم تهـمل واجبها بل رخصت لاسمعيـل باشا باجراء اللازم وان الدولة مسـتعدة لتقـدير التعويضات الواجب دفعها لمن لحقهم ضرر بالاتحاد مع من تعينهم الدولتان لهذا الغرض وفي هـذه الاثناء أتى نامق باشا والى مكة الى جدة وقبض على المجرمين وحاكمهم فحكم على كثير منهم بالاعدام لكن لم يمكن تنفيذ هـذه الاحكام الا بعـد استئذان الدولة وفي غضون محاكمتهم وصلت الى مينـا جدة سفينة حربية انكليزية اسمها سيكلوب وطلب ربانهـا من نامق باشـا تنفيـذ الحكم فورا وأمهـله أربعة وعشرين سـاعة وان لم يعـدم المحكوم عليهم يطلق مدافعـه على المدينة ولما أجابه نامق باشا بعـدم امكانه اجابة طلبـه سلط مدافعـه على هـذه المدينـة واستمر اطلاقها عليها نحو عشرين ساعة ولولا وصول السفينة المقلة اسمعيل باشا المندوب العثماني لدمرت المدينة عن آخرها فانه لما وصل هذا المندوب أوقف ضرب النار ونزل ومعه العساكر العثمانية والانـكليزية وأمر بشـنق المحكوم عليهم بالاعدام فشنقوا وانتهت هـذه المسـئلة ورجعت العساكر الانـكليزية الى سفينتهـم بدون ان يجـدوا علة للبقاء وما الفضل في حسم كل هذه النوازل الا لفؤاد باشا صاحب الرأى الصائب

﴿حادثة الشام واحتلال فرنسا لها﴾

وقد ظهر فضـله واعترف به العـدو قبل الصـديق وجاهر كل ذى ذمة بان هذا الرجل من أهم سياسيي عصره في مسـئلة الشام التى حصلت في سنة ١٨٦٠ وأوجبت تداخـل الدول عموما وفرنسـا خصوصا بحجة حمـاية المـارونيـة وبيان ذلك انه لما حسمت جميع المشـاكل واستتب الامن نوعا في ولايتى الافلاق والبغدان وولايات الصرب والجبـل الاسود بتساهـل الباب العالى واعـترافه بانتخاب كوزا واليا

لولايتي الافلاق والبغدان معاو بتولية ميشل أميرا على الصرب بعد والده (ميلوش)
الذي انتخبه نواب الاهالي في جمعيتهم العمومية المسماة اسكو بشيناحتى لاتدع للدول
سبيلا للتداخل و جه أرباب الغايات مساعيهم الى بلاد الشام لاستعدادها القبول
بذور الفساد أكثر من باقي الولايات بسبب تعدد الجنسيات واختلافهم في الدين
والمشرب و وجود العداوة بينهم خصوصا بين المارونية والدروز ومساعدة فرنسا
للمارونية ومساعدة انكلترا للدروز فقامت بينهم أسباب الشقاق ودواعي الخلاف
الى ان تعدى المارونية بالقتل على الدروز في أواخر سنة ١٨٥٩ وقام الدروز للاخذ
بالثار ثم امتدت الفتنة الى جميع انحاء الشام وكثر القتل والنهب وحصلت عدة مذابح
في طرابلس وصيدا واللاذقية وزحله ودير القمر ومنها الى مدينة دمشق الشام
وامتاز الامير عبد القادر الجزائري «١٥٣» بحماية كثير من المسيحيين فكافأته
فرنسا بمنحه وسام اللجيون دونور «١٥٤» من درجة جران كوردون واتهم
الاوروبيون عثمان بك قائمقام حصبية بتسهيل المذبحة وكذلك اتهموا أحمد باشا والى
دمشق بمساعدة الدروز وقتل كل من التجأ الى دار الحكومة من المسيحيين
وأذاعوا هذه المفتريات على رجال الدولة في جميع الارجاء تمويها وتغريرا ليكون لهم
سبب مقبول لدى الرأى العام في بلادهم اذا تداخلوا فعليا وجرتداخلهم الى حرب
عظيمة كحرب القرم

«١٥٣» هو الامير الجزائري الذي دافع عن بلاده حين احتلها الفرنساويون سنة ١٨٣٠ دفاعا لم يسمع بمثله في بلاد الشرق التي وطئتها الاجانب واستمر في دفاعه سبعة عشر سنة متوالية انتصر في خلالها عدة مرات واعترفت له فرنسا وجميع الامم بالبسالة والشجاعة ولما استشهدت أغلب عساكره وكثر توارد الجيوش الفرنساوية تباعا الى الجزائر وأيقن ان لامناص له من التسليم سلم نفسه في ٢٣ دسمبر سنة ١٨٤٧ الى القائد «لاموريسيير» بعد ان وعده باسم فرنسا ان الحكومة لا تتعرض له مطلقا بل تبيح له التوجه أينما يريد لكن لم يعترف نابوليون الثالث بهذا الوعد بل سجنه نحو ستة عشر سنة وأفرج عنه سنة ١٨٦٣ بشرط أن لا يعود الى الجزائر وعين له مائة ألف فرنك سنويا فتوجه الى مدينة بورصة ثم الى مدينة دمشق وبها أقام الى ان انتقل الى رحمة مولاه في سنة ١٨٨٣ جزاه الله عن الدين الاسلامي وجميع المسلمين خير الجزاء

«١٥٤» هو نيشان أسسه بونابرت في ١٩ مايو سنة ١٨٠٢ حين كان قنصلا أولا وقبل ان يصير امبراطورا و يلقب نابوليون الاول ولقد طرأت على نظام هذا النشان عدة تغييرات تبعا لتغيير هيئة الحكومة لكن لم يزل باقيا لتعلق الاهالي به لانه يذكرهم انتصاراتهم العديدة على أوروبا

فعرضت

فعرضت فرنسا على الدول انها مستعدة لارسال جيوشها الى بلاد الشام لقمع الفتنة ومجازاة مثيريها وحماية المارونية فلم تقبل الدول هذا الاقتراح بادئ الرأى خوفا من عدم خروج فرنسا من الشام لو احتلتها عسكريا وضحت أموالها ورجالها ولما حصلت مذبحة دمشق التى قتل فيها نحو ستة آلاف نسمة على مايقولون أرسلت جميع الدول الى الباب العالى تهدده بالتداخل ان لم يضع حدا لهذه الفتن لكن بلاغاتهم لم تكن اشتراكية لعدم اتحادهم فجمع فؤاد باشا جميع الوزراء وأظهر لهم ضرورة تعزيز الجيش العثمانى بهذه البلاد واخماد الثورة قبل ان يتفق الدول على التداخل عسكريا فتقرر رأيه بالاجماع وانتدب هو لقيادة الجيوش بها ومجازاة كل من تظهر ادانته

فسافر هذا الشهم على جناح السرعة ووصل الى بيروت فى ١٧ يوليو سنة ١٨٦٠ ومنها قصد مدينة دمشق فى خمسة آلاف جندى وشكل مجلسا حربيا وحاكم رؤساء الفتنة بكل صرامة وشنق كثيرا ممن ظهرت لهم يد عاملة فيها سواء كان من الدروز أو المسيحيين أو المسلمين أو من نفس كبار مستخدمى الحكومة وبذل همته فى اعادة الامن الى البلاد

وفى أثناء ذلك اتفقت الدول على ان ترسل فرنسا الى الشام ستة آلاف مقاتل لمساعدة الجيش العثمانى على اعادة السكينة لو عجز عن تأدية هذه المهمة وفى ١٠ اغسطس من السنة المذكورة نزلت الجنود الفرنساوية الى بيروت تحت قيادة الجنرال (دو بول) فوجدت السكينة ضاربة أطنابها فى ربوع الشام ولم يجد سبيلا لعمل أى حركة عسكرية لاظهار شجاعتها ونظامها

ومما يدل على تعنت الدول وتعمدهم مشاركة الدولة فى أمورها الداخلية على أى حال اتفاقهما فى باريس بمقتضى اتفاق تاريخه ٣ اغسطس على انه يجوز ابلاغ الجيش المحتل الى اثنى عشر ألفا مع بقاء هذه الجيوش الى أن يستتب الامن ويجازى الساعون بالفساد على ماجنت أيديهم كأن الدولة أهملت فى مجازاتهم وفى ارجاع السكينة الى البلاد مع انه لم يكن ثمت ضرورة لارسال جيش أوروبى الى الشام مطلقا لقيام فؤاد باشا بهمته أحسن قيام ومع ذلك صمم القائد الفرنساوى على ارسال

فرقة من ألف وخمسمائة جندى الى جبل لبنان لاعادة المارونية الى بلادهم وحمايتهم من تعدّى الدروز واستمر الاحتلال الفرنساوى الى خمسة يونيو سنة ١٨٦١ وفيه سحبت الجيوش الفرنساوية آتية الى بلادها بعد ان أوهمت مسيحيى الشام انهم خوهم من تعدى المسلمين المتعصبين المتوحشين على زعمهم ونسيت فرنسا ما أتته جنودها فى بلاد الجزائر من الاعمال الفظيعة التى يأبى القلم تسطيرها خصوصا ما أتاه الجنرال بيليسية من اعدام قبيلة بنسائها وأطفالها حرقا داخل الغار الذى التجأوا اليه

ولكن أبت سياسة أوروبا المسيحية الا التعامى عن كل ما يأتونه مع الشرقيين وتجسيم أقل حادث يحدث فى الشرق ولو بايعازهم ترويجا لسياستهم ونسوا أقوال المسيح عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى السلام المسطرة فى نسخ الانجيل المتداولة بين أيدى جميع الطوائف المسيحية القاضية بان يعامل الانسان غيره بما يريد أن يعامله الغير به

وفى أثناء ذلك انعقدت بمدينة بيروت لجنة أوروبية مشكلة من مندوبين معينين من قبل الدول الموقعة على معاهدة باريس وبعد مداولات طويلة اتفقوا مع فؤاد باشا على أن يعطوا للمسيحيين الذين حرقت دورهم مبلغ خمسة وسبعين مليون قرش بصفة تعويض وان يمنح أهالى الجبل حكومة مستقلة تحت سيادة الدولة العلية يكون حاكمها مسيحى المذهب وأن يكون للباب العالى حامية من ثلثمائة جندى تقيم فى حصن على الطريق الموصل من دمشق الى بيروت

ثم عين بالاجماع من يدعى داود أفندى الارمنى الجنس أميرا للجبل لمدة ثلاث سنوات لا يمكن عزله فى خلالها الا باتفاق الدول وبذلك انتهت أيضا هذه المسئلة بحسن مساعى فؤاد باشا كما انتهت باقى المسائل التى سبقتها ولو بكيفية مجحفة بحقوق الدولة الا انه بهذا التساهل منع تداخل الدول بصفة شديدة وألزم فرنسا بسحب جيوشها من الشام

وبعد خروج الجيوش الفرنساوية من بيروت بعشرين يوما توفى السلطان عبد المجيد خان وانتقل الى رحمة مولاه فى ٢٥ يونيو سنة ١٨٦١ الموافق ١٧ ذى القعدة

سنة ١٢٣٧ هـ ودفن رحمه الله فى قبر أعدله فى حياته بجوار جامع السلطان
وكان مولده فى يوم الجمعة ١٤ شعبان سنة ١٢٣٨ وهو الذى أنشأ النيشان المجيد
العلى الشأن وقدمه على نيشان الافتخار الذى أسسه السلطان الغازى محمود الثا
وبويع للخلافة لاخيه

٣٢ ﴿السلطان الغازى عبد العزيز خان﴾

المولود فى ٢٥ شعبان سنة ١٢٤٥ وفى ١٨ ذى القعدة سنة ١٢٧٧ توجه فى موكب حافل الى ضريح سيدى أبى أيوب الانصارى وهنالك تقلد السيف السلطانى على ماجرت به العادة ومنها سار لزيارة قبر السلطان الغازى محمد الثانى فاتح الاستانة ثم قبر والده السلطان محمود الثانى رحمهم الله جميعا وكانت فاتحة أعماله انه أقر الوزراء فى مراكزهم ماعدا ناظر الجهادية رضا باشا فانه أبدل بنامق باشا وهاك ترجمة أمر بقاء الوزارة نقلا عن منتخبات الجوائب

﴿صورة الخط الهمايونى الذى صدر بخصوص بقاء الصدارة العظمى على عهدة المرحوم محمد أمين عالى باشا وذلك فى ٢٣ ذى الحجة سنة ١٢٧٧﴾

وزيرى سمير المعالى محمد أمين عالى باشا

قد صار هذه المرة بالارادة الازلية ارادة جناب مالك الملك جلوسنا على تخت أجدادنا العظام المؤيد بالسعادة والبخت ولكون درايتك وصداقتك من المجرب أبقى خطب الصدارة الجسيم فى عهدة رويتك وكذا سائر الوكلاء والمأمورين مقررون على مناصبهم ثم انى بكمال سعادة الحال بمنه تعالى لدولتنا العلية واستحصال رفاهية الحال والراحة لاتباع سلطنتنا السنية اجمالا بلا استثناء وبحصول هذه الامنية الخيرية وبكون القوانين الاساسية العدلية المؤسسة على تأمين النفس والعرض والمال لجميع سكان الممالك المحروسة مؤكدة ومؤيدة من طرفنا أعلى (ماذكر) للجميع ومن حيث ان الشريعة الشريفة التى هى عدالة محضة مدار لتأييد السلطنة السنية وأساس لشوكتها حالة كون أحكامها المنيفة جميعا دليلا على طريق

السلامة كانت الدقة الزائدة فى الامور الشرعية مطلوبا قطعا ولما كان الباعث لبقاء كل دولة ولتزايد شوكتها وراحتها كون رعيتها مطاوعة للقوانين الموضوعة وان لا تتجاوز الصغار والكبار منها دائرة وظيفتها وحقها كان محققا لدينا ان الذين يسلكون فى هذا الطريق يكونون مظهر المكافأة كما ان الذين يوجدون فى حركات مخالفة تحيق بهم المجازاة وبناء على هذا كون الداعين والعباد والمأمورين جميعا فى دولتنا العلية ان يستقيموا فى خدمتهم ويوفوا وظائف مأموريتهم بالصداقة هو من جملة أوامرنا المؤكدة السلطانية ومن المسلم كون المصالح العظيمة الدولية قرينا لحسن النتيجة بتوفيق حضرة موفق الامور وباقدام أركان الدولة واتفاقهم وان ايصال الامور لدولتنا العلية ملكية كانت أومالية الى درجة الانتظام والمضبوطية انما هو بكمال التشبث بهذه القاعدة المسلمة يعنى كونه منوطا بالاهتمام والغيرة من طرف الجميع على وجه الاستقامة والخلوص ومن طرفنا نحن أيضا منوط بالهمة والنظارة على أى وجه كان وبالاتباع التام من جانب كل دائرة وادارة لهما المخصوصة السلطانية التى تصرف فى حق اندفاع المشكلات المالية عن قريب بعون الله تعالى وهى التى عرضت مذ مدة ناشئة عن أسباب مختلفة وكذا يعلم بأنه لم يكن لذاتنا فكر وأمل سوى اعادة شأن دولتنا وزيادة اعتبارها المالى ورفاهية اتباعنا الغرض المتعاقب من خصوص المتصرفات الكاملة فى استحصال أموال الدولة وصرفها والاصلاحات الموجبة لوقايتها من التلف والسرف عبثا والدقة فى محافظة عساكرنا البرية والبحرية التى هى احدى أسباب الشوكة لدولتنا العلية واستكمال رفاهيتهم فى كل حال ومحل وصرف المجهود وقتا فوقتا فى تأكيد المناسبات والموالاة مع الدول الاجنبية الذين هم محبو سلطنتنا السنية وكذا الرعاية لاحكام المعاهدات المنعقدة مستمرة والحاصل ان علم الجميع بأن وظائف الاستقامة والعفة والصداقة والغيرة هى أساس العمل والباعث للفلاح والسلامة فى ادارة الدولة فى كل جهة وفرع لها كل ذلك من اراداتنا القطعية وانى أعلن أيضا انه حيث كان مرادى السلطانى لا يقبل الاستثناء كان الذين هم من الاديان والاجيال المختلفة يرون عموما من طرفنا الهمايونى دقة متساوية فى العدالة والتأمين والهمة وحسن

الحال

الحال وا كروان التوسع التدريجى الذى هو ترقيات صحيحة توجب غبطة حال الجميع فى ظل سلطنتنا الاسباب الثروة واليسار العظيمة التى أنعم الله بها على ما كاوكذا قضية الاستقلال المهمة لدولتنا العلية من أعز الافكار عندنا وفقنا جميعا الفياض المطلق بحرمة حبيبه الاكرم آمين فى ٢٣ ذى الحجة سنة ١٢٧٧ اهـ

ويؤخذ من نص هذا الامر ان السلطان رحمه الله كان يود السير على خطة أسلافه من اصلاح الاحوال ومعاملة جميع الرعايا على السواء بدون نظر لجنسهم أو دينهم حتى لا يكون لدول أوروبا سبيل للتداخل فى شؤون الدولة بحجة طلب هذه المساواة ثم أنشأ نيشان شرف جديد لمكافأة من يقوم بخدمة الدولة والملة والدين بكل صداقة وأمانة ودعاه بالعثمانى نسبة الى السلطان الغازى عثمان الاول رأس هذه الدولة المحروسة الملحوظة بالعناية الربانية يحيطها اسياج التعطفات الالهية حتى ان تألب جميع الدول المسيحية عليها لم يزدها الا رسوخا وثباتا وقد أراحها هذا التداخل نوعاما بفصل بعض العناصر المغايرة للعنصر الاسلامى فى الجنس والدين عنها فانها كانت أهم الشواغل للدولة مع عدم وصول أى فائدة منها اليها

ولنذكر هنا قبل تفصيل ما حصل بالدولة من الاصلاحات تحت رعاية السلطان عبد العزيز ما جرى من المناقشات ودار من المخابرات بين الباب العالى والدول بشأن امارات الجبل الاسود والصرب والافلاق والبغدان فنقول

﴿الجبل الاسود﴾ انه لما تجزأت مملكة الصرب الاصلية عقب موت الملك دوشان وقتل ولده اوروك استقل أحد أشراف الصرب ببلاد الجبل الاسود واسمها (تشيرناجوره) وجزء عظيم من بلاد الصرب وجعل مقر حكومته مدينة اشقودره ثم لما فتحها العثمانيون وطردوه منها تحصن بالجبل وبه أمكنه صد هجمات العثمانيين عنه لوعورة المسالك وصعوبة المفاوز وبذلك لم يتيسر للدولة ضم هذا الاقليم بنوع قطعى مطلقا

وفى سنة ١٤٩٩ انتقلت حكومة الجبل الى أيدى رئيس الاساقفة وانحصرت السلطة الدينية والملكية فى شخص واحد وابتدأت العلاقات بينه وبين الروسيا

لاتحاد الدين والمذهب وبحسن سياسة الامبراطور بطرس الاكبر صارت هذه العلاقات الحبية شبيهة بتابعية سياسية اذ صار يتطلع اليه الاهالى لو اعتدى عليهم حاكمهم أو مسهم بسوء

ونفس رئيس الاساقفة كان يتوجه عند تنصيبه الى مدينة سان بطرسبورج ليثبته القيصر فى وظيفته الدينية بصفة رئيس دينى لجميع الاورتودكس

ولما تعين البرنس (دانيلو) أودانيال (١٠٥) حاكما لهذا الجبل فصل السلطة الملكية عن الدينية مع بقاء وظيفة رئيس الاساقفة فى العائلة الاميرية ومن بعدها فى أقدم العائلات الشريفة ولتجرد دانيلو عن الصفة الدينية تقرب من النمسا جارته لتساعده على حفظ استقلاله عما ان الدولة العلية أرادت اتخاذ هذا التغيير فى حكومة البلاد سببا للتداخل فيها وتقرير سيادتها عليها وأرسلت القائد الشهير عمر باشا لمحاربة دانيلو سنة ١٨٥٣ قبل أن يشتغل بمحاربة الروسيا ولولا توسط النمسا والروسيا لاحتل عمر باشا جميع بلاده لكن ظروف الاحوال اضطرت الباب العالى لايقافه قبل تتميم مأموريته اتباعا لمشورة أوروبا

ولما انعقد مؤتمر باريس بعد انتهاء حرب القرم كامر طلب الامير دانيلو من مندوبى الدول الاعتراف باستقلاله فلم يحز طلبه قبولا لديهم بل نصحوا له بالانقياد للدولة وهى فى مقابلة ذلك تعطيه جزأ قليلا من بلاد الهرسك لتوسيع حدوده وتمنحه رتبة مشير وترتب له مرتبا ماليا على سبيل المساعدة فخنق لعدم نوال استقلاله لكنه التزم بالانصياع لنصائح أوروبا خوفا من عدم مساعدتها له لو حاربته الدولة

وفى سنة ١٨٥٨ حصلت عدة وقائع حربية بين أهالى الجبل وعساكر الدولة بسبب عدم الاتفاق على الحدود فتداخلت الدول ومنعت الحرب وعينت لجنة من مندوبيها ومندوب من طرف الدولة وآخر من حكومة الجبل لفصل الحدود ففصلتها ثم قتل البرنس دانيلو فى ١٣ أغسطس سنة ١٨٦٠ عن بنت وأخ فاستلم زمام الاحكام البرنس نيقولا ابن أخيه ميركو ولمناسبة حصول بعض حركات ثورية

---

(١٠٥) ولد هذا الامير سنة ١٨٢٨ وتربى فى مدينة ويانة عاصمة النمسا وتولى بعد بطرس الثانى وتوفى مقتولا سنة ١٨٦٠

فى بلاد الهرسك سارلمساعدتهم كثير من أهالى الجبل باجعاز من البرنس ميركو فسحقهم عمر باشا الذى أرسله الباب العالى لاخماد ثورة الهرسك ثم حاصر امارة الجبل من جميع جهاتها وأمر البرنس نيقولا أن يحل الجيوش التى جمعها على الحدود والا يضطر هو لتفريقها ولما لم يصغ الامير لهذا البلاغ أغار عمر باشا على بلاد الجبل من ثلاث جهات فى آن واحد وجعل الثلاث فرق تحت قيادة عبده باشا ودرويش باشا وحسين عونى باشا

وبهذه المناورة العسكرية المهمة التقت الجيوش الثلاثة فى قلب الجبل بعد ان هزمت وفرقت كل ما وقف فى طريقها ولم يكن بذلك للبرنس نيقولا بد من امضاء الشروط التى عرضت عليه من قبل عمر باشا للتوقيع عليها فأمضاها رغم أنفه فى ٣١ أغسطس سنة ١٨٦٢

ومن أهم ما جاء بها أن لا يقيم ميركو والد البرنس نيقولا فى بلاد الجبل مطلقا وان تبنى الدولة حصونا وقلاعا على الطريق الموصلة بين مدينة اشقودره وبلاد الهرسك مارة ببلاد الجبل وبدأت الجنود العثمانية على الفور فى بناء حصن داخل بلاد الجبل على هذا الطريق الامر الذى لم يسبق لها أصلا فى هذه البلاد

لكن تعرضت الدول لنفاذ هذه المعاهدة بحجة انها مجحفة بحقوق أمة مسيحية وطلبت من الباب العالى بكل الحاح خصوصا فرنسا والروسيا عدم ابعاد البرنس ميركو عن بلاده فتساهل شفقة منه لكنه صمم على بناء الحصون بالصفة المشروحة ومع ذلك تخوفا من تداخل الدول بالقوة كما حصل فى بلاد الشام أعلن الباب العالى الامير فى ٣ مارث سنة ١٨٦٤ أنه يتنازل عن بناء القلاع بأرضه موقتا اذا تعهد الامير بحفظ هذه الطريق والتعويض ماليا عما يسلب من أموال التجار العثمانيين فأجاب الامير نيقولا هذا الطلب منشرحا بان وجود الجيوش العثمانية فى وسط بلاده يضعف استقلالها ويميت هممهم وشجاعتهم

ولم يهدم العثمانيون القلعة التى أقيمت فى وسط بلاد الجبل الا فى يونيه سنة ١٨٦٤ بعد ان أقاموا على الحدود قلعة منيعة على قمة عالية تصل مقذوفات مدافعها الى ابعاد شاسعة من بلاد الجبل وبذلك انتهت هذه الحروب وهدأت بلاد الهرسك أيضا

﴿بلاد الصرب﴾ انه بمقتضى المعاهدات السابقة ومعاهدة باريس الاخيرة المؤرخة ٣٠ مارث سنة ١٨٥٦ تكون جميع بلاد الصرب مستقلة تحت سيادة الباب العالى ويكون للدولة حق فى وضع حامية فى ست قلاع بما فيها قلعة مدينة بلغراد عاصمة الصرب واشترط فيما بعد ان لا يسكن المسلمون خارجا عن هذه الحصون (انظر لهذا التعصب)

لكن لم تتبع هذه النصوص تماما بل أقام كثير من المسلمين بين منازل المسيحيين ووزع الباشا القائد للحامية عدة قره قولات فى المدينة لحمايتهم ولما حصلت ثورة الهرسك سنة ١٨٦١ ومابعدها وتبعها حرب الجبل الاسود خشى الباب العالى من مساعدة الصربيين للثائرين فجمع على الحدود عددا عظيما من جيوش الباشيبوزوق ولعدم انتظام هؤلاء الجنود حصلت عدة مشاجرات بينهم وبين أهالى الصرب سالت فيها الدماء ولما وصل خبر هذه المناوشات الى بلغراد تذمر الاهالى وأظهروا العداوة للعثمانيين وحدث فى غضون ذلك ان تعدى أحد الاهالى فى ١٠ يونيو سنة ١٨٦٢ على جندى عثمانى فقتله الجندى وتعصب كل فريق لاحد الفريقين وحصلت مقتلة كادت تعم البلد فتداخل القائد العثمانى بجنوده وبعد ان احتمى جميع المسلمين الساكنين بين النصارى فى القلعة مع نسائهم وأطفالهم سلط الباشا مدافع القلعة على المدينة وأطلقها عليها مدة أربع ساعات متواليات ثم تداخل القناصل بين الفريقين فابطلوا اطلاق القنابل وقبل الباشا اخلاء قره قولات المدينة واقتصار المسلمين على السكن داخل حدود القلعة وبعد هذه الحادثة ارسل البرنس ميشل خطابا بتاريخ ٩ يوليو من السنة المذكورة الى اللورد (رسل) ناظر خارجية انكلترا يطلب منه التوسط لدى الباب العالى لحسم هذه النازلة فاجابه اللورد بما يؤخذ منه عدم تعضيد الحكومة الانكليزية له فى طلباته وانها تنصح له بالانصياع لاوامر الدولة صاحبة السيادة

ثم بناء على الحاح فرنسا والروسيا انعقد بالاستانة مؤتمر من مندوبى الدول الموقعة على معاهدة باريس وبعد مناقشات طويلة طلب فى خلالها مندوب فرنسا انجلاء العثمانيين عن قلعة بلغراد بدون ان يعضده باقى المندوبين تقرر

بالاغلبية

بالاغلبية اخلاء قلعتين من الجنود العثمانية وبقائها فى أربع قلاع فقط وهى بلغراد وسمندريه وفتح اسلام وشباتس وأن لايتداخل القواد العثمانيون فى ادارة البلاد الداخلية مطلقا وان يلزم المسلمون القاطنون خارج القلاع الاربع المذكورة ببيع ممتلكاتهم والمهاجرة عن البلاد أو الاقامة فى حدود الحصون وعلى حكومة الصرب ان تدفع لهم تعويضات مالية عن ذلك وأمضى بذلك اتفاق بتاريخ ٨ سبتمبر سنة ١٨٦٢ أبلغ الى الصرب فى دسمبر من السنة المذكورة وغنى عن البيان ان تحظير الاقامة فى الصرب على المسلمين من أقبح ضروب التعصب التى يرميننا بها الاوروبيون ولكن سيحفظ التاريخ هذه الحوادث الدالة على براءتنا منه واتصافهم به دون غيرهم

﴿ولايتى الافلاق والبغدان﴾ ذكرنا ان هاتين الولايتين انتخبتا البرنس كوزا أميرا عليهما خلافا لشروط معاهدة باريس وان الباب العالى تساهل فى الاعتراف بهذا الانتخاب بنوع الاستثناء بشرط انه بعد هذا البرنس تعود الامور الى ماجاء بمعاهدة باريس ونقول الآن ان كوزا تسمى بعد ذلك بالبرنس (جان السكندر الاول) وفى أواخر سنة ١٨٦١ صدر فرمان يجيز له توحيد ادارة الامارتين أيضا بان يكون لهما مجلس نواب واحد ووزارة واحدة

ثم سعى هذا الامير فى اصلاح الشؤون الداخلية وحول أنظاره الى مسئلة الاوقاف المخصصة للاديرة والكنائس وبعض الاديرة الخارجة عن البلاد مثل دير جبل طور سيناء ودير اتوس ببلاد الترك والاماكن المقدسة بمدينة أورشليم فان هذه الاملاك بلغت نحو جزء من ثمانية من مجموع أطيان البلاد وايرادها يذهب خارجها الى بطريرق الاستانة ليوزع على هذه الاديرة فقال البرنس بضم جميع هذه الاوقاف الى جانب الحكومة وهى تقوم بدفع مبلغ معين لنفقات الكنائس الداخلية والاعمال الخيرية الاهلية فقط ولا تدفع شيأ للاديرة الخارجية وعضده مجلس النواب وعموم الاهالى فى هذا المشروع لكن عارض بطريرق الاستانة وجميع الرهبان هذا المشروع وتداخلت الدول والباب العالى فعضده فريق

وعارضه آخر وأخيرا لما رأى الاميران الاقدام أضمن لنجاح مشروعه أصدر أمرا ساميا فى سنة ١٨٦٣ بمصادرة املاك الاوقاف بأجمعها وخوفا من اعتراض الباب العالى عرض عليه فى ١٢ سبتمبر سنة ١٨٦٣ دفع مبلغ أربعة وثمانين مليون قرش الى بطريرق الاستانة تكون فائدته السنوية بمثابة تعويض عما كان يخص الاديرة الخارجية من ايراد الاوقاف بشرط ان هاته الاديرة تقدم حسابا عن الاوجه التى صرفت فيها هذه الفائدة وأن تخصص حكومة رومانيا مبلغ عشرة مليون قرش يبنى بها فى الاستانة مستشفى ومدرسة لجميع المسيحيين أيا كان مذهبهم فلم يقبل البطريق ذلك وبعد مداولات طويلة وتبادل مخاطبات سياسية كثيرة اقترح الباب العالى على حكومة رومانيا ان تبلغ التعويض الى مائة وخمسين مليون قرش فقبلت لكن أصر القسوس على ابائهم ولم يعبأ الامير بهذا الاباء بل جد فى طريق الاصلاح وعرض على مجلس الامة أمر مصادرة الاوقاف فصدق عليه فى ٢٤ دسمبر سنة ١٨٦٣ ثم فى ٢٤ مايو سنة ١٨٦٤ قرر هذا المجلس أن يكون تعيين القسوس على اختلاف درجاتهم بمعرفة حكومة الامارة وشكل لمعاقبتهم لو وقعت منهم أمور مغايرة للقوانين الدينية مجلسا دينيا (سينود) وأناط محاكتهم فى الامور الدنيوية بمجلس التمييز الاعلى

وبذلك استقل الاكليرس فى رومانيا استقلالا تاما ولم يبق لبطريرق الاستانة أقل سيطرة عليه وأيد الباب العالى هذه التغييرات واعترف ضمنا بان لحكومة رومانيا الحق فى تغيير نظاماتها وقوانينها الداخلية بدون استشارة الباب قبلا واعتمادا على ذلك أدخل البرنس عدة اصلاحات مهمة تباعا فحور قانون الانتخابات بكيفية خولت حق الانتخاب لكثير من الاهالى لم يكن هذا الحق ممنوحا لهم من قبل وجعل التعليم اجباريا وفتح عدة مدارس عالية ملكية وحربية ومستشفيات وأصدر قانونا بجعل قيد المواليد والوفيات وعقود الانكحة مختصا بالمأمورين الملكيين بعد ان كان تابعا للكنائس لكن لعدم توفر الثروة فى البلاد وكثرة الضرائب تذمر عليه الاهالى فاستعمل الشدة فى معاقبة كل من أظهر عدم الرضا من أعماله حتى كثرت الشكوى منه وكتب اليه الصدر الاعظم فؤاد باشا بتداخل الدولة لرفع المظالم عن الاهالى

لو استمر الحال على هذا المنوال

ولما ازداد فى طغيانه وصار يصدر الاوامر العالية واللوائح بدون عرضها على مجلس النواب تآمر عليه عدة من الاعيان تحت رئاسة المسيو روزتى مدير جرنال (رومانول) وحصروه فى سرايه فى مساء يوم ٢٢ فبراير سنة ١٨٦٦ وألزموه الاستقالة فقدم استعفاءه ثم اجتمع بباريس فى ١٠ مارث مندوبون من الدول المصادقة على عهدة سنة ١٨٥٦ للنظر فى كيفية انتخاب خلف للامير جان اسكندر الاول فأجمعوا الا الروسيا على وجوب توحيد حكومة الولايتين خلافا لما جاء فى المعاهدة المذكورة بشرط أن لا يكون الامير عليها أجنبيا بل من أشرف أبناء البلاد لكن لم يذعن أهالى رومانيا لهذا القرار بل انتخبوا فى ١٩ ابريل البرنس شارل دى هوهنزولرن من عائلة بروسيا الملوكية أميرا لهم وهو ملك هذه البلاد الآن وأعطى له لقب ملك بعد حرب الروسيا الاخيرة كما سيجئ

أما السبب فى تشبث الدول فى تقوية هذه الامارة وسعى الروسيا فى عدم ضم الولايتين المكونتين لها الى بعضهما ان الدول ترى هذا الرأى لتكون امارة رومانيا بمثابة حاجز حصين ضد تقدم الروسيا نحو الاستانة خصوصا وان أهالى رومانيا لم يكونوا من العنصر الصقالبى الروسى فيصعب على الروسيا استمالتهم الى سياستها لتمسكهم بجنسيتهم وخوفهم من تغلب الجنس الصقالبى عليهم وهذا السبب عينه كان الباعث لدول أوروبا على تشكيل امارة البلغار لتكون حاجزا ثانيا بعد رومانيا وعلى مساعدة البلغار ضد الروسيا فى هذه السنين الاخيرة

﴿ ادارة فؤاد باشا الصدر الاعظم واصلاحاته المالية ﴾

قد ذكرنا انه لما تولى السلطان عبد العزيز منصب الخلافة العظمى أبقى محمد أمين عالى باشا فى الصدارة العظمى لكن لم يلبث ان أقاله تبعا للظروف فى نوفمبر سنة ١٨٦١ وعين فؤاد باشا صدرا أعظم ولم تدم صدارته الاولى بل فصل عنها وبعد بعض تقلبات أعيد اليها فى ١٩ جمادى الاولى سنة ١٢٧٨ فبذل جهده فى اصلاح المالية التى كانت على شرف الافلاس بسبب الديون الكثيرة التى اقترضتها الدولة فى أيام السلطان

محمود الثانى وعبد المجيد وبسبب انشاء القوائم التى هى عبارة عن أوراق صغيرة ملونة بألوان مختلفة كل منها بقيمة معلومة من النقود ولبيان سوء الاحوال المالية نقول انه لما انتشبت حرب استقلال اليونان ودمرت الدول دونانماتها ظلما وتعصبا التزمت الدولة لتجديد مراكبها وتقوية جيوشها الى اصدار القوائم المالية فاصدرت أولا فى سنة ١٨٣٠ أوراقا بمبلغ اثنين وثلاثين ألف كيسة بفائدة ثمانية فى المائة سنويا تستهلك فى ثمانى سنوات ثم بسبب حروب الشام بين مصر والدولة ما تيسر لها استهلاك هذا القدر بل أصدرت أوراقا بلا فائدة وامتنعت عن دفع الفائدة عن الاوراق الاصلية وتوالى بعد ذلك اصدار الاوراق فى كل سنة تقريبا

ولما تربع السلطان عبد المجيد فى دست الخلافة أراد سحب القوائم الا ان حرب القرم وماجره على الدولة من المصاريف الباهظة منعه عن تتميم مشروعه واضطرته الاحوال الى الاستدانة من أوروبا للقيام بأعباء الحرب ثم استغرقت المصاريف كل القرض فأصدر قوائم جديدة واستمر الحال على هذا المنوال وكل سنة تزداد الديون الخارجية والقوائم الداخلية حتى ولى فؤاد باشا منصب الصدارة فأقنع جلالة السلطان عبد العزيز بضرورة ابطال القوائم وتسوية جميع الديون بكيفية منتظمة فاصدر السلطان فرمانا عاليا فى ٢٠ رجب سنة ١٢٧٨ الموافق ٢٠ فبراير سنة ١٨٦٢ لفؤاد باشا باصلاح المالية واعمال ميزانية سنوية لايرادات ومصروفات الدولة ثم فى ١٧ يونيو من السنة المذكورة الموافق ذا القعدة سنة ١٢٧٨ أصدر اليه فرمانا آخر أهم ماجاء به سحب القوائم بأجمعها وتصفية جميع الديون السائرة ودفع بدل القوائم نقودا ذهبية أو فضية بقيمة أربعين فى المائة وسهاما جديدة بقيمة الستين فى المائة الباقية

واقترضت الدولة لاتمام هذه العملية المالية ثمانية ملايين جنيها انكليزيا ولما لم تف اقترضت ثمانية أخرى بواسطة البنك العثمانى الذى تأسس فى هذه الغضون ولكثرة المصاريف فى الاصلاحات الداخلية وغيرها كثرت الديون وتراكمت وصار دفع الكوبونات (الفوائد) حملا ثقيلا على عاتق ميزانية الدولة فأمر السلطان بالاقتصاد من جميع فروع الميزانية حتى من المبالغ المخصصة لسرايته الخاصة وبذلك أمكن

ناظر

ناظر المالية مصطفى فاضل باشا (١٥٦) للقيام بدفع الفوائد وأخيرا لعدم موافقة ناظر المالية لفؤاد باشا على مشروعاته المالية عزل مصطفى باشا فاضل وعين كانى باشا مكانه فقدم هذا الاخير بالاتحاد مع فؤاد باشا تقريرا الى السلطان بتاريخ ١٩ مارث سنة ١٨٦٥ قاضيا بانشاء سجل مخصوص لجميع الديون وقيدها به بعد توحيدها فصدرت ارادة سنية باعتماد هذا التقرير وسجل بمقتضاه أربعون مليون جنيها عثمانيا لكن لم يات زمن دفع الكوبون الا والخزينة ناضبة لا يوجد بها ما يكفى لدفعه فاضطرت الدولة الى اصدار سهام جديدة بواسطة البنك العثمانى بمدينتى باريس ولوندرة فأصدرها البنك فى دسمبر سنة ١٨٦٥ بفائدة ١٢ فى المائة ولضعف الثقة بمالية الدولة لم يقدم أصحاب الاموال على الاكتتاب ولم يتحصل من هذه السهام الجديدة الا ما يكفى لدفع الكوبون المستحق فقط ولاستمرار هذا الضيق وعدم وجود النقود الكافية للمصروفات الضرورية سعى به أرباب الغايات لدى جلالة السلطان وأفهموه ان هذا العسر ناشئ عن سوء تدابير فؤاد باشا المالية فعزله واستبدله بمحمد رشدى باشا وأصدر له فرمانا بذلك بتاريخ ٤ يونيو سنة ١٨٦٦ الموافق ٢١ محرم سنة ١٢٨٣ فسعى مرتين فى اصدار قرض لتسوية الديون السائرة ولم ينجح وأخيرا اتفق مع البنك العثمانى على ان يدفع البنك فوائد الديون المقيدة فى السجل العمومى كل ثلاثة أشهر وتتنازل له الدولة لوفائها من بعض ايرادات معينة وبذلك أمكن دفع الكوبونات أولا فأولا واتقى شر تأخير دفعها الذى يعد فى عرف المالية افلاسا وصارت الدولة تقترض ما يلزمها من البنوك بدون اصدار سهام عمومية

﴿الاعتراف بانتخاب البرنس شارل دى هوهنزولرن أميرا على الولايتين﴾

﴿وانجلاء عساكر الدولة عن الصرب نهائيا وثورة كريد﴾

---

(١٥٦) هو نجل المرحوم ابراهيم باشا نجل المرحوم محمد على باشا الكبير والى مصر ولد سنة ١٢٤٥ هـ وتوجه الى أوروبا مع أخيه المرحوم أحمد باشا والخديوى الاسبق اسماعيل باشا وتوظف بوظائف عالية بالاستانة فأحيلت اليه نظارة المعارف سنة ١٢٧٩ ثم المالية وفى أوائل سنة ١٢٨٧ عين ناظرا للعدلية (الحقانية) وبعد ذلك بقليل أنعم عليه بالنيشان العثمانى المرصع وتقلد بعد ذلك عدة مناصب أخرى وتوفى فى ٤ ذى القعدة سنة ١٢٩٢ ودفن بالاستانة

بعد ان استقرت أحوال الدولة المالية أو كادت تحركت الفتن السياسية أولا بسبب عدم قبول حكومة الصرب باتفاق اغسطس سنة ١٨٦ القاضي ببقاء الجيوش العثمانية محتلة لاربع قلاع بداخل بلاد الصرب كما سبق ذكر ذلك وطلبها من الدول بكل الحاح ابطال هذا الشرط وانجلاء عساكر الدولة عنها قطعيا فلم تقبل الدولة بل هددت الصرب بالحرب لو مست عساكرها المحتلين بسوء ولكن اشتعال نار الفتن بكريد أشغلها عن اخضاعها وقبلت أخيرا في مارث سنة ١٨٦٧ سحب عساكرها فكمل استقلال الصرب ولم يبق على أميرها الا لقب ملك

ومثل ذلك حصل بخصوص الاعتراف بانتخاب البرنس شارل دي هوهنزولرن البروسي فان الدولة بعد ان جمعت جيشا جرارا على حدود رومانيا لفسخ الانتخاب والزام الاهالي باتباع نصوص المعاهدات اضطرتها ثورة كريد الى العدول عن هذه المطالبة والاعتراف بانتخابه ولقد أصابت الدولة في ذلك لان وجود مثل هذه الامارة في طريق الروسيا يفيدها وقت الحرب خصوصا اذا لم يكن أميرها مصافيا للروسيا ولا متحدا معها في المذهب والجنس

أما ثورة جزيرة كريد فنشأت من دسائس اليونان بها وسعيهم في ضمها اليهم لكن يظهر ان مصلحة الدول البحرية لم تسمح لهم هذه المرة بتأييد مطالب اليونان بل كانت كلها مضادة لسلخ هذه الجزيرة عن أملاك الدولة العلية

ولذلك منعت الدول مملكة اليونان من مساعدة الجزيرة الثائرة وأرسلت الدولة العثمانية لقمعها جيشا عرمرما وأرسل اسمعيل باشا خديوي مصر الاسبق فرقة لمساعدتها على مقتضى الفرمانات وأظهرت الجيوش المصرية بها شجاعتها المعتادة وفازت بالنصر في عدة مواقع مهمة خصوصا في واقعة ارقاذي (اركاديون) حتى استحقوا ثناء خديويهم عليهم وشكره لهم فارسل لهم بكريد رسالة قرئت على جميع العساكر والضباط المصريين وكان المحرر لها المرحوم عبد الله باشا فكري الذي كان اذ ذاك ناظر قلمي التحريرات والعرضحالات وقد أردنا ايرادها حرفيا لرقة مبانيها ودقة معانيها اشاهدة بفضل المصريين في براعة التحرير كما تشهد لهم بالنصر والفوز العظيم وها هي بحروفها

(صورة)

﴿صورة ما كتبه العالم التحرير عزتلو عبد الله فكرى بك﴾
﴿ناظر قلمى التحريرات والعرضحالات حينئذ عن لسان﴾
﴿الخديو المعظم الى العساكر المصرية بجزيرة كريد﴾

الى من باشروا واقعة ارقاذى من الضباط الجهادية وأفراد العساكر المصرية سلام من الله وتسليم ورضوان كريم يهدى لأولكم وآخركم ويسدى لمأموركم وآمركم لازلتم محفوظين من الله بنصره محفوظين بأمره غالبين على عدوكم بقهره متقلبين فى نعمته وبره ولا انفكت عزائمكم فى كروب الحرب عزائم وصوارمكم فى قطوب الخطوب بواسم واعلامكم للنجح والتمكين علائم وأيامكم للفتح المبين مواسم ورياح القهر والدمار على عدوكم سمائم ونسمات النصر والفخار فى رواحكم وغدوكم نواسم (وبعد) فمازلت أتشوق من أخبار شجاعتكم مايسر الخواطر وأتشوف من آثار براعتكم مايقر النواظر واثقا بعزمكم وحزمكم فى المضايق مبتهجا بما أبديتموه من حسن السوابق حتى ورد فابور الشرقية من طرف حضرة الباشا ناظر الجهادية بيوميات الوقائع العسكرية مشتملة على واقعة ارقاذى وتفصيلاتها وما كان من رسوخ أقدامكم وثباتها واقدامكم فى جهاتها واقتحامكم مضايق حصونها واستحكاماتها وتسخير مستعصياتها وتدمير أشقياء العصاة وكماتها حتى زلزلت صياصيها وذلت نواصيها ودنا لكم قاصيها ودان عاصيها فهكذا تكون رجال الجهاد وأبطال الجدال والجلاد وهكذا تفتح الحصون ويبرز سر النصر المصون وفى ذلك فليتنافس المتنافسون فقد أسفر لكم بحمد الله وجه التهانى وأثمر فيكم بعون الله غرس الامانى وأيدتم ماثبت للعساكر المصرية من حسن الامور العسكرية فحصل لى من الانس والسرور بهذه البشاره مالاتقدر الالسن ان تصف مقداره ولايتسع له مجال الاشاره وتأيد فيكم حسن أنظارى وظهرت ثمرات أفكارى وتحققت انكم بعد الآن بعون الله الكريم لاتزلون عن هذا الطريق القويم ولاتزالون فى تأييد مالكم من المجد القديم وقد شاع حديث نصرتكم بين الاهل والديار وسارت الركبان بمحاسن هذه الاخبار كما نقلته صحائف الوقائع الى جميع الاقطار فانشرحت صدور أهلكم واخوانكم

وفرحت بكم جميع أهل بلدانكم وابتهجت ثغور أوطانكم وافتخرت بأحاديث شجعانكم وارتاحت أرواح الشهداء من أقرانكم والمأمول في ألطاف الله العلية وبركات السلطنة السنية ثم في حميتكم الملية وغيرتكم الوطنية ان يزول حال الاختلال عن قرب وينتهي أمر القتال والحرب ويطيع الجميع ويسهل كل صعب منيع وتعودوا لوطننا العزيز ظافرين بالنصر والتعزيز وقد قرب حصول الامل ونجاح العمل ومضى الاكثر وبقي الاقل والحرب للرجل العسكري والبطل الجري سوق عظيم وموسم كريم تشترى فيه غوالي المعالي بأغالي الغوالي وتنال فيه منازل الاكارم في ظلال السيوف الصوارم ويدرك الفخر الصادق بمرامي المدافع والبنادق وقد علمتم ان الشجاعة وان كانت تبلغ الآمال لا تقصر الآجال كما ان الجبن وان كان يورث العار لا يؤخر الاعمار وانما هي آجال محدودة وأنفاس معدودة لا تقبل التغيير ولا التقديم ولا التأخير والشجاعة صبر ساعة ثم ينكشف الغبار وتسفر الاخبار ويتناقل حديث الشجعان ويخلد في تواريخ الزمان فدوموا على ابداء الاجتهاد وقوموا بأداء حقوق الجهاد واثبتوا على الشجاعة والاقدام وثبات القلوب والاقدام وانجزوا بمعونة الله تمام هذا المرام وكما جود تم براعة المطلع فاحسنوا براعة الختام . اهـ

ولم يكن اهتمام الدولة العلية ورجالها بأقل من اهتمام الجنود المصرية المظفرة فبعد ان وجهت اليها الجيوش أرسلت اليها مندوبا ساميا للمفاوضة مع الثائرين اسمه كريدلى محمد باشا لمعرفته أحوال البلاد لكن لم ينجح في مأموريته لما كان بينه وبين أعيان الجزيرة من الشحناء بسبب ولايته السابقة على تلك الجزيرة

ثم في ٦ شوال سنة ١٢٨٣ الموافق ١١ فبراير سنة ١٨٦٧ استقال محمد رشدي باشا من منصب الصدارة فعين السلطان مكانه محمد أمين عالي باشا ثانيا وأبقى محمد رشدي باشا المذكور في وظيفة السر عسكرية وأعاد محمد فؤاد الصدر الاسبق الى نظارة الخارجية وكانت أول أعمال هذه النظارة ان استدعت كريدلى محمد باشا من جزيرة كريد وأرسلت عمر باشا بطل القرم اليها بوظيفة قائد عام لجميع الجيوش المحاربة بها لمحاربة الثائرين بكل شدة وصرامة وعند ذلك تداخلت بعض الدول وطلبت ارسال لجنة

دوليـة الى الجزيرة لتسوية الاحوال فرفض الباب العالى هذا الطلب لعدم اتفاق الدول عليـه واقترح من نفسـه ارسال مندوب سام سيـاسى للنظر فى شؤن الجزيرة وسافر اليها بهذه الصفة الصدر الاعظم عالى باشا فى ٤ اكتوبر سنة ١٨٦٧ وهناك بذل جهده فى تسكين خاطر الاعيان بمنحهم الرتب والنياشين ثم أقال عمر باشا لعـدم اتفاقه مع رجال البحرية المراقبـين لشواطئ الجزيرة وأقام حسين عونى باشا مكانه وعينه واليا للجزيرة وبعد ان رتب الاحوال عاد الى الاستانة فى أوائل سنة ١٨٦٨ لاضطراد المخابرات السـياسية بشأن تظاهر مملكة اليونان لمساعدة الثائرين وطلبها ضم الجزيرة اليها بأى طريقـة ولو أدت الحال الى الحرب لكن لم تساعدها الدول على ذلك وأظهرت لهـا الجفاء وتهددتها بالا تحمد عقباه لو أثارت نار الحرب

وأخيرا انعـقد بباريس مؤتمر من منـدوبى الدول الموقعة على عهدة سـنة ١٨٥٦ وبعد مداولات وتبادل عدة محررات أصدر السلطان ارادة سنية بتاريخ ١٩ سبتمبر سنة ١٨٦٩ بمنح الجزيرة بعض امتيازات واعفاء أهلها من دفع أموال سنتين كانت متأخرة عليهم ومن الخدمة العسكرية وبذلك انتهت هذه الثورة موقتا اذ اليونان لا تترك أى فرصة لتحريضها على الثورة لضمها اليها

﴿سفر السلطان عبد العزيز الى الديار المصرية والى باريس عاصمة فرنسا ـ بعض اصلاحات داخلية ـ تعاقب الوزارات﴾

ممـا امتاز به السلطان عبـد العزيز خان عمـا عداه من السـلاطين العثمـانيين تفقده ممـالكه المحروسة بنفسه وسياحته خارجا عنها فقد سافر رحمه الله الى وادى النيل فى ١٤ شوال سنة ١٢٧٩ الموافق ١٠ ابريل سنة ١٨٦٣ يصحبه فى معيته الشريفة الامراء الاماجـد مراد أفندى الذى تولى منصب الخلافة بعـد المرحوم السلطان عبد العزيز وعبد الحميد أفندى خليفتنا الحالى ورشاد أفندى ويوسف عز الدين أفندى والوزيران فؤاد باشا ومحمـد باشا قبرصلى الى الاسكنـدرية ومحروسـة مصر ثم عاد الى دار السعادة باليمن والاقبال وكان سفره من الاستانة بعد ان افتتح المعرض العثمـانى الذى أقيم بها لتنشيط الصنائع الوطنية فى ١٠ رمضان سنة ١٢٧٩ بحضور ضـيفه

الكريم اسمعيل باشا خديوينا الاسبق

وفي ١٩ صفر سنة ١٢٨٤ الموافق ٢٥ يونيو سنة ١٨٦٧ سافر قاصدا مدينة باريس الزاهية الزاهرة بناء على دعوى الامبراطور نابوليون الثالث لحضور المعرض العام الذي أقيم فيها ودعا اليه الامبراطور أغلب ملوك الدنيا وكان من ضمن المدعوين خديوي مصر اسمعيل باشا فأبحر من الاسكندرية في ٧ من شهر صفر المذكور على سفينة المحروسة ليكون بباريس حين قدوم جلالة السلطان عبد العزيز اليها ثم عاد جلالة السلطان المعظم الى مقر خلافته عن طريق وارنة في ٦ ربيع الثاني سنة ١٢٨٤ بعد ان تغيب عنها ستة أسابيع ألفي في خلالها من حسن الملاقاة وكرم الوفادة ما طبع عليه الفرنساويون واشتهر عنهم

أما الاصلاحات التي أجريت في داخلية الممالك المحروسة في خلافته فيعد منها ولا تعد فنها القانون القاضي بجواز انتقال الاراضي الميرية (الخراجية) والموقوفة لورثة صاحب المنفعة الصادر في ١٧ محرم سنة ١٢٨٤ وهو يشبه اللائحة الاطيان السعيدية المصرية

والقوانين التي أجازت للاجانب امتلاك العقارات وكافة الحقوق العينية والتصرف فيها بجميع الممالك المحروسة بعد ان كانت ممنوعة عنهم كلية وذلك في سنة ١٢٨٥ الموافقة سنة ١٨٦٩ ومنها وضع مجلة الاحكام الشرعية ليعمل بها في المحاكم النظامية التي أنشئت وكان جاريا اصلاحها وكان وضع هذه المجلة بمعرفة لجنة من أشهر متشرعي هذا العصر واليك نص التقرير الذي قدمته الى محمد أمين عالي باشا الصدر الاعظم في غرة محرم سنة ١٢٨٦ منقولا من منتخبات الجوائب

﴿صورة التقرير الذي تقدم للمرحوم عالي باشا الصدر الاعظم فيما يتعلق﴾
﴿بالمجلة وهي مجموع أحكام وقوانين وذلك في غرة محرم سنة ١٢٨٦﴾

لا يخفى على حضرة الصدر العالي ان الجهة التي تتعلق بأمر الدنيا من علم الفقه كما انها تنقسم الى مناكحات ومعاملات وعقوبة كذلك القوانين السياسية للامم المتمدنة تنقسم الى هذه الاقسام الثلاثة ويسمى قسم المعاملات منها القانون المدني لكنه

لما

لما زاد اتساع المعاملات التجارية فى هذه الاعصار مست الحاجة الى استثناء كثير من المعاملات كالسفتجة التى يسمونها حوالة وكأحكام الافلاس وغيرهما من القانون الاصلى ووضع لهذه المستثنيات قانون مخصوص يسمى قانون التجارة وصار معمولا به فى الخصوصيات التجارية فقط وأما سائر الجهات فمازالت أحكامها تجرى على القانون المدنى ومع ذلك فالدعاوى التى ترى فى محاكم التجارة اذا ظهر شئ من متفرعاتها ليس له حكم فى قانون التجارة مثل الرهن والكفالة والوكالة يرجع فيه الى القانون الاصلى وكيفما وجد مسطورا فيه يجرى الحكم على مقتضاه وكذا فى دعاوى الحقوق العادية الناشئة عن الجرائم تجرى المعاملة بها على هذا المنوال أيضا وقد وضعت الدولة العلية قديما وحديثا قوانين كثيرة تقابل القانون المدنى وهى وان لم تكن كافية لبيان جميع المعاملات وفصلها الا ان المسائل المتعلقة بقسم المعاملات من علم الفقه هى كافية وافية للاحتياجات الواقعة فى هذا الخصوص ولما يرى بعض مشكلات فى تحويل الدعاوى الى الشرع والقانون غير ان مجالس تمييز الحقوق لما كانت تحت رئاسة حكام الشرع الشريف فكما ان الدعاوى الشرعية تصير رؤيتها وفصلها لديهم كذلك كانت المواد النظامية التى تحال الى تلك المجالس ترى وتفصل بمعرفتهم أيضا وبذلك يجرى حل تلك المشكلات من حيث ان أصل القوانين والنظامات الملكية ومرجعها ماهو علم الفقه وكثير من الخصوصات المتفرعة والامور التى ينظر فيها بمقتضى النظام يفصل ويحسم على وفق المسائل الفقهية والحال ان اعضاء مجالس تمييز الحقوق لا اطلاع لهم على مسائل علم الفقه فاذا حكمت حكام الشرع الشريف فى تلك الفروع بمقتضى الاحكام الشرعية ظن الاعضاء انهم يفعلون ما يشاؤن خارجا عن النظامات والقوانين الموضوعة وأساؤا بهم الظن فيصير ذلك باعثا على القيل والقال

ثم ان قانون التجارة المسما بونى هو دستور العمل فى محاكم التجارة الموجودة فى ممالك الدولة العلية واما الخصوصات المتفرعة عن الدعاوى التجارية التى لا حكم لها فى قانون التجارة فيحصل بها مشكلات عظيمة لانه اذا صارت المراجعة فى مثل هذه الخصوصات الى قوانين اوروبا وهى ليست موضوعة بالارادة السنية فلا تصير

مدار الحكم فى محاكم الدولة العلية واذا أحيل فصل تلك المشكلات الى الشريعة الغراء فالمحاكم الشرعية تصير مجبورة على استئناف المرافعة فى تلك الدعوى وحينئذ فالحكم على قضية واحدة فى محكمتين كل منهما تغاير الاخرى فى أصول المحاكمة ينشأ عنه بالطبع تشعب ومباينة ففى مثل هذه الاحوال لا يمكن لمحاكم التجارة مراجعة المحاكم الشرعية واذا قيل لاعضاء محاكم التجارة ان يراجعوا الكتب الفقهية فهذا أيضا لا يمكن لان هؤلاء الاعضاء على حد سواء مع أعضاء مجالس تمييز الحقوق فى الاطلاع على المسائل الفقهية

ولا يخفى ان علم الفقه بحر لا ساحل له واستنباط درر المسائل اللازمة منه لحل المشكلات يتوقف على مهارة علمية وملكة كلية وعلى الخصوص مذهب الحنفية لانه قام فيه مجتهدون كثيرون متفاوتون فى الطبقة ووقع فيه اختلافات كثيرة ومع ذلك فلم يحصل فيه تنقيح كما حصل فى فقه الشافعية بل لم تزل مسائله اشتاتا متشعبة فتمييز القول الصحيح من بين تلك المسائل والاقوال المختلفة وتطبيق الحوادث عليها عسير جدا وما عدا ذلك فانه بتبدل الاعصار تتبدل المسائل التى يلزم بناؤها على العادة والعرف مثلا كان عند المتقدمين من الفقهاء اذا أراد أحد شراء دار اكتفى برؤية بعض بيوتها وعند المتأخرين لابد من رؤية كل بيت منها على حدته وهذا الاختلاف ليس مستندا الى دليل بل هو ناشئ عن اختلاف العرف والعادة فى أمر الانشاء والبناء وذلك ان العادة قديما فى انشاء الدور وبنائها ان تكون جميع بيوتها متساوية وعلى طرز واحد فكانت رؤية بعض البيوت على هذا تغنى عن رؤية سائرها وأما فى هذا العصر فحيث جرت العادة بان الدار الواحدة تكون بيوتها مختلفة فى الشكل والقدر لزم عند البيع رؤية كل منها على الانفراد وفى الحقيقة فاللازم فى هذه المسألة وأمثالها حصول علم كاف بالمبيع عند المشترى ومن ثم لم يكن الاختلاف الواقع فى مثل المسألة المذكورة تغيير القاعدة الشرعية وانما تغير الحكم فيها بتغير أحوال الزمان فقط وتفريق الاختلاف الزمانى والاختلاف البرهانى الواقع هنا وتمييزهما محوج الى زيادة التدقيق وامعان النظر فلا جرم ان الاحاطة بالمسائل الفقهية وبلوغ النهاية فى معرفتها أمر صعب جدا ولذا انتدب جمع من فقهاء العصر

وفضلائه

وفضلائه لتأليف كتب مطولة مثل كتاب الفتاوى التاتارخانية والعالمكيرين المشهورة الآن بالفتاوى الهندية ومع ذلك فلم يقدروا على حصر جميع الفروع الفقهية والاختلافات المذهبية وفى الواقع فان كتب الفتاوى هى عبارة عن مؤلفات حاوية لصور ما حصل تطبيقه من الحوادث على القواعد الفقهية وأفتيت به الفتاوى فيما مر من الزمان ولا شك ان الاحاطة بجميع الفتاوى التى أفتى بها علماء السادة الحنفية فى العصور الماضية عسر للغاية ولهذا جمع ابن نجيم رحمه الله تعالى كثيرا من القواعد الفقهية والمسائل الكلية المندرج تحتها فروع الفقه ففتح بذلك بابا يسهل التوصل منه الى الاحاطة بالمسائل ولكن لم يسمح الزمان بعده بعالم فقيه يحذو حذوه حتى يجعل أثره طريقا واسعا وأما الآن فقد ندر وجود المتبحرين فى العلوم الشرعية فى جميع الجهات وفضلا عن انه لا يمكن تعيين أعضاء فى المحاكم النظامية لهم قدرة على مراجعة الكتب الفقهية وقت الحاجة لحل الاشكالات فقد صار من الصعب أيضا وجود قضاة كافية للمحاكم الشرعية الكائنة فى الممالك المحروسة

بناء على ذلك لم يزل الامل معلقا بتأليف كتاب فى المعاملات الفقهية يكون مضبوطا سهل المأخذ عاريا من الاختلافات حاويا للاقوال المختارة سهل المطالعة على كل أحد لانه اذا وجد كتاب على هذا الشكل حصل منه فائدة عظيمة عامة لكل من نواب الشرع ومن أعضاء المحاكم النظامية والمأمورين بالادارة فيحصل لهم بمطالعته انتساب الى الشرع ولدى الايجاب تصير لهم ملكة بحسب الوسع يقتدرون بها على التوفيق ما بين الدعاوى والشرع الشريف فيصير هذا الكتاب معتبرا مرعى الاجراء فى المحاكم الشرعية مغنيا عن وضع قانون لدعاوى الحقوق التى ترى فى المحاكم النظامية ومن أجل الحصول على هذا المأمول عقدت سابقا جمعية علمية فى ادارة مجلس التنظيمات وحرر حينئذ كثير من المسائل ولكن لم تبرز الى حيز الفعل فصدق مضمون قولهم ان الامور مرهونة لاوقاتها حتى شاء الله تعالى بروزها فى هذا العصر الهمايونى الذى صار مغبوطا من جميع الاعصار بظهور مثل هذه الآثار الخيرية للهمة ولاجل حصول هذا الامر مع سائر الآثار الحسنة الكثيرة التى هى من

التوفيقات الجليلة السلطانية المشهودة بعين الافتخار للبرية أحيل على عهدتنا مع ضعفنا وعجزنا اتمام هذا المشروع الجميل والاثر الخيري السديد لتحصل به الكفاية في تطبيق المعاملات الجارية على القواعد الفقهية على حسب احتياجات العصر وبموجب الارادة العلية اجتمعنا في دائرة ديوان الاحكام وبادرنا الى ترتيب مجلة مؤلفة من المسائل والامور الكثيرة الوقوع اللازمة جدا من قسم المعاملات الفقهية مجموعة من أقوال السادة الحنفية الموثوق بها وقسمت الى كتب متعددة وسميت بالاحكام العدلية وبعد ختام المقدمة والكتاب الاول منها أعطيت نسخة منهما لمقام مشيخة الاسلام ونسخ أخرى لمن له مهارة ومعرفة كافية في علم الفقه من الذوات الفخام ثم بعد اجراء مالزم من التهذيب والتعديل فيها بناء على بعض ملاحظات منهم حررت منها نسخة وعرضت على حضرتكم العلية والآن حصلت المبادرة الى ترجمة هذه المقدمة والكتاب الى اللغة العربية ومازال الاهتمام مصروفا الى تأليف باقي الكتب أيضا فلدى مطالعتكم هذه المجلة يحيط علمكم العالي بأن المقالة الثانية من المقدمة هي عبارة عن القواعد التي جمعها ابن نجيم ومن سلك مسلكه من الفقهاء رحمهم الله تعالى فحكام الشرع مالم يقفوا على نقل صريح لا يحكمون بمجرد الاستناد الى واحدة من هذه القواعد الا ان لها فائدة كلية في ضبط المسائل فمن اطلع عليها من المطالعين يضبطون المسائل بادلتها وسائر المأمورين يرجعون اليها في كل خصوص وبهذه القواعد يمكن للانسان تطبيق معاملاته على الشرع الشريف أوفى الاقل التقريب وبناء على ذلك لم تكتب هذه القواعد تحت عنوان كتب أو باب بل أدرجناها في المقدمة والاكثر في الكتب الفقهية ان تذكر المسائل مخلوطة مع المبادي لكن في هذه المجلة حرر في أول كل كتاب مقدمة تشتمل على الاصطلاحات المتعلقة بذلك الكتاب ثم تذكر بعدها المسائل الساذجة على الترتيب ولاجل ايضاح تلك المسائل الاساسية أدرج ضمنها كثير من المسائل المستخرجة من كتب الفتاوى على سبيل التمثيل

ثم ان الاخذ والعطاء الجاري في زماننا أكثره مربوط بالشروط وفي مذهب الحنفية ان الشروط الواقعة في صلب العقد أكثرها مفسد للبيع ومن ثم كان أهم المباحث

فی کتاب البیوع فصل البیع بالشرط وهذا الامر أوجب مباحثات ومناظرات کثیرة فی جمعیة هؤلاء العاجزین ولذا رؤی مناسبا ایراد خلاصة المباحثات الجاریة فی ذلک علی الوجه الآتی

فنقول ان أقوال أکثر المجتهدین فی حق البیع بالشرط یخالف بعضها بعضا ففی مذهب المالکیة اذا کانت المدة جزئیة وفی مذهب الحنابلة علی الاطلاق یکون للبائع وحده ان یشرط لنفسه منفعة مخصوصة فی المبیع لکن تخصیص البائع بهذا الامر دون المشتری یری مخالفا للرأی والقیاس اما ابن ابی لیلی وابن شبرمة ممن عاصروا الامام الاعظم رضی الله عنه وانقرضت أتباعهم فکل منهما رأی فی هذا الشان رأیا یخالف رأی الآخر فابن أبی لیلی یری ان البیع اذا دخله شرط أی شرط کان فقد فسد البیع والشرط کلاهما وعند ابن شبرمة ان الشرط والبیع جائزان علی الاطلاق فمذهب ابن أبی لیلی یری مباینا لحدیث ﴿المسلمون عند شروطهم﴾ ومذهب ابن شبرمة موافق لهذا الحدیث موافقة تامة لکن المتبایعین ربما یشرطان أی شرط کان جائزا أو غیر جائز قابل الاجراء أو غیر قابل ومن الامور المسلمة عند الفقهاء ان رعایة الشرط انما تکون بقدر الامکان فمسألة الرعایة للشرط قاعدة تقبل التخصیص والاستثناء ولذا اتخذ طریق متوسط عند الحنفیة وذلک ان الشرط ینقسم الی ثلاثة أقسام شرط جائز وشرط مفسد وشرط لغو بیان هذا ان الشرط الذی لا یکون من مقتضیات عقد البیع ولا مما یؤیده وفیه نفع لاحد المتعاقدین مفسد والبیع المعلق به یکون فاسدا والشرط الذی لا نفع فیه لاحد العاقدین لغو والبیع المعلق به صحیح لان المقصود من البیع والشراء التملیک والتملک أی ان یکون البائع مالکا للثمن والمشتری مالکا للمبیع بلا مزاحم ولا ممانع والبیع المعلق به نفع لاحد المتعاقدین یؤدی الی المنازعة لان المشروط له النفع یطلب حصوله والآخر یرید الفرار منه فکان البیع لا یتم لکن بما ان العرف والعادة قاطع للمنازعة جوز البیع مع الشرط المتعارف علی الاطلاق اما المعاملات التجاریة فهی من أصلها فی حال مستثنی کما تقدم وأکثر ذوی الحرف والصنائع قد تعارفوا علی معاملة مخصوصة تقررت بینهم والعرف الطاری معتبر فلا یبقی ما یوجب البحث الا بعض شروط

خارجة عن العرف والعادة تشترط فى المعاملات المتعرفة فى الاخذ والعطاء وليس لهذه المعاملات شأن يوجب الاعتناء بالبحث عنها فامست الحاجة فى تيسير معاملات العصر الى اختيار قول ابن شبرمة الخارج عن مذهب الحنفية ولهذا حصل الاكتفاء بذكر الشروط التى لاتفسد البيع عند الحنفية فى الفصل الرابع من الباب الاول كما وقع فى سائر الفصول قد ذكر فى المادة السابعة والتسعين بعد المائة والمادة الخامسة بعد الثمانين أنه لايصح بيع المعدوم والحال ان ما كان مثل الورد والخرشوم من الازهار والخضراوات والفواكه التى يتلاحق ظهور محصولاتها يصح فيه البيع اذا كان بعض محصولاتها ظهر و بعضها لم يظهر لانه لما كان ظهور محصولاتها دفعة واحدة غير ممكن وانما تظهر أفرادها وتتناقص شيأ بعد شىء اصطلح الناس فى التعامل على بيع جميع محصولاتها الموجودة والمتلاحقة بصفقة واحدة ولذا جوز الامام محمد بن حسين الشيبانى رحمه الله تعالى هذا البيع استحسانا وقال اجعل الموجود أصلا والمعدوم تبعا له وأفتى بقوله الامام الفضلى وشمس الائمة الحلوانى وأبو بكر بن فضل رحمهم الله تعالى وحيث ان ارجاع الناس عن عادتهم المعروفة عندهم غير ممكن كما ان حمل معاملتهم بحسب الامكان على الصحة أولى من نسبتها الى الفساد وقع الاختيار لترجيح قول محمد رحمه الله فى هذه المسألة كما هو مندرج فى المادة السابعة بعد المائتين

وفى بيع الصبرة كل مد بكذا عند الامام الاعظم رضى الله عنه يصح البيع فى مد واحد فقط وعند الامامين رحمهما الله تعالى يصح فى جميع الصبرة فمهما بلغت الصبرة فأخذها المشترى و يدفع ثمنها بحساب المد بسعر ماجرى عليه العقد وحيث ان كثيرا من الفقهاء مثل صاحب الهداية قد اختار وا قول الامامين فى ذلك تيسيرا لمعاملات الناس حررت هذه المسألة فى المادة العشرين بعد المائتين على مقتضى قولهما وأكثر مدة خيار الشرط عند الامام رحمه الله تعالى ثلاثة أيام وعند الامامين تكون المدة على قدر ماشرط المتعاقدان من الايام ولما كان قولهما هنا أيضا أوفق للحال والمصلحة وقع عليه الاختيار وذكر بدون مدة الايام الثلاثة فى المادة الثلثمائة وهذا الخلاف جار أيضا فى خيار النقد الا ان عدم تقييد المدة بثلاثة أيام وصحة

تقييدها

تقييدها بأكثر من ذلك هو قول محمد رحمه الله تعالى فقط وانما اختير قوله فى هذه المسألة أيضاً مراعاة لمصلحة الناس كما ذكر فى المادة الثالثة عشرة بعد الثلثمائة وعند الامام الأعظم ان المستصنع له الرجوع بعد عقد الاستصناع وعند الامام أبي يوسف رحمه الله انه اذا وجد المصنوع موافقاً للصفات التى بينت وقت العقد فليس له الرجوع والحال انه فى هذا الزمان قد اتخذت معامل كثيرة تصنع فيها المدافع والبواخر (الفابورات) ونحوها بالمقاولة وبذلك صار الاستصناع من الامور الجارية العظيمة فتخيير المستصنع فى امضاء العقد أو فسخه يترتب عليه الاخلال بمصالح جسيمة وحيث ان الاستصناع مستند الى التعارف ومقيس على السلم المشروع على خلاف القياس بناء على عرف الناس لزم اختيار قول أبي يوسف رحمه الله تعالى فى هذا مراعاة لمصلحة الوقت كما حرر فى المادة الثانية والتسعين بعد الثلثمائة من هذه المجلة فاذا أمر امام المسلمين بتخصيص العمل بقول من المسائل المجتهد فيها تعين ووجب العمل بقوله واذا صارت هذه المعروضات المبسوطة لدى حضرتكم العلية قرينة التصويب يجرى توشيح أعلى المجلة الملفوفة بالخط الشريف الهمايونى والامر لولى الامر

ناظر ديوان الاحكام العدلية	مفتش الاوقاف الهمايونية
أحمد جودت	السيد خليل
من أعضاء شورى الدولة	من أعضاء ديوان الاحكام العدلية
سيف الدين	السيد احمد خلوصى
من أعضاء ديوان الاحكام العدلية	من أعضاء شورى الدولة
السيد احمد حلمى	محمد أمين الجندى

من أعضاء الجمعية علاء الدين بن ابن عابدين

هذا ومن جهة الامور المتعلقة بالامارات الممتازة فقد ابتدأت دسائس جمعيات الصقالبة فى بلاد البلغار الواقعة بين نهر الطونة وجبال البلقان لسلخها عن الدولة وكذلك فى ولايتى البوسنه والهرسك بدعوى الاشتراك مع الروسيين فى الجنس والدين

وكانت رومانيا من أقوى المساعدين لهذه الجمعيات فكانت تأوى اليها العصب المتسلحة وتشن الغارة على بلاد البلغار لتحريضهم على العصيان وطلب الاستقلال لكن لم تمتد بها الفتن بل كان يطفأ شرارها أولا بأول قبل ان يصير لهيبا بهمة أحمد مدحت باشا الشهير والى هذا الاقليم وكذلك الحال فى بلاد البوسنة والهرسك

أما قطرنا المصرى السعيد فحصل على جملة امتيازات فى عهد السلطان عبد العزيز لما كان بينه وبين اسمعيل باشا من الروابط الخصوصية وما كان له بين حاشية السلطان ووزرائه من المساعدين فخصه أولا لقب خديو بعد توليته بقليل

وفى سنة ١٢٨٣ غيرت طريقة التوارث فى الخديوية المصرية وحصرت فى ذرية اسماعيل باشا المذكور ثم فى سنة ١٢٨٩ أعطيت له عدة امتيازات جديدة وفى غرة جمادى الاولى سنة ١٢٩٠ أرسل اليه فرمان جديد شامل لجميع امتيازات مصر وكيفية التوارث فى منصب الخديوية ولكونه جامعا لكافة ما سبق آثرنا نشره حرفيا اكتفاء به عن باقى الفرمانات السابقة الداخلة معناها ضمن هذا الفرمان وها هو

﴿ترجمة الفرمان الصادر من الحضرة السلطانية الجليلة الى حضرة الخديو﴾
﴿الافخم وذلك فى تأكيد سائر الفرمانات التى أعطيت سابقا الى من﴾
﴿تولوا الخديوية المصرية وباضافة امتيازات جديدة وذلك﴾
﴿فى غرة جمادى الاولى سنة ١٢٩٠﴾

فمن المعلوم لديكم انكم استدعيتم مناجع الخطوط الهمايونية والاوامر الشريفة السلطانية التى صدرت من منذ توجيه الخديوية الجليلة بطريق التوارث الى عهدة والى مصر الاسبق محمد على باشا المرحوم الى يومنا هذا سواء كانت بخصوص تعديل توارث الخديوية المصرية أو بخصوص اعطاء بعض امتيازات حسبما استوجبها موقع الخديوية وأمزجة الاهالى وطبائعها الخصوصية وجعلها فرمانا واحدا مع التعديلات اللازمة فى أحكامها والتفصيلات المقتضية فى عباراتها بشرط ان يكون هذا الفرمان الجديد قائما مقام الفرمانات السابقة وأن تكون الاحكام المندرجة فيها معمولا بها ومرعية الاجراء على الدوام والاستمرار فقد قورن استدعاؤكم هذا

بمساعدتنا الجليلة الملوكية وها نحن نذكر ونبين لكم أحكامها على الوجه الآتى

لما تحقق لدينا ان تعديل أصول توارث الخديوية المصرية التى صار تعيينها بالفرمان العالى الصادر فى اليوم الثانى من شهر ربيع الاول من شهور سنة ١٢٥٧ الموشح أعلاه بالخط الهمايونى وتبديلها باصول حصر الوراثة الخديوية فى أكبر أولاد خديو مصر بطريق سلسلة النسب المستقيم بان يصير تخصيص مسند الخديوية الجليل وتوجيهه الى أكبر أولاد الخديو الذكور وبعده الى أكبر أولاد هذا الاكبر الذكور وهكذا على النسب المستقيم الذكورى على الدوام يكون مستلزما لحسن ادارة الخديوية المصرية وجالبا لاستكمال سعادة أحوال أهاليها وسكانها هذا مع ماحصل لدينا من استحسان مساعيكم الجميلة المصروفة فى استحصال معمورية الأقطار المصرية المهمة الجسيمة ورفاهية أهاليها وحصول وثوقنا بكم واعتمادنا الكامل عليكم فلاجل ان يكون دليلا باهرا على ذلك قد اجرينا تعديل توارث الخديوية المصرية وتعيين وصايتها على الطريق الآتى بيانها وهى ان خديوية مصر الجليلة وملحقاتها وجهاتها المعلومة الجارية ادارتها بمعرفتها مع ماصار الحاقها بها أخيرا من قائمقاميتى سواكن ومصوع وملحقاتهما يصير توجيهها بعدكم على الطريق المارذكرها الى أكبر أولادكم الذكور وبعده الى أكبر أولاد من يكون خديوا على الاقطار المصرية من أولادكم واذا انحلت الخديوية المصرية بان لايكون للخديو ولد ذكر يصير توجيهها الى أكبر اخوته الذكور واذا لم يوجد له أخ بقيد الحياة فالى أكبر أولاد الاخ الاكبر وهكذا تتخذ هذه الاصول قانونا مستمرا وقاعدة مرعية أبدية فى توارث الخديوية المصرية ولا يصير انتقال الوراثة الخديوية الى الاولاد الذكور المتولدة من أولادكم الاناث أصلا

ولاجل تأمين أصول توارث الخديوية المصرية سنذكر صورة تشكيل الوصاية المقتضية فى ادارة أمور الخديوية فيما اذا انحلت الخديوية وكان الوارث الذى هو أكبر أولادكم الذكور صغيرا وصبيا وهى ان الخديوية المصرية اذا انحلت وكان أكبر أولادكم الذكور أعنى الوارث صغيرا وصبيا بان يكون عمره أقل من ثمانية عشر سنة ولو انه يصير خديوا بالفعل حسب استحقاق الوراثة فى الحال يصدر فرمان

من طرف السلطنة السنية بتوليته على الخديوية لكن اذا كان الخديو السالف عين ونصب وصيا ورتب هيئة وصاية لاجل ادارة أمور الخديوية لحين بلوغ الخديو اللاحق الصبي الى سن الثمانية عشر سنة وكتب سند وصاية بذلك وختم عليه هو وختم أيضا اثنان من الامراء المصرية المأمورين باحدى المأموريات المصرية على طريق الاشهاد واجراء الوصاية هكذا فالوصي مع هيئة الوصاية المذكورة يأخذ بزمام الادارة في الحال وبعد ذلك تعرض الكيفية الى الباب العالي ويصير التصديق على ذلك الوصي وهيئة الوصاية من طرف الدولة العلية بفرمان عالي ويبقى الوصي وهيئة الوصاية على ماهم عليه لحين البلوغ واما اذا انحلت الخديوية ولم يعين الخديو السالف وصيا ولم يرتب هيئة الوصاية على الوجه المذكور تتشكل هيئة الوصاية من الذوات المأمورين على الداخلية والجهادية والمالية والخارجية ومجلس الاحكام المصرية وسردارية العساكر المصرية وتفتيش الاقاليم ويصير انتخاب وصي في الحال من هؤلاء المأمورين على الوجه الآتي ذكره وهو انه في تلك الساعة تصير المذاكرة والمداولة مابين هؤلاء الذوات في حق انتخاب وصي منهم فاذا حصل اتفاقهم أو اتفاق أكثرية آرائهم على تسمية وجعل ذات منهم وصيا يتعين ذلك الذات وصيا على الخديوية واذا اختلفت الآراء بان رغب نصفهم في تعيين ذات والنصف الآخر في تعيين ذات آخر يكون اجراء وصاية الذات المأمور على المأمورية المهمة والمقدمة في الذكر من تلك المأموريات أعني المأمور على المأمورية المقدم ذكرها على الترتيب المحرر آنفا من الداخلية الى آخره وتتشكل هيئة الوصاية من الذوات الباقية بعده ويباشرون ادارة الامور الخديوية مع الوصي وتعرض الكيفية بضبطة من طرفهم الى طرف سلطنتنا السنية ويصير التصديق عليها بالفرمان الشريف وكما انه لا يجوز تبديل الوصي وتغيير هيئة الوصاية قبل ختام مدتها في الصورة الاولى أعني فيما اذا كان تعيين الوصي وترتيب الوصاية وتركيب أعضائها بمعرفة الخديو السالف فكذلك في الصورة الثانية أعني فيما اذا كان انتخاب الوصي بمعرفة المأمورين المذكورين لا يجوز تبديل الوصي ولا تغيير هيئة الوصاية ولا أعضائها في تلك المدة واذا توفي أحد من أعضاء هيئة الوصاية في

طرف تلك المدة يصير انتخاب واحد من المأمورين المصرية بمعرفة الباقين وتعيينه
بدل المتوفى واذا توفى الوصى فى تلك المدة يصير انتخاب واحد من أعضاء هيئة الوصاية
بمعرفتهم على الوجه السابق وجعله وصيا وانتخاب واحد من المأمورين المصرية
والحاقه باعضاء هيئة الوصاية بدل الذى نصب وصيا وبمجرد بلوغ الخديو الصبى الى
سن الثمانية عشر سنة صار رشيدا وفاعلا لمختار افيباشر هو بنفسه ادارة أمور
الخديوية المصرية مثل سلفه وهذا حسبما تقرر لدينا واقتضته ارادتنا الملوكية
ولما كان تزايد عمارية الخديوية المصرية وسعادة حالها وتأمين رفاهية الاهالى
والسكان واحتهامن أهم المواد الملتزمة المرغوبة لدينا وادارة المملكة الملكية
والمالية ومنافعها المادية وغيرها المتوقف عليها تأسيس واستكمال وسائل الرفاهية
وأسبابها عائدة على الحكومة المصرية فنذكر بيان كيفية تعديل الامتيازات
وتوضيحها بشرط بقاء كافة الامتيازات المعطاة قديما وحديثا من طرف الدولة العلية
الى الحكومة المصرية واستمرار جريانها خلفا عن سلف وتلك الكيفية هى انه لما كانت
ادارة المملكة بكل الصور والحالات سواء كانت ادارتها الملكية أو المالية أو كافة
منافعها المادية وغيرها هى من المواد العائدة على الحكومة المصرية والمتعلقة بها ومن
المعلوم ان أمر ادارة أى مملكة كانت وحسن انتظامها وتزايد معموريتها وثروة أهاليها
وسكانها لا يتيسر الا بتوفيق معاملاتها وتطبيق اجرآتها العمومية بالاحوال
والموقع وأمزجة الاهالى وطبائعها فقد أعطينا لكم الرخصة الكاملة فى أعمال قوانين
ونظامات داخلية على حسب لزوم المملكة وكذا الاجل تسهيل تمشية وتسوية كافة
المعاملات سواء كانت من طرف الحكومة أو من طرف الاهالى مع الاجانب وترقى
وتوسع الصنائع والحرف وأمور التجارة وأمور الضبطية مع الاجانب قد أعطينا لكم
الرخصة الكاملة فى عقد وتجديد المقاولات (المعاهدات) مع مأمورى الدول الاجنبية
فى حق الكمرك وأمور التجارة وكافة المعاملات الجارية مع الاجانب فى أمور
المملكة الداخلية وغيرها بصورة لا تستلزم اخلال معاهدات الدولة العلية البولتيقية
(السياسية) وكذا لكون خديو مصر حائز التصرفات الكاملة فى الامور المالية قد
صار اعطاء المأذونية التامة له فى عقد استقراض من الخارج بلا استئذان من الدولة

العلية فى أى وقت يرى فيه لزوم للاستقراض بشرط أن يكون باسم الحكومة المصرية وكذا لكون أمر محافظة وصيانة المملكة الذى هو الامر المهم والمعتنى به زيادة عن كل شئ من أقدم الوظائف المختصة بخديو مصر فقد أعطيت له الرخصة الكاملة فى تدارك كافة أسباب المحافظة وتأسيسها وتنظيمها بنسبة الجا آت الزمن والموقع وكذا فى تكثير أو تقليل مقدار العساكر المصرية الشاهانية بلا تحديد على حسب الايجاب واللزوم وكذا أبقينا لخديو مصر الامتياز القديم فى حق اعطاء رتبة ميرالاى من الرتب العسكرية واعطاء رتبة ثانية من الرتب الديوانية بشرط أن المسكوكات الجارى ضربها بمصر تكون باسمنا الملوكى وان تكون اعلام وصناجق العساكر البرية والبحرية الموجودة فى الخطة المصرية كأعلام وصناجق سائر عساكرنا الشاهانية بلا فرق وبشرط عدم انشاء سفن زرخ أى مدرعة بالحديد فقط بدون استئذان لاغيرها من السفن الحربية فانها جائز انشاؤها بلا استئذان ولاجل اعلان المواد المشروحة أعلاه وتأييدها أصدرنا لكم أمرنا هذا الجليل القدر من ديواننا الهمايونى بمقتضى ارادتنا الملوكية وصار توشيح أعلاه بخطنا الهمايونى واعطاؤه لكم متمما ومكملا ومعدلا ومصرحا للخطوط الهمايونية والاوامر الشريفة الصادرة لحد هذا التاريخ سواء كان فى تأسيس وترتيب وراثة الحكومة المصرية أو فى تشكيل هيئة الوصاية أو فى ادارة الامور الملكية والعسكرية والمالية والمنافع المادية والمواد السائرة بشرط أن تكون الاحكام المندرجة بهذا الفرمان الجديدة نافذة وباقية ومرعية الاجراء على مر الزمان وقائمة مقام أحكام الفرمانات السالفة على ما اقتضته ارادتنا الملوكية فيلزم ان تعلموا قدر لطف عنايتنا الملوكية وأداء شكرها بصرف جل همكم فى حسن ادارة أمور الخطة المصرية واستكمال أسباب وقاية أمنية الاهالى المنوطة بها واستحصال راحتهم على حسب ما جبلتم عليه من الشيم المرغوبة والغيرة والاستقامة وما اكتسبتموه من الوقوف والمعلومات فى أحوال تلك الحوالى والاقطار وأن تراعوا اجراء الشروط المقررة فى هذا الفرمان الجديد وأداء المائة وخمسين ألف كيسه التى هى ويركو مصر المقطوع سنويا بأوقاتها وزمانها الى خزينتنا الجليلة الشاهانية على الترتيب والقاعدة المرعية فى ذلك تحريرا

فى

فى سنة ١٢٩٠ اهـ .
ثم وهب جلالة السلطان الاعظم الى جناب خديو مصر مدينة زيلع وملحقاتها التابعة للواء الجديدة وأصدر له فرمانا بذلك فى شهر جمادى الثانية سنة ١٢٩٢ هـ وذلك بخلاف قائمقامتى سواكن ومصوع المذكورتين فى الفرمان السابق
ومما يذكر من أعمال السلطان عبد العزيز المأثورة توثيقه ربط التبعية بين ايالة تونس والخلافة الاسلامية العثمانية ليثبت حقوق الدولة عليها وذلك انه بلغ مسامع جلالته ان بعض الدول تطمح الى الاستيلاء عليها فأراد رحمه الله أن يؤيد حقوق دولته عليها اجهار اليرتدع من ينظر اليها بسوء اذ تصير جزأ من ممالكه المحروسة التى تعهدت الدول بصيانتها فى معاهدة باريس المبرمة فى سنة ١٨٥٦ فأرسل هذا الفرمان مؤرخا ٩ شعبان سنة ١٢٨٨ الموافق ٢٤ اكتوبر سنة ١٨٧١ لكن لم يمنع ذلك الحكومة الفرنساوية من دخولها بخيلها ورجلها واشهار حمايتها عليها فى سنة ١٨٨٠ اذلا قيمة للحقوق فى عصرنا هذا الموسوم بعصر التمدن والحرية وهاهو بحروفه نقلا عن الرائد التونسى أردنا درجه فى هذا الكتاب افحاما لاشياع فرنسا فى هذه الديار الذين يدعون ان فرنسا لم تهتضم للدولة العلية حقوقا برفع حمايتها على الايالة التونسية بدعوى انها لم تكن تابعة لها مطلقا

﴿صورة الفرمان الذى أرسل الى جناب مشير تونس المعظم بخصوص﴾
﴿ادخال مملكته تحت سيادة الباب العالى بامتيازات مخصوصة وذلك﴾
﴿فى ٩ شعبان سنة ١٢٨٨ الموافق ٢٤ اكتوبر سنة ١٨٧١﴾

الدستور المكرم المشير المفخم نظام العالم مدبر امور الجمهور بالفكر الثاقب متمم مهمات الانام بالرأى الصائب ممهد بنيان الدولة والاقبال مشيد أركان السعادة والاجلال المحفوف بصنوف عواطف الملك الاعلى الوالى بتونس الآن الحائز الحامل للنيشان المجيدى الشريف من رتبته الاولى مع النيشان الهمايونى العثمانى المرصع وزيرى محمد الصادق باشا أدام الله تعالى اجلاله آمين
ليكن معلوما عندما يصل توقيعى الرفيع الهمايونى انه منذ وجهت وأودعت من جانب

سلطنتنا السنية ادارة الايالة التونسية التى هى من ممالك دولتنا العلية المحروسة المتوارثة الى عهدتك ذات اللياقة والاهلية كما وجهت سابقا الى عهدة أسلافك لم تزل تظهر حسن السيرة والخدمة وتنهى الى طرفنا الملوكى الاشرف خلوص النية والاستقامة حتى صار ذلك قرينا لعلمنا المضىء بالعالم فأمولنا السلطانى على مقتضى الشيم المرضية التى جبلت عليها هو الدوام فى ذلك المسلك المرضى والجد والاجتهاد فى كل ما ينمى عمران مملكتنا الشاهانية وسعادة أهاليها تبعة دولتنا العلية ورفاهيتهم وراحتهم حتى تستديم بذلك استحقاق عنايتى الشاهانية واعتمادى السلطانى المبذولين فى حقك آنافآنا وتعرف قدر تلك العناية والاعتماد وتشكرهما ولما كان المقصود الاصلى والمراد القطعى لسلطنتنا السنية هو ارتقاء طمأنينة الايالة المهمة الراجعة لدولتنا العلية وغو عمرانها وتأسيس أبنية الامن والراحة لسكانها يوما فيوما وكان من البديهيات ان السلطنة العزيزة لا يعزها ولا يؤدها صرف الهمة والعناية العائدة الى حقوقها الاصلية لتمام استحصال هاته المطالب وورد الطلب المندرج بكتابك المخصوص الموجه من طرفك أخيرا الى جناب الخلافة العلية قررت وأبقيت ايالة تونس المحدودة بحدودها القديمة المعلومة بعهدتك بضم امتياز الوراثة وبالشرائط الآتية وحيث ان مرغوبنا السلطانى على ما تقدم بيانه انما هو تزايد عمران تلك المملكة الشاهانية وثروة أهاليها وهى الآن فى حالة مضايقة وتأخر فى الواردات لكل من الحكومة والاهالى قد سمحت السلطنة السنية بعدم ارسال ما كان يرسل باسم معلوم من الايالة لطرف دولتنا العلية بموجب التبعية المقررة المشروعة رحمة لاهالى تلك الايالة ولما كانت الايالة المشار اليها من الاجزاء المتممة لممالكنا الملوكية صدرت ارادتنا السنية بان يكون الوالى بتونس مرخصا له فى تولية المناصب الشرعية والعسكرية والملكية والمالية وهما السياسية لمن يكون متأهلا لها وفى العزل عنها بمقتضى قوانين العدل وفى اجراء المعاملات المعلومة مع الدول الاجنبية كما كانت سابقا فيما عدا المواد السياسية العائدة الى حقوقنا المقدسة الملوكية ونعنى بها ما كان كعقد الشروط المتعلقة باصول السياسة والحرب وتغيير الحدود ونحوها مما يكون اجراؤه راجعا الى حقوق سلطنتنا السنية وعند حلول القدر المحتوم فى

الولاية

الولاية وتقديم المعروض بطلب الفرمان الشريف من الوارث الاكبر من عائلتك لطرف سلطنتنا السنية يرسل له الفرمان الشريف مع منشور الوزارة والمشيرية الهمايوني كما استمر العمل بذلك الى الآن بشروط ان تستمر الخطبة باسمنا السلطاني وتزين به السكة التي تضرب هناك علامة علنية للارتباط القديم الشرعي لايالة تونس بمقام الخلافة الجليل وان يبقى السنجق على لونه وشكله ومهما وقع حرب لسلطنتنا السنية مع أجنبي يرسل العسكر من تلك الايالة الشاهانية بقدر الاستطاعة طبق ما جرت به العادة القديمة في الجميع ومع تلك المواد يكون أمر الولاية بطريق الوراثة مخصوصا بعائلتك على ان تبقى سائر المعاملات الارتباطية مع دولتنا العلية جارية مرعية كما كانت سابقا وان تجرى الادارة الداخلية لتلك الايالة مطابقة للشرع الشريف وموافقة لقوانين العدل التي يقتضيها الوقت والحال الكافلة بتأمين السكان في النفس والعرض والمال فاعلانا لما ذكر أصدرهذا الفرمان الشريف الجليل القدر من ديواننا الهمايوني وأرسل موشحا أعلاه بخطنا الميمون السلطاني لخلاصة نياتنا الشاهانية انما هي اصلاح حالة تلك المهمة ومالا ل يستكم وتقويةذلك حالا وما لا واستكمال اسباب السعادة والرفاهية والامنية لصنوف تبعتنا المستظلين بظل عدلنا السلطاني ومأمولنا القطعي الملوكي ان يبذل من جهتك الجهد في حصول ماذكر ثم حيث كان تمام المحافظة على حقوق سلطنتنا السنية المحققة بتونس من قديم الازمان وعلى امنية الاهالي القاطنين بتلك الايالة المودعة بعهدة صداقتك من حيث النفس والعرض والمال وسائر الحقوق العمومية شرائط امتياز الوراثة الاساسية المقررة فيقتضي ان تتأكد محافظتها عن تطرق الخلل دائما سرمدا او يتباعد عن وقوع الحال والحركة على خلافها اذا اعلمت ذلك فلابد أن تعرف انت ومن يقام في أمر الولاية بالتوارث من أعضاء عائلتك قدرهاته النعمة العلية الشاهانية وتشكروها فعلى ذلك تسعى لتحصيل رضاى السلطاني بالغيرة ومزيد الاهتمام باجراء هذه الشروط المؤسسة حرر في اليوم التاسع من شهر شعبان المعظم سنة ثمان وثمانين ومائتين وألف اهـ

﴿تعديل معاهدة باريس﴾

ولنذكر هنا انه بسبب انخذال فرنسا في حربها مع بروسيا في سنة ١٨٧٠ وتشكيل الامبراطورية الالمانية ومساعدة الروسيا الالمانيا مساعدة معنوية كانت من أقوى أسباب نجاحها طلبت الروسيا من الدول ابطال الشروط المقيدة لحريتها في البحر الاسود من معاهدة سنة ١٨٥٦ التي أمضيت بباريس عقب حرب القرم ولضعف فرنسا عن معارضة هذه الطلبات انعقد مؤتمر في مدينة لوندرة للنظر فيها وأيد مطالب الروسيا بمقتضى وفاق تم بين مندوبي الدول في ١٣ مارث سنة ١٨٧١ بعد ان وقعت فرنسا على معاهدة (فرنكفورت) ﴿١٥٣﴾ بأيام قلائل وبذلك انتقمت الروسيا من فرنسا أي انتقام لمساعدتها انكلترا والدولة العلية عليها في حرب القرم بأن تركتها وحيدة أمام قوى ألمانيا ومنعت الدول من مساعدتها ولو سياسيا . وأخيرا بابطال أهم شروط معاهدة باريس المزرية بشرفها فأبطلت نتائج تلك الحرب وجعلت كل ما صرف فيها من أموال وأهرق فيها من دماء هباء منثورا واليك نص التعديل

مما تقرر في معاهدة سنة ١٨٧١ التي أمضيت في لندره في ١٣ مارث من السنة المذكورة فيما يتعلق باعادة النظر في معاهدة سنة ١٨٥٦ المنعقدة في باريس فيما يتعلق بالسفر في البحر الاسود والطونة

﴿ ١ ﴾ فصل ١١ و ١٣ و ١٤ من معاهدة ٣٠ مارث سنة ١٨٥٩ المنعقدة في باريس يكون تعديلها بالصورة الآتية

﴿ ٢ ﴾ يبقى منع السفن الحربية من المرور في جناق قلعه والبوغاز كما هو منصوص في معاهدة ٣٠ مارث سنة ١٨٥٦ الا انه يسوغ للحضرة السلطانية ان تأذن

﴿١٥٣﴾ مدينة بالمانيا واقعة على نهر مان كانت احدى المدائن الاربع الحرة ومقر المجمع الجرماني العمومي وبها كنيسة شهيرة كانت امبراطرة ألمانيا تتوج فيها وبها الآن كثير من المدارس العالية وتجارتها عظيمة جدا وبها نشأت عائلة روتشلد الشهيرة بالثروة واجتمع بها عدة مجامع دينية وفي ١٠ مايو سنة ١٨٧١ أمضيت بها معاهدة صلح بين فرنسا وألمانيا أهم شروطها سلخ اقليم الالزاس وجزء من اقليم اللورين من فرنسا وضمها الى ألمانيا وتعهد فرنسا بدفع غرامة حربية قدرها خمسة مليارات من الفرنكات عبارة عن مائتي مليون جنيها

بمرور

بمرور السفن الحربية للدول المتحابة اذا رأت لزوم مرورها مع المحافظة على نص معاهدة باريس التى انعقدت فى ٣٠ مارث سنة ١٨٥٦

﴿ ٣ ﴾ البحر الاسود يبقى مفتوحا كما فى السابق لتسير فيه السفن التجارية الاجنبية اهـ

وعقب التوقيع على اتفاق ١٣ مارث السالف الذكر توفى القائد الشهير عمر باشا فى ١٨ ابريل ثم الصدر الاعظم محمد أمين عالى باشا وبعد موته وجه هذا المنصب الخطير الى محمود نديم باشا فى ٢٢ جمادى الثانية سنة ١٢٨٨ الموافق ٧ سبتمبر سنة ١٨٧١ ولبث فى الوزارة الى ٢٣ مارث سنة ١٨٧٣ ثم عقبه أحمد مدحت ثم محمد رشدى باشا فأحمد أسعد باشا فحسين عونى باشا

وأخيرا اعادت اليه الصدارة فى ٢٥ رجب سنة ١٢٩٢ الموافق ٣٢ اغسطس سنة ١٨٧٥

ومن أعماله المضرة عدم ضبط المالية حتى عجزت عن سداد الكوبونات فى أوقاتها واضطر الى الاعلان رسميا بتوقيف دفع الفوائد فى ٦ اغسطس سنة ١٨٧٥ وهو ما يسمونه فى عرف المالية اشهار الافلاس كما فعلت مملكة البرتغال فى سنة ١٨٩٢ ولسوء ادارته تألب العلماء والطلبة وطلبوا عزله فعزل فى ١٧ ربيع الثانى سنة ١٢٩٣ الموافق ٢٤ مايو سنة ١٨٧٦ وأسند منصب الصدارة الى محمد رشدى باشا وهو الملقب بالمترجم الذى سبق تعيينه فى هذا المنصب عدة مرات وعين معه بفرمان واحد حسن خير الله أفندى شيخا للاسلام وبما ان عزل السلطان عبد العزيز كان بدسيسة هذين الشخصين وغيرهم فسنرجى الكلام على كيفية عزله وموته الى بعد ذكر مسئلة برزخ السويس الذى تم فتحه فى سنة ١٨٦٩

﴿مسئلة قنال السويس والاحتفال بفتحه﴾

ان أهمية ايصال البحر الاحمر بالبحر الابيض المتوسط لم تخف على أحد بل الكل مسلم بها ولذلك فطن لها قدماء المصريين وأوجدوا اتصالا بين البحرين لكن على غير

الصورة التي عليها قنال السويس الآن فقد قال (هيرودوت) «١٠٤» المؤرخ اليوناني الشهير حين زار وادي النيل ان طول الخليج الموصل بين البحرين مسيرة أربعة أيام وعرضه كاف لمرور سفينتين من أكبر السفن في آن واحد بكل سهولة وهو يتفرع عن فرع النيل الذي يصب عند مدينة بيلوزه (القائمة مدينة بورسعيد بالقرب من اطلالها) ويبتدئ عند مدينة بوباستيس (الموجودة اطلالها بالقرب من الزقازيق ويطلق عليها اسم تل بسطه) ويتجه شرقا حتى يصل الى البحر الاحمر اهـ فيظهر من هذا الشرح ان المراكب كانت تأتي من البحر الابيض فتصعد فرع النيل الشرقي الى قرب الزقازيق ثم تدخل في الخليج حتى تصل الى البحر الاحمر وظل هذا الاتصال باقيا حتى انهالت رمال الصحراء الشرقية على الخليج فردمته ويقال ان أباجعفر المنصور العباسي أمر بابطاله عندما خرج عليه الحجاج وتحصن في المدينة المنورة حتى لا تأتي اليه المؤن بسهولة عن طريق هذا الخليج

ثم خطر ببال السلطان مصطفى الثالث العثماني أن يعيد الاتصال كما كان وكلف البارون دي توت بدرس هذا المشروع ولم يتم بسبب موت السلطان وترك من خلفه له ولما أتى بونابرت الفرنساوي الى مصر أرسل لجنة علمية للتحقق من امكان ايصال البحرين بخليج يصل بينهما بدون ان تمر المراكب في وسط البلاد المصرية فأجابته اللجنة بالايجاب ولداعي خروجه من مصر سريعا كما سبق شرحه لم يمكنه تنفيذ مشروعه

وكان يظن قبلا ان حفر خليج يصل بين البحرين مباشرة أمر مستحيل بسبب ادعاء بعض العلماء ان سطح مياه البحر الاحمر أعلى بنحو عشرة أمتار عن سطح مياه البحر الابيض كما قررته بعثة علمية فرنساوية في سنة ١٧٧٩ ولم يخالفها في هذا الرأي الالرياضي الشهير (لابلاس) «١٠٥» لكن أسقط هذا القول البحث الذي أجري في

«١٠٤» هو المؤرخ اليوناني الشهير الملقب بأبي التاريخ ولد سنة ٤٨٤ قبل الميلاد وراد بلاد اليونان ومصر وآسيا ليطلع على عوائد أهلها وأخلاقهم حتى يكتب تاريخهم عن روية وخبرة وتوفي حوالي سنة ٤٠٦ قبل الميلاد

«١٠٥» رياضي شهير ولد سنة ١٧٤٩ بفرنسا ونبغ في الرياضة من صغره حتى عين أستاذا لها في احدى

أواسط هذا القرن بمعرفة بعض ضباط من الانكليز فى سنة ١٨٤٠ ولجنة من عدة مهندسين فرنساويين فى سنة ١٨٤٧

وأخيرا بمعرفة لينان باشا فى سنة ١٨٥٣ ولما تحقق لدى العموم باجماع العلماء ان مسطح البحرين متساو سعى المسيو فرديننان دى ليسبس قنصل فرنسا فى مصر لدى محمد سعيد باشا «١٥٦» والى مصر اذذاك للحصول على فرمان يخوّله امتياز تشكيل شركة عمومية لاتمام هذا العمل

وبعد مساع لامزيد عليها تحصل على هذا الفرمان مؤرخا ٣٠ نوفمبر سنة ١٨٥٤ ومما جاء فيه أن يكون الخليج المزمع انشاؤه ملكا للشركة مدة ٩٩ سنة تبتدأ من يوم فتحه للملاحة وان يجوز لها انشاء خليج آخر يصل بين النيل والخليج المالح وأن تتنازل لها الحكومة عن الاراضى الاميرية الغير صالحة للزراعة التى تمر الترعة الحلوة فيها بشرط أن تزرعها الشركة على مصاريفها وأخيرا أن لا يعمل بهذا الفرمان ولا يبتدأ فى العمل الا بعد تصديق الباب العالى عليه

وفى ٢٠ يوليو سنة ١٨٥٦ تعهدت الحكومة للشركة باحضار من يلزم لها من العملة من المصريين قهرا بالطريقة المتبعة فى الاعمال العمومية وأن تدفع لهم الشركة الاجر من طرفها لمن عمره أقل من اثنتى عشرة سنة قرشا صاغا يوميا ومن زاد سنه عن ذلك تكون أجرته من قرشين ونصف الى ثلاثة قروش وذلك خلاف الجراية التى تعطى لكل واحد منهم وقيمتها قرش صاغ واشترط على الشركة انشاء اسبتاليات

المدارس الحربية ولم يتجاوز سنه ١٩ سنة واليه يرجع فضل تتميم اكتشاف نيوتن الانكليزى المختص بدوران العوالم حول بعضها وله عدة مؤلفات شهيرة فى جميع العلوم الرياضية وما يتعلق بها ورقاه نابوليون الاول الى درجة كونت ومنحه لويز الثامن عشر لقب مركيز وانتخب عضوا فى جمعية العلوم الفرنساوية «اكادميه» وفى مجمع الانستيتوت واشتغل قليلا بالسياسة وانتخب عضوا فى السناتو سنة ١٧٩٩ ونيطت به رياسته مدة وتوفى سنة ١٨٢٧

«١٥٦» هو رابع أولاد محمد على باشا الكبير تولى على مصر سنة ١٢٧٠ هـ الموافقة سنة ١٨٥٤ ميلادية وكانت ولادته سنة ١٨٢٢ ميلادية وتوفى سنة ١٢٧٩ هـ الموافقة سنة ١٨٦٣ ميلادية ومن آثاره لائحة الاطيان الخراجية وقانون المعاشات لجميع الموظفين ومنح الاهالى حرية التجارة بعد ان كانت خاصة بالحكومة لكن هذه المنح الجليلة لم تعادل ما لحق مصر من الضرر المالى والسياسى باجازته حفر قنال السويس الذى قرب المسافة بين أوروبا والشرق وكان سببا فيما نطلب منه تعالى أن يخلصنا منه وهو الاحتلال الاجنبى

وترتيب أطباء لمعالجة المرضى على طرفها ولولا هذه الشروط لما أمكن الشركة اتمام
هذا المشروع وعدم وجود شرط مثله كان سببا فى عدم نجاح مشروع فتح برزخ
بناما لان الشركة لم تجد عمالا بهذه الصفة يكونون موجودين دائما فى العمل
باجرة تافهة كهذه ولما أصدرت سهام الشركة لم يقبل الجمهور على شرائها
لمعارضة الجرائد الانكليزية لهذا المشروع فبقى فى أيديها مائة وسبعة وسبعون ألف
وستمائة واثنان وأربعون سهما قيمة كل منها خمسمائة فرنك أى ان ثمنها عبارة عن
ثلاثة ملايين وخمسمائة وخمسين ألف جنيه مصرى وزيادة فحسن المسيو دى
ليسبس لمحمد سعيد باشا ان يشتريها للحكومة المصرية فاشتراها

ولما طلب منه عشرى ثمنها عند الابتداء فى العمل اقترضه له وربما كان هذا أول
ديون مصر التى تربو الآن على مائة مليون وستة ملايين من الجنيهات المصرية
ولم ينتظر المسيو دى ليسبس تصديق الدولة بل ابتدأ فى العمل

ولما لاحظت الدولة العلية على ان ذلك مخالف لنص الفرمان المعطى للشركة من
سعيد باشا أجابها ان هذه أعمال ابتدائية ضرورية لتخطيط المشروع ولا تعتبر
بدأ فى العمل وأخيرا بعد ان دارت المخابرات عدة سنوات بين الشركة والباب العالى
والحكومة الفرنساوية التى تداخلت لحماية هذا المشروع الفرنساوى أرسل
الباب العالى الى المسيو دى ليسبس بلاغا فى ٦ ابريل سنة ١٨٦٣ مفاده ان الدولة
ترى ان امتلاك الشركة للاراضى الواقعة على ضفتى الترعة الحلوة وزراعتها بمعرفتها
مما يضر بحقوق السلطنة فى مصر اذ يجعل لدولة أجنبية حقوقا فى مصر خصوصا
اذا انشئت بها مستعمرات زراعية يؤتى لها بالزراع من الخارج ولذلك لا تصدق على
هذا المشروع الا اذا ضمنت جميع الدول حرية القنال المراد انشاؤه كما ضمنت بوغازى
الاستانة وان تترك الشركة حقوقها فى الترعة العذبة وما على ضفافها من الاراضى
وأن لا يستعمل المصريون قهرا فى أشغال الشركة اذ كان يشتغل بها فى هذا الاثناء
نحو ستين ألف مصرى بطريق السخرة وأمهلت الدولة الشركة ستة أشهر لاعطاء
الجواب والا يسقط حقها فى جميع الاراضى الممنوحة لها

ولما انقضى هذا الاجل ولم تجب الشركة بشئ أعلنتها الحكومة المصرية بسقوط

حقها

حقها فى ١٢ اكتوبر سنة ١٨٦٣ فارعد المسيو دى ليسبس وأزبد وتداخلت فرنسا وكاد الامر يقضى الى ارتباكات سياسية فقبلت الحكومة المصرية بحكم نابوليون الثالث امبراطور فرنسا ظنا منها انه ينصفها ضد الشركة وغاب عنها انه لابد ان يميل الى الشركة بعاملى الجنسية والسياسة ولو لم يكن الحق من جانبها وحقيقة انه اتخذ هذه الفرصة وسيلة للحكم للشركة بمبالغ وافرة كانت سببا فى اتمام المشروع فاصدر حكمه فى ٦ يوليه بعد ان استشار لجنة من أهل الدراية بالاحكام القانونية حضرها نوبار باشا بصفة مندوب عن خديو مصر ولا حاجة لذكر الحكم باسبابه بل يكتفى بالقول انه حكم بما يأتى

﴿أولا﴾ ان تدفع الحكومة المصرية للشركة مبلغ ثمانية وثلاثين مليون فرنكا فى مقابلة ابطال الشرط القاضى عليها باحضار العمال

﴿ثانيا﴾ ثلاثين مليون فرنكا نظير ترك الاراضى التى رخص للشركة باحيائها وزراعتها

﴿ثالثا﴾ ستة عشر مليون فى مقابلة تخلى الشركة عن الترعة الحلوة وفوائدها وتلتزم الحكومة زيادة على ذلك بحفرها من القاهرة الى الوادى وبجعلها صالحة للملاحة فى جميع أوقات السنة وعلى الشركة تطهيرها سنويا بمعرفتها فى مقابلة ثلثمائة ألف فرنك تأخذها من الحكومة ويكون للشركة الحق فى أخذ سبعين ألف متر مكعب من المياه فى كل أربع وعشرين ساعة فيكون مجموع هذه المبالغ أربعة وثمانين مليون فرنكا عبارة عن ثلاثة ملايين جنيه وأربعمائة وثلاثة وستين ألف جنيه يدفع على جملة أقساط بالكيفية الآتية

من ابتداء سنة ١٨٦٤ لغاية سنة ١٨٦٧ يدفع مبلغ ستة ملايين ونصف من الفرنكات سنويا وفى كل من سنتى ١٨٦٨ و ١٨٦٩ مائتان وأربعون ألف جنيه ومن سنة ١٨٧٠ لغاية سنة ١٨٧٩ ثلاثة ملايين وستمائة ألف فرنك سنويا عبارة عن مائة وأربعين ألف جنيه سنويا

ولما تم الحكم على الوجه المذكور الظاهر اجحافه بحقوق مصر حررت الشروط النهائية بين الحضرة الخديوية الاسماعيلية والمسيو دى ليسبس رئيس الشركة

والنائب عنها فى ٢٢ فبراير سنة ١٨٦٦ وتقدمت للباب العالى فصدر عليها الفرمان السلطانى مؤرخا ١٩ مارث سنة ١٨٦٦ الموافق ٣ ذى القعدة ١٢٨٢ هـ

وبعد ذلك عدلت مواعيد الدفع بكيفية أربح للشركة وزيادة على ذلك جميعه تنازلت الشركة للحكومة عن أرض الوادى التى قدر مساحتها ثلاثة وعشرون ألفا وسبعمائة وثمانون فدانا فى مقابلة عشرة ملايين من الفرنكات وكانت قد اشترتها الشركة قبلا من الحكومة بمبلغ مليون واحد وسبعمائة وسبعين ألف فرنك تقريبا فيكون ربحها من هذه المسئلة فقط زيادة عن ثمانية ملايين ولذلك فيمكننا القول بانه لولا نقود مصر وفلاح مصر الذى مازال يجبر على الاشتغال قهرا بأجرة زهيدة رغما عن الشروط السالفة الذكر لما أمكن دى ليسبس ان يتم هذا المشروع الذى كان سببا فيما نحن فيه من الاحتلال الاجنبى وماسنراه نحن وأولادنا ان لم تساعدنا المقادير

والاغرب مما ذكرانه لما تم فتح البرزخ أرادت الحكومة الاستيلاء على كرك بور سعيد كما تسمح لها المعاهدات الابتدائية فامتنعت الشركة وتداخلت حكومة فرنسا وقبلت الحكومة المصرية أن تدفع لها ثلاثين مليون فرنكا لمنع هذه المعارضة العارية عن الاساس وبذلك يكون مادفع من الحكومة المصرية بسبب عدم تبصر رجالها مائة واثنين وعشرين مليون فرنكا منها أربعة وثمانون قيمة ماحكم به نابوليون للشركة وثمانية قيمة ربحها من أراضى الوادى وثلاثون فى مقابل تنازلها عن المعارضة فى كارك بورسعيد

ولما توفر المال لدى الشركة أخذت فى بذل الهمة لانجاز القنال وفى شهر مارث سنة ١٨٦٩ توجه الخديو اسمعيل باشا الى أوروبا لدعوة ملوكها لحضور الاحتفال الذى صمم جنابه على اجرائه اظهارا للسروره من اتمام هذا العمل المضر بمصر ماليا وسياسيا ومادعاهم الاليستميلهم لاغراضه السياسية

ولما عاد الى بلاده أخذ فى الاستعداد لاستقبال الزائرين بما يليق بمقامهم ولما لم يكن بمصر تياترو وكان وجوده أمر الابد منه على زعمه لتمام الانتظام أمر المهندس فرنس التمساوى الذى رقى فيما بعد الى رتبة باشا ببناء تياترو الاوبرا والتياترو الصغير

الذى

الذى كان بالقرب من الاول وهدم عند بناء عمارة البوسطة الجديدة ولضيق الوقت استمر العمل ليلا ونهارا حتى تم بناؤهما وجعل أكثر بناء التياترو الكبير من الخشب ثم أرسل درانت باولينو باشا المقاولة أحسن جوق من الممثلين والممثلات وأخذ أيضا يجهز ما يلزم لاقامة الملوك والوزراء من السرايات اللائقة بمقامهم وأنشأ لهم سراية فى مدينة الاسماعيلية الجديدة أنشأتها الشركة على نفقة الحكومة باثنين مليون من الفرنكات

وفى ١٧ سبتمبر سنة ١٨٦٩ قدم الوافدون على البرزخ وفى مقدمتهم امبراطورة فرنسا ﴿١٥٧﴾ وامبراطور النمسا وولياعهد ألمانيا وايطاليا فقضوا الليلة فى مدينة بورت سعيد فى غاية السرور وفى صباح اليوم التالى قام الجميع على الوابورات البحرية التى أعدت لذلك ونزلوا فى مدينة الاسماعيلية حيث قضوا الليلة فيما لا يوصف من الملاهى والمراقص والزينات وفى اليوم الثالث ساروا جميعا الى السويس ثم أتوا الى القاهرة ومنها رجع كل الى بلاده الا من أراد السياحة الى الجهات القبلية لمشاهدة آثار مصر القديمة وقد وجه الخديو كل همته الى اكرام امبراطورة فرنسا وتوفير أسباب الراحة لها أثناء سياحتها فى صعيد مصر فأصحبها بنجله دولتلو حسين باشا وبأعظم رجال هذا العصر صاحب الدولة والوطنية رياض باشا وعين لخدمتها ستة عشر وابورا بحريا اختص بعضها لركوبها ومعيتها والبعض الآخر لاحضار كل ما يلزم لها من المأكل والمشرب والفواكه وغير ذلك من القاهرة يوميا واستمرت مشمولة بالتفات الحضرة الخديوية مدة الاثنين وعشرين يوما التى قضتها فى هذا السفر ولم تزل كذلك حتى عادت الى بلادها مسرورة شاكرة وقد قال سعادة المرحوم على باشا مبارك فى

﴿١٥٧﴾ ولدت هذه الامبراطورة المسماة ﴿أوجينى﴾ بمدينة غرناطة باسبانيا فى ٥ مايو سنة ١٨٢٦ من عائلة أثيلة فى الشرف عريقة فى المجد اسمها عائلة ﴿مونتيخو﴾ ولشهرتها فى الجمال والتربية والكمال تزوجها الامبراطور نابوليون الثالث فى ٢٠ يناير سنة ١٨٥٢ وولدت منه غلاما فى ١٦ مارث سنة ١٨٥٦ ولم يمل اليها الفرنساويون لحبها الاستبداد ومساعدتها زوجها على الاستئثار بالسلطة وينسب لها تحريضه على محاربة البروسيا فى سنة ١٨٧٠ ولما هزم نابوليون الثالث فى واقعة ﴿سيدان﴾ وأعلنت الجمهورية الثالثة الحالية فى ٤ سبتمبر سنة ١٨٧٠ هاجرت الى انكلترا مع ابنها ثم لحقها زوجها وأقام معها الى ان توفى فى ٩ يناير سنة ١٨٧٣ وفى أول يونيه سنة ١٨٧٩ قتل ابنها الوحيد فى محاربة الزولوس بجنوب افريقيا حيث كان ضابطا فى الجيش الانكليزى وبعد ان احتفلت بدفنه فى بلاد الانكليز سافرت الى بلاد الزولوس لزيارة المحل الذى قتل فيه ولم تزل عائشة حتى الآن

الصحيفة الاخيرة من الجزء الثامن عشر من الخطط الجديدة التوفيقية ما يأتى

وقد طار ذكر هذا المهرجان حتى ملأ البقاع وتحدث الناس فى ترتيبه ونظامه ومصرفه لانه فريد فى ذاته لم يجر على مثال سابق عليه والذى تعجب الناس منه غاية العجب هو استعداد موسيو يوسف بنطلينى التليانى المتعهد بأكول جميع من حضر هذا المحفل كل انسان على حسب مقامه فكان هو ورجاله يؤدون الخدمة بغاية النشاط والانتظام مع مراعاة الواجب والادب وكان الناس يتعاقبون على السفر الافرنجية والعربية فوجا بعد فوج وفى كل مرة تتغير أدوات السفرة بغيرها وتقدم ألوان الاطعمة على التعاقب فى أسرع زمن مع مراعاة مقتضيات خدمة كل سفرة عربية كانت أو افرنجية واستمرت هذه الحالة فى الخيم والصواوين والوابورات وجميع المحلات المعدة لذلك مدة أربع عشرة ساعة والذى صرفته الحكومة للمتعهد المذكور فى مقابلة المأكول والمشروب ولوازمهما من أدوات ومهمات وخدمة وخدم هو مبلغ مائتين وخمسين ألف بنتو وهذا خلاف أجر نقل مهماته ورجاله ذهابا وايابا فانها كانت على الحكومة أيضا وقد بلغ ماصرف على هذا المهرجان من أجر سفر أشخاص ومنقولات ومأكولات وغير ذلك مليونا و ١١١٩٣ جنيها انكليزيا فلو أضيف الى ذلك أجر سكة الحديد وماصرف على وابورات البحر فى النيل والخليج المالح مع ماصرفته الحكومة على المبانى فى مدن القنال والقاهرة وثغر الاسكندرية وغيرها وماصرف فى الزينة ومهماتها وشراء عربات ومهمات للسكة الحديدية لاجل المهرجان المذكور لبلغ مصرف هذا المهرجان مايزيد عن مليون ونصف من الجنيهات وذلك قدر السدس من ايراد مصر سنة كاملة اهـ ﴿١٥٨﴾

﴿١٥٨﴾ ومما يوجب الاستغراب أكثر مما مر أن الخديو الاسبق لم يكتف بما صرفه عند الاحتفال بهذا الخليج بن باع الاسهم التى كان اشتراها محمد سعيد باشا الى انكلترا بأربعة ملايين جنيه مع أنها تساوى الآن ثمانية عشر مليونا وحيث انه كان قد رهن أرباحها المدة طويلة تنتهى فى يوليو سنة ١٨٩٤ فتعهدت الحكومة الانكليزية بان يدفع لها سنويا فائدة عن ثمن هذه الاسهم تبلغ قيمتها سنويا نحو مائتى ألف جنيه ولم تزل الحكومة تدفع هذه الفوائد وستستمر على دفعها الى منتصف السنة القابلة سنة ١٨٩٤

(عزل)

﴿عزل السلطان عبد العزيز﴾

هــذا ولنأت هنا على ذكر هذه الحادثة المفجعة مع بيان الاسباب التى تنسب لها بقدر ما وصل اليه بحث هذا العاجز فنقول

ان بعد الحوادث التى مر ذكرها اقتنع السلطان رحمه الله ان تحالف الدول مع الدولة فى حرب القرم وما بعدها لم تكن نتيجته الا اضعافها بالتداخل فى شؤونها الداخلية ومساعدة الطوائف المسيحية الخاضعة لها على الانشقاق عنها وبث روح الفتن والفساد فى ممالكها تحت غطاء الحرية ونشر العلوم وأن كل ذلك يعود بالنفع على الروسية جارتها القوية وعدوتها القديمة لاسيما وقد عدل الدول بعد الحرب الفرنساوية الالمانية أهم بنود معاهدة باريس التى أبرمت بعد حرب القرم لحفظ التوازن فى البحر الاسود وعدم مراعاتها عقب ابرامها فى حق ولايتى الافلاق والبغدان فلهذه الاسباب علم جلالة السلطان ان الاولى والانجع لسياسة الدولة هو التباعد عن الدول الغربية والتحالف مع الروسيا وعضده فى هذا الفكر الصدر الاعظم محمود نديم باشا فاكثر السلطان من الاجتماع مع الجنرال اغناتيف سفير الروسية بالاستانة والمتواتر وان لم تثبته أوراق رسمية انهما كانا يسعيان لوضع أساس معاهدة هجومية ودفاعية يكون من أهم بنودها الاختصاص بجميع بلاد الشرق وتتبع الولايات الاسلامية أو التى يغلب فيها العنصر الاسلامى للدولة العلية الاسلامية وضم جميع الاقاليم المسيحية أو التى يسود فيها هذا العنصر للدولة الروسية ولما شاع هذا المشروع لم يرق فى أعين الدول الاوروبية التى لها مصالح فى الشرق وخصوصا انكلترا فأخذ عمالهم وسفراؤهم الظاهرون والسريون يلقون الوساوس فى عقول السذج من أهل الاستانة وينسبون السلطان للتبذير والاسراف وعدم الاهلية لادارة مهام الملك وربما استعان هؤلاء المغررون بطرق أخرى المطالع بها أدرى وما زالوا يوسوسون ويلقون بذور الفساد حتى أقنعوا الوزراء بوجوب عزله وان اقالته من الاعمال واجبة لانتظام الدولة وسيرها على المحور المستقيم وصادفت دسائسهم أذنا صاغية عند بعض العلماء لما خالج صدورهم من عدم الميل للسلطان بسبب عدم اتباعه بعض العوائد المألوفة لديهم مثل خروجه من ممالكه وزيارة معرض باريس وحضوره

التشخيصات التياترية والباللوات (المراقص) وكيفية خلعه على أصح الروايات ان المؤامرة التي أوصلت الى هذه النتيجة حصلت بين كل من محمد رشدي باشا الصدر الاعظم وحسين عوني باشا ناظر الحربية وأحمد باشا قيصرلي ناظر البحرية وأحمد مدحت باشا وشيخ الاسلام حسن خير الله أفندي وقبل الشروع في تنفيذ ما صمموا عليه أصدر شيخ الاسلام فتوى بوجوب ذلك هذا نصها

﴿صورة استفتاء الوزراء في وجوب خلع المرحوم السلطان عبد العزيز خان﴾

اذا كان زيد الذي هو أمير المؤمنين مختل الشعور وليس له المام في الامور السياسية ومابرح ينفق الاموال الميرية في مصارفه النفسانية في درجة لا طاقة للملك والملة على تحملها وقد أخل بالامور الدينية والدنيوية وشوشها وخرب الملك والملة وكان بقاؤه مضرابها فهل يصح خلعه الجواب يصح كتبه الفقير حسن خير الله عفي عنه

ثم أناطوا حسين عوني باشا بأمر خلع السلطان عبد العزيز وشيخ الاسلام وباقي الوزراء بمبايعة السلطان مراد وفي يوم الاثنين ٦ جمادى الاولى سنة ١٢٩٣ الموافق ٢٩ مايو سنة ١٨٧٦ أخذ ناظر البحرية في تجهيز المراكب لحصر السراية السلطانية بحرا فاستغرب السلطان حصول المناورات بالبحر تحت شبابيكه بدون سابقة علمه فأرسل يستعلم عن السبب فأجيب بأن دواعي الحال أوجبت ذلك ثم أخبر أحمد باشا قيصرلي الصدر الاعظم ومدحت باشا بسؤال السلطان فعزموا على تنفيذ مشروعهم في مساء ذلك اليوم خوفا من أن يكون السلطان قد شعر بسيئ قصدهم واتفقوا على تكليف من يدعى رديف باشا بحصر السراية برا وتعهد أحمد باشا قيصرلي بحصرها بحرا وفي الساعة الثانية بعد غروب ذلك اليوم اجتمع المتآمرون في ديوان السرعسكرية وتوجه رديف باشا مع الآي من الجند مؤلف من ٢٥٠٠ عسكري وأمر سليمان باشا رئيس المدرسة الحربية بخفر باب السراي مع مائة من تلامذة هذه المدرسة راكبين خيولهم ومسلحين بالبنادق الجديدة ولما تم حصارها برا وبحرا

وأخبر المتآمرون بذلك توجه حسين عوني باشا في عربة الى مقر السلطان مراد وأركبه معه وعادمعا الى السرعسكرية حيث كان بانتظارهما شيخ الاسلام والشريف عبد المطلب وجميع أعيان الدولة من عسكريين وملكيين ولما دخلاها أحاطت بالسراية فرقة من الجنود لمنع من فيها من الخروج ثم حصلت المبايعة

٣٣ ﴿ السلطان مرادخان الخامس ﴾

من جميع الحاضرين على الاسلوب المتبع

هذا ولما تم أمر المبايعة أرسل مخصوص الى رديف باشا يخبره بذلك ويسلمه صورة الفتوى القاضية بعزل السلطان عبد العزيز فقصد رديف باشا باب الحريم واستدعى جوهر أغا رئيس أغاوات السراى وكلفه بأن يبلغ السلطان ان الامة قد عزلته وانه مأمور بتوصيل السلطان المخلوع الى سراى طوبقبو وسلمه صورة الفتوى ليطلعه عليها فلم يصدق السلطان الخبر الا بعد أن نظر من الشبابيك ورأى العساكر محيطة بسرايته براو بحرا احاطة السوار بالمعصم

وعند ذلك أيقن ان التوقف لا يكون وراءه الا الاكراه على الخروج فنزل مستسلما وبمجرد خروجه أحاطت به العساكر وأنزلوه مع ابنه يوسف عزالدين افندى في زورق ووالدته في ثان وباقي أولاده وأمهاتهم في ثالث ثم خفرتهم الزوارق الحربية الى ان أوصلتهم الى سراى طوبقبو حيث كانت العساكر مصطفة على حافتي الطريق من البر الى باب السراى

وفي الساعة الحادية عشرة ليلا أطلقت المدافع من البر والبحر ايذانا بخلع السلطان عبد العزيز وتنصيب السلطان مراد الخامس ونادى المنادون بذلك في الشوارع فهرع الاهالى أفواجا الى سراى السرعسكرية وبايعوا السلطان مرادا ولم يحصل أدنى مقاومة من أحد ولم تحتج احدى الدول على هذه الثورة الداخلية وذلك مما يؤيد ان جميع القناصل كان عندهم علم بما حصل قبل وقوعه وانه ربما كان ذلك باتفاقهم

وفي الساعة الثالثة صباحا ذهب السلطان مراد في عربة بين صفوف الاهالى الى

سراى بشكطاش حيث استمرت المبايعة ثلاثة أيام متوالية

﴿وفاة المرحوم السلطان عبد العزيز﴾

لقد اختلفت الاقوال فى كيفية موت هذا السلطان وكثرت الروايات عن ذلك فن قائل انه قتل نفسه لعدم انتظام قواه العقلية بعد خلعه ومن قائل ان الذين تآمروا على خلعه ارتكبوا هذا الامر الفظيع فقتلوه خيفة أن يسعى فى الرجوع الى منصة الاحكام أما الحقيقة فمبهمة نترك كشف الستار عنها لمن يأتى بعدنا ونكتفى بذكر الرواية التى تناقلتها الألسن والجرائد فى ذلك الحين

وذلك انه شاع وأشاع أرباب الغايات ان قد أصابته رحمه الله أمراض دماغية يوم خلعه فاضطربت أحواله وكان يتخيل ان البواخر الراسية فى البوغاز تطلق النار على العدو فزاده ذلك قلقا ولم يستطع الرقاد فى ليلة الاحد التالية لعزله فلما أصبح الصباح ذهب الى الحمام كعادته ثم الى البستان ثم رجع الى حجرته وصار يأمر بفتح الشبابيك والابواب ثم يخرج الى البستان ويعود ثم يخرج ثانيا كأن الدنيا ضاقت أمامه برحبها ثم حاول الخروج الى شاطئ البحر فرآه الضابط الذى كان يحرس الباب فقال له بلطف لا اذن بالخروج ياسيدى فهدده بغدارة كانت فى يده ثم دخل ويقال ان هذه الحادثة كانت سببا فى ازدياد اعراض الخلل واستشهد أصحاب هذا الرأى ببعض خدامه وحجابه فقالوا انه رحمه الله كان يتوهم ان عدوا هاجم عليه وانه يجب على العساكر ان تمانعه وتطارده وعلى البواخر أن توجه نيرانها على هذا العدو المفاجئ وأخيرا طلب من احدى الجوارى مقصا ومرآة ليقص أطراف لحيته كما كانت عادته فأحضرتهما من والدته وانصرفت ثم رأى والدته تنظره من وراء الباب فغضب وأمرها بالانصراف وبعد ذلك حضر أحد أعوانه فأخذ يحادثه فى مسئلة مهاجمة العدو التى كان يتخيلها وفى أثناء الحديث أخذ المقص وقطع به عرقا من ذراعه الأيمن فحاول العون منعه ولما لم يتمكن ذهب وأخبر والدته ولما خرج العون قفل السلطان الشبابيك والابواب وقطع عرق ذراعه الأيسر واضطجع على متكا حتى تصفى دمه ولما شاع هذا الخبر وعلا صريخ الجوارى أتى الوزراء وبعد أن شاهدوا الحالة استدعوا لجنة طبية من مشاهير الاطباء من ضمنهم أطباء سفراء الدول وبعد

الكشف عليه طبع الكشف و وزع على العموم ونشر في الجرائد ليعلم الناس كيفية موته

وفي الساعة الخامسة عربيا انقلت جثته الى سراى طوبقبو (وكان رحمه الله قد نقل منها الى سراية أخرى في يوم السبت السابق لوفاته بناء على طلبه) وهناك غسلت وجهزت

وفي الساعة العاشرة شيعت جنازته ودفن بجوار أبيه السلطان محمود رحمهما الله

ومما يوجد شكا في انه قتل نفسه بسبب اختلال قواه العقلية ما كتبه للسلطان مراد قبل وفاته بيوم واحد يطلب منه الانتقال من طوبقبو فانه لا يؤخذ من عبارته ان به أقل اضطراب عقلي ولنأت على صورة هذه الكتابة ليتحقق المطالع

﴿ترجمة ما كتبه المرحوم السلطان عبد العزيز خان الى سيدنا ومولانا﴾
﴿السلطان مراد خان الخامس من سراية طوبقبو﴾
﴿وذلك في ١٠ جمادى الاولى سنة ١٢٩٣﴾

بعد اتكالي على الله تعالى وجهت اتكالي عليك فاهنئك بجلوسك على تخت السلطنة وأبين لك ما بي من الاسف على اني لم أقدر على ان أخدم الامة حسب مرادها فأؤمل انك أنت تبلغ هذا الارب وانك لا تنسى اني تشبثت بالوسائل الفعالة لصيانة المملكة وحفظ شرفها وأوصيك بان تتذكر ان من صيرني الى هذه الحالة هم العساكر الذين سلحتهم أنا بيدي وحيث كان من دأبي دائما الرفق بالمظلومين وشمولهم بالمعروف الذي تقتضيه الانسانية أرغب اليك أن تنقذني من هذا المكان الضيق المعنى (بتشديد النون) الذي صرت اليه وتعين لي محلا أكثر ملاءمة لي وأهنئك بان الملك انتقل الى ذرية أخي عبد المجيد خان الامضا عبد العزيز

ومن جهة أخرى فان استدعاء الوزراء لاطباء القناصل يدل أيضا انهم كانوا معتقدين ان الامة لا تصدق قولهم بانه قتل نفسه فعمدوا الى تقوية قولهم بهذا الكشف الطبي الموقع عليه أطباء السفارات مما يعتبر اقرارا من الدول وتصديقا لروايتهم ومع ذلك فلا يمكن الجزم الآن بانه قتل شهيد الدسائس أو انتحر تخلصا من الحياة بعد خلعه

لعدم وجود الأدلة الكافية على القطع في هذه المسئلة حتى اليوم

﴿قتل حسن بك لكل من حسين عوني باشا ومحمد راشد باشا﴾

حسن بك المذكور هو ابن اسمعيل بك أحد أعيان الجراكسة المهاجرين من بلادهم بعد دخولها ضمن أملاك الروسية وكان ياور اليوسف عز الدين افندي نجل السلطان عبد العزيز الذي كان مشير الاوردي الهمايوني الخاص ولما توفي السلطان عبد العزيز أراد حسين عوني باشا السر عسكر ابعاده عن الاستانة فالحقه بأحد الالايات بمدينة بغداد وأمره بالسفر على عجل فامتنع فحبس بحسب الاصول العسكرية ثم أظهر الرغبة في السفر وطلب امهاله يومين لا غير للتأهب للسفر فأفرج عنه وفي مساء يوم الخميس ٢٣ جمادى الاولى سنة ١٢٩٣ الموافق ١٥ يونيه سنة ١٨٧٦ تسلح بأربع رفولفرات وخنجر ماض وقصد منزل عوني باشا فقيل له انه بمنزل مدحت باشا فذهب اليه ولما سأل الخدم عن حسين عوني باشا فقالوا له انه مع سائر الوكلاء (النظار) في مجلس مخصوص فأوهمهم ان معه تلغرافا مهما يختص بالحربية يريد توصيله فورا للسر عسكر ثم انتظر برهة وطلع الى المحل المجتمع فيه الوكلاء فوجد حارسا بالباب منعه عن الدخول فقال له من أنت قال سالم أغا خادم الصدر الاعظم فقال اذهب وناد خادم حسين عوني باشا لاني مستعجل فنزل سالم أغا وعندها دخل حسن بك الغرفة وأطلق غدارته على حسين عوني باشا فأصابه برصاصتين فقام للدفاع عن نفسه فأجهز عليه بالخنجر وأصاب محمد راشد باشا ناظر الخارجية برصاصة في عنقه أفقدته الحياة ثم قام أحمد باشا قيصرلي ناظر البحرية وقبض على يد حسن بك فأثخنه جراحا حتى فر مع باقي الوزراء الى غرفة أخرى تابعة لدائرة الحريم ووضعوا خلف الباب بعض أمتعة ثقيلة ثم جاء أحد أغا رئيس خدم مدحت باشا وأراد القبض عليه فقتله ثم حاول فتح الباب الذي اختفى باقي الوزراء خلفه ولما لم يمكنه أطلق رصاصتين نفذتا من الخشب بدون ان تصيبا أحدا ثم أخذ كرسيا وصار يكسر في الثريات لاطفاء النور وأخذ شمعدانا ليحرق به الاستار ويوقد النار في المنزل ليمكنه الهروب لكن لم يتمكن من ذلك اذ حضرت عدة من عساكر الضبطية فقبضوا عليه بعد ان قتل شكري بك ياور الصدر الاعظم وأحد أنفار

العساكر ثم سيق الى ديوان السرعسكرية وفى صباح يوم الجمعة تشكل مجلس حربى تحت رئاسة رديف باشا فحكم عليه بالتجريد من الرتب والقتل شنقا وجرد فى الحال من الرتب وعلامات الشرف وفى فجر يوم السبت شنق على شجرة فى ساحة بايزيد وبقى مشنوقا الى صباح الاثنين وعلى صدره ورقة تبين أسباب شنقه ليكون عبرة لغيره ويقال انه عند استجوابه أمام المجلس لم يبد أقل تأسف على قتل عونى باشا «١٥٩» وراشد باشا «١٦٠» بل على من قتلهم من الجند والضباط وعدم تمكنه من قتل ناظر البحرية أحمد باشا قيصرلى

هـذا ولا يعقل ان الباعث لحسن بك على قتل الوزراء مجرد الانتقام لارساله الى بغداد اذ لو كان الامر كذلك لاكتفى بقتل ناظر الحربية مع ان هذا الامر بعيد الاحتمال أيضا ويغلب على الظن ان ما حمله على هذا الفعل الاتعلقه بالسلطان الشهيد وعائلته واتواتر الاشاعات ان السلطان عبد العزيز مات مقتولا بدسيسة هؤلاء الوزراء بايعاز من بعض الدول ذوات المصالح لاكبر فى الشرق أراد قتلهم انتقاما للسلطانه المرحوم الذى ذهب فريسة الدسائس الاجنبية

﴿عزل السلطان مراد خان ومبايعة السلطان الغازى عبد الحميد خان الثانى﴾

السلطان مراد الخامس هو ابن السلطان عبد المجيد خان ولد فى ٢٥ رجب سنة ١٢٥٦ وارتقى منصب الخلافة فى ٧ جمادى الاولى سنة ١٢٩٣ وكان متعلما مهذبا ميالا للاصلاح محبا للمساواة بين جميع أصناف رعيته مقتصدا فى مصرفه غير ميال للسرف والترف يشهد بذلك الفرمان الذى أرسله الى الباب العالى بابقاء الوزراء وجميع المأمورين فى وظائفهم ومبينا فيه خطة الاصلاح الذى يريد

«١٥٩» ولد عونى باشا فى ولاية قونيه سنة ١٢٣٦ هجريه وبعد أن تعلم المبادى أتى الى الاستانه ودخل المكتب الحربى سنة ١٨٥٣ وفى سنة ١٢٥٨ صار ملازما ثم أخذ يترقى شيأ فشيأ الى أن وصل لرتبه فريق فى أواخر شعبان سنة ١٢٧٨ هجرية وفى سنة ١٢٨٠ وجهت اليه قائممقامية السرعسكر مع مشيرية الاوردى الهمايونى الخاص وفى سنة ١٢٨٥ عين سرعسكر عموم الجيوش الشاهانية وفى سنة ١٢٩٠ عين صدرا أعظما ثم بعد تقلبه فى عدة مناصب مهمة رجع الى السرعسكرية فى ربيع الآخر سنة ١٢٩٢ وقتل وهو بهذه الوظيفة

«١٦٠» هو ابن حسن حيدر باشا من أعيان درامه وكان والده مستخدما بالحكومة المصرية ثم سافر الى الاستانه أيام ولاية المرحوم عباس باشا الاول وأرسله والده الى أوروبا مع الخديو اسماعيل باشا الاسبق وأخويه ولما عاد منها عين بوظيفة مترجم ثم ترقى فى الوظائف الملكية الى أن بلغ رتبة الوزارة وأحسن عليه بالنيشان العثمانى الاول المرصع وتقلد عدة وظائف مهمة وقتل وهو وزير الخارجية

اجراء، وهاهو بنصه

﴿ترجمة الخط الهمايونى الذى أرسل الى الباب العالى بخصوص جلوس سيدنا﴾
﴿ومولانا السلطان مرادخان الخامس وابقاء سائر الوزراء فى مناصبهم﴾

وزيرى سمير الحمية محمد رشدى باشا

انه لما وقع الآن بارادة جناب مالك الملك الازلية وباجماع الرعية ورغبتها جلوسنا على تخت أجدادنا العظام جددنا ابقاء خدمة الصدارة فى عهدتكم اعتمادا على ماجرب من رويتكم وحميتكم وأقررنا جميع الوكلاء والمأمورين فى مأمورياتهم وخدمتهم وقد عرف الناس أجمع ان ماطرأ من مشكلات الاحوال على الدولة فى أمورها الداخلية والخارجية ولد فى أفكار العامة قلة الامنية فافضى ذلك لمضرتهم مالا وملكا وتنوعت بناء عليه اشكال عدم استراحتهم فكان من الواجب ان نتخذ على الفور طريقا لاستئصال هذه الحال واصلاحها تأمينا وتنشيطا للملكة وعموم تبعة الدولة فى صورة تتكفل مادياومعنويا باسعادتهما وسلامتهما ولاشك ان هذا يتوقف على تأسيس أصول ادارة الدولة على أساس صحيح ومتين وهو الذى مابرحت أفكارنا محصورة فى النظر اليه ونوايانا معطوفة عليه فلذا كان جل مأمورنا الخالص (أولا) اجراء الاحكام الشرعية وتقييد ادارة الدولة العمومية بقوانين قوية موافقة لنفس الامر ولقابلية الاهالى فيقتضى والحالة هذه ان يتذاكر الوكلاء فى كيف يلزم ان تكون تلك القاعدة السالمة الثابتة وماهو الاساس الذى تبنى عليه لتكون كافلة لعموم رعيتنا السلطانية التمتع بتمام الحرية بدون استثناء وتؤهلهم لانواع الترقى وتميل كل فرد منهم للاتحاد بالفكر والنية على المحبة والمحافظة على الوطن والدولة والملة فيبادرون للاستئذان على مايقر عليه القرار (ثانيا) ان المهم اللازم نظر الهذه النية الاساسية انما هو تجديد تنظيم نظارات وادارات شورى الدولة والاحكام العدلية والمعارف العمومية وأمور المالية وسائر المأموريات فينبغى اذا النظر فى تنظيم ذلك بالتتابع (ثالثا) لما كانت المصالح الاميرية هى احدى الاحوال المعظمة التى أوقعت أمور الدولة فى اشكال كان من الواجبات وعلى

حساب

حساب ماسيشرع به من التنظيمات ادخال المعاملات المالية تحت التأمين أى انها تربط بقاعدة وثيقة وتوضع تحت نظارة قوية تمنع العموم تأمينا على عدم وقوع مصروف خارج عن الميزانية واعانة لهذا التدبير قد نزلنا من تخصيصات خزينتنا الخاصة ستين ألف كيس وتركنا كذلك الى خزينة المالية ادارة معدن الفحم فى اركلى وسائر المعادن وبعض المعامل وحاصلاتها باجمعها فبناء عليه يلزم الاعتناء كذلك باجراء مثل هذه التعديلات والتصرفات فى سائر الجهات تسهيلا ولحصول الموازنة فى الامور المالية رابعا فتقدم كافة معاهدات تنامع الدول المتحابة مرعية الاجراء ويصرف المجهود بتأكيد الحب والموالاة وتزييد المصافاة فيما بين دولتنا العلية وجميع الدول فنسأل جناب الحق المعين أن يوفقنا للخير أجمعين فى ١٦ جمادى الاولى سنة ١٢٩٣ اھ

لكن لم يتح له الدهر اتمام هاتيك المشروعات الجليلة ذات الفوائد الجزيلة بل ظهرت عليه علامات الاضطراب العصبى عقب توليته بنحو اسبوع ثم ازدادت شيأ فشيأ خصوصا بعدما بلغه خبر قتل حسين عونى باشا ومحمد راشد باشا بالصفة التى سبق شرحها حتى لم يتمكن من تمييز الوزراء عن بعضهم ومع ذلك فكان الصدر الاعظم يخفى هذا الامر عن العموم لكن ذاع خبره لعدم اجراء الاحتفال بتسليمه السيف السلطانى فى جامع أبى أيوب الانصارى حسب العادة ولعدم مقابلته قناصل الدول ليقدموا اليه أوراق تجديد تعيينهم لدى حكومته وأخيرا لما اشتد عليه الحال استدعى الوزراء الطبيب ليدزورف النمساوى الشهير بمداواة الامراض العقلية فحضر وبعد ان فحص جلالته ولازمه عدة أيام متفرسا كل ما يبدو منه من الاقوال والاشارات واستعلم عن عاداته وكيفية معيشته قال بتعسر برئه من هذا المرض فتشاور الوزراء فى الامر ثم عرضوا على أخيه عبد الحميد أفندى أن تسلم اليه مقاليد الاحكام حيث حكم الاطباء بعدم لياقة أخيه السلطان مراد لادارة مهامها فأجابهم حفظه الله وأطال عمره ان الاولى عدم التسرع فى الامور رجاء أن الله عليه بالشفاء ويعود الى ما كان عليه من شدة الذكاء وتوقد الذهن فامتثل الوزراء لكن لما رأوا ان الحالة فى ازدياد اجتمعوا فى يوم الاربع ١٠ شعبان سنة ١٢٩٣ الموافق ٣٠ اغسطس سنة

١٨٧٦ وقرروا وجوب المبايعة لمولانا السلطان عبد الحميد خان الثانى أدامه الله وأرسلوا رقيمه الوالدة السلطان مراد يخبرونها بذلك فأجابت باستحسان ما قرروه ثم فى صباح يوم الخميس اجتمع الوزراء ثانية واستدعوا شيخ الاسلام خير الله افندى وجميع الذوات والعلماء والاعيان واستفتوا مولانا شيخ الاسلام فى الاوامر فأفتى بوجوب عزله وهاك نص الفتوى

﴿صورة استفتاء الوزراء فى وجوب خلع السلطان مراد خان الخامس﴾

اذا جن امام المسلمين جنونا مطبقا ففات المقصود من الامامة فهل يصح حل الامامة من عهدته (الجواب) يصح والله أعلم كتبه الفقير حسن خير الله عفى عنه

وبعدها أرسلوا فى طلب مولانا

٣٤ ﴿السلطان الغازى عبد الحميد خان الثانى﴾

فحضر الى سراى طوبقبو وبايعه الحاضرون ومنها الى سراى بشكطاش حيث بايعه جميع من حضر من رؤساء رومامورين وغيرهم

أما السلطان مراد فتوجه الى سراى چراغان التى كان بناها المرحوم السلطان عبد العزيز واستشهد بها ثم اخطرت الولايات وزينت المدينة ثلاثة أيام توالى فيها اطلاق المدافع فى الاوقات الخمس من الطوابى والمراكب الحربية

وفى يوم ١٨ شعبان سنة ١٢٩٣ الموافق ٦ سبتمبر سنة ١٨٧٦ تقلد مولانا السلطان أعزه الله السيف المنيف فى جامع أبى أيوب الانصارى على ما جرت به العادة وكان ذهابه الى هذا الجامع فى موكب حافل لم يسبق له مثيل وزار جلالته أثناء عودته جدث والده المرحوم السلطان الغازى عبد المجيد المدفون بجامع السلطان سليم ثم زار ضريح السلطان محمد الفاتح رحمه الله فقبر جده السلطان محمود مبيد الانكشارية طيب الله ثراه وأخيرا قبر عمه شهيد الشهداء السلطان عبد العزيز غفر له الله

وبعد ذلك استلم ادارة الاعمال بهمة ونشاط وأظهر للوزراء رغبته فى اصلاح الامور

فى

فى خط همايونى أرسله جلالته الى الباب العالى اشعارا بجلوسه مؤرخا ٢١ شعبان سنة ١٢٩٣ الموافق ١٠ سبتمبر سنة ١٢٧٦ واليك نصه

﴿ترجمة الخط الهمايونى الذى أرسله سيدنا ومولانا السلطان عبد الحميد خان﴾
﴿الثانى المعظم الى الباب العالى اشعارا بجلوس جنابه الرفيع على﴾
﴿سرير السلطنة السنية وذلك فى يوم الاحد ٢١ شعبان﴾
﴿المعظم سنة ١٢٩٣ الموافق ١٠ سبتمبر سنة ١٨٧٦﴾

وزيرى سمير المعالى محمد رشدى باشا

انه لما اعتزل أخى الاكرم حضرة السلطان مراد الخامس عن مشاغل السلطنة والخلافة وفرغ منها جلسنا بموجب القانون العثمانى على تخت أجدادنا العظام وقد وجهنا العهد لكم مسند الصدارة العظمى ورئاسة مجلس الوكلاء ابقاء وتجديدا بناء على ما للذات كم من الروية المسلم بها والحمية المجربة وما لكم من الوقوف والاطلاع على مهم أمور الدولة وكذلك أقررنا جميع الوكلاء على مناصبهم

وانى شديد الاتكال فى جميع الاحوال على تسهيلات جناب موفق الامور وتوفيقاته الصمدانية وقصارى آمالى ومقاصدى معطوفة بالحصر لتأييد أساس شوكة دولتنا ومكانتها بحيث تنال صنوف تبعتنا بلا استثناء الحرية ويتنعمون جميعا بنعمة العدالة والرفاهية فأؤمل فى هذا الاثر و يعاونوننا عليه وقد عرف الناس أجمع بان حال البحران والاغتشاش الملم بدولتنا له جهات وأسباب متنوعة وصور وأشكال متعددة فاذا أمعنا النظر فى ذلك من أى جهة كانت تجتمع مباديه وأسبابه فى نقطة واحدة وهى عدم جريان القوانين والنظامات المؤسسة على الاحكام الجليلة والشرعية التى هى المسند الاسامى فى دولتنا على حقها وتمامها واتباع كل فرد أهواء نفسه فى ادارة الامور أما اتساع ميدان عدم الانتظام الطارئ على ادارة دولتنا ملكا ومالا وما حصلت عليه أمور ماليتنا من عدم الامنية فى الافكار العمومية وتعذر وصول المحاكم الى الدرجة المتكفلة بتأمين حقوق الناس وتأخر استفادة مملكتنا حالة كونها قابلة لانواع وسائل العمران كالحرف والصنائع والتجارة والزراعة كما هو مسلم فهو من

عدم الثبات الذى وقع على كل ما شرع به من الاجراآت وكل ما حصل من التشبثات الصادرة عن نية خالصة لمقصد اعمار مملكتنا ورفاهية حال رعايانا وتبعتنا وسعادة حالهم ونوالهم بدون استثناء الحرية الشخصية وكون ذلك باجمعه صار عرضة لتغييرات متنوعة منعت انتاج المقصد الاصلى فلا ريب فى انه تولد ونشأ عن عدم الثبات باتباع القانون والنظام واذا كان من أهم ما يلزم ان التدابير الواجب وضعها أوّلا فأوّلا فى مطلب قوانين المملكة المقتضى وضعها وتنظيمها فى صورة تتكفل بأمنية العموم وثقتهم ينبغى ان يبتدأ بها من هذه النقطة المهمة وهى ان يترتب مجلس عمومى تكون أفعاله وآثاره مستوجبة لثقة العموم واعتمادهم ويكون موافقا القابلية مملكتنا وأخلاق أهلها كافلا بالتمام تأمين اجراء القوانين حرفا فحرفا فسواء كانت القوانين الموجودة أو التى تتأسس من الآن فصاعدا توفيقا لاحكام الشرع الشريف المقدسة ولما هو بالحقيقة ضرورى ومشروع لمملكتنا وملتنا وناظرا فى موازنة وارادات الدولة ومصاريفها فليبحث الوكلاء فى هذا المطلب ويتذاكروا فيه بتدقيق وتأمل ويعرضوا اقرارهم لدينا ويستأذنوا عنه ثم لما كانت مسئلة توديع المأموريات الى غير أهلها من المأمورين وتبدلاتهم المتوالية من غير سبب مشروع هى من جملة الامور الباعثة على ايقاع جريان القوانين والنظامات كما ينبغى فى حيز الاشكال وهذا مما يأتى بكبير المضرة لملكنا ومصلحة فينبغى ان يتعين من الآن فصاعدا مسلك مخصوص لكل نوع من الخدم والمأموريات وتتخذ قاعدة ثابتة ليستخدم بمقتضاها فى كل عمل من يكون أهلا له ولا يعزل أحد أو يبدل من مأموريته بلا موجب على وجه ان تكون كافة الوكلاء ومأمورى الدولة كبارا وصغارا مسؤلين عن الوظائف الموكولة لهم كل بحسب درجته وكما هو معلوم لدى الحاذقين ان ترقيات ملل أوروبا المادية والمعنوية انما هى حاصلة بقوة الفنون والمعارف ولما كان استعداد كافة صنوف تبعتنا وما فطروا عليه من الذكاء والحمد لله يؤهلهم من كل وجه للترقيات وأهم ما لدينا من الامور الاسراع بتعميم المعارف فأخص ما نتمناه والحالة هذه ان يحصل الاجتهاد بابلاغ تخصيصات المعارف الى الدرجة الكافية حسبما يساعد الامكان وان تستحصل الوسائل الموصلة لتعميم نشر أصول المعارف على

الفور و يبادر عاجلا لاصلاح الاصول الملكية والمالية والضبط فى الولايات بحيث
توضع ضمن دائرة الانتظام فى صورة مناسبة للقاعدة التى تتخذ فى المركز وحيث ان
الحادثة التى ظهرت فى العام الماضى فى أطراف هرسك و بوسنه باغراء أرباب
الاغراض قد انضم لها أيضا مسئلة عصيان الصرب والدم المهرق من الطرفين
انما هو دم أولاد وطن واحد وكان دوام هذه الحال التى يرثى لها موجبا لكدرنا
وتأثرنا الشديد يلزم التشبث بالتدابير المؤثرة المفضية لاستئصالها وفيما نؤيد مجددا
كافة أحكام المعاهدات المنعقدة مع الدول المتحابة نؤثر رعايتها على الوجه الحسن
فينبغى المثابرة بالاجتهاد على ازدياد روابط الحب والمسالمة المتبادلين بيننا و بين الدول
ونسأل حضرة الرب المتعال أن يقرن مساعينا جميعا بتوفيقاته السبحانية فى كافة
الاحوال آمين في يوم الاحد ٢١ شعبان سنة ١٢٩٣

ثم أصبح لشورة نبهاء وزرائه الميالين لمنح الدولة العثمانية نظاما دستوريا شوريا
يحفظ لجميع رعايا الدولة حقوقهم و يكون بمثابة رابطة بين جميع الشعوب والملل
المكونة منها الممالك العثمانية فيكون الجميع سواء فى الحقوق والواجبات وتبطل
بذلك المنافسات والضغائن الجنسية والدينية لاشتراك الجميع فى تطور شؤون الدولة
ووضع القوانين الملائمة لحالة الاهالى ودرجة ارتقائهم فى سلم المدنية والعمران
ويتنبه كل منهم الى الدسائس الاجنبية ولفظ الخائنين من بينهم لفظ النواة
ولهذه الدواعى أصدر حفظه الله ارادة سنية بموجب قرار سائر الوكلاء (النظار) فى ٥
شوال سنة ١٢٩٣ الموافق ٢ نوفمبر سنة ١٨٧٦ بتنظيم مجلس عمومى (برلمان)
يكون من مجلسين أحدهما ينتخب الاهالى أعضاءه ويسمى مجلس المبعوثان والآخر
تعين أعضاؤه من طرف الدولة ويسمى مجلس الاعيان
وقد ازداد تعلق جلالة السلطان الاعظم بتأييد النظامات الجديدة الشورويه ووثق
الاهالى ببلوغ أمانيهم ولم شعث الامم المختلفة وايجاد أمة واحدة عثمانية تكون
كرجل واحد أمام العدو وعاجز احصيناضد تداخل الدول بحجة اصلاح أحوال
الشعوب المسيحية عبا أن كل شعب يسن له بمعرفة النواب عن الجميع قوانين تلائم أحوال

المذهبية ويعيش الكل فى راحة بال ورغد عيش ثم لما استعفى محمد رشيد باشا من منصب الصدارة بسبب تقدمه فى السن ووهن قواه عن مزاولة الاعمال فى هذه الظروف المهمة وجهت الصدارة الى أحمد مدحت باشا أول القائلين بهذه الاصلاحات فى ٤ ذى الحجة سنة ١٢٩٣ الموافق ١٣ دسمبر سنة ١٨٧٦ وبعد تعيينه بأربعة أيام صدر اليه فرمان سلطانى مرفق معه القانون الاساسى للدولة مشتمل على مائة وتسع عشرة مادة يأمره بنشر هذا القانون فى جميع أنحاء الدولة ومباشرة العمل بأحكامه من يوم نشره وأعلن القانون الاساسى بالاستانة وقرئ فى مجمع حافل فى يوم ٢٣ دسمبر سنة ١٨٧٦ وأطلقت المدافع من جميع القلاع والمراكب استبشارا وهو قانون قد جمع فأوعى أهم ما به انه ضمن لجميع رعايا الدولة الحرية والمساواة أمام القانون وأباح حرية التعليم مع جعله اجباريا على جميع أفراد العثمانيين وحرية المطبوعات وبين اختصاصات مجلسى المبعوثان والاعيان وكيفية الانتخاب ومن يجوز ان ينتخب أو ينتخب وان جميع الرعايا يطلق عليهم اسم عثمانى ومن هو ذلك العثمانى وان الدين الرسمى هو دين الاسلام واللغة الرسمية اللغة التركية وان الدولة جسم واحد لا يمكن تفريقه أو تجزيئه ومما فيه أيضا ابطال المصادرة فى الاموال على العموم والتعذيب فى التحقيق والسخرة على وجه العموم ووضع ميزانية سنوية تعرض على هيئة المبعوثان ثم الاعيان واذا أقركلاهما عليها تكون واجبة الاجراء وعدم جواز عزل القضاة الا بسبب شرعى وكيفية نظام الولايات وحدود المأمورين الخ مما يطول ذكره هنا وهاك صورة الخط الشريف الهمايونى الصادر بتنفيذ القانون الاساسى

وزيرى سمير المعالى مدحت باشا

ان التدنيات العارضة منذ أزمان على قوة دولتنا العلية قد نشأت من الانحراف عن الطريق المستقيمة فى ادارة الامور الداخلية أكثر مما نشأ من الغوائل الخارجية ومن ميل الاسباب الكافلة أمنية التبعة من حكومتهم المتبوعة الى الانحطاط فلذا كان والدى الماجد المرحوم عبد المجيد خان أعلن مقدمة للاصلاحات خط

التنظيمات

التنظيمات الذي فتح فيه للعموم الامن على نفوسهم وأموالهم وأعراضهم وناموسهم كما يوافق أحكام الشرع الشريف المقدسة فانتعشنا الى الآن ضمن دائرة الامن وماوفقنا به اليوم بوضع واعلان هذا القانون الاساسي الذي هو ثمرة الآراء والافكار المتداولة بالحرية المستندة على تلك الامنية ماهو الا من جملة آثار تلك التنظيمات الخيرية فلذلك أردد خاصة فى هذا اليوم المسعود اسم المرحوم المشار اليه وموفقيته بعنوان محيي الدولة ولا ريب بأنه لو كان الاوان الذي تأسست فيه التنظيمات المذكورة موافقا لاستعداد زماننا هذا والجاآته لكان المرحوم المشار اليه أسس اذ ذاك أحكام هذا القانون الاساسي الذي نشرناه الآن وأجراه ولكن جناب الحق علق حصول هذه النتيجة المسعودة الكافلة باتمام سعادة حال ملتنا لعهد سلطنتنا فنقدم بناء على هذه الدلالة لجناب الرب الكريم الحمد والشكر العظيم على ان التغييرات التى وقعت بالطبع فى أحوال داخلية دولتنا العلية والتوسعات التى حصلت فى مناسباتها الخارجية أوصلت عدم كفاءة شكل ادارة الحكومة لدرجة البداهة ولما كان أقصى مقاصدنا الخيرية ازالة الاسباب المانعة للآن الاستفادة الواجبة من ثروة ملكنا وملتنا الطبيعية ومن قابليتها الفطرية وتقدم صنوف التبعة فى طرق الترقى بالتعاون والاتحاد اقتضى لاجل الوصول الى هذا المقصد ان تتخذ الحكومة قاعدة سالمة ومنتظمة وهذا أيضا يتوقف على تأمين هذه الفوائد وتقريرها بمعنى ان قوة الحكومة تحافظ على حقوقها المقبولة والمشروعة وعلى منع الحركات غير المشروعة أعني بها منع ومحو الخطيئات وسوء الاستعمالات المتولدة من الحكم الاستبدادي الفردي أو الافراد القلائل ليستفيد جميع الاقوام المركبة هيئتنا منهم نعمة الحرية والعدالة والمساواة بلا استثناء وذلك حق ومنفعة جريان بالهيئة الاجتماعية المدنية

ولما كان ربط القوانين والمصالح العمومية بقاعدتي المشورة والمشروطية المشروعتين والثابت خيرهما مما تحتاج اليه هذه الاصول أوعزنا فى خطنا الذي أذعنا به جلوسنا عن لزوم ترتيب مجلس عمومي وبما ان القانون الاساسي اقتضى بتنظيمه فى هذا المطلب قد ترتب بالمذاكرة فى الجمعية المخصوصة التى تعينت مركبة من متحيزي

الوزراء وصدور العلماء ومن سائر رجال ومأموري دولتنا العلية وجرى عليه التصديق في مجلس وكلائنا بعد امعان نظر التدقيق وكانت المواد المندرجة فيه اغلبها هي متعلقة بحقوق الخلافة الاسلامية الكبرى والسلطنة العثمانية العظمى وحرية العثمانيين ومساواتهم وصلاحية الوكلاء والمأمورين ومسؤليتهم وبما للمجلس العمومي من حق الوقوف وباستقلال المحاكم الكامل وبصحة الموازنة المالية وبالمحافظة على مركز الحقوق في ادارة الولايات واتخاذ أصول توسيع المأذونية وكان جميع ماذكر مطابقا لاحكام الشرع الشريف ولاحتياج الملك والملة وقابليتهما في يومنا هذا وكانت أخص آمالنا في مطلب سعادة العامة وترقياتها مساعدة لهذا الفكر الخيري وموافقة له فاستنادا على عون الله وامداد روحانية جناب رسول الله قد قبلناه هذا القانون الاساسي وأرسلناه لطرفكم بعد ان صادقنا عليه فبادروا الاعلانه في جميع انحاء الممالك العثمانية وأطرافها ليكون دستورا للعمل الى ماشاء الله وباشروا باجراء أحكامه منذ اليوم متخذين أسرع التدابير لتنظيم ماتقرر فيه وتسطر من النظامات والقوانين كما هو مطلوبنا القطعي ونسأل جناب الحق المتعال ان يجعل مساعي المجتهدين في سعادة حال ملكنا وملتنا مظهر التوفيق في كل الاعمال تحريرا في ٧ ذي الحجة سنة ١٢٩٣ اه

لكن لم ير أحمد مدحت باشا هذه الهيئة الشورويه التي بذل جهده لمنحها البلاد فانه عزل من منصب الصدارة في ٢١ محرم سنة ١٢٩٤ أعني بعد تعيينه بأقل من شهرين ونفي خارج الممالك المحروسة بناء على ما ألقي في حقه من الدسائس لدى جلالة السلطان الاعظم من انه يود ارجاع السلطان مرادا الى عرش الخلافة العظمى بدعوى ان عزله كان على غير وجه شرعي وانه حافظ لقواه العقلية لايمنعه مانع عن القيام بمهام الدولة وعزي اليه أيضا انه يسعى في فصل السلطة الدينية عن السلطة الدنيوية أي الخلافة الاسلامية عن السلطنة العثمانية بحيث لا يكون السلطان خليفة جميع المسلمين في المعمورة بل يكون سلطانا على الامة العثمانية ليس الا وبنى نفيه بناء على المادة ١١٣ من القانون الاساسي التي جاء في آخرها بعد التكلم على

اعلان الادارة العرفية أى تعطيل القوانين والنظامات الملكية موقتا فى كل جهة ظهرت فيها أمارات الاختلال والعبث بالامن العام ما نصه (ومن ثبت عليهم بتحقيقات ادارة الضابطة الموثوقة أنهم أخلوا بأمنية الحكومة يكون اخراجهم من الممالك المحروسة وتبعيدهم عنها منحصرا بيد اقتدار الحضرة السلطانية) ثم وجهت الصدارة الى محمد أدهم باشا مع تغيير وتبديل فى أغلب الوكلاء وأرباب الوظائف المهمة

وفى ٤ ربيع الاول سنة ١٢٩٤ فتح البرلمان العثمانى الاول فى سراى بشكطاش وعند افتتاحه تليت خطبة أنيقة عن لسان جلالة السلطان وبحضوره شرحت فيها جميع الاسباب التى أدت الى انحطاط الدولة وتأخرها سلميا وسياسيا وبعد تشخيص الداء بين فيها الدواء وما يلزم للمملكة من الاصلاحات ونشر التعليم والمساواة بين الجميع والعدل فى الاحكام ولاهميتها فى بابها وجمعها كل ما يمكن أن يقال فى مثل هذا الحال أتينا على درجها هنا وقد صدق من قال ان كلام الملوك ملك الكلام وها هى

﴿تعريب النطق الذى تلى أمام الحضرة السلطانية عند افتتاح مجلس﴾
﴿الاعيان ومجلس المبعوثان فى سراى بشكطاش وذلك فى ٥﴾
﴿ربيع الاول سنة ١٢٩٤ الموافق ١٩ مارس سنة ١٨٧٧﴾

يا أيها الاعيان والمبعوثان

اننى أبث الممنونية بافتتاح المجلس العمومى الذى اجتمع المرة الاولى فى دولتنا العلية وجميعكم تعلمون ان ترقى شوكة واقتدار الدول والملل انما هو قائم بواسطة العدالة حتى ان ما انتشر فى العالم من قوة دولتنا العلية وقدرتها فى أوائل ظهورها كان من مراعاة العدل فى أمر الحكومة ومراعاة حق ومنفعة كل صنف من صنوف التبعة وقد عرف الناس أجمع تلك المساعدات التى أبداها أحد أجدادنا العظام المرحوم السلطان محمد خان الفاتح فى مطلب حرية الدين والمذهب وكافة أسلافنا العظام أيضا قد سلكوا على هذا الاثر فلم يقع فى هذا المطلب خلل بوقت من الاوقات وغير منكر ان المحافظة منذ ستمائة عام على ألسنة صنوف تبعتنا ومليتهم ومذاهبهم كانت النتيجة الطبيعية لهذه القضية العادلة والحاصل بينما كانت ثروة

الدولة والملة وسيادتهما صاعدتين فى درج الترقى فى تلك الاعصار والازمان بظل حماية العدالة ووقاية القوانين أخذنا بالانحطاط تدريجا بسبب قلة الانقياد للشرع الشريف وللقوانين الموضوعة وتبدلت تلك القوة بالضعف وقصارى الامر ان المرحوم والدى الاكبر السلطان محمود خان أزال عدم الانتظام الذى هو العلة الكبرى للانحطاط الذى طرأ منذ أعصار على دولتنا ورفع من الوجود غائلة الانكشارية المتولدة منه وقلع شوك الفساد والاختلال الذى مزق جسم الدولة والملة وكان هو السابق لفتح باب ادخال مدنية أوروبا الحاضرة الى ملكنا وهكذا والدى الماجد المرحوم عبد المجيد خان قد اقتفى هذا الاثر فأعلى أساس التنظيمات الخيرية المتكفلة بالمحافظة على نفوس أهالينا وأموالهم وأعراضهم وناموسهم ومنذ ذلك اليوم اتسعت تجارة ممالكنا وزراعتها وزادت واردات دولتنا أضعافا فى أمد قليل ومن ثم وضعت القوانين والنظامات التى هى مدار لما يعوزنا من الاصلاحات وأخذ تحصيل المعارف والفنون بالامتداد وبينما اشب فى دولتنا أمل النجاح بناء على هذه المقدمات الحسنة ولاسيما بناء على الامنية الداخلية ظهرت حرب القريم فكان ظهورها مانعا لدوام المساعى بتنظيم أحوال الملك والتبعة ومع ان خزينة دولتنا كانت حتى ذلك الوقت غير مديونة للخارج بقرش واحد اضطررنا للاستقراض الخارجى دفعا للاحتياج والضرورة فتعذر والحالة هذه تقابل وارداتنا مع مصاريف الحرب المبرمة وبهذا السبب فتح باب الدين نعم انه فى هذه المسالة بواسطة اتفاق الدول المفخمة التى صادقت على مشروعية حقوقنا وبانضمام معاوناتها الكاملة الفعلية التى لا تبرح مدى الدهر زينة لصحائف التواريخ قد انتجت الحرب تلك المصالحة التى وضعت تمام ملكية دولتنا واستقلالها تحت ضمان دول أوربا العهدى وغلب على الظن ان هذه المصالحة قد مهدت لمستقبلنا زمانا مساعدا على وضع اعمالنا الداخلية فى طريقها وسلوك جادة الترقى الحقيقى انما الاحوال المتعاقبة ساقتنا بكليتنا الى عكس ذلك الانتظار والامل ان توالى الحوادث الداخلية المتتابعة الظهور بفعاعيل التحريكات والتسويلات لم تخولنا وقتا للنظر فى اصلاحات ملكنا وتنظيماته بل أوقعت زراعتنا وتجارتنا فى وقوف عظيم لاضطرارنا

فى

فى كل عام لجمع معسكرات فوق العادة فى انحاء مختلفة و وضع الصنف الاكثر نفعا من أهالينا تحت السلاح وأمر مسلم ومعلوم انه مع كل ما صادفنا من المشاكل والموانع قد قطعنا ماديا وأدبيا مسافة كلية فى سبيل النجاح وتزايد وارداتنا على التوالى منذ عشرين عاما دليل على ترقى المملكة وازدياد رفاهية حال الاهالى ثم وان كانت المضايقة الحاضرة قد تولدت من الاحوال التى عددناها فمع هذا كان ممكنا تخفيف غائلة الضرورة وحفظ الاعتبار المالى لو سلكنا فى الادارة المالية طريقا قويما بيد انه كل ما اتخذ من التدبير المالى فى صورة الاصلاحات لم يصلح الحال وانما زاد العمل اثقالا وقد طلبت الاستفادة من الحال قبل التفكر ماذا يكون الاستقبال فدوام هذه الغوائل وتعاقبها من الجهة الواحدة ومداركة وانشاء الادوات والاسلحة الجديدة الحربية التى هى أعظم أسباب شوكة دولتنا واقتدارها وعدم وضع وارداتنا ومصاريفنا تحت موازنة اقتصادية من الجهة الاخرى افضتا الى انتقاض ادارتنا المالية درجة فدرجة فانتجت ما نحن فيه الآن من المضايقة الخارقة للعادة واعقب ذلك ظهور وقوعات هرسك المنبعثة من أثر الفساد والتحريك التى تجسمت أخيرا ثم افتتحت بغتة محاربات بلاد الصرب والجبل الاسود وظهرت فى عالم السياسة أيضا فتن واختلالات كبيرة وفى ذلك الزمان الذى فيه تهورت دولتنا فى بحران عظيم وقع جلوسنا بارادة جناب الحق الازلية على تخت أجدادنا العظام ولما كانت درجة المخاطر والمشكلات التى حاقت باحوالنا العمومية غير قابلة القياس مع ما تقدمها من الغوائل التى تهورت بها دولتنا حتى الآن قد اضطررت لاجل المحافظة قبل كل شئ على حقوقنا ان أزيد معسكراتنا فى جميع الجهات حتى وضعت تحت السلاح نحو سبعمائة ألف عسكرى لاعتقادى بان ملاشاة هذه الاختباطات بالكلية واستئصالها بعون الله تعالى والتفتيش على طريقة لاصلاحات مهمة فى دولتنا نضع بواسطتها مستقبلنا تحت الامنية المتمادية انما هو فرض على ذمتى وأمر واضح بانه اذا تم جنانا فى الادارة سيما لا حسنا سنتقدم بأقرب وقت تقدما كبيرا فى النجاح بحسب القابلية التى أحسن بها الحق تعالى على ملكنا وبحسب الاستعداد المتصفة به أهالينا وأمر محقق ان تأخرنا عن لحوق الترقيات الحاضرة فى عالم المدنية كان لاهمالنا

المداومة على الاصلاحات المحتاج ملكنا اليها ولعدم المثابرة على القوانين والنظامات المتعلقة بها ومنشأ ذلك ليس هو الا صدور هذه الاشياء من يد الحكومة الاستبدادية بدون استناد على قاعدة المشورة والحال ان ترقى الدول المتمدنة ونجاحها وأمنية الممالك وعمرانها انما هو ثمرة تأسيس مصالحها وقوانينها العمومية بالاتفاق واجماع الآراء كما هو مسلم فبناء عليه رأيت ان تحرى أسباب الترقى فى هذه الطريق واستناد قوانين المملكة على الآراء العمومية هو ألزم ما لدينا فلذا قد أعلنت القانون الاساسى اما مقصدنا من تأسيسه فليس هو عبارة عن دعوة الاهالى للحضور فى رؤية المصالح العمومية وانما بالاحرى لاعتقادنا القطعى بأن هذه الاصول هى وسيلة مستقلة لاصلاح ادارة ممالكنا ومحو سوء الاستعمالات واستئصال قاعدة الاستبداد وفضلا عما فى هذا القانون الاساسى من الفوائد الاصلية فهو كذلك ممهد لاساس حصول الاتحاد والاخوة بين الانام وجامع لقصد تأسيس أمر الائتلاف والسعادة بين الخاص والعام أما أجدادنا العظام ففى الفتوحات التى وفقوا اليها قد جمعوا تحت حكومتهم فى هذه الدولة الوسيعة الممالك أقواما عديدة فلم يبق سوى أمر واحد فقط وهو ربط هذه الاقوام المختلفة اختلافا كليا فى الاديان والاجناس بقانون مفرد وحسن مشترك وحيث قد تيسر الآن هذا الامر بعون جناب الحق الذى لانهاية لالطافه ومقدرته الالهية فيقتضى اذا من الآن فصاعدا ان تكون كافة تبعتنا أولاد وطن واحد يعيشون بأجمعهم تحت جناح حماية قانون واحد وينعتون بالعنوان المخصوص منذ ما ينيف عن ستمائة سنة لاهل بيت سلطنتنا السنية المسطر كثير من آثار شوكتهم فى صحف تواريخ البرية مؤملا ان الاسم العثمانى الذى ما برح حتى الآن علم المكنة والاقتدار المشتهر يكون من بعد الآن شاملا لدوام المنافع المختلفة الموجودة بين جميع تبعتنا وحفظها وحيث اننى بناء على ما ذكر من الاسباب والمقاصد قد عزمت عزما ثابتا على ان أنهج السبيل الذى سلكته ولا آلو جهدا فى توطيده وتشييده فاترقب منكم اذا المعاونة فعلا وعقلا للاستفادة من مشروع القانون الاساسى الذى بنى على قاعدتى العدل والسلامة والمفروض عليكم اذا القيام بابقاء الوظائف القانونية المحولة لعهدة حميتكم بصداقة واستقامة بدون احتراز من

أحد غير ملتفتين الى شئ آخر سوى سلامة دولتنا وملكتنا وسعادتهما لان ما يعوزنا اليوم من الاصلاحات وما يترقب الجميع اتخاذه فى ملكنا من التنظيمات هو فى غاية الاهمية والاعتناء وبما ان وضع ذلك على الفور فى موقع الاجراء مرهون على اتفاقكم بالافكار والآراء فلذا شورى الدولة مثابر الآن على تنظيم لوائح القوانين اللازمة لكى تتحول فى اجتماعكم فى هذه السنة الى مجالسكم لاجل المذاكرة وهى لائحة نظامات داخلية مجلسكم ولوائح قانون الانتخاب وقانون الولايات وادارة النواحى العمومى وقانون الدوائر البلدية وقوانين أصول المحاكمات المدنية وترتيب المحاكم وصورة ترقى الحكام وتقاعدهم ووظائف عموم المأمورين وحق تقاعدهم وقوانين المطبوعات وديوان المحاسبات ولائحة قانون ميزانية السنة السابقة فطلوبنا القطعى والحالة هذه مطالعة هذه القوانين بالتتابع والمذاكرة عليها واعطاء قراراتها وكما ان النظر عاجلا فى اصلاحات وتنظيمات المحاكم والعساكر الضبطية اللتين هما الواسطة المستقلة لتأمين حقوق العموم من أهم ما يلزم فوضع ذلك فى موقع الاجراء أيضا متوقف على توسيع مخصصاتهما المقررة وتزييدها ومن حيث ان اداراتنا المالية قد أمست عرضة للعسر والمشاكل الكثيرة حسبما يتضح لديكم من الميزانية المعطاة الى مجلسكم فأوصيكم ان تسعوا مهتمين بالاتفاق لتعيين التدابير التى تهدينا قبل كل شئ الى التخلص من هذه المشاكل والى وسائل اعادة اعتبار ماليتنا ومن ثم لتعيين تلك التخصيصات التى تخرج هذه الاصلاحات المستعجلة الى الفعل ولما كان ترقى الزراعة والصناعة اللتين هما من أعظم الاصلاحات والاحتياجات فى ملكنا وتبعتنا وايصال المدنية والثروة الى درجة الكمال موقوفا على قوة المعارف والعلوم فستعطى بمنه تعالى الى مجلسكم فى اجتماع السنة الآتية لوائح القوانين المتعلقة باصلاح المكاتب وبتنظيم درجات التحصيل وبما ان حصول تأثيرات أحكام القوانين على الوجه الاتم سواء كانت القوانين المذكورة أعلاه أو القوانين التى توضع من الآن فصاعدا فى موقع الاجراء يتوقف على وضع أقضية انتخاب مأمورى الادارة تحت أهمية عظيمة فهيئة دولتنا ستمعن نظر التدقيق المخصوص فى هذا المطلب وفى مطلب صورة مكافاة وحماية المأمورين المتصفين بالعفة

والاستقامة اللتين ضمنهما القانون الاساسي وحيث كانت قضية انتخاب المأمورين
ذات بال وأهمية لدينا اعتمدنا على تأسيس مكتب مخصوص تكون مصاريفه من
خزينتنا الخاصة لقصد الحصول على مأمورين جديرين بالادارة العمومية على وجه
ان تلامذته تقبل فى مأموريات الادارة والسياسة حتى الدرجة العليا ويدخل اليه
من كل صنوف تبعتنا بدون استثناء مذهبي وترقيهم يكون بحسب درجة أهليتهم
كما يتضح من نظامه الاساسي المعلن قبلا وقدوقع لدينا موقع التقدير والتحسين
فى صورة خارقة للعادة ما أبدته عموم تبعتنا الصادقة من آثار الحمية وما تحملته
جنودنا من أنواع المتاعب والمشاق المشفوعة بالغيرة والبسالة فى أثناء الغوائل
الداخلية التى تهوّرنا بها منذ عامين تقريبا ولاسيما فى أثناء الحرب مع الصرب
والجبل الاسود على ان تشبثاتنا المجردة لمحافظة حقوقنا فى هذه الحوادث قد أنتجت
استحصال قرار مصلحة الصرب والمذاكرات الجارية مع الجبل الاسود وسيتحول
لمطالعتكم فى اجتماع مجلسكم المرة الاولى ما نتخذه من المعاملات بناء على تلك
المذاكرات فأوصيكم اذا بتعجيل قراراتها أما السلوك مع الدول المتحابة بالصداقة
والرعاية لما كان من أهم المعاملات المألوفة والمعتنى به لدى دولتنا فلم نزل اليوم
حريصين على مراعاة هذه القاعدة الودادية ولما طلبت دولة انكلتره منذ بضع
شهور عقد مؤتمر فى مقر سعادتنا لاجل المسائل الحاضرة وروجت كافة الدول
المعظمة أيضا أساسات هذا الطلب والاقتراح وافق بابنا العالى على عقده نعم انه
لم يأت هذا الاجتماع باتفاق قطعي ولكن ما تأخرنا عن اثبات نوايانا الخالصة
واظهارها باجراء مأموراتهم ونصائحهم الموافقة لاحكام معاهدات الدول
ولقواعد الملل وحقوقها ولمقتضيات أحوالنا وحقوقنا المبرمة أما أسباب عدم
الاتفاق فلم تكن فى الاساس وانما بالاحرى كانت فى صور الاجراآت وأشكالها
لاستحساننا أساسيا لزوم ايصال الترقيات الكلية التى وقعت منذ بداية
التنظيمات حتى الآن فى أحوال مملكتنا العمومية وفى ادارة كل شعبة من
شعب دولتنا الى حال أكمل ولم تزل مساعينا حتى اليوم مصروفة لهذا المقصد
على ان وظيفتي التوقى من الاحوال التى تخل بشأن مملكتنا واستقلالها وقد

تركت اثبات صدق نيتى وسلامتها لدى الجميع الى تمادى الايام والزمان اما النتائج التى ولدتها هذه الحال فقد أفضت بى الى زيادة التأسف وزوالها اسريعا مما يكفل بكمال ممنونيتى على ان مقصدنا فى جميع الاوقات مقصور على دوام السلوك فى منهج المحافظة على استقلالية حقوقنا وسيكون هذا المسلك مركز النظر فى تصرفاتنا الآتية وأؤمل ان مآثر الاعتدال وحسن النية التى أظهرتها دولتنا قبل انعقاد المؤتمر وبعده تتكفل بمضاعفة حسن المعاشرة والمناسبات الودادية الرابطة سلطنتنا السنية بجمعية الدول الاوروباوية ونسأل حضرة الحق المتعال أن يجعل مساعينا جميعا مظهرا للتوفيق فى كافة الاحوال اهـ

﴿حرب الروسية وبيان أسباب لائحة الكونت اندراسى﴾ (١٦٠)

فى أوائل سنة ١٨٧٥ هاجت الخواطر فى بلاد الهرسك بناء على تحريض مجاوريها من الصرب وسكان الجبل الاسود طلبا للاستقلال الادارى مثل الامارتين المذكورتين وربما كان للنمسا يد فى هذه الفتنة اذ كان مطمح أنظارها الاستيلاء على ولايتى البوسنه والهرسك معا لمجاورتهما لبلادها فقدم أهالى الهرسك أولا عريضة للباب العالى يطلبون تخفيض الضرائب الحالية عموما وبدلية العسكرية خصوصا وان يعدهم السلطان وعدا صريحا بعدم ترتيب ضرائب جديدة عليهم فى المستقبل وان يشكل لبلادهم بوليس خصوصى (جندرمه) من أهالى البلاد فلم يجبهم الباب العالى لطلباتهم بل عزز الحامية ولما تظاهر الاهالى بالعصيان وأشهروا السلاح

(١٦٠) سياسى مجرى شهير ولد سنة ١٨٢٣ وتربى فى مدرسة «بودابست» الكليه واشتغل بالسياسه وفى سنة ١٨٤٨ كان من أهم دعاة الثورة وساعد الموسيو «كسوث» على طلب الحريه والمحاربه للحصول عليها وفى أثناء الثورة سافر الى الاستانه وتحصل من جلالة السلطان عبد المجيد على وعد بالمساعدة ومنها قصد بلاد الانكليز وهناك وصله خبر الحكم عليه بالاعدام غيابيا فلم يجسر على العودة لبلاده وبعد ان أقام خارجا عنها نحو عشرة سنوات اذن له بالرجوع اليها فعاد الى وطنه سنه ١٨٥٩ ولما تم الوفاق بين المجر والنمسا على ان يكون لكل من الامتين حكومة مستقلة ومجلس نواب مخصوص انتخب اندراسى وكيلا لمجلس الامة ثم رئيسا لمجلس وزراء المجر وحضر بهذه الصفة تتويج فرنسوا جوزيف ملكا على المجر ثم عين وزير الخارجية النمسا والمجر سنه ١٨٧١ ولما انتشبت الحرب التركية الروسية سنة ١٨٧٧ لزم الحيادة ولم يساعد الدولة العثمانيه حسب رغبة أهالى المجر فنفر أبناء وطنه منه ودعوه بخائن الوطن لاختلاسه ولايتى البوسنه والهرسك منها بدون حق ثم أبرم مع ألمانيا التحالف الذى صار ثلاثيا بانضمام ايتاليا اليه واستقال من الاشغال سنة ١٨٧٨ طلبا للراحه وتوفى سنة ١٨٩٠

ضد عساكر الدولة أصدرت أوامرها بقمعهم فورا فأخذت الثورة رغما عن مساعدة الصرب والجبليين لهم سرا وعلنا وتعضيد جمعيات الصقالبة اياهم بالمال والسلاح وفى ١٢ دسمبر سنة ١٨٧٥ قضت المراحم السلطانية بتسكين خاطرهم فأصدر فرمانا بفصل السلطة القضائية عن السلطة التنفيذية وتعيين قضاة من الاهالى بطريق الانتخاب وتوحيد الضرائب والمساواة فيها بين المسيحيين والمسلمين لكن أبت الدسائس الخارجية وعصب الصقالبة الا استمرار القتال لاشتغال الدولة فى الداخل واضعاف جيوشها فلم يذعن الثائرون بل تمادوا فى غيهم وطلبوا أول كل شئ انجلاء العساكر التركية عن جميع بلادهم كما انجلت عن بلاد الصرب واستمر القتال بينهم وبين الجنود العثمانية التى كان يقودها دولتلو الغازى مختار باشا الى النصر حتى لم يقو الثائرون على الوقوف أمامهم ولما رأت النمسا ان الثورة قد انطفأت أو كادت ولم يعد لها سبيل للتداخل عسكريا لتنفيذ المآرب بها كما سترى أوعز الكونت اندراسي وزيرها الاول الى ألمانيا والروسيا بالاشتراك معها فى تحرير لائحة سياسية الى الباب العالى بتعضيد طلبات الثائرين

وبعد تبادل المخابرات بين هاته الدول اتفق رأيها على تحرير هذه اللائحة المسماة فى كتب السياسة بلائحة الكونت اندراسي لكن تقرر أن يكون ارسالها للدول الغربية أعنى فرنسا وانكلترا لا للباب العالى وأرسلت لهما فعلا مؤرخة ٣٠ دسمبر سنة ١٨٧٥ فطلبت الدولة العلية من انكلترا تبليغها الصورة المرسلة اليها التى فيها رأيها فبلغتها اليها سفارة انكلترا بالاستانة بصفة غير رسمية

وأهم ما جاء بها ان الدول ترغب تشكيل قومسيون من أهالى الهرسك يكون نصفه من المسيحيين والآخر من المسلمين لمراقبة تنفيذ ما جاء فى الفرمان السلطانى المؤرخ ١٢ دسمبر السابق ذكره وأن يتعهد السلطان لجميع الدول باجراء ما ذكر بالفرمان المذكور من الاصلاحات

وبعد اطلاع أرباب السياسة فى الاستانة على هذه اللائحة ارتأى السلطان الموافقة على ما بها حسما للنزاع وحتى لا يكون للدول سبيل للتداخل بصفة أشد وزيادة على ذلك فقد أصدر الخليفة الاعظم عفوا عاما عن جميع المتهمين والمشتركين فى هذه

الثورة

ومن الغريب ان أهالى البوسنه والهرسك لم يقبلا هذا العفو العمومى بل أصروا على طلب انجلاء الجنود الشاهانية عن بلادهم أو بالاقل يكون احتلالها قاصرا على بعض قلاع وحصون معينة وان يملك ثلث الاراضى للمسيحيين وان يعفوا من الضرائب مدة ثلاث سنوات وان تدفع لهم الحكومة العثمانية تعويضا عما هدم من البيوت والكنائس أثناء الحرب بشرط أن يكون دفع هذه التعويضات للجنة أوروبية

﴿حادثة سلانيك ولائحة برلين﴾

وعقب ذلك بقليل حدث بمدينة سلانيك حادثة نسبها الاوروبيون الى تعصب الاسلام الدينى مع ان منشأها تعصب المسيحيين ضد المسلمين وتعرضهم للحرية الدينية التى يتظاهرون دائما بالدفاع عنها ايهاما وتعزيرا ليكون لهم حجة للتداخل فى بلاد الشرق وتفريق الكلمة بين الشرقيين فيسهل استيلاؤهم على بلادهم

وتفصيل هذه الحادثة ان فتاة بلغارية مسيحية اعتنقت الدين الحنيفى الاسلامى طائعة مختارة وأتت الى سلانيك فى ٥ مايو سنة ١٨٧٦ لاثبات اسلامها شرعا فتعرض لها بعض أوباش الاروام فى الطريق حين توجهها الى دار الحكومة واختطفوها من أيدى المحافظين عليها بالقوة وأخفوها أولا فى محل قنصلاتو أمريكا ثم فى أحد بيوت كبرائهم ولما اشتهر هذا الخبر بين المسلمين هاجوا وماجوا وتجمعوا بفسحة دار الحكومة طالبين البحث عن البنت وتخليصها من أيدى المخفين لها فوعدهم الوالى باجراء شؤون وظيفته ثم لما رأى المسلمون عدم نجاح بحث الحكومة اجتمعوا ثانيا فى اليوم الثانى فى أحد الجوامع مشددين النكير على الحكومة وفى أثناء هذا الهياج حضر قنصلا فرنسا وألمانيا ويقال انهما دخلا الجامع ولتواتر الاشاعة بان البنت فى بيت قنصل ألمانيا ازداد الهياج وفى أقل من القليل بلغت الشدة منتهاها من المجتمعين وتعدوا على القنصلين بالقتل

ولما وصل خبر هذه الحادثة الى الدول اضطرب وزراؤها وتبادلوا المخابرات البرقية بالاتفاق على اتخاذها سببا للتداخل

وفي ١١ منه اجتمع البرنس غورشاكوف وزير الروسية والكونت اندراسي وزير النمسا بالبرنس دي بسمارك بمدينة برلين وأخذوا في المداولة معا يومي ١١ و ١٢ منه وفي ١٣ منه حرروا اللائحة الى الباب العالي معروفة في كتب السياسة بلائحة برلين وصدقت عليها دولتا ايتاليا وفرنسا مفادها التشديد على الباب العالي بتنفيذ ماجاء في الفرمان السلطاني المؤرخ ١٢ دسمبر سنة ١٨٧٥ وتعيين مجلس دولي لمراقبة تنفيذه واجراء كل مافيه اصلاح حال المسيحيين في هذه الولايات وأن تبرم الدولة مع الثائرين هدنة قدرها شهران أو ستة أسابيع على الاقل للوصول الى اتفاق مرض لهم وانه ان لم تتفق مع الثائرين في خلال هذه الهدنة تكون الدول الموقعة عليها مضطرة لاستعمال القوة لاجبار الباب العالي على تنفيذ هذه اللائحة فيرى من ذلك المطالع ان الدول كانت متفقة على محاربة الدولة لتقسيم أملاكها فيما بينهم أو بالاقل سلخ جميع الولايات التي بها مسيحيون اذ ان الدول المسيحية لا يمكنها ان تخفي تألمها من وجود بعض المسيحيين تحت سلطة المسلمين فالمسألة اذن كما ذكرنا وكررنا سياسية دينية أو بالحرى دينية أكثر منها سياسية

هذا أما الباب العالي فلم يقبل هذه الطلبات المجحفة بحقوقه على رعاياه ولم يرعه هذا التهديد والوعيد لعلمه أنه يبعد اتفاق الدول على العمل لاختلاف أطماعها ولعدم موافقة انكلترا على هذه اللائحة

﴿ثورة البلغار وجواب اللورد دربي﴾

لا يخفى ان كثيرا من أعيان الروس وأعضاء العائلة الملوكية بها شكلوا عدة جمعيات لنشر النفوذ الروسي بين الطوائف التي تنسب حقيقة أو قولا الى العنصر الصقالبي ومن أكبر رؤسائها الجنرال أغناتيف الشهير وقد بذلت هذه الجمعيات المعضدة من نفس الامبراطور والحكومة مساعيها لاثارة البوسنه والهرسك فنجحت كما رأيت وسترى وكان لها عدة فروع في بلاد البلغار لتوزيع المال والسلاح سرا على المسيحيين من سكانها وتحريضهم على عصيان الدولة وطلب الاستقلال ولها أيضا مركز مهم في مدينة ويانه عاصمة النمسا كانت ترسل منها الاسلحة وغيرها عن طريق رومانيا مما يثبت ان للنمسا ضلعا في هذه الحركات العصيانية وبهذه المساعي الخبيثة الشيطانية

كفر البلغاريون نعمة الدولة عليهم التي لم تتصدلهم في بادئ الامر بتغيير دينهم أو امانة لغتهم بل ساعدتهم بعدم تعرضها لهم على حفظ جنسيتهم وقاموا يطالبون بالاستقلال بناء على ايعاز أرباب الدسائس من الاجانب وحيث كانت الدولة أنزلت ببلاد البلغار بعض عائلات الجركس المهاجرين هربا من حكومة الروسيا والاحتماء تحت ظل جلالة الخليفة الاعظم فقد أفهم المهيجون البلغاريين ان الدولة تبغى اقطاع أراضيهم لهؤلاء الجراكسة واستعباد المسيحيين لهم فحصلت عدة حركات عصيانية في سبتمبر واكتوبر سنة ١٨٧٥ أطفئت بسرعة وأرسلت الدولة عدة آلايات من الباشبوزوق منعا للعودة الثائرين للعصيان وفي أوائل شهر ابريل سنة ١٨٧٦ أتى الى البلغار عدد عظيم من دعاة الثورة والفساد وعقدوا اجتماعا في احدى مدنها حضره مندوبون من اللجان المركزية في ويانه وبخارست عاصمة رومانيا التي كانت لم تزل تحت سيادة الدولة العلية وقرروا جميعا في هذا النادي وجوب المبادرة الى اثارة العصيان مغررين البلغاريين بأن الروسيا مستعدة لمدهم بالجيوش لو تغلبت عليهم جيوش الدولة وتدفع لهم أيضا قيمة ما يتلف من مساكنهم ومزروعاتهم ومقتنياتهم وان يكون ابتداء الثورة قتل المسلمين وايقاد النار في مدينة ادرنه في مائة موضع وفي مدينة فيليبه في ستين موضعا ثم يهجم ثلاثة آلاف نفر على مدينة بازارجق وفي أول مايو سنة ١٨٧٦ نفذ أغلب هذا القرار وحصلت عدة مذابح في كثير من القرى قتل فيها كثير من المسلمين لتجردهم عن السلاح وعدم امكانهم رد القوة بمثلها ولما وصل هذا الخبر الى الوالي ارسل الى الاستانة يطلب الجيوش لاتساع نطاق الثورة شيأ فشيأ وعدم كفاية العساكر الموجودة تحت أمره ثم وزع كثيرا من الاسلحة على المسلمين ونظمهم بهيئة رديف ولما أتى اليه المدد أمكنه قمع الثورة بواسطة الالايات المنتظمة والباشبوزوق والرديف واستعمال الشدة مع من يضبط من الثائرين ولما كادت تخيب مساعي دعاة الفساد أشاعوا باوروبا ان العساكر العثمانية ارتكبت مالا يرتكبه المتبربرون وأسدلوا غطاء الغرض على ما اقترفه البلغاريون من قتل المسلمين في بادئ الامر وهولوا في المسئلة وجعلوا الحبة قبة ليستميلوا الرأي الاوروبي اليهم وفتح المسئلة الشرقية وتكلم بعض وزراء الدول

بعامس كرامة الدولة العلية فى مجالس نوابهم وشددوا عليها النكير خصوصا المستر غلادستون زعيم حزب الاحرار ببلاد الانكليز فانه ألقى الخطب الرنانة وألف الرسائل المطولة طعنا على الدولة ناسبا اليها مالم يسمع بمثله فى التاريخ ناسيا مافعلته حكومة بلادهم مع الايرلانديين وأهالى استراليا الاصليين الذين أعدمتهم عسا كرها والمهاجرون من سكانها رميا بالرصاص وبهذه المساعى الخبيثة هاج الرأى العام خصوصا فى انكلترا ضد الدولة العلية حتى أرسل اللورد دربى ناظر خارجية انكلترا رقيما الى السير هنرى اليوت سفيرها بالاستانة بتاريخ ١٨ سبتمبر سنة ١٨٧٦ ضمنه خلاصة تقرير كان أرسله اليه المستر بارنج سكرتير سفارة انكلترا بالاستانة الذى كلف بتحقيق مانسب للمسلمين وأمره فى آخر هذا الرقيم بعد لوم الدولة على ماينسبه الاجانب اليها من التقصير ان يطلب مواجهة السلطان عبد الحميد الذى جلس منذ قريب على تخت السلطنة العثمانية ويطلب منه باسم ملكة دولة انكلترا التعويض على الثائرين وبناء ماهدم من الكنائس والبيوت على مصاريف الدولة ومساعدة الاهالى الذين اشتد بهم الفقر على اعادة الاعمال ومجازاة المأمورين الذين أمروا باجراء هذه الفظائع واناطة ادارة هذه البلاد لوال عادل ذى همة ونشاط بشرط ان يكون مسيحيا وان كان مسلما فيكون له مستشارون من المسيحيين يمكن النصارى من السكان الاعتماد عليهم والثقة بهم الى آخر ماجاء بهذا الرقيم المسطر فى الكتاب الازرق واليك نصه نقلا عن مجموعة الجوائب

﴿تعريب الرقيم الذى حرره اللورد دربى ناظر خارجية انكلترا الى سر هنرى﴾

﴿اليوت سفيرها بالاستانة فيما يتعلق بحادثة البلغار﴾

﴿وذلك فى ١٨ سبتمبر سنة ١٨٧٦﴾

قد وصل الى دولة سعادة الملكة محرراتكم عدد ٩٦٤ فى خامس هذا الشهر من جملتها نسخة من تقرير مستر بارنغ المشتمل على استقصائه عن المنكر الذى جرى منذ قريب على النصارى سكان البلغار وكانت الدولة مترقبة من سابق تقرير المومأ اليه الذى بعثتم به ان تسمع بان الجرائر التى اقترفها الباشبوزوق والجراكسة فى تلك البلاد

كانت قطيعة فيسوءها الآن ان تعلم من هذا التقرير التام ان ما كانت تترقبه كان في محله ثم ان بعض الاخبار التي شاعت بخصوص هذه الجرائم وان كان غير صحيح الا انه لم يبق ريب في ان تصرف والى ادرنه بكونه أمر جميع المسلمين بان يتقلدوا السلاح هو الذي سبب حشد قوم من القتالة واللصوص فارتكبوا الجرائم بدعوى انهم يحاولون اطفاء الفتنة وهذه الجرائم وصفها مستر بارنغ بانها أفظع شئ شان تواريخ هذا القرن وقد تبين أيضا ان أكثر أصحاب الامر والنهي في الولاية قد أجازوا هذا المنكر أو اغضوا النظر عنه فلم يبالوا باصلاح الحال أو انهم اصلحوا ما لا يعبأ به ومع انه قبض على ١٩٥٦ نفس من البلغاريين لاشتراكهم في العصيان الذى لم يقارنه خطر فلم تجر عقوبة على قتلة الرجال الذين لم يوجد معهم سلاح وعلى قتلة النساء والاولاد الا عشرين نفسا منهم فالظاهر ان أصحاب الامر والنهي في الاستانة لم يطع لهم أمر او انهم لم يطلعوا على حقيقة الحال وما كان لدولة الملكة ان تظن انه من الممكن ان الباب العالي يرقي أولئك المأمورين الذين أفعالهم معرة وضرر على المملكة العثمانية أو انه يخصهم نياشين وقد روى ان القتل الذى جرى في باتاق كان في ٩ مايو الماضي وبقي الى ٢١ من جولاى (تموز) مكتوما عن الباب العالي أو غير مبالى به فلم يعرف هذا الامر الا من تقرير مستر بارنغ المذكور حيث علم منه ان ثمانين نفسا من النساء والبنات أخذن الى قرى المسلمين وذكر أسماءها ولم يزل فيها وان جثث المقتولين بقيت غير مدفونة وما أحد بذل الجهد في الاطلاع على مرتكب هذه الشرور ولا حاجة لي هنا الى ايراد ما فصله مستر بارنغ في تقريره مما يدل على ان أهل هذه الولاية المحروسة كانوا هدفا للاعمال الصادرة عن غلو ونهب وسلب وما بدا حتى الآن سعى بليغ في تعويض هؤلاء المضيمين عن الضرر الذى لحقهم ولا في تأمينهم في المستقبل اذ لم يرجع اليهم ما فقدوه من الماشية والامتعة ولم تزل كنائسهم وبيوتهم خرابا وهم يتضورون جوعا وقد هلك عنهم رزقهم من الحرث والاعمال وما بقي من قراهم سالما لا يأمن من ان يأتي عليه ما أتى على القرى الخربة ولم يزل العدوان فاشيا كما اعترف به مدير عورت الآن والباب العالي عاجز أو متقاعس وقد أخبرت جنابكم بما أحدثه شيوع هذه الشنائع في أهل بريتانيا من الغيظ المحنق

وعندي من اليقين ان مثل هذا الاحساس سرى أيضا الى جميع سكان أوروبا فالآن أقول ان الباب العالى ليس فى وسعه ان يغالب الافكار العمومية فى غير ممالكه ولا ان يظن ان دولة بريتانيا أوغيرها من الدول التى وقعت على معاهدة باريس تظهر عدم المبالاة بما أصاب فلاحى البلغار من الرزء والجور والناشئ عن الانتقام ومهما يكن من الملاحظات السياسية فلا يمكن اباحة هذه الافعال فلابد من التعويض على من أصيبوا بهذا الرزء وكفالة تأمينهم وسلامتهم فى المستقبل وهذا أحد الشروط التى ينبنى عليها حل المسائل المعترضة الآن فمن أجل ابلاغ رأى دولتنا بنوع مؤثر الى حضرة السلطان الذى جلس منذ قريب على تخت سلطنة العثمانية ينبغى ان تطلبوا مواجهته وتبلغوه على وفق مراد الدولة خلاصة تقرير مستربارنغ وتذكروا له أسماء شوكت باشا وحافظ باشا وطوسون بك وأحمد أغا وغيرهم من المأمورين الذين صرح باعمالهم المنكرة واطلبوا باسم الملكة ودولتها التعويض والعدالة والحوا ببناء ما هدم من الكنائس والبيوت وباسداء المساعدة اللازمة لاعادة الاعمال والاشغال ولاغاثة الذين حاق بهم الفقر واذكروا على الخصوص انه لابد من البحث عن الثمانين امراة واعادتهن الى أهلهن وكذلك الحوا باجراء عبرة على الذين اشتركوا فى تلك الافعال الشنيعة أو تساهلوا فيها وينبغى ان يمتحن أولئك الذين أعطوا نياشين ورتبا الاوهام باطلة فى حقيقة سلوكهم وتصرفهم ويجردوا عن منزلتهم ان كان ذلك لم يقع فعلا ويبذل السعى البليغ فى اعادة الثقة والامن ولهذه الغاية يظهر من الصواب ان تلك الجهات التى جرى فيها الهرج والمرج تجعل تحت مأمور ذى همة واقدام يعين لهذا الخصوص فاذا لم يكن من النصارى يلزم أن يكون معه مشيرون منهم بحيث تركن اليهم النصارى وتثق بهم وهذا الامر يكون موقتا من دون ان يكون مانعا لما تتفق عليه الدول فى المستقبل واذكروا أيضا بكلام أكيد بليغ تهامل المأمورين فى تلك الجهات وعدم الكفاية من استقصاء أديب أفندى ومن تقريره الذى أبلغ الى الدول ابلاغا رسميا اذلا يعتمد عليه ومن أجل ان يكون طلبكم مفهوما اتركوا مع الصدر الاعظم عند انتهاء محاورتكم معه تذكرة هذه الملاحظات التى فوضت اليكم بأمر الملكة لتعرضوها على

مسامع

فليتأمل القارئ الى نسبة التوحش للدولة التي لم تأت غير ما تأتيه غيرها من الدول لو حصلت بها ثورة داخلية مع ان الروسيا ارتكبت وما زالت الى الآن ترتكب مع يهود بلادها ما لم يسمع به أيام تيمورلنك من الطرد والنهب والمصادرة وكذلك مع أهالي بولونيا وليتذكر المطالع ما فعلته فرنسا في الجزائر والنمسا والروسيا معا في بلاد المجر سنة ١٨٤٨ وما فعلته انكلترا نفسها في ايرلاندا ويحكم بعد ذلك بأن دعوى دول أوروبا بنشر الحرية والمدافعة عنها حقيقة بالاعتبار أو انها مجرد شباك لا تقصد بها الا التداخل في الشرق والتهامه قطعة بعد أخرى وتخليص المسيحيين منهم من سلطان المسلمين الذين ما ارتكبوا معهم اثما الا عدم التعرض لدينهم ولغتهم والمحافظة على جنسيتهم فقوبلوا بالكفران

﴿حرب الصرب والجبل الاسود﴾

قد علم القارئ مما سلف ان الروسيا كانت تسعى بالاشتراك مع باقي الدول المسيحية لايجاد الاضطرابات الداخلية في بلاد الدولة العلية الاسلامية لاضعافها ولما رأت ان مساعيها في البوسنة والهرسك من جهة وبلاد البلغار من جهة أخرى كادت ان تعود بالخيبة والفشل أوعزت الى أميري الصرب والجبل الاسود باعلان الحرب على الدولة حتى اذا ما ربا لها وفاز عليها بالغلبة (الامر لا يتصوره العقل) دخلت بجيوشها الجرارة في ميدان القتال وأتمت اذلال الدولة العلية حماها الله من مكايدهم وان نصر الله الجيوش الاسلامية على الصرب والجبل الاسود تداخلت الروسيا بجيوشها لمساعدتهما ضد الدولة صاحبة السيادة عليهما فكان القصد الروسي حينئذ اعلان الحرب على الدولة باتفاق الدول ان لم تكن جميعها فالمانيا والنمسا بالتحقيق اذ كانت أنظار الاخيرة تطمع الى توسيع حدودها من جهة بلاد البوسنة والهرسك ويساعدها البرنس دي بسمارك وزير ألمانيا الاول على ذلك ليوجد للنمسا مصالح في الشرق ويجعل لها فائدة في المدافعة عن الاستانة من أن تحتلها الروسيا ولا يظن القارئ ان عمل بسمارك هذا مبني على اخلاص للدولة

العلية معاذ الله بل انه يريد معاكسة الروسيا فى الشرق وعدم تمكينها من احتلال الاستانة انتقاما منها لمنعه عن محاربة فرنسا ثانيا سنة ١٨٧٥ للاجهاز عليها حين ما رأى نشأتها بعد حرب سنة ١٨٧٠ وسنة ١٨٧١ وقيامها بدفع الغرامة الحربية البالغ قدرها مائتى مليون جنيه قبل المواعيد المحددة فى معاهدة فرانكفورت

هذا ولما أوعز الى الصرب والجبل الاسود باعلان الحرب على الدولة أخذ أميراها بالاستعداد وشراء الاسلحة والمدافع وجمع الجيوش وتدريبها وأرسلت الروسيا أحد قوادها الجنرال (تشرنايف) الذى فتح مدينة (تشقاند) «١٦١» فى أواسط بلاد آسيا الى بلاد الصرب ليقود زمام جيوشها فذهب اليها مع كثير من الضباط الروسيين الموظفين فى الجيش العامل وكانوا يقالون موقتا من خدمة الجيش الروسى للالتحاق بالجيش الصربى وبذا كانت الروسيا هى التى تحارب الدولة العلية باسم الصرب وكان الحال كذلك فى امارة الجبل ولما رأت الدولة هذه الاستعدادت جمعت جيشا جرارا مؤلفا من أربعين ألف مقاتل بمدينة (نيش) لصد الصربيين لو تعدوا الحدود

وفى ٨ يونيه سنة ١٨٧٦ أرسل الباب العالى الى أميرى الصرب والجبل يطلب منهما الافادة عن سبب جمع هذه الجيوش فأجاباه بان ذلك لمنع تعدى قبائل الارنؤد على حدودهم وحفظ الامن فى الداخل من جهة ولجمع الدولة جيوشها على حدود بلادهما من جهة أخرى مع ان الدولة لم تجمع عساكرها الا بعد ان آنست منهما العداء ومع ذلك فاكتفت الدولة بهذا الجواب الركيك المعنى والمبنى

ثم لما كملت استعدادات الامارتين الحربية طلب البرنس ميلان أمير الصرب من الدولة ان تناط جيوشه باخماد الثورة فى البوسنه والهرسك بعلة ان وجود العساكر العثمانية بهما مهدد لامن بلاده وطلب البرنس نقولا أمير الجبل أن تتنازل له الدولة عن جزء من أراضى الهرسك ولما لم تقبل الدولة هذه الطلبات التى لم يقدم على

«١٦١» مدينة قديمة بأواسط آسيا كثيرة العمارة والتجارة يبلغ عدد سكانها ١٢٥ الف نسمة واحتلها الجنرال تشرنايف الروسى سنة ١٨٦٥ ولم تزل تابعة للروسيا

طلبها

طلبها الا كل عالم برفضها جاعلها سببا للحرب المصمم عليها اجتازت الجيوش الصربية المحدود تحت قيادة الجنرال (تشرنايف) الروسي فى أول يوليه سنة ١٨٧٦ وكذلك جيوش الجبل الاسود بدون ان تتعرض لهم الدول أو ان تقيم الحجة على هذا العمل العدائى بل تربصت حتى اذا فاز اعداء الدولة عضدت الدول طلباتهم وان باؤا بالخسران حفظت لهم بلادهم ومنعت الدولة من مجازاتهم على تعديهم بدون سبب الا دسائس الروسيا والدول المعضدة لها

ولنذكر هنا بكل اختصار ملخص الاعمال الحربية والوقائع العسكرية التى حصلت بين جيوش الدولة الظافرة والعساكر المصرية التى أرسلت للاشتراك معها فى الحرب ومقاسمتها النصر والفخر من جهة وعساكر الثائرين وضباطهم الروسيين من جهة أخرى فنقول

ان الحرب مع الجبل الاسود لم يتسع نطاقها لوعورة جبالها وعدم امكان حصول وقائع مهمة بها بين جيوش منتظمة بل كان كل ما حصل بها عبارة عن مناوشات يكون فيها كل من الفريقين طورا غالبا وتارة مغلوبا فانه كان يتعذر على الجيوش العثمانية اقتفاء أثر الثائرين فى المفاوز الوعرة ويستحيل على الجبليين اجتياز صفوف الجيوش المحدقة ببلادهم من كل فج ولذلك فلم تعد مساعدة الجبليين بفائدة تذكر على الصرب أما من جهة الصرب فقد أجمع المؤرخون العسكريون أن الجنرال تشرنايف ارتكب خطأ عظيما واثما كبيرا فى عدم جمع جيوشه فى النقطة الوحيدة التى تصل بلاد البوسنه والهرسك بباقى بلاد الدولة العلية فيتحد مع ثائرى هاتين الولايتين ويمكنه بكل سهولة الانضمام الى عساكر الجبل الاسود الا أنه لم يتبع هذه الخطة التى أشار بها عليه بعض القواد بل جزأ قوته الى أربع فرق أغار هو باحداها على الطريق المؤدية الى صوفية عاصمة بلاد البلغار الآن وكان ينسب اليه أنه يريد أن يعين واليا مختارا عليها لكن ما شهده البلغاريون من بسالة رجال الدولة منعهم عن مساعدته فخاب مسعاه وبسبب تفريق جيوشه لم يأت يوم عاشر يوليه الا وقد انهزمت الفرق الاربع بهمة وشجاعة عثمان باشا الغازى وعبد الكريم باشا السردار الاكرم

وبعد ان ردت جيوش الثائرين على عقبها فكر عبد الكريم باشا فى توجيه قواه لافتتاح مدينة بلغراد عاصمة الصرب ولذلك صمم أولا على احتلال مدينتى الكسنيناس ودليجراد الواقعتين على طريق العاصمة وفصل الفرقة القائد لها تشرنايف عن الفرقة التى كانت معسكرة بمدينة زايتسار تحت قيادة (لاشانين) وحيث أن فصل هاتين الفرقتين وقطع كل اتصال بينهما لا يكون الا باحتلال مدينة (نياشيواز) أصدر أوامره الى أحمد أيوب باشا وسليمان خيرى باشا بالتوجه نحوها من جهتين مختلفتين وفتحها بعد الانضمام الى بعضهما فصدعوا بأمره وفتحوا المدينة عنوة فى يوم ٣ أغسطس بعد ان انتصروا فى عدة وقائع مشهورة ثم استراحت الجيوش نحو أسبوعين بدون محاربات مهمة

ومن ٢٠ أغسطس استؤنفت الحرب ثانية بكل شدة واستمرت أربعة أيام متوالية لم يمكن الجيوش المظفرة فى أثنائها فتح مدينة الكسنيناس ولذلك أقر رأيه بعد مشاورة من معه من القواد على عدم اضاعة الوقت أمام هذه المدينة الحصينة ومدينة دليجراد وانتقال الجيوش على ضفة نهر (موراوا) اليسرى بدون أن يشعر بهم العدو والسير نحو مدينة بلغراد توا وبعد هذا القرار أمر أحمد أيوب باشا بعبور هذا النهر

وفى أثناء هذه المناورة المهمة التى ربما كان يتوقف عليها النجاح استمرت المناوشات مع الجيش الصربى من ٢٥ الى ٢٩ أغسطس حتى تمت بدون أن يشعر العدو مطلقا بذلك الا لما اجتازت جميع الجيوش العثمانية النهر ولم يجد أمامه أحدا فلما علم باتمام هذه الحركة العسكرية المهمة عبر النهر بجيوشه خلف العثمانيين فى أول سبتمبر سنة ١٨٧٦ فلاقوه لقاء العدو القادر وصوبوا اليه مدافعهم حتى أوقعوا الفشل فى صفوف الصربيين وولى كثيرهم الادبار وركنت الآيات برمتها الى الفرار قبل أن يصاب منها نفر واحد

وفى مساء هذا اليوم الذى لم يقم بعده للصرب قائمة والذى جعل الجيوش على مقربة من بلغراد اذ لم يعد يمنعها مانع عن الوصول اليها واحتلالها وردت أوامر سرية من الاستانة الى عبد الكريم باشا بتوقيف القتال وعدم الزحف على عاصمة الصرب

ريثما

وبينما تأتيه أوامر جديدة لمداخل الدول بين الفريقين وبيان ذلك أن البرنس ميلان أمير الصرب طلب من قناصل الدول لديه فى ٢٤ أغسطس سنة ١٨٧٦ مخابرة دولهم بأن تتوسط بينه وبين الدولة العلية منعا لسفك الدماء وخوفا من أن يلحقه عار الغلبة فأبلغت القناصل دولهم هذا الطلب وهى فاتحت الباب العالى فى هذا الخصوص فلم يجبها حتى فرق عبد الكريم باشا جميع الجيوش الصربية ولم يبق له معارض فى طريق بلغراد فأوعز اليه سرا بالتوقف وقتا وأبلغ سفراء الدول فى ١٤ سبتمبر سنة ١٨٧٦ أنه لا يقبل الصلح الا بعدة شروط أهمها أولا ان يأتى أمير الصرب الى مقر الخلافة العظمى ليقدم واجبات الخضوع والعبودية الى السدة العلية السلطانية ثانيا ان القلاع الاربع التى خول حق احتلالها فقط الى الصرب فى سنة ١٨٥٢ م و١٢٨٣ هـ مع بقائها تابعة للدولة تحتلها ثانيا الجيوش العثمانية ثالثا ان يلغى الرديف فى بلاد الصرب وان لا يزيد عدد الجيش الصربى عن عشرة آلاف مقاتل وبطاريتى مدافع لحفظ الامن الداخلى ليس الا فلما وصل هذا الجواب الى الدول لم تقبل هذه الاقتراحات قولا بأنها مجحفة بامتيازات الصرب اجحافا كليا وزيادة على رفضها زادت على ما اقترحته بخصوص الصرب طلبات أخرى بخصوص البوسنه والهرسك والبلغار التى أطفئت ثورتهم من مدة وبعد ان اتفقت جميع الدول الست الموقعة على معاهدة سنة ١٨٥٦ القاضية بالمحافظة على سلامة الدولة العلية (التى معناها فى عرفهم تقسيمها) أرسل اللورد دربى وزير خارجية انكلترا الى السير هنرى اليوت سفيرها فى الاستانة رسالة بامضائه أمره بتوصيلها الى الباب العالى فأوصلها اليه فى ٢٥ سبتمبر المذكور مضمونها ان طلبات الدولة العلية لا يمكن قبولها بالكلية وان الدول ترغب ارجاع حالة الصرب والجبل الاسود الى ما كانت عليه قبل الحرب وان تمضى الدولة مع الدول الست اتفاقا بتأسيس ادارة وطنية مستقلة فى البوسنه والهرسك حتى يكون للاهالى حق مراقبة اعمال مأمورى الحكومة وموظفيها وكذلك فى بلاد البلغار وايقاف الحرب فورا مع الصرب وبعد ان تداول وزراء الدولة فى هذه الطلبات التى لا تقبلها أى دولة فازت على عدوها بالنصر فى ميادين القتال وأهرقت دماء رجالها

حفظا لكرامتها وشرفهما من تعدى هذا العدو تخومهما بدون ان تبدى الدول حراكا أجاب الباب العالى على هذه المذكرة السياسية بانه لا يرى وجها لاعطاء هذه الولايات امتيازات ادارية بما ان مجلس المبعوثان سيشكل قريبا ويكون فيه مندوبون منتخبون من جميع الولايات بدون استثناء وان الدولة لا ترى ضرورة لابرام اتفاق جديد مع الدول بهذا الخصوص ولم تذكر شيأ عن الهدنة مطلقا ولما لم تصغ الدول لهذه الطلبات العادلة أوعز الباب العالى الى السرعسكر عبد الكريم باشا باستمرار القتال فاستدعى السرعسكر القائد درويش باشا الذى كان معسكرا بفرقته فى نيش ولما حضرت العساكر أمر بالهجوم على مدينة جونيس التى جعلها الجنرال تشرنايف مقر المعسكره فهجمت عليها الليوث الاسلامية فى ٢٩ اكتوبر سنة ١٨٧٦ وبعد قتال عنيف تقهقر الصربيون وانصارهم وأخلوا هذه المدينة ومدينة (داليجراد) وزحفت الجيوش العثمانية محفوفة بالنصر على مدينة بلغراد عاصمة بلاد الصرب

ولما وصل خبر هذا الفتح المبين الى آذان ولاة الامور فى الروسيا وهو خلاف ما كانوا يتوقعونه أرسل البرنس (غورشاكوف) الى الجنرال اغناتيف بالاستانة بعد ان اتفق مع باقى الدول رسالة برقية فى مساء ٣٠ اكتوبر يأمره بأن يطلب من الباب العالى ايقاف الحرب فورا ومهادنة الصرب والجبل الاسود مدة ستة أسابيع أو شهرين وان لم يجب هذا الطلب فى مسافة ثمانية وأربعين ساعة ينسحب هو وجميع موظفى السفارة من الاستانة فقبلت الدولة هذا الطلب منعا للعراقيل السياسية ومنحت لمحاربيها هدنة مدة شهرين مدت فيما بعد الى شهر مارث سنة ١٨٧٧

﴿مؤتمر الاستانة﴾

وفى ٥ اكتوبر سنة ١٨٧٦ عرض وزير خارجية انكلترا على باقى الدول المنحلة لنفسها حق التداخل فى شؤون الدولة العلية اجتماع مؤتمر فى مدينة الاستانة لتسوية حالة مسيحيى الدولة بكيفية ثابتة منعا لحصول الحرب بينها وبين الروسيا التى كانت شارعة فى جمع جيوشها والاستعداد للحرب فلم تجاوب الدول على هذا الاقتراح بجواب

صريح بخلوفهما من عدم امتثال أحد الطرفين لقرارات المؤتمر فتضطر للتألب ضده كما حصل فى حرب القرم سنة ١٨٥٦ لكن لما رأت ان الخطر قد ازداد والحروب قد قربت حتى صارت قاب قوسين أو أدنى خصوصا وان قيصر الروسيا ألقى فى مدينة موسكو خطابا فى ١٢ نوفمبر سنة ١٨٧٦ أثنى فى خلاله على شجاعة أهالى الجبل الاسود وثبات الصربيين ولما وصل اليها منشور بتاريخ ١٣ منه من البرنس غورشاكوف مفاده ان الروسيا قد أمرت بجمع جزء من جيوشها على الحدود لحماية المسيحيين ببلاد الدولة بأى طريقة كانت بما انه لم تر نتيجة من المخابرات السياسية الا تمكن الدولة من جمع جيوشها من جميع ولاياتها باسيا وافريقيا أذعنت جميع الدول لطلب انكلترا وأرسلت كل منها مندوبا أو مندوبين وارسلت انكلترا اللورد سالسبورى وكلفته بأن يمر على باريس وبرلين وويانه ورومه عند ذهابه للاستانة ليستطلع أفكار وزرائها قبل انعقاد المؤتمر ويجرى الجميع على أتم وفاق ولما وصل المندوبون الى الاستانة عقدوا جملة اجتماعات ابتدائية من ١١ دسمبر الى ١٧ منه لتقرير طلباتهم قبل عرضها بصفة رسمية فى المؤتمر ولم يقبلوا مندوبى الدولة العلية فى هذه المداولات الامر الذى يشف عن تحيزهم الى الروسيا التى كانت هذه الاجتماعات فى سفارتها فقرر المندوبون ان تقسم بلاد البلغار الى ولايتين يكون ولاتها من المسيحيين الاجانب أو التابعين للدولة وان الجنود العثمانية لا تحتل الا القلاع وبعض المدن الكبيرة وان تشكل قوة (جندرمه) من المسيحيين يكون ضباطها بين مسيحيين ومسلمين تعينهم الدولة وان تشكل لجنة دولية لمدة سنة لمراقبة تنفيذ الاصلاحات المبينة فى لائحة الكونت اندراسى وان تعطى هذه الامتيازات الى ولايتى البوسنه والهرسك وان يشترط فى الصلح الذى يعقد مع الصرب والجبل الاسود أن تتنازل لهما الدولة عن بعض الاراضى وأخيرا اذا لم تقبل الدولة هذه (الاقتراحات) المستحيل قبولها ينسحب جميع أعضاء المؤتمر من الاستانة علامة على قطع العلائق السياسية مع الدولة العلية والشروع فى اتخاذ الطرق الاجبارية لاكراهها على قبول اقتراحاتها

وفى يوم ٢٣ دسمبر سنة ١٨٧٦ اجتمع المؤتمر بصفة رسمية فى سراى البحرية

تحت رئاسة صفوت باشا ناظر خارجية الدولة وانتخب هو رئيساله لانعقاد المؤتمر فى الاستانة وعضوية كل من أدهم باشا سفير الدولة العلية ببرلين والكونت (فرنسوادى بورجوان) والكونت (دى شودوردى) عن فرنسا والبارون (وزر) عن ألمانيا والكونت (كورتى) عن ايطاليا والكونت (زيكى) من أشراف المجر والبارون (كاليس) النمساوى عن النمسا والجنرال (اغناتيف) عن الروسيا واللورد (سالسبورى) والسير (هنرى اليوت) عن انكلترا وفى يوم انعقاده أطلقت المدافع من جميع القلاع والمراكب ايذانا باعلان القانون الاساسى الذى ساوى بين جميع رعايا الدولة كما سبق ذكره فى بابه وبعد ان اجتمع عدة دفعات جمعت الدولة مجلسا عاما من ذوات الدولة وأعيانها ورؤساء الديانات فى ١٨ ينايرسنة ١٨٧٧ وعرضت عليهم اقتراحات المؤتمر فقال الكل بوجوب رفضها ومن الغريب ان وكيل بطريرك الارمن وحاخام اليهود كانا من أشد المعارضين فى قبولها وقالا بما مؤداه ان جميع أبناء طوائفهم مستعدون للدفاع عن شرف الدولة العلية واستقلالها استعداد المسلمين لذلك اذ الكل صاروا عثمانيين متساوين امام القانون طبقا للقانون الاساسى ثم أرفض الجمع وبلغ عدد الحاضرين نحو مائتين أجمعوا على وجوب الحرب حفظا لشرف الدولة

وفى يوم ٢٠ من الشهر المذكور اجتمع المؤتمر الدولى فتلا صفوت باشا على الحضور ماقررته الجمعية العمومية فى يوم ١٨ منه ثم قال لهم ان الدولة مستعدة لقبول تشكيل مجالس انتخابية فى البوسنه والهرسك والبلغار يكون انتخابهم لمدة سنة فقط ونصف أعضائها من المسلمين والنصف الآخر من المسيحيين وانها مصرة على رفض اللجان المختلطة كل الرفض لان ذلك يدل على عدم ثقة الدول بوعود جلالة السلطان ومصره أيضا على عدم اعطاء الصرب والجبل الاسود شيأ من أراضيها وبعد ان تكلم بعض الاعضاء مهددا الدولة العلية انفض المؤتمر ثم اجتمع فى مساء يوم ٢١ بدون حضور مندوبى الدولة العلية وأمضوا مضبطة أعمال المؤتمر وفى ٢٣ منه سافر المندوبون والسفراء علامة على قطع العلائق بدون أن يقابلوا جلالة السلطان وتأخر الجنرال اغناتيف قليلا عن اخوانه بسبب الزوابع فى البحر

الاسود

الاسود وأخذ كل من الطرفين يستعد للقتال والحرب والنزال

﴿اخلاص المجر وتقديمهم سيفا للقائد عبد الكريم باشا﴾

مما يحسن ذكره في هذا المقام ان أهالي المجر مع بقائهم أجيالا تابعين للسلطنة العثمانية كانوا أشد الامم اخلاصا للدولة العلية بل كان المجريون الامة المسيحية الوحيدة التي خالج فؤادها الاخلاص والولاء للامة العثمانية في هذا الوقت الحرج الذي كانت فيه جميع الدول المسيحية متألبة عليها وما ذلك الا لكون الدولة حمت من التجأ اليها من رؤساء الثورة المجرية سنة ١٨٤٨ وامتنعت عن تسليمهم الى النمسا والروسيا رغما عن تهديدانهم ولولا ذلك لاعدم جميع زعماء المجر وخصوصا الوطني الشهير (كسوت) بخلاف الروسيا فانها ساعدت النمسا بخيلها ورجلها على اخماد الثورة واذلال الامة المجرية بعد ان كادت تفوز بالنجاح وتتمتع بالحرية وتنفصل عن النمسا انفصالا تاما كما كانت أمنيتها

فلما ظهر عداء الروسيا للدولة العلية جهارا أثناء انعقاد مؤتمر الاستانة تجمهر تلامذة المدارس العليا في بودابست عاصمة المجر وتباحثوا في الكيفية التي يعربون بها عن ولائهم للدولة العلية فأقروا على ارسال وفد من اثني عشر تلميذا منهم ليقدم سيفا ثمينا للعبد الكريم باشا قائد عموم الجيوش التركية

فأتى الوفد الى الاستانة في أوائل يناير سنة ١٨٧٧ وطلب مقابلة السردار الاكرم فأذن لهم ولما مثلوا أمامه فاه أحدهم بخطبة مناسبة للمقام ذكر فيها ما للدولة من الايادي البيضاء على بلادهم بحمايتها زعماء حريتها وتمنى له ولدولته العلية الفوز والنجاح على الروس أعداء الحرية ومبيديها في بلاد لهستان (بولونيا والمجر) ثم قدم له السيف فاقتبل عبد الكريم باشا السيف بكل ارتياح وارتجل صفوت باشا ناظر الخارجية الذي كان حاضرا هذه المقابلة خطابا بليغا أتى فيه على سابقة ارتباط الامتين العثمانية والمجرية وتأسف على اصغاء المجر للدسائس الاجنبية وانفصالها عن الدولة العلية وقال في الختام ان انفصال الايالات المسيحية عنها واحدة بعد الاخرى لم يكن الا نتيجة حسن معاملاتها للسكان المسيحيين وعدم اجبارهم على اعتناق الدين الاسلامي وترك دين وعوائد أجدادهم الاولين

﴿لائحة لندرة واعلان الحرب﴾

لما انفض مؤتمر الاستانة بعد رفض الدولة والامة لطلباته الغير حقة وانسحاب أعضائه مع جميع القناصل من الاستانة ماعدا الجنرال اغناتيف الروسى كتب البرنس غورشاكوف الى سفراء الروسيا لدى فرنسا وانكلترا والنمسا وألمانيا وايتاليا نشره بتاريخ ٣١ ينايرسنة ١٨٧٧ يشرح فيها رفض الدولة العلية لقرار المؤتمر ويطلب منهم الاستفسار من الدول عما يرغبون اجراءه مع الدولة بعد ذلك حتى يكون عملهم باتفاق قبل ان يجزم سيده الامبراطور بما يجب عليه اتباعه لتحسين حال المسيحيين ويصمم على تنفيذ رغائبه بالقوة وكذلك أرسل صفوت باشا الى سفراء الدولة لدى الدول منشورا بتاريخ ٢٥ منه أبان فيه ما أتاه أعضاء المؤتمر من عقد عدة جلسات ابتدائية بدون حضور مندوبى الدولة واتفاقهم على ما يجب عرضه على الباب العالى قبل انعقاد المؤتمر بصفة رسمية حتى كأن المجلس لم يعقد الا لعرض طلبات متفق عليها من قبل وطلب التصديق عليها ليس الا ثم قال فى ختامه ان الدولة لا يمكنها ولن يمكنها التصديق على شئ من هذه الاقتراحات المزرية بشرفها والمحطة بقدرها أمام أمتها وطلب منهم تسليم صورة منه الى الدول المعينين لديها فاحتار وزراء الدول فى كيفية حسم هذه النازلة امام اصرار الدولة على عدم الرضوخ لطلباتهم وبينما هم يضربون اخماسا لاسداس أبرمت الدولة الصلح مع امارة الصرب على شروط أهمها ان تخلى العساكر العثمانية بلاد الصرب فتعود الى ما كانت عليه قبل الحرب بشرط ان لا تبنى الامارة قلاعا جديدة ببلادها وان يرفع عليها العلم العثمانى بجوار العلم الصربى علامة على بقاء السيادة

أما الجبل الاسود فلم يتم معه الصلح لطلبه تنازل الدولة له عن بعض الاراضى بحيث يصير له ميناء على البحر الادرياتيكى بل اكتفت الدولة بتجديد أجل الهدنة معه

وفى مارث سنة ١٨٧٧ لما رأت الروسيا عدم ورود جواب اليها من الدول عما تنوى اجراءه مع الدولة وانها ان لم تبادر باشعال نيران الحرب تضيع منها الفرصة بعد ان تجشمت المصاريف الطائلة فى الاستعداد اليه اذ قد تم الصلح مع الصرب وربما اتصالح الباب العالى قريبا مع الجبل الاسود فتسود السكينة ولا يعود لما وجه الداخلة

لاسيما

لايسيلوان مسيحيي الدولة يصبحون عما قليل راضين عنها بسبب مساواتهم مع المسلمين بمقتضى القانون الاساسي أرسل البرنس غورشاكوف الى سفيره فى لوندره فى ١١ مارث صورة لائحة لاطلاع الحكومة الانكليزية عليها حتى اذا صادقت عليها عرضها على باقي سفراء الدول بلندرة واذا حازت لديهم قبولا يصير التوقيع عليها منهم وارسالها للباب العالي للعمل بها والاقتصار الدول حرة فى اجراء ما يلزم لراحة رعايا الدولة المسيحيين فصدقت عليها انكلترا ابتداء ثم اجتمع جميع السفراء فى ٣١ منه بنظارة الخارجية ما عدا سفير الدولة العلية ذات الشأن (تأمل) وامضوا هذه اللائحة بعد تعديلها قليلا وأرسلوها الى الباب العالي وهذا نصها انقلا عن منتخبات الجوائب

﴿ترجمة البروتوكول الذى وقع عليه فى لندرة﴾
﴿وذلك فى ٣١ مارس سنة ١٨٧٧﴾

ان الدول التي اتفقت على اجراء الصلح فى الشرق واشتركت فى مؤتمر الاستانة تعترف ان أوكد الوسائل للحصول على هذه الغاية التي وطنت أنفسها عليها هو دوام الاتفاق الذى حصل بينها ومن لوازم هذا الاتفاق تحقيق المنفعة التي قصدوها لتحسين أحوال النصارى سكان الممالك العثمانية (وفى الاصل تركية) ولاجراء الاصلاح فى بوسنه وهرسك والبلغار الذى قبله الباب العالي بشرط انه هو الذى يجريه فعلا وكذلك عندها علم باجراء الصلح مع الصرب أما من جهة الجبل الاسود فان الدول ترى ان تعيين الحدود وحرية السفر فى البوجانا أمر مرغوب لاحكام الاتفاق وادامته كما انها ترى ان هذا الاتفاق الذى تم أو سيتم بين الباب العالي وهاتين الولايتين هو وسيلة للصلح الذى هو غاية مرامها ولهذا تدعو الباب العالي لاحكامه وتوكيده بان يجعل عساكره فى حالة السلم ما عدا العساكر التي لابد منها لابقاء الامن والطمأنينة وان يسرع من دون تأخير فى اجراء الاصلاح لتطمين سكان الولايات وغيرها مما جرت المذاكرة على شروطه فى المؤتمر وكذلك تعترف ان الباب العالي صرح بانه يجرى من هذه الاصلاحات ما هو الاهم وعندها علم أيضا باللائحة التي نشرها الباب فى ١٣ من فبراير (شباط) سنة ١٨٧٦ وبالاعلان الذى أصدره مدة

انعقاد المؤتمر بواسطة سفرائه وبناء على هذه ... ى أبداها ومنفعته الظاهرة فى اجراء الاصلاحات مالاقام بخاطر ... ان لها أسبابا تحملها على ان ترجوان الباب يستفيد من هذه الفترة الحاضرة فيبذل همته فى اتخاذ الوسائل التى يحصل بها تحسين أحوال النصارى التى اتفقت الدول على وجوبها لاجل بقاء السلامة والطمأنينة باوروبا فاذا أخذ فى هذا المشروع يكون معلوما عنده ان شرفه ونفعه أيضا يوجبان المحافظة عليه بالوفاء والاخلاص والانجاز فن رأى الدول والحالة هذه ان تكون مراقبة بواسطة سفرائها بالاستانة وأعمالها فى الولايات للنوال الذى ينجز به مواعيد الدولة العثمانية فاذا خابت آمالها مرة أخرى ولم تحسن حال رعية السلطان على وجه يمنع من اعادة الارتباكات التى تتعاقب فى الشرق وتكدر وارد السلم فيه ترى من الصواب ان تعلن ان مثل هذه الامور لا تناسب مصلحتها ومصلحة أوروبا عموما فى مثل هذه الحال تستبقى لنفسها ان تنظر بالاتفاق فى اتخاذ الوسائل التى تراها الاصلح لتأمين خير النصارى ولابقاء السلم عموما حرر فى لندره فى ٣١ مارس سنة ١٨٧٧

مونستر	دربى
بوست	ل . ف . مينارايا
ل . داركور	شوفالوف

وقد أتينا على ذكر هذه اللائحة ليرى القارئ تعصب الدول لحماية المسيحيين بالدولة مع انه لو تداخلت الدولة فى شؤون احداها وطلبت من فرنسا مثلا عدم التعرض لما يمس الامة الاسلامية بالجزائر أو مساواة المسلمين بها بالمسيحيين واليهود لشددوا النكير عليها ورموها بالتعصب الدينى المتصفين هم به دون غيرهم ولكن هى القوة تقضى التمدن الغربى الحديث ان تسود على كل حق تحت راية الانسانية والمساواة وماهى الا ألفاظ لا معانى لها الا فيما يلائم مصالحهم وما نحن بمغرورين ولما وصلت هذه اللائحة الى الباب العالى وانتشر خبرها بين العموم أيقن الكل ان لابد من الحرب اذ من المستحيل ان توافق عليها أى دولة تغار على شرفها ووجودها بين العالم السياسى وأصدرت الدولة منشورا الى سفرائها لدى الدول الست بقصد

تبليغه

تبليغه لهما يشف بعبارة صريحة عن عدم تصديقها على هذه اللائحة وقد أتى فيه محرروه من العبارات المؤثرة الدالة على تعصب الدول ما رأينا معه ضرورة نشره برمته وها هو نقلا عن مجموعة الجوائب

﴿ترجمة اللائحة التي أرسلت من الباب العالي الى﴾

﴿سفراء الدولة العلية في أوروبا بخصوص البروتوكول﴾

قد وصل الى الباب العالي البروتوكول الذي وقع عليه في لندره في ٣١ مارس سنة ١٨٧٧ ناظر الخارجية بلندره وسفراء ألمانيا وأوستريا وفرنسا وايطاليا والروسية مع الاعلام الذي ألحق به من ناظر الخارجية المومأ اليه ومن سفيري ايطاليا والروسية وبعد اطلاع الباب العالي على ذلك تأسف جدا على انه رأى ان الدول العظام لم تر من الواجب ان تشرك الدولة العلية في المذاكرات التي تثار فيها المسائل المهمة المتعلقة بالدولة مع ان المراعاة التي أبدتها الدولة في جميع الاحوال لنصائح الدول والتكفل الذي قرن مصالحها بمصالحهم وأصول الانصاف التي لا نزاع فيها والتعهد الخطير الشان تحمل الدولة على ان تظن انه كان من اللازم ان الدول تدعوها الى هذا العمل المراد به ان اجراء الصلح في الشرق والاتفاق العام يبنيان على أساس راسخ عادل وحيث جرى الامر على خلاف المأمول رأى الباب العالي أنه من الواجب عليه ان يعارض فيه وان يبين ما عسى ان يحدث منه في المستقبل من المحذور ولو ان الدول أمعنت النظر فيما اعترض من الخطر ومن تغيير الحال بعد انعقاد المؤتمر في استانبول لامكن الوصول الى هذا الاتفاق المروم اما في اثناء انعقاد المؤتمر فان الباب العالي كان معتمدا على القانون الاساسي (وفي الاصل كونستيتوسيون) الذي تفضل به سلطاننا المعظم متكفلا بتحقيق اصلاح عام لم يعهد له نظير منذ ابتداء الدولة السلطانية فرأى انه من الواجب عليه ان ينكر الطلب المشط في تمييز بعض الولايات بالاصلاح دون غيرها او ينبذ أيضا كل ما من شأنه ان يجحف باستقلال الدولة العلية وبسلامة ممالكها وهذا عين ما أعانته دولة انكلترا وقبلته سائر الدول ذ ان هذا الاعلان بني على استقلال الدولة وعلى أن يكون في بعض الولايات تنظيمات تتكفل

بمنع سوء الادارة من قبل المأمورين وقصرهم عن التصرف المطلق فهذه التنظيمات المطلوبة محققة فعلا فى المنهاج السياسى الجديد الذى أنشئ فى الممالك من دون فرق فى لغات أهلها ولا فى مذاهبهم ثم عقد مجلس المشورة العثمانى فى الاستانة فاجتمعت فيه أعضاؤه بانتخاب جرى على وجه الاختيار والحرية فان كان أحد يعارض فى طريقة هذا الاصلاح الذى لقرب عهده يظن تأخير الثمرة المطلوبة منه يقال له ان هذه المعارضة هى ضد ما رامته الدول من الاصلاح اما التأمين فى داخل المملكة فان الصلح استقر بين الباب العالى والصرب وما زالت المفاوضة جارية مع وفد الجبل الاسود وفيها أظهر لهم الباب العالى مساهلة عظيمة وفى خلال ذلك طرأ من سوء البخت أمر جديد وهو مبالغة دولة الروسية فى تجهيز عساكرها فأوجب ذلك على الباب العالى أن يستعد لدفع الخطر عنه مع ان أقصى مرامه ان يتشبث بالوسائل المؤدية الى السلم والسلامة وان يوافق الدول على قدر ما يمكنه وان يزيل من خواطر الناس الريب فى اخلاص ما نواه من الاصلاح وان يستريح من الفتن التى توجب عليه بذل المال لغير طائل فاضطراره الى الاستعداد للدفاع والحالة هذه أوجب عليه ان يستعين بسكان الممالك على غير مراده وان يقدم على حرب ربما تكون سببا فى تكدير سلم جميع الاقطار والامصار وكان من الضرورى ان الدول العظام تهتم بهذه الحال وكان مما استصوبه الباب العالى لبعض أسباب أن لا يطلب منها طلبا رسميا ان تعتنى بهذه المسألة المهمة ولكن بعد ان بين اللورد دربى والكونت شوفالوف ما بيناه عند توقيعهما على البروتوكول رأى الباب العالى لزوم مطالعة الدول فى انهاء هذه الارتباكات التى تفضى الى الخطر مما ليس فى طاقته انهاؤه فأول ذلك ان يبين لها جوابا عما قاله الكونت شوفالوف فى البروتوكول هذه الملاحظات الآتية (١) ان الباب العالى فى نهجه طريقة المصالحة مع أمير الجبل الاسود على نحو ما نهجه مع حكومة الصرب أفاد عن طيب نفس منذ نحو شهرين ان الدولة العلية تبذل جهدها فى الاتفاق معه ولو كان فى ذلك بعض خسارة عليها وحيث ان الباب يرى ان الجبل جزء من الممالك العثمانية خيره فى تعديل التخوم بما فيه نفع لحكومة الجبل وطمع فى ان ذلك ينهى الخلاف فى المستقبل فصار الحصول على

المأمول

المأمول متعلقا بالجبل (٢) ان الدولة العليـة شرعت فعلا فى اجراء الاصلاحات التى وعدت بها لكن هذا الاجراء لا يكون على وجـه التخصيص والترجيح وفاقا لما تقرر فى القانون الاساسى فهو فى حرية الدولة ان تنهجه على الوجه المذكور (٣) ان الدولة مستعدة لان تجعل عساكرها على قدم السلم عندما ترى ان دولة الروسية فعلت مثل ذلك وان المراد من حشد عساكرها بمجرد الدفاع وانها ترجو من علاقة المودة والمراعاة الحاصلة بينهما ان دولة الروسـية لاتصر وحدها على ان تظن ان رعية الدولة العليـة من النصارى معرضون من طرف حكومتهـم لخطر يوجب غزو بلادها وما يعقبه من الغوائل (٤) اما من جهة ما يحتمل حدوثه من الاختلال مما يمنع صرف عساكر الروسـية فان الدولة العلية تجيب عن هذا الشرط الاليم الذى نشأ عن هذا الظن بان تقول انه قد ثبت عند دول أوروپا ان الاختلال الذى حـدث فى بعض الولايات وكدر أحوالها انما نشأ من اغواء المغوين من الخارج فالدولة العليـة غير مسؤلة عنه ولا مطالبـة به فلا حق لدولة الروسـية فى ان تعلق صرف عساكرها على حـدوث الاختلال (٥) اما ارسال مأمور مخصوص من الدولة العلية الى صان بطرسبورغ للمفاوضـة فى صرف العساكر فان الدولة لاترى سببا لرفض فعـل يدل على المجاملة والملاطفة مما توجبه طريقة المعامـلات السـفارية من كلا الطرفين لكنها لاترى تناسبا بين هذا الفعل و بين وضع السـلاح الذى لا يجب تأخيره لاى سبب كان اذ يمكن انجازه بمجرد خبر بالتلغراف فالدولة العلية تطلب من الدول ان تتبصر فيما أوجب رقم البروتوكول وفى خطر هـذه الحال الحاضرة التى لا مسؤلية منها عليها ومن الغـريب ان الدول رأت من اللزوم ان تذكر فى البروتوكول ان من مصلحتها المشتركة اجراء الاصلاح فى بوسنه وهرسك والبلغار وانه بالنظر الى حسن مقاصد الباب والى ظهور الفائدة له من الاصـلاح تؤمل انه يبادر الى اجرائه فعـلا فى تلك الولايات من دون امهال كما جرت عليه المذاكرة فى المؤتمر وانه متى شرع فيه أول مرة يكون ممنونا عنده ان شرفه ومصلحته يقضيان بالاستمرار فيه فالباب العالى لا يقبل الاصلاح المخصوص بالولايات الثلاث المذكورة وليس عنده شك أيضا ان مصلحته ومن الواجب عليه ان يقضى حقوق رعيته من النصارى قضاء كافيا ولكن لا يسلم

بنم سه صلاح يكون مقصورا على النصارى فقط بل يجب ان يكون شاملا لجميع الطائفات الممالك المحروسة رعية الدولة العلية المتصفين بالولاء والطاعة حتى يكونوا بمنزلة في جسم واحد وعلى هذا فالباب العالى محقوق بان يدفع الاوهام التى تشيرها عبارة البروتوكول من جهة اخلاص قصده ونيته نحو رعيته المسيحيين وان يعترض على عدم المبالاة المفهومة من فحوى هذه العبارة بباقى رعيته من المسلمين وغيرهم فمن المنكر ان الاصلاح الذى من شأنه ان يشمل المسلمين بالراحة والمنفعة يكون فى عيون أهل أوروبا البصيرة المتصفة عما لا يبالى به ولا يلتفت اليه ولذا كان من قصد الدولة (وفى الاصل تركية) اليوم احداث تنظيمات مخصوصة يحصل بها لجميع رعاياها التأمين على حقوقهم ومنافعهم المعنوية والمادية على التساوى من دون فرق وتحسب من موجبات شرفها ان تحافظ على القانون الاساسى وذلك أوكد ضمان وعهد ولكن اذا رأت نفسها مضطرة الى دفع المقاصد المراد بها ابقاء العداوة بين رعاياها وحملهم على عدم الثقة بها لم تكن محقوقة بايجاب ما بنى عليه البروتوكول من قصد الاصلاح كيف وقد قال ان قصد الدول ان تراقب بواسطة سفرائها بالاستانة وعمالها فى الولايات المنوال الذى تنجز به مواعيد الدولة العثمانية وقال أيضا اذا كان هذا الامل يخيب مرة أخرى فانها (أى الدول) تستبقى لنفسها ان تتخذ بالاتفاق الوسائل التى تراها أولى وأحرى لتأمين منافع النصارى واستتباب السلم عموما فهذا يوجب على الدولة العلية ان تقيم الحجة عليه وتنكره أشد الانكار فان الدولة من حيث كونها دولة مستقلة لا تذعن بأن تكون تحت مراقبة الدول مفردة كانت أو مجموعة لانها لما كانت علاقتها مع الدول المتحابة مبنية على الحقوق المتعارفة بين الامم وعلى المعاهدات لم يكن لها ان تعترف ان سفراء الدول وعمالها الذين وظيفتهم المحاماة عن مصالح رعاياهم يكون لهم حق المراقبة على وجه رسمى فهذا أمر مهين لها ولم يعهد له نظير لدى سائر الدول وهو أيضا مناقض لما تقرر فى معاهدة باريس التى اتفقت عليها الدولة العلية مع سائر الدول فانها تصرح بعدم المداخلة وتتخذه أصلا من أصول السياسة فلا يصح اذا الغاء شئ منها من دون موافقة الباب العالى فاذا كانت الدولة تحتج بتلك المعاهدة فليس لكونها تخولها

حقوقاليست في حيازتها من دونها ولكن لتذكر الدول بالاسباب الخطيرة التي حملتها منذ عشرين سنة حبا لبقاء السلم العام في أوروبا على ان تتعهد بحفظ حقوق سلطنة الدولة العلية عن الانتهاك أما ما تقرر في البروتوكول من ان الدول اذا رأت الاصلاح غير منجز يكون لها ان تتشبث بالوسائط الفعالة لانجازه فان الدولة ترى في ذلك اجحافا بشرفها وحقوقها وتخويفا من شأنه ان يجرد أفعالها التي تأتيها عن رضا ومبادرة مما لها من الاستحقاق وسببا يزيد في ارتباكاتها في الحال والاستقبال فعلى كل حال لا يعوق الدولة العلية شيء عن ان تجزم باقامة الحجة على البروتوكول المذكور وان تعتبره بالنظر الى ما يتعلق بها خاليا من الانصاف ومجردا عن الاوصاف التي تجعله موجبا وحيث ظهر لها ان موضوعه اثارة الظنون والاتهام ونقض حقوق الدولة الذي هو نقض أيضا لحقوق الناس عموما وما وطنت نفسها على الدفاع صونا لوجودها فهي تعلن الآن اتكالا على الباري تعالى واعتمادا على العدل انها تنكر كل ما يحكم به عليها أحد من دون مواطأتها وجازمة بان تحافظ على المقام الذي أقامها فيه القادر عز وجل وقدره لها فلا تزال تدفع كل ما من شأنه ان يجحف بالاصول العمومية وبصحة ذلك العهد الذي أوجبته الدول على أنفسها ولاعتقادها بان البروتوكول من قبيل المعدوم تراجع ضمائر الدول الذين تعتقد فيهم بقاء الصداقة والمودة كما كان في سالف الزمن وفي الجملة فان الوسيلة الوحيدة لازالة الخطر الذي يخاف منه على السلم هي المبادرة الى وضع السلاح والجواب الذي صرحت به الدولة آنفا عن كلام سفير الروسية يسهل للدول الحصول على هذه النتيجة ولا شك ان الدول لا تريد ان تكلف الدولة بما يخل بحقوقها ويوجب عليها الاضرار والخسائر فأنت مكلف بقراءة اللائحة على ناظر الخارجية وترك نسخة منها عنده اهـ

﴿اعلان الحرب﴾

لم يسع الروسية بعد رفض الباب العالي للائحة لوندره وتصميمه على الدفاع عن شرف الدولة وعدم الانصياع لطلبات أوروبا المسيحية الغير حقة الا اعلان الحرب ولكن قبل اعلانه امضت مع امارة رومانيا (ولايتي الافلاق والبغدان) معاهدة سرية

بتاريخ ١٦ ابريل سنة ١٨٧٧ وضعت رومانيا بمقتضاها جميع مخازنها ومؤنها وذخائرها تحت تصرف الروسيا ثم فى ٢٤ منه كتب البرنس غورشاكوف الى توفيق بك المكلف بمصالح الباب العالى فى سان بطرسبورغ كتابا يقول له فيه ان سيده الامبراطور رأى نفسه مضطرا بكل أسف ان يعتمد على قوة السلاح لتنفيذ مطالبه وكلفه بأن يخبر دولته بأن الروسيا تعتبر نفسها من هذا اليوم فى حالة الحرب مع الدولة وان يخبره عن عدد مستخدمى السفارة ليعطى لهم جواز السفر علامة على قطع العلاقات بسبب الحرب فابلغ توفيق بك هذا الخطاب الى الباب العالى وكان المسيو نيليدوف الذى نيطت به أعمال السفارة الروسية بعد سفر الجنرال اغناتيف قد ترك الاستانة فى اليوم الذى قبله قطعا للعلاقات السياسية فكتب الباب العالى نشرة تلغرافية الى سفرائه لدى الدول الموقعة على معاهدة باريس فى سنة ١٨٥٦ بتاريخ ٢٥ ابريل يكلفهم باخبار الدول المعينين لديها باعلان الروسيا محاربتها للدولة بدون توسط الدول طبقا للمادة الثامنة من معاهدة باريس المذكورة التى نصها (اذا حدث بين الباب العالى واحدى الدول المتعاهدة خلاف خيف منه على اختلال الفتهم وقطع صلتهم فمن قبل ان يعتمد الباب العالى وتلك الدولة المنازعة له على اعمال القوة والجبر يقيمان الدول الاخرى الداخلة فى المعاهدة وسطا بينهما منعا لما ينشأ عن ذلك الخلاف من الضرر)

وبعد ذلك أصدرت الدولة أوامرها الى جميع رؤساء الجيوش بملاقاة العدو بما جبلت عليه العساكر الشاهانية من البسالة والثبات وأصدر سيدنا شيخ الاسلام فتوتين بتاريخ ٨ جمادى الاولى سنة ١٢٩٤ الموافق ٢١ مايو سنة ١٨٧٧ احداهما بوجوب القتال على كل مسلم والثانية باضافة لفظة (غازى) على اسم جلالة السلطان فى الاوامر وعلى المنابر بناء على ماجاء فى الحديث الشريف (من جهز غازيا فى سبيل الله فقد غزا)

أما دول أوروبا فاظهروا جميعا عدم المساعدة للدولة ولو أدبيا وقلبوا لها ظهر المجن بعدما أوصلوا المسئلة الى الحرب بتداخلهم الغير شرعى واقتراحهم على الباب العالى مالا يمكنه قبوله وان قال معترض متحامل ان انكلترا اعترضت على هذه الحرب

بجواب أرسله اللورد دربى الى اللورد اوغسطوس ليفتوس سفير انكلترا فى عاصمة الروسيا بتاريخ أول مايو سنة ١٨٧٧ فنقول ان ذلك لم يكن حبا للدفاع عن الدولة العلية فانها لم تحرك مركبا ولا جنديا بالموازرتها انما كان احتجاجها خوفا على مصالحها التجارية وعلى حرية الملاحة فى بوغاز السويس من ان تعبث بها أيدى الروسيا بحجة ان مصر جزء من الدولة العلية وعساكرها متحدة مع جيوش الدولة فى محاربتها وبمجرد ما أجابها البرنس غورشاكوف بتاريخ ٧ مايو ان الروسيا ليس من قصدها ان تحصر خليج السويس ولا ان تتعرض لمنع سير السفن فيه فانها تعتبره بمنزلة مصلحة عمومية تشترك فيها تجارة جميع الامم فيجب ان يبقى دائما سالما من التعرض أما مصر فانها جزء من الممالك العثمانية وعساكرها مختلطة بالعساكر التركية ومن ثم يسوغ للروسيا ان تعتبرها محاربة لها ومع ذلك فان الروسيا لا تتخذها هدفا لاعمالها الحربية لما فيها لاوروبا عموما وانكلترا خصوصا من المصالح كفت انكلترا عن المعارضة والتزمت الحيادة كباقى الدول

﴿الاعمال الحربية﴾

ان ما حصل بين الجيوش العثمانية وعساكر الروسيا من الوقائع الحربية لم يزل مسطورا فى ذهن القراء لقرب عهده فان جميعنا يعلم ما أتاه الغازى عثمان باشا عند ما حصرته جنود الروسيا فى مدينة (بلفنه) من الاعمال التى شهد له بها العدو قبل الصديق وما أتاه الغازى أحمد مختار باشا فى جهات قارص وأرضروم ولذلك كان يمكننا ان نضرب صفحا عن تفصيل هذه الوقائع بدون اخلال بموضوع هذا الكتاب لكن آثرنا تتميما للفائدة ان نأتى على تلخيصها بغاية الايجاز فنقول

انه قبل اعلان الحرب رسميا بأربع وعشرين ساعة اجتازت عساكر الروسيا اخلافا لاصول الحرب تخوم رومانيا قاصدة بلاد الدولة العلية التى يفصلها عن رومانيا نهر الدانوب فاحتجت الدولة ضد تحالف رومانيا مع الروسيا مع انها لم تزل صاحبة السيادة عليها ولكن أين المجيب والكل يد واحدة ولما لم تجد الدولة من أوروبا آذانا مصغية أرادت معاقبة رومانيا على هذه الخيانة فأرسلت بعض سفنها الحربية فى الطونة

لاحتلاق قنابلها على سواحلها فكان هذا الجزء حاملا لها على التظاهر بالعدوان والمناداة بالاستقلال فى ١٤ مايو سنة ١٨٧٧ والاشتراك فعلا مع الروسيا فى الحرب وانضمام جيشها البالغ ستين ألف جندى تقريبا الى الجيش الروسى

هذا ومن تأمل فى خريطة الدولة العلية المرفقة بهذا الكتاب يرى انه يفصلها عن الروسيا ورومانيا حاجزان طبيعيان أهم من الحواجز والمعاقل الصناعية وهما نهر الدانوب وجبال البلقان فلو اجتيز الاول أمكن جيوش الدولة التحصن فى الثانى ولذلك كانت الحرب أولا على شاطئ الدانوب وبعد عدة وقائع حربية ومناورات عسكرية اجتاز الجنرال (زمرمان) الطونه فى ٢٢ يونيه

وفى ٢٧ منه عبر الجيش الروسى بأجمعه النهر وقصد مدينة (ترنوه) فاحتلها وفى أواسط يوليو احتل البارون (دى كرودر) مدينة نيكوبلى واحتل الجنرال (جوركو) مضايق البلقان الموصلة لمضيق شيبكا الشهير وعند وصول هذه الاخبار الى الاستانة استولى الرعب والقلق على سكانها اذ لو اجتاز الروس مضيق شيبكا لحيف على دار السعادة نفسها من الوقوع فى قبضة العدو لا قدر الله ولولا وضع الاستانة فى ١١ جمادى الاولى سنة ١٢٩٤ الموافق ٢٤ مايو سنة ١٨٧٧ تحت الاحكام العرفية وتوقيف سير القوانين النظامية لحصل بها من الفتن والقلاقل ما يكون عونا ومعينا للعدو على التقدم للامام لكن انتباه القوة الضابطة منع كل أمر مخل بالراحة وقد نسب هذا التقهقر المستمر أمام جيوش الروسيا الى عدم كفاءة السردار الاكرم عبد الكريم باشا وناظر الحربية رديف باشا فعزلا فى ٢٢ يوليه وتعين محمد على باشا (١٢٢) قائدا عاما للجيوش العثمانية واستدعى سليمان باشا الذى كان يحارب سكان الجبل الاسود وانتصر عليهم فى عدة مواقع لحضوره مع جيوشه المدربة للمساعدة على صد الروس وعين محمود باشا داماد صهر الحضرة السلطانية ناظرا للحربية موقتا ثم أحيل عبد الكريم باشا ورديف باشا وغيرهم من الضباط العظام الذين نسب اليهم

(١٢٢) هو روسى الاصل والمسيحى الدين ثم اعتنق الدين الاسلامى وفى سنة ١٢٦١ دخل فى سلك العسكرية وفى سنة ١٢٨٧ وصل الى رتبة فريق ولما ابتدأت الحرب الروسية أحسن اليه برتبة المشيرية وأرسل الى جهات الروملى

اهمال

اهمال أو تقصير وغير ذلك مما سهل على الروس اجتياز الدانوب وجبال البلقان وحكم على أغلبهم بالنفي الى جهات مختلفة

وفى أثناء ذلك أتى الغازى أحمد مختار باشا من معسكره بمدينة (ودين) لمساعدة مدينة نيكوبلى ولما وصله خبر سقوطها فى أيدى الروس قصد مدينة (بلفنه) لاهمية موقعها الحربى و وجودها على ملتقى الطرق العمومية الموصلة بين مضايق جبال البلقان وبلغاريا الغربية والطونة وأقام حولها المعاقل والحصون المنيعة التى جعلت الاستيلاء عليهامن رابع المستحيلات لكن لاستخفاف الروس بهذه الاستحكامات هاجموها فى ٢٠ يوليه فارتدوا على أعقابهم خاسرين ثم عاودوا الكرة عليها فى ٣٠ منه بقوة عظيمة مؤلفة من ثلاثين أورطة من المشاة وقدرها من الخيالة ومائة ستة وثمانين مدفعا فعادوا بخفى حنين بعد ان خضبوا الارض بدمائهم وافعموا الوديان بجثثهم وحينما وصل خبر هذا الفوز المبين تلغرافيا الى مسامع السلطان الشريفة أصدر فى الحال فرمانا عاليا باظهار الممنونية له ولجميع الجيوش المؤزرة به تاريخه ٢٠ رجب سنة ١٢٩٤ الموافق أول اغسطس سنة ١٨٧٧ وهاك ترجمته

﴿تعريب التلغراف الذى أرسله سيدنا وسلطاننا المعظم الى حضرة﴾
﴿دولتلو عثمان باشا حين كان محصورا فى بلفنه بسبب ظفره﴾
﴿على عساكر الروس وذلك فى ٢٠ رجب سنة ١٢٩٤﴾
﴿الموافق أول اغسطس (آب) سنة ١٨٧٧﴾

مشيرى سمير الصداقة عثمان باشا

لقد أعليت الشأن العثمانى وصيت عساكرنا وناموسهم بغزوك الجديد المضاف الى خدماتك السالفة الموسومة بشعار البسالة فالحق تعالى ومفخر الانبياء يعضدانك فى الدارين وسلم على كافة الامراء والقواد وعلى جنودى المنصورة بالافراد أولئك الجنود قرة باصرة افتخارى والمقدمون على أولادى فلا جرم انهم بغزواتهم الغضنفرية يستغرقون سلطانهم بالسرور والممنونية والله المسؤل ان ينيلهم النجاح والسعادة الابدية ويوفقهم فى سبيل المحافظة على اللواء العثمانى لمثل هذه الغزوات ويؤيدهم

صورياو معنويا لمراتب المكافات العاليات وقد منحتكم النيشان العثماني مكافأة لخدمتكم وأمرت بتوجيه الرتب واجراء التلطيفات للامراء والضباط كما عرضتم وأنتم مأذونون بان تعدوا فيما بعد الامراء والقواد وتبشروهم فورا بالمكافات التي يستحقونها متى امتاز وابأثر فداء خارق للعادة وان تعرضوا ذلك لدار السعادة على انه تقرر لدى ان يرسل لطرف جيشكم مأمور مخصوص ليبين لكم جميعا ممنونيتي وتشكرى اه

وبعد تقهقر الروس أمام بلفنه ووصول المدد من جميع الجهات امكن العثمانيين الهجوم بعد الاقتصار على الدفاع وانقسم الجيش الى ثلاث فرق الاولى انضمت الى عثمان باشا في بلفنه للدفاع عنها والثانية تحت امرة محمد على باشا السردار الاكرم جعلت وجهتها محاربة الجيش القائد له البرنس اسكندر ولى عهد القيصر والثالثة تحت امرة سليمان باشا الذى اشتهر أولا في محاربة ثائرى البوسنه والهرسك وأخيرا في محاربة الجبل الاسود ووجه اهتمامه لاسترداد مضايق شيبكا من أيدى الروس وكادت الفرقتان الاخيرتان تتم مأموريتهما فتتحد الجيوش العثمانية وتسير معا لارجاع الروس الى التخوم وقهرهم على اجتياز نهر الطونه خائبين لولا خيانة شارل دى هوهنزولرن أمير رومانيا ومجيئه الى ميدان القتال بنحو مائة ألف مقاتل ملئت قلوبهم بغضا للدولة العلية صاحبة السيادة ومجيء قيصر الروس بنفسه لتشجيع العساكر على الحرب وبث روح الثبات والاقدام فيهم فانقلبت الحال ولم تجد العثمانيون انتصاراتهم المتعددة على الروس حوالى بلفنه وامام مضيق شيبكا التوارد المدد يوميا من الروسيا ثم صمم الروس على محاصرة بلفنه محاصرة أصولية لتيقنهم من استحالة أخذها هجوما نظرا لمناعة المعاقل والحصون التى أقامها عثمان باشا حولها وأناطوا هذه المأمورية بالجنرال (تودلبن) الذى اشتهر بالدفاع عن مدينة سباستوبول في الحرب السابقة فجمعوا حولها العدد الكافى من العساكر والمدافع لاتمام حصارها والاحاطة بها احاطة السوار بالمعصم وبعد عدة وقائع تم حصارها في ٢٤ اكتوبر سنة ١٨٧٧ وصار وصول المدد اليها مستحيلا وابتدأت الاعمال للاستيلاء على الحصون الامامية واستمر القتال حولها

ولا

ولاتثني عثمان باشا وجيوشه عن الدفاع حتى نفد ما كان عنده من الذخائر والمؤن فعزم على الخروج بجيوشه والمرور من وسط الاعداء فيسلموا و يسلم معهم أو يموتوا شهداء الدفاع عن بيضة الاسلام ولما عقد النية على هذا العزم استعد لانفاذه حتى اذا كان يوم ١٠ دسمبر سنة ١٨٧٧ أخلت العساكر العثمانية جميع القلاع المحيطة بالمدينة وخرجوا جميعا من جهة واحدة مهللين ومكبرين فقابلهم العدو بقذوفاته الجهنمية أما الليوث العثمانية فلم تعبأ بهم بل استمرت في سيرها عدوا نحو الاستحكامات التي كان أقامها الروس حول المدينة على ثلاثة خطوط متعاقبة ونفذوا كالسيل المنهمر من اعالي الجبال الذي لا يعوقه شئ في اندفاعه على مدافع الخط الاول والثاني وكادت تستولي على الخط الثالث وتتخلص من هذا الحصار وتفوز بالنصر المبين لولا ان أصيب قائدهم عثمان باشا الغازي برصاصة نفذت من ساقه الايسر وقتلت حصانه فسقط هذا الشجاع على الارض وظنت عساكره انه استشهد وبمجرد ماشاع خبر موته الغير حقيقي استولى الفشل على جميع الجنود وأرادت الرجوع الى المدينة وحيث كان قد احتلها الروس عقب خروجهم منها قابلهم العدو بالنيران من الخلف فصار العثمانيون بين نارين وبعد ان دافعوا عن أنفسهم دفاعا شهد الاعداء بأنه من خوارق الامور التزموا برفع الراية البيضاء علامة على التسليم فاوقف الروس اطلاق النيران وتقدم اللوا توفيق باشا رئيس أركان حرب الجيش العثماني القائد له عثمان باشا وطلب مقابلة القائد العام الروسي ولما قابله سأله عما اذا كان معه اذن بالكتابة من عثمان باشا يجيز له الاتفاق على التسليم فاجابه ان عثمان باشا جريح و يود لو أتى اليه أحد قواد الروس للاتفاق معه فقبل القائد (جانتسكى) ذلك وأرسل الجنرال (استروكوف) فتوجه هذا الجنرال الى عثمان باشا في البيت الذي كان دخل فيه للاستراحة وقال له بعد التحية ان القائد الذي ارسله لا يمكنه ان يمنحه أى شرط ولا ان يقبل التسليم الا اذا ألقى العثمانيون اسلحتهم لعدم وجود أوامر عنده من القائد العام الغراندوق نيقولا أخي القيصر ولما أجابه عثمان باشا بالايجاب عاد الجنرال استروكوف الى مرسله وأخبره بذلك فأتى الى مقر عثمان باشا و بعد ان هنأه على ما أتاه من الاعمال التي تشهد له بعلو المكانة وتخلد له اسما في التاريخ

طلب اصدار أوامره الى جيوشه بالقاء السلاح فأمر بذلك ثم سلم سيفه وبعد ذلك أتى اليه بعربة فركبها قاصدا مدينة بلفنه وفي اثناء سيره قابله الغراندوك نيقولا ومعه البرنس شارل أمير رومانيا فأوقف العربة وسلما عليه مصافحة وفي صبيحة اليوم الثاني توجه عثمان باشا الغازي متكئا على طبيبه الخاص الى المحل الذي نزل به القيصر اسكندر الثاني بعد دخوله مدينة بلفنه لمقابلته وعندما دخل على الامبراطور قام اجلالا له وسلم عليه وأظهر له اعجابه من دفاعه ومحاولته الخروج من بين صفوف المدافع المحيطة به ثم قال له اني أرد اليك سيفك علامة على احترامي لك واكباري لشجاعتك واجيز لك ان تحمله في بلادي وعند انصرافه سلم اليه الجنرال ماجور راستين سيفه ثم عاد الى منزله وفي ١٦ دسمبر ارسل في قطار مخصوص الى مدينة كركوف حيث أمر بالاقامة الى انتهاء الحرب

ولنذكر هنا اظهار الفضل عثمان باشا وجيوشه ان عدد من كان معه لا يزيد عن خمسين ألفا ولم يكن معهم من المدافع سوى ٧٧ مدفعا مع ان الجيش الروسي الذي خصص لحصار بلفنه بلغ ١٥٠٠٠٠ جنديا و ٦٠٠ مدفعا ومن ذلك يظهر للقاري شجاعة العثمانيين وثباتهم أمام العدو ومما يؤثر عنهم أيضا انهم لم يسلموا اعلامهم مطلقا بل حرقوا بعضها ووضعوا البعض الآخر في صناديق من حديد ودفنوها في باطن الارض ومن قارن هذه الحادثة بحادثة مدينة (متس) التي سلمها المارشال الفرنساوي (بازين) «١٦٣» للعدو مع ان جيوشه ومدافعه كانت تعادل أو تزيد عن جيوش ومدافع العدو وسلمها مع ما فيها من الجيوش والمدافع بدون ان يسعى في الخروج كما فعل عثمان باشا يتحقق له انه لولا محاربة الدولة العلية البوسنه والهرسك والبلغار ثم الجبل الاسود والصرب قبل محاربتها الروسيا الفازت

«١٦٣» مارشال فرنساوي ولد سنة ١٨١١ ولما بلغ العشرين من عمره دخل العسكرية بدرجة عسكري وسافر الى بلاد الجزائر فترقى فيها تدريجيا حتى وصل الى رتبة لوا سنة ١٨٥٤ وأعطيت اليه رتبة فريق في حرب القرم ثم رتبة مشير «مارشال» في محاربة المكسيك وفي حرب سنة ١٨٧٠ جعل قائدا عاما للجيش المحافظ على مدينة متس وضواحيها فسلم جيوشه ومهماتها للبروسيا في ٢٨ اكتوبر سنة ١٨٧٠ ثم حوكم أمام مجلس عسكري في سنة ١٨٧٣ وحكم عليه بالاعدام بعد التجريد من جميع رتبه ونياشينه وعفت عنه الحكومة مستبدلة الاعدام بالسجن المؤبد بجزيرة وسجن ثم هرب وأقام بمدينة مدريد «المسماة في كتب العرب بمجريط» حتى توفي سنة ١٨٨٨

بلاشك ولا مرية فى هذه الحرب الاخيرة ولكن النصر بيد الله يؤتيه من يشاء

﴿ الاعمال الحربية فى جهات الاناطول وسقوط قلعة قارص ﴾

أما فى جهة آسيا فكان النصر أولا فى جانب العثمانيين حتى ردوا اغارة الروس عن بلادهم وتبعوهم الى داخل بلاد الروسية وذلك ان الجنرال (لوريس مليكوف) حاصر مدينة قارص والجنرال (درهو جاسوف) وجه اهتمامه لفتح مدينة بايزيد بينما كان باقى الجيش الروسى يجرى عدة مناورات عسكرية لاسقاط مدينتى اردهان و باطوم ثم قام الجنرال لوريس مليكوف ببعض جيوشه لمساعدة الجنرال دوفيل على أخذ اردهان

وفى ١٧ مايو فتحاها عنوة وعاد التشديد الحصار على قلعة قارص وقد احتل الجنرال درهو جاسوف مدينة بايزيد فى ٣٠ مايو وانتصر على العثمانيين فى ١٠ يونيه وفى ٢١ منه

وفى أثناء ذلك تمكن أحمد مختار باشا من ترتيب الجيوش التى أتت اليه من كل فج وأغلبها غير منتظم واحتل مرتفعات (زوين) وتسمى بالتركية (كروم دوزى) بقوة عظيمة وأرسل اسمعيل حقى باشا مع جيش الاكراد لمهاجمة الجنرال درهو جاسوف فاراد الجنرال لوريس مليكوف اسعافه فانتصر عليه مختار باشا انتصارا اعظيما فى ٢٥ اغسطس سنة ١٨٧٧ لم يسع الروس بعده الا التقهقر بغاية الفشل و رفع الحصار عن مدينة قارص قاصدين مدينة الكسندر و بول الروسية وتقهقر كذلك الجنرال درهو جاسوف الى تخوم الروسيا يتبعه اسمعيل حقى باشا بقوة عظيمة

و بعد ذلك انتصر العثمانيون على الروس فى ستة وقائع مشهورة منها واقعة كدكلر التى لما بلغ السلطان خبرها أرسل الى أحمد مختار باشا فرمانا باظهار ممنونيته تاريخه ١٨ شعبان سنة ١٢٩٤ وهاك ترجمته

﴿ترجمة الفرمان المرسل من طرف سيدنا ومولانا السلطان المعظم الى﴾
﴿حضرة دولتلو أحمد مختار باشا رئيس العساكر السلطانية فى الاناطول﴾
﴿بسبب انتصاره على الروس فى كدكلر وذلك فى ١٨ شعبان سنة ١٢٩٤﴾

مشيرى سميرالحمية أحمد مختار باشا

لقد زينتم مهم صحائف تاريخنا العسكرى بغالبيتكم التى أحرزتموها فى محاربة كدكلر أما جنودنا الذين مابرحوا نصب أعيننا فقد أثبتوا على الوجه الاتم فى هذه الحرب التى أظهروا بها الثبات والاقدام فى صورة خارقة للعادة امتلاكهم للخصلة العثمانية على ان مقابلتهم فى جميع الوجوه للتدابير الماهرة التى أجراها العدو فى ميدان الحرب بحيث أسفرت نتيجتها عن اكتسابهم حربا ذات شأن وظفر كانت برهانا جليا على كمال انتظامهم العسكرى فأضحت لدينا هذه المظفريات باعثة لكمال التقدير والتحسين فاتشكر أنا وهيئة الدولة والملة مما منكم جميعا وقد أمرت بترفيع رتب الامراء الذين شهدتم باستحقاقهم حسبما انهيتم وسأتوفق ان شاء الله لان أعلق بيدى نياشين الظفر فى صدور سائر أفراد الامراء والضباط وقصارى المسؤل من جناب الناصر الحقيقى حضرة العادل المطلق الشاهد على صدق دعوانا الحقة فى هذه الحرب الحاضرة ان يتعاهد بعد الآن أيضا بعناية وبمدد روحانية سيدنا الرسول الامين الذى هو العروة الوثقى فى الحاجات عسكرنا بالنصر المبين فى حروبهم وغزواتهم وان يجعلهم مسرورين بحماية العلم الاسلامى هذا وأسلم على رفقائكم فى السلاح فردا فردا والحق تعالى لا يعزب عنكم نصرته البالغة الصمدانية اه

وبسبب ماذكر اضطرب الغراندوك ميخائيل حكمدار عموم بلاد القوقاز وأرسل يطلب المدد والذخائر وظلت الجيوش الروسية تدافع حتى أتت اليها عدة لوآت من المشاه وعدد عظيم من المدافع

وفى أواخر شهر سبتمبر سنة ١٨٧٧ اتخذ الجنرال لوريس مليكوف خطة الهجوم ثانيا ولعدم ارسال جيوش جديدة الى مختار باشا واستشهاد عدد كثير من جنوده فى هذه الوقائع المستمرة لم يمكنه مقاومة الجيوش الروسية الجديدة التى لم يضنها التعب

بل رجع الفهقري قاصـدا مدينـة ارضروم فتبعه القائد الروسي وهزمه في موقع يقال له (الاجه طاغ) ثم حاصر مدينة قارص ثانيا وفتحها عنوة في ١٨ نوفمبر سـنة ١٨٧٧ بعدان حاول من بها الخروج من وسـط المدافع الروسية وغنم منها ثلاثمائة مدفع تقريبا

أما مختار باشا فبعـد ان حاول مساعـدة قارص وانتصر عليـه الاعـداء في موقعـة (دوه بيون) في ٤ نوفمبر عاد الى ارضروم حيث حصره العدوّ ومنع وصول المدد اليه

﴿اعلان الصرب الحرب على الدولة واعلان الدولة﴾

﴿بعزل البرنس ميلان أمير الصرب بسبب عصيانه﴾

بمجرد وصول خبر سقوط قارص في نوفمبر وبلفنه في ١٠ دسمبر أيقن الصربيون أن الفوز والنجاح سيكونان في جانب الروسيا ولم يتأخروا في اعلان الحرب على الدولة صاحبة السيادة عليهم التي لم ترتكب نحوهم اثما الا احترام دينهم ولغتهم وأوصل هذا الاعلان الى الباب العالي الموسيو كريستيتش سفير الصرب في الاستانة في ١٤ دسمبر سنة ١٨٧٧ أعني بعد سقوط بلفنه باربعة أيام وسارت عساكرهم على الفور للانضمام الى جيوش الروسيا التي بعثتهم الى هـذه الحرب اذ أن البرنس ميـلان لم يعلنها الا بعد أن تقابل مع امبراطور الروسيا واتفق معه على ما يعطى له بعد الحرب جزاء خيانته

وقابل الباب العالي هذا العدوّ الجديد مقابلة عدوّ منتظر من يوم لآخر

وفي ٢٠ دسمـبر سـنة ١٨٧٧ أرسـل الباب العالي لاهالي الصرب منشورا يظهر لهم فيه غدر حكومتهـم وخيانتها وانها تسوقهم الى الدمار والبوار بدون سبب مطلقا ويخبرهـم بأن جـلالة السـلطان متبوعهم الاعظم قد أمر بعزله من منصب الامارة جزاء عدم محافظته على العهود بعد ان عفت عنه الدولة أكثر من مرة فلم يعبأ البرنس بهـذا العزل بل استمر على محاربة متبوعـه الى ان انتهت الحرب وثبت في وظيفتـه وزيدت امتيازاته بمساعدة الدول ومنح لقب ملك كما سـترى ومن جهة أخرى فان امارة الجبل الاسود لم تتفق مع الباب العالي على الصلح قبل اعلان الروسيا

الحرب كما ذكرنا ولذلك اشتركت جيشها فى القتال بكيفية كانت نتيجتها تعطيل جزء ليس بقليل من عساكر الدولة فى محاربته وعدم امكان هذا الجزء محاربة الروسيا فى جهات البلقان ومن ذلك يتضح للطالع ما كان بين الجيشين المتحاربين من التفاوت هذا تساعده رومانيا والصرب والجبل الاسود جهارا وجميع المسيحيين التابعين للدولة العلية بأوروبا سرا والدول تتمنى له النجاح والفلاح وذلك بمفرده لا مساعد ولا صديق وجيوشه أضناها التعب والنصب فى محاربة الامارات والولايات المسيحية التى ثارت قبل الحرب اطاعة للدسائس الخارجية ومع هذه المميزات فقد فازت الجيوش العثمانية أكثر من مرة ودافعت دفاعا اضطر العدو قبل الصديق الى الاقرار بشجاعتها والاعتراف بثباتها وفى واقعة بلفنه وغيرها ما يعد منها ولا تعد ما يكفى لقطع لسان كل مكابر خوان

ولما توالت الحوادث المذكورة طلب الباب العالى من الدول التوسط بينه وبين الروسيا لابرام الصلح وحقن دماء العباد وأرسل بذلك منشورا الى الدول الست العظام فلم يرد له جواب شاف بل كانت كل منها تود انكسار الدولة تماما قبل التداخل فى الصلح حتى يمكنها التهام قطعة من املاكها نظير توسطها

وبعد ذلك استمر القتال فى قلب الشتاء بدون انقطاع رغما عن تكاثر الثلج وصعوبة مرور المدافع وبسبب سقوط مدينة بلفنه وخلو الجيوش الروسية التى كانت محاصرة لها من الاشغال وجهت الروسيا جميع جيوشها الى ماوراء جبال البلقان للاغارة على بلاد البلغار والروملى الشرقية واحتلال مدائنها الحصينة بمساعدة الجيش الصربى فاجتاز الجنرال (جوركو) جبال البلقان ودخل مدينة صوفيا عاصمة البلقان فى ٤ ينايرسنة ١٨٧٨ ثم احتل مدينة فليبه فى مساء ١٥ من هذا الشهر وأخيرا دخلت مقدمة فرقة الجنرال سكوبلف «١٦٤» مدينة ادرنه فى ٢٠ منه ومنها سار الروس نحو الاستانة وتقدموا بدون أن يجدوا ممارضة تذكر الى مسافة خمسين كيلومترفقط من عاصمة الخلافة العظمى

«١٦٤» قائد روسى ولد سنة ١٨٤٣ واشتهر فى محاربة وفتح عدة أقاليم بأواسط آسيا وفى سنة ١٨٧٣ احتل مدينة خيوه عنوة وامتاز فى هذه الحرب الروسية الأخيرة وبعد انقضائها عاد الى بلاد تركستان وحارب بعض قبائلها وتوفى بغتة فى مدينة موسكو سنة ١٨٨٢ غير بالغ الاربعين من عمره

وفى هـذا الاثناء كان أهالى الجبـل الاسود قد احتلوا مدينة انتيبارى ووصلوا الى ضواحى اشقودره ودخل الصربيون مدينة نيش ولذلك لم تر الدولة العلية بدا من طلب الصلح وقبول ما يطلبه العدو لعدم قدرتها على استمرار القتـال وتبديد جيوشها ووصول العدو الى ضواحى الاستانة

وحيث قد انتهينا من ذكر الوقائع الحربية بغـاية الايجاز فلنشرح الآن ماجرى بين الطرفين المتحاربين والدول من المخابرات السـياسية تاركين شرح تفصيلات هذه الحرب بحذافيرها الى حضرات الضـباط المصريين الافاضل الذين رافقوا المرحوم حسن باشا وحضروا أغلب وقائعها وعلموا أسـباب انتصار الروس العسكرية وغيرها واننا نرجوانهم لا يعدمونا ذلك وكلهم من الفضلاء النبلاء الذين يمكنهم بيان ما لا يمكننا ذكره لعدم خبرتنا فى الامور العسكرية ويكونون بذلك قد قاموا بخدمة عظيمة نحو الملة الاسلامية عموما

أما ما تحمله المسلمون من أنواع الايذاء والتعـدى من قبل البلغاريين بمجرد سمـاعهم باقتراب الجيوش الروسـية فـمما يعجز القلم عن وصفه ولذا هـاجر أغلب المسلمين الى الاستانة هربا ممـا كانوا ينتظرونه ووقع فيه فريق منهـم من النهب والقتل وتركوا أملاكهم وأمتعتهـم قاصدين ملجأ الخلافة الاسـلامية أفواجا حتى غصت شوارع الاسـتانة بهـم وأعيت الحكومة الحيلة فى تقديم ما يلزم لهـم من الملبس والمأكل والوقود فى هذا الشتاء القارص ولذلك تشكلت عدة جمعيات لمساعدتهم فجمعت أموال طائلة من جميع الاهالى مع اختلاف أديانهـم ومذاهبهـم ولم يلبث هؤلاء المسـاكين ان أصيبوا بداء التيفوس فمـات كثير منهـم ولولا اسراع الدولة فى ابرام الصلح وتوزيعهم على ولايات الاناطول لهلكوا عن آخرهم اذ انهم كانوا يؤثرون الموت على العودة الى بلادهم التى احتلها الروس وسـاد فيها المسيحيون وكان ذلك منتهى أمل الروسـيا التى كانت تود مهاجرة المسلمين عن جميع الولايات المصممـة على منحها الاستقلال

هـــذا أما ما حصـل فى بلاد مقدونيــه وتساليا وغيرها وفى جزيرة كريد من الفتن بدسائس مملكة اليونان فلا يعتــد به لقلة أهميتــه ووعد قناصل الدول الثائرين

بالنظر فى طلباتهم عند اتمام الصلح مع الروسيا

﴿المخابرات الابتدائية والمهدنة﴾

وفى أوائل شهر يناير سنة ١٨٧٨ عين الباب العالى كلا من نامق باشا وسرور باشا مرخصين من طرفه لمخابرة الغراندوك نيقولا فى أمر توقيف القتال وأرفقهما بمأمورين عسكريين وهما نجيب باشا وعثمان باشا (خلاف بطل بلفنه) لما يختص بالامور العسكرية

وفى ١٤ يناير سافر هؤلاء المندوبون الى قزاناق لمقابلة البرنس الروسى فوصلوا اليها فى ١٩ منه لتعطيل السكك الحديدية وبعد ان عرضوا ملخص مأموريتهم أجابهم أنه سيطلب الاستعلامات اللازمة من جلالة القيصر ويعطيهم الجواب النهائى فى مدينة ادرنه التى دخلها الروس فى ٢٠ منه كما ذكرنا ولما وصلوا اليها فى معية البرنس ابتدأت المخابرات

وفى ٣٠ منه صار التوقيع على اتفاقين أحدهما بين الغراندوك نيقولا وسرور باشا ونامق باشا مفاده منح الاستقلال الادارى للبلغار والاستقلال السياسى للمملكتين (رومانيا) و (الجبل الاسود) مع تعديل فى حدودهم واعطائهم بعض أراض من املاك الدولة وتقرير غرامة حربية للروسيا تدفع نقدا أو يستعاض عنها ببعض القلاع والحصون والآخر بين نجيب باشا وعثمان باشا مندوبين عسكريين من قبل الغراندوق يختص ببيان شروط المهادنة

وأوقفت الحركات العدوانية من الساعة السابعة من يوم ٣١ يناير سنة ١٨٧٨ ثم أعلن الباب العالى فى ٥ فبراير برفع الحصار عن سواحل الروسيا الواقعة على البحر الاسود ثم عاد الغراندوك نيقولا الى سان بطرسبورج عاصمة الروسيا حيث قوبل بكل احترام واجلال

ولما علمت الدول بالمهدنة والاتفاق على مبادى الصلح طلبت النمسا من انكلترا عقد مؤتمر من مندوبى الدول الموقعة على معاهدة باريس المبرمة فى سنة ١٨٥٦ ينظر فى شروط الصلح خوفا من أن يكون بها ما يجحف بحقوق الدول الاخرى فقبلت انكلترا

هـذا الطلب واقترحت ان يكون اجتماع هذا المؤتمر فى مدينة باد «١٦٥» ثم توقفت هذه المخابرات بسبب محاولة الروسيا ورغبتها فى انهاء الصلح بدون توسط باقى الدول فانها لم تبلغ صورة هذه الاتفاقيات الى الدولة العلية ولا باقى الدول الا بعد امضائها بثمانية أيام ولم تنشر فى الجريدة الرسمية الروسية الا فى ١٥ فبراير سنة ١٨٧٨

وفى هذه الفترة اضطربت الافكار فى أوروبا وأشيع ان العساكر الروسية قد احتلت الاستانة ومع تكذيب هذه الاشاعة رسميا فقد أمرت انكلترا دوناغاتها الراسية فى خليج (بزيكا) بالتوجه الى الاستانة لحماية رعاياها وفى الحقيقة لمراقبة حركات الروسيا ومنعها بالقوة لو أرادت احتلال الاستانة

ولما كان الباب العالى قد أباح للدونانمة الانكليزية المرور من بوغاز الدردنيل أثناء مخابرات ادرنه أراد الاميرال الانكليزى المرور بمقتضى التصريح القديم فمنعه حكمدار القلعة (سلطانية)

ولذا أرسل الاميرال الى نظارة البحرية يخبرها بذلك فامرته بالمرور بالقوة وكتب وزير الخارجية الى الباب العالى يعلمه بعزمها خوفا من الطول وضياع الوقت فى المخابرات للحصول على هذا الجواز فجمع وزير الخارجية سرور باشا الذى اخلف صفوت باشا الوزراء الحاليين والاقدمين وبعد مباحثة طويلة اكتفى الباب العالى باقامة الحجة ضد انكلترا ودخلت المراكب الانكليزية امام الاستانة فى مياه البوسفور

﴿اجتماع مجلس المبعوثان وحله وتغيير الوزارات﴾

ولنذكر قبل شرح المخابرات السياسية التى كانت نتيجتها ابرام معاهدة سان استفانوس ثم تعديلها بمقتضى معاهدة برلين بعض ما حصل فى الاستانة من الامور الخطيرة فنقول ان مجلسى المبعوثان والاعيان دعيا للاجتماع للنظر فى شؤن الدولة فاجتمعا معا بهيئة برلمنت فى ٧ ذى الحجة سنة ١٢٩٤ وألقى عليهما خطاب عن لسان جلالة مولانا السلطان الاعظم شارح حالة الدولة وما وصلت اليه من العسر بسبب

«١٦٥» مدينة جميلة بامارة باد وتسمى بادن أو بادن بادن بالتكرار و بها حمامات معدنية حارة يقصدها كثير من الناس للاستحمام بها ولا يزيد عدد سكانها الاصليين عن ثلاث عشرة ألف نسمة

الحرب القائمة بينها وبين الروسيا واليك ترجمته نقلا عن مجموعة الجوائب

﴿ترجمة النطق الذى أمر به مولانا وسلطاننا المعظم عند افتتاح مجلسى﴾
﴿الاعيان والمبعوثان فى ١٣ دسمبر سنة ١٨٧٧﴾
﴿الموافق ٧ ذى الحجة سنة ١٢٩٤﴾

يا أيها الاعيان والمبعوثان

انى اكتسب الممنونية بفتح المجلس العمومى وبمشاهدة مبعوثى الملة وكما هو معلوم لديكم انه لما أعلنت دولة الروسية الحرب على دولتنا فى العام الماضى اضطررنا للمقابلة والمدافعة ومازالت الحرب قائمة على ان الوقوعات العظيمة الغير مسبوقة قد أثقلت جدا مشكلات الحرب لان الاختلال الذى شب فى هرسك منذ عامين ونصف قد ظهر أيضا فى غيرها من بعض المواقع وقسم من أهاليها المتمتعين بالمساعدات المخصوصة كالتساوى فى الحقوق الشاملة كامل تبعتنا والمحافظة على ملتهم ولغاتهم على الوجه الاتم سلكوا كيفما كان الحال طريقا غير مشروعة فاضروا أنفسهم والوطن واخوتهم الوطنيين وأهالى المملكتين كذلك اعلنوا الخصومة لدولتنا بدون سبب مشروع حالة كونهم فى غبطة ببقاء استقلالية ادارتهم الداخلية ومع هذا جميعه فالبلاد غير متأخرة عن صرف اسباب المقاومة التى اضطرت اليها على حسب مقدرتها وكما ان العثمانيين كافة اثبتوا بواسطة آثار الحمية التى اظهروها فى هذه الحرب امتلاكهم الاحساسات الوطنية فى صورة خارقة للعادة كذلك أضحى ثبات عساكرنا وبسالتهم مستوجبين تحسين العموم وتقديرهم ولم أزل أطلب معاونة تبعتنا وحميتهم لاجل المحافظة على حقنا المشروع

على ان حصول استعداد الوصول لاكمال ترتيبات العساكر الملكية وابراز العثمانيين غير المسلمين الشوق القلبى والاشتراك الفعلى فى المحافظة على الوطن هو معدود من وقوعات دولتنا السارة وبما ان المساعدات التى نالتها التبعة غير المسلمة قد تقوت بكليتها بالقانون الاساسى وأضحت متساوية أمام القانون وفى حقوق البلاد ووظائفها فاشتراكها اذا فى الخدمة العسكرية التى هى أعظم الوظائف والمدخل

الموصل الى حق المساواة صار أمراً طبيعياً فلذا كانت آثار معرفة الوظيفة المبرزة في هذا المطلب حرية بالتحسين وأضحى ادخال الاهالي غير المسلمة كذلك في سائر الصنوف العسكرية أمراً مقرراً . وبما ان اجراء فعل القانون الاساسي ونفوذه على الوجه الاتم انما هو الواسطة الوحيدة لسلامة دولتنا كانت أكبر آمالي معطوفة أولاً لاستفادة صنوف تبعتنا بالتمام من سعادة المساواة الكاملة ومن ترقيات بلادنا المدنية والعصرية ثانياً للاصلاحات المالية ولا سيما الايفاء بتعهداتنا ولتقسيم كل نوع من أنواع التكاليف والمال الاميري (ويركو) وتحصيله في صورة موافقة لقواعد الثروة منزهة عن اضرار الاهالي ثم لتوفيق بعض مسائل الحقوق الاساسية لاحتياجات العصر لقصد جريان العدل الكامل في المحاكم ولاصلاح الاوقاف ولتسهيل مطلب التصرف في الاراضي ولترتيب النواحي الذي هو أساس الادارة الملكية وتقرير وظائفها ولتكميل تنظيمات الضابطة لكن وا أسفا ان الحرب الحاضرة قد عوقت اتمام مفاعيل مقاصدنا هذه الخالصة على ان مصائب هذه الحرب قد تجاوزت حدودها الطبيعية فكم من الاهالي غير المدافعين الذين بمقتضى القانون الحربي ليسوا بمسؤلين عن شئ وكم من النساء والصبيان أمسوا عرضة للمظالم الغادرة والدموية التي لا تتحمل سماعها المرحمة البشرية فأؤمل والحالة ما ذكر ان الزمان المستقبل لا يمانع رؤية الحقانية

أما قوانين اللوائح المتعلقة بترتيبات الدوائر البلدية ووظائفها في دار السعادة والولايات تلك التي تحولت في العام الماضي الى مجلسكم فقد تقرر أمرها وصادق مجلس الاعيان والمبعوثان على نظاماتها الداخلية ووضعت في موقع الاجراء وقد يوجد فيما بين لوائح القوانين التي هيأتها شورى الدولة لوائح مهمة متعلقة بقوانين أصول حقوق المحاكمة والانتخابات العمومية ووظائف وكلاء الدولة ومجالسهم وقانون الديوان العالي وديوان المحاسبات فقصارى ما أدعوكم لامالة نظر اهتمامكم اليه انما هو المذاكرة على هذه اللوائح بافرادها وحل بعض المسائل المختلفة المتعلقة بقوانين الولايات والمطبوعات والاموال الاميرية والادارة العرفية اللواتي جرى عليها البحث في الاجتماع السابق والمذاكرة كذلك على قانون ميزانية واردات

ومصاريف السنة الآتية

أما عدم تنامي دولتنا الاصلاحات الداخلية في مثل هذا الزمان المشغولة فيه بحرب عظيمة أقيمه كدليل فعلي على نوايانا بالترقي

﴿يا أيها المبعوثان﴾

ان ايجاد الحقائق في المسائل القانونية والسياسية وتأمين منافع البلاد يتوقفان على تعاطي أرباب المشورة أفكارهم بالحرية التامة وبما ان القانون الاساسي يأمركم بذلك فلا أرى احتياجا لامر أو لترغيب آخر

أما مناسبات تنامع الدول المتحابة فهي جارية على صورة اخلاص هذا ونسأل الحق جل وعلا ان يجعل مساعينا مقرونة بتوفيقاته اهـ

وفي ١٧ ذي الحجة من السنة المذكورة قدم نواب الامة عريضة شكر على الخطاب السلطاني المذكور ولبلاغته وأهمية ما جاء به من الافكار العالية والآراء الصائبة الدالة على المحبة والاخلاص الوطني بين جميع الطوائف على اختلاف أجناسهم وأديانهم أتينا على ترجمته نقلا عن مجموعة الجوائب

﴿ترجمة مضبطة التشكر التي قدمها أعضاء مجلس المبعوثان الى الحضرة﴾
﴿السلطانية جوابا عن نطقها وذلك في ١٧ ذي الحجة سنة ١٢٩٤﴾

نسأل المولى خير الناصرين ان يثبت الحضرة الملوكية على سرير العدل مع التوفيق وعلو الشأن وطول العمر وكمال الصحة والعافية فنطق تلك الحضرة في أثناء رسم افتتاح المجلس العمومي اللازم اجتماعه في هذه السنة على حسب حكم القانون الاساسي الذي هو فرمان حرية العثمانيين وبرهان صلاحهم وسلامتهم المتلو يوم الخميس ابتداء كانون الاول الموافق ٧ ذي الحجة سنة ١٢٩٤ في حضور الحضرة الملوكية صار سماعه من هيئة المبعوثان بغاية الدقة والتأمل ولما كان من النعم الكبرى تمثل المبعوثان في حضور الحضرة السامية وصدور الاوامر من جنابه العالي بالمحظوظية من رؤياه المبعوثان حصل لعموم تبعة العثمانيين مزيد السرور

مع الفخر والشرف ومن الوجوب المثابرة على محافظة الحقوق العثمانية المشروعة
بمناسبة المحاربة التي فتحها الروس في هذه الاحوال الحاضرة فانها واجبة بالطبع
لكل دولة وملة ولاسيما قد اشتدت مشاكل الحرب باعلان البغي والخصام من قسم
من التبعة العثمانيين الغير المسلمين الذين هم في غاية الراحة وسعادة الحال من كل
وجوه منذ أعصار مضت فانهم حائزون حقوقهم ومذاهبهم وألسنتهم ونائلون
المساعدات والمساواة عموما على الدوام خصوصا أهالي المملكتين فانهم في أعلى
درجات متميزون بامتيازات واسعة مخصوصة ومافعلته الروسية وأرباب البغي
التابعون لها في أثناء ذلك من أنواع الغدر والمظالم المحمرة للقلوب في حق كثير من
أولاد الوطن هو من الشقاوة المخالفة للحرية والحقوق الملية والقواعد الانسانية
والمدنية وحيث ان محافظة الدولة وحماية حقوق الملة وحماية استقلال المملكة على
هذه الحالة الحاضرة موكول لعهدة الحضرة السلطانية ولازم لها على كل حال وكانت
المسئلة محتاجة للدقة فوق العادة والمسارعة في التدابير العاجلة من كل نوع بلا اضاعة
وقت نقول ان جميع العثمانيين متحدو الافكار في معرفة ان المبادرة في اجراء مقتضى
الارادة الملوكية التي تصدر في هذا الباب بغاية السرعة هي من الوجوب وقد
تجاسروا على بذل أرواحهم في سبيل المدافعة عن الوطن والملة في هذه الحرب زيادة
عن الطاعة فما أبرزوه بمقتضى وظائفهم المرتبة عليهم من آثار الخدمة والغيرة قد
استحسن لدى الدولة السنية وكان ذلك موجبا لزيادة اشتياقهم واهتمامهم اضعافا
مضاعفة لان ما بدا منهم من البسالة ضد الروسية حير أفكار الجميع واغناء الهمم
التي يقر بها جميع العالم من كل وجه مقرون باليمن وهو لا يكون لو دارت على حقها
التدابير السياسية والعسكرية والوسائط الاجرائية على حسب ما أبرزه مولانا
المعظم وتبعته الشاهانية من كل وجه وحيث ان تشكيل العساكر الملكية من المواد
المهمة الواجبة أساسا فقد تشكر عموم تبعة الدولة العثمانية لما صدرت به الارادة
السنية في هذا الباب وستصير المبادرة في المذاكرة في هذا الامر الى ان يرد قانون
اللوائح المختص بكيفية استخدام صنوف سائر العسكرية من الاهالي غير المسلمين على
مقتضى أحكام القانون الاساسي فعدم كمال اجراء نفوذ أحكام هذا القانون والتوفيق

لابقاء الاصلاحات المهمة كاصلاح أحوال أمور المالية وحصول سعادتها وتقسيم الويركو وتحصيله وتنظيم المحاكم واصلاح الاوقاف وتسهيل تصرفات الاراضي وتشكيلات النواحي وانتخاب المأمورين وتنظيمات الضبطية والوظائف التي حالت بينها الغوائل الحاضرة من الحالات التي توجب الاسف ومن المسلم ان حضرة مولانا المعظم لم يؤخر آثار نظره في الاصلاحات الداخلية مع هذه الغوائل العظمى كما هو مشاهد من نياته الحسنة وأفكاره الخالصة ونلتمس من الالطاف الالهية دفع هذه الغوائل الحاضرة بعناية التوجهات الملوكية واتحاد عموم العثمانيين واقدامهم وغيرتهم على حسب وظائفهم ومما هو غني عن البيان انه سيصير الاجتهاد في التدقيق والمذاكرات في القوانين واللوائح الموعود باحالتها على هيئة المبعوثان الموجبة لعمار الملك ورفاهية أهله والتدقيق في حل المسائل المختلفة في بعض القوانين واللوائح التي بقيت من الاجتماع السابق وعموم الملة ناظرون الى حضرة مولانا المعظم بنظر الاعتبار حيث رخص في ارادته السنية بهيئة المبعوثان الترخيص التام فيما هم مأمورون به في القانون الاساسي من اتخاذ أفكارهم بالحرية التامة في المسائل القانونية والسياسية مع تجديد المساعدة في ذلك وهم سيشرعون في اتخاذ الافكار بغاية الدقة والحرية التامة في الخصوصيات المتعلقة بحالنا واستقبالنا ومن المعلوم ان جريان المناسبات مع الدول المتحابة بصورة خالصة مما يوجب التشكر وقد بادرت هيئة المبعوثان باداء ما وجب عليها من ايفاء مراسم التشكر ليكون في احاطة الحضرة المعظمة الملوكية والامر في كل حال لحضرة سيدنا ومولانا المعظم اهـ

واستمر اجتماع مجلس النواب العثماني الى أن قرر السلطان بالاتحاد مع جميع أعيان الدولة وجوب ارجاء اجتماعه لاجل غير محدد لعدم ملاءمة الظروف لوجوده وأعلن ذلك رسميا اليه في يوم ١٤ فبراير سنة ١٨٧٨ وعقب فضه ضبط كثير من أعضائه ونفوا خارج البلاد بسبب تنديدهم بأعمال الحكومة واعتراضهم على اجرآتها ولم يجتمع بعد ذلك الى الآن

أما الوزارات فتعاقبت بسرعة غريبة مع ان الحكمة كانت تقضي بعدم تغييرها

وبقاء الوزراء فى مناصبهم فى مثل هذه الظروف الخطيرة ففى ٧ محرم سنة ١٢٩٥ عزل أدهم باشا وعين مكانه أحمد حمدى باشا واستبدل أغلب النظار (الوكلاء) بغيرهم وفى غرة صفر من السنة المذكورة أى بعد ذلك بثلاثة وعشرين يوما ألغى لقب الصدر الاعظم واستبدل بلقب رئيس الوكلاء ووجه هذا المنصب الى أحمد وفيق باشا الذى كان ناظر المعارف فى الوزارة السابقة

وفى ١٥ ربيع الثانى سنة ١٢٩٥ الموافق ١٨ ابريل سنة ١٨٧٨ ولى الصادق محمد باشا مسند رئاسة الوكلاء

وفى ٢٧ جمادى الاولى الموافق ٣٠ ماى ألغى لقب رئيس الوكلاء وأعيد لقب الصدر الاعظم وأسند الى محمد رشدى باشا الملقب بالمترجم الذى تقلد هذا المنصب أكثر من مرة ولم يلبث فى هذا المنصب الا ستة أيام وعزل فى ٤ جمادى الاخيرة الموافق ٥ يونيه وعين مكانه صفوت باشا الذى كان وزير الخارجية أثناء انعقاد مؤتمر الاستانة قبل اعلان الحرب من الروسيا واستمر هذا الوزير متقلدا منصب الصدارة العظمى الى دسمبر سنة ١٨٧٨ حيث أحيل هذا المنصب الى عهدة خير الدين باشا

﴿حادثة جراغان وحريق الباب العالى﴾

فى يوم ١٧ جمادى الاولى الموافق ٢٩ ماو حصلت بالاستانة حادثة كادت تكون سببا لدخول عساكر الروس اليها واحتلالها عسكريا وذلك ان شخصا يدعى على سعاوى أفندى بخارى الاصل أتى الى الاستانة لطلب العلم وتحصل على نصيب وافر من العلوم العربية حتى صار على جانب عظيم من الفصاحة فى الانشاد والخطابة لكنه كان ميالا الى اثارة الفتن والقاء الدسائس فنفى أولا سنة ١٢٨٧ (١٨٦٧) ومكث خارجا عن البلاد تسع سنوات ثم عاد الى الاستانة بسعى مدحت باشا وعين ناظرا على المكتب السلطانى الذى يتعلم فيه أولاد جلالة مولانا السلطان عبد الحميد ثم عزل لعدم تحسن أحواله وتداخله فى الامور السياسية وبعد عزله أخذ يدبر فى طريقة لاثارة فتنة فى الاستانة لعزل السلطان عبد الحميد واعادة

السلطان مراد الى عرش الخلافة وانتهز لذلك فرصة اشتغال الدولة بالمخابرات السياسية واضطراب الافكار بسبب احتلال الروس لضواحى الاستانة ووجود نحو ١٥٠٠٠٠ ألف نفس من المسلمين المهاجرين من البلاد التى وطئتها عساكر الروسيا وخيولها ومنهم من هو غير راض عن الحالة الحاضرة واتفق مع نحو مائتين منهم على تنفيذ ما يكنه صدره من الفتن واجتمعوا فى اليوم المذكور قبل الظهر وانقسموا الى قسمين القسم الاول منهم قصد سراية چراغان من جهة البحر تحت رئاسة زعيم يقال له صالح بك والثانى تحت رئاسة على سعاوى أفندى من جهة البر وكانوا جميعهم متزيين بزى المهاجرين ثم اجتمع القسمان عند باب السراية وحاولوا الدخول فيها فمنعهم الحارس فقتلوه ودخلوا السراية وصاروا يفتشون على السلطان مراد حتى عثروا عليه فى حجرته وسلمه سعاوى أفندى طبنجة

وفى أثناء ذلك أتت فرقة من الجنود من سراى يلدز المقيم بها السلطان عبد الحميد وحاصرت الثائرين من جهة البر كما حاصرتها قوارب المراكب البحرية من جهة البحر ولم يمض الا قليل حتى قتل الجند جميع من دخل السراية من الثائرين وفى مقدمتهم رئيس العصابة على سعاوى وبعد اطفاء هذه الفتنة والقبض على من بقى حيا منهم نقل السلطان مراد وعائلته الى قصر داخل ضمن سراى يلدز العامرة وبذلك هدأت الافكار وعادت الناس الى فتح دكاكينهم بعد ان أغلقوها وأمنت الدولة امتداد الفتنة ودخول عساكر الروسيا الى الاستانة بدعوى حماية من بها من المسيحيين

وبعد ذلك بثلاثة أيام أى فى يوم ٣٠ جمادى الاولى الموافق ٢٣ مايو التهمت النيران جزأ عظيما من الباب العالى نفسه وأحرقت دائرة شورى الدولة وتوابعها ودائرة الاحكام العدلية والتشريفات والداخلية وغيرها مع جميع ما فيها من الامتعة والفروشات والاوراق الرسمية

ومن المظنون ان هذا الحريق لم يكن الا بفعل أرباب الثورة انتقاما مما أصابهم من الخذلان فى حادثة چراغان

(معاهدة

﴿ معاهدة سان اسطفانوس الرقيمة ٣ مارس سنة ١٨٧٨ ﴾

هــــذا ولنرجع الى مخابرات الصلح فنقول ان بعـد امضاء الهدنة ومقدمات الصلح فى أدرنه ووصول المراكب الانكليزية الى مياه الاستانة خوفا من احتلال الروس لها طلب القائد الروسى من الدولة ادخال بعض أورط من المشاة بالاستانة وكتب البرنس غورشاكوف بذلك الى جميع سفراء دولتـه لدى الدول العظمى فى ١٠ فبراير قائلا انه من حيث ان انكلترا أدخلت بعض مراكبها فى البوسفور لحماية رعاياها وحذت هذا الحذو بعض الدول الاخرى فطلبت من الباب العالى التصريح لمراكبها بالدخول فالروسيا لا ترى بدا من ارسال جزء من جيوشها المعسكرة حول الاستانة الى داخل المدينة لحماية جميع المسيحيين فاضطربت انكلترا لهذا البلاغ وكتبت الى سفيرها بسان بطرسبورج تحتج ضـد هذا الطلب مبينة ان لا تشابه بين ارسال السفن الانكليزية الى البوسفور واحتلال الاستانة عسكريا بواسطة الجيش الروسى وكلفته ان يخبر حكومة الروسيا بأنها لا تسمح مطلقا باحتلال الاستانة وانه لو دخلت العساكر الروسية اليها تكون مسؤلة عما ينجم عن ذلك من الاخطار ولما وصلت هذه الرسالة الى مسامع البرنس غورشاكوف أحجم عن مشروعه وبعد مخابرات طويلة قال انه لا يدخل عساكره الى الاستانة الا لو انزلت انكلترا بعض عساكرها الى البر ومادامت دولة الملكة لا ترغب ذلك فلا خوف على الاستانة من احتلال الروس وبذلك انتهى هذا الاشكال وبقيت الجنود الروسية معسكرة خارج المدينـة لا تتعدى الحدود التى رسمت لها بمقتضى اتفاقية ٣١ يناير الماضى

وفى اثناء ذلك ابتـدأت المخابرات بين الباب العالى والغراندوك نيقولا الذى عاد من سان بطرسبورج بمدينـة ادرنه للوصول الى الصلح النهائى وعينت الدولة كلا من صفوت باشا الذى أعيـد فى غضون ذلك الى نظارة الخارجيـة وسعد الله بك سفيرها الذى امبراطور ألمانيا ببرلين لكن قبل وصولهما الى ادرنه كان توجه اليها نامق باشا ليطلب من الغراندوك عدم دخول الجيوش الروسية الى الاستانة خوفا من حصول اضطراب بها يفضى الى الحرب بداخلها وتدميرها ايماء ان المسلمين لا يمكنهم

رؤية الاستانة فى أيديهم بدون ان يتركوا السكون ويعولوا على الدفاع عنها الى آخر رمقة من حياتهم فاظهر له الغراندوك بعض الصعوبات مع علمه بالمخابرات المتداولة بين الروسيا وانكلترا بهذا الشأن وأخيرا قبل عدم احتلال الاستانة بشرط ان تحتل مقدمة الجيش الروسى خط بيوك چكمجه وكوچك چكمجه من ضواحى الاستانة وان تنسحب العساكر العثمانية الى ماوراء هذا الخط وان ينقل مركز المخابرات من مدينة أدرنه الى قرية سان اسطفانوس الواقعة على بحر مرمره فقبلت الدولة هذين الشرطين منعا لاحتلال الاستانة وفى ٢٤ فبراير سافر الغراندوك الى هذه القرية التى علم اسمها فى جميع العالم ولم تكن قبل ذلك شيأ مذكورا وصحبه اليها نحو ألف جندى بصفة حرس ولم يلبث هذا القدر ان أخذ فى الازدياد بتوارد عدة ألايات حتى بلغ من بها نحو عشرين ألف مقاتل بدون ان يكون للدولة سبيل لمنعهم

ثم ان المندوبين العثمانيين أتيا الى سان اسطفانوس وابتدأت المداولات بينهم وبين الجنرال اغناتيف الذى انتدبته الروسية لهذه الغاية وبعد عدة اجتماعات أخبرهما المندوب الروسى بوجوب التصديق على الشروط المتقدمة منه قبل يوم ٣ مارث سنة ١٨٧٨ الموافق عيد جلالة القيصر كما هى رغبة الغراندوك والا فتبطل الهدنة وتتقدم العساكر الروسية الى الاستانة ولذلك لم يتيسر للمندوبين العثمانيين أن يفحصا ماجاء فى هذه الشروط فحصا مدققا لضيق الوقت ولتهديد الجنرال اغناتيف لهم بقطع العلاقات وسوق العساكر عند أدنى معارضة تبدو منهما وفى يوم ٣ مارث جمع الغراندوك عساكره الموجودة بسان اسطفانوس للاستعراض احتفالا بعيد الامبراطور ولما أتت الساعة العاشرة صباحا ولم يأت اليه خبر امضاء المعاهدة توجه الى قاعة اجتماع المندوبين وطلب منهم التصديق عليها فى هذا اليوم والا فتسير العساكر المنتظمة للاستعراض نحو الاستانة فى مساء اليوم المذكور فاضطر المندوبان العثمانيان الى التوقيع عليها بدون حصول مداولة فى كثير من بنودها وفى الساعة الخامسة مساء خرج الجنرال اغناتيف ومعه صورة المعاهدة ممضاة من مندوبى الدولة الى الغراندوك وكان واقفا أمام الجيوش تحف به أركان حربه وسلمه الصورة فصاح الجند صيحة الاستبشار وأقام لهم أحد القسوس صلاة حافلة

فى

فى ميدان الاستعراض نزل فى أثنائها جميع القواد والضباط عن ظهور خيولهم وجثوا على الارض هم وجميع الجنود شكرا لله على هذا الفوز الغير منتظر ومن غريب ما يحكى عن الجنرال اغناتيف انه طلب فى ٣ مارث المذكور أن يضاف الى الشروط بند يقضى بأن الدولة العلية تكون ملزمة بالدفاع عن صالح الروسيا لو تشبثت الدول فى عقد مؤتمر لتحوير هذا الصلح فرفض المندوبان العثمانيان هذا الطلب بعد ان كتبا بذلك تلغرافيا الى الباب العالى وأتاهما الجواب بالرفض وبذلك تم الصلح وفى مساء ذلك اليوم كتب جلالة السلطان تلغرافا الى القيصر يهنئه بعيده وورد اليه الرد من القيصر بالشكر والثناء والدعاء باستمرار المحبة والاتحاد بين الدولتين وهاك نص معاهدة سان استفانوس نقلا عن منتخبات الجوائب

﴿ ترجمة شروط الصلح التى أمضيت بين مرخصى الباب العالى ومرخصى ﴾
﴿ قيصر الروسية تحت عنوان مقدمة شروط الصلح وذلك فى ٣ ﴾
﴿ مارث الموافق ٢٨ صفر سنة ١٢٩٥ ﴾

ان حضرة قيصر الروسية وحضرة سلطان المملكة العثمانية قد عين كل منهما مرخصين لاجل تقرير وعقد مقدمات الصلح رغبة فى تأمين بلادهما ورعاياهما من وقوع ما يخل بالراحة والامنية فيما بعد وطلبا لحصول فوائد المسالمة والراحة العمومية حالا فالمرخصان اللذان نصبهما القيصر أحدهما الكونت نقولا اغناتيف وهو حائز رتبة أمير اللواء وياور القيصر ومن أعضاء المجلس الخصوصى وعنده نيشان روسى مرصع وهو نيشان (صان علكساندر نويسكى) ونياشين أجنبية متعددة والمرخص الآخر موسيو نليدوف من قرناء الدائرة الامبراطورية ومن أعضاء شورى الدولة وعنده نيشان (صانت ان) من الطبقة الاولى مع السيوف المختصة بموعدة من النياشين الروسية والاجنبية والمرخصان اللذان عينهما حضرة السلطان أحدهما صفوت باشا ناظر الامور الخارجية الحامل النيشان العثمانى المرصع والنيشان المجيدى كلاهما من الطبقة الاولى والنياشين الاجنبية المتنوعة والثانى سعد الله بك سفير الدولة العلية فى مركز امبراطورية آلمانيا وهو حامل

النيشان المجيدى من الطبقة الاولى والنيشان العثمانى من الطبقة الثانية فهؤلاء المرخصون من بعد ان اطلعوا على المحررات الرسمية المتعلقة بكيفية ترخيصهم ووجدوها مطابقة للاصول والعادة قرروا المواد الآتى ذكرها فيما بينهم

﴿المادة الاولى﴾ انه بموجب الخريطة المربوطة بهذه المعاهدة وبمقتضى الشروط والوجوه الآتى ذكرها تقرر تصحيح حدود ممالك الدولة العلية والجبل الاسود وذلك لاجل انهاء المنازعات والمصادمات المتتابعة الوقوع فيما بينهما فالحدود تمتد من جبل (دو بروزيجه) على الوجه الذى عينه المؤتمر الذى كان عقد فى الاستانة الى (غوريتو) و (بيلكه) والحد الجديد يستطيل الى (غاچقه) وعلى هذا (متوتركيا غاچقو) تبقى فى تصرف الجبل الاسود وتمتد الحدود أيضا من مجمع أنهر (پيوه) و (تاره) وتمر من نهر (درين) الى جهة الشمال وتنتهى الى مجمع هذا النهر مع النهر المسمى (فيم) وأما حدود الجبل المذكور الشرقية فتبتدئ من نهر (فيم) الى (پريرة بولره) ومن (روستراق) الى (سوق پلانينا) و بيهور وروستراق تبقيان داخل الجبل فعلى ذلك يكون تخطيط الحدود هكذا أعنى من الجبال المتسلسلة الجامعة لروغوه و (پلاوا) و (كوزنرة) الى (شلب پاقلنى) ومن رؤس جبال (قوپر يونيق) و (باباور) و (بورور) حذاء حدود بلاد الارناؤوط الى أعلى ذروة جبل (پروقلتى) ومن هذه النقطة الى كثيب (بيسقاشيق) وينتهى الحد على الخط المستقيم الى عين الماء فى (جيسنى هونى) ويفصل فيما بين جيسنى هوتى و (جيسنى قاسترانى) ويتجاوز ماء (اشقودره) الى ان ينتهى لنهر (بويانه) وهكذا مع النهر الى مصبه فى البحر وبموجب ذلك تبقى نكسيك وغاچقه واشپوزى و بودغوريجه وزابلياق و بار ضمن الجبل المذكور وقد يصير تعيين حدود امارة الجبل قطعيا بمعرفة لجنة مركبة من بعض مأمورى دول أوروپا بشرط ان تكون وكلاء الباب العالى والجبل معهم أيضا فهذه اللجنة تلاحظ منافع الطرفين وأمنية البلاد الكائنة فى الجهتين ثم تشير فى الخريطة الى التعديلات التى ترى لها لزوما وتعلم انها هى الحق وتوضح فى ذلك ما رأته من صالح الجهتين ثم لا يخفى ان أمر سير السفن فى نهر بويانه لم يزل يجلب النزاع فيما بين الباب العالى والجبل الاسود فلاجل قطع هذا النزاع

سيصير

سيصير تحرير تطام ذلك بمعرفة اللجنة المذكورة

﴿المادة الثانية﴾ ان الباب العالى يثبت استقلال امارة الجبل الاسود على الوجه القطعى ثم فيما يأتى تتقرر فيما بين دولة الروسية والدولة العلية والامارة المذكورة كيفية المناسبات التى ستكون بين الباب العالى والجبل وقضية تعيين وكلاء من طرف الامارة فى الاستانة والبلاد العثمانية المقتضية ويتقرر أيضا أمر اعادة أرباب الجنايات الذين يفرون من بلاد الدولة العلية الى الجبل ومن الجبل الى بلاد الدولة وأمر اطاعة أهل الجبل المقيمين أو المارين فى بلاد لدولة العلية وانقيادهم الى نظامات ومأمورى الدولة طبق الحقوق الجارية بين الدول والعادات والمعاملات القديمة التى كانت تجرى بحقهم فى بلاد الدولة وستنعقد أيضا مقاولة فيما بين الباب العالى والجبل الاسود لاجل توضيح وتنظيم المسائل المتعلقة بالانشاآت العسكرية فى قرب الحدود وأحوال ومناسبات الاهالى المتجاورة هنالك واذا اختلف الباب العالى مع الجبل فى بعض مسائل ولم يمكن فصلها باتفاقهما فتحكم بينهما دولتا الروسية واوستريا ومن بعد هذه المعاهدة اذا وقعت مباحثة أو مصادمة فيما بين الباب العالى والجبل ماعدا المطاليب الملكية الجديدة ينبغى ان يفوضا أمرها الى دولتى الروسية واوستريا وهما باتفاقهما يفصلانها بينهما وقد تقرر انه من بعد امضاء مقدمات الصلح الى عشرة أيام يجب على عساكر الجبل الاسود ان تخرج من البلاد الغير الداخلة فى ضمن الحدود المذكورة أعلاه

﴿المادة الثالثة﴾ ان امارة الصرب تكون مستقلة ويكون حدها بموجب الخريطة المربوطة لهذه المعاهدة مجرى نهر (درين) وتبقى (كوجك ازورنيق) و(سقار) فى ادارة الصرب ويمتد هذا الحد الى منبع نهر (رازوه) الكائن جوار (استايلاق) على حسب الحدود القديمة وتبتدئ الحدود الجديدة من هنا أعنى مع مجرى نهر (رزوه) الى نهر (راسقه) ومنه الى (يكى بازار) ومن يكى بازار يصعد الخط الفاصل ويمر من جوار قريتى (مهنتره) و(ارغويج) الى أعلى النهر المذكور حتى ينتهى الى منبعه ويمتد الى (بوسور بلاتينا) الكائنة فى وادى (ايبار) وينزل مع الماء الجارى الذى يصب فى النهر المذكور ومنه يسير مع نهر (ايبار) و(سيديج)

و(لاب) الى منبع نهر (يانتسه) الكائن في جبل (غراپاشيتجه بلانينا) وبعدها يمر من التلال الفاصلة بين نهري (قربوه) و(تريتجه) ومن أقصر الطرق الموجودة على مصب نهر (ميو واجقه) حتى ينتهي أيضا الى نهر (ويرنجه) ويسير مع هذا النهر ويقطع ميو واجقه وبلانينا ويصل الى جهة مو راوه في قرب قرية (قاليمانس) ومن هنا يسير الى قرب قرية (استابقوجى) ويجتمع هنالك مع نهر (بلوسينه) وهكذا مع النهر الى مو راوه ويمتد من النهر الى جهة فوق حتى يصل الى (قوتقاويجه) ويقطع (سوق پلانينا) ويجتمع بنهر (نيساوه) ويتصل بقرية (قرونراج) ومنها يمر من أقصر الطرق ويمتد على حدود الصرب القديمة الى جنوب شرق (قره ول بور) وعلى هذا الخط يتصل بنهر الطونه وتقرر اخلاء (اطه قلعه) وهذه مهاو ترتيب لجنة مركبة من مأموري الدولة العلية والصرب لاجل تعيين خط الحدود على الوجه القطعي في برهة ثلاثة أشهر ويكون ذلك بمعاونة مأمورين من طرف دولة الروسية وهذه اللجنة تفصل أيضا المسائل المتعلقة بجزائر نهر (درين) وتقطعها وحينما تبتدئ هذه اللجنة بتعيين الحدود الفاصلة بين بلاد الصرب والصقالبة ينبغي ان يكون وكيل واحد من طرف الصقالبة يشترك معهم في هذا الامر

﴿المادة الرابعة﴾ ان المسلمين الذين لهم أملاك في البلاد التي صارا الحاقها بالصرب اذا لم يريدوا الاقامة هنالك فلهم الخيار ان أحبوا أجروا أملاكهم وان احبوا اقاموا وكلاء من طرفهم لاجل حفظها واستغلالها والمسائل المتعلقة باموالهم الغير المنقولة تفصلها لجنة مركبة من مأموري الدولة العلية والصرب باعانة مأمورين من طرف دولة الروسية في ظرف سنتين وهذه اللجنة تفصل أيضا في برهة ثلاث سنين أمر فراغ الاملاك الميرية والموقوفة والمسائل المتعلقة ببعض الاشخاص الذين لهم علاقة ونفع في الاملاك المذكورة وذلك يكون عقب انعقاد المعاهدة فيما بين الدولة العلية والصرب والاناس المقيمون أو الذين يجولون في بلاد الدولة العلية من تبعة الصرب تكون المعاملة معهم على القواعد الكلية بمقتضى الحقوق الكائنة بين الدول وقد تقرر انه من بعد امضاء مقدمات الصلح الى خمسة عشر يوما يجب على عساكر الصرب ان تخرج من البلاد التي ليست داخلة في ضمن الحدود المذكورة اعلاه

(المادة

﴿المادة الخامسة﴾ ان الباب العالى قد اثبت استقلال رومانيا اعنى المملكتين ولها ان تطلب من الدولة العلية تضمينات الحرب وتجرى المذاكرة بهذا الشأن فيما بينهما وعند ما تنعقد المعاهدة بين الدولة العلية ورومانيا رأسا تنال تبعة رومانيا الامن والامتياز طبق تبعة دول أوروبا

﴿المادة السادسة﴾ تقرر ان تكون البلغارستان أعنى بلاد الصقالبة امارة مختارة فى ادارتها تدفع مبلغا معلوما الى الدولة العلية و يكون مأمورو الحكومة والعساكر الملية من المسيحيين و يصير تعيين حدودها على الوجه القطعى بمعرفة لجنة مركبة من مأمورى الدولة العلية والروسية وذلك قبل خروج عساكر الروسية من الروم ايلى وهذه اللجنة تبين هنالك فى الخريطة التعديلات التى ينبغى اجراؤها وتلاحظ مليةً أكثر الاهالى وتوضح المنافع المحلية تطبيقا لفن تخصيص الاراضى وتقرر تعيين وتبيين مقدار اتساع ملك الصقالبة فى خريطة و جعلها أساسا فى قطع الحدود وخط الحدود يبتدئ من حدود الصرب الجديدة ومن غرب (ورانثره) الى سلسلة الجبل الاسود ومن جهة الغرب يمر من غرب (قومانوه) و (قوچانى) و (قلقاندلن) الى جبل (قوارب) ومن هنالك يمر من نهر (و بوجيجه) الى دربنه و يلتفت الى جهة الجنوب الى حدود غرب قضاء (أخرى) حتى ينتهى الى جبل (ليناس) ومنه يمر من غربى كوريجه واستاوره و يتصل بجبل (غراموس) وكذلك يمر من ماء (فاستريا) و يلتصق بنهر (موغلينجه) و يسير مع النهر الى (ينكيجه) ويمر عن نهر (واراديكيجه) ومن مصب نهر (واردار) وقرية (غاليقو) الى قراء (بارغه) و (صارى كوى) وهنالك يمر من وسط عين الماء المعبر عنه (بشيك كل) الى مصب نهرى (استروما) و (قره صو) ومن السواحل (الى بوروكل) و يمتد الى الشمال الغربى و يمر من سلسلة جبل (رودوب) الى جبلى (چالتپه) و (أوشوه) و يمر من جبال (اشك قولاج) و (چيپليون) و (قره قولاس) و (چيقلر) الى نهر (ارده) و يلتفت لجهة الجنوب و يمر من قراء سوكوتلى وقره حمزه وارناد كوى واقارجى وايبجه الى (تكه دره سى) فى قرب (ادرنه) ومن (تكه دره سى) و (چورلى دره سى) الى (لوله برغوسى) ومن هنا وعن نهر (صوجق دره) الى قرية (سوركن) ومنها من التلال

ويقطع (حكيم طابيه سى) حتى يتصل فى ساحل البحر الاسود ويبتدئ أيضا من (منقالية) ويترك السواحل ويمر من شمال حدود لواء طولجى ومن فرق راسوه الى نهر الطونه

﴿المادة السابعة﴾ ان أمير الصقالبة يصير انتخابه من طرف الاهالى بالحرية التامة والباب العالى يثبته بانضمام آراء الدول ولا يجوز انتخاب أحد من أقارب دول أوروبا الجالسين على سرير الملك للامارة المذكورة وحيثما تنحل الامارة كذلك يكون انتخاب الامير الجديد على هذا المنوال وهاته الشروط وقد تقرر انه ينبغى من قبل انتخاب الاميران يجتمع مجلس معتبرى الصقالبة امافى (قلبه) واما فى (طرنوى) تحت نظارة مأمورين من طرف الروسية وفى حضور مأمورين من طرف الدولة العلية وتؤسس نظامات هذه الادارة المستقلة توفيقا لامثالها أعنى لنظامات المملكتين التى تنظمت فى سنة ١٨٣٠ غب انعقاد مصالحة (ادرنه) وعند تأسيس تلك النظامات ستصير وقاية حقوق ومنافع الاهالى من المسلمين والروم والافلاخ وغيرهم الموجودين والمختلطين مع الصقالبة وتقرر أيضا احالة تأسيس هذه الادارة الجديدة فى البلغارستان مع مايلزم من النظر فى صور اجرائها لعهدة مأمورين موظفين من طرف دولة الروسية من هنا الى سنتين وفى انقضاء السنة الاولى من تأسيس الادارة الجديدة اذا لم يحصل اتفاق بهذا الشان فيما بين الروسية والباب العالى ودول أوروبا يكون للدول المشار اليهم حق ان يوظفوا مأمورين برفق مأمورين الروسية

﴿المادة الثامنة﴾ ليس لعساكر الدولة العثمانية حق بعد هذا الاقامة فى البلغارستان وسيصير هدم القلاع القديمة الكائنة هناك بمعرفة الحكومة المحلية وان الباب العالى له حق ان يتصرف بالادوات الحربية الموجودة فى قلاع الطونة التى صار اخلاؤها من العساكر بموجب سند المتاركة الذى تحرر فى ٣١ كانون الثانى والآلات الحربية الكائنة فى مدينتى شمنى ووارنه وجميع الاملاك المتعلقة بالحكومة العثمانية كيفما شاء وتبقى عساكر الروسية فى البلغارستان مقيمة الى ان ينتهى ترتيب العساكر الملية المحلية الكافية لحفظ الراحة وتوطيد الامنية

واذا

واذا اقتضت الحال يقومون فعلا باعانة المأمورين وسيصير تعيين عدد العساكر الملية بالاتفاق فيما بين الدولة العلية ودولة الروسية وان مدة اقامة عساكر الروسية في البلغارستان تكون سنتين والعساكر التي تبقى هناك بعد خروج جميع عساكر الروسيا من بلاد الدولة العلية تكون عبارة عن ست فرق مشاة وفرقتين خيالة وجميعها خمسون ألفا ومصروف هؤلاء العساكر يكون على بلاد الصقالبة ويكون لها طرق مراسلات في المملكتين في شطوط البحر الاسود من جهة وارنه وبرغوس وفي مدة اقامتها هناك يكون لها المخازن المقتضية على الشطوط المذكورة

﴿المادة التاسعة﴾ ان المرتب السنوي الذي يلزم على البلغارستان ايفاؤه للدولة العلية يتسلم الى البنك الذي يعينه الباب العالى وهذا البنك يصير تعيينه بمعرفة دولة الروسية والدولة العلية وسائر الدول وذلك في انتهاء السنة الاولى من ابتداء اجراء أصول الإدارة الجديدة ومقدار ذلك المرتب يتأسس بالنظر لايراد البلاد والاراضي التي تكون في ادارة الامارة على الحساب المتوسط والبلغارستان تتعهد بالقيام بالتعهد الذي على الدولة العلية الى شركة سكة الحديد في طريق وارنه وروسجق عقب المذاكرة مع الباب العالى وادارة الشركة المذكورة ومسألة سكة الحديد الاخرى الموجودة ضمن الامارة يصير فصلها بمعرفة الدولة العلية وحكومة الصقالبة وادارة الشركة

﴿المادة العاشرة﴾ ان الباب العالى له حق ان ينقل ويجلب عساكر ومهمات وذخائر من الطريق المعينة في داخل البلغارستان الى الايالات العثمانية التي وراء البلغارستان ولاجل عدم وقوع مشاكل في هذا الخصوص وتأمين الايجابات العسكرية العثمانية سيوضع نظام بالاتفاق مع الباب العالى والامارة من ابتداء تعاطى هذه المعاهدة الى ثلاثة أشهر في ذلك وهذا الحق المتعلق بالمرور والعبور يختص بالعساكر النظامية فقط دون الباشبوزوق والجراكس والعساكر المعاونة والباب العالى كذلك له ان يتعاطى البوسطة عن طريق الامارة ويستعمل مسالك التلغراف في تجارته فهذان الامران كذلك يصير تعيينهما وتنظيمهما في المدة والشروط المحررة أعلاه

﴿المادة الحادية عشرة﴾ ان المسلمين وغيرهم من أصحاب الاملاك اذا أرادوا الاقامة فى خارج الامارة لهم ان يحفظوا أملاكهم و يؤجروها أو يفوضوا أمر ادارتها الى من يريدونه ثم ان مأمور الدولة العلية ومأمور الصقالبة يجتمعان تحت نظارة مأمور الروسية و يفصلون المسائل المتعلقة بتصرف الاملاك وفى منافع مسلمى الصقالبة وذلك يكون فى ظرف سنتين والاملاك الميرية والموقوفة يصير تعيين أمرها اما بالبيع واما باستعمالها على الوجه الذى يكون فيه النفع الزائد لجهة الباب العالى و يصير تعيين ذلك بمعرفة لجان مخصوصة محدودة فى السنتين المذكورتين والاراضى التى تبقى بدون صاحب عند انقضاء السنتين يصير طرحها فى المزاد وتباع و يؤخذ ثمنها و يدفع الى ايتام وارامل المصابين فى الاحوال الاخيرة من المسلمين والمسيحيين

﴿المادة الثانية عشرة﴾ ان القلاع الكائنة على نهر الطونه يصير هدمها جميعا ولا يبقى من بعد هذا على سواحل الطونه قلعة ما مطلقا ولا يجوز وجود سفن حربية فى مياه رومانيا والصرب والصقالبة سوى السفن الصغيرة والفلوكات المختصة والمستعملة فى الامور الانضباطية فقط وحقوق و وظائف وامتيازات لجنة الطونه المختلطة تبقى بتمامها على أصلها

﴿المادة الثالثة عشرة﴾ ان الباب العالى يتعهد بتنظيف البحر فى مضيق (سنه) وارجاعه الى حاله السابق ليصلح لمرور السفن منه و يتعهد ان يضمن العطل والضرر الذى حصل للتجار بسبب منع مرور السفائن من نهر الطونه مدة الحرب وسيصير خصم ٥٠٠٫٠٠٠ فرنك من أصل دين لجنة الطونه الى الباب العالى لاجل هذا الامر

﴿المادة الرابعة عشرة﴾ ان الاصلاحات التى تبلغت الى مرخصى الباب العالى فى أول جلسة مؤتمر الاستانة ينبغى حالا وضعها فى موقع الاجرا فى بوسنه وهرسك مع التعديلات التى ستقرر فيما بين دولة الروسية واوستريا و يجب ان لا يطلب من هاتين الايالتين بقايا الاموال الميرية وان لا يؤخذ شىء من الواردات الى ابتداء شهر مارث سنة ١٨٨٠ بل تصرف كلها فى الاحتياجات المحلية و يسد بها عوز الاهالى

والعيال

والعيال الذين أصيبوا فى الاحوال الاخيرة ومن بعد انقضاء المدة المذكورة يتعين المبلغ الذى يلزم على الاهالى دفعه فى كل سنة الى الحكومة المركزية بالاتفاق فيما بين الدولة العلية ودولتى الروسية واوستريا

﴿المادة الخامسة عشرة﴾ يتعهد الباب العالى باجراء أحكام النظام الاساسى الذى وضع فى سنة ١٨٦٨ المختص بجزيرة كريد طبق مطلوب الاهالى الذى بينوه مقدما ويلزم اجراء الاصلاحات المماثلة لنظامات كريد فى (ترحالة) و(يانيه) وفى سائر جهات الروم ايلى التى ليس لها نظامات مخصوصة ويصير تشكيل لجنة مركبة من الاهالى المحلية فى كل ايالة لاجل ترتيب وتأليف النظامات الجديدة ثم يصير تقديمها الى الباب العالى والباب العالى يتذاكر مع دولة الروسية فى ذلك

﴿المادة السادسة عشرة﴾ ان خروج عساكر الروسية من الارمنستان وارجاع تلك البلاد الى الدولة العلية يمكن ان يفضى الى المناقشة والاختلاف فيما بينهما فلهذا يتعهد الباب العالى حالا باجراء الاصلاحات على حسب الاحتياجات المحلية فى الولايات التى سكانها ارمن وتأمين المسيحيين من تعدّى الاكراد والجراكسة

﴿المادة السابعة عشرة﴾ ان الباب العالى سيعلن العفو العمومى عن المتهمين فى الاحوال الاخيرة ويطلق سبيل المحبوسين والمنفيين بسبب ذلك

﴿المادة الثامنة عشرة﴾ ان الباب العالى يتعهد بالتبصر بعين الدقة الى ما بينه وكلاء الدول المتوسطة فى خصوص قضاء قوتور وتعيين الحدود الايرانية على الوجه القطعى

﴿المادة التاسعة عشرة﴾ ان مبالغ التضمينات الحربية التى طلبها حضرة قيصر الروسية هى فى مقابلة الاضرار والخسائر التى تكبدتها دولة الروسية بسبب هذه الحرب والباب العالى قد تعهد بدفعها فمن هاته المبالغ أولا ٩٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ روبل فى مقابلة مصروف العساكر والادوات الحربية والاشياء التى بليت وثانيا ٤٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ روبل لاجل الاضرار الحاصلة فى سواحل بلاد الروسية الجنوبية وفى اخراجات البضائع التجارية وفى طرق الحديد وثالثا ١٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ روبل بمقابلة الضرر الحاصل من الهجوم على قوقاس ورابعا ١٠ر٠٠٠ر٠٠٠

روبل لاجل الخسائر التي حصلت لتبعة الروسية المقيمين في الممالك العثمانية ولتأسيساتها فعلى ذلك تكون هذه المبالغ من حيث المجموع عبارة عن ١٤١٠٠٠٠٠٠ روبل (يعني ٢٤٥٢١٧٣٩١ ليرة عثمانية وريال مجيدي أبيض ونصف) هذا وان القيصر المشار اليه قد لاحظ ضيق حال الدولة العلية من جهة المال وتأمل في مقاصدها التي نوهت عنها في هذا الشأن ووافق بالقبول على ان تترك الدولة العلية الاراضي المحررة اسماؤها ادناه عوضا عن القسم الاكثر من المبالغ المذكورة

أولا لواء طوبلجي يعني قضاء كيليا وسنه ومحموديه وايساقجي وطوبلجي وماچين وباباطاغي وخرسوه وكوستنجه ومجيديه والجزائر الكائنة في نهر طونه قد تركتها الدولة العلية جميعا الآن الدولة الروسية ليس لها افكر بالحاق هاته البلاد الى ملكها بل انها تحفظ حق مبادلة هذه البلاد بقطعة بسارابيا التي أخذت منها بموجب معاهدة سنة ١٨٥٦ فحدود قطعة بسارابيا من جهة الجنوب بطرف من أراضي كيليا ومصب نهر الطونه والجهات التي يصطادون بها السمك في النهر يصير تفريقها بمعرفة مأمورين من طرف الروسية ومن حكومة المملكتين في برهة سنة واحدة اعتبارا من تاريخ تعاطي هذه المعاهدة

ثانيا اردهان وقارص وباطوم وبايزيد مع الاراضي الحاوية عليها الى جبل صوغانلي سيصير تسليمها الى دولة روسية وحينئذ الحدود الفاصلة تكون هكذا اعني يبتدئ الخط الفاصل من الجبال التي فيما بين المياه الجارية والمنصبة في نهري (هوبا) و (چورق) ويمر من الجبال المتسلسلة الواقعة في جنوب قضاء وارتوين ومن جوار قريتي (والات) و (بشاكت) ومن فوق (درونيك) و (كتي) و (هوجه زار) و (بجقين طاغ) ومن الجبال الفاصلة للمياه التي تختلط بنهري (تورقم) و (چورق) ومن فوق قراء (يالي) و (هين) و (لم كليسا) الى ان ينتهي لنهر تورتم ومن هنا يمر من سيوري طاغ ومن مضيق سيوري طاغ ويتصل بقرية نريمان ويلتفت الى وجهة الجنوب حتى يصل الى (زوين) ومن زوين يمر من غربي طريق اردوست خراسان الى جنوب جبل صوغانلي ويتصل بقرية (كيلجمان) ومنها يمر من جبل

(تريا) ومن قرية خمير ومن اون رست مسافه ومن تلال (طاندور) ومن جنوب وادي بايزيدو ينتهي في الجهة الجنوبية من (قازلى كول) وهذا المحل هو الحد الفاصل قديما فيما بين حدود أراضي الدولة العلية وأراضي دولة ايران وان الاراضي التي صار الحاقها بممالك الروسية ومذكورة في الخريطة المربوطة لهذه المعاهدة يصير تعيين حدودها قطعيا بمعرفة مأمور من طرف الروسية ومأمور من طرف الدولة العلية وهما يلاحظان قواعد تخطيط الاراضي وقضية تأمين حسن ادارة القضوات

ثالثا ان الاراضي التي صار تركها الدولة الروسية كما هو محرر أعلاه قد اعتبرت بمبلغ ١١٠٠٠٠٠٠٠ روبل وأما الباقي من التضمينات وهو ٣٠٠٠٠٠٠٠٠ روبل ماعدا ١٠٠٠٠٠٠٠ روبل التي هي في مقابلة خسائر تبعة الروسية وتأسيساتها استحقق دولة الروسية مع الدولة العلية على قضية دفعها وتأمين ايفائها

رابعا ان العشرة ملايين روبل التي تخصصت لتبعة الروسية ومؤسساتها يصير تسويتها هكذا أعني ان سفارة الروسية في الاستانة تجري التدقيقات اللازمة بهذا الشأن على مستدعيات أرباب العلاقة وتعرض الكيفية الى الباب العالى والباب العالى يجري التسوية على مقتضى عرض السفارة

﴿المادة العشرون﴾ ان الباب العالى يتعهد بان يستعمل التدابير المؤثرة سريعا في خصم الدعاوى المتنازع فيها منذ سنين عديدة المتعلقة بتبعة الروسية وانه اذا اقتضى الامر يدفع تضمينات وينفذ احكام الاعلامات

﴿المادة الحادية والعشرون﴾ ان أهالى البلاد التي تسلمت الى الروسية ان أرادوا الهجرة منها لهم ان يبيعوا أملاكهم وأراضيهم ويهاجروا وقد أعطى لهم مهلة في ذلك ثلاث سنين من تاريخ تعاطي هاته المعاهدة فالذين لا يبيعون أملاكهم في هذه المدة ولا يهاجرون يدخلون في حكم الروسية عند انقضاء تلك المدة والاملاك الميرية والموقوفة يصير بيعها على حسب الاصول التي يعينها مأمور الروسية ومأمور الدولة العلية في بحر السنين المذكورة وهما يتممان أيضا كيفية نقل الادوات الحربية الموجودة في المحلات التي هي الآن في يد الروس سواء كانت من البلاد التي تسلمت

الى دولة الروسية أو غيرها

﴿المادة الثانية والعشرون﴾ ان القسيسين والزوار الذين يسكنون أو يسيحون فى الممالك العثمانية فى الروم ايلى والاناطول من تبعة الروسية سينالون الحقوق والامتيازات التى ينالها القسيسون والزوار من تبعة سائر الدول سوية وسفارة الروسية الكائنة فى الاستانة وقناصلها يحمون حقوق الاشخاص المذكورة وذواتهم ومؤسساتهم والرهبان وغيرهم الموجودين فى الاماكن المقدسة وبالخصوص فى (اينوروز) فهم حائزون حقوقهم التى كانوا حائزين عليها فى السابق ويحفظون الديورة الثلاثة الكائنة فى (اينوروز) مع مشتملاتها المتعلقة بهم كسائر الديورة والمؤسسات المذهبية الكائنة لغيرهم هنالك سوية

﴿المادة الثالثة والعشرون﴾ ان المعاهدات والمقاولات التى كانت موجودة فيما بين الدولة العلية والروسية المتعلقة بالتجارة والمحاكمة وبتبعة الروسية المقيمين فى بلاد الدولة العلية وتعطلت أحكامها بسبب هذه الحرب ينبغى ان تجرى أحكامها كما فى السابق وان دولتى الروسية والعثمانية قد أعادوا المناسبات التى كانت قبل هذه الحرب فى الامور التجارية وغيرها بمقتضى أحكام المعاهدات والمقاولات المذكورة ماعدا المواد التى نسختها هاته المعاهدة

﴿المادة الرابعة والعشرون﴾ ان خليج الاستانة وخليج جناق قلعه سواء كان فى زمن الحرب أو زمن الصلح يكون مفتوحا للسفن التجارية التى تريد المرور منه الى بلاد الروسية من الدول التى تكون على الحيادة والباب العالى ليس له من بعد هذا ان يضع الحصر الغير المؤثر على الشطوط الموجودة فيما بين البحر الاسود وبحر الازاق والمخالف لمضمون معاهدة باريس التى صار امضاؤها فى ٤ ابريل سنة ١٨٥٦

﴿المادة الخامسة والعشرون﴾ ان عساكر الروس يخرجون من بلاد الدولة العلية الكائنة فى أوروبا (الروم ايلى) ماعدا البلغارستان وذلك من تاريخ انعقاد الصلح القطعى الى ثلاثة أشهر هذا وان العساكر المذكورة لهم ان يأتوا الاساكل الموجودة فى البحر الاسود وبحر مرمره عند السفر للركوب فى السفائن التى تحضرها أو تستأجرها دولة الروسية حتى لا يكونوا مجبورين على تمديد مدة الاقامة فى الممالك

العثمانية

العثمانية وفي رومانيا وأما خروج عساكر الروسية من الاناطول فيكون بعد انعقاد الصلح القطعي بستة أشهر ولهم ان يأتوا الى طرابزون لاجل الركوب في السفن ومن هنالك يسافرون الى القريم أو القوقاس

﴿المادة السادسة والعشرون﴾ ان أصول الادارة والاوامر التي وضعتها دولة الروسية في البلاد التي دخلتها عساكرها والتي ينبغي تسليمها الى الدولة العلية بموجب هاته المعاهدة تكون باقية وجارية الى حين توجه العساكر منها وليس للباب العالي المشاركة في الاحكام ولا للعساكر العثمانية الدخول اليها قبل ذلك بناء على هذا فان أمير عساكر الروسية يخبر الضابط الذي يعينه الباب العالي عن سفر عساكر الروسية وليس للباب العالي ان يجري الاحكام من قبل ان تتسلم له القلاع والايالات

﴿المادة السابعة والعشرون﴾ ان الباب العالي لا يجازي أحدا بسوء من تبعته الذين دخلوا في المناسبات مع دولة الروسية في زمن الحرب وليس لمأموري الدولة العلية ان تمنع أو توقف أحدا من الاهالي الذين يرغبون ان يسافروا مع العساكر

﴿المادة الثامنة والعشرون﴾ ان أسرى الحرب يصير ارجاعهم تحت نظارة مأمورين مرتبين من طرف الدولتين وذلك عقب تعاطي مقدمات الصلح وهؤلاء المأمورون يسافرون الى اودسه وسيواستابول وأما مصروف أسراء العساكر العثمانية فتدفعه الدولة العلية في ظرف ستة سنوات على ثمانية عشر قسطا بموجب الدفتر الذي يحرره المأمورون المذكورون وأما قضية مبادلة الاسرى فيما بين حكومتي رومانيا والصرب وامارة الجبل الاسود فيصير اجراؤها على هذا الاساس الا انه يصير تنزيل العدد الذي تسلمه الدولة العلية من العدد الذي تستلمه من الاسرى

﴿المادة التاسعة والعشرون﴾ ان حضرة امبراطور الروسية والحضرة السلطانية سيثبتون هذه المعاهدة ووثائق التثبيت تكون معاطاتها في سان بطرسبورغ بظرف خمسة عشر يوما أو بوجه أسرع من ذلك ان أمكن وكذلك يجري التصديق رسميا على الشروط المذكورة في هذه المعاهدة على حسب الاصول الجارية في المعاهدات الصلحية ان الدولتين المتعاهدتين من تاريخ تعاطي المعاهدة يعدون أنفسهم ورعاياهم متعهدون بان مرخصي الطرفين قد أمضوا هذه المعاهدة كما

يأتى تصديقاً لمضمونها

حرر فى اياستفانوس فى ١٩ شباط الرومى و ٣ ادار (مارس) الافرنجى ١٨٧٨

(محل الامضا)

كونت اغناتيف　　صفوت　　نليدوف　　سعد الله

ان معاهدة مقدمة الصلح التى صار امضاؤها فى هذا اليوم أعنى فى ١٩ شباط و ٣ ادار سنة ١٨٧٨ قد حصل سهو بها فى الجملة الاخيرة من المادة الحادية عشرة فلذلك زيدت العبارة الآتية واعتبرت جزأ متمماً للمعاهدة المذكورة وهى (ان الذين يقيمون أو يسيحون فى الممالك العثمانية من أهالى البلغارستان يكونون تابعين للقوانين العثمانية)

اياستفانوس فى ١٩ شباط و ٣ ادار سنة ١٨٧٨

صفوت　　اغناتيف　　سعد الله　　نيليدوف

ومن تأمل الى الخريطة الملحقة بهذا الكتاب يتضح له ان الروسيا قد محت تركية أوروبا بأجمعها تقريبا من العالم السياسى ولم يبق للدولة بها الا أربع قطع صغيرة لا اتصال بين ثلاثة منها الا بطريق البحر ولا بين الثالثة والرابعة الا بطريق ضيقة تمر بين أراضى الصرب والجبل الاسود ولا يزيد اتساعها فى بعض المواضع عن خمسة كيلومترات بحيث يتيسر لاحدى الامارتين منع الجيوش العثمانية من المرور وقطع الطريق عليها كلية والقطعة الاولى هى مدينة الاستانة وضواحيها والثانية مدينة سلانيك والجيث جزيرة القريبة منها والثالثة مكونة من بلاد ابيروس وجزء من بلاد الارنؤد والرابعة من اقليمى البوسنه والهرسك وما بقى من أملاكها أعطى منه جزء للصرب وآخر للجبل الاسود وشكل الباقى بصفة امارة مستقلة اداريا تسمى امارة بلغاريا تمتد من الطونه الى البحر الاسود شرقا وبحر الارخبيل جنوبا وتحيط بمدينة الاستانة من جميع جهاتها البرية وزد على ذلك ما اشترط من احتلال الجنود الروسية لبلاد بلغاريا مدة سنتين لاستتباب الامن بها أما فى آسيا فأخذت قلاع قارص وباطوم وبايزيد الى حدود أرضروم تقريبا

واعترف

واعترف الباب العالى ضمن هذه المعاهدة باستقلال كل من الصرب والجبل الاسود ورومانيا استقلالا سياسيا تاما وبالتنازل لمملكة رومانيا عن اقليم الدبروجه مقابل سلخ اقليم بسارابيا من رومانيا وضمها الى الروسيا لتنظيم حدودها حتى يكون كل من نهرى البروث والطونه من ابتداء اتحاد البروث معه الى البحر الاسود فاصلا بين رومانيا والروسيا ولم يراع فى هذه التقسيمات صالح الامم المراد سلخها عن الدولة ولا حدودها بل أضافوا الى امارة البلغار بلادا كثيرة أغلب سكانها من الاروام والصرب والى الصرب والجبل الاسود بلادا بها كثير من الارنؤد المسيحيين والمسلمين ولذلك كان كل من هذه الامم غير راض عن هذه المعاهدة التى لم يراع فيها الا صالح سياسة الروسيا وحرر واعدة مكاتبات موقع عليها من كثير من أعيانهم وأرسلوها الى سفراء الدول طالبين النظر فى هذه المعاهدة وصون حقوقهم وكذلك كان الرأى العام الاوروبى ناقما على الروسيا لوجود امارة البلغار المراد انشاؤها محيطة بالاستانة من كل جهة مع انها عبارة عن ولاية روسية خصوصا وان جيوشها ستحتلها مدة سنتين وهيهات ان أخلتها بعد هذا الميعاد

أما انكلترا فكانت أكثر الدول تخوفا من نتائج هذه المعاهدة لوجود عساكر الروسيا على مقربة من بوغاز البوسفور وخوفا من ازدياد نفوذ الروسيا فى الهند بعد ظهورها على الدولة العلية

ولذا كانت أشد معارضة من غيرها فى معاهدة سان استفانوس وتود تعديلها ارغاما عن الروسيا لتظهر أمام الهنود بمظهر القوة والبأس ونفوذ الكلمة فى أوروبا لان سلطتها على بلاد الهند مبنية على الوهم أكثر من قوة السلاح ومعارضة النمسا كان سببها رغبتها فى مشاركة الروسيا فى بقايا دولة الاسلام باوروبا باحتلالها اقليمى البوسنه وهرسك ليكون لها بذلك سبيل فى المستقبل الى الاستيلاء على ميناسلانيك الضرورية لها لعدم وجود مينى بحرية لمملكتها سوى مدينة (تريسته) التى تدعى ايطاليا أحقيتها فيها وتطمح أنظارها الى احتلالها يوما ما

أما ألمانيا فكانت مساعدة أدبيا للروسيا ويقال انها عرضت على النمسا احتلال البوسنه والهرسك برضا الروسيا لكنها رفضت هذا الاحتلال مالم يكن بقبول جميع

الدول اذانها كانت ترى احتلالهما بدون رضا الباب العالى وباقى الدول يسبب لها عراقيل كثيرة فى المستقبل وكانت فرنسا على الحيادة المطلقة لقرب اتخاذها فى حرب الروسيا وميلها الى السكون لتعويض مافقدته من المال والرجال فى هذه الحرب المشؤمة

وكذلك ايطاليا لم يكن لها صالح فى هذه المسئلة ولا تود الاشتباك فى حرب أوروبية لقرب عهد تمام استقلالها وسعيها فى تقوية وحدتها السياسية فيتضح من ذلك ان المعارضة كانت منحصرة أولا فى انكلترا لا حبا فى الدولة العلية الاسلامية بل خوفا على نفوذها فى الهند وثانيا فى النمسا لعدم اشتراكها فى منافع هذه المعاهدة

ولهذه الاسباب كانت انكلترا أول منبه للروسيا على ان كل شرط يتفق عليه بينها وبين الدولة ويكون مخالفا لنصوص معاهدة سنة ١٨٥٦ المبرمة فى باريس أو يختص بمنفعة عمومية أوروبية لا يعمل به الا بعد تصديق الدول الضامنة لمعاهدة باريس المذكورة

وكتبت بهذا المعنى الى الحكومة الروسية بتاريخ ١٤ و ٢٩ يناير سنة ١٨٧٨ أى قبل التوقيع على الاتفاقيات التى أمضيت فى مدينة أدرنه فى ٣١ من الشهر المذكور بين الدولة والروسيا وقبلت بكل انشراح اقتراح النمسا فى ٥ فبراير القاضى باجتماع مؤتمر دولى فى مدينة بادن للنظر فى اتفاقيات ادرنه كما سبق فى موضعه

ثم فى ٧ مارث دعت النمسا جميع الدول ثانية لعقد مؤتمر فى مدينة برلين للغاية نفسها واختارت برلين ليكون المؤتمر تحت رئاسة البرنس بسمارك المعضد لها على احتلال البوسنه والهرسك فقبلت الدول هذه الدعوة الا انكلترا فانها علقت قبولها على أن يكون من اختصاص المؤتمر المزمع انعقاده النظر فى جميع بنود معاهدة سان اسطفانوس سواء كانت مختصة بمنفعة عمومية أوروبية أولا وعارضت الروسيا فى هذا الاشتراط ودارت المخابرات بينهما والنمسا للتوفيق بين الطرفين واشتدت العلاقات بين الروسيا وانكلترا وأخذت هذه تستعد للحرب وعينت اللورد نابيراوف مجدلا قائدا عاما للجيوش البرية واللورد ولسلى (١٦٦) رئيس الاركان حربه وأمرت

(١٦٦) اللورد نابير هو الذى حارب تيودوس ملك الحبش وفتح حصن مجدلا الشهير فأضيف الى اسمه تذكارا لانتصاره وأما اللورد ولسلى فهو الذى حارب العرابيين فى التل الكبير وانتصر عليهم فى سبتمبر سنة ١٨٨٢

بجمع

بجمع الرديف واستعداد المراكب الحربية واشترت أربع مدرعات كانت أوصت عليها بعض الدول فى معاملها وجمعت أغلب سفنها الحربية فى جزيرة مالطة لتكون على مقربة من الاستانة وكذلك أمرت باحضار عدد ليس بقليل من جيوشها الهندية الى هذه الجزيرة للغاية نفسها ذلك مادعا اللورد دربى وزير الخارجية الى تقديم استعفائه عما انه كان ميالا لسياسة الملاينة معارضا لكل ما من شأنه ازدياد النفور بين دولته والروسيا خلافا للورد بيكونسفيلد «١٦٧» كبير الوزراء وباقى زملائه ولما قبل استعفاؤه عين اللورد سالسبورى وزيرا للخارجية وكان أشد الناس ميلا لاكراه الروسيا على تعديل معاهدة سان استفانوس ولو بالقوة لاضرارها بالمصالح الانكليزية

وفى صبيحة تعيينه أى فى اليوم الاول من شهر ابريل سنة ١٨٧٨ أرسل الى جميع سفراء انكلترا لدى الدول العظام منشورا بين فيه مضار المعاهدة المذكورة وأوجه خللها وضرورة نظرها برمتها فى مؤتمر دولى وكانت هذه النشرة سببا لعدم نجاح مأمورية الجنرال اغناتيف فى ويانه وكان أرسل اليها للسعى فى الاتفاق مع النمسا على عدم اشتراكها مع انكلترا لو انتشبت الحرب بينها وبين الروسيا بسبب معاهدة سان استفانوس وهى أى الروسيا تتعهد لها باعطائها اقليمى البوسنه والهرسك فلما رأت النمسا من انكلترا هذا الثبات والاستعداد للحرب براو بحرا لم تجب مندوب الروسيا بجواب شاف حتى ترى ماتقضى السياسة الانكليزية بعرضه عليها فتنحاز الى الفريق الذى تكون سياسته أكثر ملاءمة لصالحها الخصوصى

وحينما وصل منشور اللورد سالسبورى الى سان بطرسبورج وعرض السفير الانكليزى صورته على البرنس غورشاكوف أخذ يفكر فى طريقة للتخلص من هذه

«١٦٧» سياسى انكليزى شهير ولد سنة ١٨٠٥ واشتغل أولا بتأليف الروايات ثم بالكتابة فى الجرائد واخيرا ترشح للانتخاب فدخل مجلس العموم وامتاز فيه بالبراعة فى الخطابة وكان من حزب المحافظين ثم دخل فى الوزارة وعين وزيرا للمالية فى سنى ١٨٥٢ و١٨٥٩ و ١٨٦٦ وصار رئيسا لحزب المحافظين بعد موت اللورد دربى وعين رئيسا للوزارة فى سنة ١٨٦٨ ثم خلفه غلادستون وعاد الى رئاسته ثانيا سنة ١٨٧٤ وبقى الى سنة ١٨٨٠ وحضر مؤتمر برلين فى سنة ١٨٧٨ وتوفى سنة ١٨٨١ وصار بعده اللورد سالسبورى رئيسا لحزب المحافظين ولم يزل كذلك حتى الآن

المشكلة بدون وصول الى الحرب والقتال مع استمرار الاستعداد له اذ دعت الحاجة واكتتب كثير من البلديات وأغنياء الروس بل وعموم الاهالى بمبالغ وافرة لانشاء عمارة بحرية وتسليح المراكب التجارية بالمدافع للقبض على سفن انكلترا التجارية والاضرار بمصالحها ثم فى ٩ ابريل أجاب البرنس غورشاكوف على لائحة سالسبورى بمنشور أرسله الى جميع سفراء دولته لدى الدول العظام وكلفهم بتبليغه اليها فى أقرب وقت وأرفق هذا المنشور بلائحة دحض فيها جميع اعتراضات اللورد سالسبورى على معاهدة سان استفانوس مراعيا فى ذلك صالح الروسيا تاركا باقى المصالح ظهريا وبعد ذلك انقطعت المخابرات وأخذ كل من الفريقين يستعد للحرب وأحضرت انكلترا الى مالطة عدة آلايات من الهنود وكانوا لم يسبق لهم الحضور لاوروبا قبل هذه الدفعة واشتغلت الروسيا باخماد هيجان مسلمى البلغار الذين أخذوا يؤذون كل من يعثروا به من جنود الروسيا ويدافعون عن أنفسهم ضد تعديات مسيحيى البلغار ويقابلونهم بمثل ما يرتكبه البلغاريون معهم من أنواع التعدى والظلم اعتمادا على مساعدة الروس لهم ولاحتماء هؤلاء الوطنيين فى الجبال صعب على الروسيا قمعهم فامتدت هذه الحركات الثورية الى جميع جهات البلغار وضواحى صوفيا الى حدود الصرب واستمر الحال على هذا المنوال الى أواخر شهر مايو والجنود الروسية محتلة بجميع ضواحى الاستانة والمراكب الانكليزية أمامها من جهة البحر ولما أقبل فصل الصيف فشت الامراض بين عساكر العدو ومات منهم عدد كثير فلهذه الاسباب ولنضوب خزينة الروسيا وعدم امكانها احتمال هذه الحالة التى وان لم تكن حالة حرب بالمرة فلم تكن أيضا حالة سلمية ولمناسبة اشتداد المرض على البرنس غورشاكوف وزير الروسيا الاول استقل الامبراطور بسياسة بلاده وكتب الى خاله غليوم الاول (١٦٨) امبراطور ألمانيا بالمثابرة على التوسط بينه وبين

(١٦٨) ولد هذا الامبراطور سنة ١٧٩٧ وعين وصيا على أخيه فريدريك غليوم الرابع حين أصيب بضعف قواه العقلية سنة ١٨٥٧ ثم عين ملكا على بروسيا بعد موت أخيه المذكور فى سنة ١٨٦١ وحارب الدانمارك سنة ١٨٦٤ والنمسا سنة ١٨٦٦ وانتصر عليها فى واقعة (سادوا) وفى سنة ١٨٧٠ حارب فرانسا الحرب المشهورة وفاز على نابوليون الثالث فى سيدان فى أول سبتمبر سنة ١٨٧٠ وفى ١٨ يناير سنة ١٨٧١ توج امبراطورا على ألمانيا بسراى فرساى بضواحى باريس أثناء

انكلترا الوصول الى وضع حد لهذه الحالة الغير مرضية التي لو استمرت لجعلت الروسيا على شفا الافلاس رأوعز الى المسيو شوفالوف سفيره بلندره بأن يفاتح اللورد سالسبوري بأنه مستعد للتساهل مع انكلترا مبدئيا في نظر جميع بنود معاهدة سان استفانوس الا انه يود ان يعلم قبلا ما تريد انكلترا ادخاله عليها من التعديلات حتى تكون على بينة من الامر قبل ارسال مندوبيها الى المؤتمر

فجددت المخابرات وانقشعت الغيوم المتراكمة في جو أوروبا السياسي وبعد ان توجه المسيو شوفالوف الى سان بطرسبورج للمفاوضة مع أرباب السياسة هنالك وعرض طلبات انكلترا عليهم شفاها اذ ان المكاتبات ربما تكون نتيجتها تأخير هذه الحالة السيئة عاد الى لوندره وفي ٣٠ مايو سنة ١٨٧٨ تم الاتفاق بين هذا السفير واللورد سالسبوري على ما تريد انكلترا ادخاله على معاهدة سان استفانوس من التعديلات وحررت بذلك لائحة أمضى عليها الفريقان وأضيف عليها ذيل بناء على طلب النمسا التي سبق عرض هذا الاتفاق عليها قبل التوقيع عليه

ويظهر من الاطلاع على هاتين الورقتين الرسميتين ان انكلترا صادقت على أهم شروط معاهدة سان استفانوس وقبلت تشكيل امارة البلغار الجديدة بعد تقليل مساحتها وتشكيل الجزء الجنوبي منها بهيئة ولاية مستقلة تقريبا لا تلبث ان تنضم الى امارة البلغار وأبقت سواحل بحر الروم تابعة للدولة بما فيها مدينة قوله خوفا من ان تتخذها الروسيا مع الزمن مرسى لمراكبها وهو الامر الذي تسعى انكلترا جهدها في منعه حفظا لسيادتها على البحار

﴿ احتلال انكلترا لجزيرة قبرص ﴾

لكنها مع ذلك لم تكن مطمئنة البال مرتاحة البلبال من قوة الروسيا بل لم تزل تخشى تقدمها نحو الاستانة مرة أخرى أو نحو بلاد الاناطول فتمتلك منابع نهري الفرات والدجلة ثم تسير شيأ فشيأ الى الجنوب متبعة مجرى هذين النهرين العظيمين فتصل

حصار هذه المدينة وفي اكتوبر من السنة المذكورة أمضى معاهدة فرانكفورت التي أخذ بمقتضاها اقليمي الالزاس واللورين وكان من أكبر مساعديه في هذه الامور البرنس دي بسمارك والدوك دي مولتك وتوفي سنة ١٨٨٨

الى بغداد فالبصرة فخليج فارس الموصل لبحر الهند ولذلك ظهرت الدولة العلية في مظهر الصديق المخلص وكتبت الى المسيو (ليارد) سفيرها بالاستانة في اعمال الفكرة للوصول الى اقناع الباب العالي بوجوب ابرام معاهدة دفاعية مع حكومة انكلترا لصد الروسيا لو تقدمت نحو بلاد الاناطول ويتعهد الباب العالي لحكومة جلالة الملكة باجراء الاصلاحات اللازمة لتحسين حال المسيحيين بهذه الجهات حتى لا يميلوا للروسيا ولا يقبلوا عساكرها بصفة منقذين كما حصل في بلاد البلغار وان تسمح الدولة لانكلترا باحتلال جزيرة قبرص وادارة شؤونها لتكون على مقربة من حدود الروسيا وتسعى لمقاصدها ومست الحاجة وتعددت الجيوش الروسية الحدود التي ستحددها في مؤتمر برلين المزمع انعقاده قريبا فقام المستر لايارد بهذه المأمورية وربما كانت ابتدأت المخابرات بهذا الشأن قبل ذلك حتى لم يأت يوم ٤ يونيو سنة ١٨٧٨ الذي تولى فيه صفوت باشا منصب الصدارة العظمى كما مر في موضعه الا وتم الاتفاق على هذه المعاهدة الدفاعية وقبل الباب العالي تسليم انكلترا جزيرة قبرص غنيمة باردة اعتمادا على وعد هيهات ان تقوم به انكلترا لو دعت الضرورة الا أن وجود الاضطراب بالاستانة والخوف من احتلال الروس وظروف الحال هونت على الدولة قبول هذا الاقتراح وتضحية هذه الجزيرة رغبة في حفظ باقي أملاكها وتعديل معاهدة سان استفانوس بكيفية أرجح لصالحها أما صالح انكلترا في احتلال هذه الجزيرة فظاهر لمن له أقل اطلاع على الماجريات السياسية وسياسة انكلترا الاستعمارية وعلى موقع الجزيرة المذكورة فلا يخفى ان الهند بالنسبة لانكلترا بمنزلة الروح من الجسد وسياستها دائرة على حفظ هذه المستعمرة من التعدي وحفظ الطرق المؤدية لها فباحتلالها اقليم رأس الرجاء الصالح في طرف افريقيا الجنوبي صارت آمنة على هذه الطريق وان كانت بعيدة لكن لما كانت طريق مصر والسويس أخصر الطرق الموصلة لهندها العزيزة احتلت بوغاز جبل طارق فسادت على الجزء الغربي من البحر الابيض المتوسط ثم باحتلالها جزيرة مالطه سادت على الجزء الاوسط منه وكان اذا من المحتم عليها احتلال احدى النقط المهمة في شرق هذا البحر لتسود عليه من جميع أطرافه وتجعله بحيرة

انكليزيه

انكليزية ولما رأت ارتباك الدولة العلية بعد هذه الحرب التي كان يمكن لدول أوروبا منعها والواتبعوا نصوص معاهدة باريس وكانوا لها مخلصين أرادت انتهاز هذه الفرصة الصحيحة المثال لاخذ هذه الجزيرة لتكون على مقربة من بوغاز السويس واسكندرية مصر من جهة ولمينا اسكندرونه التي في عزمها انشاء خط حديدي منها الى خليج فارس لتنقيص المسافة بينها وبين مستعمراتها الهندية من جهة أخرى وقد تم لها ذلك بحسن سياستها وحذق رجالها واحتياج الدولة لمساعدتها في هذه الظروف الخطيرة ولم تحدد انكلترا في هذا الاتفاق ميعاد الجلاء ثم اعنها تم في أول يوليو أثناء انعقاد مؤتمر برلين اتفقت انكلترا مع الباب العالي على اضافة ذيل الى اتفاق ٤ يونيو يبين فيه كيفية ادارة الجزيرة والخراج الذي يدفع عنها وحددت أجل خروجها منها تحديدا جعلت به احتلالها أبديا اذ انها علقت خروجها منها على خروج الروسيا من مدينتي باطوم وقارص اللتين أضيفتا الى أملاك الروسيا اضافة قطعية فصار احتلال قبرص بذلك احتلالا قطعيا ومع ذلك أي ضمان لدى الدولة العلية على خروج الانكليز من قبرص لو أخلت الروسيا هاتين المدينتين أو احداهما مع استحالة ذلك تقريبا واليك نص معاهدة ٤ يونيو سنة ١٨٧٨ نقلا عن مجموعة الجوائب

﴿ ترجمة المعاهدة الدفاعية التي عقدت بين انكلترا والدولة العلية ﴾
﴿ وبموجبها سوغ لانكلترا ان تستولي على جزيرة قبرص وذلك ﴾
﴿ في ٤ جون (حزيران) سنة ١٨٧٨ ﴾

لما كان كل من ملكة مملكة بريطانيا وارلانده المتحدة وامبراطورة الهند وجناب السلطان المعظم متصفين بينهما بالمقاصد الودادية لاحكام وتوسيع العلاقة الحبية الكائنة الآن بين السلطنتين جزما بعقد معاهدة دفاعية لتأمين الاراضي في آسيا (الاناطول) فيما بعد التي تخص الحضرة العلية السلطانية وبناء على هذه الغاية انتخبا وعينا المرخصين الآتي بيانهما

عينت ملكة مملكة بريطانيا وارلانده المتحدة وامبراطورة الهند حضرة الانورابل وستين هنري ليارد سفيرها الاعلى لدى الباب العالي

الى بغدا لحضرة العليـة السلطانية حضرة دولتـلو صفوت باشا ناظر الخارجيـة مظهة العلية

البعـد ان أظهر كل منهـما المحررات المرخصة لهما فى اجراء هذه المصلحة ووجـدت مطابقة للاصول اتفقا على المواد الآتية

﴿المادة الاولى﴾ اذا كانت الروسـيا تسـتولى عـلى باطوم أواردهان أوقارص أواحداها وأرادت بعد ذلك ان تستولى على بعض الاراضى الكائنة فى آسيا التابعة للحضرة السلطانية كما تقرر أمرها فى المعاهـدة الصلحية الباتة فان انـكلترة تتعهد بان تتحد مع الحضرة العلية السلطانية لحـماية تلك الاراضى بقوة السلاح وفى مقابلة ذلك تعـد الحضرة السلطانية انـكلترا بان تجرى فى ممالكها الاصـلاحات اللازمة التى سيحصل الاتفاق بعد هذا بينهما على كيفية اجرائها وان تحمى المسيحيين وغيرهم من رعيتها القاطنـين فى بلادها ولغاية تمكين انـكلترة من اتخاذ الوسائط والتدابير اللازمة لاجراء ما تعهـد به رضى السـلطان المعظم بان انـكلترا تسـتولى على جزيرة قبرص وتدير أمورها

﴿المادة الثانيـة﴾ تجديد امضاء هذه المعاهدة من طرف الدولتـين المذكورتين يـكون بعـد تاريخ امضاء هـذا بشهر واحـد أو أقل اذا أمكن وقد صار امضاء هـذه المعاهدة وختمهـا فى قسـطنطينية فى الرابع من شـهر جون الافرنجـى من سنة ١٨٧٨ الامضاء ا ٠ هـ ٠ ليارد

صفوت

﴿ملحق بالمعاهدة المذكورة ممضى فى ١ جولاى (تموز) سنة ١٨٧٨﴾

قد حصـل الاتفاق بين كل من الانورابل سراوسـتن هنرى ليارد وحضرة فخامتلو دولتـلو صـفوت باشا الصـدر الاعظم للحضرة العليـة السـلطانية حالة كونهـما مرخصـين من دولتهـما على تذييـل المعاهدة المذكورة التى أمضيت فى ٤ جون سنة ١٨٧٨

صار من المعلوم بين الدولتين المذكورتين بان دولة انكلترا رضيت بالشروط الآتية فيما يتعلق بالاستيلاء على قبرص وادارتها

﴿أولا﴾ يبقى فى الجزيرة محكمة شرعية يناط لعهدتها النظر فى متعلقات المصالح الدينية التى تخص مسلمى الجزيرة لاغير

﴿ثانيا﴾ ان نظارة الاوقاف بالاستانة تعين أحد المأمورين المسلمين ليقيم فى الجزيرة لينظر باتفاقه مع مأمور تعينه دولة انكلترا على ادارة الاملاك والعقارات والجوامع والمساجد والمقابر والمدارس والمكاتب وغيرها من الادارة الدينية فى الجزيرة

﴿ثالثا﴾ ان دولة انكلترة تدفع الى الباب العالى الزائد من ايراد الجزيرة بعد أداء مصاريفها وهذه الزيادة تعتبر بمناسبة الزيادة التى تحصلت فى الجزيرة فى السنين الخمس الماضية وقدرها سنوى ٢٢٫٩٣٦ كيسا (١١٤٫٦٨٠ ليرة عثمانية) وبعد هذا يبالغ فى تحقيقها ويستثنى من ذلك ايراد الاملاك الميرية التى تباع أو تؤجر فى المدة المذكورة

﴿رابعا﴾ يسوغ للباب العالى ان يبيع أو يؤاجر بدون مانع الاملاك أو الاراضى وغيرها من العقارات التى هى أملاك ميرية أو أملاك همايونية التى ايرادها غير داخل ضمن ايراد الجزيرة

﴿خامسا﴾ يسوغ لمأمورى دولة انكلترة فى الجزيرة ان يشتروا جبرا باسعار مناسبة الاراضى أو الاملاك التى يرون شراءها لازما لاجراء اشغال نافعة

﴿سادسا﴾ اذا كانت الروسيا تعيد الى تركية قارص أو بقية الجهات التى انتصرت عليها ودخلت فى حوزتها فى ارمنيه فى الحرب الاخيرة تخلى انكلترة جزيرة قبرص فتكون المعاهدة المذكورة الممضاة فى ٤ جون منسوخة وملغاة الاجراء

تحريرا فى قسطنطينية فى ١ جولاى (تموز) سنة ١٨٧٨

الامضا ا ٠ ﻫ ٠ ليارد
صفوت

ومن الغريب ان خبر هذه المعاهدة لم يشع الا فى ٧ يوليو لما أشرفت أعمال مؤتمر

برلين على النهاية وكتمت انكلترا خبرها بكل اجتهاد ولم تعرضها على البرلمان الا بعد ان تحققت ان السلم اصبح لا يضر بسير مداولات المؤتمر ولا يتيسر لمندوبي الدول الاعتراض عليها خوفا من انفصام عرى المؤتمر ورجوع الامور الى ما كانت عليه من الشدة واقتراب الحرب وكذلك أخفت الاتفاق الذى أمضى بينها وبين الروسيا فى ٣٠ مايو الى ان اجتمع المؤتمر كما سيأتى

﴿مؤتمر ومعاهدة برلين﴾

هذا ولما أبلغت انكلترا البرنس بسمارك انها قد اتفقت مع الروسيا ولو لم تطلعه رسميا على صورة الاتفاق دعا بسمارك كافة الدول العظام تلغرافيا فى ٣ يونيو سنة ١٨٧٨ لارسال مندوبيهم للاجتماع فى برلين فى يوم ١٣ يونيو وأجابت الدول بالقبول فى اليوم نفسه أو فى صبيحة اليوم التالى واشترطت فرنسا فى قبولها عدم تعرض المؤتمر للمسائل التى لم ينص عنها فى معاهدة سان استفانوس وخصت بالذكر القطر المصرى وبلاد الشام وفى يوم ١٣ يونيو انعقد المؤتمر تحت رئاسة البرنس دى بسمارك وعضوية كل من السياسيين المذكورة أسماؤهم فى أول المعاهدة وأرسلت بعض الامم ذوات الشأن مندوبين من طرفها لتقديم طلباتها ورغباتها الى المؤتمر ولو لم يكن مصرح لهم بحضور الجلسات الا اذا طلبوا للاستفهام منهم عن بعض أمور تخص من ارسلهم فارسلت حكومة رومانيا المسيو براسيانو والمسيو كوجولنيسيانو وأرسلت الصرب المسيو رستيش وأناب أمير الجبل الاسود البرنس بيتروفتش والمسيو رادوفتش وحكومة اليونان المسيو دلياني والمسيو رنجابي وكذلك طائفتا الارمن واليهود وشاه العجم الذى ارسل الى برلين أحد سفراء دولته ليدافع عما قرر اعطاؤه اليه فى معاهدة سان استفانوس

وفى أول جلسة قدم مندوبو الدول العظام الاوراق المؤذنة بتعيينهم وقرر المؤتمر بعض الاجراآت الابتدائية مثل تعيين الكتبة وكاتب السر وحافظ الاوراق الى غير ذلك ثم توالت جلساته الى يوم ١٣ يوليو سنة ١٨٧٨ أى مدة شهر كامل انعقد المؤتمر فى خلاله عشرين مرة وليكون المطالع على بينة مما حصل فى هذه الجلسات نذكر له ما حصلت فيه المداولة فى كل جلسة من الامور المطروحة أمامه بكل اختصار

في الجلسة الاولى عين الرئيس وباقي موظفي المؤتمر وتليت بعض خطب شكر وثناء
وطلب في آخرها اللورد بيكونسفيلد ان تسحب الروسيا عساكرها من ضواحي
الاستانة فعارضه البرنس غورشاكوف وطلب انسحاب الدوناغة الانكليزية
أولا من مياه البوسفور واشتد الخلاف بينهما اشتدادا كاد يفضي الى عدم نجاح
المؤتمر لولا تداخل البرنس بسمارك بحكمته وتقريره ان هذه مسئلة يجب الاتفاق
عليها بين الروسيا وانكلترا خارجا عن المؤتمر فانتهى الاشكال ويظهر انه لم تحصل
مكالمة بهذا الشأن فيما بعد لبقاء الجيش والدوناغة في مركزيهما
وفي الجلسة الثانية المنعقدة في ١٧ يونيو عرض المركيز دي سالسبوري على المؤتمر
قبول مندوبي اليونان وتنوقش في حدود امارة البلغار
وفي الجلسة الثالثة المنعقدة في ١٩ منه تنوقش في مسئلة قبول مندوبي اليونان
في المؤتمر
وفي الرابعة والخامسة والسادسة المنعقدة في ٢٢ و ٢٤ و ٢٥ منه استمرت المناقشة
في مسئلة البلغار
وفي السابعة المنعقدة في ٢٦ منه تمت المناقشة في مسئلة البلغار وتنوقش
في حدود الصرب
وفي الثامنة المنعقدة في ٢٨ منه تداول المؤتمر في احتلال دولة استريا والمجر لولايتي
البوسنه والهرسك وتوسيع حدود الصرب والجبل الاسود
وفي التاسعة المنعقدة في ٢٩ منه حصلت المداولة فيما يختص بمملكة اليونان
والولايات اليونانية الباقية للدولة العلية وولاية الروملي الشرقية
وفي العاشرة المنعقدة في أول يوليو استمرت المناقشة في الروملي الشرقية
وفي الحادية عشرة المنعقدة في ٢ منه تداول المؤتمر في حرية الملاحة في نهر الطونه
وفيما يختص بالحصون والمعاقل القائمة على ضفتيه وفي الغرامة الحربية
وفي الثانية عشرة المنعقدة في ٤ منه اعترض مندوبو الدولة العلية على احتلال دولة
استريا والمجر لاقليمي البوسنه والهرسك وتحددت امارة الجبل الاسود واستمرت
المداولة بمسئلة نهر الطونه وابتدأت المناقشة في مسائل الطوائف الدينية الغير

اسلامية عموما ومسئلة الارمن خصوصا

وفى الجلسة الثالثة عشرة المنعقدة فى ٥ منه تداول المجلس فى توسيع حدود مملكة اليونان وبقاء امتيازات قبائل المرديت

وفى الرابعة عشرة المنعقدة فى ٦ منه تنوقش فى وجوب قبول مندوب العجم وسماع أقواله وفى حدود الروسيا من جهة آسيا وفى مسئلة الارمن والبوغازات (البوسفور والدردنيل) وجلاء العساكر الروسية عن الولايات المحتلة لها باورويا وآسيا وفى البند الخامس عشر فى معاهدة سان اسطفانوس المختص بالاصلاحات المراد اجراؤها لتحسين حالة المسيحيين الباقين تحت حكم سلطان العثمانيين

وفى الجلسة الخامسة عشرة المنعقدة فى ٨ منه تداول المؤتمر فى وجوب تنازل الدولة العلية عن وادى قوتور لبلاد العجم وتم اتفاق اعضائه على مسئلة الارمن وتحددت تخوم رومانيا والصرب والبلغار والروملى الشرقية واستمرت المناقشة فى مسئلة الطوائف الغير الاسلامية الاخرى وتبودلت الآراء فى الطرق الواجب اتخاذها لتنفيذ قرارات هذا المؤتمر

وفى الجلسة السادسة عشرة المنعقدة فى ٩ منه استمرت المداولة فى اعطاء قوتور للعجم وفى طرق تنفيذ قرارات المؤتمر وتنوقش فى تحديد سنجق صوفيا وفى كيفية تحرير المعاهدة النهائية

وفى السابعة عشرة المنعقدة فى يوم ١٠ منه تحددت تخوم الروسيا فى جنوب باطوم وحصلت المكالمة فى اخلاء الاراضى الباقية للدولة من الجيوش الاجنبية وعرض مشروع قاض بجعل مضيق شيبكا المشهور حراغير تابع لدولة أو امارة ليقام فيه بناء لدفن كل من قتل فيه من الجنود وجددت المداولة فى الطرق الضامنة نفاذ هذه القرارات وتلى جزء من مشروع المعاهدة المراد التوقيع عليها

وفى الثامنة عشرة المنعقدة فى يوم ١١ منه استمرت المداولات فى طرق تنفيذ المعاهدة وتلى جزء من مشروعها وتحددت تخوم الروسيا من جهة آسيا وسمعت اقتراحات انكلترا بالنسبة لبوغازى البوسفور والدردنيل وتبودلت الآراء فيما كانت تدفعه الصرب ورومانيا من الجزية النقدية وفى توزيع دين الدولة العلية العمومى

وفى ارسال لجنة أوروبية لتسكين الثورة فى البلغار

وفى الجلسة التاسعة عشرة المنعقدة فى يوم ١٢ منه تلى جواب الروسيا على اقتراحات انكلترا المختصة بالبوغازين وتمت تلاوة المعاهدة

وفى الجلسة المتممة للعشرين المنعقدة فى يوم ١٣ يوليو سنة ١٨٧٨ الموافق ١٠ رجب سنة ١٢٩٥ وقع جميع المندوبين على صورة المعاهدة النهائية وكان توقيعهم باعتبار ترتيب حروف المعجم الافرنكى من أول اسم كل دولة من الدول العظام بأن وقع أولا مندوبو ألمانيا ثم النمسا والمجر ثم فرنسا ثم بريطانيا العظمى ثم ايطاليا ثم الروسيا ثم الدولة العثمانية وقد جمعت محاضر هذه الجلسات بأجمعها ونشرت فى الكتاب الازرق الانكليزى فى مجلد لا ينقص عدد صفحاته عن ٢٥٠ فعلى من أراد الوقوف على ما حصل فيها تفصيلا من المناقشات والمداولات الاطلاع عليها حيث يجد بها ما يشفى غليله ويقف على آراء الدول أجمع فيما يختص بالمسئلة الشرقية واليك نص معاهدة برلين نقلا عن مجموعة الجوائب

﴿ترجمة المعاهدة التى عقدت ببرلين فى الثالث عشر من﴾
﴿تموز (جولاى الافرنجى) الموافق ١٠ رجب سنة﴾
﴿١٢٩٥ وهى نتيجة مذاكرات المؤتمر﴾

﴿بسم الله القادر على كل شئ﴾

لما كان حضرة سلطان العثمانيين وحضرة ملكة مملكة بريطانيا المعظمة وارلانده وامبراطورة الهند وحضرة امبراطور جرمانيا وملك بروسية وحضرة امبراطور اوستريا وملك بوهيميا وملك هنكاريا وحضرة رئيس جمهورية فرنسا وحضرة ملك ايطاليا وحضرة امبراطور جميع الروسية يريدون لاجل اقرار الراحة العامة فى أوروبا بانهاء المسائل التى ظهرت فى الشرق بسبب تقلبات الاحوال فيها فى هذه السنين الثلاث وبسبب الحرب التى أعقبتها معاهدة اياسطفانوس استقر رأيهم جميعا على عقد مؤتمر يكون أحسن الوسائل لاجل الاتفاق بحسب ما تقرر فى معاهدة اياسطفانوس وبناء على ذلك عينت الذوات الملوكية المشار اليهم وحضرة رئيس

جمهورية فرنسا مرخصين وهم
حضرة ملكة مملكة بريطانيا العظمى وارلانده وامبراطورة الهند عينت الاونورابل بنيامين دزرائيلى الذى هو كبير وزراء انكلترا والاونورابل روبرت اوترتابت غاسكون سيسل مركيز صالسبورى الذى هو ناظر خارجية انكلتره والاونورابل لورد اودولیم ليو بولدر وسل الذى هو سفير من الطبقة الاولى لانكلترة لدى حضرة امبراطور جرمانيا وملك بروسية
وعين حضرة امبراطور جرمانيا وملك بروسية البرنس بسمارك كبير الوزراء فى بروسية وبرنار دارنست دوبولوى مستشار الخارجية والبرنس هوهنلوه شلنغفورست سفير ألمانيا الدى رئيس جمهورية فرنسا
وعين حضرة امبراطور أوستريا وملك بوهيميا وملك هنكاريا الكونت اندراسى وزيره الخاص ووزيره فى الامور الخارجية والكونت لويس كارولیى سفيره لدى امبراطور جرمانيا وملك بروسية والبارون هنرى دوهايمول سفيره لدى ملك ايطاليا
وعين حضرة رئيس جمهورية فرنسا موسيو وليم هنرى وادنجتون أحد أعضاء مجلس الاعيان ووزيره فى الامور الخارجية وشارلس رايموند كونت دوصان فاليه من أعضاء مجلس الاعيان وسفير فرنسا الدى امبراطور جرمانيا وملك بروسية وفيلكس دسيرز المكلف بادارة الامور السياسية فى دائرة الخارجيه
وعين حضرة ملك ايطاليا الكونت لويس كورتى أحد أعضاء مجلس الاعيان ووزيره فى الامور الخارجية وادورد كونت دولونى سفيره لدى امبراطور جرمانيا وملك بروسية
وعين امبراطور جميع الروسيا البرنس الكسندر غورچيقوف وزيره فى الامور الخارجية والكونت دوشوفالوف من قرناء الحضرة الامبراطورية ومن أعضاء المجلس الخاص وسفيره لدى دولة بريطانيا وبولدوبريل سفيره لدى امبراطور جرمانيا وملك بروسيه
وعين حضرة سلطان العثمانيين الكسندر قره تيودورى باشا وزيره فى الامور النافعة ومحمد على باشا المشير فى عساكره وسعد الله بك سفيره لدى امبراطور جرمانيا

وملك بروسيا فاجتمعوا فى برلين بحسب اشارة دولة أوستريا وهنكاريا وبموجب استدعاء دولة جرمانيا ومعهم سائر المحررات المؤذنة بالترخيص فبعد ان وجدت مطابقة للاصول وقع بينهم الاتفاق على المواد الآتية

﴿المادة الاولى﴾ صارت الآن البلغار امارة مستقلة فى أمورها الداخلية (ادارة مختارة) تدفع خراجا فى كل سنة الى الباب العالى وتكون تحت تابعية الحضرة السلطانية ويكون لها حكومة مسيحية وعساكر وطنية

﴿المادة ٢﴾ تكون امارة البلغار عبارة عن الاراضى الآتى ذكرها وهى ان حدود تلك الاراضى من جهة الشمال تبتدئ من حدود الصرب القديمة وتمر عن عين ساحل نهر الطونه وتنتهى الى محل فى شرقى سيلستريا وهذا المحل سيصير تعيينه من طرف المؤتمر الذى يتشكل من مأمورى دول أوروبا ومن هنا أيضا يتصل الحد فى البحر الاسود ويمر من جنوب منقاليا التى صار الحاقها برومانيا أما من جهة الجنوب فانه يبتدئ من مصب النهر ويمر من جوار القرى المسماة (هوجه كوى) و (سلامكوى) و (ايواجق) و (قوليه) و (صوجياق) على شاطئ النهر الى جهة فوق المحاذية لوادى (قامجق) ومن جنوب (بلبيه) و (كحالق) على بعد من (جنكه) مقدار مترين ونصف ويتجاوز (دلى قامجى) ويمر من شمال (حاجى محله) ويصعد الى ذروة المحل الكائن فيما بين (تيكنلك) و (ايدوس بره سا) ومنه الى بلقان قرين اباد (وبلقان) (و بره زويقه) ومن بلقان (قرغان) الواقع فى شمال المحل المسمى (قوتل) الى ان يتصل بمحل (تيمورقپو) وعلى هذا يكون مروره من سلسلة البلقان الكبير الاصلية ويمتد على جميع مساحته الى ان ينتهى الى ذروة (قوزيقه) ومن هنا يترك ذروة البلقان ويلتفت الى جهة الجنوب ويسير من بين قريتى (پيرتوب) و (دوزنجى) ويغادر قرية (پيرتوب) المذكورة الى البلغار وقرية دوزنجى الى شرق الروم ايلى ويتصل بنهر (طوزلى دره) ويسير مع مجرى النهر الى مصبه فى نهر (طوبوليتجه) ثم الى نهر (اسموسكيو) الذى يصب فى نهر طوبوليتجه المذكور بجوار قرية (پترپچوه) ويترك من الاراضى الكائنة فوق نهر اسموسكيو المذكور مقدار كيلومترو ٢ الى شرقى الروم ايلى ويمر من مقسم المياه فيما بين اسموسكيو

ونهر (قامنيفـه) ويلتفت الى الجنوب الغـربى من التـل المسمى (ووتجـاق) وينتهـى رأسـا الى النقطة المذكورة فى خريطة أركان حرب دولة اوسـتريا عدد ٨٧٥ ومن هنا يقطع بخط مسـتقيم الجهة العليا من وادى اهتمـان و يمر من بين بوغد ينـه و (قره ولى) ويتصـل بالخط فى مقسم أنهـر المـريج فيمـا بـين اسـقر وقرلى وحاجيلر و يسـير مع الخط المذكور من تلال (ولنيا) و (موغيلا) الى الممر الواقع فى نقطة عدد ٥٣١ والى المحلات المسمـاة (ازمايليقا) و (رهوسومنا تيقه) و يدخل من بين (سيورى طاش) و (قادرتپه) ويتصـل بحدود لواء صوفيه ومن هنا يبتدئ من (قادرتپـه) الى جهـة الجنوب الغـربى ويمر من بين نهـر قره صو ونهـر (استروما قره صو) ويسير مع خط مقسم المياه ومن تلال الجبال المسماة (تيمورقپو) و (اسـقوفنيه) و (قاضيمسار بلقان) و (حاجى كدك) تجاه بلقان قابتنبيق ويتصـل بحـدود لواء صوفيه القـديمة وكذلك يمر من بلقان قابتنبيق المذكور ومن بين وادى (ريلسـقارقا) ووادى (بسـقرارقا) ويسـير مع خط مقسم الميـاه و يدور تل (وديجه بلانينا) و ينزل الى وادى (استروما) فى المحل الذى يختلط به نهر استروما مع نهر ريلسقارقا و يدع قرية (براقلى) للدولة العلية و يصعد من جنوب قرية (بلشينقة) الى فوق و يمر من اقصر خط الى سلسلة (غولمـا بلانيانا) وتل (غينقة) و يتصل بحدود لواء صوفيه و يترك كامل منشأ صوهارقا للدولة العلية و يلتفت الى جهة الغرب من جبل (رجينقا) و يدور جبال قار ونايابوقه وحدود لواء صوفيه القـديمة من جبـل (قرنى وره) ويمر من فوق مياه (اكريصو) و (لپنيقه) و يطلع الى تلال (بابنابولانا) حتى ينتهـى أيضا الى جبل قرنى وره المذكور ومن هذا الجبل يمر من تلال (استرزر) و (ويله غوصو) و (مسيد بلانينا) ومن بين (استروما) و (موراوه) مع خط مقسم الميـاه الى غاسينا وقرنه طراوه ودارقوسـقه ودرانيقـه بلان و بعـدها من فوق دوشاقلادانق ومن مقسم انهـر صوقوه وموراوه و يذهـب رأسـا الى المحـل المـدعو (استول) ومن هنا ينزل الى الطريق الموصـلة الى صوفيه و بيروته و يقطع فى هـذه الطريق ألف متر ومنـه عن طريق و يدليا بلانينا و يصعد على خط مسـتقيم الى جبـل (رادو جينا) الكائن فى سلسـلة البلقان الكبير و يترك قرية دو يقضى الى

صقر

صربستان وقرية (سناقوس) الى البلغار ثم يلتفت الى جهة الغرب و يدور تلال البلقان المسمى (سبروق) من صوب استاره بلانينا ويتصل بشرقى حدود امارة الصرب القديمة بجوار (تولا اسميلوه قوفه) و يسير على هاته الحدود حتى ينتهى الى نهر الطونه عند (راقو يجه) ثم ان هذه الحدود جميعها سيصير تعيينها بمعرفة لجنة مركبة من وكلاء الدول الممضية على المعاهدة وحصل الاتفاق أولا على ان هاته اللجنة تنظر بالاعتناء فى خصوص محافظة حدود بلقان شرقى الروم ايلى الكائن تحت سلطة الدولة العلية وثانيا ان لا يصير انشاء استحكام فى اطراف (صماقو) بمسافة ١٠ كيلومتر *

﴿المادة ٣﴾ يكون انتخاب أمير البلغار من أهلها بحرية تامة واقرار الباب العالى برضى دول اوروبا العظام ولا يصح انتخاب أمير عليها من بيوت الدول المذكورة فاذا توفى عن غير ولد يكون انتخاب أمير بعده على الشروط والاصول المقررة

﴿المادة ٤﴾ بعد انتخاب الامير تجتمع أعيان البلغاريين فى طرنوى لترتيب أحكام ونظامات تخص الامارة وفى الجهات التى تكون سكانها من الترك وأهل رومانيا والروم وغيرهم يلزم مراعاة حقوقهم ومصالحهم فيما يتعلق بقضية الانتخاب وترتيب الاحكام الاساسية

﴿المادة ٥﴾ المواد الآتية تكون أساسا للحقوق العمومية فى البلغار وهى ان الاختلاف فى المذاهب والاعتقادات لا يخرج أحدا من الاهلية والجدارة من تمتعه بالحقوق المدنية والسياسية أو بدخوله فى الوظائف الميرية أو العمومية ونواله الشرف أو استعماله الصنائع والحرف المختلفة كيفما كان مقره فان الحرية أو مباشرة جميع الاعمال الدينية ينبغى تأمينها لجميع الناس القاطنين فى البلغار من أهلها ومن الاجانب أيضا ولا يسوغ اتخاذ مانع ما للترتيب درجات أرباب المذاهب المختلفة أو لعلاقتهم مع رؤسائهم الروحانيين

﴿المادة ٦﴾ تكون ادارة (البلغار المؤقتة) تحت ادارة مأمورين من دولة الروسيا الامبراطورية الى ان تنتظم فيها القوانين الاساسية و يستدعى مأمور

من طرف السلطنة العثمانية والقناصل الذين تنتخبهم الدول الذين وقعوا على هذه المعاهدة بقصد مراقبة اعمال (الادارة الموقتة) المذكورة فاذا حصل خلاف بين القناصل المذكورين فابرام العمل يكون على حسب اكثرية الآراء كما انه اذا حصل خلاف بين اكثرية آراء المذكورين والمأمورين من طرف امبراطورية الروسيا أو المأمورين من طرف الحضرة السلطانية تجتمع سفراء الدول بالاستانة الذين وقعوا على هذه المعاهدة في مؤتمر (كنفرانس) ليقرر رأيهم على انهاء الخلاف المذكور

﴿المادة ٧﴾ تشكيل (الادارة الموقتة) المذكورة لا يبقى أكثر من تسعة أشهر اعتبارا من يوم التوقيع على هذه المعاهدة وبمجرد انتخاب الامير تصير مباشرة اجراء الاحكام الجديدة فتصير تلك الاحكام دستور العمل وتكون الامارة قد حازت استقلاليتها الادارية (ادارتها المختارة) حوزا تاما

﴿المادة ٨﴾ جميع المعاهدات التجارية والسفرية والاتفاقات التي جرت بين الدول الاجنبية وبين الباب العالى والتي لم يزل عملها جاريا تبقى مرعية الاجراء مع امارة البلغار فلا يصح تبديل شيء منها مع احدى الدول المذكورة بدون رخصة منها ولا يسوغ وضع شيء من الضرائب على البضائع التي ترسل الى احدى الجهات في مرورها على البلغار وتكون معاملة جميع الاهالى ورعايا الدول وتجارتهم في الامارة على قدم مساواة تامة وتبقى امتيازات وخصائص الاجانب المقررة في المعاهدات (التي أمضيت بين الدول والباب العالى) مرعية الاجراء في الامارة ما دام لم يحصل تعديلها برضى الدول

﴿المادة ٩﴾ الويركو السنوى الذي يجب على امارة البلغار ان تدفعه في كل سنة الى متبوعها الحضرة السلطانية يكون دفعه الى البنك الذي يعينه الباب العالى ويكون تعيين المبلغ عند ختام السنة الاولى من جريان نظاماتها الجديدة باتفاق بين الدول الموقعين على هذه المعاهدة وهذا الويركو يحسب بمناسبة ايراد الامارة وحيث انها تتحمل جانبا من ديون السلطنة العمومية يلزم الدول أيضا ان يتذاكروا على مقدار الدين الذي يعين على الامارة وذلك عند مذاكرتهم في أمر الويركو

﴿المادة ١٠﴾ جميع التعهدات والاتفاقات التى وعدت السلطنة العثمانية باجرائها مع شركة سكة الحديد بين ولرنه ور وسحبق تدخل فى عهدة امارة البلغار اعتبارا من مبادلة التوقيع على هذه المعاهدة أما تسوية الحسابات السابقة التى كانت بين الشركة المذكورة وبين الباب العالى فامرها يكون بين الباب العالى وحكومة البلغار والشركة المذكورة وكذلك دخل فى عهدة البلغار سائر تعهدات الباب العالى مع دولة أوستريا وهنكاريا ومع الشركة المنوط بعهدتها تشغيل سكك الحديد فى الروم ايلى فيما يتعلق باتمام السكك المذكورة واتصالها فى الاراضى التى دخلت الآن فى حوزة البلغار ويكون عقد شروط الاتفاقات اللازمة لتسوية هذه المسائل بين دولة أوستريا وهنكاريا والباب العالى والصرب وامارة البلغار عند اقرار الصلح

﴿المادة ١١﴾ بعد هذا لا تبقى العساكر العثمانية فى البلغار وهدم سائر القلاع والحصون يكون على مصروف حكومة الامارة فى ظرف سنة واحدة أو أقل من ذلك ان أمكن وينبغى لتلك الحكومة ان تتخذ وسائط معجلة لذلك ولا يسوغ لها ان تبنى بدلها حصونا جديدة ويكون للباب العالى حق فى ان يتصرف فى المهمات الحربية وغيرها من الاشياء التى هى ملك له الباقية فى حصون الطونة التى اخلتها العساكر العثمانية بموجب الهدنة التى حصلت فى ٣١ يناير (كانون الثانى) وكذلك التى فى شمله (شمنى) و وارنه

﴿المادة ١٢﴾ المسلمون وغيرهم الذين لهم أملاك فى البلغار ويريدون السكنى خارجا عنها يبقون متمتعين باملاكهم فيمكنهم والحالة هذه ايجارها الى غيرهم وادارتها بمعرفة من ينتخبونه وتشكل لجنة مؤلفة من الترك والبلغار بين لتسوية جميع المسائل المتعلقة بكيفية نقل وتشغيل أملاك الوقف لحساب الباب العالى والمسائل المتعلقة بالذين لهم مصالح فيها وهذه التسوية تكون فى ظرف سنتين ثم ان البلغاريين الذين يسافرون أو يسكنون فى باقى أطراف للممالك العثمانية يكونون تحت الاحكام والقوانين العثمانية

﴿المادة ١٣﴾ تشكل على جنوب البلقان ولاية تحت اسم (ولاية الروم ايلى

الشرقية) وتكون تحت تابعيـة الحضرة السلطانية تابعية سياسـية وعسكرية بشرط ان تكون مشمولة باستقلالية ادارتها ويكون واليها نصرانيا

﴿المـادة ١٤﴾ حدود (ولاية الروم ايلي الشرقية) تكون متصلة بحدود البلغار من جهتي الشمـال والشمـال الغربي والولاية المذكورة تكون عبـارة عن الاراضي الكائنة ضمن الدائرة الآتي ذكرها (فحد هـذه الولاية يبتدئ من البحر الاسود و يسير على النهر الواقع في جوار القرى المسماة (هوجه كوى وسـلام كوى وايواجق وقولبه وصوجيلق) الى جهة فوق محاذيا الوادي (دلى قامجق) و يمر من فوق (چكنه) مقـدار مسافة كيلومتر ٢ ونصف تقريبا و يتصـل بجنوب بقراه (بليمـه) و (كمـالق) ثم يصعد الى التل الكائن فيمـا بين (تبكنلك) و (ابدوس) و (برونسا) و يمر من بلقان (قرين اباد) و (بره زو يجه) و (قزغان) حتى يصل الى (تيمورقپو) بالجهة الشمـالية من (قوتل) و بعدها يدور جميع سلسلة البلقان الكبير و ينتهي الى تل (قوز يقه) وفي هذه النقطة أعني من ذروة البلقان الكائن على غربي حدود الروم ايلي ينزل الى جهة الجنوب مارا من بين قرية بيتروب التي تركت للبلغار و بين قرية دوزانس الباقية في الروم ايلي و يصل الى نهر (طوزلى دره) و يسير مع النهر الى مجمعه مع نهر طو بولينقا وكذلك يمر مع هذا النهر الى مجمعه مع نهر (سمو وسقيور) في جوار قرية (پتريسووا) وعلى هذا يترك للروم ايلي الشرقية في شطوط مجاري هاته الانهر محلا مقدار كيلومتر ٢ ثم يتبع الخطوط الفاصلة للمياه المذكورة و يسير الى جهـة فوق على طول النهر (سمو وسقيور) و (قامنيقا) و يلتفت الى الجنوب الغربي في تل (وواتجاق) و يصل الى المحل المبين في خريطة أركان حرب دولة أوستريا عـدد ٨٧٥ ثم يقطع على خط عمودي مجرى نهر (ايجـمان دره) من الاعلى و يمر من بين (بوغدينا) و (قارولا) حتى يصل الى الخط الفاصـل الكائن فيمـا بين نهري (اسقر) و (ماريقا) و يسير على طول الموضح في الخريطة المذكورة تحت رقم ٥٣٠ من تلال (ولينا موجيلا) و (جمـاليقا) و (روه سومناتيقا) و يجتمع بحدود لواء صوفية فيمـا بين (سـيبو ري طاش) و (قادرتپه) فعلى هذا تفرق حدود الروم ايلي والبلغار من جبل (قادرتپه) ثم الخط الفاصل المذكـور يمر الى قدام من بين أنهر

ماريقا

ماريقاو توابعه وبين انهر (مستاقره صو) واتباعه تابعا استقامة الخطوط الفاصلة لهذه المياه ويتوجه الى جهتي الجنوب الشرقي والجنوب مارا من تلال جبل (دسبوط) الى صوب جبل (كروشووا) وهذا الجبل كان مبدأ الحدود التي عينتها معاهدة اياسطفانوس ثم الخط المذكور يتبع الخط المعين فى المعاهدة المذكورة أعنى انه يبتدئ من هذا الجبل ويمر على سلسلة (قره بلقان) من تلال (قولاقلى طاغ واشك چيلى وقره قولاس) وايشيقلر ويسير جهة الجنوب الشرقي حتى ينتهي الى نهر (واردا) ويسير مع هذا النهر على طوله حتى يصل الى قرية (اطه قلعه) وتبقى هذه القرية فى سلطة الدولة العلية ومن هنا يصعد ذروة جبل (بش تپه) ثم ينزل ويمر من جسر (مصطفى باشا) ويتجاوز نهر المريج من جهة فوق بمسافة خمسة كيلومتر ثم يتوجه الى جهة الشمال مع بين الانهر الصغار التي تصب فى نهري (طاتلى دره) و (مريج) ويسير على خط مقسم المياه الى المحل المسمى (كنودر بايرى) ومن هنا يلتفت الى جهة الشرق ويمتد الى (صقار بايرى) ومنه الى وادى (طونجه) والى (بيوك دربند) ويترك (بيوك دربند) و (صوجاق) الى جهة الشمال ثم يسير من بين الانهر التي تصب فى نهر طونجه من جهة الشمال وفى نهر المريج من جهة الجنوب على خط مقسم المياه ويصعد الى تل (قيبلر) وتبقى قيبلر فى الروم ايلى الشرقية ثم يلتفت الى جهة الجنوب ويمر من بين المياه الكائنة فيما بين نهر المريج من جهة الجنوب وبين قريتى (باورن) و (التلى) التي تصب فى البحر الاسود ويصل الى جنوب قرية (المالى) ويدور تلال (ووسنه) و (زواق) من شمال المحل المسمى (قرا كلق) ويسير مع الخط الفاصل فيما بين نهرى (دوكه) و (قره اغاج) حتى يتصل بالبحر الاسود

﴿المادة ١٥﴾ يكون للحضرة السلطانية حق فى ان تباشر محافظة الحدود البرية والبحرية وذلك بأن تبنى فى تلك الحدود استحكامات وتقيم فيها عساكر ولتأمين الراحة العمومية فى ولاية (الروم ايلى الشرقية) يشكل فيها ضبطية أهلية وعساكر داخلية ومذاهب الاهالى الذين تؤلف منهم هذه العساكر والضبطية تكون مرعية ويكون تعيين ضباطهم من طرف الحضرة السلطانية وقد تعهدت الحضرة السلطانية بان لا توظف فى حصون الحدود عساكر غير نظامية كالباشي

بوزق والجرا كسة وفى جميع الاحوال لايسوغ للعساكر النظامية المذكورة ان تتعدى على الاهالى وعند مرورهم فى الولاية (لاستقرارهم فى الاستحكامات) لايسوغ لهم الاقامة فيها

﴿المادة ١٦﴾ يكون للوالى حق فى ان يستدعى العساكر العثمانية اذا حصل مايخل بالراحة الداخلية والخارجية فاذا وقع مايوجب ذلك يخبر الباب العالى نواب الدول بالاستانة عن قراره وعن السبب الذى أحوجه اليه

﴿المادة ١٧﴾ يكون تعيين والى (ولاية الروم ايلى الشرقية) مدة خمس سنين من طرف الباب العالى باتفاق الدول

﴿المادة ١٨﴾ بمجرد مبادلة التوقيع على هذه المعاهدة تشكل لجنة أوروباوية للنظر فى ترتيب اداره (ولاية الروم ايلى الشرقية) بالاتفاق مع الباب العالى ومن خصائصها أن تبين فى ظرف ثلاثة أشهر وظيفة مأمورية الوالى وماله من الاستطاعة وترتيب الولاية الادارية والنظامية والمالية ويكون ابتداء اشغالها تنظيم اختلاف أحكام الولايات وماحصل عليه المذاكرة فى الجلسة الثامنة من المؤتمر الذى عقد فى الاستانة وبعد ان يحصل القرار على جميع المصالح المتعلقة بالولاية المذكورة يصدر فرمان من طرف الحضرة السلطانية فيبلغه الباب العالى الى الدول ﴿

﴿المادة ١٩﴾ يناط بعهدة اللجنة الاوروباوية المذكورة بالاتفاق مع الباب العالى ادارة المالية فى الولاية الى ان تنجز القوانين الجديدة المراد وضعها

﴿المادة ٢٠﴾ جميع المعاهدات والاتفاقات والمعاملات التى جرى تداولها بين الباب العالى والدول الاجنبية أوالتى ستعقد فيما بعد يكون معمولا بها فى (ولاية الروم ايلى الشرقية) كما هو جار فى سائر السلطنة العثمانية وجميع الامتيازات والخصائص التى حازتها الاجانب على اختلاف وظيفتهم ومصلحتهم تبقى محترمة فى الولاية المذكورة وقد تعهد الباب العالى بان جميع أحكام السلطنة هنالك فيما يخص المذاهب المختلفة يكون معمولا بها ومرعية الاجراء

﴿المادة ٢١﴾ تبقى حقوق الباب العالى وتعهداته فيما يتعلق بسكك الحديد

فى الروم ايلى الشرقية معمولا بها ومرعية الاجراء

﴿المادة ٢٢﴾ تكون قوة الروسيا فى البلغار وفى (ولاية الروم ايلى الشرقية) مؤلفة من ست فرق من المشاة وفرقتين من الخيالة وجميع ذلك لا يزيد على ٥٠٠٠٠ نفر وتكون مصاريفهم على الولايات التى يتبوأونها وتبقى علاقتهم ومواصلتهم مع الروسيا بواسطة رومانيا بحسب الاتفاق الذى يحصل بين الحكومتين المذكورتين وفضلا عن ذلك تكون بواسطة مراسى البحر الاسود مثل وارنه وبورغاس حتى يمكن لهم ان يتخذوا هنالك مخازن للوازمهم مدة اقامتهم وتقرر أيضا ان اقامة العساكر الامبراطورية فى (ولاية الروم ايلى الشرقية) والبلغار تكون مدة تسعة أشهر اعتبارا من يوم مبادلة التوقيع على هذه المعاهدة وقد تعهدت دولة الروسيا الامبراطورية انه قبل انقضاء هذه المدة تمنع مرور عساكرها من رومانيا فتخلو منهم امارة البلغار

﴿المادة ٢٣﴾ قد تعهد الباب العالى بان يجرى فى جزيرة كريد النظامات التى تقررت فيها فى سنة ١٨٦٨ والتعديلات التى يرى من العدل اجراءها وكذلك يجرى فى بقية الولايات نظامات وقوانين على ما تقتضيه المصالح الداخلية كما فى كريد عالم ينص عليه فى هذه المعاهدة نصا خصوصيا الا فيما يتعلق بالغاء الضرائب كما هو جار الآن فى كريد ويشكل من طرف الباب العالى لجان مخصوصة يكون اكثر اعضائها من الاهالى للنظر فى متعلقات النظامات اللازم اجراؤها فى كل ولاية ثم تعرضها على الباب العالى للتروى فيها وقبل ان يعمل بها وتجعل دستور العمل يلزم الباب العالى ان يستشير اللجنة الاوروباوية المنعقدة للنظر فى أحوال الروم ايلى الشرقية

﴿المادة ٢٤﴾ اذا فرض انه لم يقع اتفاق بين الباب العالى ودولة اليونان فيما يتعلق بتعديل الحدود كما تقرر فى المادة ١٣ من مضبطة مؤتمر برلين فدول جرمانيا واوستريا وهنكاريا وفرنسا وبريطانيا العظمى وايطاليا والروسيا تحفظ لنفسها عرض التوسط بين الفريقين تسهيلا للمذاكرات

﴿المادة ٢٥﴾ تتبوأ عساكر اوستريا وهنكاريا ولايتى بوسنه وهرسك ويناط بها

أيضا أمر ادارتهما وحيث انهما لا تريدان تتولى ادارة سنجقية يكى بازار الممتدة بين الصرب والجبل الاسود على الخط الجنوبى الشرقى ماوراء ميتروو وتسمح فالادارة العثمانية تبقى معمولا بها هنالك وحيث ان المراد اقرار الاحوال السياسية الجديدة وحرية المواصلات وتأمينها فدولة اوستريا وهنكاريا تحفظ لنفسها الحق بان يكون لها قشل وطرق تجارية وعسكرية فى جميع الجهات المذكورة ولهذه الغاية تحفظ لنفسها هى والدولة العثمانية ان تتفقا على المواد المتعلقة بهذه المسألة

﴿المادة ٢٦﴾ قد اعترف الباب العالى باستقلال الجبل الاسود وكذلك اعترفت به بقية الدول الموقعين على هذه المعاهدة الذين لم يعترفوا به سابقا

﴿المادة ٢٧﴾ اتفق الموقعون على هذه المعاهدة على ان استقلال الجبل الاسود يكون مربوطا بالمواد الآتية وهى (لا يسوغ التمييز فى الاعتقادات الدينية فى الجبل فلا يخرج أحدا من الاهلية والجدارة لجميع ما يتعلق بتمتعه بالحقوق المدنية والسياسية أو بدخوله فى الوظائف الميرية أو العمومية أو نواله الشرف أو استعماله الصنائع والحرف المختلفة كيفما كان مقره فلجميع الاهالى التابعين للجبل الاسود وللاجانب أيضا الحرية التامة فى جميع المتعلقات المذهبية ولا يسوغ اتخاذ مانع ما فى ترتيب درجات أرباب المذاهب المختلفة أو فى علاقتهم مع رؤسائهم الروحانيين

﴿المادة ٢٨﴾ قد صار تعيين حدود الجبل الاسود كما سيأتى وهى انها تبتدئ من (ايلينو برودو) وتسير الى شمال (قلوبوق) وتمر من فوق (تره بنيجه) وتصل الى (غرانقارو) وتبقى غرانقارو ضمن لواء هرسك ومنها يصعد الخط الفاصل الى جهة فوق من نهر غرانقار و يصل الى محل يبعد عن النهر الذى يصب فى (سياقه) مقدار كيلومتر فقط ومن هنا يسير على أقصر طريق و يصعد الى التلال التى فى جوار (تره بنيجه) ثم يذهب الى (بيلانوه) و يترك هذه القرية للجبل ثم يسير من التلال الى جهة الشمال وعلى قدر الامكان يمر بعيدا عن طريق (بيلكه) و (قوريتو) و (غاجقه) مقدار ٦ كيلومتر و يصل الى الطريق الكائنة فيما بين (سوينا و لابنفا) وجبل قوريتو ومنها الى جهة الشرق يمتد الى جبل اورلين و يترك قرية (وارتقو يجى) لهرسك ثم يمتد من الشمال الشرقى و يدع (روانه) داخل الجبل و يمر

من

من تلال (البرسليك) و (وبلجاق) و يسير من أقصر طريق و ينزل الى نهر (بيوه) ويتجاوز هذا النهر ويصل الى (تاره) الكائنة بين (فرقو يقه) و بين (وندو ينه) ومن تاره يصعد الى (موجقواق) و يتصل بجبل (سسقوح زرو) ومن هنا الى قرية (صوقولار) و يجتمع بالحدود القديمة ثم يمر الى تلال مقرا بلانيفا وتبقى قرية مقرا داخل الجبل ويمر أيضا من السلسلة الاصلية الى الطريق المذكورة فى خريطة أركان حرب اوستريا تحت رقم ٢١٦٦ ومن فوق مقسم المياه الواقع بين (ليم) و (درين) و بين (سيونه زم) ثم يتصل بالحدود الجديدة بعد مروره فيما بين قبيلة (قاچى دره قالو يجى و بين قوسقارجنه) و (قلامنتى) و (غرودى) و بعد ذلك ينزل الى صحراء بودغوريجه و يترك قبائل قوسقارجنه وقلامنتى وغرودى وهو فى ابلاد الارناؤوط و يتصل (بيلاونيقه) ومن هنا يمر من جوار جزيرة (غوريقه طوبال) و يتجاوز ماء اشقودره و يسير رأسا من (غوريقه) طوبول الى التلال و يمر من مقسم المياه الكائن فيما بين (مغورد) و (قاليمد) مع خط المقسم المذكور و يترك (ميرقويق) داخل الجبل و ينتهى الى بحر ونديك (فينيسيا) عند قرية (فروچى) ثم يلتفت الى الشمال الغربى و يمر فى الساحل من بين قرى (سوسانه) و (زو يسى) و يتصل بمنتهى الحدود الجديدة فى جهة الجنوب الشرقى فوق (ورسونه بلانيفا)

﴿المادة ٢٩﴾ انضمام انتوارى (بارى) وشطوط البحر التى تخصها الى الجبل الاسود مشروط على الصورة الآتية وهى ان يعاد على الدولة العثمانية الاراضى الكائنة على جنوب تلك الجهة الى بويانا من ضمنها دولسنجو و يضم الى دلماتيا مرسى سبزا و الاراضى المتعلقة بها الى غاية حدودها الجنوبية كما هى مبينة بالتفصيل فى الخريطة ويكون للجبل الحرية المطلقة التامة للسفر فى نهر بويانه ولكن لا يسوغ له ان يبنى على النهر حصونا أو استحكامات الا ما لزم للمحافظة على اشقودره خاصة فتكون تلك الحصون والحالة هذه غير خارجة عن دائرة مسافتها حول المدينة المذكورة بستة كيلومتر (٦٠٠٠ متر أو نحو عشرة أميال) ولا يكون له بواخر حربية ولا راية ولا يسوغ لاى دولة كانت ان تدخل بواخرها الحربية الى مرسى انتوارى أما الحصون الكائنة فى أرض الجبل بين النهر وشط البحر فتهدم بالكلية

ولا يسوغ اعادة بنائها ويفوض لعهدة اوستريا وهنكاريا ادارة البحرية والصحية في التوارى وفي شطوط الجبل وعلى الجبل ان يستعمل القوانين والاصطلاحات البحرية على موجب القوانين والاصطلاحات الجارية في دلماتيا (باوستريا) وقد تعهدت اوستريا وهنكاريا بان تحمى بواخر الجبل الاسود التجارية ويلزم للجبل ان يتفق مع اوستريا وهنكاريا على مدسكة الحديد وانشاء طرق عادية في الاراضي التي دخلت حديثا في حوزته وعلى تأمين حرية المواصلة عليها

﴿المادة ٣٠﴾ المسلمون وغيرهم الذين يملكون عقارات في الاراضي التي انضمت الى الجبل الاسود ويريدون ان يستوطنوا خارجا عن الامارة لهم حق بان يبقوا مالكين عقاراتهم بايجارها أو تشغيلها بواسطة من يختارونه وتشكل لجنة مؤلفة من مأمورين من العثمانيين وأهل الجبل الاسود لتسوية المسائل التي تتعلق بكيفية نقل الاملاك أو حرثها أو ادارتها سواء هي من أملاك الوقف أو الاملاك الميرية التي للباب العالي فتجرى تسوية جميع متعلقات الذين لهم مصلحة فيها وهذه التسوية تكون في ظرف ثلاث سنين

﴿المادة ٣١﴾ على امارة الجبل الاسود ان تتفق مع الباب العالي على ما يتعلق بتعيين وكلاء من طرفها في الاستانة أو في جهات أخرى من السلطنة العثمانية مما يرى لازما أما أهل الجبل المقيمون في السلطنة العثمانية أو المسافرون فيها فيكونون تحت أحكام الدولة العثمانية على حسب الاصول المقررة بين الدول وعلى حسب العوائد المقررة مع الجبل

﴿المادة ٣٢﴾ يلزم ان عساكر الجبل الاسود تخلى الاراضي التي هم الآن مستولون عليها مما لم يدخل في حدود امارة الجبل الجديدة وذلك في ظرف عشرين يوما اعتبارا من يوم التوقيع على هذه المعاهدة أو أقل من هذه المدة اذا أمكن كذلك يلزم العساكر السلطانية ان تخلى في المدة المذكورة الاراضي التي دخلت الآن في حوزة الجبل

﴿المادة ٣٣﴾ حيث انه يلزم الجبل الاسود ان يتحمل جانبا من الديون العثمانية العمومية في مقابلة الاراضي الجديدة التي دخلت في حوزته بموجب شروط الصلح

فتعين

فتعين نواب الدول الاجنبية فى الاستانة هذا المبلغ بالاتفاق مع الباب العالى على أصول عادلة

﴿المادة ٣٤﴾ لما كان الموقعون على هذه المعاهدة معترفين باستقلالية امارة الصرب فقد ربطتها بالشروط المحررة فى المادة الآتية

﴿المادة ٣٥﴾ لا يسوغ التمييز فى الاعتقادات الدينية فى الصرب ضد أحد حتى يخرجه من الاهلية والجدارة لجميع ما يتعلق بتمتعه بالحقوق المدنية والسياسية أو بدخوله فى الوظائف الميرية أو العمومية أو نواله الشرف أو استعماله الصنائع والحرف المختلفة كيفما كان مقره فلجميع الاهالى التابعين للصرب والاجانب أيضا الحرية التامة فى جميع المتعلقات المذهبية ولا يسوغ اتخاذ مانع ما فى ترتيب درجات أرباب المذاهب المختلفة أو فى علاقتهم مع رؤسائهم الروحانيين

﴿المادة ٣٦﴾ امارة الصرب تكون مالكة للاراضى الموجودة فى ضمن الحدود الآتى ذكرها وهى ان الخط الفاصل يمر على طول الخط الحالى ومن مصب نهر (درينا) فى نهر صاوا ويذهب مع المجرى ويترك (ازرونيق وزخار) للامارة ولا يترك الخط المذكور أعنى الحدود القديمة الى (قابونيق) ثم يفترق فى ذروة جبل قابونيق عن الخط المذكور ويسير من جنوب الجبل على طول حدود نيش الشرقية ويمر من تلال (ماريقا وماردار بلانينا) وهذه التلال هى الخط الفاصل بين أنهر (ايلبار وسينيقا وطو بليقا) وعلى هذا تبقى يره بولا د للدولة العلية وبعده يسلك خط مقسم المياه الى جهة الجنوب من بين (برونيقا) ومدودجا ويترك وادى مدودجا كله للصرب ويصعد الى تل (قوبلجاق بلانينا) ويكون هو الخط الفاصل فيما بين الانهر المسماة (بولجينا وترنيقا ومورروا) ويصل الى تل (بولجنيقا) ثم يذهب من تجاه (قاينا بلانينا) الى مجمع أنهر (قوانسقا ومورراوه) ويتجاوزه ويسير على الخط الفاصل فيما بين مياه النهر الذى يختلط بنهر مورراوه فى جوار (قوانسقا) وتره دوس) ويتصل (بيلانينا ايليجه) فوق (ترغو بست) ومن هنا أعنى من ذروة جبل ايليجه يمتد الى ذروة جبل (قلتروق) ويمر من المحلات المدروجة فى الخريطة تحت عدد ١٥١٦ و ١٥٤٧ ومن (بابيناغورا) وينتهى الى جبل (قرنيوره)

ثم يبتدئ من هذا الجبل ويجتمع بحدود البلغار يعني يمر من تلال (استره سرو وباو غلو ومسيد بلانينا) ويسير على خط مقسم المياه الواقع فيما بين استروماو (موراوه) وينتهي الى المحلات المدعوة (غاسيناو قرنه براوه ودارقوسقوه ودرانيقه بلان) وبعدها يمر من فوق (دشاني قلادنق) ومن أعلى مقسم مياه (صوقوه وموراوه) ويذهب رأسا الى (استول) ومن هنا ينزل الى قرية (سفوزه) من جهة شمالها الغربي ويقطع طريق (بيروت) بمسافة مقدار ألف كيلومتر وعن صوفيه ويصعد على خط مستقيم الى (ويدليق بلانينا) ويمر من جبل (رادوچينا) الواقع في سلسلة البلقان الكبير ويترك قرية (دوقنجى) لامارة الصرب وقرية (سناقوس) الى البلغارستان ثم يسير من ذروة هذا الجبل الى جهة الشمال الغربي ويمر من بلقان (سيروق) ومن استارا (بلانينا) ويصعد الى تلال البلقان وفي جوار (قولا اسميلجوه قوقه) يتصل بحدود الصرب الشرقية القديمة ويسير على هذه الحدود الى نهر الطونه وينتهي عند النهر في (راقوبجه)

﴿المادة ٣٧﴾ لا يغير شيء في الصرب من الشروط الحالية فيما يخص العلاقات التجارية الكائنة بين الممالك الاجنبية وبين امارة الصرب الى ان يجري بدلها اتفاقات جديدة ولا يسوغ ان يؤخذ على البضائع التي تمر في الصرب مرسلة الى جهة أخرى شيء من العوائد أو الرسومات أما المزايا والامتيازات الشاملة الآن رعايا الدول الاجنبية في الصرب وحقوق الاحكام وحماية القناصل لرعاياهم على الاصول المعمول بها الآن فتبقى مرعية الاجراء الى ان يحصل اتفاق بين امارة الصرب والدول الاجنبية على تعديلها

﴿المادة ٣٨﴾ التعهدات التي تعهد بها الباب العالي مع دولة أوستريا وهنكاريا أو مع شركة سكة الحديد في الروم ايلي أو فيما يتعلق باتمام السكك الحديدية وتشغيلها في الاراضي التي دخلت في حوزة الصرب تبقى مرعية الاجراء عند امارة الصرب وعند التوقيع على هذه المعاهدة يجري اتفاق بين دولة أوستريا وهنكاريا والباب العالي والصرب وامارة البلغار على قدر ما يخصها لتسوية هذه المسائل

﴿المادة ٣٩﴾ المسلمون الذين يملكون عقارات في الاراضي التي انضمت الى

الصرب

الصرب ويريدون ان يستوطنوا خارجاً عن الامارة لهم الحرية بان يبقوا مالكين عقاراتهم بؤ ايجرتها أو تشغيلها بواسطة من يختارونه وستشكل لجنة مؤلفة من مأمورين من العثمانيين والصربيين لاجل تسوية جميع المسائل التي تتعلق بكيفية نقل وادارة الاملاك المتعلقة بالوقف أو الاملاك الميرية التي للباب العالي وكذلك تسوية جميع متعلقات الناس الذين لهم مصلحة فيها وهذه التسوية تكون في ظرف ثلاث سنين

﴿المادة ٤٠﴾ تكون معاملة رعية الصرب القاطنين في السلطنة العثمانية أو المسافرين فيها بحسب أصول الاحكام والقوانين المتداولة بين الدول الى ان تحصل معاهدة بين الدولة العثمانية والصرب

﴿المادة ٤١﴾ يلزم لعساكر الصرب اخلاء جميع الاماكن التي لم تدخل في حوزة امارتهم في ظرف خمسة عشر يوما اعتبارا من يوم التوقيع على هذه المعاهدة كذلك يلزم للعساكر السلطانية ان تخلي في المدة المذكورة الاماكن التي دخلت في حوزة الامارة

﴿المادة ٤٢﴾ حيث انه يتعين على الصرب حمل جانب من الديون العثمانية العمومية في مقابلة الاراضي الجديدة التي حازتها بموجب هذه المعاهدة فسفراء الدول الاجنبية في الاستانة يعينون مبلغ قيمة الاراضي المذكورة على صورة عادلة بالاتفاق مع الباب العالي

﴿المادة ٤٣﴾ لما كان الموقعون على هذه المعاهدة معترفين باستقلالية رومانيا فربطتها بالشرطين الآتيين

﴿المادة ٤٤﴾ لا يسوغ التمييز في الاعتقادات الدينية في رومانيا ضد أحد حتى يخرجه من الاهلية والجدارة لجميع ما يتعلق بتمتعه بالحقوق المدنية والسياسية أو بدخوله في الوظائف الميرية أو العمومية أو نواله الشرف أو استعماله الصنائع والحرف المختلفة كيفما كان مقره فلجميع الاهالي التابعين لرومانيا والاجانب أيضا الحرية التامة في جميع المتعلقات المذهبية ولا يسوغ اتخاذ مانع ما في ترتيب درجات أرباب المذاهب المختلفة أو في علاقتهم مع رؤسائهم الروحانيين فتكون معاملة رعايا

جميع الدول سواء كانوا من التجار أو غيرهم فى رومانيا بدون تمييز فى المذهب على قدم مساواة تامة

﴿المادة ٤٥﴾ امارة رومانيا تعيد على حضرة امبراطور الروسيا أراضى بسارابيا التى كانت انفصلت من الروسيا بموجب معاهدة باريس التى أمضيت فى سنة ١٨٥٦ وحدودها فى الجهات الغربية من مجرى نهر البروث وفى الجنوب من نهر (كيليا) وفم (ستارى استانبول)

﴿المادة ٤٦﴾ يضم الى رومانيا الجزر الثلاثة التى على الطونه وجزر (يلان طاغ) وسنجقية طولجى وهى تشمل قضاآت كيليا وسوليناومحمودية وزانجه وطولجى وماچين وباباطاغ وهرسوا وكوستنجه ومجيدية وماعدا ذلك يعطى لها أيضا الاراضى الكائنة على جنوب الدبروجه الى ان تصل الى خط يبتدئ من شرقى سيليستريا ويمتد الى البحر الاسود على جنوب منغاليه ويكون تعيين تخوم تلك الحدود فى تلك المواقع بمعرفة اللجنة الاوروباوية المنوط بعهدتها تعيين حدود البلغار

﴿المادة ٤٧﴾ مسئلة تقسيم المياه والصيادة تعرض على لجنة الطونه الاوروباوية فتكون حكما عليها

﴿المادة ٤٨﴾ لا يجوز وضع رسومات أو عوائد فى رومانيا على السلع التى ترد اليها بقصد ارسالها الى جهة أخرى

﴿المادة ٤٩﴾ يسوغ لرومانيا ان تعقد مع الدول الاجنبية اتفاقا لتسوية مسئلة امتيازات ووظائف قناصلهم فيما يتعلق بحماية رعاياهم فى الامارة الا ان الحقوق الحالية تبقى مرعية الاجرا ما دام لم يحصل اتفاق عمومى بين الامارة والدول

﴿المادة ٥٠﴾ تبقى رعية رومانيا القاطنون فى الممالك العثمانية أو المسافرون فيها أو رعايا العثمانيين المسافرون فى رومانيا أو القاطنون فيها متمتعين بالحقوق التى تشمل رعايا بقية الدول الاوروباوية الى ان تعقد معاهدة لتسوية امتيازات القناصل ووظائفهم بين الدولة العثمانية ورومانيا

﴿المادة ٥١﴾ تعهدات الباب العالى ووظائفه فيما يتعلق باتمام الاشغال النافعة وما أشبهها فى الاراضى التى دخلت فى حوزة رومانيا تعود الى عهدة رومانيا

(المادة

﴿المادة ٥٢﴾ لاجل زيادة تأمين حرية السفر في نهر الطونه التي اعترف أنها من المصالح الاوروباوية قرر رأى الموقعين على هذه المعاهدة بأن جميع الحصون والاستحكامات الموجودة الآن على النهر من عند المحل الذي يقال له (أبواب الحديد) الى فم النهر تهدم بالكلية فلا يسوغ بعد هذا ابناء غيرها ولا يجوز سفر احدى البواخر الحربية على الطونه الى (أبواب الحديد) الا البواخر الصغيرة المعينة لخدمة الضبطية في النهر وخدمة الكمارك ولكن يسوغ لبواخر الدول الموجودة في فم نهر الطونه لاجل الحراسة ان تسافر في النهر الى غاية (غلاتس)

﴿المادة ٥٣﴾ تبقى لجنة الطونة الاوروباوية مقررة في وظائفها ولرومانيا فيها نائب وتجرى أعمال وظائفها الى (غلاتس) بحرية تامة مستقلة عن مداخلة مأمورى تلك الاراضي وتبقى أيضا سائر معاهداتها واتفاقاتها وأشغالها وأعمالها وقراراتها فيما يتعلق بامتيازاتها وخصائصها ووظائفها ثابتة الاجراء

﴿المادة ٥٤﴾ قبل نهاية الاجل المقرر لبقاء لجنة الطونه الاوروباوية بسنة واحدة يلزم للدول أن يتفقوا على تطويل سلطتهم أو على التعديلات التي يرون اجرائها من اللازم

﴿المادة ٥٥﴾ جميع النظامات المتعلقة بالسفر في النهر و بوظائف الضبطية فيه من (أبواب الحديد) الى (غلاتس) يكون ترتيبها وتنسيقها من طرف اللجنة الاوروباوية بمساعدة نواب من طرف الممالك الكائنة بسواحل النهر ويصير تأليفها بالنظامات الموجودة أو التي ستحدث في أمور النهر أسفل من غلاتس

﴿المادة ٥٦﴾ يلزم للجنة الطونة الاوروباوية ان تتفق مع الدول فيما يتعلق بتنوير الفنارات الكائنة على جزر (يلان طاغ)

﴿المادة ٥٧﴾ قد فوض لاوستريا وهنكاريا الاشغال اللازم اجراؤها لازالة موانع السفر التي تحدث من (أبواب الحديد) والشلالات و يلزم على الممالك المجاورة النهر من الجهة المذكورة ان تجرى جميع التسهيلات اللازمة لمصلحة تلك الاشغال أما المواد المقررة في المادة الرابعة من معاهدة لندرة التي أمضيت في ١٣ مارث

١٨٧٢ فيما يتعلق بأخذ ضرائب موقتة لسد مصاريف تلك الاعمال والاشغال فتبقى منوطة بدولة أوستريا وهنكاريا

﴿المادة ٥٨﴾ الباب العالي يسلم الى امبراطورية الروسية في آسيا (الاناطول) أراضي اردهان وقارص وباطوم مع مرسى باطوم وجميع الاراضي الكائنة بين تخوم الروسية والتركية القديمة والتخوم الآتي بيانها وهذه الحدود الجديدة تبتدئ من البحر الاسود على حسب الخط المقرر في معاهدة اياسطفانوس الى النقطة في الجهة الشمالية الغربية من (خورده) وعلى جنوب (ارتوين) وتمتد على خط مستقيم الى نهر (چورك) وبعد عبوره هذا النهر يسير شرقي (اشمشين) ويستمر على خط مستقيم في الجنوب وهنالك يلاقي حدود الروسية المشروحة في المعاهدة المذكورة وذلك في نقطة على جنوب (نار يمان) مع بقاء مدينة (اولتي) في حوزة الروسية ثم يبتدئ الخط بالقرب من (نار يمان) الى الجهة الشرقية ويكون عبوره من (تربنيق) وبعد دخول مدينة تربنيق في حوزة الروسية يسير الى (بنك شاى) مجاريا نهره الى ان يصل الى (باردوز) وبعد دخول مدينة باردوز ويكى كوى في عهدة الروسية يؤخذ نقطة من غرب قرية (قره اوغان) تجعل الحدود عليها على خط الى ان يصل الى (مجنجرت) ومنها على خط مستقيم الى ان يصل الى تلال (قباداغ) فيستقر على خط مصب نهر (الاركس) في الشمال وموصب نهر (مرادصوى) في الجنوب الى ان يصل الى حدود الروسية القديمة

﴿المادة ٥٩﴾ امبراطور الروسية يصرح هنا بان غاية مقصده ان يجعل باطوم مرسى حرا (معنى حران تكون البضائع معفاة من جميع رسومات الدخول أو الخروج)

﴿المادة ٦٠﴾ تعيد الروسية على تركية أودية الشغرادو ومدينة (بايزيد) التي سلمت للروسية بموجب المادة ١٩ من معاهدة اياسطفانوس وقد سلم الباب العالي الى مملكة ايران مدينة (قطور) وأراضيها كما قر عليه رأي اللجنة الانكليزية والروسية التي نيط بعهدتها تعيين تخوم تركية وايران

﴿المادة ٦١﴾ الباب العالي يتعهد بان يجرى بدون تأخير في الولايات التي سكانها من الارمن سائر الاصلاحات والتحسينات التي تحتاج اليها أمورها الداخلية وان يتعهد بتأمينهم من تعدى الجراكسة والاكراد عليهم ويفيد الدول الاجنبية المرة بعد المرة بالتشبثات التي اتخذها لهذه الغاية وهي تراقب كيفية اجرائها

﴿المادة ٦٢﴾ حيث ان الباب العالي اظهر رغبته في ابقاء أصول حرية الديانة وتوسيع مداها توسيعا مطلقا فان الموقعين على هذه المعاهدة ينزلون هذه الرغبة منزلة الفعل فلا يسوغ التمييز في الاعتقادات الدينية في جميع أطراف السلطنة العثمانية حتى يخرج أحد من الاهلية والجدارة بجميع ما يتعلق بتمتعه بالحقوق المدنية والسياسية أو بدخوله في الوظائف الميرية أو العمومية أو نواله الشرف أو استعماله الصنائع والحرف المختلفة كيفما كان مقره ويؤذن لجميع الناس بان يؤدوا الشهادة في جميع المحاكم بدون تمييز أحد في الدين واستعمال سائر الامور الدينية يكون بحرية فلا يكون مانع ما للترتيب درجات أرباب المذاهب المختلفة أو لعلاقتهم مع رؤسائهم ويكون الاكليروس (أصحاب الرتب الكنائسية) والزوار والرهبان من جميع الامم الذين يسافرون في الممالك العثمانية في الروم ايلي والاناطول حائزين حقوقا واحدة وامتيازات وخصائص واحدة وفوض الى القناصل ونواب الدول الاجنبية في تلك الممالك حق في حماية أولئك المذكورين وحماية محلاتهم الدينية والخيرية حماية رسمية في الاماكن المقدسة أو غيرها أما الحقوق المسلمة لفرنسا فلم تزل مرعية الاجراء وصار من المعلوم المقرر هنا انه لا يسوغ تبديل حال من الاحوال الحاضرة في الاماكن المقدسة أما رهبان جبل اثوس من أي جنس كانوا فيبقون محافظين على املاكهم وامتيازاتهم ومنحهم السابقة ويبقون متمتعين بمساواة تامة في الحقوق والمزايا

﴿المادة ٦٣﴾ تبقى معاهدة باريس التي أمضيت في ٣٠ مارث سنة ١٨٥٦ ومعاهدة لندرة التي أمضيت في ١٣ مارث سنة ١٨٧١ مرعية الاجراء وذلك فيما يتعلق بالمواد التي لم تفسخها ولم تبدلها هذه المعاهدة

وتعميم التعليم الابتدائى وتنظيم الجيوش وترتيب الالايات الحميدية واصلاح الترسانة العامرة فالايمكن لقلم هذا العاجز الاتيان على بيان قطرة من بحره الزاخر وغاية مايمكننى هو الابتهال الى بارئ النسمات ومولى النعم ان يحفظ لنا جلالة الخليفة الاعظم مؤيدا بروحه ونصره وأن يديم لنا خديوينا الافخم (عباس باشا حلمى الثانى). ويؤيد بينهما ربط الولاء والمحبة ويقوى عرى التابعية بين مصرنا والدولة العلية

ويحفظهما من كيد الكائدين ومكر الماكرين انه السميع المجيب

وأن يحسن لبلادنا الحال والمآل فى المبدأ والختام



تم

كتبخانه
١٦١٩٥٨

(تنبيه) لاحظنا فى الخريطة الملحقة بهذا الكتاب بعد طبع قليل من صورها بعض غلطات مثل وضع مدينتى طنطا والمنصورة كل منها مكان الاخرى ووضع مدينة كورفو على ساحل اليونان فى الجزيرة المسماة بهذا الاسم ومثل وضع مدينة سلستريا فى غير محلها وادخال مدينة اشقودره فى حدود الجبل الاسود سهوا ولقد أمكننا اصلاح هذه الغلطات فى أغلب النسخ فنرجو من حضرات القراء عفوا ومعذرة

﴿ بيان الخطأ والصواب الواقع في هذا الكتاب ﴾

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
٩	١٧	ابنه	أبيه
١٣	١١	بنى تشارى	ينى تشارى
١٦	١٣	مرارا	مراد
١٩	١٩	يائس	يائس
٢٧	٦	مشترکی	اشتراكي
٣٦	٩	رست	رصّب
٤٩	٧	بقاؤها	لبقائها
٥	١٣	اغاروا	أغاروا الى
٥٤	٣	٩٣٠	٩٣٠
٥٧	٨	السياسية	العاسية
٦٨	٣	٩٢٢	٩٣٢
٧٥	١٩	١٥٢٤	١٥٣٤
٧٦	١٤	٩٤١	٩٤٢
٩٧	١٣	تعريز	تعريز
١١٠	٤	الخ	الى آخرها
١٢٦	٢٣	مصدارة	مصادرة
١٢٩	١٥	رؤسائهم	وساوسهم
١٣٨	١٩	١٦٩٧	١٦٨٧
١٤٠	الاخير	رعيته	رغبته
١٤٣	١٣	بين	من
١٦٣	٧	يخرج	تخرّج
١٧٩	٤	تسليحهم	تسليمهم

صحيفة	سطر	خطا	صواب
١٨١	٢٢	الروسيا	البروسيا
٢٠٩	٢٢	الى	على
٢١١	٧	السائرين	الثائرين
٢٣٠	٢٤	رافقه	أرفقه
٢٤٠	٧	يقضيهما	يمضيهما
٢٦٩	١	ولم كان	وكان
٢٧٢	٢٥	من	حتى
٢٨٠	١٣	لمحمدعلى باشا	محمدعلى باشا
٢٩٤	٧	مقته	مقوته
٣٠٠	الاخير	للروسيا	للبروسيا
٣٠٢	٢٨	الروسيا	البروسيا
٣١٢	١٧	بير	بين
٣١٤	٢	بلكال	باكازوه
٣٣٣	الاخير	بومه	بعومته
٣٤١	٧	تخطير	تحظير
٣٤٥	١٦	من	عن
٣٥١	١٣	واملا	واقاما
٣٥٦	١٨	يقط	فقط
٣٦٣	٣	الجديده	الحديده
٣٧٨	٩	مغممة	مغمضه
٣٨٤	٤	الاوامر	الامر
٣٩٩	١١	تمزير	تقرير
٤١٧	١١	جمع	جميع
٤٣٤	١٢	٣٠	٣١
٤٣٦	١٦	الطاعة	الطاقة